

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطب

تأليف الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء التاسع

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

(الطبعة الثانية منقحة)



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

تاریخ الطبری

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان

يبدأ الجزء التاسع من هذه الطبعة بحوادث سنة ٢١٩ هـ ، وينتهي بآخر حوادث سنة ٢٧٠ هـ ؛ وقد اشتمل على جزء من أخبار الخليفة المعتصم ، ثم أخبار الواثق والمتوكل والمتنصر والمستعين والمعتز والمهتدي وبعض أخبار المعتمد ؛ من الخلفاء العباسيين ؛ مع ذكر ما وقع في أعصارهم من حروب وفتوح وفتن وقصص وأشعار ؛ وكان من أهم الأحداث التي أوردتها المؤلف في هذا الجزء ، الفتنة التي حمل لواءها دعوى آل عليّ ، خارجاً على الخلفاء ، وانضم إليه الشذاذ من العبيد والزنوج والأتراك ؛ ودارت وقائعها في الأهواز والبصرة والأبلة وبغداد ؛ واستمرت أكثر من أربعة عشر عاماً ، بدأت بخروج الداعية في رمضان سنة ٢٥٥ هـ ، وانتهت بمقتله في صفر سنة ٢٧٠ هـ ، وقد بسط القول فيها بسطاً ؛ مما يجعله عمدة المؤرخين في هذا الموضوع .

وقد رجعت في تحقيق هذا الجزء من المخطوطات التي لم يرجع إليها مصححو الطبعة الأوربية إلى ما يأتي :

١ - جزء مصوّر من مكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٩٢٩ ، محفوظ بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، يوافق الجزء الثاني عشر من تجزئة الناسخ لهذه النسخة ، يقع في ٢٥٦ ورقة ، يبدأ بحوادث سنة ٢٠٤ هـ ، وينتهي بأثناء الكلام على حوادث سنة ٢٥١ هـ في خلافة المستعين ، وعليه وقفية المقرّ الأشرف الجمالي محمود الأستاذار على مدرسته التي أنشأها بخط الموازين بالشارع الأعظم بالقاهرة ، وهي الوقفية الموجودة على بقية الأجزاء . وهو جزء مكتوب بخط نسخي واضح مضبوط بالشكل ؛ ويغلب عليه الإتقان والصحة ؛ ويبدو أنه كتب في

أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع ؛ في كل صفحة عشرون سطراً ،
وفي كل سطر عشر كلمات تقريباً ؛ وقد رمز إليه بالحرف (ا) ؛ وبالرجوع
إلى هذا الجزء أصلح كثير من الأخطاء وأكملت مواضع النقص ؛ مما هو في
الطبعة الأوربية .

٢ - جزء مخطوط بدار الكتب برقم ١٦٠٢ تاريخ ، وقد رمز له بالحرف
(د) ، وسبق وصفه في مقدمة الجزء الثامن .

ويلى هذا الجزء ، الجزء العاشر ، وأوله حوادث سنة ٢٧١هـ ، وينتهى بآخر
حوادث سنة ٣٠٢هـ ؛ وهو نهاية الكتاب ، وسيلحق به إن شاء الله الفهارس العامة
التفصيلية ؛ أما ذيل الكتاب فسيظهر كل ذيل منها مستقلاً بفهارسه .
والله ولى التوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

رجب سنة ١٣٨٧ هـ

أكتوبر سنة ١٩٦٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوي]

فمن ذلك ما كان من ظهور محمد بن القاسم بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان ، يدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فاجتمع إليه بها ناس كثير ؛ وكانت بينه وبين قواد عبد الله بن طاهرو قعات بناحية الطالقان وجبالها ، فهزيم هو وأصحابه ، فخرج هارباً يريد بعض كُور خراسان ، كان أهله كاتبوه ؛ فلما صار بنسًا ، وبها والد البعض من معه ، مضى الرجل الذي معه من أهل نسًا إلى والده ليسلم عليه ، فلما لقي أباه سأله عن الخبر ، فأخبره بأمرهم ، وأنهم ^(١) يقصدون كورة كذا ، ففضى أبو ذلك الرجل إلى عامل نسًا ، فأخبره بأمر محمد بن القاسم ؛ فذكر أن العامل بذل له عشرة آلاف درهم على دلالة عليه فدلته عليه ، فجاء ^(٢) العامل إلى محمد بن القاسم ، فأخذه واستوثق منه ؛ وبعث به إلى عبد الله بن طاهر ، فبعث به عبد الله بن طاهر إلى المعتصم ، فقدم به عليه يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ؛ فحبس — فيما ذكر — بسامراً عند مسرور الخادم الكبير في محبس ^(٣) ضيق ، يكون قدر ثلاث أذرع في ذراعين ، فكث فيه ثلاثة أيام ، ثم حوّل إلى موضع أوسع من ذلك ، وأجريت عليه طعام ، ووُكِّل به قوم يحفظونه ؛ فلما كان ليلة الفطر ، واشتغل الناس بالعيد والتهنئة احتال للخروج ، ذكر أنه هرب من الحبس بالليل ، وأنه دُكِّلَ إليه حبل من كوة كانت في أعلى البيت ، يدخل عليه منها الضوء ؛ فلما أصبحوا أتوا بالطعام

١١٦٦/٣

(٢) ف : « وجاء » .

(١) ف : « أنهم » بدون واو .

(٣) س : « حبس » . د : « مجلس » .

للغداء افتقيد^(١) ، فذكر أنه جُعِلَ لمن دلّ عليه مائة ألف درهم ، وصاح بذلك الصائح ، فلم يعرف له خبر .

وفي هذه السنة قدم إسحاق بن إبراهيم بغداد من الجبل ، يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلّت من جمادى الأولى ، ومعه الأسرى من الحرّمية والمستأمنة . وقيل : إن إسحاق بن إبراهيم قتل منهم في محاربته إياهم نحواً من مائة ألف ، سوى النساء والصبيان .

* * *

[ذكر الخبر عن محاربة الرّط]

وفي هذه السنة وجّه المعتصم عُجَيْفَ بن عنبسة في جمادى الآخرة منها لحرب الرّطّ الذين^(٢) كانوا قد عاثوا في طريق البصرة^(٣) ، فقطعوا فيه الطريق ، واحتملوا الغلات من البيادر بكسّكّر وما يليها من البصرة ، وأخافوا السبيل ، ورتّب الخيل في كلّ سكة من سكك البرد تركض بالأخبار ، فكان الخبر يخرج من عند عُجَيْف ، فيصل إلى المعتصم من يومه ؛ وكان الذي يتولى النفقة على عُجَيْف من قبيل المعتصم محمد بن منصور كاتب إبراهيم بن البّخترى ؛ فلما صار عُجَيْف إلى واسط ، ضرب عسكره بقرية أسفل واسط يقال لها الصافية في خمسة آلاف رجل ، وصار عُجَيْف إلى نهر يحمل من دجلة يقال له برّدودا ؛ فلم يزل مقيماً عليه حتى سده . وقيل إن عُجَيْفاً إنما ضرب عسكره بقرية أسفل واسط يقال لها نجيدا ، ووجّه هارون بن نعيم ابن الوضاح القائد الخراساني إلى موضع يقال له الصافية في خمسة آلاف رجل ، ومضى عُجَيْف في خمسة آلاف إلى برّدودا ، فأقام عليه حتى سده وسدّ أنهاراً أخر كانوا يدخلون منها ويخرجون ، فحصرهم^(٣) من كلّ وجه ؛ وكان من الأنهار التي سدها عجيف ، نهر يقال له العروس ؛ فلما أخذ عليهم طرقهم حاربهم ، وأسر منهم خمسمائة رجل ، وقتل منهم في المعركة ثلثمائة

١١٦٧/٣

(١) كذا في ا ، د ، وفي ط : « فقد » .

(٢ - ٢) ابن الأثير : « الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة وعاثوا » .

(٣) س : « وحصرهم » .

رجل ، فضرب أعناق الأسرى^(١) ، وبعث برءوس جميعهم^(٢) إلى باب
 المعتصم ؛ ثم أقام عَجَيفَ بإزاء الزُّطَّ خمسة عشر يوماً ، فظفر منهم بخلق
 كثير . وكان رئيس الزُّطَّ رجلاً يقال له محمد بن عثمان ؛ وكان صاحب أمره
 والقائم بالحرب سُمْلَق ، ومكث عَجَيفَ يقاتلهم - فيما قيل - تسعة أشهر .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد .

(١) ف : « الأسارى » .

(٢) ف : « برءوسهم » .

ثم دخلت سنة عشرين ومائتين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر ظفر عجيف بالزط]

فمن ذلك ما كان من دخول عجيف بالزط بغداد، وقهره إياهم حتى طلبوا منه الأمان فآمنهم، فخرجوا إليه في ذى الحجة سنة تسع عشرة ومائتين على أنهم آمنون على دمائهم وأموالهم؛ وكانت عديتهم^(١) - فيما ذكر - سبعة وعشرين ألفاً؛ المقاتلة منهم اثنا عشر ألفاً؛ وأحصاهم عجيف سبعة وعشرين ألف إنسان؛ بين رجل وامرأة وصبي، ثم جعلهم في السفن، وأقبل بهم حتى نزل الزعفرانية، فأعطى أصحابه دينارين دينارين جائزة، وأقام بهايوماً، ثم عبأهم^(٢) في زواريقهم على هيئتهم في الحرب؛ معهم البوقات، حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء سنة عشرين ومائتين والمعتصم بالشامسية في سفينة يقال لها الزو، حتى مر به الزط على تعبثهم ينفخون بالبوقات؛ فكان أولهم بالقفص وآخرهم بجذاء الشامسية، وأقاموا في سفنهم ثلاثة أيام، ثم عبر بهم إلى الجانب الشرق؛ فدفعوا إلى بشر بن السميدع، فذهب بهم إلى خانقين، ثم نقلوا إلى الشَّعْر إلى عين زربة، فأغارت عليهم الروم؛ فاجتاحوهم فلم يقلت منهم أحد، فقال شاعرهم:

١١٦٩/٣

يا أهل بغداد موتوا دأماً غيظكم
نحن الذين ضربناكم مجاهرة
لم تشكروا الله نعماءه التي سلفت
فاستنصروا العبد من أبناء دولتيكم
ومن شناس وأفشين، ومن فرج
شوقاً إلى تمر برني وشهريز
قسراً وسقناكم سوق المعاجيز
ولم تحوطوا أياديه بتعزيز
من يازمان ومن بلج ومن توز
المعلمين بديباج وإبريز

(٢) ط: «وعبأهم».

(١) ١: «وكان عددهم».

واللابيسي كيمخار الصين قد خرطت
والحاملين الشكى نيطت علائقها
يقرى ببيض من الهندي هامهم
فوارس خيلها دهم مودعة
مسخرات لها في الماء أجنحة
متى تروموا لنا في غمر لجتنا
أو اختطافاً وإزهاقاً كما اختطفت
ليس الجلاذ جلاذ الزط فاعترفوا
نحن الذين سقينا الحرب درتها
لنسفعنكم سفعاً يذل له
فابكوا على التمر أبكى الله أعينكم

أردانه درز برواز الدخاريز
إلى مناطق خاص غير مخروز
بنو بهلة في أبناء فيروز
على الخراطيم منها والفراريز
كالآبنوس إذا استحضرن والشيز
حذراً نصيدكم صيد المعافيز
طير الدحال حثاثاً بالمناقيز
أكل الثريد ولا شرب القواقيز
ونقنقنا مقاساة الكواليز
رب السرير ويشجى صاحب التيز
في كل أضحى ، وفي فطر ونيروز

* * *

[ذكر خبر مسير الأفشين لحرب بابل]

وفي هذه السنة عقد المعتصم للأفشين خيدر^(١) بن كاوس على الجبال ، ووجه به
لحرب بابل ؛ وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ؛ فعسكر
بمصلى بغداد ، ثم صار إلى برزند .

* ذكر الخبر عن أمر بابل ومخرجه :

ذكر أن ظهور بابل كان في سنة إحدى ومائتين ، وكانت قريته ومديته
البدّة ؛ وهزم من جيوش السلطان ، وقتل من قواده جماعة ؛ فلما أفضى الأمر
إلى المعتصم ، وجه أباسعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل ، وأمره أن يبني الحصون
التي خربها بابل فيما بين زنجان وأردبيل ، ويجعل فيها الرجال مسالح لحفظ
الطريق لمن يجلب الميرة إلى أردبيل ؛ فتوجه أبو سعيد لذلك ، وبني الحصون
التي خربها بابل ، ووجه بابل سرية له في بعض غاراته ، وصير أميرهم رجلاً

يقال له معاوية ؛ فخرج فأغار على بعض النواحي ، ورجع منصرفاً ؛ فبلغ ذلك أبا سعيد محمد بن يوسف ، فجمع الناس وخرج إليه يعترضه في بعض الطريق ، فواقعه ، فقتل من أصحابه جماعة ، وأسر منهم جماعة ، واستنقذ ما كان حواه ؛ فهذه أول هزيمة كانت على أصحاب بابك . ووجهه أبو سعيد الرعوس والأسرى إلى المعتصم بالله .

ثم كانت الأخرى لمحمد بن البعيث ؛ وذلك أن محمد بن البعيث كان في قلعة له حصينة تسمى شاهي ؛ كان ابن البعيث أخذها من الوجناء بن الرواد ، عرضها نحو من فرسخين ، وهي من كورة أذربيجان ، وله حصن آخر في بلاد أذربيجان يسمى تيسريز ، وشاهي أمتعهما ؛ وكان ابن البعيث مصالحاً لبابك ، إذا (١) توجهت سراياه نزلت به . فأضافهم ، وأحسن إليهم حتى أنسوا به ، وصارت لهم عادة . ثم إن بابك وجه رجلاً من أصحابه يقال له عصمة من أصبهبذته في سرية ، فنزل بابن البعيث ، فأنزل إليه (٢) ابن البعيث على العادة الجارية الغنم والأنزال (٣) وغير ذلك ، وبعث إلى عصمة أن يصعد إليه في خاصته ووجوه أصحابه ، فصعد ففقد آهم وسقامهم حتى أسكرهم (٤) ، ثم وثب على عصمة فاستوثق منه ، وقتل من كان معه من أصحابه ، وأمره أن يسمى رجلاً رجلاً من أصحابه باسمه ؛ فكان يدعى بالرجل باسمه فيصعد ، ثم يأمر به فيضرب عنقه ؛ حتى علموا بذلك ؛ فهربوا . ووجه ابن البعيث بعصمة إلى المعتصم - وكان البعيث أبو محمد صعلوكاً من صعاليك ابن الرواد - فسأل المعتصم عصمة عن بلاد بابك ، فأعلمه طرقها ووجوه القتال فيها ؛ ثم لم يزل عصمة محبوساً إلى أيام الواثق . ولما صار الأفشين إلى برزند عسكر بها ، ورم الحصون (٥) فيما بين برزند وأردبيل ، وأنزل محمد بن يوسف بموضع يقال له خش ، فاحتفر فيه خندقاً ، وأنزل الهيثم الغنوي القائد من أهل الجزيرة في رستاق يقال له أرشق ، فرم حصنه ، وحفر حوله خندقاً ، وأنزل عكويه الأعور من قواد الأبناء في حصن ممّا يلي أردبيل يسمى حصن النهر ؛ فكانت السابلة

١١٧٢/٣

١١٧٣/٣

(١) ف : « إذ » . (٢) ف : « وأنزله » ، ابن الأثير : « فأنزل له » .

(٣) ف : « والأموال إلى غير ذلك » . (٤) ف : « سكرها » .

(٥) ابن الأثير : « وضبط الحصون والطرق » .

والقوافل تخرج من أردبيل معها من يُبَدِّرُهَا^(١) حتى تصل إلى حصن النهر ، ثم يُبَدِّرُهَا صاحب حصن النهر إلى الهيثم الغنوي ، ويخرج هَيْثَمُ فيمن جاء من ناحيته حتى يسلمه إلى أصحاب^(٢) حصن النهر ، وَيُبَدِّرُ مَنْ جاء من أردبيل حتى يصير الهيثم وصاحب حصن النهر في منتصف^(٣) الطريق ، فيسلم صاحب حصن النهر مَنْ معه إلى هيثم ، ويسلم هيثم مَنْ معه إلى صاحب حصن النهر ؛ فيسير هذا مع هؤلاء ، وهذا مع هؤلاء . وإن سبق أحدهما صاحبه إلى الموضع لم يَجْزُهُ حتى يجيء الآخر ؛ فيدفع كل واحد منهما مَنْ معه إلى صاحبه ليُبَدِّرَ رَقَهُمْ ؛ هذا إلى أردبيل ، وهذا إلى عسكر الأفشين ، ثم يُبَدِّرُ الهيثم الغنوي مَنْ كان معه إلى أصحاب أبي سعيد ؛ وقد خرجوا فوقفوا على منتصف الطريق ، معهم قوم ، فيدفع أبو سعيد وأصحابه مَنْ معهم إلى الهيثم ، ويدفع الهيثم مَنْ معه إلى أصحاب أبي سعيد ، فيصير أبو سعيد وأصحابه بَمَنْ في القافلة^(٤) إلى خُشْ ، وينصرف الهيثم وأصحابه بمن صار في أيديهم إلى أرشق حتى يصيروا به من غد ، فيدفعوهم إلى علكويه الأعور وأصحابه ليوصلوهم^(٥) إلى حيث يريدون ، ويصير أبو سعيد وَمَنْ معه إلى خُشْ ، ثم إلى عسكر الأفشين ، فتلقاه صاحب سيارة الأفشين ، فيقبض منه مَنْ في القافلة ، فيؤدِّيهم إلى عسكر الأفشين ؛ فلم يزل الأمر جارياً على هذا ؛ وكلما صار إلى أبي سعيد أو إلى أحد من المسالحي أحد من الجواسيس وجهوا به إلى الأفشين ؛ فكان الأفشين لا يقتل الجواسيس ولا يضر بهم ؛ ولكن يهب لهم ويصلهم ويسألهم ما كان بابك يعطيهم ، فيضعفه لهم ، ويقول للجاسوس : كن جاسوساً لنا .

* * *

[ذكر خبر وقعة الأفشين مع بابك بأرشق]

وفيهما كانت وقعة بين بابك وأفشين بأرشق ، قتل فيها الأفشين من

(١) يبذرُها ، أي يخفها ، وفي ابن الأثير : « يحميا » .

(٢) ف : « لأصحاب » . (٣) ١ ، س : « منصف » .

(٤) د ، ف : « ومن في القافلة » . (٥) س : « ليوصلهم » .

أصحاب بابك خلقاً كثيراً ؛ قيل أكثر من ألف ، وهرب بابك إلى مُوقان ، ثم شخص منها إلى مدينته التي تدعى البتد .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الواقعة بين الأفشين وبابك :

ذكر أن سبب ذلك أن المعتصم وجه مع بُغَا الكبير بمال إلى الأفشين عطاءً لجنده وللنفقات ، فقدم بُغَا بذلك المال إلى أردبيل ، فلما نزل أردبيل بلغ بابك وأصحابه خبره ، فتهيأ بابك وأصحابه ليقطعوا عليه قبل وصوله إلى الأفشين ، فقدم صالح الجاسوس على الأفشين ، فأخبره أن بُغَا الكبير قد قدم بمال ، وأن بابك وأصحابه تهيئوا ليقطعوه قبل وصوله إليك .

وقيل : كان مجيء صالح إلى أبي سعيد ، فوجه به أبو سعيد إلى الأفشين وهيأ بابك كميناً في مواضع ، فكتب الأفشين إلى أبي سعيد يأمره أن يحتال لمعرفة صحة خبر بابك ، فضى أبو سعيد متنكراً هو وجماعة من أصحابه ، حتى نظروا إلى النيران والوقود في المواضع التي وصفها لهم صالح ، فكتب الأفشين إلى بُغَا ؛ أن يقيم بأردبيل حتى يأتيه رأيُه ، وكتب أبو سعيد إلى الأفشين بصحة خبر صالح ، فوعد الأفشين صالحاً وأحسن إليه . ثم كتب الأفشين إلى بُغَا أن يظهر أنه يريد الرحيل ، ويشد المال على الإبل ويُقَطِّرها ، ويسير متوجّهاً من أردبيل ؛ كأنه يريد برزند ؛ فإذا صار إلى مسلحة النهر ، أو سار شبيهاً بفرسخين ، احتبس القطار حتى يجوز من صحب المال إلى برزند ؛ فإذا جازت القافلة رجع بالمال إلى أردبيل . ففعل ذلك بُغَا ، وسارت القافلة حتى نزلت النهر ، وانصرف جواسيس بابك إليه يعلمونه أن المال قد حُمِل ، وعاینوه محمولاً حتى صار إلى النهر ، ورجع بُغَا بالمال إلى أردبيل ، وركب الأفشين في اليوم الذي وعد فيه بُغَا عند العصر من برزند ، فوافي خُشَّ مع غروب الشمس ، فنزل معسكراً خارج خندق أبي سعيد ؛ فلما أصبح ركب في سر ؛ لم يضرب طبلاً ولا نَشَرَ (١) علماً ، وأمر أن يلفّ الأعلام ، وأمر الناس بالسكوت (٢) ، وجدّ في السير ، ورحلت القافلة التي كانت توجهت في ذلك اليوم من النهر إلى ناحية الهيم الغنوي ، ورحل الأفشين

١١٧٥/٣

١١٧٦/٣

من خُشَّ يريد ناحية الهيثم ليصادفه في الطريق ، ولم يعلم الهيثم [بمن كان معه]^(١) ، فرحل بمن كان معه من القافلة يريد بها النهر .

وتعباً بابك في خيَّله ورجاله وعساكره ، وصار على طريق النهر ، وهو يظن أن المال موافيه ، وخرج صاحب النهر ببندرق من قبَّله إلى الهيثم ، فخرجت عليه خيل بابك ، وهم لا يشكُّون أن المال معه ، فقاتلهم صاحب النهر ، فقتلوه وقتلوا من كان معه من الجند والسابلة ، وأخذوا جميع ما كان معهم من المتاع وغيره ، وعلموا أن المال قد فاتهم ، وأخذوا علمه ، وأخذوا لباس أهل النهر ودراريهم وطراداتهم وخفائينهم فلبسوها ، وتنكروا ليأخذوا الهيثم الغنوي ومن معه أيضاً ، ولا يعلمون بخروج الأفشين ، وجاءوا كأنهم أصحاب النهر ، فلما جاءوا لم يعرفوا الموضع الذي كان يقف فيه علم صاحب النهر ، فوقفوا في غير موضع صاحب النهر ، وجاء الهيثم فوقف في موقفه ، فأنكر ما رأى ، فوجه ابن عم له ، فقال له : اذهب إلى هذا البغيض ، فقل له : لأي شيء وقوفك ؟ فجاء ابن عم الهيثم ، فلما رأى القوم أنكرهم لما دنا منهم^(٢) ، فرجع إلى الهيثم ، فقال له : إن هؤلاء القوم لست أعرفهم ، فقال له الهيثم : أخزأك الله ! ما أجبتك ! وجه خمسة فرسان من قبله ، فلما جاءوا وقربوا من بابك ، خرج من الحرْمِيَّة رجلان فتلَّقَوْهما وأنكروهما ، وأعلموهما أنهم قد عرفوهما ، ورجعوا إلى الهيثم ركضاً ، فقالوا : إن الكافر قد قتل علَّويه وأصحابه ، وأخذوا أعلامهم ولباسهم ، فرحل هيثم منصرفاً ، فأتى القافلة التي جاء بها معه ، وأمرهم أن يركضوا ويرجعوا ، لثلاث يؤخذوا ، ووقف هو في أصحابه ، يسير بهم قليلاً قليلاً ، ويقف بهم قليلاً : ليشغل الحرْمِيَّة عن القافلة ، وصار شبيهاً بالحامية لهم ؛ حتى وصلت القافلة إلى الحصن الذي يكون فيه الهيثم — وهو أرشق — وقال لأصحابه : من يذهب منكم إلى الأمير وإلى أبي سعيد فيعلمهما وله عشرة آلاف درهم وفرس بدل فرسه إن نَفَق فرسه فله مثل فرسه على مكانه ؟ فتوجه رجلان من أصحابه على فرسين فارهين يركضان ، ودخل الهيثم الحصن ، وخرج بابك فيمن معه ؛ فنزل بالحصن ، ووضع له كرسي وجلس على شرف

١١٧٧/٣

(٢) ١ : « فلما رأى القوم ودنا منهم أنكرهم » .

(١) تكله من ١ .

١١٧٨/٣

بجبال الحصن ، وأرسل إلى الهيثم : خلّ عن الحصن وانصرف حتى أهله .
 فأبى الهيثم وحاربه . وكان مع الهيثم في الحصن ستمائة راجل وأربعمائة فارس ،
 وله خندق حصين . فقاتله ، وقعد بابك فيمن معه ، ووضع الحمر بين يديه
 ليشربها ، والحرب مشتبكة كعادته ، ولقى الفارسان الأفشين على أقلّ من فرسخ
 من أرشق ، فساعة نظر إليهما^(١) من بعيد قال لصاحب مقدّمته : أرى فارسين
 يركضان ركضاً شديداً ، ثم قال : اضربوا الطبل ، وانشروا الأعلام ،
 واركضوا نحو الفارسين . ففعل أصحابه ذلك ، وأسرعوا السير ، وقال لهم :
 صيحوا بهما : لبّيك لبّيك ! فلم يزل الناس في طلق واحد متراكضين ،
 يكسر بعضهم بعضاً حتى لحقوا بابك ، وهو جالس ، فلم يتدارك أن يتحوّل
 ويركب حتى وافته الخيل والناس ، واشتبكت الحرب^(٢) ، فلم يفلت من رجالة
 بابك أحد ، وأفلت هو في نفر يسير ، ودخل موقان ، وقد تقطّع عنه أصحابه ، وأقام
 الأفشين في ذلك الموضع ، وبات ليلة ، ثم رجع إلى معسكره ببرزند ، فأقام
 بابك بموقان أياماً . ثم إنه بعث إلى البندّ ، فجاءه في الليل عسكر فيه رجالة ،
 فرحل بهم من موقان حتى دخل البندّ ، فلم يزل الأفشين معسكراً ببرزند ، فلما
 كان في بعض الأيام مرّت به قافلة من خُشّ إلى برزند ، ومعها رجل من
 قبيل أبي سعيد يسمى صالح آب كش^(٣) — تفسيره السقاء — فخرج عليه
 أصهبه بابك ، فأخذ القافلة ، وقتل من فيها ، وقتل من كان مع صالح ،
 وأفلت صالح بلا خوف مع من أنلت ، وقتل جميع أهل القافلة ، وانتهب
 متاعهم ، فحط عسكر الأفشين من أجل تلك القافلة التي أخذت من الآب كش ؛
 وذلك أنها كانت تحمل الميرة ، فكتب الأفشين إلى صاحب المراغة يأمره
 بحمل الميرة وتعجليلها عليه ؛ فإنّ الناس قد قحطوا وجاعوا^(٤) ، فوجّه
 إليه صاحب المراغة بقافلة ضخمة ، فيها قريب من ألف ثور سوى الحمير
 والدواب وغير ذلك ، تحمل الميرة ، ومعها جند يبذرقونها ، فخرجت عليهم أيضاً
 سرية لبابك ، كان عليها طرخان — أو آذين — فاستباحوها عن آخرها بجميع
 ما فيها ، وأصاب الناس ضيق شديد ؛ فكتب الأفشين إلى صاحب السير وأن

١١٧٩/٣

(٢) ابن الأثير : « فاشتبكت الحرب » .

(٤) س : « وضاقوا » .

(١) ١ : « يصر بهما » .

(٢) ١ : « أركش » .

أن يحمل إليه طعاماً ، فحمل إليه طعاماً كثيراً ، وأغاث الناس في تلك السنة ،
وقدم بغاً على الأفشين بمال ورجال .

* * *

[ذكر الخبر عن خروج المعتصم إلى القاطول]

وفي هذه السنة خرج المعتصم إلى القاطول ، وذلك في ذى القعدة منها .

* ذكر الخبر عن سبب خروجه إليها :

ذكر عن أبي الوزير أحمد بن خالد ، أنه قال : بعثني المعتصم في سنة
تسع عشرة ومائتين ، وقال لي : يا أحمد ، اشتر لي بزاحية سامراً موضعاً أبني
فيه مدينة ؛ فإنني أتخوف أن يصبح هؤلاء الحرمية ^(١) صيحة ؛ فيقتلوا غلمانى ؛
حتى أكون فوقهم ^(٢) ، فإن رابني منهم ريب أتيتهم في البر والبحر ؛ حتى
أتى عليهم . وقال لي : خذ مائة ألف دينار ، قال : قلت : آخذ خمسة
آلاف دينار ، فكلما احتجت إلى زيادة بعثت إليك فاستزدت ؟ قال :
نعم ؛ فأتيت الموضع ، فاشتريت سامراً بخمس مائة درهم من النصارى أصحاب
الدير ، واشتريت موضع البستان الخاقاني بخمسة آلاف درهم ، واشتريت
عدة مواضع حتى أحكمت ما أردت ، ثم انحدرت فأتيته بالصكاك ، فعزم على
الخروج إليها في سنة عشرين ومائتين ، فخرج حتى إذا قارب القاطول ،
ضربت له فيه القباب والمضارب ، وضرب الناس الأخبية ؛ ثم لم يزل يتقدم ،
وتضرب له القباب حتى وضع البناء بسامراً في سنة إحدى وعشرين ومائتين .

فذكر عن أبي الحسن بن أبي عباد الكاتب ، أن مسروراً الخادم الكبير ،
قال : سألتني المعتصم : أين كان الرشيد يتنزه إذا ضجّر من المقام ببغداد ؟
قال : قلت له : بالقاطول ؛ وقد كان بنى هناك مدينة آثارها وسورها قائم ؛
وقد كان خاف من الجند ما خاف المعتصم ، فلما وثب أهل الشام بالشام وعصوا ،
خرج الرشيد إلى الرقة فأقام بها ، وبقيت مدينة القاطول لم تستم ، ولما خرج
المعتصم إلى القاطول استخلف ببغداد ابنه هارون الواثق .

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « الحرمية » . (٢) ابن الأثير : « فأريد أن أكون فوقهم » .

وقد حدثني جعفر بن محمد بن بوازقة القراء، أن سبب خروج المعتصم إلى القاطول، كان أن غلمانَه الأتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلاً في أرباضها ؛ وذلك أنهم كانوا عَجْجَمًا جفاة يركبون الدواب، فيتراكضون في طُرُق بغداد وشوارعها ، فيصدمون الرجل والمرأة ويطنون الصبي ، فيأخذهم الأبناء فينكسونهم عن دوابهم ويحرقون بعضهم ؛ فربما هلك من الجراح بعضهم ، فشكت الأتراك ذلك إلى المعتصم ، وتأذت بهم العامة ؛ فذكر أنه رأى المعتصم راكباً منصرفاً من المصلّى في يوم عيد أضحى أو فطر ؛ فلما صار في مربعة الحرشيّ، نظر إلى شيخ قد قام إليه، فقال له : يا أبا إسحاق، قال : فابتدره الجند ليضربوه ؛ فأشار إليهم المعتصم فكفّهم عنه ، فقال للشيخ : مالك ! قال: لا جزاك الله عن الجوار خيراً ! جاورتنا وحثت بهؤلاء العلّوج فأسكتتهم بين أظهرنا ، فأبتمت بهم صبياننا ، وأرملت بهم نسواننا ، وقتلت بهم رجالنا ! والمعتصم يسمع ذلك كله . قال : ثم دخل داره فلم يرَ راكباً إلى السنة القابلة في مثل ذلك اليوم ؛ فلما كان في العام المقبل في مثل ذلك اليوم خرج فصلّي بالناس العيد ؛ ثم لم يرجع ^(١) إلى منزله ببغداد؛ ولكنه صرف وجهه دابته ^(٢) إلى ناحية القاطول ؛ وخرج من بغداد ولم يرجع إليها .

* * *

[ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الفضل بن مروان]

وفي هذه السنة غضب المعتصم على الفضل بن مروان وحبسه

* ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وحبسه إياه وسبب اتصاله بالمعتصم :

ذكر أن الفضل بن مروان - وهو رجل من أهل البردان - كان متصلاً برجل من العمّال يكتب له ، وكان حسن الخطّ ، ثم صار مع كاتب كان للمعتصم يقال له يحيى الجُرْمَقانيّ ، وكان الفضل بن مروان يخطّ بين يديه ؛ فلما مات الجُرْمَقانيّ صار الفضل في موضعه ؛ وكان يكتب للفضل على بن

١١٨١/٣

١١٨٢/٣

حسان الأنباري ، فلم يزل كذلك حتى بلغ المعتصم الحال التي بلغها ، والفضل كاتبه ، ثم خرج معه ^(١) إلى معسكر المأمون ، ثم خرج معه إلى مصر ، فاحتوى على أموال مصر ، ثم قدم ^(٢) الفضل قبل موت المأمون ببغداد ، ينفذ أمور المعتصم ، ويكتب على لسانه بما أحب ^(٣) حتى قدم المعتصم خليفة ، فصار الفضل صاحب الخلافة ^(٤) ، وصارت الدواوين كلها تحت يديه وكثر الأموال ، وأقبل أبو إسحاق حين دخل بغداد يأمره بإعطاء المغني والملهي ، فلا ينفذ الفضل ذلك ، فتقل على أبي إسحاق .

فحدثني إبراهيم بن جهر رويته أن إبراهيم المعروف باللهفسي - وكان مضحكاً - أمر له المعتصم بمال ، وتقدم إلى الفضل بن مروان في إعطائه ذلك ، فلم يعطه الفضل ما أمر به المعتصم ، فبينما الهفتي يوماً عند المعتصم ، بعد ما بُنيت له داره التي ببغداد ، واتخذ له فيها بستان ، قام المعتصم يتمشي في البستان ينظر إليه وإلى ما فيه من أنواع الرياحين والغروس ، ومعه الهفتي ، وكان الهفتي يصحب المعتصم قبل أن تفضي الخلافة إليه ، فيقول فيما يداعبه : والله لا تفلح أبداً ! قال : وكان الهفتي رجلاً مربوعاً ذا كُدنة ، والمعتصم رجلاً معرقاً ^(٥) خفيف اللحم ، فجعل المعتصم يسبق الهفتي في المشي ، فإذا تقدمه ولم ير الهفتي معه التفت إليه ، فقال له : ما لك لا تمشي ! يستعجله المعتصم في المشي ليلحق به ، فاما كثر ذلك من أمر المعتصم على الهفتي ، قال له الهفتي ، مداعباً له : كنت أصلحك الله ، أراني أماشي خليفة ، ولم أكن أراني أماشي فيسجاً ^(٦) ، والله لا أفلحت ! فضحك منها المعتصم ، وقال : ويلك ! هل بقي من الفلاح شيء لم أدركه ! أبعده الخلافة تقول هذا لي ! فقال له الهفتي : أتحسب أنك قد أفلحت الآن ! إنما لك من الخلافة الاسم ، والله ما يجاوز أمرك أذُنك ، وإنما الخليفة الفضل بن مروان ، الذي يأمر فينفذ أمره من ساعته ، فقال له المعتصم : وأنى أمر لي لا ينفذ ! فقال له : الهفتي : أمرت لي بكذا وكذا منذ شهرين ، فما أعطيتُ بما أمرت به منذ ذاك حبة !

(١) س : « معها » . (٢) ف : « خرج » . (٣) س : « ما أحب » .
(٤) ف : « كاتب الخلافة » . (٥) المرق : الخفيف اللحم .
(٦) الفيج : رسول السلطان على رجله ؛ فارسي معرب .

قال : فاحتجتها على الفضل المعتصم حتى أوقع به .

ف قيل : إن أول ما أحدثه في أمره حين تغير له أن صير أحمد بن عمار الخراساني زماعاً عليه في نفقات الخاصة ، ونصر بن منصور بن بسام زماعاً عليه في الخراج ونجميع الأعمال ؛ فلم يزل كذلك ؛ وكان محمد بن عبد الملك الزيات يتولى ما كان أبوه يتولاه للمأمون من عمل الشمس والقساطيط وآلة الحمامات (١) ويكتب على ذلك مما جرى على يدي محمد بن عبد الملك ، وكان يلبس إذا حضر الدار دراعة سوداء وسيفاً بمائل ، فقال له الفضل بن مروان : إنما أنت تاجر ، فما لك وللسواد (٢) والسيف ! فترك ذلك محمد ، فلما تركه أخذه الفضل برفع (٣) حسابه إلى دليل بن يعقوب النصراني ، فرفعه ، فأحسن دليل في أمره ؛ ولم يرزاه شيئاً ، وعرض عليه محمد هدايا ، فأبى دليل أن يقبل منها (٤) شيئاً ، فلما كانت سنة تسع عشرة ومائتين — وقيل سنة عشرين ، وذلك عندى خطأ — خرج المعتصم يريد القاطول ، ويريد البناء بسامراً ، فصرفه كثرة زيادة دجلة ؛ فلم يقدر على الحركة ، فأنصرف إلى بغداد إلى الشامية ، ثم خرج بعد ذلك ؛ فلما صار بالقاطول غضب على الفضل بن مروان وأهل بيته في صفر ، وأمرهم برفع ما جرى على أيديهم ؛ وأخذ الفضل وهو مغضوب عليه في عمل حسابه ، فلما فرغ من الحساب لم يناظر فيه ، وأمر بحبسه ؛ وأن يحمل إلى منزله ببغداد في شارع الميدان ، وحبس أصحابه ، وصير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات ، فحبس دليلاً ، ونفى الفضل إلى قرية في طريق الموصل يقال لها السن ، فلم يزل بها مقيماً ؛ فصار محمد بن عبد الملك وزيراً كاتباً ، وجرى على يديه عامة ما بنى المعتصم بسامراً من الجانيين الشرقي والغربي ، ولم يزل في مرتبته حتى استخلف المتوكل ، فقتل محمد بن عبد الملك .

١١٨٤/٣

وذكر أن المعتصم لما استوزر الفضل بن مروان حل من قبله المحل الذي

لم يكن أحد يطمع في ملاحظته ، فضلاً عن منازعته ولا في الاعتراض في أمره ١١٨٥/٣

(١) الجماعة ، بالفهم : مدرعة صوف ضيقة الكمين .

(٢) ف : « والسواد » .

(٣) ف : « فرفع » .

(٤) ف : « يقبلها » .

ونهيهِ ، وإرادته وحكمه ؛ فكانت هذه صفته ومقداره ؛ حتى حملته الدالة ،
وحرّكتته الحرمة على خلافه في بعض ما كان يأمره به ، ومنعه ما كان يحتاج
إليه من الأموال في مهمّ أموره ؛ فذكر عن ابن أبي دؤاد أنه قال : كنت أحضر
مجلس المعتصم ؛ فكثيراً ما كنت أسمعه يقول للفضل بن مروان : احمل إليّ
كذا وكذا من المال ، فيقول : ما عندي ، فيقول : فاحتلها من وجه من الوجوه ؛
فيقول : ومن أين أحتالها ! ومن يعطيني هذا القدر من المال ؟ وعند من
أجده ؟ فكان ذلك يسوءه وأعرفه في وجهه ؛ فلما أكثر هذا من فعاه ركبته
إليه يوماً فقلت له مستخلياً به : يا أبا العباس ؛ إن الناس يدخلون بيني وبينك
بما أكره وتكره ؛ وأنت امرؤ قد عرفت أخلاقك ، وقد عرفها الداخلون بيننا ؛
فإذا حرّكت فيك بحق فاجعاه باطلا ؛ وعلى ذلك فما أدع نصيحتك وأداء
ما يجب عليّ في الحق لك ؛ وقد أراك كثيراً ما تردّ على أمير المؤمنين أجوبة غليظة
تُرمضه ، وتقذح في قلبه ، والسلطان لا يحتمل هذا لابنه ، لا سيما إذا كثّر ذلك
وغلظ . قال : وما ذاك يا أبا عبد الله ؟ قلت : أسمعه كثيراً ما يقول لك : نحتاج
إلى كذا من المال لنصرفه في وجه كذا ، فتقول : ومن يعطيني هذا ! وهذا
ما لا يحتمله الخلفاء ، قال : فما أصنع إذا طلب مني ما ليس عندي ؟ قلت :
تصنع أن تقول : يا أمير المؤمنين ، نحتاج في ذاك بحيلة ، فتدفع عنك أياً ما إلى أن
ينتهي ، وتحمل إليه بعض ما يطلب وتسوّفه ^(١) بالباطي ، قال : نعم أفعل وأصير
إلى ما أشرت به ^(٢) . قال : فوالله لكأنني كنت أغريه بالمنع ، فكان إذا عاوده
بمثل ذلك من القول ، عاد إلى مثل ما يكره من الجواب . قال : فلما كثر
ذلك عليه ، دخل يوماً إليه وبين يديه حزمة نرجس غضّ ، فأخذها المعتصم
فهزّها ، ثم قال : حيّاك الله يا أبا العباس ! فأخذها الفضل بيمينه ، وسلّ

(١) ف : « يطلبه وتسوف » .

(٢) س : « إليه » .

سنة ٢٢٠

المعتصمُ خاتمه من أصبعه بيساره ، وقال له بكلام خفيّ : أعطني خاتمي ،
فانتزعه من يده ، ووضعته في يد ابن عبد الملك .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك الوقعة التي كانت بين بابك وبُغا الكبير من ناحية هشتادسَر ،
فهزِم بُغا واستبيح عسكره .

* * *

[ذكر الخبر عن وقعة الأفشين مع بابك في هذه السنة]

وفيهما واقع الأفشين بابك وهزمه .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وكيف كان السبب فيها :

١١٨٧/٣

ذكر أن بُغا الكبير قدِمَ بالمال الذي قد مضى ذكره ؛ وأنَّ المعتصم وجهه
معه إلى الأفشين عطاءً للجند الذي كان معه ولنفاقات ^(١) الأفشين ، على الأفشين ،
وبالرجال الذين توجهوا ^(٢) معه إليه ، فأعطى الأفشين أصحابه ، وتجهز بعد
النيروز ، ووجه بُغَا في عسكر ليدور حول هشتادسَر ، وينزل في خندق
محمد بن حميد ويحفِّره ويحكمه وينزله . فتوجه بُغَا إلى خندق محمد بن حميد ،
وصار إليه ، ورحل الأفشين من بَرَزَنْد ، ورحل أبو سعيد من خُشْ يريد
بابك ، فتوافوا بموضع يقال له درُوذ ، فاحتفر الأفشين بها خندقاً ، وبني حوله
سوراً ، ونزل هو وأبو سعيد في الخندق مع مَنْ كان صار إليه من المطوعة ؛
فكان بينه وبين السَّبَدِ سِتَّةَ أميال . ثم إن بُغَا تجهَّز ، وحمل معه الزاد من غير
أن يكون الأفشين كتب إليه ولا أمره بذلك ؛ فدار حول هشتادسَر حتى
دخل إلى قرية البَدَ ، فنزل في وسطها ، وأقام بها يوماً واحداً ، ثم وجه ألف
رجل في علافة له ، فخرج عسكر من عساكر بابك ، فاستباح العلافة ، وقتل
جميع مَنْ قاتله منهم ، وأسر مَنْ قدر عليه ، وأخذ بعض الأسرى ؛ فأرسل

(٢) ١ : « وجهوا » .

(١) ف : « ونفاقات » .

منهم رجلين مما يلي الأفشين ، وقال لهما : اذهبا إلى الأفشين ، وأعلماه (١) ما نزل بأصحابكم (٢) . فأشرف الرجلان ، فنظر إليهما صاحب الكوهبانية ؛ فحرك العلم ، فصاح أهل العسكر : السلاح السلاح ! وركبوا يريدون البلد ، فتلقاهم الرجلان عريانين ؛ فأخذهما صاحب المقدمة ، فضى بهما إلى الأفشين ، فأخبراه بقضيتهما ، فقال : فعل شيئاً من غير أن تأمره . ورجع بُغَا إلى خندق محمد بن حميد شبيهاً بالمنهزم ؛ وكتب إلى الأفشين يعلمه ذلك ، ويسأله المدد ، ويعلمه أن العسكر مفلول ، فوجه إليه الأفشين أخاه الفضل بن كاوس وأحمد بن الخليل بن هشام وابن جـَوْشَن وجـَنَاحَا الأعور السكري وصاحب شرطة الحسن بن سهل - وأحد الأخوين قرابة الفضل بن سهل - فداروا حول هـَشْتادسَر ، فسُرَّ أهل عسكره بهم ؛ ثم كتب الأفشين إلى بُغَا يعلمه أنه يغزو بابك في يوم سته له ، ويأمره أن يغزوه في ذلك اليوم بعينه ، ليحاربه من كلا الوجهين ؛ فخرج الأفشين في ذلك اليوم من درُوذ يريد بابك ، وخرج بُغَا من خندق محمد بن حميد ، فصعد إلى هـَشْتادسَر ، فعسكر على دعوة يجنب قبر محمد بن حميد ، فهاجت ريح باردة ومطر شديد ؛ فلم يكن للناس عليها صبر لشدة البرد وشدة الريح ، فانصرف بُغَا إلى عسكره ، وواقعهم الأفشين من الغد ، وقد رجع بُغَا إلى عسكره ، فهزمه الأفشين (٣) ، وأخذ عسكره وخيمته وامرأة كانت معه في العسكر . ونزل الأفشين في معسكر بابك . ثم تجهز بُغَا من الغد ، وصعد هـَشْتادسَر ، فأصاب العسكر الذي كان مقيماً بإزائه بهشتادسَر ، قد انصرف إلى بابك ، ورجل بُغَا إلى موضعه ، فأصاب خُرُشِيَا (٤) وقُماشَا (٥) ، وانحدر من هـَشْتادسَر يريد البلد ، فأصاب رجلاً وغلاماً نائمين فأخذهما داودسياه - وكان على مقدمته - فساعطهما ، فذكرا أن رسول بابك أتاهم في الليلة التي انهزم فيها بابك ، فأمرهم أن يوافوه بالبد ، فكان الرجل والغلام سكرانين ، فذهب بهما النوم ، فلا يعرفان من الخبر غير

(١) س : « فأعلماه » .
 (٢) ١ ، س : « بصاحبكم » .
 (٣) ابن الأثير : « فهزم أصحاب بابك » . (٤) الخرق : الرديء من متاع البيت .
 (٥) القماش : الرديء من كل شيء ، واحده قمش .

هذا ؛ وكان ذلك قبل صلاة العصر . فبعث بُغَا إلى داودسياه : قد توسطنا
الموضع الذى نعرفه - يعنى الذى كنا فيه فى المرة الأولى - وهذا وقت المساء ،
وقد تعب الرّجالة ، فانظر جبلا حصينًا يسع عسكرنا^(١) حتى نعسكر فيه
ليستنا هذه . فالتمس داودسياه ذلك ، فصعد إلى بعض الجبال ، فالتمس
أعلاه فأشرف ، فرأى أعلام الأفشين ومعسكره شبه الخيال^(٢) فقال : هذا
موضعنا إلى غُدوة ، وننحدر من الغد إلى الكافر إن شاء الله . فجاءهم فى تلك
الليلة سحابٌ وبرْد ومطر وتلج كثير ؛ فلم يقدر أحد حين أصبحوا أن ينزل من
الجبل يأخذ ماء ، ولا يسقى دابته من شدة البرد وكثرة الثلج ؛ وكأنهم كانوا
فى ليل من شدة الظلمة والضباب . فلما كان اليوم الثالث قال الناس لبُغَا :
قد فنى ما معنا من الزاد ، وقد أضر بنا البرد ؛ فانزل على أىّ حالة كانت ؛
إما راجعين وإما إلى الكافر . وكان فى أيام الضباب . فبيت بابك الأفشين
وتقص عسكره ، وانصرف الأفشين عنه إلى معسكره ، فضرب بُغَا بالطَّبْل ،
وانحدر يريد البذّ حتى صار إلى البطن ، فنظر إلى السماء منجلية ، والدنيا
طيبة ، غير رأس الجبل الذى كان عليه بُغَا ، فعبى بُغَا أصحابه ميمنة وميسرة
ومقدّمة ، وتقدم يريد البذّ ، وهو لا يشك أن الأفشين فى موضع معسكره ،
فضى حتى صار بلزق جبل البذّ ، ولم يبق بينه وبين أن يشرف على أبيات
البذّ إلا صعود قدّر نصف ميل ؛ وكان على مقدّمته جماعة فيهم غلام لابن
البسّيث ، له قرابة بالبذّ ، فلقبتهم طلائع لبابك ، فعرف بعضهم الغلام ،
فقال له : فلان ، فقال : من هذا^(٣) ها هنا ؟ فسمّى له من كان معه من أهل
بيته ، فقال : ادنُ حتى أكلّمك ، فدنا الغلام منه ، فقال له : ارجع وقسل
لمن تعنى به يتنحى ؛ فإننا قد بيّتنا الأفشين ، وانهزم إلى خندقه وقد هيّأنا
لكم عسكرين ، فعجل الانصراف لعلك أن تفلت . فرجع الغلام فأخبر
ابن البعيث بذلك ، وسمّى له الرجل ، فعرفه ابن البعيث ، فأخبر ابن البعيث بُغَا
بنذلك ، فوقف بُغَا شاور أصحابه ، فقال بعضهم : هذا باطل ؛ هذه

(٢) كذا فى ١ ، وفى ط : « الجبال » .

(١) ١ ، من : « معسكرنا » .

(٣) ساقطة من ف .

خُدعة ليس من هذا شيء ، فقال بعض الكوهبانين : إن هذا رأس جبل أعرفه ، من صعد إلى رأسه نظر إلى عسكر الأفشين . فصعد بغا والفضل بن كاوس وجماعة منهم ممن نشط ، فأشرفوا على الموضع ، فلم يروا فيه عسكر الأفشين فتيقنوا^(١) أنه قد مضى ، وتشاوروا ، فرأوا أن ينصرف الناس راجعين في صدر النهار قبل أن يجنّهم الليل ، فأمر بغا داودسياه بالانصراف ، فتقدّم داود وجدّ في السير ، ولم يقصد الطريق الذي كان دخل منه إلى هشتادسر مخافة المضايق والعقاب ، وأخذ الطريق الذي كان دخل منه في المرة الأولى ، يدور حول هشتادسر ، وليس فيه مضيق إلا في موضع واحد .

١١٩١/٣

فسار بالناس ، وبعث بالرجالة ، فطرحوا رماحهم وأسلحتهم في الطريق ، ودخلتهم وحشة شديدة ورعب ، وصار بغا والفضل بن كاوس وجماعة القواد في الساقة ، وظهرت طلائع بابك ؛ فكلما نزل هؤلاء جبلاً صعدته طلائع بابك ؛ يتراءون لهم مرة ويغيبون عنهم مرة ، وهم في ذلك يتقنّون آثارهم ، وهم قدر عشرة فرسان ؛ حتى كان بين الصلاتين : الظهر والعصر ، فنزل بغا ليتوضأ ويصلّى ، فتدانت منهم طلائع بابك ، فبرزوا لهم ، وصلى بغا ، ووقف في وجوههم ، فوقفوا حين رأوه ، فتخوّف بغا على عسكره أن يواقعه الطلائع من ناحية ، ويدور عليهم في بعض الجبال والمضايق قوم آخرون ، فشاور من حضره^(٢) وقال : لست آمن أن يكونوا جعلوا هؤلاء مشغاة ، يجسونا عن المسير ، ويقدمون أصحابهم ليأخذوا على أصحابنا المضايق . فقال له الفضل بن كاوس : ليس هؤلاء أصحاب نهار ؛ وإنما هم أصحاب ليل ؛ وإنما يتخوّف على أصحابنا من الليل ، فوجّه إلى داودسياه ليُسرع السير ولا ينزل ، ولو صار إلى نصف الليل حتى يجاوز المضيق ، ونقف نحن ها هنا ؛ فإن هؤلاء ما داموا يروننا في وجوههم لا يسرون ، فمناظرهم وندافعهم قليلا قليلا حتى تجيء الظلمة ؛ فإذا جاءت الظلمة لم يعرفوا لنا موضعاً ، وأصحابنا يسرون فينفذون أولاً فأولاً ، فإن أخذ علينا نحن المضيق تخلصنا من طريق هشتادسر أو من طريق آخر .

١١٩٢/٣

وأشار غيره على بُغَا . فقال : إنَّ العسكر قد تقطَّع ، وليس يدرك أوله
آخره ، والناس قد رموا بسلاحهم ، وقد بقي المال والسلاح على البغال ، وليس
معه أحد ، ولأنَّنا نحن أن يخرج عليه من يأخذ المال والأسير - وكان ابن جويدان
معهم أسيراً أرادوا أن يفادوا به كاتباً لعبد الرحمن بن حبيب ، أسره بابل -
فغزم بُغَا على أن يعسكر بالناس حين ذُكر له المال والسلاح والأسير ، فوجه
إلى داودسياه : حينما رأيت جبلاً حصيناً ، فعسكر عليه .

فعدل داود إلى جبل مؤرَّب ، لم يكن للناس موضع يقعدون فيه من شدَّة
هبوطه ، فعسكر عليه ، فضرب مضرباً لبُغَا على طرف الجبل في موضع شبيه
بالخائط ؛ ليس فيه مسلك ، وجاء بغافز ، وأنزل الناس وقد تعبوا وكَلَّوا ، وفيت
أزوادهم ، فباتوا على تعبئة وتحارُّس من ناحية المصعد ، فجاءهم العدو من
الناحية الأخرى ، فتعلقوا بالجبل حتى صاروا إلى مضرب بُغَا ، فكبسوا المضرب ،
وبيتوا العسكر ، وخرج بُغَا راجلاً حتى نجا ، وجرح الفضل بن كاوس ،
وقتل جناح السكري ، وقتل ابن جَوْشَن ، وقتل أحد الأخوين قرابة الفضل
ابن سهل ، وخرج بُغَا من العسكر راجلاً ، فوجد دابة فركبها ، ومرَّ بابن
البيعيث فأصعده على هَشْتَادَسَر ، حتى انحدر به على عسكر محمد بن حميد ،
فوافاه في جوف الليل ، وأخذ الحرَّميَّة المال والسلاح والأسير ابن
جويدان ، ولم يتبعوا الناس ، ومرَّ الناس منهزمين منقطعين حتى وافوا بُغَا ، وهو
في خندق محمد بن حميد ، فأقام بُغَا في خندق محمد بن حميد خمسة عشر
يوماً ، فأناه كتاب الأفشين يأمره بالرجوع إلى المِراغة ، وأن يردَّ إليه المدد
الذي كان أمده به ، ففضى بُغَا إلى المِراغة ، وانصرف الفضل بن كاوس
وجميع مَنْ كان جاء معه من معسكر الأفشين إلى الأفشين ، وفرَّق الأفشين
الناس في مشاتهم تلك السنة ، حتى جاء الربيع من السنة المقبلة .

[خبر مقتل طرخان قائد بابك]

وفي هذه السنة قُتِلَ قائد لبابك كان يقال له طَرخان .

* ذكر سبب قتله :

ذُكِرَ أَنَّ طَرخان هذا كان عظيم المنزلة عند بابك ؛ وكان أحد قوَّاده ، فلَمَّا دخل الشتاء من هذه السنة ، استأذن بابك في الإذن له أن يشتو في قرية له بناحية المَرَاغَة — وكان الأفشين يرصده ، ويحبّ الظفر به ؛ لمكانه من بابك — فأذن له بابك ، فصار إلى قريته ليشتو بها بناحية هَشْشَا دسر ، فكتب الأفشين إلى تُرْك مولى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وهو بالمَرَاغَة ، أن يسرى إلى تلك القرية — ووصفها له حتى يقتل طرخان ، أو يبعث به إليه أسيراً . فأسرى تُرْك إلى طَرخان ، فصار إليه في جوف الليل ، فقتل طرخان وبعث برأسه إلى الأفشين .

١١٩٤/٣

* * *

وفي هذه السنة قدم صول أرتكين وأهل بلاده في قيود فنزعت قيودهم ، وحمل على الدوابّ منهم نحو من مائتي رجل .
وفيها غضب الأفشين على رجاء الحضاريّ وبعث به مقيّداً .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، وهو والي مكة .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه المعتصم جعفر بن دينار الخياط إلى الأفشين ١١٩٥/٣ مدداً له، ثم إتباعه بعد ذلك بإيتاخ وتوجيهه معه ثلاثين ألف ألف درهم عطاء للجند وللنفقات .

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين أصحاب الأفشين وآذين قائد بابك]

وفيهما كانت وقعة بين أصحاب الأفشين وقائد لبابك يقال له آذين .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها :

ذكر أن الشتاء لما انقضى من سنة إحدى وعشرين ومائتين وجاء الربيع ، ودخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، ووجه المعتصم إلى الأفشين ما وجهه إليه من المدد والمال ، فوافاه ذلك كله وهو ببرزند ، سلم إيتاخ إلى الأفشين المال والرجال الذين كانوا معه وانصرف ، وأقام جعفر الخياط مع الأفشين مدة ، ثم رحل الأفشين عند إمكان الزمان ، فصار إلى موضع يقال له كلان رود ، فاحتفر فيه خندقاً ، وكتب إلى أبي سعيد ، فرحل من برزند إلى إزائه على طرف ريتاق كلان رود ، وتفسيره : نهر كبير ؛ بينهما قدر ثلاثة أميال ، فأقام معسكراً في خندق ، فأقام بكلان رود خمسة أيام ، فأناه من أخبره أن قائداً من قواد بابك يدعى آذين ، قد عسكر بإزاء الأفشين ، وأنه قد صير عياله في جبل يشرف على رُود الروذ ، وقال : لا أتحصن من اليهود - يعنى المسلمين - ولا أدخل عيساى حصناً ؛ وذلك أن بابك قال له : أدخل عيالك الحصن ، قال : أنا أتحصن من اليهود ! والله لا أدخلتهم حصناً أبداً ، فنقلهم إلى هذا الجبل ، فوجه الأفشين ظفر بن العلاء السعدى والحسين بن خالد المدائني من قواد أبي سعيد في جماعة من الفرسان والكوهبانية ،

فساروا ليلتهم من كلان روذ ؛ حتى انحدروا في مضيق لا يمر^(١) فيه راكب واحد إلاّ يجهد ، فأكثر الناس قادوا دوابهم ، وانسلّوا رجلاً خلف رجل ، فأمرهم أن يصيروا قبل طلوع الفجر على روذ الروذ ، فيعبر الكوهبانية رجالة ؛ لأنه لا يمكن الفارس أن يتحرك هناك ، ويتسلقوا الجبل ؛ فصاروا على^(٢) روذ الروذ قبل السحر ، ثم أمر من أطاق من الفرسان أن يترجل وينزع ثيابه ، فترجل عامة الفرسان ، وعبروا وعبر معهم الكوهبانية جميعاً ، وصعدوا الجبل ؛ فأخذوا عيال آذين وبعض ولده ، وعبروا بهم ، وبلغ آذين الخبر بأخذ عياله ؛ وكان الأفشين عند توجه هؤلاء الرجالة ودخولهم المضيق يخاف أن يؤخذ عليهم المضيق ، فأمر الكوهبانية أن يكون معهم أعلام ، وأن يكونوا على رعوس الجبال الشواقي في المواضع التي يشرفون منها على ظفر بن العلاء وأصحابه ؛ فإن رأوا أحداً يخافونه حركوا الأعلام ، فبات الكوهبانية على رعوس الجبال ، فلما رجع ابن العلاء والحسين بن خالد بمن أخذوا من عيال آذين ، وصاروا في بعض الطريق قبل أن يصيروا إلى المضيق ، انحدر عليهم^(٣) رجالة آذين فحاربوهم قبل أن يدخلوا المضيق ، فوقع بينهم قتلى ، واستنقذوا بعض النساء . ونظر إليهم الكوهبانية الذين رتبهم الأفشين ؛ وكان آذين قد وجهه عسكريين ؛ عسكرياً يقاتلهم ، وعسكرياً يأخذ عليهم المضيق ؛ فلما حركوا الأعلام وجهه الأفشين مظفر بن كيدر في كردوس^(٤) من أصحابه ، فأسرع الركض . وجهه أبا سعيد خلف المظفر ، وأتبعهما ببخاراخذاه ، فوافوا ؛ فلما نظر إليهم رجالة آذين الذين كانوا على المضيق انحدروا عن المضيق ، وانضموا إلى أصحابهم ، ونجا مظفر بن العلاء والحسين بن خالد ومن معهم من أصحابهما ، ولم يقتل منهم إلاّ من قتل في الواقعة الأولى ، وجاءوا جميعاً إلى عسكري الأفشين ؛ ومعهم النساء اللواتي أخذوهن .

* * *

(١) ف : « فلا يمر » .

(٢) ف : « إلى » .

(٣) ف : « إليهم » .

(٤) الكردوس : القطعة العظيمة من الخيل .

[ذكر خبر فتح البذّ مدينة بابل]

وفى هذه السنة فتحت البذّ مدينة بابل ، ودخلها المسلمون ، واستباحوها ؛ وذلك فى يوم الجمعة لعشر بـتـين من شهر رمضان فى هذه السنة .

• ذكر الخبر عن أمرها وكيف فُتحت والسبب فى ذلك :

« ذكر أن الأفشين لما عزم على الدنو من البذّ والارتحال من كلان رود جعل يُزحلف^(١) قليلا قليلا - على خلاف زحفه قبل ذلك - إلى المنازل التى كان ينزلها ؛ فكان يتقدم الأميال الأربعة ، فيعسكر^(٢) فى موضع على طريق المضيق الذى ينحدر إلى رود الرود ، ولا يحفر خندقاً ؛ ولكنه يقيم معسكراً فى الحسك ، وكتب إليه المعتصم يأمره أن يجعل الناس نواب كراديس تقف^(٣) على ظهور الخيل ، كما يدور العسكر بالليل ؛ فبعض القوم معسكرون وبعض وقوف على ظهور دوابهم على ميل كما يدور العسكر بالليل والنهار مخافة البيات ؛ كى إن دهمهم أمر يكون الناس على تعبئة والرجالة فى العسكر ؛ فضج الناس من التعب ، وقالوا : كم نقعد ها هنا فى المضيق ونحن قعود فى الصحراء ، وبيننا وبين العدو أربعة فراسخ ، ونحن نفعل فعلاً ؛ كأن العدو يلزائنا ! قد استحيينا من الناس والجواسيس الذين يمرّون بيننا وبين العدو أربعة فراسخ ؛ ونحن قد متنا من الفزع ؛ أقدم بنا ؛ فلما لنا وإما علينا ، فقال : أنا والله أعلم أن ما تقولون حق ؛ ولكن أمير المؤمنين أمرنى بهذا . ولا أجد منه بداً .

فلم يلبث أن جاءه كتاب المعتصم يأمره أن يتحرى بدراجة الليل على حسب ما كان ؛ فلم يزل كذلك أياماً ، ثم انحدر فى خاصته حتى نزل إلى رود الرود ، وتقدم حتى شارف الموضع الذى به الرّكوة التى واقعه عليها بابل فى العام الماضى ؛ فنظر إليها ، ووجد عليها كُردوساً من الحرّمية ؛ فلم يحاربوه ولم يحاربهم ؛ فقال بعض العلوج : ما لكم تجيئون وتفرون ! أما تستحيون ! فأمر الأفشين ألاّ يبيثوهم ولا يبرز إليهم أحد ؛ فلم يزل مُواقفهم إلى قريب

(١) يزحلف ، أى يتقدم ، وفى ابن الأثير : « يتقدم » .

(٢) ف : « ويعسكر » . (٣) ابن الأثير : « يقفون » .

من الظهر ، ثم رجع إلى معسكره ، فكث فيه يومين ، ثم انحدر أيضاً في أكثر مما كان انحدر في المرة الأولى ، فأمر^(١) أبا سعيد أن يذهب فيواقفهم على حسب ما كان واقفهم في المرة الأولى ، ولا يحركهم ولا يهجم عليهم . ١١٩٩/٣

وقام الأفشين بروذ الروذ ، وأمر الكوهبانية أن يصعدوا إلى رعوس الجبال التي يظنون أنها حصينة ، فبراءوا له فيها ، ويختاروا له في رعوس الجبال مواضع يتحصن فيها الرّجالة ؛ فاختراروا له ثلاثة أجبل ، قد كانت عليها حصون فيما مضى ، فخربت فعرفها ، ثم بعث إلى أبي سعيد ، فصرفه يومه ذلك ؛ فلما كان بعد يومين انحدر من معسكره إلى روذ الروذ ، وأخذ معه الكليغرية - وهم الفعلة - وحملوا معهم شيكاء^(٢) الماء والكعك ؛ فلما صاروا إلى روذ الروذ وجهه أبا سعيد ، وأمره أن يواقفهم أيضاً على حسب ما كان أمره به في اليوم الأوّل ، وأمر الفعلة بنقل الحجارة وتحصين الطرق التي تسلك إلى تلك الثلاثة الأجبل ؛ حتى صارت شبه الحصون ، وأمر فاحتفر على كل طريق وراء تلك الحجارة إلى الميصعد خندقاً ؛ فلم يترك مسلکاً إلى جبل منها إلا مسلکاً واحداً . ثم أمر أبا سعيد بالانصراف ، فانصرف ، ورجع الأفشين إلى معسكره . قال : فلما كان في اليوم الثامن من الشهر ، واستحكم الحصر ، دفع إلى الرّجالة كعكاً وسويقاً ، ودفع إلى الفرسان الزّاد والشعير ، ووكل بمعسكره ذلك من يحفظه . وانحدروا ، وأمر الرّجالة أن يصعدوا^(٣) إلى رعوس تلك الجبال ، وأن يصعدوا معهم بالماء ، وجميع^(٤) ما يحتاجون إليه ، ففعلوا ذلك ، وعسكر ناحية ، ووجهه أبا سعيد ليواقف^(٥) القوم على حسب ما كان يواقفهم ، وأمر الناس بالنزول في سلاحهم ، وألا يأخذ الفرسان سروج دوابهم . ثم خطّ الخندق ، وأمر الفعلة بالعمل فيه ، ووكل بهم من يستحثهم ، ونزل هو والفرسان ، فوقفوا تحت الشجر في ظل يرعون دوابهم ، فلما صلى العصر ، أمر الفعلة بالصعود إلى رعوس الجبال التي حصنها مع الرّجالة ، وأمر الرّجالة أن

١٢٠٠/٣

(١) ف : « وأمر » . (٢) الشكوة : وعاء الماء أولبن من الأدم وجمعها شكاء .

(٣) ف : « بالصعود » . (٤) س : « وجميع »

(٥) س : « ليوقف » .

يتحارسوا ولا يناموا ، ويدعوا الفعلة فوق الجبال ينامون ، وأمر الفرسان بالركوب عند اصفرار الشمس ، فصيّرهم كراديس وقفها^(١) حيالهم ، بين كل كُردوس وكُردوس قَدْر رمية سهم ، وتقدّم إلى جميع الكراديس ألا يلتفتن كل واحد منكم إلى الآخر ؛ ليحفظ كل واحد منكم ما يليه ؛ فإن سمعتم هدة فلا يلتفتن أحد منكم إلى أحد ، وكل كُردوس منكم قائم بما يليه ، فإنه لا بهدة يأخذ . فلم يزل الكراديس وقوفاً على ظهور دوابهم إلى الصباح ، والرجالة^(٢) فوق رؤوس الجبال يتحارسون . وتقدّم إلى الرجالة : متى ما أحسوا في الليل بأحد فلا يكثرثوا ، وليلزم كل قوم منهم المواضع التي لهم ؛ وليحفظوا جبلهم وخندقهم فلا يلتفتن أحد إلى أحد . فلم يزالوا كذلك إلى الصباح ؛ ثم أمر من يتعاهد الفرسان والرجالة بالليل ، فينظر إلى حالتهم ؛ فليشوا في حفر الخندق عشرة أيام ، ودخله اليوم العاشر فقسّمه بين الناس ، وأمر القوّاد أن يبعثوا إلى أنقالم وأنقال أصحابهم على الرفق ، وأتاه رسول بابل ومعه قِثاء وبيطبخ وخيار ؛ يعلمه أنه في أيامه هذه في جفاء ؛ إنما يأكل الكعك والسويق هو وأصحابه ، وأنه أحب أن يُلطفه بذلك . فقال الأفشين للرسول : قد عرفتُ أيّ شيء أراد أخى بهذا ؛ إنما أراد أن ينظر إلى العسكر ، وأنا أحقّ من قبل برّه ، وأعطاه شهوته ؛ فقد صدق ، أنا في جفاء . وقال للرسول : أما أنت فلا بدّ لك أن تصعد حتى ترى معسكرنا ، فقد رأيت ما هاهنا ، وترى ما وراءنا أيضاً ، فأمر بحمله على دابة ، وأن يصعد به حتى يرى الخندق ، ويرى^(٣) خندق كلان روذ وخندق برزند ، ولينظر إلى الخنادق الثلاثة ويتأملها ، ولا يخفي عليه منها شيء^(٤) ، ليخبر به صاحبه . ففعل به ذلك ؛ حتى صار إلى برزند ، ثم رده إليه^(٥) ، فأطلقه وقال له : اذهب ، فأقرّته مني السلام — وكان من الحرّمية الذين يتعرّضون لمن يجلب الميرة إلى العسكر — ففعل ذلك مرة أو مرتين ، ثم جاءت الحرّمية بعد ذلك في ثلاثة كراديس ، حتى صاروا قريباً من سور خندق الأفشين يصيحون ، فأمر الأفشين الناس ألا ينطق أحد منهم ، ففعلوا

(٢) م : « والرجال » .

(١) ف : « وقفها » .

(٤) ف : « شيء منها » .

(٣) ا ، ف : « فنظر إلى » .

(٥) ط : « إلى عنده » .

١٢٠٢/٣

ذلك ليلتين أو ثلاث ليل ، وجعلوا يركضون دوابهم خلف السور ، ففعلوا ذلك غير مرة ؛ فلما أنسوا هيباً لهم الأفشين أربعة كراديس من الفرسان والرجالة ، فكانت الرجالة ناشبة ، فكمنوا لهم في الأودية ، ووضع عليهم العيون ؛ فلما انحدروا في وقتهم الذي كانوا ينحدرون فيه في كل مرة ، وصاحوا وجلبوا كعادتهم شددت عليهم الخيل والرجالة الذين رتبوا ، فأخذوا عليهم طريقهم . وأخرج الأفشين إليهم كُردوسين من الرجالة في جوف الليل ، فأحسوا أن قد أخذت عليهم العقبة ؛ فتفرقوا في عدة طرق ؛ حتى أقبلوا يتسلقون^(١) الجبال ، فرأوا فلم يعودوا إلى ما كانوا يفعلون ، ورجع الناس من الطلب مع صلاة الغداة إلى الخندق بروذ الروذ ، ولم يلحقوا من الحرمية أحداً .

ثم إن الأفشين كان في كل أسبوع يضرب بالطبول نصف الليل ، ويخرج بالشمع والنقاطات إلى باب الخندق ، وقد عرف كل إنسان منهم كُردوسه ؛ من كان في المينة ومن كان في الميسرة ؛ فيخرج الناس فيقفون في مواضعهم ومواضعهم . وكان الأفشين يحمل أعلاماً سوداً كباراً ، اثني عشر علماً يحملها على البغال ؛ ولم يكن يحملها على الخيل لئلا تزعزع ، يحملها على اثني عشر بغلاً ؛ وكانت طوله الكبار واحداً وعشرين طيلاً ؛ وكانت الأعلام الصغار نحواً من خمسمائة علم ؛ فيقف أصحابه كل فرق^(٢) على مرتبتهم من رُبْع الليل ؛ حتى إذا طلع الفجر ركب الأفشين من مضربه ، فيؤذن المؤذن بين يديه ويصلي ، ثم يصلي الناس بغلّاس ، ثم يأمر بضرب^(٣) الطبول ، ويسير زحفاً . وكانت علامته في المسير والوقوف تحريك الطبول وسكونها ، لكثرة الناس ومسيرهم في الجبال والأزقة على مصافقهم ؛ كلما استقبلوا جبلاً صعوده ، وإذا هبطوا إلى وادٍ مضوا فيه ؛ إلا أن يكون جبلاً منيعاً لا يمكنهم صعوده وهبوطه ؛ فلما كانوا ينضمون إلى العساكر ، ويرجعون إذا جاءوا إلى الجبل إلى مصافقهم ومواضعهم ؛ وكانت علامة المسير^(٤) ضرب الطبول ؛ فإن أراد أن يقف أمسك عن ضرب الطبول ؛ فيقف الناس جميعاً من كل ناحية على جبل ، أو في وادٍ أو في مكانهم ؛ وكان يسير قليلاً قليلاً ؛ كلما جاءه كوهباني بخبر وقف

١٢٠٢/٣

(٢) ا ، س : « كل قوم » .

(٤) ا ، س : « السير » .

(١) س : « يتسلقون » .

(٣) ف : « فيضرب » .

قليلا ؛ وكان يسير هذه الستة الأميال التي بين رُوذ الروذ ، وبين البذ^١ ، ما بين طلوع الفجر^(١) إلى الضحى الأكبر ؛ فإذا أراد أن يصعد إلى الركوة التي كانت الحرب تكون عليها في العام الماضي ، خلف بُخاراخذاه على رأس العقبة مع ألف فارس وستائة راجل ؛ يحفظون عليه الطريق ؛ لا يخرج أحد من الحرّمية ؛ فيأخذ عليه الطريق . وكان بابك إذا أحسّ بالعسكر أنه وارد عليه وجهه عسكراً له فيه رجالة إلى وادٍ تحت تلك العقبة التي كان عليها بُخاراخذاه ، ويكمنون لمن يريد أن يأخذ عليه الطريق .

وكان الأفشين يقف بخاراخذاه يحفظ هذه العقبة التي وجهه بابك عسكره إليها ليأخذها على الأفشين ؛ وكان بُخاراخذاه يقف بها أبداً ، ما دام الأفشين داخل البذ^٢ على الركوة ، وكان الأفشين يتقدم إلى بخاراخذاه أن يقف على وادٍ فيما بينه وبين البذ^٣ شبه الخندق .

وكان يأمر أبا سعيد محمد بن يوسف أن يعبر ذلك الوادى في كردوس من أصحابه ، ويأمر جعفر الخياط أن يقف أيضاً في كردوس من أصحابه ، ويأمر أحمد بن الخليل فيقف في كردوس آخر ؛ فيصير في جانب ذلك الوادى ثلاثة كراديس في طرف أبياتهم ؛ وكان بابك يُخرج عسكراً مع آذين ، فيقف على تلّ يلزاء هؤلاء الثلاثة الكراديس خارجاً من البذ^٤ لئلا يتقدم أحد من عساكر الأفشين إلى باب البذ^٥ . وكان الأفشين يقصد إلى باب البذ^٦ ، ويأمرهم إذا عبروا بالوقوف فقط ، وترك المحاربة ، وكان بابك إذا أحسّ بعساكر الأفشين أنها قد تحركت من الخندق تريده فترق أصحابه كناء ؛ ولم يبق معه إلا نغير يسير ؛ وبلغ ذلك الأفشين ، ولم يكن يعرف الواضع التي يكمنون فيها . ثم أتاه الخبر بأن الحرّمية قد خرجوا جميعاً ، ولم يبق مع بابك إلا شزيمة من^(٢) أصحابه . وكان الأفشين إذا صعد إلى ذلك الموضع بسط له نيطع ، ووُضع له كرسي^٣ ، وجلس على تلّ مشرف يُشرف^(٣) على باب قصر بابك ، والناس كراديس وقوف ، من كان معه من جانب الوادى هذا أمره بالنزول

(١) ف : « الشمس » . (٢) س : « مع » .

(٣) ابن الأثير : « ينظر إلى قصر » .

عن دابته ، ومَنْ كان من ذاك الجانب مع أبي سعيد وجعفر الخياط وأصحابه وأحمد بن الخليل لم يُنزل لقربه من العدو ؛ فهم وقوف على ظهور دوابهم ؛ ويفرق رجالاته الكوهبانية ليفتشوا الأودية ؛ طمع أن يقع على مواضع الكُمناء فيعرفها . فكانت هذه حالته ^(١) في التفتيش إلى بعد الظهر ، والخُرْمية بين يدي بابك يشربون النبيذ ، ويزمرون بالسُرُنَيَايات ^(٢) ، ويضربون بالطبول ؛ حتى إذا صلى الأفشين الظهر ؛ تقدم فانحدر إلى خندقه بروذ الروذ ؛ فكان أول من ينحدر أبو سعيد ثم أحمد بن الخليل ثم جعفر بن دينار ، ثم ينصرف الأفشين ؛ وكان مجيئه ذلك مما يغيظ بابك ، وانصرافه ^(٣) فإذا دنا الانصراف ^(٤) ، ضربوا بصنوجهم ، ونفخوا بوقاتهم استهزاء ؛ ولا يبرح بخاراخذاه من العقبة التي هو عليها ؛ حتى تجوزه الناس جميعاً ، ثم ينصرف في آثارهم ؛ فلما كان في بعض أيامهم ضجّرت الخُرْمية من المعادلة والتفتيش الذي كان يفتش عليهم ؛ فانصرف الأفشين كمعادته ، وانصرفت الكراديس أولاً فأولاً ، وعبر أبو سعيد الوادي ، وعبر أحمد بن الخليل ، وعبر بعض أصحاب جعفر الخياط ، وفتح الخُرْمية باب خندقهم ، وخرج منهم عشرة فوارس ، وحملوا على مَنْ بقي من أصحاب جعفر الخياط في ذلك الموضع ، وارتفعت الضجّة في العسكر ، فرجع جعفر مع كُردوس من أصحابه بنفسه ، فحمل على أولئك الفرسان حتى ردّهم إلى باب البذّ ، ثم وقعت الضجّة في العسكر ، فرجع الأفشين وجعفر وأصحابه من ذلك الجانب يقاتلون ؛ وقد خرج من أصحاب جعفر عدّة ، وخرج ^(٥) بابك بعدّة فرسان ؛ لم يكن معهم رجالة ؛ لا من أصحاب الأفشين ، ولا من أصحاب بابك ؛ كان هؤلاء يحملون ؛ وهؤلاء يحملون ؛ فوقعت بينهم جراحات ، ورجع الأفشين حتى طُرح له النطع والكرسي ، فجلس في موضعه الذي كان يجلس فيه ؛ وهو يتلظى على جعفر ، ويقول : قد أفسد على تعبتي وما أريد .

١٢٠٦/٣

(١) س : « حاله » . (٢) ف : « بالشرَيَّانات » .

(٣-٣) ف : « إذا انصرف أو دنا الانصراف » .

(٤-٤) س : « من أصحاب بابك عدة فرسان بفرسان » .

وارتفعت الضجّة ، وكان مع أبي دُلف في كردوس قوم من المطوّعة من أهل البصرة وغيرهم ؛ فلما نظروا إلى جعفر يحارب ، انحدر أولئك المطوّعة بغير أمر الأفشين ، وعبروا إلى ذلك جانب^(١) الوادي ؛ حتى صاروا إلى جانب البذّ ، فتعلّقوا به ؛ وأثروا فيه آثاراً ؛ وكادوا يصعدونه فيدخلون البذّ ، ووجّه^(٢) جعفر إلى الأفشين : أن أمدّني بخمسمائة راجل من الناشئة ؛ فإني أرجو أن أدخل البذّ إن شاء الله ؛ ولست أرى في وجهي كثير^(٣) أحد إلاّ هذا الكرّدوس الذي تراه أنت فقط - يعنى كردوس آذين - فبعث إليه الأفشين أن قد أفسدت علىّ أمري ، فتخلّص قليلاً قليلاً ، وخلّص أصحابك وانصرف . وارتفعت الضجّة من المطوّعة حين تعلّقوا بالبذّ ، وظنّ الكُمناء الذين أخرجهم بابل أنها حرب قد اشتبكت ؛ فنعروا ووثبوا من تحت عسكر بُخار اخذاه ، ووثب كمين آخر من وراء الرّكوة التي كان الأفشين يتّخذ عليها ، فتحرّكت الحرّمية ، والناس وقوف على رؤوسهم لم يزل منهم أحد ؛ فقال الأفشين : الحمد لله الذي بيّن لنا مواضع هؤلاء .

ثم انصرف جعفر وأصحابه والمطوّعة ، فجاء جعفر إلى الأفشين ؛ فقال له : إنما وجهي سيّدى أمير المؤمنين للحرب التي ترى ، ولم يوجهني للعودة ها هنا ، وقد قطعت بي في موضع حاجتي ما كان يكفيني إلا خمسمائة راجل حتى أدخل البذّ أو جوف داره ؛ لأنني قد رأيت من بين يدي . فقال له الأفشين : لا تنظر إلى ما بين يديك ؛ ولكن انظر إلى ما خلفك وما قد وثبوا ببخار اخذاه وأصحابه . فقال الفضل بن كاوس لجعفر الخياط : لو كان الأمر إليك ما كنت تقدر أن تصعد إلى هذا الموضع الذي أنت عليه واقف ؛ حتى تقول : كنت وكنت ... فقال له جعفر : هذه الحرب ؛ وها أنا واقف لمن جاء . فقال له الفضل : لولا مجلس الأمير لعرفتُك نفسك الساعة ؛ فصاح بهما الأفشين ، فأمسكا ، وأمر أبا دُلف أن يردّ المطوّعة عن السور ، فقال أبو دُلف للمطوّعة : انصرفوا . فجاء رجل منهم ومعه صخرة ، فقال : أتردّنا

(١) س ، ف : « الجانب » .

(٢) ف : « وأرسل » .

(٣) ف : « كبير » .

وهذا الحجر أخذته من السور! فقال له: الساعة، إذا انصرفت تَدْرِي مَنْ عَلَى طريقك جالس — يعنى العسكر الذى وثب على بخاراخذاه من وراء الناس . ثم قال الأفشين لأبى سعيد فى وجه جعفر : أحسن الله جزاءك عن نفسك وعن أمير المؤمنين ؛ فلأننى ما علمتك عالماً بأمر هذه العساكر وسياستها ؛ ليس كل من حَفَّ رأسه يقول : إن الوقوف فى الموضع ^(١) الذى يحتاج إليه خير من المحاربة فى الموضع الذى لا يحتاج إليه ، لو وثب هؤلاء الذين تحتك — وأشار إلى الكمين الذى تحت الجبل — كيف كنت ترى هؤلاء المطوّعة الذين هم فى القمُص ؟ أى شيء كان يكون حالهم ، ومن كان يجمعهم ؟ الحمد لله الذى سلمهم ؛ فقف هاهنا فلا تبرح حتى لا يبقى ها هنا أحد . وانصرف الأفشين ؛ وكان من سنته إذا بدأ بالانصراف ينحدر علم الكراديس وفرسانه ورجاله ، والكردوس الآخر واقف بينه وبينه قدر رمية سهم ؛ لا يدنو من العقبة ، ولا من المضيق ؛ حتى يرى أنه قد عبر كل مَن فى الكردوس الذى بين يديه وخلا به الطريق ، ثم يدنو بعد ذلك فينحدر فى الكردوس الآخر بفرسانه ورجاله ؛ ولا يزال كذلك ؛ وقد عرف كل كردوس مَن خلف مَن ينصرف ؛ فلم يكن يتقدم أحد منهم بين يدي صاحبه ، ولا يتأخر هكذا ؛ حتى إذا نفذت الكراديس كلها ولم يبق أحد غير بخاراخذاه ، انحدر بخاراخذاه وخلص العقبة . فانصرف ذلك اليوم على هذه الهيئة ؛ وكان أبو سعيد آخر من انصرف ؛ وكلما مرّ العسكر بموضع بخاراخذاه ، ونظروا إلى الموضع الذى كان فيه الكمين ؛ علموا ^(٢) ما كان وطئ لهم ، وتفرق أولئك الأعلاج الذين أرادوا أخذ الموضع الذى كان بخاراخذاه يحفظه ، ورجعوا إلى مواضعهم ، فأقام الأفشين فى خندقه بروذ الروذ أياماً ؛ فشكا إليه المطوّعة الضيق فى العلوقة والأزواد والتفقات ، فقال لهم : مَن صبر منكم فليصبر ، ومَن لم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام ؛ معى جند أمير المؤمنين ؛ ومَن هو فى أرزاقه يقيمون معى فى الحرّ والبرد ؛ ولست أبرح من ها هنا حتى يسقط الثلج . فانصرف المطوّعة وهم يقولون : لو ترك الأفشين جعفرأ وتركنا لأخذنا البذ ؛ هذا لا يشتهى

١٢٠٩/٣

(٢) ف : « رجعوا » .

(١) س : « بالموضع » .

إلا المماطلة، فبلغه ذلك وما كثر المطوعة فيه، ويتناولونه بالسنتهم وأنه لا يجب
 المناجزة؛ وإنما يريد التطويل؛ حتى قال بعضهم إنه رأى في المنام، أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال له: قل للأفشين: إن أنت حاربت هذا الرجل وجددت
 في أمره وإلا أمرت الجبال أن ترحمك بالحجارة؛ فتحدث الناس بذلك في
 العسكر علانية؛ كأنه مستور، فبعث الأفشين إلى رؤساء المطوعة، فأحضرهم
 وقال لهم: أحب أن تروني هذا الرجل؛ فإن الناس يرون في المنام أبواباً؛
 فأتوه بالرجل في جماعة من الناس، فسلم عليه، فقرأه وأدناه، وقال له:
 قُهِسَ على رؤياك، لا تحتشم ولا تستحي؛ فإنما تؤدي. قال: رأيت كذا
 ١٢١٠/٣ ورأيت كذا؛ فقال: الله يعلم كل شيء قبل كل أحد؛ وما أريد بهذا
 الخلق. إن الله تبارك وتعالى لو أراد أن يأمر الجبال أن ترحم أحداً لرحم الكافر،
 وكفانا مؤنثه؛ كيف يرحمني حتى أكفيه مؤنة الكافر كان يرحمه؛ ولا يحتاج
 أن أقاتله أنا، وأنا أعلم أن الله عز وجل لا يخفى عليه خافية؛ فهو مطلع على
 قلبي؛ وما أريد بكم يماسكين! فقال رجل من المطوعة من أهل الدين:
 يأبى الأمير؛ لا تحرمنا شهادة إن كانت قد حضرت؛ وإنما قصدنا وطلبنا
 ثواب الله ووجهه؛ فدعنا وحدنا حتى نتقدم بعد أن يكون بإذنك؛ ففعل الله
 أن يفتح علينا. فقال الأفشين: إني أرى نياتكم حاضرة؛ وأحسب هذا الأمر
 يريد به الله؛ وهو خير إن شاء الله؛ وقد نشطم ونشط الناس؛ والله أعلم ما كان
 هذا رأي؛ وقد حدث الساعة لما سمعت من كلامكم، وأرجو أن يكون أراد
 هذا الأمر وهو خير؛ اعزموا على بركة الله أي يوم أحبيتم حتى نأهضهم؛
 ولا حول ولا قوة إلا بالله! فخرج القوم مستبشرين^(١) فبشروا أصحابهم؛
 فمن كان أراد أن ينصرف أقام، ومن كان في القرب^(٢) وقد خرج مسيرة أيام
 فسمع بذلك رجع؛ ووعد الناس ليوم، وأمر الجند والفرسان والرجال وجميع
 الناس بالآهبة، وأظهر أنه يريد الحرب لا محالة. وخرج الأفشين وحمل المال
 ١٢١١/٣ والزيادة، ولم يبق في العسكر بغل إلا وُضع عليه عمل للجرجي، وأخرج معه
 المتطبين، وحمل الكعك والسويق وغير ذلك؛ وجميع ما يحتاج إليه، وزحف

(١) ف؛ «مبشرين». (٢) ف؛ «بالقرب».

الناس حتى صعد إلى البذّة، وخلف بخاراخذاه في موضعه الذي كان يخلقه^(١) عليه على العقبة، ثم طرّح النّطع ووُضع له الكرسيّ، وجلس عليه كما كان يفعل، وقال لأبي دلف: قل للمطوّعة: أيّ ناحية هي أسهل عليكم، فاقصروا عليها. وقال لجعفر: العسكر كلّه بين يديك، والناشبة والنفاطون؛ فإن أردت رجالا دفعتهُم إليك؛ فخذ حاجتك وما تريد، واعزم على بركة الله؛ فادنّ من أيّ موضع تريد. قال: أريد أن أقصد الموضع الذي كنت عليه، قال: امض إليه. ودعا أبا سعيد، فقال له: قف بين يديّ؛ أنت وجميع أصحابك^(٢)، ولا يبرحنّ منكم أحد. ودعا أحمد بن الخليل فقال له: قف أنت وأصحابك ها هنا، ودع جعفرأ يعبرُ وجميع منّ معه من الرجال؛ فإن أراد رجالا أو فرسانا أمددناه؛ ووجهنا بهم إليه؛ ووجه أبا دلف وأصحابه من المطوّعة؛ فانحدروا إلى الوادي، وصعدوا إلى حائط البذّة من الموضع الذي كانوا صعدوا عليه تلك المرّة، وعلقوا بالحائط على حسب ما كانوا فعلوا ذلك اليوم؛ وحمّل جعفر حملةً حتى ضرب باب البذّة؛ على حسب ما كان فعل تلك المرّة الأولى؛ ووقف على الباب، وواقفه الكفرة ساعة صالحة؛ فوجه^(٣) الأفشين برجل معه بدرة دنانير، وقال له: اذهب إلى أصحاب جعفر، فقل: منّ تقدّم، فاحث له ملء كفّك، ودفع بدرة أخرى إلى رجل من أصحابه، وقال له: اذهب إلى المطوّعة ومعك هذا المال وأطواق وأسورة؛ وقل لأبي دلف: كلّ من رأيت محسناً من المطوّعة وغيرهم فأعطه. ونادى صاحب الشراب، فقال له: اذهب فتوسّط الحرب معهم حتى أراك بعبي معك السويق والماء؛ لئلا يعطش القوم فيحتاجوا إلى الرجوع؛ وكذلك فعل بأصحاب جعفر في الماء والسويق، ودعا صاحب الكلّغترية، فقال له: منّ رأيت في وسط الحرب من المطوّعة في يده فأس فله عندي خمسون درهماً، ودفع إليه بدرة دراهم؛ وفعل مثل ذلك بأصحاب جعفر، ووجه إليهم الكلّغترية بأيديهم الفئوس، ووجه إلى جعفر بصندوق فيه أطواق وأسورة، فقال له: ادفع إلى منّ أردت من

١٢١٢/٣

(١) ف: «خلقه».

(٢) س: «أصحابكم».

(٣) ابن الأثير: «وجه».

أصحابك هذا سوى ما لهم عندى ، وما تضمن لهم على من الزيادة فى أرزاقهم والكتاب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم . فاشتبكت الحرب على الباب طويلا ، ثم فتح الحرّمية الباب ، وخرجوا على أصحاب جعفر ، ففتحوهم عن الباب ، وشدوا على المطوّعة من الناحية الأخرى ؛ فأخذوا منهم عَلمين وطرحوهم عن السور ، وجرحوهم بالصّخر حتى أثروا فيهم ، فرقوا عن الحرب ، ووقفوا ، وصاح جعفر بأصحابه ، فبدر منهم نحو من مائة رجل ، فبركوا خلف تراسهم التى كانت معهم ، وواقفهم متحاجزين ؛ لاهؤلاء يقدمون على هؤلاء ، ولا هؤلاء يقدمون على هؤلاء ؛ فلم يزلوا كذلك حتى صلتى الناس الظهر ؛ وكان الأفشين قد حمل عرّادات ، فنصب عرّادة منها مما يلي جعفرا على الباب ، وعرّادة أخرى من طرف الوادى من ناحية المطوّعة ؛ فأما العرّادة التى من ناحية جعفر ؛ فدافع عنها جعفر حتى صارت العرّادة فيما بينهم وبين الحرّمية ساعة طويلة ؛ ثم تخلصها أصحاب جعفر بعد جهد ، فقلعوها وردّوها إلى العسكر ؛ فلم يزل الناس متواقفين متحاجزين ؛ يختلف بينهم النّشاب والحجارة أولئك على سورهم والباب ، وهؤلاء قعود تحت أتراسهم ؛ ثم تناجزوا بعد ذلك ؛ فلما نظر الأفشين إلى ذلك كره أن يطعم العدو فى الناس ، فوجّه الرّجال الذين كان أعدّهم قبله ؛ حتى وقفوا فى موضع المطوّعة ، وبعث إلى جعفر بكرّدوس فيه رّجالة ، فقال جعفر : لست أوتى من قلة الرّجالة معى رّجال فُرّة^(١) ولكنى لست أرى للحرب موضعا يتقدمون ؛ إنما ها هنا موضع مجال رجل أو رجلين قد وقفوا عليه ، وانقطعت الحرب ، فبعث إليه : انصرف على بركة الله ؛ فانصرف^(٢) جعفر ، وبعث الأفشين بالبغال التى كان جاء بها معه ، عليها المحامل ؛ فجعلت فيها الجرحى وميّن^٣ كان به ومن من الحجارة ولا يقدر على المشى ؛ وأمر الناس بالانصراف ؛ فانصرفوا إلى خنادقهم بروذ الرّوذ ، وأيس الناس من الفتح فى تلك السنة ، وانصرف أكثر المطوّعة .

ثم إن الأفشين تجهّز بعد جمعيتين ؛ فلما كان فى جوف الليل ؛ بعث الرّجالة الناشبة ؛ وهم مقدار ألف رجل ، فدفع إلى كل واحد منهم شكوة

وكتعنكاً ، ودفع إلى بعضهم أعلاماً سوداً وغير ذلك ، وأرسلهم عند مغيب الشمس ، وبعث معهم أدلاء ، فساروا ليلتهم في جبال منكرة صعبة على غير الطريق ، حتى داروا ، فصاروا خلف التل الذي يقف آذين عليه - وهو جبل شاهق - وأمرهم ألا يعلم بهم أحد ، حتى إذا رأوا أعلام الأفشين وصلوا الغداة ورأوا الوقعة ، ركبوا تلك الأعلام في الرماح ، وضربوا الطبول ، وانحدروا من فوق الجبل ، ورموا بالنشاب والصخر على الخرمية ، وإن هم لم يروا الأعلام لم يتحركوا حتى يأتيهم خبره ، ففعلوا ذلك . فوافوا رأس الجبل عند السحر ، وجعلوا في تلك الشكاء الماء من الوادي ، وصاروا فوق الجبل ، فلما كان في بعض الليل وجه الأفشين إلى القواد أن يتهيأوا في السلاح ، فإنه يرغب في السحر ، فلما كان في بعض الليل ، وجهه بشيراً التركي وقواداً من الفراغنة كانوا معه ، فأمرهم أن يسيروا حتى يصيروا تحت التل مع أسفل الوادي الذي حملوا منه الماء ، وهو تحت الجبل الذي كان عليه آذين ، وقد كان الأفشين علم أن الكافر يكمن تحت ذلك الجبل كلما جاءه العسكر ، فقصده بشير والفراغنة إلى ذلك الموضع الذي علم أن للخرمية فيه عسكراً كامنين ، فساروا في بعض الليل ، ولا يعلم بهم أكثر أهل العسكر . ثم بعث للقواد : تأهبوا للركوب في السلاح ، فإن الأمير يغدو في السحر ، فلما كان السحر خرج وأخرج الناس ، وأخرج النفاطين والنقاطات والشمع على حسب ما كان يخرج ، فصلت الغداة ، وضرب الطبل ، وركب حتى وافى الموضع الذي كان يقف فيه في كل مرة ، وبسط له النطع ، ووضع له الكرسي كعادته .

١٢١٥/٣

وكان بخاراخذاه يقف على العقبة التي كان يقف عليها في كل يوم ، فلما كان ذلك اليوم صير بخاراخذاه في المقدمة مع أبي سعيد وجعفر الخياط وأحمد بن الخليل ، فأنكر الناس هذه التعبية في ذلك الوقت ، وأمرهم أن يدنوا من التل الذي عليه آذين ، فيحلقوا به ، وقد كان ينهاهم عن هذا قبل ذلك اليوم ، فضى الناس مع هؤلاء القواد الأربعة الذين سموا ، حتى صاروا حول التل . وكان جعفر الخياط مما يلي باب البذ ، وكان أبو سعيد مما يليه ، وبخاراخذاه مما يلي أبا سعيد ، وأحمد بن الخليل بن هشام مما يلي بخاراخذاه ،

فصاروا جميعاً حكمة حول التلّ ، وارتفعت الضجة من أسفل الوادى ، وإذا
الكمين الذى تحت التلّ الذى كان يقف عليه آذين قد وثب ببشير^(١)
التركي والفراغنة ؛ فحاربوهم واشتبكت الحرب بينهم ساعة .

وسمع أهل العسكر ضجتهم ، فتحرك الناس ، فأمر الأفشين أن ينادوا :
أيّها الناس ، هذا بشير التركي والفراغنة قد وجّهتْهُم ؛ فأثاروا كميناً فلا تتحرّكوا .
فلما سمع الرجال الناشبة^(٢) الذين كانوا تقدموا ، وصاروا فوق الجبل ركبو
الأعلام كما أمرهم الأفشين ؛ فنظر الناس إلى أعلام تجىء من جبل شاهق ؛
أعلام سود ، وبين العسكر وبين الجبل نحو فرسخ ؛ وهم ينحدرون على جبل
آذين من فوقهم ؛ قد ركّبوا الأعلام ، وجعلوا ينحدرون يريدون آذين ؛
فلما نظر إليهم أهل عسكر آذين وجّه آذين إليهم بعض رجالاته الذين معه
من الحرّمية . ولما نظر الناس إليهم راعوهم ؛ فبعث إليهم الأفشين : أولئك
رجالنا أنجدتنا على آذين ؛ فحمل جعفر الخياط وأصحابه على آذين
وأصحابه ، حتى صعدوا إليهم ، فحملوا عليهم حملة شديدة ، قلبوه وأصحابه
في الوادى ، وحمل عليهم رجل ممتن في ناحية أبى سعيد من أصحاب أبى سعيد ،
يقال له معاذ بن محمد - أو محمد بن معاذ - في عدة معه ؛ فإذا تحت حوافر
دوابّهم آبار محفورة تدخل أيدي الدوابّ فيها ، فتساقطت فرسان^(٣) أبى سعيد
فيها ؛ فوجّه الأفشين الكيلغرية يُقْلَعون حيطان منازلهم ، ويطمّون بها تلك
الآبار ؛ ففعلوا ذلك ؛ فحمل الناس عليهم حملة واحدة ؛ وكان آذين قد
هيأ فوق الجبل عجلاً عليها صخر ؛ فلما حمل الناس عليه ، دفع العجل على
الناس فأفروا عنها ، فقد خرجت ؛ ثم حمل الناس من كلّ وجه^(٤) .

فلما نظر بابك إلى أصحابه قد أحرق بهم ، خرج من طرف البلد ، من
باب مما يلي الأفشين ، يكون بين هذا الباب وبين التلّ الذى عليه الأفشين قدر
ميل . فأقبل بابك في جماعة معه يسألون عن الأفشين ، فقال لهم أصحاب
أبى دُلف : منّ هذا ؟ فقالوا : هذا بابك يريد الأفشين ؛ فأرسل أبودلف

(٢) س : « والناشبة » .

(٤) ف : « جانب » .

(١) ف : « لبشير » .

(٣) ف : « دواب » .

إلى الأفشين بعلمه ذلك ؛ فأرسل الأفشين رجلا يعرف بابلك ؛ فنظر إليه ، ثم عاد إلى الأفشين ، فقال : نعم هو بابلك ؛ فركب إليه الأفشين ، فدنا منه حتى صار في موضع يسمع كلامه وكلام أصحابه ، والحرب مشتبكة في ناحية آذين ، فقال له : أريد الأمان من أمير المؤمنين ، فقال له الأفشين : قد عرضت عليك هذا ؛ وهو لك مبدول متى شئت ، فقال : قد شئت الآن ؛ على أن تؤجلني أجلاً أحمل فيه عيالي ، وأتجهز . فقال له الأفشين : قد والله نصحتك غير مرة فلم تقبل نصيحتي ؛ وأنا أنصحك الساعة ، خروجه اليوم في الأمان خير من غد . قال : قد قبلت أيها الأمير ؛ وأنا على ذلك ؛ فقال له الأفشين : فابعث بالرهائن الذين كنت سألتك . قال : نعم ، أما فلان وفلان فهم على ذلك التل ، فرأى أصحابك بالتوقف .

١٢١٨/٣

قال : فجاء رسول الأفشين ليرد الناس ، فقبل له : إن أعلام الفراغة قد دخلت البذ وصعدوا بها القصور . فركب وصاح بالناس ، فدخل ودخلوا ، وصعد الناس بالأعلام فوق قصور بابلك ؛ وكان قد كن في قصوره — وهي أربعة — ستمائة رجل ؛ فوافاهم الناس ؛ فصعدوا بالأعلام فوق القصور^(١) ، وامتلات شوارع^(٢) البذ وميدانها من الناس ، وفتح أولئك الكُمناء أبواب القصور ، وخرجوا رجالة يقاتلون الناس . ومر بابلك حتى دخل الوادي الذي يلي هشتادسر ، واشتغل الأفشين وجميع قواده بالحرب على أبواب القصور ، فقاتل الحرمة قتالا شديداً ، وأحضر النفاطين ، فجعلوا يصبون عليهم النفط والنار ، والناس يهدمون القصور ؛ حتى قتلوا عن آخرهم . وأخذ الأفشين أولاد بابلك ومن كان معهم في البذ من عيالاتهم ؛ حتى أدركهم^(٣) المساء ، فأمر الأفشين بالانصراف فانصرفوا ، وكان عامة الحرمة في البيوت ؛ فرجع الأفشين إلى الخندق بروذ الروذ .

فذكر أن بابلك وأصحابه الذين نزلوا معه الوادي حين علموا أن الأفشين قد رجع إلى خندقه ، رجعوا إلى البذ ، فحملوا من الزاد ما أمكنهم حملهُ ، وحملوا أموالهم ، ثم دخلوا الوادي الذي يلي هشتادسر . فلما كان في الغد خرج

(١) ف : « انقصر » . (٢) س : « شارع » . (٣) س : « فأدركهم » .

١٢١٩/٣

الأفشين حتى دخل البذّة ، فوقف في القرية ، وأمر بهدم القصور ، ووجه الرجال يطوفون في أطراف القرية ، فلم يجدوا فيها أحداً من العلوج ، فأصعد الكلغرية ، فهدموا القصور وأحرقوها ؛ فعل ذلك ثلاثة أيام حتى أحرق خزائنه وقصوره ؛ ولم يَدع فيها بيتاً ولا قصراً إلا أحرقه وهدمه ؛ ثم رجع وعلم أن بابك قد أفلت في بعض أصحابه ؛ فكتب الأفشين إلى ملوك أرمينية وبطارقتها يعلمهم أن بابك قد هرب وعدّة معه ، وصار إلى واد ، وخرج منه إلى ناحية أرمينية ؛ وهو مارّ بكم ، وأمرهم أن يحفظ كل واحد منهم ناحيته ، ولا يسلكها أحدٌ إلا أخذوه حتى يعرفوه . فجاء الجواسيس إلى الأفشين ، فأخبروه بموضعه في الوادي ؛ وكان وادياً كثير العشب والشجر ، طرفه بأرمينية وطرفه الآخر بأذربيجان ؛ ولم يمكن الخيل أن تنزل إليه ، ولا يرى من يستخفي فيه لكثرة شجره ومياهه ؛ إنما كانت غيضة واحدة ؛ ويسمى هذا الوادي غيضة . فوجه الأفشين إلى كل موضع يعلم أن منه طريقاً ينحدر منه إلى تلك الغيضة ، أو يمكن بابك أن يخرج من ذلك الطريق ؛ فصير على كل طريق وموضع من هذه المواضع عسكرياً فيه ما بين أربعمئة إلى خمسمئة مقاتل ، ووجه معهم الكوهبانية ليقفهم على الطريق ، وأمرهم بحراسة الطريق في الليل لئلا يخرج منه أحد .

١٢٢٠/٣

وكان يوجه إلى كل عسكري من هذه العساكر الميرة من عسكريه ؛ وكانت هذه العساكر خمسة عشر عسكرياً ، فكانوا كذلك حتى ورد كتاب أمير المؤمنين المعتصم بالذهب مختوماً ، فيه «أمان» لبابك . فدعا الأفشين من كان استأمن إليه من أصحاب بابك ؛ وفيهم ابن له كبير ، أكبر ولده ، فقال له وللأسرى : هذا ما لم أكن أرجوه من أمير المؤمنين ، ولا أطمع له فيه ^(١) أن يكتب إليه وهو في هذه الحال بأمان ؛ فن يأخذ منكم ويذهب به إليه ؟ فلم يجسر على ذلك أحد منهم ، فقال بعضهم ^(٢) : أيها الأمير ؛ ما فينا أحدٌ يجترئ أن يلقاه بهذا ، فقال له الأفشين : ويحك ! إنه يفرح بهذا ، قالوا : أصلح الله الأمير ! نحن أعرف ^(٣) بهذا منك ؛ قال : فلا بدّ لكم من أن تهبوا لي أنفسكم ، وتوصلوا

(١) ف : « فيه له » . (٢) ف : « أحدم » . (٣) س : « أعلم » .

هذا الكتاب إليه . فقام رجلان منهم ، فقالا له : اضمن لنا أنك تُجْرى على عيالاتنا ؛ فضمن لهما الأفشين ذلك ؛ وأخذوا الكتاب وتوجَّها فلم يزلوا يدوران في الغَيْضَة حتى أصاباه ، وكتب معهما ابن بابك بكتاب يُعلمه الخبر ، ويسأله أن يصير إلى الأمان ؛ فهو أسلم له وخير . فدفعوا إليه كتاب ابنه ، فقرأه ، وقال : أى شيء كنتم تصنعون ؟ قالوا : أسير عيالاتنا^(١) في تلك الليلة وصبياننا^(٢) ؛ ولم نعرف موضعك فنأتيتك ، وكنا في موضع نخوفنا أن يأخذونا ؛ فطلبنا الأمان . فقال للذي كان الكتاب معه : هذا لا أعرفه ؛ ولكن أنت يا بن الفاعلة ، كيف اجترأت على هذا أن تجيشني من عند ذاك ابن الفاعلة ! فأخذه وضرب عنقه ، وشدَّ الكتاب على صدره مختماً لم يفضّه ؛ ثم قال للآخر : اذهب وقل لذلك ابن الفاعلة - يعني ابنه - حيث يكتب إلى ؛ وكتب إليه : لو أنك لحقت بي واتَّبعْتَ دعوتك حتى يجيئك الأمر يوماً كنت ابني ؛ وقد صحَّ عندى الساعة فساد أمك الفاعلة . يا بن الفاعلة ، عسى أن أعيش بعد اليوم ! قد كنت باسم هذه الرياسة وحيثما كنت أو ذكرت كنت ملكاً ؛ ولكنك من جنس لا خير فيه ؛ وأنا أشهد أنك لست بـابني ؛ تعيش يوماً واحداً وأنت رئيس خير ، أو تعيش أربعين سنة وأنت عبد ذليل !

١٢٢١/٣

ورحل من موضعه ، ووجَّه مع الرجل ثلاثة نفر حتى أصدعوه من موضع من المواضع ، ثم لحقوا بابابك ؛ فلم يزل في تلك الغَيْضَة حتى فنى زاده ، وخرج ممّا يلي طريقاً كان عليه بعض العساكر ، وكان موضع الطريق جبلا ليس فيه ماء ؛ فلم يقدر العسكر أن يقيم على الطريق لبعده عن الماء ، فتنحى العسكر عن الطريق إلى قرب الماء ، وصيَّروا كوهبانيين وفارسين على طرف الطريق يحرسونه ، والعسكر بينه وبين الطريق نحو من ميل ونصف ، كان ينوب على الطريق كل يوم فارسان وكوهبانيان ؛ فبيناهم ذات يوم نصف النهار ؛ إذ خرج بابك وأصحابه ؛ فلم يروا أحداً ، ولم يروا الفارسين والكوهبانيين ، وظنوا أن ليس هناك عسكر ؛ فخرج هو وأخواه^(٣) : عبدالله ومعاوية ، وأمه وامرأة له

(١) ف : « عيالاتنا » . (٢) ف : « وأولادنا » .

(٣) س : « وإخوته » ، ف : « وأخوه » ، ابن الأثير : « وعبد الله أخوه » .

يقال لها ابنة الكَلَسَندَانِيَّة. فخرجوا من الطريق؛ وساروا يريدون إرمينية، ونظر إليهم الفارسان والكوهبانيان، فوجتوا إلى العسكر، وعليه أبو الساج: إنا قدر رأينا فرساناً يمرُّون ولا ندرى ^(١) مَنْ هم. فركب الناس، وساروا، فنظروا إليهم من بُعد وقد نزلوا على عين ماء يتغدَّون عليها؛ فلما نظروا إلى الناس بادر الكافر فركب وركب مَنْ كان معه، فأقلت وأخذ معاوية وأمّ بابك والمرأة التي كانت معه، ومع بابك غلام له، فوجت أبو الساج بمعاوية والمرأتين إلى العسكر، ومرّ بابك متوجّهاً حتى دخل جبال إرمينية يسير في الجبال متكمنًا، فاحتاج إلى طعام؛ وكان جميع بطارقة إرمينية قد تحفظوا بنواحيهم وأطرافهم، وأوصوا مسالحهم ألا يجتاز عليهم أحد إلا أخذه حتى يعرفوه؛ فكان أصحاب المسالح كلهم متحفظين؛ وأصاب بابك الجوع، فأشرف فإذا هو بحراث يحرث على فدان له في بعض الأودية، فقال لغلامه: انزل إلى هذا الحرّاث؛ وخذ معك دنائير ودراهم؛ فإن كان معه خبز فخذ وأعطه؛ وكان للحرّاث شريك ذهب لحاجته؛ فنزل الغلام إلى الحرّاث، فنظر إليه شريكه من بعيد، فوقف بالبعد يفرق من أن يجيء إلى شريكه وهو ينظر ما يصنع شريكه، فدفع الغلام إلى الحرّاث شيئاً، فجاء الحرّاث فأخذ الخبز، فدفعه إلى الغلام وشريكه قائم ينظر إليه؛ ويظنّ أنما اغتصبه خبزه؛ ولم يظنّ أنه أعطاه شيئاً، فعدا إلى المسلحة؛ فأعلمهم أن رجلاً جاءهم عليه سيف وسلاح؛ وأنه أخذ خبز شريكه من الوادي؛ فركب صاحب المسلحة — وكان في جبال ابن سنباط — ووجهه إلى مهمل بن سنباط بالخبر، فركب ابن سنباط وجماعة معه حتى جاءه مسرعاً، فوافى الحرّاث والغلام عنده، فقال له: ما هذا؟ قال له الحرّاث: هذا رجل مرّ بي، فطلب مني خبزاً فأعطيته، فقال للغلام: وأين مولاك؟ قال: ها هنا — وأوى إليه — فاتبعه فأدركه وهونازل؛ فلما رأى وجهه عرفه، فترجل له ابن سنباط عن دابته، ودنا منه فقبل يده، ثم قال له: يا سيّده؛ إلى أين؟ قال: أريد بلاد الروم — أو موضعاً سمّاه — فقال له: لا تجد موضعاً ولا أحداً أعرف بحقك؛ ولا أحقّ أن تكون عنده منّي، تعرف موضعى؛ ليس بيني وبين

السلطان عمل ؛ ولا تدخل على أحد من أصحاب السلطان وأنت عارف بقضيتي وبلدي ؛ وكل من هاهنا من البطارقة إنما هم أهل بيتك ، قد صار لك منهم أولاد ؛ وذلك أن بابك كان إذا علم أن عند بعض البطارقة ابنة أو أختاً جميلة وجهه إليها يطلبها ؛ فإن بعث بها إليه وإلا بيته وأخذها ، وأخذ جميع ماله من متاع وغير ذلك ، وصار به إلى بلده غصباً .

ثم قال ابن سنيابط له : صرّ عندى فى حصنى ؛ فلما هو منزلك ؛ وأنا عبدك ؛ كُنْ فيه شتوتك هذه ثم ترى رأيك . وكان بابك قد أصابه الضرّ والجهد ، فركن إلى كلام سهل بن سنيابط ؛ وقال له : ليس يستقيم أن أكون أنا وأخى فى موضع واحد ؛ فلعله أن يُعشّر بأحدنا فيبقى الآخر ؛ ولكن أقيم عندك أنا ، ويتوجه عبد الله أخى إلى ابن اصطفانوس ؛ لا ندرى ما يكون ؛ وليس لنا خَلَفٌ يقوم بدعوتنا . فقال له ابن سنيابط : ولدك كثير ، قال : ليس فيهم خير . وعزم على أن يصير أخاه فى حصن ابن اصطفانوس — وكان يثق به — فصار هو مع ابن سنيابط فى حصنه ، فلما أصبح عبد الله مضى إلى حصن ابن اصطفانوس ؛ وأقام بابك عند ابن سنيابط ، وكتب ابن سنيابط إلى الأفشين يعلمه أن بابك عنده فى حصنه . فكتب إليه : إن كان هذا صحيحاً فلك عندى وعند أمير المؤمنين — أيده الله — الذى تحب ؛ وكتب يجزيه خيراً ، ووصف الأفشين صفة بابك لرجل من خاصته ، ممّن يثق به ، وجهه به إلى ابن سنيابط وكتب إليه يعلمه أنه قد وجه إليه برجل من خاصته ، يحب أن يرى بابك ليحكى للأفشين ذلك . فكره ابن سنيابط أن يوحش بابك ، فقال للرجل : ليس يمكن أن تراه إلا فى الوقت الذى يكون منكباً على طعامه يتغدى ؛ فإذا رأيتنا قد دعونا بالغداء فالبس ثياب الطبّاخين الذين معنا على هيئة علوجنا وتعال كأنك تقدم الطعام ، أو تناول شيئاً ؛ فإنه يكون منكباً على الطعام ؛ فتصقّد منه ما تريد ؛ فاذهب فاحكه لصاحبك .

ففعّل ذلك فى وقت الطعام ، فرفع بابك رأسه فنظر إليه فأنكره ، فقال : ممّن هذا الرجل ؟ فقال له ابن سنيابط : هذا رجل من أهل خراسان ، منقطع

إلينا منذ زمان؛ نصرانيّ . فلقن ابن سنباط الأشروسنيّ ذلك . فقال له بابك : ١٢٢٥/٣
 منذ كم أنت ها هنا؟ قال : منذ كذا وكذا سنة ، قال : وكيف أقمت ها هنا ؟
 قال : تزوّجت ها هنا ، قال : صدقت إذا قيل للرجل : من أين أنت ؟ قال :
 من حيث امرأتى ^(١) .

ثم رجع إلى الأفشين فأخبره ، ووصف له جميع ما رأى ثمّ من بابك .
 ووجه الأفشين أبا سعيد وبوزبارة إلى ابن سنباط ، وكتب إليه معهما ، وأمرهما
 إذا صارا إلى بعض الطريق قدّما كتابه إلى ابن سنباط مع عليّج من الأعلاج ،
 وأمرهما ألاّ يخالفا ابن سنباط فيما يشير به عليهما . ففعلا ذلك ، فكتب إليهما
 ابن سنباط في المقام بموضع - قد ساء ووصفه لهما - إلى أن يأتيهما رسوله . فلم
 يزالا مقيمين بالموضع الذي وصفه لهما ، ووجه إليهما ابن سنباط بالميرة والزاد ؛
 حتى تحرك بابك للخروج إلى الصيّد ، فقال له : ها هنا وادٍ طيب ، وأنت
 مغموّم في جوف هذا الحصن ! فلو خرجنا ومعنا بازى وباشق وما يحتاج إليه ،
 فنتفرّج إلى وقت الغداء بالصيّد ! فقال له بابك : إذا شئت . فأنفذ ليركبا
 بالغداة ، وكتب ابن سنباط إلى أبي سعيد وبوزبارة يعلمهما ما قد عزم عليه ،
 ويأمرهما أن يوافياه ، واحد من هذا الجانب من الجبل والآخر من الجانب الآخر
 في عسكرهما وأن يسيرا متكئين مع صلاة الصبح ؛ فإذا جاءهما رسوله أشرفا
 على الوادى ، فأنحدروا عليه إذا رأوهم وأخذوهم . ١٢٢٦/٣

فلما ركب ابن سنباط وبابك بالغداة ووجه ابن سنباط رسولا إلى أبي سعيد
 ورسولا إلى بوزبارة ، وقال لكل رسول : جئ بهذا إلى موضع كذا ، وجئ بهذا
 إلى موضع كذا ؛ فأشرفا عليّنا ؛ فإذا رأيتونا فقولوا : هم هؤلاء خذوهم ؛ وأراد أن
 يشبهه على بابك ، فيقول : هذه خيل جاءتنا ، فأخذتنا ، ولم يحبّ أن يدفعه إليهما
 من منزله ؛ فصار الرسولان إلى أبي سعيد وبوزبارة ، فضيا بهما حتى أشرفا على
 الوادى ؛ فإذا هما ببابك وابن سنباط ، فنظرا إليه وانحدرا وأصحابهما عليه ؛ هذا
 من ها هنا ، وهذا من ها هنا ، وأخذاهما ومعهما البواشيق ؛ وعلى بابك درّاعة
 بيضاء وعمامة بيضاء ، وخُفّ قصير . ويقال كان بيده باشق ؛ فلمّا نظر إلى

(١) انظر الأغاني ٢١ : ٢٤١ (سلي) .

العساكر قد أهدقت به وقف، فنظر إليهما، فقالا له : انزل ، فقال : ومن أنهما ؟ فقال أحدهما : أنا أبو سعيد والآخر : أنا بوزبارة، فقال : نعم ، وثني رجله ، فنزل ، وكان ابن سنياط ينتظر إليه ؛ فرفع رأسه إلى ابن سنياط فشمته ، وقال : إنما بعثني لليهود بالشئ اليسير ؛ لو أردت المال وطلبت له لأعطيتك ^(١) أكثر مما يعطيك هؤلاء ، فقال له أبو سعيد : قم فاركب ، قال : نعم . فحملوه وجاءوا به إلى الأفشين ؛ فلما قرب من العسكر صعد الأفشين برزند ، فضربت له خيمة على برزند ، وأمر الناس فاصطفوا صفين ، وجلس الأفشين في فلاة ^(٢) ، وجاءوا به ، وأمر الأفشين ألا يتركوا عربياً يدخل بين الصفين فرقاً أن يقتله إنسان أو يجرحه ممن قتل أوليائه ، أو صنع به داهية .

١٢٢٧/٣

وكان قد صار إلى الأفشين نساء كثير وصبيان ؛ ذكروا أن بابل كان أسرهم ؛ وأنهم أحرار من العرب والدهاقين ، فأمر الأفشين فجعلت لهم حظيرة كبيرة ، وأسكنهم فيها ، وأجرى لهم الخبز ، وأمرهم أن يكتبوا إلى أوليائهم حيث كانوا ، فكان كل من جاء فعرف ^(٣) امرأة أو صبيّاً أو جارية ، وأقام شاهدين أنه يعرفها وأنها حرة له أو قرابة دفعها إليه ؛ فجاء الناس ، فأخذوا منهم خلقاً كثيراً ، وبقي منهم ناس كثير ينتظرون أن يحيى أوليائهم .

ولما كان ذلك اليوم الذي أمر الأفشين الناس أن يصطفوا ، فصار بين بابل وبينه قد رُصف ميل ، أنزل بابل عيسى بين الصفين في دراعته وعمامته وخفيه ، حتى جاء فوقف بين يدي الأفشين فنظر إليه الأفشين ، ثم قال : انزلوا به إلى العسكر ؛ فنزلوا به راكباً ، فلما نظر النساء والصبيان الذين في الحظيرة إليه لطموا على وجوههم ، وصاحوا وبكوا حتى ارتفعت أصواتهم ، فقال لهم الأفشين : أنتم بالأمس ؛ تقولون أسرنا ، وأنتم اليوم تبكون عليه ! عليكم لعنة الله . قالوا : كان يحسن إلينا . فأمر به الأفشين فأدخل بيتاً ، ووكل به رجالاً من أصحابه .

١٢٢٨/٣

وكان عبد الله أخو بابل لما أقام بابل عند ابن سنياط ، صار إلى عيسى

(١) ف : « أعطيتك » . (٢) الفلاة : بناء للعسكر . (٣) ف : « كان يعرف » .

ابن يوسف بن اصطفانوس ؛ فلما أخذ الأفشين بابك ، وصيَّره معه في عسكره ووكَّل به ، أعلم بمكان عبد الله أنه عند ابن اصطفانوس ؛ فكتب الأفشين إلى ابن اصطفانوس أن يوجِّه إليه يعبد الله ؛ فوجه به ابن اصطفانوس إلى الأفشين ، فلما صار في يد الأفشين حبسه مع أخيه في بيت واحد ؛ ووكَّل بهما قوماً يحفظونهما .

وكتب الأفشين إلى المعتصم بأخذه بابك وأخاه ، فكتب المعتصم إليه يأمره بالقدوم بهما ^(١) عليه ، فلما أراد أن يسير إلى العراق وجَّه إلى بابك فقال : إني أريد أن أسافر بك ، فانظر ما تشتهي من بلاد أذربيجان ، فقال : أشتي أن أنظر إلى مدينتي . فوجَّه معه الأفشين قوماً في ليلة مُقَمَّرة إلى البلد حتى دار فيه ، ونظر إلى القتل والبيوت ^(٢) إلى وقت الصبح ، ثم رده إلى الأفشين ؛ وكان الأفشين قد وكَّل به رجلاً من أصحابه فاستغفاه منه بابك ، فقال له الأفشين : لم استغفيت منه ؟ قال : يجيء ويده ملأى غمراً ^(٣) ، حتى ينام عند رأسي فيؤذني ريحها . فأعفاه منه .

وكان وصول بابك إلى الأفشين ببرزند لعشر خلون من شوال بين بوزبارة وديوداذ .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

(١) ف ؛ « بقاومهما » . (٢) ف : « في البيوت » . (٣) الغمر : ريح اللحم .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر قدوم الأفشين ببابك على المعتصم]

فمن ذلك قدوم الأفشين على المعتصم ببابك وأخيه ، ذكر أن قدومه عليه به كان ليلة الخميس لثلاث خلون من صفر بسامرا ، وأن المعتصم كان يوجه إلى الأفشين كل يوم من حين فصل من برزند إلى أن وافى سامرا فرسا وخيلعة ، وأن المعتصم لعنايته بأمر بابك وأخباره ولفساد الطريق بالثلج وغيره ، جعل من سامرا إلى عقبة خلون خيلا مضمرة^(١) ، على رأس كل فرسخ فرسا معه مجر مرتب ؛ فكان يركض بالخبر ركضا حتى يؤديه من واحد إلى واحد ، يبدأ بيد ؛ وكان ما خلت خلون إلى أذربيجان قدرته وافية المرج ؛ فكان يركض بها يوما أو يومين ثم تبدل ويصير غيرها ؛ ويحمل عليها غلمان من أصحاب المرج كل دابة على رأس فرسخ ، وجعل لهم دياذبة على رموس الجبال بالليل والنهار ، وأمرهم أن ينعروا إذا جاءهم الخبر ؛ فإذا سمع الذي يليه النعير تهيأ فلا يبلغ إليه صاحبه الذي نعر حتى يقف له على الطريق ؛ فيأخذ الخريطة منه ؛ فكانت الخريطة تصل من عسكر الأفشين إلى سامرا في أربعة أيام وأقل ؛ فلما صار الأفشين بقناطر حذيفة تلقاه هارون بن المعتصم وأهل بيت المعتصم ؛ فلما صار الأفشين ببابك إلى سامرا أنزله الأفشين في قصره^(٢) بالمطيرة ؛ فلما كان في جوف الليل ذهب أحمد بن أبي دواد متنكرا ، فرآه وكلمه ، ثم رجع إلى المعتصم ، فوصفه له ، فلم يصبر المعتصم حتى ركب إليه بين الحائطين في الحير ؛ فدخل إليه متنكرا ، ونظر إليه وتأمله ، وبابك لا يعرفه ؛ فلما كان من غد قعد له المعتصم يوم اثنين أو خميس ، واصطف الناس من باب العامة إلى المطيرة ، وأراد المعتصم أن يشهره ويريه الناس ، فقال : على أي

شيء يُحمل هذا ؟ وكيف يُشهر ! فقال حزام : يأمر المؤمنين ؛ لا شيء أشهر من الفيل ، فقال : صدقت ؛ فأمر بتهيئة الفيل ، وأمر به فجعل في قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة ؛ وهو وحده ؛ فقال محمد بن عبد الملك الزيات :

قد خُصِبَ الفيلُ كعادته يحملُ شيطانَ خراسانِ
والفيلُ لا تُخَصَّبُ أعضاؤه إلا لذي شأنٍ من الشأنِ

فاستشرفه الناس من المطيرة إلى باب العامة ؛ فأدخل دار العامة إلى أمير المؤمنين ، وأحضر جزأراً ليقطع يديه ورجليه ؛ ثم أمر أن يحضر سيافه ، فخرج الحاجب من باب العامة ؛ وهو ينادى : نودنود — وهو اسم سياف بابل — فارتفعت الصيحة بنودنود حتى حضر ، فدخل دار العامة ، فأمره^(١) أمير المؤمنين أن يقطع يديه ورجليه ، فقطعهما فسقط ، وأمر أمير المؤمنين بذبحه وشق بطن أحدهما ، ووجه برأسه إلى خراسان ، وصلب بدنه بسامراً عند العقبة ، فوضع خشبته مشهور ، وأمر بحمل أخيه عبد الله مع ابن شروين الطبري إلى إسحاق بن إبراهيم خليفته بمدينة السلام ، وأمره بضرب عنقه ، وأن يفعل به مثل ما فعل بأخيه ، وصلبه ؛ فلما صار به الطبري إلى البردان ، نزل به ابن شروين في قصر البردان ، فقال عبد الله أخو بابل لابن شروين : من أنت ؟ فقال : ابن شروين ملك طبرستان ، فقال : الحمد لله الذي وفق لي رجلاً من الدهاقين يتولى قتلي . قال : إنما يتولى قتلك هذا — وكان عنده نودنود ، وهو الذي قتل بابل — فقال له : أنت صاحبي ، وإنما هذا علج ، فأخبرني ، أأمرت أن تطعمني شيئاً أم لا ؟ قال : قل ما شئت ، قال : اضرب لي فالودجة ، قال : فأمر فضربت له فالودجة في جوف الليل ، فأكل منها حتى تمتلأ ، ثم قال : يا أبا فلان ، ستعلم غداً أنني دهاق إن شاء الله . ثم قال : تقدر أن تسقيني نبيذا ؟ قال : نعم ، ولا تكثير^(٢) ، قال : فإني لا أكثُر ، قال : فأحضر أربعة أرتال خمر ، فقمعد فشربها على مهل إلى قريب من الصبح ، ثم رحل

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « ولا بكثير » .

(١) ف : « فأمر » .

في السَّحَر ، فوافى به مدينة السلام ، ووافى به رأس الجسر ، وأمر إسحاق ابن إبراهيم بقطع يديه ورجليه ، فلم ينطق ولم يتكلم ، وأمر بصلبه فُصِّلِب في الجانب الشرقي بين الجسرَيْن بمدينة السلام .

١٢٣٢/٣

* * *

وذكر عن طَوْق بن أحمد ، أن بابك لما هرب صار إلى سهل بن سنباط فوجه الأفشين أبا سعيد وبوزبارة ، فأخذاه منه ، فبعث سهل مع بابك بمعاوية ابنه ^(١) إلى الأفشين ، فأمر لمعاوية بمائة ألف درهم ، وأمر لسهل بألف ^(٢) ألف درهم استخرجها له من أمير المؤمنين ، ومنطقة مغرقة بالجوهر وتاج البطرقة ، فبطرق ^(٣) سهل بهذا السبب ، والذي كان عمده عبد الله أخو بابك عيسى بن يوسف المعروف بابن أخت اصطفانوس ملك البَيْسَلْقَان .

وذكر عن محمد بن عمران كاتب علي بن مر ، قال : حدثني علي بن مر ، عن رجل من الصعاليك يقال له مطر ، قال : كان والله يا أبا الحسن بابك ابني ، قلت : وكيف ؟ قال : كنا مع ابن الرواد ، وكانت أمه تترتوميد العوراء من علوج ابن الرواد ، فكنت أنزل عليها ، وكانت مصكة ^(٤) ، فكانت تخدمني وتغسل ثيابي ، فنظرت إليها يوماً ، فواثبتها بشبق السفر وطول الغربة ، فأقررتني في رحمها . ثم قال : غبنا غيبة بعد ذلك ، ثم قدمنا فإذا هي تطلبنني ^(٥) ، فنزلت في منزل آخر ، فصارت إلى يوماً ، فقالت : حين ملأت بطني تنزل ها هنا وتركني ! فأذاعت أنه مني ، فقلت : والله لئن ذكرتنني لأقتلنك ، فأمسكت عني ، فهو والله ابني .

وكان يُجَزَى الأفشين في مقامه بإزاء بابك سوى الأرزاق ، والأنزال والمعاون في كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم ، وفي كل يوم لا يركب فيه خمسة آلاف درهم .

١٢٣٢/٣

وكان جميع من قتل بابك في عشرين سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين

(٢) س : « بمائة ألف درهم » .

(١) ف : « بابنه معاوية » .

(٤) المصكة : القوية .

(٣) كذا في أ ، وفي ط من غير نقط .

(٥) كذا في أ ، وفي ط : « تطلق » .

ألفاً وخمسمائة إنسان . وظلب يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبي خالد وأحمد بن الجُنَيْد، وأسره وُزْرِيق بن عليّ بن صدقة ومحمد بن حميد الطوسي وإبراهيم بن الليث، وأسیر مع بابك ثلاثة آلاف وثلاثمائة وتسعة أناسي، واستُنْقِذَ ممن كان في يده من المسلمين وأولادهم سبعة آلاف وسمائة إنسان، وعدة ممن صار في يد الأفشين من بني بابك سبعة عشر رجلاً ومن البنات والكنانات ثلاث وعشرون امرأة، فتوّج المعتصم الأفشين وألبسه وشاحين بالجوهر، ووصله بعشرين ألف ألف درهم، منها عشرة آلاف ألف صلبة وعشرة آلاف ألف درهم يفرقها في أهل عسكره، وعقد له على السند وأدخل عليه الشعراء يمدحونه، وأمر للشعراء بصِلات، وذلك يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر، وكان مما قيل فيه قول أبي تمام الطائي :

بَدُّ الْجَلَادُ الْبَدُّ فَهُوَ دَفِينُ	مَا إِنَّ بِهِ إِلَّا الْوَحْشُ قَطِينُ ^(١)
لَمْ يَقْرَ هَذَا السِّيفُ هَذَا الضَّرِيرُ	هَيْجَاءُ إِلَّا عَزَّ هَذَا الدِّينُ
قَدْ كَانَ عُذْرَةٌ سُودَدٍ فَافْتَضَّهَا	بِالسِّيفِ فَخُلُ الْمَشْرِقِ الْأَفْشِينُ
فَأَعَادَهَا تَعَوَّى الثَّعَالِبُ وَشَطَّهَا	وَلَقَدْ تُرَى بِالْأَمْسِ وَهِيَ هَرِينُ
هَطَلَتْ عَلَيْهَا مِنْ جَمَاجِمِ أَهْلِهَا ^(٢)	دِيمُ أَمَارَتِهَا طُلَى وَشْتُونُ
كَانَتْ مِنَ الْمُهْجَاتِ قَبْلُ مُفَارَاةً ^(٣)	عَسِيرًا، فَأَضَحَتْ وَهِيَ مِنْهُ مُعِينُ ^(٤)

[ذكر خبر إيقاع الروم بأهل زبطرة]

وفي هذه السنة أوقع تَوْفِيل بن ميخائيل صاحب الروم بأهل زِبَطْرَةَ ، فأسّرهم وخرّب بلادهم، ومضى من فوره إلى مَكَاطِيَّة فَأَغَارَ عَلَى أَهْلِهَا وَعَلَى أَهْلِ حصون من حصون المسلمين ؛ إلى غير ذلك ؛ وسبأ من المسلمين - فيما قيل - أكثر من ألف امرأة ، ومثل بمن صار في يده من المسلمين ، وسمل أعينهم ، وقطع آذانهم وآنافهم .

(٢) ديوانه : « جادت عليها » .

(١) ديوانه ٣ : ٣١٦ .

(٣) ديوانه . « كانت من الدم قبل ذاك » . (٤) ديوانه : « غرماً فأست » .

• ذكر الخبر عن سبب فعل صاحب الروم بالمسلمين ما فعل من ذلك :
 "ذكر أن السبب في ذلك كان ما لحق بابك من تضيق الأفشين عليه
 وإشرافه على الهلاك ، وقهر الأفشين إياه ؛ فلما أشرف على الهلاك ، وأيقن
 بالضَّعْف من نفسه عن حربه ، كتب إلى ملك الروم تَوْفِيل بن ميخائيل بن
 جُورجس ؛ يعلمه أن ملك العرب قد وجّه عساكره ومقاتلته إليه حتى وجّه
 خيَاطَه - يعنى جعفر بن دينار - وطباخه - يعنى إيتاخ - ولم يبقَ على بابهِ
 أحد ؛ فلأن أردت الخروج إليه فاعلم أنه ليس في وجهك أحد يمنعك ؛ طمعاً
 منه بكتابه ذلك إليه في أن ملك الروم إن تحرّك انكشف عنه بعض ما هو
 فيه يصرف المعتصم بعض مَنّ بإزائه من جيوشه إلى ملك الروم ، واشتغاله به عنه .

١٢٣٥/٣

فذكر أن تَوْفِيل خرج في مائة ألف - وقيل أكثر - فيهم من الجند نيّف
 وسبعون ألفاً ، وبقيتهم أتباع حتى صار إلى زِبْطُرة ، ومعه من الحمّرة الذين
 كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب
 جماعة رئيسهم بارسيس^(١) . وكان ملك الروم قد فرّض لهم ، وزوَّجهم وصيرهم
 مقاتلة يستعين بهم في أهمّ أموره إليه ؛ فلما دخل ملك الروم زِبْطُرة وقتل
 الرجال الذين فيها ، وسبى الذراري والنساء التي فيها وأحرقها ، بلغ النفير - فيما
 ذكر - إلى سامراً ، وخرج أهل ثغور الشام والجزيرة وأهل الجزيرة إلا من لم
 يكن عنده دابة ولا سلاح ، واستعظم المعتصم ذلك .

فذكر أنه لما انتهى إليه الخبر بذلك صاح في قصره النفير ، ثم ركب دابته
 وممَّط خلفه شيكالا وسكة حديد وحقيبة ، فلم يستقم له أن يخرج إلا بعد
 التعبية ، فجلس - فيما ذكر - في دار العامة ، وقد أحضر من أهل مدينة
 السلام قاضيها عبد الرحمن بن إسحاق وشعيب^(٢) بن سهيل ، ومعهما ثلثمائة
 وثمانية وعشرون رجلاً من أهل العدالة ، فأشهدهم على ما وقف من الضياع ،
 فجعل ثلثاً لولده ، وثلثاً لله ، وثلثاً لمواليه . ثم عسكر بغربى دجلة ؛ وذلك
 يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى .

١٢٣٦/٣

(٢) ابن الأثير : « وشعبة » .

(١) : « باديس » .

ووجه عَجِيف بن عنبة وعمرأ^(١) الفرغانيّ ومحمد كُوتَة^(٢) وجماعة من القُود إلى زِبَطْرَة إعانة لأهلها ، فوجدوا ملك الروم قد انصرف إلى بلاده بعد ما فعل ما قد ذكرناه ، فوقفوا قليلا ؛ حتى تراجع الناس إلى قراهم ، واطمأنّوا . فلما ظفّر المعتصم ببابك ، قال : أى بلاد الروم أمنع وأحصن ؟ فقيل : عمُورِيّة ، لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإسلام ، وهى عين النصرانية وبُنُكها^(٣) ؛ وهى أشرف عندهم من القسطنطينيّة .

• • •

[ذكر الخبر عن فتح عمُورِيّة]

وفى هذه السنة شخص المعتصم غازياً إلى بلاد الروم . وقيل كان شخصه إليها من سامراً فى سنة أربع وعشرين ومائتين - وقيل فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين - بعد قتله بابك .

فذكر أنه تجهّز جهازاً لم يتجهّز مثله قبله خليفة قطّ ، من السلاح والعُدّ والآلة وحياض الأدمّ والبغال والروايا والقِرَب وآلة الحديد والنقّط ، وجعل على مقدّمته أَشِناس ، ويتلوه محمد بن إبراهيم ، وعلى يمينته إيتاخ ، وعلى يسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الحياط ، وعلى القلب عَجِيف بن عنبة .

ولما دخل بلاد الروم أقام على نهر اللّمس^(٤) . وهو على سَلَوَقيّة قريباً من البحر ، بينه وبين طرسُوس مسيرة يوم ، وعليه يكون القداء إذا فُودى بين المسلمين والروم ، وأمضى المعتصم الأفشين خيذر^(٥) بن كاوس إلى سَرُوج ، وأمره بالبروز منها والدخول من درب الحدّث ، وسمّى له يوماً أمره أن يكون دخوله فيه ، وقدّر لعسكره وعسكر أَشِناس يوماً جعله بينه وبين اليوم الذى يدخل فيه الأفشين ، بقدر ما بين المسافتين إلى الموضع الذى رأى أن يجتمع العساكر فيه - وهو أنقرة - ودبّر النزول على أنقرة ، فإذا فتحها الله عليه صار

(١) ابن الأثير : « وعمرأ » . (٢) ابن الأثير : « كوتاه » .

(٣) البُك ، بالضم : أصل الشيء وخالصة .

(٤) ابن الأثير : « السن » .

(٥) ط : « حيدر » ، وانظر الفهرس والتصويبات .

إلى عمورية، إذ لم يكن شيء مما يقصد له من بلاد الروم أعظم من هاتين المدينتين، ولا أخرى أن تجعل هابته التي يؤتمها.

وأمر المعتصم أشناس أن يدخل من درب طرسوس، وأمره بانتظاره بالصفصاف فكان شخوص أشناس يوم الأربعاء لثمان بقين من رجب، وقدّم المعتصم وصيفاً في أثر أشناس على مقدّمات المعتصم، ورحل المعتصم يوم الجمعة لست بقين من رجب.

فلما صار أشناس بمرج الأسقف، ورد عليه كتاب المعتصم من المطامير يعلمه أن الملك بين يديه، وأنه يريد أن يجوز العساكر اللبس، فيقف على الخاضعة، فيكبسهم، ويأمره بالمقام بمرج الأسقف - وكان جعفر بن دينار على ساقعة المعتصم - وأعلم المعتصم أشناس في كتابه أن ينتظر موافاة الساقعة، لأن فيها الأتقال والمجانيق والزاد وغير ذلك؛ وكان ذلك بعد في مضيق الدرب لم يخلص، ويأمره بالمقام إلى أن يتخلص صاحب الساقعة من مضيق الدرب بمن معه، ويصحر حتى يصير في بلاد الروم.

١٢٣٨/٣

فأقام أشناس بمرج الأسقف ثلاثة أيام؛ حتى ورد كتاب المعتصم، يأمره أن يوجه قائداً من قواده في سرية بلبتمسون رجلاً من الروم، بسألونه عن خبر الملك ومن معه، فوجه أشناس عمرأ الفرغاني في مائتي فارس، فسادوا ليلتهم حتى أتوا حصن قرّة فخرجوا بلبتمسون رجلاً من حول الحصن؛ فلم يمكن ذلك، ونذر بهم صاحب قرّة، فخرج في جميع^(١) فرسانه الذين كانوا معه بالقرّة، وكن في الجبل الذي فيما بين قرّة ودرة؛ وهو جبل كبير يحيط برستاق يسمى رستاق قرّة، وعلم عمرو الفرغاني أن صاحب قرّة قد نذر بهم، فتقدّم إلى درّة، فكنن بها ليلته؛ فلما انفجر عمود الصبح صير عسكره ثلاثة كراديس، وأمرهم أن يركضوا ركضاً سريعاً، بقدر ما يأتونه بأسير عنده خبر الملك، ووعدهم أن يوافوهم به في بعض المواضع التي عرفها الأدلاء، ووجه مع كل كردوس دليلين.

وخرجوا مع الصبح ، فتفرقوا في ثلاثة وجوه ؛ فأخذوا عيدة من الروم ؛
بعضهم من أهل عسكر الملك ، وبعضهم من الضواحي ؛ وأخذ عمرو رجلاً
من الروم من فرسان أهل القرّة ، فسأله عن الخبر ؛ فأخبره أن الملك وعسكره
بالقرب منه وراء اللّمس بأربعة فراسخ ، وأنّ صاحب قرّة نذر بهم في
ليلتهم^(١) هذه ، وأنه ركب فكمّن^(٢) في هذا الجبل فوق رعوسهم ؛ فلم يزل
عمرو في الموضع الذي كان وعد فيه أصحابه ، وأمر الأدلاء الذين معه أن
يتفرقوا في رعوس الجبال ، وأن يشرفوا على الكراديس الذين وجههم إشفاقاً أن
يخالفهم صاحب قرّة إلى أحد الكراديس ، فرآهم الأدلاء ، ولوّحوا^(٣) لهم ،
فأقبلوا فتوافواهم وعمرو في موضع غير الموضع الذي كانوا اتعدوا له ، ثم نزلوا
قليلاً ، ثم ارتحلوا يريدون العسكر ، وقد أخذوا عدة ممن كان في عسكر الملك ،
فصاروا^(٤) إلى أشناس في اللّمس ، فسألهم عن الخبر ، فأخبروه أن الملك
مقيم منذ أكثر من ثلاثين يوماً ينتظر عبور المعتصم ومقدّمه باللّمس ؛ فيواقعهم
من وراء اللّمس ، وأنه جاءه الخبر قريباً ؛ أنه قد رحل من ناحية الأرمنيّاق
عسكرٌ ضخم ، وتوسط البلاد - يعني عسكر الأفشين - وأنه قد صار خلفه .

فأمر الملك رجلاً من أهل بيته ابن خاله ، فاستخلفه على عسكره ، وخرج
ملك الروم في طائفة من عسكره يريد ناحية الأفشين ، فوجّه أشناس بذلك
الرجل الذي أخبره بهذا الخبر إلى المعتصم ، فأخبره بالخبر ، فوجّه المعتصم من
عسكره قومًا من الأدلاء ، وضمّن لهم لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم ؛
على أن يوافقوا بكتابه الأفشين ، وأعلمه فيه أن أمير المؤمنين مقيم ، فليقم
إشفاقاً من أن يواقعه ملك الروم . وكتب إلى أشناس كتاباً يأمره أن يوجه من
قبيله رسولا من الأدلاء الذين يعرفون الجبال والطرق والمشبهة^(٥) بالروم ،
وضمّن لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم إن هو أوصل الكتاب ، ويكتب
إليه أن ملك الروم قد أقبل نحوه فليقم مكانه حتى يوافيه كتاب أمير المؤمنين .
فتوجّهت الرسل إلى ناحية الأفشين ، فلم يلحقه أحد منهم ؛ وذلك أنه كان

(١) ف : « ليلته » . (٢) س : « وكن » . (٣) س : « فلوّحوا » .

(٤) ف : « وصاروا » . (٥) ا : « والتشبهة » .

وغل^(١) في بلاد الروم، وتوافت آلات المعتصم وأثقاله مع صاحب الساقة إلى العسكر، فكتب إلى أشناس يأمره بالتقدم؛ فتقدم أشناس والمعتصم من ورائه، بينهم مرحلة، ينزل هذا ويرحل هذا. ولم يرد عليهم من الأفشين خبر؛ حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل؛ وضاق عسكر المعتصم ضيقاً شديداً من الماء والعطش.

وكان أشناس قد أسر عدة أسرى في طريقه، فأمر بهم فضربت أعناقهم حتى بقي منهم شيخ كبير؛ فقال الشيخ: ما تستفع^(٢) بقتلي؛ وأنت في هذا الضيق، وعسرك أيضاً في ضيق من الماء والزداد، وما هنا قوم قد هربوا من أنقرة خوفاً من أن ينزل بهم ملك العرب؛ وهم بالقرب منا هنا^(٣)، معهم من الميرة والطعام^(٤) والشعير شيء كثير، فوجه معي قوماً لأدفعهم إليهم، وخل سبيلي!

فنادى منادى أشناس: من كان به نشاط فليركب، فركب معه قريب من خمسمائة فارس؛ فخرج أشناس حتى صار من العسكر على ميل، وبرز معه من نشاط من الناس، ثم برز فضرب دابته بالسوط، فركض قريباً من ميلين ركضاً شديداً، ثم وقف ينظر إلى أصحابه خلفه؛ فمن لم يلحق بالكردوس لضعف دابته رده إلى العسكر، ودفع الرجل الأسير إلى مالك بن كيندر، وقال له: متى ما أراك هذا سبباً وغنيمة كثيرة فخل سبيله على ما ضميناً له. فسار^(٥) بهم الشيخ إلى وقت العتمة، فأوردهم على واد وحشيش كثير، فأمرج^(٦) الناس دوابهم في الحشيش حتى شبت، وتعشى الناس وشربوا حتى رَووا، ثم سار بهم حتى أخرجهم من الغيضة، وسار أشناس من موضعه الذي كان به متوجهاً إلى أنقرة.

١٢٤١/٣

وأمر مالك بن كيدر والأدلاء الذين معه أن يوافئوه بأنقرة، فسار بهم الشيخ العليج بقية ليلتهم يدور بهم في جبل ليس يخرجهم منه، فقال الأدلاء

(١) ابن الأثير: «أغل».

(٢) ف: «ما يشتفع».

(٣) ف: «من هاهنا».

(٤) ف: «من الطعام وغيره».

(٥) ف: «وسار».

(٦) أمروا دوابهم: جعلوها تربي.

لمالك بن كيدر : هذا الرجل يدور بنا ، فسأله مالك عما ذكر الأدلاء ، فقال : صدقوا ، القوم الذين تريدونهم خارج الجبل ، وأخاف أن أخرج من الجبل بالليل فيسمعوا صوت حوافر الخيل على الصخر ، فيهربوا ، فإذا خرجنا من الجبل ولم نر أحداً قتلني ، ولكن أدور بك في هذا الجبل إلى الصبح ، فإذا أصبحنا خرجنا إليهم ، فأريتلك إياهم حتى آمن ألا تقتلني . فقال له مالك : ويحك ! فأنزلنا في هذا الجبل حتى نستريح ، فقال : رأيك ؟ فنزل مالك ونزل الناس على الصخرة ، وأمسكوا لُجَم دوابهم حتى انفجر الصبح ^(١) ، فلما طلع الفجر قال : وجهوا رجلين يصعدان هذا الجبل ، فينظران ما فوقه ، فيأخذان مَن أدركا فيه ، فصعد أربعة من الرجال ^(٢) ، فأصابوا رجلاً وامرأة ، فأنزلوهما ، فسألهما العليج : أين بات أهل أنقرة ؟ فسموا لهم الموضع الذي باتوا فيه ، فقال للمالك : خلّ عن هذين ، فإننا قد أعطيناهما الأمان حتى دلّونا ، فخلّى مالك عنهما ، ثم سار بهم العليج إلى الموضع الذي سماه لهم ، فأشرف بهم على العسكر عسكر أهل أنقرة ، وهم في طرف الملاحّة ، فلما رأوا العسكر صاحوا بالنساء والصبيان ، فدخلوا الملاحّة ، ووقفوا لهم على طرف الملاحّة يقاتلون بالقنا ، ولم يكن موضع حجارة ولا موضع خيل ، وأخذوا منهم عدّة أسرى ، وأصابوا في الأسرى عدّة بهم جراحات عتق ^(٣) من جراحات متقدمة ، فسألوهم عن تلك الجراحات ، فقالوا : كنا في وقعة الملك مع الأفشين ، فقالوا لهم : حدّثونا بالقضية . فأخبرهم أن الملك كان معسكراً على أربعة فراسخ من اللّمس ، حتى جاءه رسول ، أن عسكراً ضخماً قد دخل من ناحية الأرمنياق ، فاستخلف على عسكره رجلاً من أهل بيته ، وأمره بالمقام في موضعه ، فإن ورد عليه مقدّمة ملك العرب ، واقعه إلى أن يذهب هو فيواقع العسكر الذي دخل الأرمنياق — يعني عسكر الأفشين — فقال أميرهم : نعم ؛ وكنت ممن سار مع الملك ، فواقعناهم صلاة الغداة فهزمناهم ، وقتلنا رجالتهم كلّهم ، وتقطعت عساكرنا في طلبهم ؛ فلما كان الظهر رجع فرسانهم ، فقاتلونا قتالاً شديداً حتى حرقوا

(١) س : « الفجر » .

(٢) س : « الرجال » .

(٣) عتق : جمع عاتق ، وهو القديم .

عسكرنا ، واختلطوا بنا واختلطنا بهم ؛ فلم ندر في أى كُردوس الملك ! فلم نزل كذلك إلى وقت العصر ، ثم رجعنا^(١) إلى موضع عسكر الملك الذى كنا فيه فلم نصادفه ، فرجعنا إلى موضع معسكر الملك الذى خلقه على اللّمس ، فوجدنا العسكر قد انتقض ، وانصرف الناس عن الرّجل قرابة الملك الذى كان الملك استخلفه على العسكر ؛ فأقمنا على ذلك ليلتنا ؛ فلما كان الغد ، وافانا الملك في جماعة يسيرة ، فوجد عسكره قد اختل ، وأخذ الذى استخلفه على العسكر ، فضرب عنقه ، وكتب إلى المدن والحصون ألاّ يأخذوا رجلاً من انصرف من عسكر الملك إلاّ ضربه بالسياط ، أو يرجع إلى موضع سماه لهم الملك انحاز إليه ليجتمع إليه الناس ، ويعسكر به ، لينا هض ملك العرب ؛ ووجه خادماً له خصياً إلى أنقرة على أن يقيم بها ، ويحفظ أهلها إن نزل بها ملك العرب .

قال الأسير : فجاء الحصى إلى أنقرة ، وجثنا معه ، فإذا أنقرة قد عطّلها أهلها ، وهربوا منها ، فكتب الحصى إلى ملك الروم يعلمه ذلك ، فكتب إليه الملك يأمره بالمسير إلى عمورية .

قال : وسألت عن الموضع الذى قصد إليه أهلها — يعنى أهل أنقرة — فقالوا لى : إنهم بالملاحاة فلاحقنا بهم .

قال مالك بن كيدر : فدعوا الناس كلهم ، خذوا ما أخذتم ، ودعوا الباقي ، فترك الناس السبى والمقاتلة وانصرفوا راجعين^(٢) يريدون عسكر أشناس ، وساقوا في طريقهم غنماً كثيراً وبقراً ، وأطلق ذلك الشيخ الأسير مالك ، وسار إلى عسكر أشناس بالأمرى ؛ حتى لحق بأنقرة ، فكث أشناس يوماً واحداً ، ثم لحقه المعتصم من غد ؛ فأخبره بالذى أخبره به الأسير ، فُسّر المعتصم بذلك . فلما كان اليوم الثالث جاءت البشرى من ناحية الأفشين يخبرون بالسلامة ، وأنه وارد على أمير المؤمنين بأنقرة .

قال : ثم ورد على المعتصم الأفشين بعد ذلك اليوم بيوم بأنقرة ، فأقاموا بها

(١) ف : « ثم رجعوا » .

(٢) س : « ورجعوا منصرفين » .

أياماً ، ثم صيّر العسكر ثلاثة عساكر : عسكر فيه أشناس في الميسرة ، والمعتمصم في القلب ، والأفشين في الميمنة ؛ وبين كل عسكر وعسكر فرسخان ، وأمر كل عسكر منهم أن يكون له ميمنة وميسرة ، وأن يحرّقوا القرى ويخربوها ، ويأخذوا مَنْ لحقوا فيها من السَّبْي ، وإذا كان وقت النزول توافى كلُّ أهل عسكر إلى صاحبهم ورئيسهم ، يفعلون ذلك فيما بين أنقرة إلى عَمُورِيَّة ؛ وبينهما سبع مراحل ؛ حتى توافت العساكر بعمُورِيَّة .

قال : فلما توافت العساكر بعمُورِيَّة ، كان أوّل مَنْ وردها أشناس ؛ ورَدَها يوم الخميس ضَحْوَةً ، فدار حولها دَوْرَةٌ ، ثم نزل على ميلين منها بموضع فيه ماء وحشيش ؛ فلما طلعت الشمس من الغد ، ركب المعتمصم ، فدار حولها دَوْرَةٌ ، ثم جاء الأفشين في اليوم الثالث ، فقسمها أمير المؤمنين بين القواد كما تلور ؛ صيّر إلى كل واحد منهم أبراجاً منها على قدر كثرة أصحابه وقتلهم ، وصار لكل قائد منهم ما بين البرجين إلى عشرين برجاً ، وتحصّن أهل عَمُورِيَّة وتحرّزوا .

١٢٤٥/٣

وكان رجلٌ من المسلمين قد أسره أهل عَمُورِيَّة ، فتنصّر وتزوج فيهم ^(١) ، فحبس نفسه عند دخولهم الحصن ، فلما رأى أمير المؤمنين ظهر وصار إلى المسلمين ، وجاء إلى المعتمصم ، وأعلمه ^(٢) أن موضعاً من المدينة حمل الوادي عليه من مطر جاءهم شديد ، فحمل الماء عليه ، فوقع السور من ذلك الموضع ، فكتب ملك الروم إلى عامل عَمُورِيَّة أن يبني ذلك الموضع ، فتوانى في بنائه حتى كان خروج الملك من القسطنطينية إلى بعض المواضع ، فتخوّف الوالى أن يمرّ الملك على تلك الناحية فيمرّ بالسور ، فلا يراه بُنْي ، فوجّه خلف الصنّاع فبنى وجه السور بالحجارة حجراً حجراً ، وصيّر وراءه من جانب المدينة حشواً ، ثم عقد فوقه الشرف كما كان ، فوقف ذلك الرجل المعتمصم على هذه الناحية التي وصف ، فأمر المعتمصم فضرب مضربه في ذلك الموضع ، ونصب المجانيق على ذلك البناء ، فانفرج السور من ذلك الموضع ، فلما رأى أهل عَمُورِيَّة انفراج

(١) ف : « منهم » .

(٢) ف ، ا : « وأعلمه » .

السور ، علقوا عليه الخشب الكبار ، كل واحد بلزق الأخرى ؛ فكان حجر المنجنيق إذا وقع على الخشب تكسر ، فعلقوا^(١) خشباً غيره ، وصبّروا فوق الخشب البراذع ليترسوا السور .

فلما ألحّت المجانيق على ذلك الموضع ، انصدع السور ، فكتب ياطس والخصي^١ إلى ملك الروم ، كتاباً يعلمانه أمر السور ، ووجّهها الكتاب مع رجل فصيح بالعربية وغلّام رومي ، وأخرجاهما من القفصيل ، فعبرا الخندق ، ووقعا إلى ناحية أبناء الملوك المضمومين إلى عمرو الفرغاني ، فلما خرجا من الخندق أنكر وهما ، فسألوهما : من أين أنتم ؟ قالاهما : نحن من أصحابكم ، قالوا : من أصحاب من ؟ أنتم ؟ فلم يعرفا أحداً من قواد أهل العسكر يسميانه لم ، فأنكروهما ، وجاءوا بهما إلى عمرو الفرغاني بن أربخا ، فوجّه بهما عمرو إلى أشناس ، فوجّه بهما أشناس إلى المعتصم ، فساءلهما المعتصم ، وفتشهما ، فوجد معهما كتاباً من ياطس إلى ملك الروم ، يعلمه فيه أن العسكر قد أحاط بالمدينة في جَمْع كثير ، وقد ضاق بهم الموضع . وقد كان دخوله ذلك الموضع خطأ - وأنه قد اعتزم على أن يركب ، ويحمل خاصة أصحابه على الدواب التي في الحصن ، ويفتح الأبواب ليلاً غفلة ، ويخرج فيحمل على العسكر كائناً فيه ما كان ؛ أفلت فيه من أفلت ، وأصيب فيه من أصيب ؛ حتى يتخلص من الحصار ، ويصير إلى الملك .

١٢٤٦/٣

فلما قرأ المعتصم الكتاب أمر للرجل الذي يتكلّم منهما بالعربية والغلّام الرومي الذي معه ببسّرة ، فأسلما وخلع عليهما ، وأمر بهما حين طلعت الشمس فأداروهما حول سمورية ، فقالا : ياطس يكون في هذا البرج ، فأمر بهما فوقفا بجذاء البرج الذي فيه ياطس طويلاً ، وبين أيديهما رجلان يحملان لهما الدراهم وعليهما الخلع ، ومعهما الكتاب حتى فهمهما ياطس وجميع الروم ، وشتموهما من فوق السور ، ثم أمر بهما المعتصم ففتحوهما ، وأمر المعتصم أن يكون الحراسة بينهم نواب ؛ في كل ليلة يحضرها الفرسان ، يبيتون على دوابهم بالسلاح

١٢٤٧/٣

وهم وقوف عليها؛ لئلا يُفتح الباب ليلاً ، فيخرج من عمورية إنسان ، فلم يزل الناس يبيتون كذلك نواب على ظهور الدواب في السلاح ودوابهم بسروجها ، حتى انهزم السور ما بين بُرجين من الموضع الذي وصف للمعتصم أنه لم يحكم عمله .

وسمع أهل العسكر الوجبة فتشوقوا ، وظنوا أن العدو قد خرج على بعض الكراديس حتى أرسل المعتصم من طاف على الناس في العسكر يعلمهم أن ذلك صوت السور وقد سقط ، فطيبوا نفساً .

وكان المعتصم حين نزل عمورية ونظر إلى سعة خندقها وطول سورها ؛ وكان قد استاق في طريقه غنماً كثيرة ، فدبر في ذلك أن يتخذ مجانيق كباراً على قدر ارتفاع السور ، يسع ^(١) كل منجنيق منها أربعة رجال ، وعملها أوثق ما يكون وأحكمه ، وجعلها على كراسي تحتها عجل ، ودبر في ذلك أن يدفع ^(٢) الغنم إلى أهل العسكر إلى كل رجل شاة ، فأكل لحمها ، ويحشو جلودها تراباً ثم يؤتى بالجلود مملوءة تراباً ؛ حتى تطرح في الخندق .

ففعل ذلك بالخندق ، وعمل دبابات كباراً تسع كل دبابة عشرة رجال ، وأحكمها على أن يدحرجها على الجلود المملوءة تراباً حتى يمتلئ الخندق ؛ ففعل ذلك ، وطُرحت الجلود فلم تقع الجلود ، مستوية منضدة خوفاً منهم من حجارة الروم ، فوقعت مختلفة ؛ ولم يمكن تسويتها ، فأمر أن يطرح فوقها التراب حتى استوت ، ثم قدمت دبابة فدحرجها ، فلما صارت من الخندق في نصفه تعلقت بتلك الجلود ، وبقي القوم فيها ؛ فما تخلصوا منها إلا بعد جهد . ثم مكثت تلك العجلة مقيمة هناك ، لم يمكن فيها حيلة حتى فتحت عمورية ، وبطلت الدبابات والمنجنيقات والسلايم وغير ذلك ؛ حتى أحرقت . فلما كان من الغد قاتلهم على التسلمة ؛ وكان أول من بدأ بالحرب أشناس وأصحابه ، وكان الموضع ضيقاً ، فلم يمكنهم الحرب فيه ؛ فأمر المعتصم بالمنجنيقات الكبار التي كانت متفرقة حول السور ، فجمع بعضها إلى بعض ،

(١) ف : « يسع » .

(٢) ف : « على أن يدفع » .

وصيرَها حول الثلثة ، وأمر أن يُرمى ذلك الموضع ؛ وكانت الحرب في اليوم الثاني على الأفشين وأصحابه ، فأجادوا الحرب وتقدّموا . وكان المعتصم واقفاً على دابته يلزأ الثلثة وأشناس وأفشين وخواصّ القواد معه ؛ وكان باقي القواد الذين دون الخاصّة وقوفاً رجالة ، فقال المعتصم : ما كان أحسن الحرب اليوم ! فقال عمرو الفرغاني : الحرب اليوم أجودُ منها أمس ، وسمعتها أشناس فأمسك ؛ فلما انتصف النهار ، وانصرف المعتصم إلى مضربيه ، فتعدّى وانصرف القواد إلى مضاربهم يتعدّون ، وقرب أشناس من باب مضربه ، ترجّل له القواد كما كانوا يفعلون ؛ وفيهم عمرو الفرغاني وأحمد بن الخليل بن هشام ، فشوا بين يديه كعادتهم ^(١) عند مضربه ، فقال لهم أشناس : يا أولاد الزنا ، أبشّ تمشون بين يدي ^(٢) ! كان ينبغي أن تقاتلوا أمس حيث تقفون ^(٣) بين يدي أمير المؤمنين ، فتقولون : إن الحرب اليوم أحسن منها أمس ؛ كان أمس يقاتل غيركم ، انصرفوا إلى مضاربكم .

١٢٤٩/٣

فلما انصرف عمرو الفرغاني وأحمد بن الخليل بن هشام ، قال أحدهما للآخر : أما ترى هذا العبد ابن الفاعلة — يعني أشناس — ما صنع بنا اليوم ! أليس الدخول إلى بلاد الروم أهونَ من هذا الذي سمعناه اليوم ! فقال عمرو الفرغاني لأحمد بن الخليل — وكان عند عمرو خبر — : يا أبا العباس ، سيكشفك الله أمره ، عن قريب أبشر . فأوهم أحمد أن عنده خبراً ، فألحّ عليه أحمد يسأله ؛ فأخبره بما هم فيه ؛ وقال : إن العباس بن المأمون قد تمّ أمره ، وسنباع له ظاهراً ، ونقتل المعتصم وأشناس وغيرهما عن قريب . ثم قال له : أشير عليك أن تأتّي العباس ، فتقدم فتكون في عداد من مال إليه . فقال له أحمد : هذا أمر لا أحسبه يتمّ ، فقال له عمرو : قد تمّ وفرغ ، وأرشدته إلى الحارث السمرقندي — قرابة سلّمة بن عبيد الله بن الوضاح ؛ وكان المتولّي لإيصال الرجال إلى العباس وأخذ البيعة عليهم — فقال له عمرو : أنا أجمع بينك وبين الحارث حتى تصير في عداد أصحابنا ، فقال له أحمد : أنا معكم إن كان هذا الأمر

١٢٥٠/٣

(٢) — بعدما في ف : « قدامى » .

(١) س : « كعادتهم » .

(٣) س : « يقومون » .

يتم فيما بيننا وبين عشرة أيام ، وإن جاوز ذلك فليس بيني وبينكم عمل ؛ فذهب الحارث ، فلقى العباس فأخبره أن عمرًا قد ذكره لأحمد بن الخليل ، فقال له : ما كنت أحب أن يطلع الخليل على شيء من أمرنا ؛ أمسكوا عنه ؛ ولا تشركوه في شيء من أمركم ، دعوه بينهما . فأمسكوا عنه .

فلما كان في اليوم الثالث كانت الحرب على أصحاب أمير المؤمنين خاصة ، ومعهم المغاربة والأتراك ، والقيّم بذلك إيتاخ ، فقاتلوا فأحسنوا واتسع لهم الموضع المنثلم ، فلم تزل الحرب كذلك حتى كثرت في الروم الجراحات . وكان قواد ملك الروم عند ما نزل بهم عسكر المعتصم اقتسموا البروج ؛ لكل قائد وأصحابه عدة أبرجة ؛ وكان الموكل بالموضع الذي انثلم من السور رجلاً من قواد الروم يقال له وندوا ، وتفسيره بالعربية «ثور» ؛ فقاتل الرجل وأصحابه قتالاً شديداً بالليل والنهار والحرب عليه وعلى أصحابه ، لم يمدّه ياطس ولا غيره بأحد من الروم ؛ فلما كان بالليل مضى القائد الموكل بالثلثة إلى الروم ، فقال : إن الحرب على وعلى أصحابي ، ولم يبق معي أحد إلا قد جرح ؛ فصيرُّوا أصحابكم على الثلثة يرمون قليلاً ؛ وإلا افتضحتم وذهبت المدينة . فأبوا أن يمدّوه بأحد ، فقالوا : سلّم السور من ناحيتنا ، وليس نسألك أن تمدّنا ؛ فشأنك وناحتك ؛ فليس لك عندنا مدد . فاعتزم هو وأصحابه على أن يخرجوا إلى أمير المؤمنين المعتصم ، ويسألوه الأمان على الذرية ، ويسلّموا إليه الحصن بما فيه من الخُرُثي^(١) والمتاع والسلاح وغير ذلك .

فلما أصبح وكتل أصحابه بجنبى الثلثة ؛ وخرج فقال : إني أريد أمير المؤمنين ؛ وأمر أصحابه ألا يحاربوا حتى يعود إليهم ؛ فخرج حتى وصل إلى المعتصم ؛ فصار بين يديه ، والناس يتقدّمون إلى الثلثة ؛ وقد أمسك^(٢) الروم عن الحرب^(٣) حتى وصلوا إلى السور^(٤) ، والروم يقولون بأيديهم : لا تحسبوا ، وهم يتقدّمون ، ووندوا بين يدي المعتصم جالس ؛ فدعا المعتصم

(١) الخُرُثي ، بالضم : أثاث البيت ، أو أروا المتاع .

(٢) س : « أمسكت الروم » .

(٣-٣) س : « حتى وصلت إلى الثلثة » .

١٢٥٢/٣

بفرس فحمله عليه، وقابل حتى صار الناس معهم على حرف الثلثة، وعبدالوهاب ابن عليّ بين يدي المعتصم، فأومأ إلى الناس بيده : أن ادخلوا ، فدخل الناس المدينة ، فالتفت وندوا ، وضرب بيده إلى لحيته ، فقال له المعتصم : مالك ؟ قال : جئت أريد أن أسمع كلامك وتسمع كلامي ، فغدرت بي ؛ فقال المعتصم : كل شيء تريد أن تقوله فهو لك عليّ ، قل ما شئت ؛ فإنني لست أخالفك . قال : أيسس لا تخالفني وقد دخلوا المدينة ! فقال المعتصم : اضرب بيدك إلى ما شئت فهو لك ، وقل ما شئت فإنني أعطيكه . فوقف في مضرب المعتصم . وكان ياطس في برجه الذي هو فيه وحوله جماعة من الروم مجتمعين ، وصارت طائفة منهم إلى كنيسة كبيرة في زاوية عمورية ؛ فقاتلوا قتالا شديداً ، فأحرق الناس الكنيسة عليهم فاحترقوا عن آخرهم ، وبقي ياطس في برجه حوله أصحابه ، وباقي الروم وقد أخذتهم السيوف ؛ فبين مقتول ومجروح ؛ فركب المعتصم عند ذلك حتى جاء فوق حذاء ياطس ؛ وكان مما يلي عسكر أشناس ، فصاحوا : يا ياطس ، هذا أمير المؤمنين ؛ فصاح الروم من فوق البرج : ليس ياطس ها هنا ، قالوا : بلى ، قولوا له : إن أمير المؤمنين واقف ، فقالوا : ليس ياطس ها هنا . فرأى أمير المؤمنين مغضباً ، فلما جاوز صاح الروم : هذا ياطس ، هذا ياطس ! فرجع المعتصم إلى حيال البرج حتى وقف ^(١) ؛ ثم أمر بتلك السلالم التي هيئت ، فحمل سُلَّم منها ، فوضع على البرج الذي هو فيه ^(٢) ، وصعد عليه الحسن الروميّ — غلام لأبي سعيد محمد بن يوسف — وكلمه ياطس ، فقال : هذا أمير المؤمنين ، فانزل على حكمه ؛ فنزل الحسن ، فأخبر المعتصم أنه قد رآه وكلمه ، فقال المعتصم : قل له فلينزل ؛ فصعد الحسن ثانية ، فخرج ياطس من البرج متقلداً سيفاً حتى وقف على البرج والمعتصم ينظر إليه ، فخلع سيفه من عنقه ، فدفعه إلى الحسن ، ثم نزل ياطس ، فوقف بين يدي المعتصم ؛ فقنّعه سوطاً ، وانصرف المعتصم إلى مضربيه ، وقال : هاتوه ، فشى قليلاً ، ثم جاءه رسول المعتصم ، أن احملاه ، فحملوه ، فدُهب به إلى مضرب أمير المؤمنين .

١٢٥٣/٣

(٢) ف : « عليه » .

(١) ف : « فوق » .

ثم أقبل الناس بالأسرى والسببي من كل وجه حتى امتلأ العسكر ؛ فأمر المعتصم بسبيل الترجمان أن يميز الأسرى ، فيعزل منهم أهل الشرف والقدر من الروم في ناحية ، ويعزل الباقين في ناحية ؛ ففعل ذلك بسبيل . ثم أمر المعتصم فوكل بالمقاسم قواته ، ووكل أشناس بما يخرج من ناحيته ، وأمره أن ينادى عليه ، ووكل الأفشين بما يخرج من ناحيته ، وأمره أن ينادى ويبيع ، وأمر إيتاخ بناحيته مثل ذلك ؛ وجعفر الخياط بمثل ذلك في ناحيته ، ووكل مع كل قائد من هؤلاء رجلا من قبيل أحمد بن أبي دواد يحصى عليه ، فبيعت المقاسم في خمسة أيام ؛ بيع منها ما استباع ، وأمر بالباقي فضرِب بالنار ، وارتحل المعتصم منصرفاً إلى أرض طرسوس .

١٢٥٤/٣

ولما كان يوم إيتاخ قبل أن يرتحل المعتصم ^(١) منصرفاً ، وثب الناس على المغنم الذي كان إيتاخ على بيعه ، وهو اليوم الذي كان عجيـف وعـد الناس فيه أن يثب بالمعتصم ، فركب المعتصم بنفسه ركضاً ، وسل سيفه ، فتنحى الناس عنه من بين يديه ، وكفوا عن انتهاب المغنم ، فرجع إلى مضربه ؛ فلما كان من الغد أمر ألا ينادى على السببي إلا ثلاثة أصوات ، ليتروج ^(٢) البيع ، فمن زاد بعد ثلاثة أصوات ، وإلا بيع العلق ؛ فكان يفعل ذلك في اليوم الخامس ؛ فكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة ، وعشرة عشرة ، والمتاع الكثير جملة واحدة .

قال : وكان ملك الروم قد وجه رسولا في أول ما نزل المعتصم على عمورية فأمر به المعتصم فأنزل على موضع الماء الذي كان الناس يستقون منه ؛ وكان بينه وبين عمورية ثلاثة أميال ؛ ولم يأذن له في المصير إليه حتى فتح عمورية ، فلما فتحها أذن له في الانصراف إلى ملك الروم ؛ فانصرف وانصرف المعتصم يريد الثغور ؛ وذلك أنه بلغه أن ملك الروم يريد الخروج في أثره ، أو يريد التعبت بالعسكر ؛ ففضى في طريق الجادة مرحلة ؛ ثم رجع إلى عمورية ، وأمر الناس بالرجوع ، ثم عدل عن طريق ^(٣) الجادة إلى طريق وادي الجوز ^(٤) ،

١٢٥٥/٣

(٢) س : « ليتروج » .

(٤) أ : « الجوز » .

(١) ف : « قبل أن يرحل المعتصم » .

(٣) س : « من طريق » .

ففرّق^(١) الأسرى على القواد ، ودفع إلى كل قائد من القواد طائفة منهم يحفظهم ، ففرّقهم^(٢) القواد على أصحابهم ، فساروا في طريق نحواً من أربعين ميلاً ؛ ليس فيه ماء ؛ فكان كل من امتنع من الأسرى أن يمشى معهم لشدة العطش الذى أصابهم ضربوا عنقه ؛ فدخل الناس في البرية في طريق وادى الجور فأصابهم^(٣) العطش ، فتساقط الناس والدواب وقتل بعض الأسرى بعض الجند وهرب .

وكان المعتصم قد تقدم العسكر ، فاستقبل الناس ، ومعه الماء قد حمله من الموضع الذى نزل ، وهلك الناس في هذا الوادى^(٤) من العطش ، وقال الناس للمعتصم : إن هؤلاء الأسرى قد قتلوا بعض جنودنا ، فأمر عند ذلك بسيل الروم بتمييز من له القدر منهم ، فعزلوا ناحية ، ثم أمر بالباقيين فأصعدوا إلى الجبال ، وأنزلوا إلى الأودية فضربت أعناقهم جميعاً ، وهم مقدار ستة آلاف رجل ؛ قتلوا في موضعين بوادى الجور وموضع آخر .

ورحل المعتصم من ذلك الموضع يريد الثغرى حتى دخل طرسوس ، وكان قد نصب له الحياض من الأدم حول العسكر من الماء إلى العسكر بعمورية والحياض مملوءة ، والناس يشربون منها لا يتعبون في طلب الماء .

وكانت الوقعة التى وقعت بين الأفشين وملك الروم - فيما ذكر - يوم الخميس خمس بقين من شعبان وكانت إناخة المعتصم على عمورية يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان ، وقفل بعد خمسة وخمسين يوماً .

وقال الحسين بن الضحاك الباهلى يمدح الأفشين ، ويذكر وقعته التى

كانت بينه وبين ملك الروم :

أَثَبْتَ الْمَعْصُومُ عِزًّا لِأَبِي	حَسَنَ أَثَبْتَ مِنْ رُكْنِ إِضْمٍ ^(٥)
كُلُّ مُجْدٍ دُونَ مَا أَثَّلَهُ	لَبْنِي كَاوُسَ أَمْلَاكِ الْعَجَمِ
إِنَّمَا الْأَفْشِينُ سَيْفٌ سَلَّهُ	قَدَرُ اللَّهِ بِكَفِّ الْمُعْتَصِمِ

(١) س : « فرّق » . (٢) ف : « وفرّقهم » . (٣) س : « وأصابهم » .

(٤) ف : « الموضع » . (٥) ديوانه ٩٩ .

لَمْ يَدْعُ بِالْبَذِّ مِنْ سَاكِئَةٍ غَيْرِ أَمْثَالِ كَأَمْثَالِ إِرَمَ
ثُمَّ أَهْدَى سَلَاماً بِأَيْكِهِ رَهْنِ حَجَلَيْنِ نَجِيًّا لِلنَّدَمِ
وَقَرَأَ تَوْفِيلَ طَعْنًا صَادِقًا فَضْ جَمْعَيْنِ جَمِيعًا وَهَزَمَ
قَتَلَ الْأَكْثَرَ مِنْهُمْ وَنَجَا مِنْ نَجَا لَحْمًا عَلَى ظَهْرٍ وَضَمَ

* * *

[ذكر خبر المعتصم مع العباس بن المأمون]

وفي هذه السنة حبس المعتصم العباس بن المأمون وأمر بلعنه .

• ذكر الخبر عن سبب فعله ذلك :

« ذكّر أن السبب كان في ذلك أن عُجَيف بن عنبسة حين وجهه المعتصم إلى بلاد الروم ، لما كان من أمر ملك الروم بيزبطرة مع عمرو بن أربخا الفرغاني ومحمد كوتة ، لم يطلق يد عُجَيف في النفقات كما أطلقت يد الأفشين ، واستقصر المعتصم أمر عُجَيف وأفعاله ، واستبان ذلك لعُجَيف ، فوبخ عُجَيف العباس على ما تقدّم من فعله عند وفاة المأمون حين بايع أبا إسحاق وعلى تفريطه فيما فعل ، وشجّعه على أن يتلافى ما كان منه . »

١٢٥٧/٣

فقبل العباس ذلك ، ودسّ رجلاً يقال له الحارث السمرقندي ، قرابة عبيد الله بن الواضح — وكان العباس يأنس به ، وكان الحارث رجلاً أديباً له عقل ومدارة — فصيّره العباس رسوله وسفيره إلى القواد ؛ فكان يدور في العسكر ^(١) حتى تألف له جماعة من القواد ، وبايعوه وبايعه منهم خواص ، وسمي لكل رجل من قواد المعتصم رجلاً من ثقات أصحابه ممن بايعه ، ووكله بذلك ، وقال : إذا أمرنا بذلك ، فليشب كل رجل منكم على من ضمنناه أن يقتله ، فضمنوا له ذلك ، فكان يقول للرجل ممن بايعه : عليك يا فلان أن تقتل فلاناً ، فيقول : نعم ، فوكل ممن بايعه من خاصة المعتصم بالمعتصم ومن خاصة الأفشين بالأفشين ، ومن خاصة أشناس بأشناس ، ممن بايعه من

الأثرak ، فضمنوا ذلك جميعاً . فلما أرادوا أن يدخلوا الدرب وهم يريدون أنقرة وعمورية ، ودخل الأفشين من ناحية مـلـطية ، أشار عجيف على العباس أن يثب على المعتصم في الدرب وهو في قلة من الناس ، وقد تقطعت عنه العساكر ، فيقتله ويرجع إلى بغداد ، فكان الناس يفرحون بانصرافهم من الغزو ، فأبى العباس عليه ، وقال : لا أفسد هذه الغزاة ؛ حتى دخلوا بلاد الروم ، وافتتحوا عمورية ، فقال عجيف للعباس : يا نائهم ، كم تنام ! قد فتحت عمورية ، والرجل ممكن ، دسّ قوماً ينتبهون هذا الخروثي ، فإنه إذا بلغه ذلك ركب بسرعة ، فتأمر بقتله هناك ، فأبى عليه العباس ، وقال ، أنتظر حتى يصير إلى الدرب ، فيخلو كما خلا في البدأة ؛ فهو أمكن منه هاهنا . وكان عجيف قد أمر من ينهب المتاع ، فانتهب بعض الخروثي في عسكر لـيـتـاخ .

١٢٥٨/٣

فركب المعتصم وجاء ركضاً ، فسكن الناس ، ولم يطلق العباس أحداً من أولئك الرجال الذين كان واعدهم ، فلم يُحدثوا شيئاً ، وكرهوا أن يفعلوا شيئاً بغير أمره .

وكان عمرو الفرغاني قد بلغه الخبر ذلك اليوم ؛ ولعمرو الفرغاني قرابة ، غلام أمرد في خاصة المعتصم ، فجاء الغلام إلى ولد عمرو يشرب عندهم تلك في الليلة ، فأخبرهم أن أمير المؤمنين ركب مستعجلاً ؛ وأنه كان يعدو بين يديه ، وقال : إن أمير المؤمنين قد غضب اليوم ، فأمرني أن أسلّ سني ، وقال : لا يستقبلك أحد إلا ضربته ، فسمع عمرو ذلك من الغلام ، فأشفق عليه أن يصاب ، فقال له : يا بني ، أنت أحق ، أقل من الكينونة عند أمير المؤمنين بالليل ، والنرم خيمتك ؛ فإن سمعت صيحة مثل هذه الصيحة ، أو شغباً أو شيئاً فلا تبرح من خيمتك ؛ فإنك غلام غر ؛ لست تعرف بعد العساكر . فعرف الغلام مقالة عمرو .

وارتحل المعتصم من عمورية يريد الثغر ، ووجه الأفشين ابن الأقطع في طريق خلاف طريق المعنم ، وأمره أن يغير على موضع سماء له ، وأن يوافيه في بعض الطريق ؛ فضى ابن الأقطع ، وتوجه المعتصم يريد الثغر ، فسار حتى صار إلى موضع أقام فيه ليُريح ويستريح ، وليسلك الناس من المضيق الذي

١٢٥٩/٣

بين أيديهم . ووافى ابن الأقطع عسكر الأفشين بما أصاب من الغنائم ؛ وكان عسكر المعتصم على حيدة وعسكر الأفشين على حيدة ، بين كل عسكر قدر ميلين أو أكثر ، واعتلّ أشناس فركب المعتصم صلاة الغداة يعود به فجاء إلى مضر به فعاده ؛ ولم يكن الأفشين لحقه بعد .

ثم خرج المعتصم منصرفاً ، فتلقيه الأفشين في الطريق ، فقال له المعتصم : تريد أبا جعفر . وكان عمرو الفرغاني وأحمد بن الخليل عند منصرف المعتصم من عبادة أشناس توجهها إلى ناحية عسكر الأفشين لينظرا ما جاء به ابن الأقطع من السبى فيشتريا منه ما أعجبهما ، فتوجهتا ناحية عسكر الأفشين ولقيهما الأفشين يريد أشناس — فترجلا ، وسلمتا عليه ، ونظرا إليهما حاجب أشناس من بعد ، فدخل الأفشين إلى أشناس ، ثم انصرف ، وتوجهتا إلى عسكر الأفشين ، فلم يكن السبى أخرج بعد ، فوقفا ناحية ينتظران أن ينادى على السبى ، فيشتريا منه ؛ ودخل حاجب أشناس على أشناس ، فقال : إن عمرأ الفرغاني وأحمد بن الخليل تلقيا الأفشين ؛ وهما يريدان عسكره ، فترجلا وسلمتا عليه ، وتوجهتا إلى عسكره .

فدعا أشناس محمد بن سعيد السعدي ، فقال له : اذهب إلى عسكر الأفشين ، فانظر هل ترى هناك عمرأ الفرغاني وأحمد بن الخليل ! وانظر عند من نزلا ، وأى شيء قصتهما ؟ فجاء محمد بن سعيد ، فأصابهما واقفين على ظهور دوابهما فقال : ما أوقفكما هنا ؟ قالا : وقفنا ننتظر سبى ابن الأقطع يخرج ؛ فنشترى بعضه ، فقال لهما محمد بن سعيد : وكلّا وكيلاً يشترى لكما ، فقال لا نحب أن نشترى إلا ما نراه ؛ فرجع محمد ، فأخبر أشناس بذلك ، فقال لحاجبه : قل لهؤلاء الزموا عسكركم : فهو خير لكم — يعني عمرأ وابن الخليل — ولا تذهبوا هنا وهنا . فذهب الحاجب إليهما ، فأعلمهما ، فاعتما لذلك واتفقا على أن يذهبا إلى صاحب خبر العسكر ، فيستغياه من أشناس ؛ فصارا إلى صاحب الخبر ، فقالا : نحن عبيد أمير المؤمنين ، يضمنا إلى من شاء ؛ فإن هذا الرجل يستخف بنا ، قد شتمنا وتوعدنا ، ونحن نخاف أن يقدم علينا ، فليضمنا أمير المؤمنين إلى من أحب .

فأنهى صاحب الخبر ذلك إلى المعتصم من يومه ؛ واتفق الرحيل صلاة الغداة ؛ وكان إذا ارتحل الناس سارت العساكر على حياها ، وسار أشناس والأفشين وجميع القواد في عسكر أمير المؤمنين ، ووكّلوا خلفاءهم بالعساكر ؛ فيسيرون بها . وكان الأفشين ^(١) على الميسرة وأشناس على الميمنة ؛ فلما ذهب أشناس إلى المعتصم ، قال له : أحسين أدب عمرو الفرغاني وأحمد بن الخليل ؛ فإنهما قد حمّقا أنفسهما ؛ فجاء أشناس ركضاً إلى معسكره ، فسأل عن عمرو وابن الخليل ، فأصاب عمراً ؛ وكان ابن الخليل قد مضى في الميسرة يبادر الروم ، فجاءوه بعمر و الفرغاني ؛ وقال : هاتوا سياطاً ؛ فكثت طويلاً مجرداً ليس يؤتى بالسياط ؛ فتقدّم عمه إلى أشناس ، فكلمه في عمرو — وكان عمه أعجمياً — وعمرو واقف ، فقال : احمّلوه ، فألبسوه قباء طاق ، فحملوه على بغل في قبة ، وساروا به إلى العسكر ، وجاء أحمد بن الخليل وهو يركض ، فقال : احبسوا هذا معه ؛ فأنزل عن دابته ، وصيّر عديله ، ودفعاً إلى محمد بن سعيد السعدي يحفظهما ؛ فكان يضرب لهما مضرباً في فازة وحجرة ومائدة ، ويفرش لهما فرشاً وطية ، وحوضاً من ماء وأثقالهما وغلما نهما في العسكر ؛ لم يحرك منهما شيء ؛ فلم يزالا كذلك حتى صارا إلى جبل الصّصاف .

١٢٦١/٣

وكان أشناس على الساقة ، وكان بغا على ساقة عسكر المعتصم ، فلما صار بالصّصاف ، وسمع الغلام الفرغاني قرابة عمرو بحبس عمرو ، ذكر الغلام للمعتصم ما دار بينه وبين عمرو من الكلام في تلك الليلة ، مما ^(٢) قال له عمرو ؛ إذا رأيت شغباً فالزم خيمتك ؛ فقال المعتصم لبغا : لا ترحل غداً حتى تجيء أشناس ، فتأخذ منه عمراً ، وتلحقني به ؛ وكان هذا بالصّصاف .

فوقف بغا بأعلامه ينتظر أشناس ، وجاء محمد بن سعيد ومعه عمرو وأحمد ابن الخليل ، فقال بغا لأشناس : أمرني أمير المؤمنين أن أوافيه بعمر و الساعة ، فأنزل عمرو ، وجعل مع أحمد بن الخليل في القبة رجل يعادله ، ومضى بغا بعمر و إلى المعتصم ، فأرسل أحمد بن الخليل غلاماً من غلماناه إلى عمرو ، لينظر ما يصنع به ؛ فرجع الغلام فأخبره أنه أدخل على أمير المؤمنين ، فكث ساعة

١٢٦٢/٣

ثم دُفع إلى إيتاخ ؛ وكان أمير المؤمنين لما دخل ساء له عن الكلام الذي قاله للغلام قرابته ؛ فأنكر وقال : هذا الغلام كان سكران ؛ ولم يفهم ولم أقل شيئاً مما ذكره^(١) ، فأمر به فدفع إلى إيتاخ ، وسار^(٢) المعتصم حتى صار إلى باب^(٣) مضايق البدندون ، وأقام أشناس ثلاثة أيام على مضيق^(٤) البدندون ينتظر أن تتخلص عساكر أمير المؤمنين ؛ لأنه كان على الساقة ، فكتب أحمد بن الخليل إلى أشناس رقة يعلمه أن لأمر المؤمنين عنده نصيحة ، وأشناس مقيم على مضيق البدندون ، فبعث إليه أشناس بأحمد بن الحصيب وأبي سعيد محمد ابن يوسف يسألانه عن النصيحة ؛ فذكر أنه لا يخبر بها إلا أمير المؤمنين ، فرجعا فأخبرا أشناس بذلك ، فقال : ارجعا فاحلقا له : إني حلقت بحياة أمير المؤمنين ؛ إن هو لم يخبرني بهذه النصيحة أن أضربه بالسياط حتى يموت ؛ فرجعا فأخبرا أحمد بن الخليل بذلك .

فأخرج جميع من عنده ، وبقي أحمد بن الحصيب وأبو سعيد فأخبرهما بما ألقى إليه عمرو الفرغانى من أمر العباس ، وشرح لهما جميع ما كان عنده ، وأخبرهما بخبر^(٥) الحارث السمرقندى ، فانصرفا إلى أشناس ، فأخبراه بذلك^(٦) ، فبعث أشناس فى طلب الحدادين ، فجاءوا بحدادين من الجند ؛ فدفع إليهما حديدأ ، فقال : اعملا لى قيدأ مثل قيد أحمد بن الخليل ، وعجلا به الساعة ، ففعلا ذلك ؛ فلما كان عنده حبسه ، وكان حاجب^(٧) أشناس يبيت عند أحمد بن الخليل مع محمد بن سعيد السعدى .

فلما كان تلك الليلة عند العتمة ذهب الحاجب إلى خيمة الحارث السمرقندى فأخرجه منها ، وجاء به إلى أشناس فقيده ، وأمر الحاجب أن يحمله إلى أمير المؤمنين ، فحمله الحاجب إليه ، واتفق رجل أشناس صلاة الغداة ، فجاء أشناس إلى موضع معسكره ، فتلقاها الحارث معه رجل من قبيل المعتصم ، وعليه خلع ، فقال له أشناس : مه ، فقال : القيد الذى كان فى رجلي صار فى

(١) س : « ذكر » . (٢) س : « صار » . (٣) ف : « رأس » .

(٤) س : « طريق » . (٥) ف : « خبر » . (٦) ف : « ذلك » .

(٧) ف : « صاحب » .

رجل العباس . وسأل المعتصم الحارث حين صار إليه عن أمره ، فأقر أنه كان صاحب خبر العباس ، وأخبره بجميع أمره وجميع من بايع العباس من القواد فأطلق المعتصم الحارث وخلع عليه ، ولم يصدق على أولئك القواد لكثرتهم وكثرة من سمي منهم .

وتحير المعتصم في أمر العباس ، فدعا به حين خرج إلى الدرب فأطلقه ومناه ، وأوهمه أنه قد صفح عنه ، وتغدى معه ، وصرفه إلى مضربه ، ثم دعاه بالليل ، فنادمه على النبذ ، وسقاه حتى أسكره ، واستحلفه ألا يكتبه من أمره شيئاً ، فشرح له قصته ، وسمى له جميع من كان دب في أمره ، وكيف كان السبب في ذلك في كل واحد منهم ، فكتبه ^(١) المعتصم وحفظه ، ثم دعا الحارث السمرقندي بعد ذلك ، فسأله عن الأسباب ، فقص عليه ما قص عليه العباس ، ثم أمر بعد ذلك بتقييد العباس ، ثم قال للحارث : قد رضى بك على أن تكذب ، فأجد السبيل إلى سقمك دمك فلم تفعل ، فقد أفلت ، فقال له : يأمر المؤمنين ، لست بصاحب كذب ^(٢) .

١٢٦٤/٣

ثم دفع العباس إلى الأفشين ، ثم تتبع المعتصم أولئك القواد ، فأخذوا جميعاً ، فأمر أن يحمل أحمد بن الخليل على بغل بكاف بلا وطاء ، وي طرح في الشمس إذا نزل ، وي طعم في كل يوم رغيفاً واحداً ، وأخذ عجيف بن عتبة فيمن أخذ من القواد ، فدفع من سائر القواد إلى إيتاخ ، ودفع ابن الخليل إلى أشناس ، فكان عجيف وأصحابه يحملون في الطريق على بغل بأكف بلا وطاء ، وأخذ الشاه بن سهل — وهو الرأس ابن الرأس من أهل قرية من خراسان يقال لها سجستان — فدعا به المعتصم والعباس بين يديه ، فقال له : يابن الزانية ، أحسنت إليك فلم تشكر ! فقال له الشاه بن سهل : ابن الزانية هذا الذي بين يديك — يعنى العباس — لو تركنى هذا كنت أنت الساعة لا تقدر أن تقعد في هذا المجلس وتقول لى : يابن الفاعلة ؟ فأمر به المعتصم ، فضربت عنقه ، وهو أول من قتل من القواد ومعه صحبه ، ودفع

عُجِيف إلى إيتاخ فعُلِّق عليه حديداً^(١) كثيراً وحمله على بغل في محمل ١٢٦٥/٣ بلا وطاء .

وأما العباس فكان في يدي الأفشين ؛ فلما نزل المعتصم مَسْبِج - وكان العباس جائعاً - سأل الطعام ، فقُدِّمَ إليه طعام كثير ؛ فأكل فلمّا طلب الماء مَسْبِج وأدرج في مَسْبِج ، فمات بمَسْبِج ، وصلى عليه بعض إخوته .

وأما عمرو الفَرَغَانِيّ ، فإنه لما نزل المعتصم بنصبيين في بستان ، دعا صاحب البستان ، فقال له : احضر بئراً في موضع أوماً إليه بقدر قامة ، فبدأ صاحب البستان فحفرها^(٢) ، ثم دعا بعمرو والمعتصم جالساً في البستان ، قد شرب أقداحاً من نبيذ ؛ فلم يكلمه المعتصم ، ولم يتكلم عمرو حتى مثل بين يديه ، فقال : جرّدوه ، فجُرِّدَ ، وضرب بالسياط ضربة الأتراك ، والبئر تُحْفَر ؛ حتى إذا فُرِّغ من حفرها قال صاحب البستان : قد حفرتها ، فأمر المعتصم عند ذلك فضرب وجه عمرو وجسده بالخشب ؛ فلم يزل يُضْرَب حتى سقط ، ثم قال : جرّوه إلى البئر فاطرحوه فيها ، فلم يتكلم عمرو ولم ينطق يومه ذلك ، حتى مات فطرح في البئر ، وطُمِّت عليه .

وأما عُجِيف بن عنبسة ؛ فلما صار بباء-يَسْنَاثَا ، فوق بلد قليل ، مات في المحمل ، فطُرح عند صاحب^(٣) المسلحة ، وأمر أن يُدْفَن فيها ، فجاء به إلى جانب حائط خرب فطرحة عليه فقبر هناك .

وذكر عن عليّ بن حسن الرّيدانيّ أنه قال : كان عُجِيف في يد محمد ابن إبراهيم بن مُصْعَب ، فسأله المعتصم عنه ؛ فقال له : يا محمد ، لم يمست عُجِيف ؟ قال : يا سيدي اليوم يموت ، ثم أتى محمد مضرته ، فقال لعجيف يا أبا صالح ، أي شيء تشتهي ؟ قال أسفيد باج وحتلوى فالودج ، فأمر أن يعمّل له من كل طعام ؛ فأكل وطلب الماء فسنع ؛ فلم يزل يطلب وهو يسوق حتى مات ، فدفن بباء-يَسْنَاثَا .

(١) ف : « معلق عليه حديد كثير » . (٢) ف : « فحفر » .

(٣) س : « باب المسلحة » .

قال : وأما التركيّ الذي كان ضمن للعباس قتل أشناس متى ما أمره العباس - وكان كريماً على أشناس يناديه ولا يحجب عنه في ليل ولا نهار - فإنه أمر بحبسه ، فحبسه أشناس قبله في بيت ، وطيّن عليه الباب ، وكان يلقي إليه في كل يوم رغيفاً وكوز ماء ؛ فأناه ابنه في بعض أيامه ، فكلّمه من وراء الحائط ، فقال له : يا بني ، لو كنت تقدر لي على سيكّين كنت أقدر أن أتخلص من موضعي هذا ؛ فلم يزل ابنه يتلطّف في ذلك حتى أوصل إليه سيكّيناً ، فقتل به نفسه .

وأما السندی بن بختاشه ، فأمر المعتصم أن يوهب لأبيه بختاشه - لأن بختاشه لم يكن يتلطّخ بشيء من أمر العباس - فقال المعتصم : لا يُفجع هذا الشيخ بابنه ؛ فأمر بتخلية سبيله .

وأما أحمد بن الخليل ؛ فإنه دفعه أشناس إلى محمد بن سعيد السعدی ، فحضر له برّاً في الجزيرة بسامراً ، فسأل عنه المعتصم يوماً من الأيام ، فقال لأشناس : ما فعل أحمد بن الخليل ؟ فقال له أشناس : هو عند محمد بن سعيد السعدی ، قد حضر له برّاً وأطبق عليه ، وفتح له فيها كوة ليرى إليه بالخبز والماء . فقال المعتصم : هذا أحسبه قد سمن على هذه الحال ؛ فأخبر أشناس محمد بن سعيد بذلك ؛ فأمر محمد بن سعيد أن يسقي الماء ، ويصبّ عليه في البئر حتى يموت ؛ ويمتلئ البئر ؛ فلم يزل يصبّ عليه الماء ؛ والرمل ينشف الماء ؛ فلم يغرق ولم يمتلئ البئر ؛ فأمر أشناس بدفعه إلى غيطريف الخجندی ، فدفع إليه ، فكث عنده أياماً ، ثم مات فدُفن .

١٢٦٧/٣

وأما هرثمة بن النضر الخُتليّ ، فكان والياً على المِراغة ؛ وكان في عِداد من سماه العباس أنه من أصحابه ؛ فكتب في حمله في الحديد ، فتكلّم فيه الأفشين ، واستوهمه من المعتصم ، فوهبه له ، فكتب الأفشين كتاباً إلى هرثمة ابن النضر يعلمه أن أمير المؤمنين قد وهبه له ، وأنه قد ولاّه البلد الذي يصل إليه الكتاب فيه ، فورد به الدينور عند العشاء مقيداً ، فطرح في الخان ، وهو وثق في الحديد ، فوافاه الكتاب في جُنتح الليل ، فأصبح وهو والي الدينور .

وقُتِلَ باقي القواد ومن لم يُحفظ اسمه من الأتراك والفراغنة وغيرهم، قُتِلُوا جميعاً .

وورد المعتصم سامراً سالماً بأحسن حال ، فسُمِّيَ العباس : اللعين يومئذ ؛ ودفع ولد سندُس من ولد المأمون إلى إيتاخ ، فحبسوا في سرداب من داره ثم ماتوا بعد .

وجرح في هذه السنة في شوال إسحاقُ بن إبراهيم ؛ جرحه خادم له . ١٢٦٨/٣

* * *

وحجَّ بالناس فيها محمد بن داود .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر الخبر عن مخالفة مازيار بطبرستان]

فما كان فيها من ذلك إظهار مآزيار بن قارن بن ونداهرمز بطبرستان
الخلاف على المعتصم ، ومحاربتة أهل السفح والأمصار منها .

• ذكر الخبر عن سبب إظهاره الخلاف على المعتصم

وفعله ما فعل من الوثوب بأهل السفح :

ذكر أن السبب في ذلك ، كان أن مآزيار بن قارن كان منافراً لآل طاهر ،
لا يحمل إليهم الخراج ؛ وكان المعتصم يكتب إليه يأمره بحمله إلى عبد الله بن
طاهر ، فيقول : لا أحمله إليه ؛ ولكني أحمله إلى أمير المؤمنين ؛ فكان المعتصم
إذا حمل المازيار إليه الخراج ، يأمر : إذا بلغ المال هــمـذان رجلاً من قبيلة أن
يستوفيه ويسلمه إلى صاحب عبد الله بن طاهر ليردّه إلى خراسان ؛ فكانت
هذه حاله في السنين كلها . ونافر آل طاهر حتى تفاقم الأمر بينهم ^(١) .

وكان الأفشين يسمع من المعتصم أحياناً كلاماً يدلّ على أنه يريد عزل
آل طاهر عن خراسان ؛ فلما ظفر الأفشين ببابك ، ونزل من المعتصم المنزلة
التي لم يتقدّمه فيها أحدٌ ، طمع في ولاية خراسان ، وبلغته منافرة مازيار
آل طاهر ، فرجا أن يكون ذلك سبباً لعزل عبد الله بن طاهر ، فدسّ الأفشين
الكتب إلى المازيار يستميله بالدّهـقنة ، ويعلمه ما هو عليه من المودة له ،
وأنه قد وعد ولاية خراسان ؛ فدعا ذلك المازيار إلى ترك حمل خواجه إلى عبد الله
ابن طاهر ، وواتر عبد الله بن طاهر الكتب فيه إلى المعتصم ؛ حتى أوحش

١٢٦٩/٣

المعتصم منه وأغضبه عليه ، وحمل ذلك المازيار إلى أن وثب وخالف ، ومنع الخراج ، وضبط جبال طبرستان وأطرافه .

وكان ذلك مما يسرّ الأفشين ويُطعمه في الولاية ؛ فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربة مازيار ، وكتب الأفشين إلى المازيار يأمره بمحاربة عبد الله بن طاهر ، ويُعلمه أنه يقوم له عند المعتصم بما يحب ، وكتبه المازيار أيضًا ؛ فلا يشكّ الأفشين أن المازيار سيوافق عبد الله بن طاهر ويقاومه ، حتى يحتاج المعتصم إلى أن يوجهه وغيره إليه .

فذكر عن محمد بن حفص الثقفي الطبري أن المازيار لما عزم على الخلاف ، دعا الناس إلى البيعة ، فبايعوه كثرةً ، وأخذ منهم الرهائن ، فحبسهم في بُرج الأصهبهذ ، وأمر أكثرَ الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب أموالهم ؛ وكان المازيار يكتب بابل ، ويحرضه ويعرض عليه النصرة . فلما فرغ المعتصم من أمر بابل ، أشاع الناس أن أمير المؤمنين يريد المسير إلى قترماسين ، ويوجه الأفشين إلى الري لمحاربة مازيار ؛ فلما سمع المازيار بإرجاف الناس بذلك ، أمر أن يمسح البلد ، خلاً من قاطع على ضياعه بزيادة العشرة ثلاثة ، ومن لم يقاطع رجع عليه ، فحسب ما عليه من الفضل . ولم يحسب له النقصان .

ثم أنشأ كتاباً إلى عامله على الخراج ، وكان عامله عليه رجلاً يقال له شاذان بن الفضل ، نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ إن الأخبار تواترت علينا ، وصححت عندنا بما يرجف به جهات أهل خراسان وطبرستان فينا ، ويولدون علينا من الأخبار ويحملون عليه رهوسهم ؛ من التعصب لدولتنا^(١) والطعن في تدبيرنا ، والمراسلة لأعدائنا وتوقع الفتن ، وانتظار الدوائر فينا ، جاحدين للنعم مستقلين للأمن والدعة والرفاهية والسعة التي آثرهم الله بها ، فما يرد الرئى قائد ولا مشرق ولا مغرب^(٢) ، ولا يأتينا رسول صغير ولا كبير إلا قالوا كيت وكيت ، ومدوا أعناقهم نحوه ،

(١) س : « بدولتنا » . (٢) كذا في أ ، وفي ط : « ولا مشرف » ، والوجه ما أثبتته من أ .

وخاضوا فيما قد كذب الله أحدهم ، وخيب [أمانهم] ^(١) فيه مرة بعد مرة ، فلا تنهاهم الأولى عن الآخرة ، ولا يجرهم عن ذلك تقية ولا خشية ، كل ذلك نغضي عليه ، ونتجرع مكرهه ، استبقاء على كافتهم ، وطلباً للصلاح والسلامة لهم إلحاحاً ؛ فلا يزيدهم استبقاؤنا إلا إلحاحاً ، ولا كفنا عن تأديبهم إلا إغراء ؛ إن أخرنا عنهم افتتاح الخراج نظراً لهم ورفقاً بهم قالوا : معزول ، وإن بادرنا به قالوا : لحادث أمر ؛ لا يزدجرون عن ذلك بالشدة إن أغلظنا ، ولا برفق إن أنعمنا ؛ والله حسبنا وهو ولينا ؛ عليه نتوكل وإليه ننيب . وقد أمرنا بالكتاب إلى بندار آمل والرويان في استغلاق الخراج في عملهما ، وأجلناهما في ذلك إلى سلك تيرماه ؛ فاعلم ذلك ، وجرّد جبايتك ، واستخرج ما على أهل ناحيتك كملاً ، ولا يمتصن عنك تيرماه ، ولك درهم باقي ؛ فإنك إن خالفت ذلك إلى غيره لم يكن جزاؤك عندنا إلا الصلب ؛ فانظر لنفسك ، وحام عن مهجتك ، وشمر في أمرك ، وتابع كتابك إلى العباس . وإياك والتغريز ^(٢) ؛ واكتب بما يحدث منك من الانكماش والتشمير ؛ فإننا قد رجونا أن يكون في ذلك مشغلة لهم عن الأراجيف ، ومانع عن التسويف ؛ فقد أشاعوا في هذه الأيام أن أمير المؤمنين أكرمه الله صائراً إلى قرماسين ، وموجه الأفسين إلى الرى . ولعمري لئن فعل أيده الله ذلك ؛ إنه لمّا يسرنا الله به ، ويؤنسنا بجواره ، ويبسط الأمل فيما ^(٣) قدعوّونا من فوائده وإفضاله ، ويكتب أعداءه وأعداءنا ؛ ولن يهمل أكرمه الله أموره ، ويرفض ثغوره ، والتصرف في نواحي ملكه ؛ لأراجيف مرجف بعماله ، وقول قائل في خاصته ؛ فإنه لا يسرّ أكرمه الله جنده إذا سرّب ، ولا يندب قواده إذا ندب ؛ إلا إلى المخالف . فاقراً كتابنا هذا على من بحضرتك من أهل الخراج ؛ ليلبغ شاهدُهم غائبهم ؛ وعنف عليهم في استخراجهم ، ومنهم هم بكسره . فليُسَدَ بذلك صفحته ؛ لينزل الله به ما أنزل بأمثاله ؛ فإن لهم أسوة في الوظائف وغيرها بأهل جرجان ^(٤) والرى وما والاها ؛ فإنما خفف الخلقاء عنهم خراجهم ، ورُفِعَت الرفائع عنهم للحاجة التي كانت إليهم في محاربة أهل

١٢٧١/٣

١٢٧٢/٣

(٢) ط : « والتعذير » ، وما أثبتته من أ .

(١) من أ .

(٣) ف : « من أهل » .

(٤) ط : « بما » .

الجلال ومغازي^(١) الديلم الضلال ؛ وقد كفى الله أمير المؤمنين أعزّه الله ذلك كله ، وجعل أهل الجبال والديلم جنداً وأعواناً ، والله المحمود .

قال : فلما ورد كتاب المازيار على شاذان بن الفضل عامله على الخراج ، أخذ الناس بالخراج ، فجبى جميع الخراج في شهرين ، وكان يُجبى في اثني عشر شهراً ، في كل أربعة أشهر الثلث ؛ وإن رجلاً يقال له علي بن يزداد العطار ؛ وهو ممن أخذ منه رهينة ، هرب وخرج من عمل المازيار ، فأخبر أبو صالح سرخاستان^(٢) بذلك ؛ وكان خليفة المازيار على سارية ، فجمع وجوه أهل مدينة سارية ، وأقبل يوبّخهم ، ويقول : كيف يطمئن الملك إليكم ! أم كيف يثق بكم ! وهذا علي بن يزداد ممن قد حلف وباع ، وأعطى الرهينة ثم نكث وخرج ، وترك رهينته ؛ فأنتم لا تفون بيمين ، ولا تكرهون الخلف والخنث ، فكيف يثق بكم الملك ، أم كيف يرجع لكم^(٣) إلى ما تحبون ! فقال بعضهم : نفتل الرهينة حتى لا يعود غيره إلى الحرب ، فقال لهم : أتفعلون ذلك ؟ قالوا : نعم ؛ فكتب إلى صاحب الرهائن ، فأمره أن يوجه بالحسن بن علي بن يزداد وهو رهينة أبيه ؛ فلما صاروا به إلى سارية ندم الناس على ما قالوا لأبي صالح ، وجعلوا يرجعون على الذي أشار بقتله بالتعنيف . ثم جمعهم سرخاستان ، وقد أحضر الرهينة ، فقال لهم : إنكم قد ضمنتم شيئاً ؛ وهذا الرهينة فاقتلوه ، فقال له عبد الكريم بن عبد الرحمن الكاتب : أصلحك الله ! إنك أجّلت من خرج من هذا البلد شهرين ، وهذا الرهينة قبلك ؛ نسألك أن تؤجله شهرين ، فإن رجع أبوه وإلا أمضيت فيه رأيك .

قال : فغضب على القوم ، ودعماً بصاحب حرسه — وكان يقال له رستم ابن بارويه — فأمره بصلب الغلام . وإن الغلام سأله أن يأذن له أن يصلّي ركعتين ، فأذن له ، فطوّل في صلاته وهو يسرّع ، وقد مدّ له جذع ، فجذبوا الغلام من صلاته ، ومدّوه فوق الجذع ، وشدّوا حلقة معه حتى اختنق ، وتوفّي فوقه ، وأمر سرخاستان أهل مدينة سارية أن يخرجوا إلى أمّس ، وتقدّم

(١) ط : « ولغازي » . (٢) ا : « شرحاسيان » . (٣) ف : « إليكم ولكم » .

إلى أصحاب المسالح في إحضار أهل الخنادق من الأبناء والعرب ، فأحضروا ومضى مع أهل سارية إلى أمّمل ، وقال لهم : إننى أريد أن أشهّدكم على أهل أمّمل ، وأشهّد أهل أمّمل عليكم ، وأردّ ضياعكم وأموالكم ؛ فإن لزمتم الطاعة والمناصحة زدناكم من عندنا ضعف ما كنّا أخذنا منكم . فلما وافوا أمّمل جمعهم بقصر الخليل بن ونداستجان ، وصيّر أهل سارية ناحية عن غيرهم ووكل بهم اللوزجان ، وكتب أسماء جميع أهل أمّمل حتى لم يخف منهم أحدٌ عليه ، ثم عرضهم بعد ذلك على الأسماء حتى اجتمعوا ؛ ولم يتخلف منهم أحد ، وأحدق الرجال في السلاح بهم ، وصنّفوا جميعاً ، ووكل بكل واحد منهم رجلين بالسلاح ، وأمر الموكل بهم أن يحمل رأس كل من كاع عن المشى ، وساقهم مكتفين حتى وافى بهم جبلا يقال له هُرْمُز داباذ ، على ثمانية فراسخ من أمّمل وثمانية فراسخ من مدينة سارية ، وكتبّ لهم بالحديد ، وحبسهم . وبلغت عِدّتهم عشرين ألفاً ، وذلك في سنة خمس وعشرين ومائتين فيما ذكر عن محمد بن حفص .

١٢٧٤/٣

* * *

فأما غيره من أهل الأخبار وجماعة ممّن أدرك ذلك فإنهم قالوا : كان ذلك في سنة أربع وعشرين ومائتين ؛ وهذا القول عندى أولى بالصواب ، وذلك أن مقتل مازيار كان في سنة خمس وعشرين ومائتين وكان فعله ما فعل بأهل طبرستان قبل ذلك بسنة .

* * *

رجع الحديث إلى الخبر عن قصة مازيار وفعله بأهل أمّمل على ما ذكر عن محمد بن حفص . قال : وكتب إلى الدُرّى ليفعل ذلك بوجوه العرب والأبناء ممّن كان معه بمرّو ، وكتبّ لهم بالحديد ، وحبسهم ، ووكل بهم الرجال في حبسهم ؛ فلمّا تمكن المازيار ، واستوى له أمره وأمر القوم ، جمع أصحابه ، وأمر سرخاستان بتخريب سُور مدينة أمّمل ؛ فخرّبه بالطبول والمزامير ، ثم سار إلى مدينة سارية ؛ ففعل بها مثل ذلك .

١٢٧٥/٣

ثم وجّه مازيار أخاه فوهيسار إلى مدينة طَمِيس — وهى على حدّ جرجان من عمل طبرستان — فخرّب سورها ومدينتها ، وأباح أهلها ، فهرب منهم ممّن

هرب ، وبلى مَنْ بُلِي . ثم توجه بعد ذلك إلى طميس سرخاستان ، وانصرف عنها قوهيار ، فلحق بأخيه المازيار ، فعمل سرخاستان سوراً من طميس إلى البحر ، ومدّه في البحر مقدار ثلاثة أميال . وكانت الأكاسرة بنسبه بينها وبين الترك ؛ لأن الترك كانت تُغير على أهل طبرستان في أيامها ، ونزل معسكراً بطميس سرخاستان وصيّر حولها خندقاً وثيقاً وأبراجاً للحرس ، وصيّر عليها باباً وثيقاً ؛ ووكل به الرجال الثقات ؛ ففزع أهل جرجان ، وخافوا على أموالهم ومدينتهم ؛ فهرب منها نفر إلى نيسابور ، وانتهى الخبر إلى عبد الله بن طاهر وإلى المعتصم ؛ فوجه إليه عبد الله بن طاهر عمّه الحسن بن الحسين بن مُصعب ، وضمّ إليه جيشاً كثيفاً يحفظ جرجان ، وأمره أن يعسكر على الخندق ؛ فتزل الحسن بن الحسين معسكراً على الخندق الذي عمله سرخستان ، وصار بين العسكرين عرض الخندق ، ووجه أيضاً عبد الله بن طاهر حيّان بن جبلة في أربعة آلاف إلى قوميس معسكراً على حدّ جبال شروين ، ووجه المعتصم من قبيله محمد بن إبراهيم بن مصعب أخا إسحاق بن إبراهيم في جمع كثيف ، وضمّ إليه الحسن بن قارن الطبري القائد ومَنْ كان بالباب من الطبرية ، ووجه منصور بن الحسن هار صاحب دُنْباوند إلى مدينة الرّميّ ليدخل طبرستان من ناحية الرّميّ ، ووجه أبا الساج إلى اللارز ودنباوند ؛ فلما أحْدَقَت الخيل بالمازيار من كلّ جانب بعث عند ذلك إبراهيم بن مهران صاحب شُرطته وعلى بن ربّين الكاتب النصرانيّ ، ومعهما خليفة صاحب الحرس إلى أهل المدن المحتبسّين عنده ؛ أن الخيل قد زحفت إلى من كل جانب ؛ وإنما حبستكم ليعث إلى هذا الرجل فيكم — يعنى المعتصم — فلم يفعل ؛ وقد بلغنى أن الحجّاج ابن يوسف غضب على صاحب السند في امرأة أمرت من المسلمين ، وأدخلت إلى بلاد السند حتى غزا السند ، وأنفق بيوت الأموال حتى استنفذ المرأة وردّها إلى مدينتها ؛ وهذا الرجل لا يكثر بعشرين ألفاً ، ولا يبعث إلى يسأل فيكم ؛ وإني لا أقدم على حربيه ؛ وأنتم ورائي ، فأدوا إلى خراج سنتين ، وأخلت سبيلكم ؛ ومن كان منكم شاباً قوياً قدمته للقتال ؛ فمن وفّى لي منكم رددت عليه ماله ، ومَنْ لم يف أكون قد أخذت دينه ، ومن كان شيخاً أضعيفاً صيرته من الحفظة والبوابين .

١٢٧٦/٣

١٢٧٧/٣

فقال رجل يقال له موسى بن هرمز الزاهد - كان يقال إنه لم يشرب الماء منذ عشرين سنة - أنا أؤدى إليك خراج سنتين ، وأقوم به ، فقال خليفة صاحب الحرس لأحمد بن الصُّقَيْيَر : لِمَ لا تتكلم ، وقد كنتَ أحظى القوم عند الأصهبذ ؛ وقد كنتَ أراك تتغذى معه ، وتكفى على وسادته ! وهذا شيء لم يفعله الملك بأحد غيرك ؛ فأنت أولى بالقيام بهذا الأمر من موسى ، قال أحمد : إن موسى لا يقدر على القيام بجباية درهم واحد ؛ وإنما أجابكم بجهل وبما هو عليه وعلى الناس أجمع ؛ ولو علم صاحبكم أن عندنا درهماً واحداً لم يجبنا ؛ وإنما حبسنا بعد ما استنظف كل ما عندنا من الأموال والذخائر ؛ فإن أراد الضياع بهذا المال أعطيناه . فقال له علي بن ربَّن الكاتب : الضياع للملك لا لكم ، فقال له إبراهيم بن مهران : أسألك بالله يا أبا محمد ، لما سكتَ عن هذا الكلام ! فقال له أحمد : لم أزل ساكناً حتى كلمنى هذا بما قد سمعت .

ثم انصرفت الرسل على ضمان موسى الزاهد ، وأعلموا المازيار ضمانه ، وانضم إلى موسى الزاهد قومٌ من السعاة ، فقالوا : فلان يحتمل عشرة آلاف ، وفلان يحتمل عشرين ألفاً وأقل وأكثر ، وجعلوا يستأكلون الناس أهل الخراج وغيرهم ؛ فلما مضى لذلك أيام ، ردّ مازيار الرُّسل مقتضياً المال ، ومتنجزاً ما كان من ضمان موسى الزاهد ؛ فلم يمرّ لذلك أثر^(١) ولا تحقيقاً ، وتحقق قول أحمد ، وألزمه الذنب . وعلم المازيار^(٢) أن ليس عند القوم ما يؤدّون ؛ وإنما أراد أن يلقى الشرّ بين أصحاب الخراج ؛ ومن لا خراج عليه من التجار والصناع .

١٢٧٨/٣

قال : ثم إن سرخاستان كان معه ممّن اختار من أبناء القوادر وغيرهم من أهل آمل فتیان لهم جلد وشجاعة ، فجمع منهم في داره مائتين وستين فتى ممّن يخاف ناحيته ، وأظهر أنه يريد جمعهم للمناظرة ، وبعث إلى الأكرّة المختارين من الدّهّاقين ، فقال لهم : إن الأبناء هواهم مع العرب والمسودّة ؛ ولست آمنُ غدرهم ومكرهم ؛ وقد جمعت أهل الظنّة من أخاف ناحيته ، فاقتلوهم لتأمّنوا ، ولا يكون في عسكركم من يخالف هواه . ثم أمر بكتفهم

(٢) ف : « وأعلم المازيار » .

(١) كذا في ١ ، س .

ودفعهم إلى الأكرة ليلاً ، فدفعوهم إليهم ، وصاروا بهم إلى قنّاة هناك ، فقتلوهم
 ورَمَوْا بهم في آبار تلك القنّاة وانصرفوا . فلما ثاب إلى الأكرة عقولُهم
 ندِموا على فعلهم ، وفزعوا من ذلك ؛ فلما علم المازيار أن القوم ليس عندهم
 ما يؤدّونه إليه ، بعث إلى الأكرة المختارين الذين قتلوا المائتين والستين فتىً ،
 فقال لهم : إني قد أبحثكم منازل أرباب الضياع وحُرّمهم - إلا ما كان من
 جارية جميلة من بناتهم ؛ فإنها تصير للملك - وقال لهم : صيروا إلى الحبس
 فاقتلوا أرباب الضياع جميعهم قبل ذلك ، ثم حُوزوا بعد ذلك ، ما وهبُ لكم
 من المنازل والحُرّم ، فحبسُ القوم عن ذلك وخافوا وحذروا فلم يفعلوا ما أمرهم به .
 قال : وكان الموكّلون بالسّور من أصحاب سرخاستان يتحدثون ليلاً مع حرس
 الحسين بن الحسين بن مصعب ، وبينهم عُرْضُ الخندق ؛ حتى استأنس بعضهم
 ببعض ، وتأمروا وحرس سرخاستان بتسليم السور إليهم ، فسلموه ، ودخل
 أصحابُ الحسن بن الحسين من ذلك الموضع إلى عسكر سرخاستان في غفلة
 من الحسن بن الحسين ومن سرخاستان ؛ فنظر أصحابُ الحسن إلى قوم
 يدخلون من الحائط ، فدخلوا معهم ؛ فنظر الناس بعضهم إلى بعض ، فثاروا .
 وبلغ الحسن بن الحسين بن مصعب ، فجعل يصيح بالقوم ويمنعهم ، ويقول :
 يا قوم ؛ إني أخاف عليكم أن تكونوا مثل قوم داوُدَ آن ، ومضى أصحاب
 قيس بن زنجويه - وهو من أصحاب الحسن بن الحسين - حتى نصبوا العلمَ
 على السور في معسكر سرخاستان ، وانتهى الخبر إلى سرخاستان أن العرب قد
 كسروا السور ، ودخلوا بغتةً ، فلم تكن له همة إلا الهرب ؛ وكان سرخاستان
 في الحماّم ، فسمع الصياح ، فخرج هارباً في غلالة . وقال الحسن بن الحسين
 حين لم يقدر على رد أصحابه : اللهمّ إنهم قد عصوني وأطاعوك ؛ اللهمّ
 فاحفظهم ^(١) وانصرهم ، ولم يزل أصحاب الحسن يتبعون القوم حتى صاروا إلى
 الدّرْب الذي على السور فكسروه ، ودخل الناس ^(٢) من غير مانع حتى استولوا
 على جميع ما في العسكر ، ومضى قوم في الطلب .

وذكر عن زرارة بن يوسف السجزي أنه قال : مررتُ في الطلب ؛ فبينما

(١) س : « فحفظهم » .

(٢) ف : « ودخلوا » .

أنا كذلك ؛ إذ صرت إلى موضع عن يَسْرَةِ الطريق ، فوجلت من الممرّ فيه ، ثم تفحّصتُه بالرمح من غير أن أرى ^(١) أحداً ، وصحتُ : من أنت ؟ وبلك ! فإذا شيخ جَسِيمٌ قد ^(٢) صاح « زينهارة » - يعنى الأمان - قال : فحملت عليه ، فأخذته ، وشددت كتافه ، فإذا هو شهر يار أخو أبي صالح سرخاستان ، صاحب العسكر ه قال : فدفعته إلى قائدى يعقوب بن منصور ، وحال الليلُ بيننا وبين الطلب ؛ فرجع الناس إلى المعسكر ، وأتى بشهريار إلى الحسن بن الحسين فضرب عنقه . وأما أبو صالح فمضى حتى صار على خمسة فراسخ من معسكره ؛ وكان عليلاً ؛ فجهدته ^(٣) العطش والفرع ، فنزل في غِيَضَةٍ يمنية الطريق إلى سفح جبل ، وشدّت دابته واستلقى ، فبصّر به غلام له ورجل من أصحابه يقال له جعفر بن وَندَ آميد ؛ فنظر إليه نائماً ، فقال سرخاستان : يا جعفر ؛ شربة ماء ، فقد جهدنى العطش ؛ قال : فقلت : ليس معى إثناءً أغرف به من هذا الموضع ؛ فقال سرخاستان : خذ رأس جُعبتي فاستقنى به ؛ قال جعفر : وملتُ إلى عِداد من أصحابي ، فقلت لهم : هذا الشيطان قد أهلكنا فلم لا نتقرب ^(٤) به إلى السلطان ؛ ونأخذ لأنفسنا الأمان ! فقالوا لجعفر : كيف لنا به ؟ قال : فوقفهم عليه ، وقال لهم : أعينوني ساعة ، وأنا أثاره ، فأخذ جعفر خشبة عظيمة وسرخاستان مستلقى ، فألقى نفسه عليه ، وملكوه وشدّوه كِتافاً مع الخشبة ، فقال لهم أبو صالح : خذوا منى مائة ألف درهم واتركوني ؛ فإنّ العرب لا تعطيكُم شيئاً ، قالوا له : أحضرها ، قال : هاتوا ميزاناً ، قالوا : ومن أين ها هنا ميزان ؟ قال : فمن أين ها هنا ما أعطيكم ! ولكن صبروا معى إلى المنزل ، وأنا أعطيكم العهود والمواثيق أننى أفى لكم بذلك ، وأوفر عليكم ، فصاروا به إلى الحسن بن الحسين ، فاستقبلتهم خيل للحسن بن الحسين ، فضربوا رؤوسهم ، وأخذوا سرخاستان منهم ، فهمتُهم أنفُسُهم ، ومضى أصحاب الحسن بأبى صالح إلى الحسن ؛ فلما وقفوه بين يديه ، دعا الحسن قواد طبرستان ؛ مثل محمد بن المغيرة بن شعبة الأزديّ وعبد الله بن محمد القطّقطيّ الضبيّ والفتح بن قراط وغيرهم ؛ فسألهم : هذا سرخاستان ؟ قالوا : نعم ، فقال لمحمد

١٢٨١/٣

(٢) ف : « وقد صاح » .

(٤) ف : « ألا نتقرب » .

(١) س : « أرى » .

(٣) ف : « فأجهد » .

ابن المغيرة ؛ قم فاقتله بابنك وأخيك ، فقام إليه فضربه بالسيف ، وأخذته
السيف فقتل .
* * *

١٢٨٢/٣

ذكر خبر أبي شاس الشاعر

وكان أبو شاس الشاعر ، وهو الغطريف بن حصين بن حنّش فتى
من أهل العراق ، ربّيَ بخراسان ، أديباً فهِمّاً ، وكان سرخاستان ألزمه نفسه
يتعلم منه أخلاق العرب ومذاهبها ، فلما نزل بسرخاستان ما نزل به ، وأبو شاس
في معسكره ، ومعه دوابٌ وأنقال ، هجم عليه قوم البُخاريّة ؛ من أصحاب
الحسن ؛ فانتهبوا جميع ما كان معه ، وأصابته جراحات ، فبادر أبو شاس
فأخذ جرّة كانت معه ، فوضعها على عاتقه ، وأخذ بيده قدحاً ، وصاح : الماء
للسبيل ؛ حتى أصاب غفلة من القوم ، فهرب من مضربه ، وقد أصابته جراحة ،
فبصر به غلام — وقد كان مرّاً بمضرب عبد الله بن محمد بن حميد القُطُطُطِيّ
الطبري ؛ وكان كاتب الحسن بن الحسين — فعرفوه ، عرّفه خدمه ، وعلى
عاتقه الجرّة وهو يسقي الماء ، فأدخلوه خيمتهم ، وأخبروا أصحابهم بمكانه ،
فأدخل عليه ، فحمله وكساه ، وأكرمه غاية الإكرام ، ووصفه للحسن بن
الحسين ، وقال له : قل في الأمير قصيدة ، فقال أبو شاس : والله لقد امتحني
ما في صدرى من كتاب الله من الهول ، فكيف أحسن الشعر ! ووجه الحسن
برأس أبي صالح سرخاستان إلى عبد الله بن طاهر ، ولم يزل من معسكره .

* * *

١٢٨٣/٣

وذكر عن محمد بن حفص أن حيّان بن جبّلة مولى عبد الله بن طاهر ،
كان أقبل مع الحسن بن الحسين إلى ناحية طميس ؛ فكتب قارن بن شهر يار ،
ورغبه في الطاعة ، وضمن له أن يملكه على جبال أبيه وجدّه ، وكان قارن
من قوَاد مازيار وهو ابن أخيه . وكان مازيار صيّرهُ مع أخيه عبد الله بن
قارن ، وضمّ إليهما عداة من ثقات قوَادِه وقرباته ؛ فلما استأله حيّان ؛ وكان قارن
قد ضمن له أن يسلم له الجبال ، ومدينة سارية إلى حدّ جُرْجان ، على أن يملكه
على جبال أبيه وجدّه إذا وفى له بالضّمان ، وكتب بذلك حيّان إلى عبد الله بن
طاهر ، سجّل له عبد الله بن طاهر بكلّ ما سأل ، وكتب إلى حيّان بأن

يتوقّف ولا يدخل الجبل ولا يُوغِل حتى يكون من قارن ما يُستدلّ به على الوفاء ؛ لئلا يكون منه مكر ؛ فكتب حيّان إلى قارن بذلك ، فدعا قارن بعبد الله ^(١) ابن قارن وهو أخو مازيار ، ودعا جميع قوّاده إلى طعامه ؛ فلمّا أكلوا ووضعوا سلاحهم واطمأنّوا أحدق بهم أصحابه في السلاح الشاك ، وكتفهم ووجه بهم إلى حيّان بن جبّلة ، فلما صاروا إليه استوثق منهم ، وركب حيّان في جمعه حتى دخل جبال قارن .

وبلغ مازيار الخبر فاغتمّ لذلك ، وقال له القوهيار أخوه : في حبسك عشرون ألفاً من المسلمين ؛ من بين إسكاف وخياط ؛ وقد شغلت نفسك بهم ؛ وإنما أتيت من مأمّنك وأهل بيتك وقربتك ^(٢) ؛ فما تصنع بهؤلاء المحبّسين ^(٣) عندك ؟ قال : فأمر مازيار بتخليفة جميع مَن في حبسه ، ثم دعا إبراهيم بن مهران صاحب شرطته ^(٤) ، وعلى بن ربّ النصرانيّ كاتبه ، وشاذان بن الفضل صاحب خراجه ، ويحيى بن الروذ بهار جهنذه ؛ وكان من أهل السّهّل عنده ، فقال لهم : إن حرمكم ومنازلكم وضباعكم بالسّهّل ، وقد دخلت العرب إليكم ^(٥) ، وأكره أن أشؤمكم ؛ فاذهبوا إلى منازلكم ، وخذوا لأنفسكم الأمان . ثم وصلهم ^(٦) ، وأذن لهم في الانصراف ، فصاروا إلى منازلهم وأخذوا الأمان لأنفسهم ^(٧) .

١٢٨٤/٣

ولما بلغ أهل مدينة سارية أخذ سرخاستان واستباحة عسكره ودخول حيّان ابن جبلة جبل شروين ، وثبوا على عامل مازيار بسارية — وكان يقال له مَهْرِيَسْتَانِي بن شهريز — فهرب منهم ، ونجّا بنفسه ، وفتح الناس باب السجن ، وأخرجوا مَن فيه ، ووافى حيّان بعد ذلك مدينة سارية . وبلغ قوهيار أخا مازيار موافاة حيّان سارية ، فأطلق محمد بن موسى بن حفص الذي كان عامل طبرستان من حبسه ، وحمله على بغل بسرّج ، ووجه به ^(٨) إلى حيّان ليأخذ له الأمان ، ويجعل له جبال أبيه وجدّه على أن يسلم إليه مازيار ، ويوثق

(٢) ا ، ف : « وقرباتك » .

(١) س : « لعبد » .

(٤) ا ، س : « شرطه » .

(٣) ف : « المحتبسين » .

(٦) ف : « ثم دعاهم ووصاهم » .

(٥) س : « إليه » .

(٨) ا : « وجهه » .

(٧) ف : « لأنفسهم الأمان » .

له بذلك بضمان محمد بن موسى بن حفص وأحمد بن الصُّقَيْر ؛ فلما صار محمد بن موسى إلى حيّان ، وأخبره برسالة قوهيار إليه ، قال له حيّان : من هذا ؟ يعني أحمد ، قال : شيخ البلاد ، وبقية ^(١) الخلفاء والأمير عبد الله بن طاهر به عارف ، فبعث حيّان إلى أحمد ، فأثاه فأمره بالخروج إلى مسلحة خُرّ ماباذ مع محمد بن موسى . وكان لأحمد ابن يقال له إسحاق ، وكان قد هرب من مازيار ؛ يأوى نهاره الغياض ، ويصيرُ بالليل إلى ضيعة يقال لها ساواشريان ؛ وهي على طريق الجادة من قدح الأصهبذ الذي فيه قصر مازيار .

فذكر عن إسحاق ، أنه قال : كنتُ في هذه الضيعة ، فرّجى عدة من أصحاب مازيار ؛ معهم دوابّ تقاد وغير ذلك ؛ قال : فوثبت على فرس منها هجين ضخم ، فركبته عُرِيّاً ؛ وصرت إلى مدينة سارية ، فدفعته إلى أبي ، فلماً أراد أحمد الخروج إلى خُرّ ماباذ ركب ذلك الفرس ، فنظر إليه حيّان ، فأعجبه ، فالتفت حيّان إلى اللّوزجان - وكان من أصحاب قارن - فقال له ^(٢) : رأيت هذا الشيخ على فرس نبيل قلّ ما رأيت مثله ، فقال له اللّوزجان : هذا الفرس كان لمازيار ، فبعث حيّان إلى أحمد يسأله البعثة بالفرس ^(٣) إليه ؛ لينظر إليه ؛ فبعث به إليه ، فلما تأمّل النظر وفتّشه ^(٤) وجده مشطّب اليدين ، فزهّد فيه ، ودفعه إلى اللّوزجان ، وقال لرسول أحمد : هذا لمازيار ، ومال مازيار لأمر المؤمنين ؛ فرجع الرسول فأخبر أحمد ، فغضب على اللّوزجان من ذلك ؛ فبعث إليه أحمد بالشّتيمة ، فقال اللّوزجان : ما لي في هذا ذنب ! وردّ الفرس إلى أحمد ، ومعه برذون وشيهرى [غارَه] ^(٥) ، فأمر رسوله فدفعهما إليه . وغضب أحمد من فعل حيّان به ، وقال : هذا الحائك يبعث إلى شيخ مثلى فيفعل به ما فعل ! ثم كتب إلى قوهيار : ويحك ! لم تغلط في أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عمّ الأمير عبد الله بن طاهر ، وتدخل في أمان هذا العبد الحائك ، وتدفع أخاك ، وتضع قدرك ، وتحقد عليك الحسن بن الحسين

(١) كذا في أ ، وفي ط ، ف : « يعرفه » . (٢) ف : « قال » .

(٣) ف : « ليسأله الفرس والبعث به » . (٤) ق : « وقلبه » .

(٥) الشهي : ضرب من البرازين والتكلة من أ .

بتركك إياه وميلك^(١) إلى عبد من عبيده ! فكتب إليه قوهيار : قد غلظتُ في أول الأمر ؛ وواعدت الرجل أن أصير إليه بعد غد ؛ ولا آمن إن خالفته^(٢) أن يناهضني ويحاربني ؛ ويستبيح منازل^(٣) وأموالي ؛ وإن قاتلته فقتلتُ من أصحابه ، وجرت الدماءُ بيننا وقعت الشحنة ؛ ويبطل هذا الأمر الذي التمسته . فكتب إليه أحمد : إذا كان يوم الميعاد فابعث إليه رجلا من أهل بيتك ، واكتب إليه أنه قد عرضت لك علة منعتك من الحركة ، وأنتك تتعالج ثلاثة أيام ؛ فإن عوفيت وإلا صرت إليه في محمل ، وسنحملة نحن على قبول ذلك منك ، والمصير في الوقت .

وإن أحمد بن الصُّقَيْر ومحمد بن موسى بن حفص كتبوا إلى الحسن بن الحسين وهو في معسكره بطميس ينتظر أمر عبد الله بن طاهر وجواب كتابه بقتل سرخاستان وفتح طميس ، فكتبوا إليه أن اركب إلينا لنُدفع إليك ما زيار والجليل^(٤) ؛ وإلا فانك ، فلا تَقم . ووجه الكتاب مع شاذان بن الفضل الكاتب ، وأمره أن يجعل السير .

١٢٨٧/٣

فلما وصل الكتاب إلى الحسن ركب من ساعته ، وسار مسيرة ثلاثة أيام في ليلة ؛ حتى انتهى إلى سارية ، فلما أصبح سار إلى خُرّما باذ - وهو يوم موعد قوهيار - وسمع حيان وقعَ طبول الحسن ، فركب فتلَقَّاه على رأس فرسخ ، فقال له الحسن : ما تصنع ها هنا ! ولم توجه إلى هذا الموضع ، وقد فتحت جبال شروين وتركتهما ، وصرت إلى ها هنا ! فما يؤمنك أن يبدو للقوم ، فيغدروا بك ، فينتقض عليك جميع ما عملت . ارجع إلى الجبل ، فصير مسالكك في النواحي والأطراف ، وأشرف على القوم إشرافاً لا يمكنهم الغدر ؛ إن هموا به . فقال له حيان : أنا على الرجوع ، وأريد أن أحمل أثقالى ، وأتقدم إلى رجالى بالرحلة ، فقال له الحسن : امض أنت ؛ فأنا باعث بأثقالك ورجالك خلفك ، وبيت الليلة بمدينة سارية حتى يوافوك ، ثم تبكر من غد ؛ فخرج حيان من فوره كما أمره الحسن إلى سارية ، ثم ورد عليه كتاب عبد الله بن طاهر أن

(١) ١ ، وابن الأثير : « وميلك » . (٢) س : « إن خالفت » .

(٣) ف : « منزل » . (٤) س : « والجليل » .

١٢٨٨/٣

يعسكر بلبشورة وهي من جبال وند آهرمز، وهي أحسن موضع من جباله ، وكان أكثر مال مازيار بها—وأمره عبد الله ألا يمنع قارن مِمَّا يريد من تلك الجبال والأموال . فاحتمل قارن ما كان لمازيار هنالك من المال ؛ والذي كان بأسباندرة من ذخائر مازيار ، وما كان لسرخستان بقدر السلطان ، واحتوى على ذلك كله .

فانتقض على حيّان جميع ما كان سنع له بسبب ذلك الفرس ، وتوفّي بعد ذلك حيّان بن جبلة . فوجه عبد الله مكانه على أصحابه محمد الحسين بن مصعب ، وتقدم إليه عبد الله ألا يضرب على يدي قارن في شيء يريد ، وصار الحسن ابن الحسين إلى خرماباذ ، فأناه محمد بن موسى بن حفص وأحمد بن الصقيّر ، فتناطروا سرّاً ، فجزأهما خيراً ؛ وكتب هو إلى قوهييار ، فوافي خرماباذ ، وصار إلى الحسن ، فبرّه وأكرمه وأجابه إلى كل ما سأل ، واتّعدا على يوم ؛ ثم صرفه وصار قوهييار إلى مازيار ، فأعلمه أنه قد أخذ له الأمان ، واستوثق له . وكان الحسين بن قارن قد كاتب قوهييار من ناحية محمد بن إبراهيم بن مصعب ، وضمن له الرغائب عن^(١) أمير المؤمنين ، فأجابه قوهييار ، وضمن له ما ضمن لغيره ؛ كل ذلك ليردّهم عن الحرب ومال إليه . فركب محمد بن إبراهيم من مدينة آمل ، وبلغ الحسن بن الحسين الخبر .

١٢٨٩/٣

فذكر عن إبراهيم بن مهران أنه كان يتحدث عند أبي السعد^(٢) ، فلما قرب وكان طريقه على باب مضرب الحسن . قال : فلما حاذيت مضربه ؛ إذا بالحسن الزوال انصرف يريد منزله . راكب وحده ، لم يتبعه إلا ثلاثة غلمان له أتراك ، قال : فرميت بنفسى ، وسلّمت عليه ، فقال : اركب ؛ فلما ركب قال : أين طريق آرم ؟ قلت : هي على هذا الوادي ، فقال لي : امض أماًى ، قال : فضيت حتى بلغت درباً على ميلين من آرم ، قال : ففزع ، وقلت : أصلح الله الأمير ! هذا موضع مهول ، ولا يسلكه^(٣) إلا^(٤) فارس ؛ فأرى لك أن تنصرف

(١) ١ ، ف : « على أمير المؤمنين » .

(٢) ١ : « الصغرى » .

(٤) ٤ : « ألف » .

(٣) ٣ : « ولا يدخله » .

ولا تدخله^(١) . قال : فصاح بي : امض ، فضيت وأنا طائش العقل ؛ ولم نتر في طريقنا أحداً حتى وافينا آرم ؛ فقال لي : أين طريق هرمزدا باز ؟ قلت : على هذا الجبل في هذا الشراك ، قال : فقال لي : سر إليها ، فقلت : أعز الله الأمير ! الله الله في نفسك وفينا وفي هذا الخلق الذي معك ! قال : فصاح بي : امض يا ابن اللخناء ، قال : فقلت له : أعزك الله ! اضرب أنت عنق ؛ فإنه أحب إلى من أن يقتلني مازيار ، ويلزمني الأمير عبد الله بن طاهر الذنب .

قال : فانتهرني حتى ظننت أنه سيبطش بي ، ومضيت وأنا خليع الفؤاد ، وقلت في نفسي : الساعة تؤخذ جميعاً^(٢) ، أو نوقف بين يدي مازيار فيوبسخي ، ويقول : جئت دليلاً على ! فبينما نحن كذلك إذ وافينا هرمزدا باز مع اصفرار الشمس ، فقال لي : أين كان سجن المسلمين ها هنا ؟ فقلت له : في هذا الموضع .

قال : فترجل فجلس ونحن صيام ، والحيل تلحقنا متقطعة ؛ وذلك أنه ركب من غير علم الناس ، فعلموا بعد ما مضى ؛ فدعا الحسن بيعقوب بن منصور ، فقال له : يا أبا طلحة ، أحب أن تصير إلى الطالقانية ، فتلطّف بحيلك لجيش أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن مصعب هنالك ساعتين أو ثلاث ساعات أو أكثر ؛ ما أمكنك . وكان بينه وبين الطالقانية فرسخان أو ثلاثة فراسخ ؛ قال إبراهيم : فبينما نحن وقوف بين يدي الحسن ؛ إذ دعا بتقيس بن زنجويه ، فقال له : امض إلى درب لبورة ؛ وهو على أقل من فرسخ ؛ فابرز بأصحابك على الدرب .

١٢٩٠/٣

قال : فلما صلينا المغرب وأقبل الليل ؛ إذا أنا بفرسان بين أيديهم الشمع مشتعلاً مقبلين من طريق لبورة ، فقال لي : يا إبراهيم ؛ أين طريق لبورة ؟ فقلت : أرى نيراناً وفرساناً قد أقبلوا من ذلك الطريق ، قال : وأنا داهش لأقف على ما نحن فيه ، حتى قربت النيران منا ؛ فأنظر فإذا المازيار مع القوهيار ؛ فلم

أشعر حتى نزلا، وتقدم المازيار ، فسلم على الحسن بالإمرة ، فلم يرد عليه ،
وقال لطاهر بن إبراهيم وأوس البلخي : خذاه إليكما .

وذكر عن أخى وميدوار بن خواست جيلان ، أنه في تلك الليلة صار مع
نفر إلى قوهيار ، وقال له : اتق الله ، قد خلفت سرواتنا ؛ فأذن لي أكنُف
هؤلاء العرب كلَّهم ؛ فإن الجند حيارى جياع ، وليس لهم طريق يهربون ،
فتذهب بشرفها ما بقى الدهر ، ولا تثق بما يعطيك العرب ؛ فليس لهم وفاء !
فقال قوهيار : لا تفعلوا ؛ وإذا قوهيار قد عبى علينا العرب ، ودفع مازيار
وأهل بيته إلى الحسن لينفرد بالملك ؛ ولا يكون أحد ينازعه ويضاده .

فلما كان في السحر ، وجهه الحسن بالمازيار مع طاهر بن إبراهيم وأوس البلخي
إلى خرّ ماباذ ، وأمرهما أن يمرّأ به إلى مدينة سارية ؛ وركب الحسن ، وأخذ على
وادي بابك إلى الكانية مستقبلا^(١) محمد بن إبراهيم بن مُصعب ، فالتقيا ومحمد
يريد المصير إلى هرمز داباذ لأخذ المازيار ، فقال له الحسن : يا أبا عبد الله ،
أين تريد ؟ قال : أريد المازيار ، فقال : هو بسارية ؛ وقد صار إلى ،
ووجهت به إلى هنالك ؛ فبقى محمد بن إبراهيم متحيراً . وكان القوهيار قد همّ
بالغدر بالحسن ، ودفع المازيار إلى محمد بن إبراهيم ، فسبق الحسن إلى ذلك ،
وتخوف القوهيار منه أن يحاربه حين رآه متوسطاً الجبل ، إن أحمد بن الصقير
كتب إلى القوهيار : لا أرى لك التخليط والمناسبة لعبد الله بن طاهر ؛ وقد
كُتِبَ إليه بخبرك وضمانك فلا تكن ذا قلبين ؛ فعند ذلك حذّره ودفعه إلى
الحسن ، وصار محمد بن إبراهيم والحسن بن الحسين إلى هرمز داباذ ؛ فأحرقا
قصر المازيار بها ، وأنها ماله ، ثم صارا إلى معسكر الحسن بخرّ ماباذ ، ووجهتا
إلى إخوة المازيار ، فحبسوا هناك في داره^(٢) ، ووكل بهم . ثم رحل الحسن
إلى مدينة سارية ؛ فأقام بها ، وجلس المازيار بقرب خيمة الحسن ، وبعث
الحسن إلى محمد بن موسى بن حفص يسأله عن القَيْد الذي كان قيده به
المازيار ؛ فبعث به محمد إليه ؛ فقيّد المازيار بذلك القَيْد ، ووافى محمد بن
إبراهيم الحسن بمدينة سارية لينظره في مال المازيار وأهل بيته ، فكتبنا بذلك

إلى عبد الله بن طاهر ، وانتظرا أمره ؛ فورد كتاب عبد الله إلى الحسن بتسليم المازيار وإخوته وأهل بيته إلى محمد بن إبراهيم ؛ ليحملهم^(١) إلى أمير المؤمنين المعتصم ؛ ولم يعرض عبد الله لأموالهم ، وأمره أن يستصفى جميع ما للمازيار ويحرزه ؛ فبعث الحسن إلى المازيار فأحضره ، وسأله عن أمواله^(٢) فذكر أن ماله عند قوم ستماءم ، من وجوه أهل سارية وصلحائهم عشرة نفر ، وأحضر القوهيار ، وكتب عليه كتاباً ، وضمنه توفير هذه الأموال التي ذكرها المازيار ؛ أنها عند خزانة وأصحاب كنوزه ؛ فضمن القوهيار ذلك وأشهد على نفسه .

ثم إن الحسن أمر الشهود الذين أحضرهم أن يصيروا إلى المازيار ؛ فيشهدوا عليه ؛ فذكر عن بعضهم ، أنه قال : لما دخلنا على المازيار ، تخوفت من أحمد بن الصقير أن يفزعه بالكلام ، فقلت له : أحب أن تمسك عنه ، ولا تذكر ما كنت أشرت به ؛ فسكت أحمد عند ذلك ، فقال المازيار : أشهدوا أن جميع ما حملت من أموالى وصحبنى ستة وتسعون ألف دينار ، وسبع عشرة قطعة زمرد ، وست عشرة قطعة ياقوت أحمر ، وثمانية أوقار سلال مجلدة ، فيها ألوان الثياب ، وتاج وسيف من ذهب وجوهر ، وخنجر من ذهب مكلل بالجوهر ، وحق كبير مملوء جوهرآ ؛ وقد وضعه بين أيدينا ، وقد سلمت ذلك إلى محمد بن الصباح ، وهو خازن عبد الله بن طاهر وصاحب خبره على العسكر وإلى القوهيار . قال : فخرجنا إلى الحسن بن الحسين ، فقال : أشهدتم على الرجل ؟ قال : قلنا : نعم ، قال : هذا شيء كنت اخترته لى ، فأحببت أن يعلم قليته وهو أنه عندي .

١٢٩٣/٣

وذكر عن علي بن ربن النصراني الكاتب أن ذلك الحق كان شرى جوهره على المازيار وجده وشهريار ثمانية عشر ألف ألف درهم ، وكان المازيار حمل ذلك كله إلى الحسن بن الحسين ؛ على أن يظهر أنه خرج إليه في الأمان ، وأنه قد آمنه على نفسه وماله وولده ؛ وجعل له جبال أبيه ؛ فامتنع الحسن بن

(١) ف : « فحملهم » .

(٢) ف : « ماله » .

١٢٩٤/٣

الحسين من هذا وعف عنه - وكان أعف الناس عن أخذ درهم أو دينار - فلما أصبح أنفذ المازيار مع طاهر بن إبراهيم وعلى بن إبراهيم الحربى ، وورد كتاب عبد الله بن طاهر فى إنفاذه مع يعقوب بن منصور ، وقد ساروا بالمازيار ثلاث مراحل ؛ فبعث الحسن فردّه ، وأنفذه^(١) مع يعقوب بن منصور . ثم أمر الحسن بن الحسين القوهيسارى أن يحمل الأموال التى ضمنها ، ودفع إليه بغالا من العسكر ، وأمر بإنفاذ جيش معه ؛ فامتنع القوهيسارى ، وقال : لا حاجة لى بهم ؛ وخرج بالبغال^(٢) هو وغلमानه ؛ فلما ورد الجبل وفتح الخزان ، وأخرج الأموال وعبأها ليحملها ، وثب عليه مماليك المازيار من الديلمة - وكانوا ألفاً ومائتين^(٣) - فقالوا له : غدرت بصاحبنا ، وأسلمته إلى العرب ، وجئت لتحمل أمواله ! فأخذوه وكتبوه بالحديد ؛ فلما جنته الليل قتلوه ؛ وانتهبوا تلك الأموال والبغال ؛ فانتهى الخبر إلى الحسن ، فوجّه جيشاً إلى الذين قتلوا القوهيسارى ، ووجّه قارن جيشاً من قبيلة فى أخذهم ؛ فأخذ منهم صاحب قارن عدة ، منهم ابن عم المازيار ، يقال له شهريار بن المصمغان - وكان رأس العبيد ومحرضهم - فوجّه به قارن إلى عبد الله بن طاهر ، فلما صار بقوميس مات ، وكان جماعة أولئك الديلمة أخذوا على السفح والغبيضة يريدون الديلم ، فنذر بهم محمد بن إبراهيم بن مصعب ، فوجّه من قبيلة الطبرية وغيرهم حتى عارضوهم ، وأخذوا عليهم الطريق ، فأخذوا ، فبعث بهم إلى مدينة سارية مع على بن إبراهيم ، وكان مدخل محمد بن إبراهيم حين دخل من شلمشبة على طريق الروذبار إلى الورئان .

١٢٩٥/٣

وقيل : إن فساد أمر مازيار وهلاكه كان من قبل ابن عم له يقال له...^(٤) كان فى يديه جبال طبرستان كلها ، وكان فى يد المازيار السهل ؛ وكان ذلك كالقسمة^(٥) بينهم يتوارثونه ؛ فذكر عن محمد بن حفص الطبرى أن الجبال بطبرستان ثلاثة : جبل وكنداهرمز فى وسط جبال طبرستان ، والثانى جبل أخيه

(٢) ف : « وأخذ البغال وخرج » .

(١) ف : « وبعثه » .

(٤) بياض فى ط ، وفى ا : « ابن عم له كان فى يديه جبال طبرستان » .

(٣) ف : « وماتى رجل » .

(٥) س : « بالقسمة » .

ونداسبجان^(١) بن الأنداد بن قارن، والثالث جبيل شرؤين بن سُرخاب ابن باب؛ فلما قوى أمر المازيار بعث إلى ابن عمه ذلك، وقيل هو أخوه القوهيار، فألزمه بابه، وولّى الجبل والياً من قبيله؛ يقال له درى؛ فلما احتاج المازيار إلى الرجال لمحاربة عبد الله بن طاهر؛ دعا بابن عمه أو أخيه القوهيار؛ فقال له: أنت أعرف بمهلك من غيرك، وأظهره على أمر الأفشين ومكاتبته له، وقال له: صرّ في ناحية الجبل، فاحفظ على الجبل.

وكتب المازيار إلى الدرّى يأمره بالقدوم عليه، فقدم عليه، فضمّ إليه العساكر، ووجهته في وجه عبد الله بن طاهر؛ وظنّ أنه قد توثق من الجبل بابن عمه أو أخيه القوهيار؛ وذلك أن الجبل لم يظنّ أنه يؤتى منه. لأنه ليس فيه للعساكر والمحاربة طريق لكثرة المضايق والشجر الذى فيه، وتوثق من المواضع التى يتخوف منها بالدرّى وأصحابه، وضمّ إليه المقاتلة وأهل عسكره، فوجه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب في جيش كثيف من خراسان إلى المازيار، ووجه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب، ووجه معه صاحب خمر يقال له يعقوب بن إبراهيم البوشنجى مولى الهادى، ويعرف بقوصرة؛ يكتب بخبر العسكر^(٢)؛ فوافى محمد بن إبراهيم الحسن بن الحسين، وزحف العساكر نحو المازيار^(٣) حتى قاربوا منه^(٣)، والمازيار لا يشكّ أنه قد توثق من الموضع الذى تلقاه الجبل فيه.

١٢٩٦/٣

وكان المازيار في مدينته في نفر يسير، فدعا ابن عم المازيار الحقد الذى كان في قلبه على المازيار وصنيعه به وتنحيته إياه عن جبله، أن كاتب الحسن ابن الحسين، وأعلمه جميع ما في عساكره، وأن الأفشين كاتب المازيار.

فأنفذ الحسن كتاب ابن عم المازيار إلى عبد الله بن طاهر، فوجه به عبد الله برجل إلى المعتصم، وكاتب عبد الله والحسن بن الحسين ابن عم المازيار— وقيل القوهيار— وضمننا له جميع ما يريد؛ وكان ابن عم المازيار أعلم عبد الله

(١) في التصويبات: «ونداسيجان»، وانظر الفهرس.

(٢) ف: «فكتب خبر العساكر».

(٣-٣) ف: «والمازيار قريب منهم».

ابن طاهر أن الجبل الذي هو عليه كان له ولأبيه ولآبائه من قبيل المازيار ،
وأن المازيار عند تولية الفضل بن سهل إياه طبرستان انتزع الجبل من يديه ،
وألزمه بابه ، واستخف به ، فشرط له عبد الله بن طاهر إن هو وثب بالمازيار ،
واحتال له أن يصير الجبل في يديه على حسب ما لم يزل ، ولا يعرض له فيه ؛
ولا يحارب ^(١) .

١٢٩٧/٣

فرضي بذلك ابن عم المازيار ، فكتب له عبد الله بن طاهر بذلك كتاباً ،
وتوثق له فيه ، فوعد ابن عم المازيار الحسن بن الحسين ورجلهم أن يدخلهم
الجبل ؛ فلمّا كان وقت الميعاد ، أمر عبد الله بن طاهر الحسن بن الحسين أن
يتزحف للقاء الدرّي ، ووجهه عسكرياً ضخماً عليه قائد من قواده ^(٢) في
جوف الليل ، فوافوا ابن عم المازيار في الجبل ، فسلم الجبال ^(٣) إليهم ،
وأدخلهم إليها ، وصاف الدرّي العسكر الذي يلزاه ؛ فلم يشعر المازيار وهو
في قصره حتى وقفت الرّجالة والخيّل على باب قصره ، والدرّي يحارب العسكر
الآخر ؛ فحصروا المازيار ، وأنزلوه على حكم أمير المؤمنين المعتصم .

وذكر عمرو بن سعيد الطبري أن المازيار كان يتصيد ؛ فوافته الخيل في
الصيد ؛ فأخذ أسيراً ، ودخل قصره عنوة ، وأخذ جميع ما فيه ، وتوجه
الحسن بن الحسين بالمازيار ، والدرّي يقاتل العسكر الذي يلزاه ، لم يعلم بأخذ
المازيار ؛ فلم يشعر إلّا وعسكر ^(٤) عبد الله بن طاهر من ورائه ، فتقطعت
عساكره ، فانهزم ^(٥) ومضى يريد الدخول إلى بلاد الديلم ، فقتل أصحابه ،
واتبعوه فلهقوه في نفر من أصحابه ، فرجع يقاتلهم ، فقتل وأخذ رأسه ،
فبعث به إلى عبد الله بن طاهر . وقد صار المازيار في يده ، فوعده عبد الله
ابن طاهر إن هو أظهره على كتب الأفشين أن يسأل أمير المؤمنين الصفّح
عنه ، وأعلمه عبد الله أنه قد علم أن الكتب عنده . فأقر المازيار بذلك ،
فطلبت الكتب فوجدت ، وهي عدة كتب ، فأخذها عبد الله بن طاهر ،

١٢٩٨/٣

(١) س : « يحارب » . (٢) ف : « من قواد عبد الله بن طاهر » .

(٣) س : « الجبل » . (٤) ف : « بعسكر » .

(٥) ف : « وانهزم » .

فوجته بها مع المازيار إلى إسحاق بن إبراهيم ، وأمره ألا يخرج الكتب من يده ولا المازيار إلا إلى يد^(١) أمير المؤمنين ؛ لئلا يُحتال للكتب والمازيار ، ففعل إسحاق ذلك ، فأوصلها من يده إلى يد المعتصم ؛ فسأل المعتصم المازيار عن الكتب ، فلم يقر بها ؛ فأمر بضرب المازيار حتى مات ؛ ووصل إلى جانب بابك .

وكان المأمون يكتب إلى المازيار : من عبد الله المأمون إلى جيل جيلان أصبهبذان بصهار جرشاه^(٢) محمد بن قارن مولى أمير المؤمنين .

وقد ذكر أن بدء وهنى أمر الدرّى ، كان أنه لما بلغه بعدما ضم إليه المازيار الجيش نزول جيش محمد بن إبراهيم دُنياوند ، وجّه أخاه بزرجشنس ، وضم إليه محمداً وجعفرأبى رستم الكلارى ورجالاً من أهل الثغر وأهل الرويان ، وأمرهم أن يصيروا إلى حدّ الرويان والرّى لمنع الجيش ؛ وكان الحسن بن قارن قد كاتب محمداً وجعفرأبى رستم ، ورغبهما ؛ وكانا من رؤساء أصحاب الدرّى ، فلما التقى جيش الدرّى وجيش محمد بن إبراهيم ، انقلب ابن رستم وأهل الثغرين وأهل الرويان على بزرجشنس أخى الدرّى ، فأخذوه أسيراً ، وصاروا مع محمد بن إبراهيم على مقدّمته ؛ وكان الدرّى بموضع يقال له مَزْن^(٣) فى تَصْرَه مع أهله وجميع عسكره . فلما بلغه غدر محمد وجعفرأبى رستم ومتابعة أهل الثغرين والرويان لهما وأسر أخيه بزرجشنس ، اغتم لذلك غمّاً شديداً ، وأذن أصحابه ، وهتّتهم أنفسهم ، وتفرّق عامتهم يطلبون الأمان ، ويحتالون لأنفسهم . فبعث الدرّى إلى الديلمة فصار ببابه مقدار أربعة آلاف رجل منهم ، فرغبهم ومنّاهم . ووصلهم . ثم ركب وحمل الأموال معه ، ومضى كأنه يريد أن يستنقذ أخاه ويحارب محمد بن إبراهيم ؛ وإنما أراد الدخول إلى الديلم ، والاستظهار بهم على محمد بن إبراهيم .

فاستقبله محمد بن إبراهيم فى جيشه ؛ فكانت بينهم وقعة صعبة ؛ فلما

(١) ف : « إلا لأمير المؤمنين » .

(٢) ط : « بصهار خرشاه » ، وانظر الفهرس والتصويبات .

(٣) ط : « مرو » ، تحريف ؛ وانظر الفهرس .

مضى الدرّى هرب الموت كلون بالسجن ، وكسر أهل السجن أقيادهم ، وخرجوا هارين ، ولحق كل إنسان ببلده . واتفق خروج أهل سارية الذين كانوا في حبس المازيار وخروج هؤلاء الذين كانوا في حبس الدرّى في يوم واحد ، وذلك في شعبان لثلاث عشرة ليلة خلت منه سنة خمس وعشرين ومائتين في قول محمد بن حفص . وقال غيره : كان ذلك في سنة أربع وعشرين ومائتين .

وذكر عن داود بن قحذم أن محمد بن رستم ، قال : لما التقى الدرّى ومحمد ابن إبراهيم بساحل البحر ، بين الجبل والغبيضة والبحر ، والغبيضة متصلة بالديلم ، وكان الدرّى شجاعاً بطلاً ، فكان (١) يحمل بنفسه على أصحاب محمد حتى يكشفهم ؛ ثم يحمل معارضة من غير هزيمة ، يريد دخول الغبيضة ، شدّ عليه رجل من أصحاب محمد بن إبراهيم يقال له فند بن حاجبة ، فأخذَه أسيراً واسترجع ، واتبع الجند أصحابه وأخذ جميع ما كان معه من الأثاث والمال والدواب والسلاح ، فأمر محمد بن إبراهيم بقتل بزر جشنس أخى الدرّى ، ودعى بالدرّى فدّ يده فقطعت من مرفقه ، ومدّت رجله فقطعت من الركبة ؛ وكذا باليد الأخرى والرجل الأخرى ، فقعد الدرّى على استه ؛ ولم يتكلم ولم يتزعزع ، فأمر بضرب عنقه . وظفر محمد بن إبراهيم بأصحاب الدرّى فحملهم مكبّلين .

* * *

وفي هذه السنة وكى جعفر بن دينار اليمن .
وفيه تزوّج الحسن بن الأفشين أترنجة بنت أشناس ، ودخل بها في العمري ، قصر المعتصم في جُمادى الآخرة ، وأحضر عرسها عامة أهل سامرا فحدّث أنهم كانوا يغلفون (٢) العامة فيها بالغالية (٣) في تغار (٣) من فضة ، وأن المعتصم كان يباشر بنفسه تفقّد من حضرها .
وفيه امتنع عبد الله الورثاني بيورثان .

* * *

(١) ف : « وكان » .

(٢) يغلفون : يطيبون ، والغالية : نوع من الطيب .

(٣) في القاموس : « التغار : الإجاعة » ، ولعل التغار لغة فيه .

[ذكر الخبر عن خلاف منكجور الأشرؤسنى]

وفيه خالف منكجور الأشرؤسنى قرابة الأفشين بأذر بييجان .

* ذكر الخبر عن سبب خلافه :

ذكر أن الأفشين عند فراغه من أمر بابك ومنصرفه من البهال ولى أذر بييجان - وكانت من عمله - واليه منكجور هذا ، فأصاب فى قرية بابك فى بعض منازل مالا عظيماً ، فاحتجته لنفسه ؛ ولم يعلم به الأفشين ولا المعتصم ؛ وكان على البريد بأذر بييجان رجل من الشيعة يقال له عبد الله بن عبد الرحمن ؛ فكتب إلى المعتصم بخبر ذلك المال ، وكتب منكجور يكذب ذلك ؛ ف وقعت المناظرة بين منكجور وعبد الله بن عبد الرحمن ؛ حتى هم منكجور بقتل عبد الله بن عبد الرحمن ، فاستغاث عبد الله بأهل أردبيل ، ففعوه مما أراد به منكجور ؛ وبلغ ذلك المعتصم ، فأمر الأفشين أن يوجه رجلاً من قبله بعزل منكجور ، فوجه رجلاً من قواده فى عسكر ضخم ؛ فلما بلغ منكجور ذلك ، خلع وجمع إليه الصعاليك ، وخرج من أردبيل ، فرآه القائد فواقعه ، فانهزم منكجور ، وصار إلى حصن من حصون أذر بييجان - التى كان بابك أخربها - حصين فى جبل منيع ، فبناه وأصلحه ، وتحصن فيه ؛ فلم يلبث إلا أقل من شهر حتى وثب به أصحابه الذين كانوا معه فى الحصن ، فأسلموه ودفعوه إلى القائد الذى كان يحاربه ؛ فقدم به إلى سامرا^(١) ، فأمر المعتصم بحسبه ، فاتهم الأفشين فى أمره .

١٣٠٢/٣

وقيل : إن القائد الذى وجهه لحرب منكجور هذا كان بغا الكبير .

وقيل : إن بغا لما لقي منكجور خرج منكجور إليه بأمان .

وفيه مات ياطس الروى ، وصُلب بسامرا إلى جانب بابك .

وفيه مات إبراهيم بن المهدي فى شهر رمضان وصلى عليه المعتصم .

وحج بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

(١) : « سر من رأى » .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك كان قدوم الوريثاني على المعتصم في الحرم بالأمان .
وفيهما قدم بئغا الكبير بمنكجور سامرا .

وفيهما خرج المعتصم إلى السن ، واستخلف أشناس .

وفيهما أجلس المعتصم أشناس على كرسي ، وتوجته ووشحه في شهر ربيع الأول .

وفيهما أحرق غنام المرتد .

وفيهما غضب المعتصم على جعفر بن دينار ، وذلك من أجل وثوبه على من كان معه من الشاكريّة (١) ، وحبسه عند أشناس خمسة عشر يوما ، وعزله عن اليمن ، ولأها إيتاخ ، ثم رضى عن جعفر

وفيهما عزل الأفشين عن الحرس ووليه إسحاق بن يحيى بن معاذ .

وفيهما وجه عبد الله بن طاهر بمازيار ، فخرج إسحاق بن إبراهيم إلى الدسكرة ، فأدخله سامرا في شوال ، وأمر بحمله على الفيل ، فقال محمد بن عبد الملك الزيات :

قد خُصِبَ الفيلُ كعادتهِ يحملُ جيلانَ خراسانِ
والفيلُ لا تخضبُ أعضاؤه إلا ليزي شأنٍ من الشأنِ

فأبى مازيار أن يركب الفيل ، فأدخل على بغل بكاف ، فجلس المعتصم في دار العامة ، لخمس ليال خلون من ذي القعدة ، وأمر فجميع بينه وبين الأفشين ؛ وقد كان الأفشين حبس قبل ذلك بيوم ، فأقر المازيار أن

(١) الشاكريّة : الأجراء .

الأفشين كان يكاتبه ، ويصوب له الخلاف والمعصية ^(١) ، فأمر برد الأفشين إلى محبسه ، وأمر بضرب مازيار ، فضرب أربعمئة سوط وخمسين سوطاً ، وطلب ماء فسقى ، فمات من ساعته .

* * *

[ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الأفشين وحبه]

وفيها غضب المعتصم على الأفشين فحبسه .

* ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وحبه إياه :

ذكر أن الأفشين كان أيام حربيه بابلك ومُقامه بأرض الحرّمية ؛ لا يأتيه هدية من أهل إرمينية إلا وجه بها إلى أشروسنة ، فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر ، فيكتب عبد الله إلى المعتصم بخبره ؛ فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمر بتعريف جميع ما يوجه به الأفشين من الهدايا إلى أشروسنة ؛ ففعل عبد الله بذلك ؛ وكان الأفشين كلما تهيأ عنده مال حملته أوساط أصحابه من الدنانير والهمالين بقدر طاقتهم ؛ كان الرجل يحمل من الألف فما فوقه من الدنانير في وسطه ؛ فأخبر عبد الله بذلك ؛ فبينما هو في يوم من الأيام ، وقد نزل رُسل الأفشين معهم الهدايا نيسابور وجه إليهم عبد الله بن طاهر ، وأخذهم ففتشهم ، فوجد في أوساطهم همالين ، فأخذها منهم ، وقال لهم : من أين لكم هذا المال ؟ فقالوا : هذه هدايا الأفشين ؛ وهذه أمواله . فقال : كذبتم ؛ لو أراد أخى الأفشين أن يرسل بمثل هذه الأموال لكتب إلى يعلمني ذلك لأمر بحراسته وببَدْرَقته ^(٢) ؛ لأن هذا مال عظيم ؛ وإنما أنتم لصوص . فأخذ عبد الله بن طاهر المال ، وأعطاه الجند قبّله ، وكتب إلى الأفشين يذكر له ما قال القوم ، وقال : أنا أنكر أن تكون وجهت بمثل هذا المال إلى أشروسنة ، ولم تكتب إلى تعلمني لأبَدْرَقه ؛ فإن كان هذا المال ليس لك فقد أعطيتَه الجند مكان المال الذي يوجهه إلى أمير المؤمنين في كل سنة ، وإن كان المال لك — كما زعم القوم . فإذا جاء المال من قبيل أمير المؤمنين رددته إليك ؛ وإن يكن غير ذلك ^(٣) فأمر المؤمنين أحق بهذا المال ؛ وإنما دفعته إلى الجند

١٣٠٤/٣

١٣٠٥/٣

(١) س : « في المعصية » . (٢) البذرة : الخفارة . (٣) ف : « هكذا » .

لأنى أريد أن أوجههم إلى بلاد الترك .

فكتب إليه الأفشين يعلمه أن ماله ومال أمير المؤمنين واحد ، ويسأله إطلاق القوم ليمضوا إلى أشروسنة ؛ فأطلقهم عبد الله بن طاهر ، ففضوا ؛ فكان ذلك سبب الوحشة بين عبد الله بن طاهر وبين الأفشين .

ثم جعل عبد الله يتتبع عليه ، وكان الأفشين يسمع أحياناً من المعتصم كلاماً يدل على أنه يريد أن يعزل آل طاهر عن خراسان ، فطمع الأفشين في ولايتها ، فجعل يكتب مازيار ، ويبعثه على الخلاف ، ويضمن له القيام بالدفع عنه عند السلطان ؛ ظناً منه أن مازيار إن خالف احتاج المعتصم إلى أن يوجهه لمحاربته ، ويعزل عبد الله بن طاهر ويوليّه خراسان ؛ فكان من أمر مازيار ما قد مضى ذكره .

وكان من أمر منكجور بأذربيجان ما قد وصفنا قبل . فتحقق عند المعتصم - بما كان من أمر الأفشين ومكاتبته مازيار بما كان يكتبه به - ما كان اتهمه به من أمر منكجور ؛ وأن ذلك كان عن رأى الأفشين وأمره إياه به ، فتغير المعتصم للأفشين لذلك ؛ وأحس الأفشين بذلك ، وعلم تغير حاله عنده ، فلم يدر ما يصنع ، فعزم - فيما ذكر - على أن يهتئ أطوافاً في قصره ، ويحتال في يوم شغل المعتصم وقواده أن يأخذ طريق الموصل ، ويعبر الزاب على تلك الأطواف ؛ حتى يصير إلى بلاد أرمينية ، ثم إلى بلاد الخزر ، فعسر ذلك عليه ، فهيئاً سميّاً كثيراً ، وعزم على أن يعمل طعاماً ويدعو المعتصم وقواده فيسقيهم^(١) ؛ فإن لم يحبه المعتصم استأذنه في قواد الأتراك ، مثل أشناس وإيتاخ وغيرهم في يوم تشاغل أمير المؤمنين ، فإذا صاروا إليه أطعمهم وسقاهم وسمّهم ؛ فإذا انصرفوا من عنده خرج من أول الليل ، وحمل تلك الأطواف والآلة التي يعبر بها على ظهور الدواب حتى يجيء إلى الزاب فيعبر بأنقاله على الأطراف ، ويعبر الدواب سباحةً كما أمكنه ، ثم يرسل الأطواف حتى يعبر في دجلة ، ويدخل هو بلاد أرمينية ؛ وكانت ولاية أرمينية إليه ، ثم

(١) ف : « فيطعمهم » .

يصير هو إلى بلاد الخزر مستأمناً ، ثم يدور من بلاد الخزر إلى بلاد الترك ، ويرجع من بلاد الترك إلى بلاد أشروسنة ، ثم يستميل الخزر على أهل الإسلام ؛ فكان في تهيشة ذلك ، وطال به الأمر فلم يمكنه ذلك .

وكان قواد الأفشين ينوبون في دار أمير المؤمنين كما ينوب القواد ؛ فكان واجن الأشروسني قد جرى بينه وبين من قد اطلع على أمر الأفشين حديث ، فذكر له واجن أن هذا الأمر لا أراه يمكن ولا يتم ؛ فذهب ذلك الرجل الذي سمع قول واجن ، فحكاه للأفشين . وسمع بعض من يميل إلى واجن من خدم الأفشين وخاصته ما قال الأفشين في واجن ، فلما انصرف واجن من النوبة في بعض الليل أتاه فأخبره أن^(١) قد أُلقيَ ذلك إلى الأفشين ، فحذر^(٢) واجن على نفسه ، فركب من ساعته في جوف الليل حتى أتى دار أمير المؤمنين ، وقد نام المعتصم ؛ فصار^(٣) إلى إيتاخ ، فقال : إن لأمر المؤمنين عندي نصيحة ، فقال له إيتاخ : أليس الساعة كنت ها هنا ! قد نام أمير المؤمنين . فقال له واجن : ليس يمكنني أن أصبر إلى غد ، فدق إيتاخ الباب على بعض من يعلم المعتصم بالذي قال واجن ، فقال المعتصم : قل له ينصرف الليلة إلى منزله ، ويبكر على في غد . فقال واجن : إن انصرفت الليلة ذهبت نفسي ، فأرسل المعتصم إلى إيتاخ : بيته الليلة عندك . فبيته إيتاخ عنده ؛ فلما أصبح بكره به مع صلاة الغداة ، فأوصله إلى المعتصم ، فأخبره بجميع ما كان عنده ؛ فدعا المعتصم محمد بن حماد بن دثقس الكاتب ، فوجته يدعو الأفشين ، فجاء الأفشين في سواد ، فأمر المعتصم بأخذ سواده ، وحبيسه ، فحبس في الجوسق ؛ ثم بنى له حبساً مرتفعاً ، وبتاه لؤلؤة داخل الجوسق ، وهو يعرف إلى الآن بالأفشين .

١٣٠٧/٣

وكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر في الاحتيايل للحسن بن الأفشين - وكان الحسن قد كثرت كتبه إلى عبد الله بن طاهر في نوح بن أسد - يعلمه تحامله على ضياعه وناحيته ، فكتب عبد الله بن طاهر إلى نوح بن أسد يعلمه ما كتب به أمير المؤمنين في أمره ، ويأمره بجمع أصحابه والتأهب له ؛ فإذا قدم عليه الحسن ابن الأفشين بكتاب ولايته استوثق منه ، وحمله إليه . فكتب عبد الله بن طاهر

١٣٠٨/٣

(١) أ ، س : « أنه » . (٢) س : « فحذروا » . (٣) ف : « فصاح » .

إلى الحسن بن الأفشين يُعلمه أنه عزل نوح بن أسد، وأنه قد ولّاه الناحية، ووجهه إليه بكتاب عزل نوح بن أسد .

فخرج الحسن بن الأفشين في قلة من أصحابه وسلاحه؛ حتى ورد على نوح بن أسد، وهو يظن أنه والى الناحية، فأخذه نوح بن أسد، وشده وثاقاً . ووجه به إلى عبد الله بن طاهر، فوجه به عبد الله إلى المعتصم . وكان الحبس الذي بُني للأفشين شبيهاً بالمئارة، وجعل في وسطها مقدار مجلسه؛ وكان الرجال ينوبون تحتها كما تدور .

وذكر عن هارون بن عيسى بن المنصور، أنه قال: شهدت دار المعتصم وفيها أحمد بن أبي دؤاد وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب ومحمد بن عبد الملك الزيات، فأتى بالأفشين ولم يكن بعد في الحبس الشديد، فأخضِر قوم من الوجوه لتبكي الأفشين بما هو عليه، ولم يترك في الدار أحد من أصحاب المراتب إلا ولد المنصور، وصُرف الناس .

وكان المناظر له محمد بن عبد الملك الزيات، وكان الذين أحضروا المازيار صاحب طبرستان والمؤيد والمرزبان بن تركش—وهو أحد ملوك السُغد—ورجلان من أهل السُغد؛ فدعا محمد بن عبد الملك بالرجلين، وعليهما ثياب رثة، فقال لهما محمد بن عبد الملك: ما شأنكما؟ فكشفا عن ظهورهما وهي عارية من اللّحم، فقال له محمد: تعرف هذين؟ قال: نعم؛ هذا مؤذن، وهذا إمام، بنيا مسجداً بأشروسنة، فضربت^(١) كل واحد منهما ألف سوط؛ وذلك أن بيني وبين ملوك السُغد عهداً وشرطاً، أن أترك كل قوم على دينهم وما هم عليه؛ فوثب هذان على بيت كان فيه أصنامهم—يعني أهل أشروسنة—فأخرجوا الأصنام، واتخذاه مسجداً، فضربتهما على هذا ألفاً ألفاً لتعديهما، ومنعهما القوم من بيعتهما^(٢). فقال له محمد: ما كتاب عندك قد زينتته بالذهب والجواهر والديباج، فيه الكفر بالله؟ قال: هذا كتاب ورثته عن أبي، فيه أدب من آداب العجم؛ وما ذكرت من الكفر؛ فكنت أستمتع منه بالأدب^(٣)، وأترك ما سوى ذلك، ووجدته محلى، فلم تضطرنى الحاجة إلى

(٢) ١: «بيتهم» .

(١) ف: «فضرب» .

(٣) ف: «أستمتع منه الأدب» .

أخذ الحلبة منه؛ فتركته على حاله؛ ككتاب كليله ودمنة وكتاب مَزْدَك في منزلك؛ فما ظننت أن هذا يخرج من الإسلام.

قال: ثم تقدم الموبذ، فقال: إن هذا كان يأكل الخنوقة، ويحملني على أكلها، ويزعم أنها أرطب لحماً من المذبوحة؛ وكان يقتل شاة سوداء كل يوم أربعاء^(١)، يضرب وسطها بالسيف يمشی بين نصفيها ويأكل لحمها. وقال لي يوماً: إني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شيء أكرهه؛ حتى أكلتُ لهم الزيت وركبت الجمل^(٢)، ولَبَّيْسْتُ النعل؛ غير أني إلى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة — يعني لم يَطْلَ^(٣) ولم يختن.

١٣١٠/٣

فقال الأفشين: خبروني عن هذا الذي يتكلم بهذا الكلام، ثقة؟ هو في دينه؟ — وكان الموبذ مجوسياً أسلم بعدُ على يد المتوكل وناداهم قالوا: لا، قال: فما معنى قبولكم شهادة^(٤) من لا تثقون به ولا تعدلونه! ثم أقبل على الموبذ، فقال: هل كان بين منزلي ومنزلك باب أو كوة تطلع على منها وتعرف^(٥) أخباري منها؟ قال: لا، قال: أفليس كنت أدخلك إلى وأبشك سرى وأخبرك بالأعجمية وميلي إليها وإلى أهلها؟ قال: نعم، قال: فلست بالثقة في دينك ولا بالكريم في عهدك؛ إذا أفشيت على سراً أسرته إليك.

ثم تنحى الموبذ، وتقدم المرزبان بن تركش، فقالوا للأفشين: هل تعرف هذا؟ قال: لا، فقيل للمرزبان: هل تعرف هذا؟ قال: نعم، هذا الأفشين، قالوا له: هذا المرزبان، فقال له المرزبان: يا مُمَخْرَق، كم تدافع وتموت! قال له الأفشين: يا طويل اللحية، ما تقول؟ قال: كيف يكتب إليك أهل مملكته؟ قال: كما كانوا يكتبون إلى أبي وجدي. قال: فقل، قال: لا أقول، فقال المرزبان: أليس يكتبون إليك بكذا وكذا بالأشروسنية؟ قال: بلى، قال: أفليس تفسيره بالعربية «إلى إله الآلهة من

١٣١١/٣

(٢) س: «لحم الخيل».

(١) س: «أربعة».

(٣) س: ابن الأثير: «أخذ شعر العانة».

(٤) ف: «شهادته».

(٥) س: «أو تعرف».

عبده فلان بن فلان»، قال : بلى ! قال محمد بن عبد الملك : والمسلمون يحملون أن يقال لهم هذا ! فما بقيت لفرعون حين قال لقومه : ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (١) ! قال : كانت هذه عادة القوم لأبى وجدى ، ولى قبل أن أدخل فى الإسلام ، فكرهت أن أضع نفسى دونهم فتفسد على طاعتهم . فقال له إسحاق بن إبراهيم بن مصعب : ويحك يا خيذر (٢) ! كيف تحلف بالله لنا فنصد قلبك ونصدق يمينتك ونجريك مجرى المسلمين ، وأنت تدعى ما ادعى فرعون ! قال : يا أبا الحسين ؛ هذه سورة قرأها عبيد بن جراح على بن هشام ، وأنت تقرؤها على ، فانظر غداً من يقرؤها عليك !

قال : ثم قدّم مازيار صاحب طبرستان ، فقالوا للأفشين : تعرف هذا ؟ قال : لا ، قالوا للمازيار : تعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا الأفشين ، فقالوا له : هذا المازيار ؟ قال : نعم ، قد عرفته الآن ، قالوا : هل كاتبته ؟ قال : لا ، قالوا للمازيار : هل كتب إليك ؟ قال : نعم ، كتب أخوه خاش إلى أخى قوهيار ؛ أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيرى وغيرك وغير بابك ؛ فأما بابك فإنه بحمقه قتل نفسه ، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت (٣) فأبى حمقه (٤) إلا أن دلاه فيما وقع فيه ، فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيرى ومعى الفرسان وأهل النجدة والبأس ؛ فإن وجهت إليه لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة : العرب ، والمغاربة ، والأتراك ، والعربى بمنزلة الكلب اطرخ له كسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس ؛ وهؤلاء الذباب - يعنى المغاربة - إنما هم أكلمة رأس ، وأولاد الشياطين - يعنى الأتراك - فإنما هم ساعة حتى تنفذ سهامهم ، ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتى على آخرهم ؛ ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم . فقال الأفشين : هذا يدعى على أخيه وأخى (٥) دعوى لا تجب على ، ولو كنت كتبت بهذا الكتاب إليه لأستميله إلى ويثى بناحيتى كان غير مستنكر ؛ لأنى إذا نصرت الخليفة بيدى ، كنت بالخيلى أحرى أن أنصره لأخذ بقفاه ، وآتى به الخليفة لأحظى به عنده ، كما حظى

(٢) ط : « حيدر » .

(١) سورة النازعات ٢٤ .

(٤) ابن الأثير : « لحمه » .

(٣) س : « الموت عنه » .

(٥) ف : « على وعلى أخيه » .

به عبد الله بن طاهر عند الخليفة . ثم نحى المازيار .

ولما قال الأفشين للمرزبان التركشنى ما قال ، وقال لإسحاق بن إبراهيم ما قال ، زجر ابن أبى دواد الأفشين ، فقال له الأفشين : أنت يا أبا عبد الله ترفع طيلسانك بيدك ، فلا تضعه على عاتقك حتى تقتل به جماعة ، فقال له ابن أبى دواد : أمطهتر أنت ؟ قال : لا ، قال : فما منعك من ذلك ، وبه تمام الإسلام ، والطهور من النجاسة ! قال : أو ليس فى دين الإسلام استعمال التقيّة ؟ قال : بلى ، قال : خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدى فأموت ، قال : أنت ^(١) تطعن بالرمح ، وتضرب بالسيف ، فلا يمنعك ذلك من أن تكون فى الحرب وتجزع ^(٢) من قطع قلعة ! قال : تلك ضرورة تعينى فأصبر عليها إذا وقعت ؛ وهذا شئ أستجلبه فلا آمن معه خروج نفسى ، ولم أعلم أن فى تركها الخروج من الإسلام ، فقال ابن أبى دواد : قد بان لكم أمره يا بغا - لبغا الكبير أبى موسى التركى - عليك به !

١٣١٣/٣

قال : فضرب بيده بغا على منطقته فجذبها ، فقال قد كنت أتوقع هذا منكم قبل اليوم ، فقلّس بغا ذيل القباء على رأسه ، ثم أخذ بمجامع القباء من عند عنقه ، ثم أخرجه من باب الوزيرى إلى محبسه .

* * *

وفى هذه السنة حمل عبد الله بن طاهر الحسن بن الأفشين وأترنجة بنت أشناس إلى سامرا .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

(١) ف : « أن تطعن » .

(٢) ف : « وتجزع » .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر وثوب عليّ بن إسحاق برجاء بن أبي الضحاك]

فمن ذلك ما كان فيها من وثوب عليّ بن إسحاق بن يحيى بن معاذ - وكان على المعونة بدمشق من قبل صول أرتكين - برجاء بن أبي الضحاك ؛ وكان على الحراج ، فقتله ، وأظهر الوسواس ، ثم تكلم أحمد بن أبي دواد فيه ، فأطلق من محبسه ؛ فكان الحسن بن رجاء يلتقاه في طريق سامرا ، فقال البحرى الطائى :

عَفَا عَلِيٌّ بَنَ إِسْحَاقَ بِفَتْكَيْهِ عَلَى غَرَائِبِ تَيْهِ كُنَّ فِي الْحَسَنِ (١)
أُنْسَتْهُ تَنْقِيْعُهُ فِي اللَّفْظِ نَازِلَةٌ لَمْ تُبْقِ فِيهِ سِوَى التَّسْلِيمِ لِلزَّمَنِ
فَلَمْ يَكُنْ كَابِنَ حُجْرٍ حِينَ ثَارَ وَلَا أَخَى كَلِيبٍ وَلَا سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنِ
وَلَمْ يُقَلِّ لَكَ فِي وَتَرٍ طَلِبَتْ بِهِ تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ

* * *

وفيهما مات محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين ، فصلّى عليه المعتصم في دار محمد .

* * *

[ذكر الخبر عن موت الأفشين]

وفيهما مات الأفشين .

* ذكر الخبر عن موته وما فعل به عند موته وبعده :

ذكر عن حمدون بن إسماعيل ، أنه قال : لما جاءت الفاكهة الحديثة ، جمع المعتصم من الفواكه الحديثة في طبق ، وقال لابنه هارون الوائق : اذهب

١٣١٥/٣

بهذه الفاكهة بنفسك إلى الأفشين ، فأدخلها إليه . فحمِلت مع هارون الوثائق حتى صعد بها إليه في البناء الذي بُني له الذي يسمى لؤلؤة ؛ فحبس فيه ؛ فنظر إليه الأفشين ، فاقتد بعض الفاكهة ؛ ^(١) إما الإجاص وإما الشاهلوج ؛ فقال للوثائق ^(٢) : لا إله إلا الله ، ما أحسنه من طبق ، ولكن ليس لي فيه إجاص ولا شاهلوج ! فقال له الوثائق : هو ذا ^(٣) ، انصرف أوجه به إليك ^(٤) ، ولم يمَس من الفاكهة شيئاً ؛ فلما أراد الوثائق الانصراف قال له الأفشين : أقرئ سيدى السلام ، وقل له : أسألك أن توجه إلى ثقة من قبلك يودى غنى ما أقول ، فأمر المعتصم حمدون بن إسماعيل — وكان حمدون في أيام المتوكل في حبس سليمان بن وهب في حبس الأفشين هذا ؛ فحدث بهذا الحديث وهو فيه :

قال حمدون : فبعث بي المعتصم إلى الأفشين ، فقال لي : إنه سيُطَوَّل عليك فلا تحبس . قال : فدخلت عليه ، وطبق الفاكهة بين يديه لم يمَس منه واحدة فما فوقها ، فقال لي : اجلس ، فجلست فاستأني بالدقهنة ، فقلت : لا تُطَوَّل ؛ فإن أمير المؤمنين قد تقدم إلى ألاّ أحتبس عندك ، فأوجز . فقال : قل لأمر المؤمنين ؛ أحسنت إلى وشرفتني ، وأوطأت الرجال عقيبتي ، ثم قبلت ^(٥) في كلاماً لم يتحقق عندك ؛ ولم تندبره بعقلك ؛ كيف يكون هذا ، وكيف يجوز لي أن أفعل هذا الذي بلغك ! تخبر بأني دسست إلى منكجور أن يخرج ، وتقبله ، وتخبر أني قلت للقائد الذي وجهته إلى منكجور : لا تحاربه ، واعذر ، وإن أحسست بأحد منا فانهزم من بين يديه ؛ أنت رجل قد عرفت الحرب ، وحاربت الرجال ، وسُست العساكر ^(٦) ؛ هذا يمكن رأس عسكري قول لجندي لقون قوماً : افعلوا كذا وكذا ؛ هذا ما لا يسوغ لأحد أن يفعله ؛ ولو كان هذا يمكن ما كان ينبغي أن تقبله من عدو قد عرفت سببه ؛ وأنت أولى بي ، إنما أنا عبد من عبيدك ، وصنيعك ^(٧) ؛ ولكن مشكلى ومثلك يا أمير المؤمنين مثل رجل ربى عجبلاً له حتى أسمنه وكبّير ، وحسنت

١٣١٦/٣

(١ - ١) ف : « فقال : ما أرى فيه إجاص ولا شاهلوج ، فقال الوثائق . »

(٢) ف : « فأوجه لك . »

(٣) ف : « هو هذا . »

(٤) ف : « ودبرت العساكر دستها . »

(٥) ف : « سمعت . »

(٦) ف : « وصنيعك . »

حالته، وكان له أصحاب اشتهو أن يأكلوا من لحمه، فعرّضوا له بذبح العجل فلم يجبههم إلى ذلك، فاتفقوا جميعاً على أن قالوا له ذات يوم: ويحك! لم تُربّي هذا الأسد؟ هذا سبع، وقد كبر، والسبع إذا كبر يرجع إلى جنسه! فقال لهم: ويحك هذا عجل بقر، ما هو سبع، فقالوا: هذا سبع؛ سل من شئت عنه؛ وقد تقدموا إلى جميع من يعرفونه، فقالوا له: إن سألكم عن العجل، فقولوا له: هذا سبع؛ فكلما سأل الرجل إنساناً عنه، وقال له: أما ترى هذا العجل ما أحسنه! قال الآخر: هذا سبع؛ هذا أسد، ويحك! فأمر بالعجل فدُبِح؛ ولكني أنا ذلك العجل، كيف أقدر أن أكون أسداً! الله الله في أمري؛ اصطنعتني وشرقتني وأنت سيدى ومولاي، أسأل الله أن يعطف^(١) بقلبك عليّ.

قال حمدون: فقممت فانصرفت، وتركت الطَّبَقَ على حاله لم يمَسَّ منه شيئاً، ثم ما لبثنا إلا قليلاً؛ حتى قيل: إنه يموت أو قد مات؛ فقال المعتصم: ١٣١٧/٣ أروه ابنه، فأخرجوه فطرحوه بين يديه، فنتف لحيتيه وشعره، ثم أمر به فحمل إلى منزل إيتاخ.

قال: وكان أحمد بن أبي دواد دعا به في دار العامة من الحبس، فقال له: قد بلغ أمير المؤمنين أنك يا خيدر^(٢)، أقلق، قال: نعم، وإنما أراد ابن أبي دواد أن يشهد عليه؛ فإن تكشّف نُسب إلى الخرع؛ وإن لم يتكشّف صحّ عليه أنه أقلق، فقال: نعم، أنا أقلق؛ وحضر الدار ذلك اليوم جميع القواد والناس؛ وكان ابن أبي دواد أخرجه إلى دار العامة قبل مصير الوائق إليه بالفاكهة، وقبل مصير حمدون بن إسماعيل إليه.

قال حمدون: فقلت له: أنت أقلق كما زعمت؟ فقال الأفشين: أخرجني إلى مثل ذلك الموضع، وجميع القواد والناس قد اجتمعوا، فقال لي ما قال؛ وإنما أراد أن يفضحنى؛ إن قلت له: نعم^(٣) لم يقبل قولى، وقال لي: تكشّف، فيفضحنى بين الناس؛ فالموت كان أحبّ إلى من أن أتكشّف

(٢) ط: «جيدر».

(١) ف: «قلبك».

(٣) أ: «إن قلت له: لا».

بين أيدي الناس ؛ ولكن يا حمدون إن أخبيت أن أتكشف بين يديك حتى ترائي فعلت ؛ قال حمدون : فقلت له : أنت عندى صدوق ؛ وما أريد أن تكشف .

فلما انصرف حمدون فأبلغ المعتصم رسالته : أمر بمنع الطعام منه إلا القليل ؛ فكان يدفع إليه في كل يوم رغيف حتى مات ؛ فلما ذهب به بعد موته إلى دار إيتاخ ، أخرجوه فصلبوه على باب العامة ليراها الناس ، ثم طُرح بباب^(١) العامة مع خشبته ؛ فأحرق وحُمِل الرماد ، وطرح^(٢) في دجلة .

١٣١٨/٣

وكان المعتصم حين أمر بحبسه وجه سليمان بن وهب الكاتب يحصى جميع ما في دار الأفشين ويكتبه في ليلة^(٣) من الليالي ، وقصر الأفشين بالمطيرة ، فوجد في داره بيت فيه تمثال إنسان من خشب ، عليه حلية كثيرة وجوهر ، وفي أذنيه حجران أبيضان مشتبكان ؛ عليهما ذهب ، فأخذ بعض من كان مع سليمان أحد الحجرين ؛ وظن أنه جوهر له قيمة ؛ وكان ذلك ليلاً ؛ فلما أصبح ونزع عنه شباك الذهب ، وجده حجراً شبيهاً بالصدف الذي يسمى الخبرون ، من جنس الصدف الذي يقال له البوق ، من صدف أخرج من منزله صور السحابة وغيرها وأصنام وغير ذلك ، والأطواف والخشب التي كان أعدها ؛ وكان له متاع بالوزيرية ، فوجد فيه أيضاً صنم آخر ، ووجدوا في كتبه كتاباً من كتب المجوس يقال له زراوه وأشياء كثيرة من الكتب ؛ فيها ديانته التي كان يدين بها ربه .

وكان موت الأفشين في شعبان من سنة ست وعشرين ومائتين .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود بأمر أشناس ؛ وكان أشناس حاجاً في هذه السنة ، فولّى كل بلدة يدخلها فدعى له على جميع المنابر التي

(١) ف : « على باب » .

(٢) ف : « فطرح » .

(٣) ف : « ويكتبه ليلة » .

مرّ بها من سامراً إلى مكة والمدينة .

وكان الذي دعا له علي منبر الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى ، وعلى منبر فَيْسَد هارون بن محمد بن أبي خالد المروزيّ ، وعلى منبر المدينة محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان ، وعلى منبر مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى ، وسَلَّم عليه في هذه الكُور كلها بالإمارة ، وكانت له ولايتها إلى أن رجع إلى سامراً .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خروج أبي حرب المبرقع]

فمن ذلك ما كان من خروج أبي حرب المُبرِّق اليَمانيّ بفلسطين وخلافه على السلطان .

* ذكر الخبر عن سبب خروجه وما آل إليه أمره :

ذَكَرَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِي مِمَّنْ ذَكَرَ ^(١) أَنَّهُ خَبِيرٌ بِأَمْرِهِ ، أَنَّ سَبَبَ خُرُوجِهِ عَلَى السُّلْطَانِ كَانَ أَنَّ بَعْضَ الْجُنْدِ أَرَادَ النَّزُولَ فِي دَارِهِ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا ، وَفِيهَا إِمَّا زَوْجَتُهُ وَإِمَّا أُخْتَهُ ، فَانْعَمَتْ ذَلِكَ ؛ فَضَرَبَهَا بِسُوطٍ كَانَ مَعَهُ ؛ فَاتَّقَتْهُ بِذِرَاعِهَا ، فَأَصَابَ السُّوطُ ذِرَاعَهَا ، فَاتَّشَرَفِيهَا ؛ فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو حَرْبٍ إِلَى مَنْزِلِهِ بَكَتْ وَشَكَّتْ إِلَى مَا فَعَلَ بِهَا ، وَأَرَتْهُ الْأَثَرَ الَّذِي بِذِرَاعِهَا مِنْ ضَرْبِهِ ؛ فَأَخَذَ أَبُو حَرْبٍ سَيْفَهُ وَمَشَى إِلَى الْجَنْدِيِّ وَهُوَ غَارٌّ ؛ فَضَرَبَهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ؛ ثُمَّ هَرَبَ وَالْبَسَ وَجْهَهُ بِرُقْعَةٍ كَيْ لَا يَعْرِفَ ، فَصَارَ إِلَى جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الْأُرْدُنِّ ؛ فَطَلَبَهُ السُّلْطَانُ فَلَمْ يُعْرِفْ لَهُ خَبَرَ ؛ وَكَانَ أَبُو حَرْبٍ يَظْهَرُ بِالنَّهَارِ فَيَقْعِدُ ^(٢) عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي أَوَى إِلَيْهِ مَتَبَرِّقًا ؛ فَبَرَاهُ الرَّائِي فَيَأْتِيهِ ، فَيَذْكُرُهُ وَيَحْرُضُهُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَذْكُرُ السُّلْطَانَ وَمَا يَأْتِي إِلَى النَّاسِ وَيُعِيْبُهُ ؛ فَمَا زَالَ ذَلِكَ دَأْبَهُ حَتَّى اسْتَجَابَ لَهُ قَوْمٌ مِنْ حَرَائِي أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَأَهْلِ الْقُرَى ؛ وَكَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُمَوِيٌّ ، فَقَالَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ : هَذَا هُوَ السُّفْيَانِيُّ ؛ فَلَمَّا كَثُرَتْ غَاشِيَتُهُ وَتَبَاعَهُ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ مِنَ النَّاسِ ، دَعَا أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ؛ فَاسْتَجَابَ لَهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْيَمَانِيَةِ ؛ مِنْهُمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ابْنُ بَيْسَهَسٍ ، كَانَ مَطَاعًا فِي أَهْلِ الْيَمَنِ وَرَجُلَانِ آخَرَانِ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ ، فَاتَّصَلَ الْخَبِيرُ

١٣٢٠/٣

(١) س : « ذَكَرْنَا »

(٢) س : « فَيَقْعِدُ » .

بالمعتصم وهو عليل ؛ علته التي مات فيها ؛ فبعث إليه رجاء بن أيوب الحضاري في زهاء ألف من الجند ؛ فلما صار رجاء إليه وجده في عالم من الناس .

فذكر الذي أخبرني بقصته أنه كان في زهاء مائة ألف ؛ فكره رجاء موافقته وعسكر بجذائه ، وطاوله ؛ حتى كان أول عمارة الناس الأرضيين وحيرائهم ، وانصرف من كان من الحرّاثين مع أبي حرب إلى الحرّثة وأرباب الأرضيين إلى أرضيهم^(١) ، وبقي أبو حرب في نفر زهاء ألف أو ألفين ؛ ناجزه رجاء الحرب ، فالتقى العسكران : عسكر رجاء وعسكر المبرقع ؛ فلما التقوا تأمل رجاء عسكر المبرقع ، فقال لأصحابه : ما أرى في^(٢) عسكره رجلاً له فروسية غيره ، وإنه سيظهر لأصحابه من نفسه بعض ما عنده من الرجلة^(٣) ؛ فلاتعجلوا عليه . قال : وكان الأمر كما قال رجاء ؛ فالبث المبرقع أن حمل على عسكر رجاء ، فقال رجاء لأصحابه : أفرجوا له ؛ فأفرجوا له ؛ حتى جاوزهم ثم كرّ راجعاً ، فأمر رجاء أصحابه أن يفرجوا له ، فأفرجوا له حتى جاوزهم ، ورجع إلى عسكر نفسه ؛ ثم أمهل رجاء ، وقال لأصحابه : إنه سيحمل عليكم مرة أخرى ، فأفرجوا له ؛ فإذا أراد الرجوع فحولوا بينه وبين ذلك ، وخذّوه . ففعل المبرقع ذلك ، فحمل على أصحاب رجاء ، فأفرجوا له حتى جاوزهم ، ثم كرّ راجعاً فأحاطوا به ؛ فأخذوه فأنزلوه عن دابته .

قال : وقد كان قدم على رجاء حين ترك معاجلة المبرقع الحرب من قبيل المعتصم مستحثاً ، فأخذ الرسول فقيده إلى أن كان من أمره ، وأمر أبي حرب ما كان مما ذكرنا ، ثم أطلقه .

قال : فلما كان يوم قدوم رجاء بأبي حرب على المعتصم ، عزله المعتصم على ما فعل برسوله ، فقال له رجاء : يا أمير المؤمنين ؛ جعلني الله فداك ! وجهتي في ألف إلى مائة ألف ؛ فكرهت أن أعاجله فأهلك ويهلك من معي ، ولا نغني شيئاً ؛ فتمهلت حتى خف من معي ، ووجدت فرصة ،

(١) ف : « وأرباب الأرض إلى أرضهم » .

(٢) ف : « من عسكره » . (٣) الرجلة : القوة والشجاعة ، وفي : « الرجلة » .

ورأيت لحربه وجهياً وقياماً ؛ فناهضته وقد خفّ منّ معه وهو في ضعف ؛ ونحن في قوّة ، وقد جثتلك بالرجل أسيراً .

قال أبو جعفر : وأما غير من ذكرت أنه حدثني حديث أبي حرب على ما وصفت ؛ فإنه زعم أن خروجه إنما كان في سنة ست وعشرين ومائتين بالرملة ، فقالوا : إنه سفيانيّ ، فصار في خمسين ألفاً من أهل اليمن وغيرهم ، واعتقد ابن بيهس وآخراّن معه من أهل دِمَشق ، فوجّه إليهم ، المعتصم رجاء الحضاريّ في جماعة كبيرة ، فواقعهم بدمشق ؛ فقتل من أصحاب ابن بيهس وصاحبيه نحواً من خمسة آلاف ؛ وأخذ ابن بيهس أسيراً ، وقتل صاحبيه ، وواقع أبا حرب بالرملة ، فقتل من أصحابه نحواً من عشرين ألفاً ، وأسراً بأحرب ، فحمل إلى سامراً ، فجعل وابن بيهس في المطبق .

١٣٢٢/٣

* * *

وفي هذه السنة أظهر جعفر بن مهران الكرديّ الخلاف ، فبعث إليه المعتصم في المحرم لِيَتَاخ إلى جبال الموصل لحربه ، فوثب بجعفر بعض أصحابه فقتله . .

وفيها كانت وفاة بشر بن الحارث الحافي في شهر ربيع الأول وأصله من مرو

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المعتصم والعلّة التي مات بها]

وفيها كانت وفاة المعتصم وذلك - فيما ذكر - يوم الخميس ، فقال بعضهم : لثاني عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول لساعتين مضتاً من النهار . * ذكر الخبر عن العلّة التي كانت منها وفاته وقدّر مدّة عمره وصفته : ذكر أن بدء علته أنه احتجم أوّل يوم من المحرم ، واعتلّ عندها ، فذكر عن محمد بن أحمد بن رشيد عن زُنّام الزامر ، قال : قد وجد المعتصم في علته التي توفي فيها إفاقة ؛ فقال : هبّوا إلى الزلال لأركب ، فركب وركب معه ، فرّ في دِجْلَة بإزاء منازلهم ، فقال : يا زنام ، ازمري لي :

١٣٢٣/٣

يا منزلاً لم تَبْلَ أطلاله حاشي لأطالك أن تَبْلَى
لم أبكِ أطلالك لكنني بَكَيْتُ عَيْشِي فَبِكَ إِذْ وَكَيْ
والعيش أولى ما بكاه الفتي لا بدّ للمحزون أن يَسْلَى

قال : فما زلتُ أزمُر هذا الصوت حتى دعا برطليّة ، فشرب منها قدحاً وجعلت أزمُرهُ وأكرّرهُ ، وقد تناول منديلاً بين يديه ؛ فما زال يبكي ويمسح دموعه فيه وبتتحب ؛ حتى رجع إلى منزله ، ولم يستمّ شرب الرطليّة .
وذكر عن عليّ بن الجعدانة ، قال : لما احتضر المعتصم جعل يقول :
ذهبت الحيل ليست حيلة ، حتى أُصِمْتُ .

وذكر عن غيره أنه جعل يقول : إني أُخِذْتُ من بين هذا الخلق .

وذكر عنه أنه قال : لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلتُ ما فعلت .
فلما مات دُفِنَ بسامُراً ، فكانت خلافته ثمانين سنة وثمانية أشهر ويومين .
وقيل : كان مولده سنة ثمانين ومائة في شعبان . وقيل : كان في سنة تسع وسبعين ومائة ؛
فإن كان مولده سنة ثمانين ومائة فإن عمره كله كان ستاً وأربعين سنة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وإن كان مولده سنة تسع وسبعين ومائة ؛ فإن عمره كان سبعاً وأربعين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً .

وكان — فيما ذكر — أبيض أصهب اللحية طويلاً ، مربوعاً مشرب اللون حمرة ، حسن العينين .

وكان مولده بالخُلد . وقال بعضهم : وُلِدَ سنة ثمانين ومائة في الشهر الثامن .

وهو ثامن الخلفاء ، والثامن من ولد العباس ، وعمره كان ثمانياً وأربعين سنة .

ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر ،

فقال محمد بن عبد الملك الزيات :

قد قلتُ إذ غيَّبوك واصطَلَفَقْتُ عليك أيدٍ بالتُّرْبِ والطِينِ
أذهبُ فَنِعْمَ الحَفِيطُ . كنتَ على الدَّ نيا ونعم الظَّهيرُ للدينِ
لَا جَبَرَ اللهُ أُمَّةً فَقَدَتْ مثلكَ إلا بمثلِ هارونِ

وقال مَرْوَانُ بْنُ أَبِي الْجَنْوِبِ وَهُوَ ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ :

أَبُو إِسْحَاقَ مَاتَ ضَحَى فَمَتْنَا وَأَمْسِينَا بهارون حُسِينَا
لَئِنْ جَاءَ الْخَمِيسُ بِمَا كَرِهْنَا لَقَدْ جَاءَ الْخَمِيسُ بِمَا هَوِينَا

* * *

ذكر الخبر عن بعض أخلاق المعتصم وسيره

ذَكَرَ عَنْ ابْنِ أَبِي دَوَادٍ أَنَّهُ ذَكَرَ الْمُعْتَصِمَ بِاللَّهِ ، فَأَسْهَبَ فِي ذِكْرِهِ ،
وَأَكْثَرَ فِي وَصْفِهِ ، وَأَطْنَبَ فِي فَضْلِهِ ، وَذَكَرَ مِنْ سَعَةِ أَخْلَاقِهِ وَكَرَمِ^(١) أَعْرَاقِهِ
وَطِيبِ مَرْكَبِهِ وَلَيْنِ جَانِبِهِ ، وَجَمِيلِ عَشْرَتِهِ ؛ فَقَالَ : قَالَ لِي يَوْمًا وَنَحْنُ
بِعَمُورِيَّةَ : مَا تَقُولُ فِي الْبُسْرِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ نَحْنُ
بِبِلَادِ الرُّومِ وَالْبُسْرِ بِالْعِرَاقِ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ قَدْ وَجَّهْتَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ ،
فَجَاءُوا بِكِبَابَاسَتَيْنِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّكَ تَشْتَهِيهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا إِيْتَاخَ ، هَاتِ إِحْدَى
الْكِبَابَاسَتَيْنِ ، فَجَاءَ بِكِبَاسَةِ بُسْرٍ ، فَدَنَّا ذِرَاعَهُ ، وَقَبَضَ عَلَيْهَا بِيَدِهِ ، وَقَالَ :
كُلْ بِحَيَاتِي عَلَيْكَ مِنْ يَدِي ، فَقُلْتُ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !
بَلْ تَضَعُهَا فَأَكُلُ كُلَّ مَا أُرِيدُ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ إِلَّا مِنْ يَدِي ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا زَالَ
حَاسِرًا عَنْ ذِرَاعِهِ ، وَمَادًّا يَدَهُ ، وَأَنَا أَجْتَنِي مِنَ الْعِذْقِ ، وَآكُلُ حَتَّى
رَمَى بِهِ خَالِيًّا مَا فِيهِ بُسْرَةٌ .

١٣٢٥/٣

قَالَ : وَكَنتُ كَثِيرًا مَا أَزَامِلُهُ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ ؛ إِلَى أَنْ قُلْتُ لَهُ يَوْمًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
لَوْ زَامَلَكَ بَعْضُ مَوَالِيكَ وَبَطَانَتِكَ فَاسْتَرَحْتَ مِنِّي إِلَيْهِمْ مَرَّةً ، وَمِنْهُمْ إِلَى
مَرَّةٍ أُخْرَى ، كَانَ ذَلِكَ أَنْشَطَ لِقَابِكَ ، وَأَطْيَبَ لِنَفْسِكَ ، وَأَشَدَّ لِرَاحَتِكَ ؛
قَالَ : فَإِنَّ سَيِّمًا الدَّمَشْقِيِّ يَزَامِلُنِي الْيَوْمَ ، فَمَنْ يَزَامِلُكَ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : الْحَسَنُ
ابْنُ يُونُسَ ، قَالَ : فَأَنْتَ وَذَاكَ . قَالَ : فَدَعَوْتُ الْحَسَنَ فزَامَلَنِي . وَتَهَيَّأَ أَنْ رَكِبَ
الْمُعْتَصِمُ بَغْلًا ، فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ مَنفَرْدًا ، قَالَ : فَجَعَلَ يَسِيرُ بِسِيرِ بَعِيرِي ؛
فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَكْلِمَنِي رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ ، وَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَكْلِمَهُ خَفَضَتْ رَأْسَهُ ؛

قال : فانتهينا إلى وادٍ ولم نعرف غوره؛ وقد خلّفنا العسكر وراءنا ، فقال لي : مكانك حتى أتقدّم . فأعرف غور الماء وأطلب قلته ، واتبع أنت موضع سيرى ، قال : فتقدّم فدخل الوادى ، وجعل يطلب قلة الماء ، فرّة ينحرف عن يمينه ، ومرة ينحرف عن شماله ، وتارة يمشى لسنّنه ؛ وأنا خلفه متبع لأثره حتى قطعنا الوادى .

قال : واستخرجت منه لأهل الشاش ألف درهم لكرى نهرٍ لم اندفن في صدر الإسلام؛ فأصرّ ذلك بهم ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، مالى لك ؛ تأخذ مالى لأهل الشاش وفترّ غانة ! قلت : هم رعيّتك يا أمير المؤمنين ، والأقصى والأدنى في حُسن نظر الإمام سواء .

وقال غيره : إنه إذا غضب لا يبالي مَنْ قتل ولا ما فعل .

وذكر عن الفضل بن مروان أنه قال : لم يكن للمعتصم لذة في تزيين البناء ؛ وكانت غاية فيه الإحكام . قال : ولم يكن بالنفقة على شيء أسمح منه بالنفقة في الحرب .

وذكر محمد بن راشد ، قال : قال لي أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم : دعاني أمير المؤمنين المعتصم يوماً ، فدخلت عليه وعليه صُدرة وشئ ومنطقة ذهب وخفّ أحمر ، فقال لي : يا إسحاق ، أحببت أن أضرب معك بالصوالة ؛ فبحياتي عليك إلا لبست مثل^(١) لباسي ؛ فاستعفيت من ذلك فأبى ، فلبست مثل لباسه ، ثم قدّم إليه فرس محلاة^(٢) بحلية الذهب ، ودخلنا^(٣) الميدان ، فلما ضرب ساعة ، قال لي : أراك كسلان ، وأحسبك تكره هذا الزيّ ، فقلت : هو ذاك يا أمير المؤمنين ، فنزل وأخذ بيدي ، ومضى يمشى وأنا معه إلى أن صار إلى حجرة الحمام ، فقال : خذ ثيابي يا إسحاق ؛ فأخذت ثيابه حتى تجرّد ، ثم أمرني بتنزع ثيابي ففعلت ؛ ثم دخلنا أنا وهو الحمام ؛ وليس معنا غلام ؛ فقمّت عليه ودلّكته ، وتولى أمير المؤمنين المعتصم منى مثل ذلك ، وأنا في كل ذلك أستعفيه ، فيأبى علىّ ، ثم خرج من الحمام فأعطيته ثيابه ، ولبست ثيابي ، ثم أخذ بيدي ومضى يمشى ؛ وأنا معه حتى صار إلى مجلسه فقال :

(١) س : « مى » . (٢) ف : « محل » . (٣) س : « دخلت » .

يا إسحاق ؛ جئني بمصلّي ومخدّنين ، فجئته بذلك ، فوضع المخدّنين ، ونام على وجهه ، ثم قال : هات مصلّي ومخدّنين ، فجئت بهما ، فقال : ألقيه ونم عليه بمخدّائي ، فحلّفتُ ألاّ أفعل ، فجلست عليه ، ثم حضر إيتاخ الترمكي وأشناس ، فقال لهما : امضيا إلى حيث إذا صحت سمعتهما ، ثم قال : يا إسحاق ، في قلبي أمر أنا مفكّر فيه منذ مدة طويلة ؛ وإنما بسطتك في هذا الوقت لأفشيته إليك ، فقلت : قل يا سيدي يا أمير المؤمنين ؛ فإنما أنا عبدك وابن عبدك ، قال : نظرت إلى أخى المأمون وقد اصطنع أربعة أنجبوا ، واصطنعت أنا أربعة لم يفلح أحد منهم ؛ قلت : ومن الذين اصطنعهم أخوك ؟ قال : طاهر بن الحسين ؛ فقد^(١) رأيتُ وسمعتُ ، وعبد الله بن طاهر ، فهو الرجل الذي لم يُسر مثله ، وأنت ، فأنت والله لا يعتاض السلطان منك أبداً ، وأخوك محمد بن إبراهيم ، وأين مثل محمد ! وأنا فاصطنعت الأفشين فقد رأيتُ إلى ما صار أمره ، وأشناس ففشيل آية^(٢) وإيتاخ فلا شيء ، ووصيف فلامغى فيه ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداك ! أجيب على أمان من غضبك ، قال : قل ، قلت : يا أمير المؤمنين أعزك الله نظر أخوك إلى الأصول ؛ فاستعملها ، فأنجبت فروعها ، واستعمل أمير المؤمنين فروعاً لم تنجب إذ لا أصول لها ، قال : يا إسحاق لمقاساة ما مرّ بي في طول هذه المدة أسهل على من هذا الجواب .

١٣٢٨/٣

وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، أنه قال : أتيتُ أمير المؤمنين المعتمد بالله يوماً وعنده قينة كان معجباً بها ، وهي تغنيه ، فلما سلّمتُ وأخذت مجلسي ، قال لها : خذي فيما كنت فيه ، فغنت فقال لي : كيف تراها يا إسحاق ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أراها تقهره بخدق وتختله برفق ، ولا تخرج من شيء إلاّ إلى أحسن منه ، وفي صوتها قطع شذور أحسن من نظم الدرّ على النحور ، فقال : يا إسحاق ، لاصفّتك لها أحسن منها ومن غنائها ، وقال لابنه هارون : اسمع^(٣) هذا الكلام .

وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه قال : قلت للمعتمد في شيء ، فقال لي : يا إسحاق ؛ إذا نصير الهوى بطل الرأى ؛ فقلت له : كنت أحبّ

١٣٢٩/٣

(١) ف : « وقد رأيت » . (٢) كذا في أ . (٣) س : « اكتب » .

يا أمير المؤمنين أن يكون معي شباني ؛ فأقوم^(١) من خدمتك بما أنويه ، قال لي : أولست كنت تبلغ إذ ذاك جهلك ؟ قلت : بلى ، قال : فأنت الآن تبلغ جهلك فسيما إن ذأ .

وذكر عن أبي حسان أنه قال : كانت أمّ أبي إسحاق المعتصم من مولدات الكوفة يقال لها ماردة .

وذكر عن الفضل بن مروان ، أنه قال : كانت أمّ المعتصم ماردة سغديّة ، وكان أبوها نشأ بالسّواد ، قال : أحسبه بالبسنديّين .

وكان للرشيد من ماردة مع أبي إسحاق ، أبو إسماعيل ، وأمّ حبيب ، وآخران لم يُعرف اسمهما .

وذكر عن أحمد بن أبي دواد أنه قال : تصدّق المعتصم ووهب على يدي وبسببي بقيمة مائة ألف ألف درهم .

* * *

خلافة هارون الواثق أبي جعفر

وبُوع في يوم توفّيَ المعتصم ابنه هارون الواثق بن محمد المعتصم ، وذلك في يوم الأربعاء لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين وكان يكنى أبا جعفر ، وأمّه أمّ ولد رومية تسمى قراطيس .

وهلك هذه السنة توفيل ملك الروم وكان ملكه اثنتي عشرة سنة

وفيها ملكت بعده امرأته تدورة^(٢) ، وابنها ميخائيل بن توفيل صبي .

* * *

وحجّ بالناس فيها^(٣) جعفر بن المعتصم ، وكانت أم الواثق^(٤) خرجت معه تريد الحج ، فأتت بالحيرة لأربع خلون من ذي القعدة ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى .

(٢) ط : « تدورة » .

(٤) ف : « امرأة الواثق » .

(١) ف : « وأقوم » .

(٣) س : في هذه السنة » .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من الواثق إلى أشناس أن توجه وألبسه وشاحين بالجوهر في شهر رمضان .

وفيهما مات أبو الحسن المدائني في منزل إسحاق بن إبراهيم الموصلي .

وفيهما مات حبيب بن أوس الطائي أبو تمام الشاعر .

وفيهما حج سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وفيهما غلا السعر بطريق مكة ، فبلغ رطل خبز بدرهم وراوية ماء بأربعين درهماً . وأصاب الناس في الموقف حرّاً شديداً ثم مطر شديد فيه برد ، فأضرّ بهم شدة الحر ، ثم شدة ^(١) البرد في ساعة واحدة ، ومُطّروا بمنى في يوم النحر مطراً شديداً لم يروا مثله ، وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة قتلت ^(٢) عدّة من الحاج . .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

(٢) ف : « وقتلت » .

(١) ف : « وشدة » .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن حبس الواثق الكتاب وإلزامهم الأموال]

١٣٣١/٣ فمن ذلك ما كان من حبس الواثق بالله الكتاب وإلزامهم أموالاً ، فدفع أحمد بن إسرائيل إلى إسحاق بن يحيى بن معاذ صاحب الحرس ، وأمر بضربه كل يوم عشرة أسواط ؛ فضربه - فيما قيل - نحواً من ألف سوط ، فأدّى ثمانين ألف دينار . وأخذ من سليمان بن وهب كاتب إيتاخ أربع مائة ألف دينار ، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار . وأخذ من أحمد بن الحبيب وكتابه ألف ألف دينار ، ومن إبراهيم بن رباح وكتابه مائة ألف دينار ، ومن نجاش ستمائة ألف دينار ، ومن أبي الوزير صلحاً مائة ألف وأربعين ألف دينار ؛ وذلك سوى ما أخذ من العمال بسبب عمّالاتهم . ونصب محمد بن عبد الملك لابن أبي دواد وسائر أصحاب المظالم العداوة ، فكشّفوا وحبسوا ، وأجلس إسحاق بن إبراهيم ؛ فنظر في أمرهم وأقيموا للناس ولقوا كل جهد .

* ذكر الخبر عن السبب الذي بعث الواثق على فعله

ما ذكرت بالكتاب في هذه السنة :

١٣٣٢/٣ ذكر عن عزّون بن عبد العزيز الأنصاري ، أنه قال : كنت ليلة في هذه السنة عند الواثق ، فقال : لست أشتي الليلة التبيذ ؛ ولكن هلمّوا نتحدث الليلة ؛ فجلس في رواقه الأوسط في الهاروني في البناء الأول الذي كان إبراهيم ابن رباح بنائه ؛ وقد كان في أحد شِقَي ذلك الرواق قُبّة مرفوعة في السماء بيضاء ، كأنها بيضة إلا قدر ذراع - فيما ترى العين - حولها ^(١) في وسطها ساج منقوش مغشّى باللأزورد والذهب ، وكانت ^(٢) تسمّى قبة المنطقة ؛ وكان ذلك الرواق يسمّى رواق قبة المنطقة .

(٢) س : « فكانت » .

(١) ف : « حواها » .

قال : فتحدَّثنا عامة الليل ، فقال الواق : مَنْ منكم يعلم السبب الذى به وثب جدِّي الرشيد على البرامكة فأزال نعمتهم ؟ قال عزون : فقلت : أنا والله أحدثك يا أمير المؤمنين ، كان سبب ذلك أن الرشيد ذُكرت له جارية لعون الخياط ، فأرسل إليها فاعترضها ، فرضى جمالها وعقلها وحسن أدبها ، فقال لعون : ما تقول فى ثمنها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أمر ثمنها واضح مشهور ؛ حلفتُ بعتقتها وعتق رقيقى جميعاً وصدقة مالى الأيمان المغلظة التى لاخرج منها لى ، وأشهدت على بذلك العدول ألا أنقص ثمنها عن مائة ألف دينار ، ولا أحتال فى ذلك بشئ من الحيل ، هذه قضيتها . فقال أمير المؤمنين : قد أخذتها منك بمائة ألف دينار ، ثم أرسل إلى يحيى بن خالد يخبره بخبر بخرى الجارية ، ويأمره أن يرسل إليه بمائة ألف دينار ، فقال يحيى : هذا مفتاح سوء ؛ إذا اجترأ فى ثمن جارية واحدة على طلب مائة ألف دينار فهو أحرى أن يطلب المال على قدر ذلك ؛ فأرسل يخبره أنه لا يقدر على ذلك ، فغضب عليه الرشيد ، وقال : ليس فى بيت مالى مائة ألف دينار ، فأعاد عليه : لا بدَّ منها ، فقال يحيى : اجعلوها دراهم ، ليراهن فيستكثرها ، فلعله يردّها ، فأرسل بها دراهم ، وقال : هذه قيمة مائة ألف دينار ، وأمر أن تُوضع فى رواقه الذى يمرّ فيه إذا أراد المتوضّأ لصلاة الظهر . قال : فخرج الرشيد فى ذلك الوقت ؛ فإذا جبيل من بيدر ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ثمن الجارية ، لم تحضر دنانير ، فأرسل قيمتها دراهم ، فاستكثر ^(١) الرشيد ذلك ، ودعا خادماً له ، فقال : اضم هذه إليك ، واجعل لى بيت مال لأضمّ إليه ما أريده وسمّاه بيت مال العروس ، وأمر بردّ الجارية إلى عون ، وأخذ فى التفتيش عن المال ، فوجد البرامكة قد استهلكوه ^(٢) ، فأقبل بهمّ بهمّ ويمسك ؛ فكان يرسل إلى الصحابة وإلى قوم من أهل الأدب من غيرهم فيسأروهم ^(٣) ، ويتعشّى معهم ؛ فكان فيمن يحضر إنسان كان معروفاً بالأدب ، وكان يعرف بكنيته يقال له أبو العُود ؛ فحضر ليلة فيمن حضره ، فأعجبه حديثه ؛ فأمر خادماً له أن يأتى يحيى بن خالد

١٣٣٣/٣

(٢) س : « استهلكوا » .

(١) س : « فاستكثر » .

(٣) س : « فيسأرونه » .

إذا أصبح ، فيأمره أن يعطيه ثلاثين ألف درهم ، ففعل ، فقال يحيى لأبي العود: أفعُلْ؛ وليس بحضرتنا اليوم مال ، غدأ يحيى المال ، ونعطيك إن شاء الله . ثم دافعه حتى طالت به الأيام ، قال : فأقبل أبو العود يحتال أن يجد من الرشيد وقتاً يحرّضه فيه على البرامكة - وقد كان شاع في الناس ما كان يهم به الرشيد في أمرهم - فلدخل عليه ليلةً ، فتحدّثوا ، فلم يزل أبو العود يحتال للحديث حتى وصله بقول عمر بن أبي ربيعة :

وَعَدَتْ هَنْدٌ وما كانت تَعِدُّ لَيْتَ هَنْدًا أَنْجَزَتْنا ما تَعِدُّ (١)
وَأَسْتَبَدَّتْ مرّةً واحدةً إِنما العاجز مَنْ لا يَسْتَبِدُّ

فقال الرشيد: أجل والله ، إنما العاجز من لا يستبدّ ، حتى انقضى المجلس . وكان يحيى قد اتخذ من خدم الرشيد خادماً يأتيه بأخباره ، وأصبح يحيى غادياً على الرشيد ، فلما رآه قال : قد أردت البارحة أن أرسل إليك بشعر أنشدنيه بعض من كان عندي ، ثم كرهت أن أزعجك ، فأنشده البيتين ، فقال : ما أحسنهما يا أمير المؤمنين ! وفطن لما أراد ، فلما انصرف أرسل إلى ذلك الخادم ، فسأله عن إنشاد ذلك الشعر ، فقال : أبو العود أنشده ، فدعا الوزير يحيى بأبي العود ، فقال له : إنا كنا قد لويناك بمالك ، وقد جاءنا مال ، ثم قال لبعض خدمه : اذهب فأعطه ثلاثين ألف درهم (٢) من بيت مال أمير المؤمنين ، وأعطه من عندي عشرين ألف درهم لمُطْلِنَا إياه ، واذهب إلى الفضل وجعفر فقل لهما هذا رجل مستحق (٣) أن يبرّ ، وقد كان أمير المؤمنين أمر له بمال فأطْلَمْتُ مطله ، ثم حضر المال ، فأمرت أن يعطى ووصلته من عندي صيلةً ، وقد أحبيت (٤) أن تصلاه ، فسألا : بكم وصله قال : بعشرين ألف درهم ؛ فوصله كل واحد منهما بعشرين ألف درهم ؛ فانصرف بذلك المال كله إلى منزله . وجد الرشيد في أمرهم حتى وثب عليهم ، وأزال نعمتهم ، وقتل جعفرًا وصنع ما صنع .

١٣٣٥/٣

(١) ديوانه ٣٢٠ مع اختلاف في الرواية (٢) ف : « ثلاثين ألفاً » .

(٣) س : « يستحق » . (٤) ف : « وأحبيت » .

فقال الواثق : صدق والله جدّي ؛ إنما العاجز من لا يستبدّ ! وأخذ في ذكر الخيانة وما يستحق أهلها .

قال عزّون : أحسبه : سيوقع بكتّابه ، فما مضى أسبوع حتى أوقع بكتّابه ، وأخذ إبراهيم بن رباح وسليمان بن وهب وأبا الوزير وأحمد بن الخصيب وجماعتهم . قال : وأمر الواثق بحبس سليمان بن وهب كاتب إيتاخ ، وأخذ بمائتي ألف درهم - وقيل دينار - فقيد وألبس مدّرة من مدارع الملاحين ، فأدّى مائة ألف درهم ، وسأل أن يؤخذ بالباقي عشرين شهراً ، فأجابته الواثق إلى ذلك ، وأمر بتخلية سبيله وردّه إلى كتابة إيتاخ ، وأمره بلبس السواد .

* * *

وفي هذه السنة وليّ شارباميتان لإيتاخ اليمن وشخص إليها في شهر ربيع الآخر .

وفيهما وليّ محمد بن صالح بن العباس المدينة .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين ذكر خبر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر مسير بغا إلى الأعراب بالمدينة]

فمن ذلك ما كان من توجيه الواصل بغا الكبير إلى الأعراب الذين عاثوا بالمدينة وما حوالها^(١) .

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر أن^(٢) بدء ذلك كان أن بنى مسلم كانت^(٣) تطاول على الناس حول المدينة ١٣٣٦/٣
بالشر، وكانوا إذا وردوا سوقاً من أسواق الحجاز أخذوا معها^(٤) كيف شاءوا،
ثم ترقى^(٥) بهم الأمر إلى أن أوقعوا بالحجاز بناس^(٦) من بني كنانة وباهلة ،
فأصابوهم وقتلوا بعضهم^(٧) ، وذلك في جمادى الآخرة سنة ثلاثين ومائتين ،
وكان رأسهم عزيزة بن قطاب السلمى . فوجه إليهم محمد بن صالح بن
العباس الهاشمي ، وهو يومئذ عامل المدينة ، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
حماد بن جرير الطبري - وكان الواصل وجه حماد مسلحة للمدينة لئلا يتطرقها^(٨)
الأعراب ، في مائتي فارس من الشاكرية - فتوجه إليهم حماد في جماعة من
الجند ومن تطوع للخروج من قريش والأنصار ومواليهم وغيرهم من أهل
المدينة ، فسار إليهم فلقينته طلائعهم . وكانت بنو سليم كارهة للقتال ، فأمر
حماد بن جرير بقتالهم ، وحمل عليهم بموضع يقال له الروينة من المدينة على
ثلاث مراحل ، وكانت بنو سليم يومئذ وأمدادها جاءوا من البادية في سبائة
 وخمسين ، وعامة من لقيهم من بني عوف من بني مسلم ، ومعهم أشهب

(٢-٢) ف : « أمر بدء ذلك أن كان بنو سليم » .

(١) ف : « حوالها » .

(٤) كذا في ١ ، س . وفي ط : « تراق » .

(٣) س : « يديوعها » .

(٦) ف : « وقتلهم وبعضهم أثار » .

(٥) س : « بالحجاز بناس » .

(٧) ف : « ليلا فطارقها الأعراب » .

ابن دويكل بن يحيى بن حمير العوفي وعمه سلمة بن يحيى وعزيرة بن قطّاب اللبیدی من بنی لبید بن سلیم ؛ فكان^(١) هؤلاء قوّادهم ، وكانت خيلهم مائة وخمسين فرساً ، فقاتلهم حماد وأصحابه ؛ ثم أتت بنی سلیم أمدادها^(٢) ١٣٣٧/٣ خمسمائة من موضع فيه بدوهم ؛ وهو موضع يسمى أعلى الرويثة ؛ بينها وبين موضع القتال أربعة أميال ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزمت سودان المدينة بالناس ؛ وثبت حماد وأصحابه وقريش والأنصار ، فصلّوا بالقتال حتى قُتِل حماد وعامة أصحابه ، وقُتِل مِمَّنْ ثبت من قريش والأنصار عددٌ صالح ، وحازت بنو سلیم الكُراع والسلاح والثياب ؛ وغلُظ أمر بنی سلیم ، فاستباح^(٣) القرى والمناهل^(٤) ؛ فيما بينها وبين مكة والمدينة ؛ حتى لم يمكن أحداً أن يسلك ذلك الطريق ؛ وتطرقوا مَن يلبهم من قبائل العرب .

فوجّه إليهم الواصل بن بغيّ الكبير أبا موسى التركي في الشاكرية والأثراك والمغاربة ، فقدّمها بغيّ في شعبان سنة ثلاثين ومائتين ، وشخص إلى حرّة بنی سلیم ، لأيام بقين من شعبان ؛ وعلى مقدّمته طردوش التركي ، فلقبهم ببعض مياه الحرّة ؛ وكانت الوقعة بشقّ الحرّة من وراء السوارقية ، وهي قريتهم التي كانوا يأوون إليها - والسوارقية حصون - وكان جلّ من لقيه منهم من بنی عوف فيهم عزيرة بن قطّاب والأشهب - وهما رأسا القوّاد يومئذ - فقتل بغيّ منهم نحواً من خمسين^(٥) رجلاً ، وأسر مثلهم ؛ فانهزم الباقيون ، وانكشف بنو سلیم لذلك ؛ ودعاهم بغيّ بعد الوقعة إلى الأمان على حكم أمير المؤمنين الواصل ، وأقام بالسوارقية فأتوه ، واجتمعوا إليه ، وجمعهم من عشرة واثنين وخمسة وواحد ، وأخذ مَن جمعت السوارقية من غير بنی سلیم من أفناء الناس ، وهربت خُصّاف بنی سلیم إلاّ أقلها ؛ وهي التي كانت تؤذي الناس ، وتطرق الطريق ، وجلّ مَن صار في يده ممّن ثبت من بنی عوف ، وكان آخر من أخذ منهم من بنی حبششيّ من بنی سلیم ، فاحتبس عنده من وُصف بالشرّ

(١) ف : « فكانوا » . (٢) ف : « ثم أتت بنو سلیم أمدادها » .

(٣) ا ، د ، س : « واستباح » . (٤) س : « والمنازل » .

(٥) ف : « نحو اثنين وخمسين رجلاً » .

والفساد ؛ وهم زُهاء ألف رجل ، وختلّى سبيل سائرهم ؛ ثم رحل عن السوارقية بمَن صار في يده من أسارى بني سُليم ومستأمنينهم^(١) إلى المدينة في ذى القعدة سنة ثلاثين ومائتين ، فحبسهم فيها في الدّار المعروفة ببزید بن معاوية ، ثم شخص إلى مكة حاجّاً في ذى الحجة ؛ فلما انقضى الموسم انصرف إلى ذات عرق ، ووجه إلى بني هلال مَن عرض عليهم مثل الذي عرض على بني سُليم فأقبلوا ، فأخذ من مَرَدَتهم وعُتَاتهم نحواً من ثلثمائة رجل ، وختلّى سائرهم ، ورجع من ذات عرق وهي على مرحلة من البستان ، بينها وبين مكة مرحلتان .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة عبد الله بن طاهر]

وفي هذه السنة مات أبو العباس عبد الله بن طاهر بنيسابور يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول بعد موت أشناس التركي بتسعة أيام^(٢) . ومات عبد الله بن طاهر وإليه الحرب والشرطة والسّواد وخراسان وأعمالها والرّى وطبرستان وما يتصل بها وكِرْمَان ، وخراج هذه الأعمال كان يوم مات ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ، فولّى الواثق أعمال عبد الله بن طاهر كلها ابنه طاهراً^(٣) .

١٣٣٩/٣

وحجّ في هذه السنة إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فولّى أحداث الموسم .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

(١) كذا في ١ ، س : « ومستأمنتهم » . (٢) ١ ، د : « بسبعة » .

(٣) في ابن الأثير ٥ : ٢٧١ ، ٢٧٢ فصل عقده في سيرة عبد الله بن طاهر وشعره وما قيل فيه من المدائح .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من أمر الفداء الذي جرى على يد خاقان الخادم بين المسلمين والرّوم في الحرم منها ، فبلغت عدّة المسلمين - فيما قيل - أربعة آلاف وثلثمائة واثنين وستين إنساناً .

• • •

[ذكر الخبر عن أمر بني سليم وغيرهم من القبائل]

وفيها قُتِلَ مَنْ قُتِلَ من بني سليم بالمدينة في حبس بُغَا .

• ذكر الخبر عن سبب قتلهم وما كان من أمرهم :

ذكر أن بُغَا لما صار إليه بنو هلال بذات عرق ، فأخذ منهم مَنْ ذَكَرَتْ أنه أخذ منهم ، شخص^(١) مُعْتَمِراً عُجْرَةَ الْحَرَمِ ، ثم انصرف إلى المدينة ، فجمع كلَّ مَنْ أَخَذَ من بني هلال واحتبسهم عنده مع الذين كان أخذ من بني سليم ، وجمعهم جميعاً في دار يزيد بن معاوية في الأغلال والأقياد^(٢) وكانت بنو سليم حُبِسَتْ قبل ذلك بأشهر . ثم سار بُغَا إلى بني مرة ، وفي حبس المدينة نحو من ألف وثلثمائة رجل من بني سليم وهلال ، فنقبوا الدار ليخرجوا ، فرأت امرأة من أهل المدينة النَّقَبَ ، فاستصرخت أهل المدينة فجاءوا ، فوجدوهم قد وثبوا^(٣) على الموكّلين بهم ، فقتلوا منهم رجلاً أو رجلين ، وخرج بعضهم أو عامتهم ، فأخذوا سلاح الموكّلين بهم ، واجتمع عليهم أهل المدينة ؛ أحرارهم وعبيدهم - وعامل المدينة يومئذ عبد الله بن أحمد بن داود الهاشمي - فمنعوهم الخروج ، وباتوا محاصريهم حول الدار حتى أصبحوا ؛ وكان وثوبهم عشية الجمعة ؛ وذلك أن عزيزة بن قَطَّاب قال لهم : إني أتشاعم بيوم السبت ؛

١٣٤٠/٣

(٢) ف : « في أغلال وقيود » .

(١) ف : « فشخص » .

(٣) س : « فوثبوا » .

ولم يزل أهل المدينة يعتقبون القتال ، وقالتمهم بنو سليم ، فظهر أهل المدينة عليهم ، فقتلهم أجمعين ، وكان عَزِيزَةُ يرتجز ، ويقول :

لَا بُدَّ مِنْ زَحْمٍ وَإِنْ ضَاقَ الْبَابُ إِنْ أَنَا عَزِيزَةُ بْنُ الْقَطَّابِ
لِلْمَوْتِ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنَ الْعَابِ هَذَا رَبِّي عَمَلٌ لِلْبَوَابِ

وقبضه في يده قد فكته ، فرمى به رجلاً ، فخرّ صريعاً . وقتلوا جميعاً ، وقتلت سودان المدينة مَن لقيت من الأعراب في أزقة المدينة مَن دخل يمتار ، حتى لقوا أعرابياً خارجاً من قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوه ؛ وكان أحد بني أبي بكر بن كلاب من ولد عبد العزيز بن زُرارة . وكان بُغَا غائباً عنهم ؛ فلما قدم فوجدهم قد قُتِلُوا شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، ووجد منه وجداً شديداً (١) .

وذُكِرَ أَنَّ الْبَوَابَ كَانَ قَدْ ارْتَشَى مِنْهُمْ ، ووعدهم أَنْ يَفْتَحَ لَهُمُ الْبَابَ ، فجعلوا قبل ميعاده ؛ فكانوا يرتجزون ويقولون وهم يقاتلون :

الْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنَ الْعَارِ قَدْ أَخَذَ الْبَوَابُ أَلْفَ دِينَارٍ
وَجَعَلُوا يَقُولُونَ حِينَ أَخَذَهُمْ بُغَا :

يَا بُغِيَّةَ الْخَيْرِ وَسَيْفَ الْمُنتَبِيَّةِ وَجَانِبَ الْجَوْرِ الْبَعِيدِ الْمُسْتَبِيَّةِ
مَنْ كَانَ مِنَّا جَانِئِيًّا فَلَسْتُ بِهِ أَفْعَلْ هَذَاكَ اللَّهُ مَا أَمَرَتْ بِهِ

فقال : أَمَرْتُ أَنْ أَقْتُلَكُمْ . وكان عَزِيزَةُ بْنُ قَطَّابٍ رَأْسَ بَنِي سُلَيْمٍ حين قَتَلَ أَصْحَابَهُ صَارَ إِلَى بَثْرٍ ، فدخلها ، فدخل عليه رجل من أهل المدينة فقتله ، وصُفِّتِ الْقَتْلَى عَلَى بَابِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ؛ بعضها فوق بعض .

وحدثني أحمد بن محمد أن مؤذَنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَذَّنَ لَيْلَةَ حِرَاسَتِهِمْ بَنِي سُلَيْمٍ لَيْلِ تَرْهِيْبِهِمْ لَهُمْ بِظُلُوعِ الْفَجْرِ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا ، فجعل الأعراب يضحكون ، ويقولون : يَا شَرَّ بَنِي السَّوَيْقِ ؛ تَعْلَمُونَا بِاللَّيْلِ ، وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكُمْ ! فقال رجل من بني سليم :

مَنْ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمِيرًا يَصِلُ لِيَصْقِلَ نَابِيَهُ صَرِيفُ
يَجُورُ وَلَا يُرَدُّ الْجَوْرُ مِنْهُ وَيَسْطُو مَا لِيَوْقَعَتِهِ ضَعِيفُ
وَقَدْ كُنَّا نَرُدُّ الْجَوْرَ عَنَّا إِذَا انْتَضَيْتْ بِأَيْدِينَا السُّيُوفُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَمَّا إِلَيْنَا سُمُو اللَّيْثِ ثَارَ مِنَ الْغَرِيفِ
فَإِنْ يَمْنُنْ فَعَفَوَ اللَّهُ نَرْجُو وَإِنْ يَقْتُلْ فَقَاتِلْنَا شَرِيفُ

وكان سبب غيصة بُغَا عنهم أنه توجه^(١) إلى فِدْكَ لمحاربة مَنْ فيها
مَنْ كان تغلب عليها من بنى فزارة ومُرة؛ فلما شارفهم وجهه إليهم رجلا من
فزاراة يعرض عليهم الأمان، ويأتيه بأخبارهم، فلما قدم عليهم الفزارى حذرهم
سطوته، وزين لهم الحرب، فهربوا ودخلوا في البر، ودخلوا فِدْكَ إِلَّا نَفَرًا بَقُوا
فيها منهم؛ وكان قصدهم خَيْبَرَ وَجَنَفَاء^(٢) ونواحيها؛ فظفر ببعضهم،
واستأمن بعضهم، وهرب الباقون مع رأس لهم يقال له الرِّكَاض إلى موضع من
البلقاء من عمل دمشق، وأقام بُغَا بِجَنَفَاء وهي قرية من حدِّ عمل الشام^(٣)،
مما يلي الحجاز نحواً من أربعين ليلة، ثم انصرف إلى المدينة بمن صار في يديه
من بنى مُرة وفزاراة.

١٣٤٢/٣

* * *

وفي هذه السنة صار إلى بُغَا من بطون غَطَفَانَ وفزاراة وأشجع جماعة؛
وكان وجهه إليهم وإلى بنى ثعلبة؛ فلما صاروا إليه - فيما ذكر - أمر محمد
ابن يوسف الجعفرى، فاستحلفهم الأيمان الموكدة ألا يتخلفوا عنه متى
دعاهم. فحلفوا، ثم شخص إلى ضَرِيَّة لطلب بنى كِلَاب، ووجهه إليهم
رسله، فاجتمع إليه منهم - فيما قيل - نحو من ثلاثة آلاف رجل، فاحتبس
منهم من أهل الفساد نحواً من ألف رجل وثلثمائة رجل، وخلّى سائرهم، ثم
قدم بهم المدينة في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائتين، فحبسهم في دار
يزيد بن معاوية، ثم شخص^(٤) إلى مكة بُغَا، وأقام بها حتى شهيد الموسم، فبقي

(٢) أ، ف: «وحيفا».

(٤) س: «وشخص».

(١) أ، س: «سار».

(٣) س: «الحجاز».

بنو كلاب في الحبس لا يجري عليهم شيء مدة غيبة بغا ؛ حتى رجع ^(١) إلى المدينة ، فلما صار إلى المدينة أرسل إلى من كان استحل من ثعلبة وأشجع وفزارة فلم يجيبوه ، وتفرقوا في البلاد ، فوجّه في طلبهم فلم يلحق منهم كثير أحد .

* * *

[ذكر مقتل أحمد بن نصر الخزاعي على يد الوثائق]

وفي هذه السنة تحرّك ببغداد قوم في ربّض عمرو بن عطاء ، فأخذوا على أحمد بن نصر الخزاعي البيعة .

* ذكر الخبر عن سبب حركة هؤلاء القوم وما آل إليه أمرهم وأمر أحمد بن نصر :

وكان السبب في ذلك أن أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي - ومالك بن الهيثم أحد نقباء بني العباس ، وكان ابنه أحمد يغشاه أصحاب الحديث ؛ كيحيى بن معين وابن الدوّرقى وابن خسيّشمة ، وكان يظهر المباينة لمن يقول : القرآن مخلوق ؛ مع منزلة أبيه كانت من السلطان في دولة بني العباس ، ويبسط لسانه فيمن يقول ذلك ، مع غليظة الوثائق كانت على من يقول ذلك وامتحانه إياهم فيه ، وغلبة أحمد بن أبي دواد عليه - فحدثني بعض أسيّاخنا ^(٢) ، عمّن ذكره ، أنه دخل على أحمد بن نصر في بعض تلك الأيام وعنده جماعة من الناس ، فذكر عنده الوثائق ، فجعل يقول : ألا فعل هذا الخنزير ^(٣) ! أو قال : هذا الكافر ؛ وفشا ذلك من أمره ، فخوّف بالسلطان ^(٤) ، وقيل له : قد اتصل أمرك به ، فخافه .

وكان فيمن ^(٥) يغشاه رجل - فيما ذكر - يعرف بأبي هارون ^(٦) السراج وأخريقال له طالب ، وآخر من أهل خراسان من أصحاب إسحاق بن إبراهيم بن

(٢) د، س : « شيوخنا » .

(١) س : « قدم » .

(٤) د، ف : « فخوف السلطان » .

(٣) س : « ألا فعل الله هذا الخنزير » .

(٦) ف : « يقال له أبو هارون » .

(٥) ف : « من » .

مُصْعَب صاحب الشرطة مَن يظهر له القول بمقاتلته ، فحرك المطيفون به — يعنى أحمد بن نصر — من أصحاب الحديث ، ومَن ينكر القول بخلق القرآن من أهل بغداد — أحمد ، وحملوه على الحركة لإنكار القول بخلق القرآن ، وقصده بذلك دون غيره ؛ لما كان لأبيه وجده في دولة بنى العباس من الأثر ، ولما كان له ببغداد ، وأنه كان أحد مَن بايع له أهل الجانب الشرقى على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والسمع له في سنة إحدى ومائتين ، لمَّا كثر الدعار بمدينة السلام ، وظهر بها الفساد والمأمون بخراسان ؛ وقد ذكرنا خبره فيما مضى . وأنه لم يزل أمره على ذلك ثابتاً إلى أن قدم المأمون بغداد في سنة أربع ومائتين ، فرجوا استجابة العامة له إذا هو تحرك للأسباب التى ذكرت .

فذكر أنه أجاب من سأله ذلك ؛ وأن الذى كان يسعى نه في دعاء الناس له الرجلان اللذان ذكرت اسميهما^(١) قبل . وإن أبا هارون السراج وطالباً فرقا في قوم مالا ، فأعطيا كل رجل منهم ديناراً ديناراً ، وواعداهم ليلة يضرَبون فيها الطَّبَل للاجتماع في صبيحتها للثوب بالسلطان ؛ فكان طالب بالجانب الغربى من مدينة السلام^(٢) فيمن عاقده على ذلك ، وأبو هارون بالجانب الشرقى فيمن عاقده عليه ؛ وكان طالب وأبو هارون أعطيا فيمن أعطيا^(٣) رجلين من بنى أشرس القائد دنانير يفرقانه في جيرانهم ، فانتبذ بعضهم نبذاً ، واجتمع عدة منهم على شربه ، فلمَّا ثَمَلُوا ضربوا بالطبل^(٤) ليلة الأربعاء قبل الموعد بليلة ؛ وكان الموعد لذلك ليلة^(٥) الخميس في شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، لثلاث تخلو^(٦) منه ، وهم يحسبونها ليلة الخميس التى اتعدوها لها ، فأكثروا ضرب الطبل ، فلم يجبههم أحد . وكان إسحاق بن إبراهيم غائباً عن بغداد وخليفته بها أخوه محمد بن إبراهيم ، فوجه إليهم محمد بن إبراهيم غلاماً له يقال له رَحش ، فأتاهم فسألهم عن قصتهم ، فلم يظهر له أحد ممن ذكر بضرب الطبل ، فدُلَّ على رجل يكون في الحمامات مصاب بعينه ، يقال له

١٣٤٥/٣

(١) ط : « أسماءها » ، وما أثبتته من ا

(٢) ف : « بغداد » .

(٣) ف : « في الجانب » .

(٤) ف : « يوم الخميس » .

(٥) ف : « الطبل » .

(٦) س : « خلوا » .

عيسى الأعور ، فهدّده بالضرب ، فأقرّ على ابني أشرس وعلى أحمد بن نصر بن مالك وعلى آخرين ستماءهم ، فقتل القوم من ليلتهم ؛ فأخذ بعضهم ، وأخذ طالباً ومنزلته في الرّبض من الجانب الغربي ، وأخذ أبا هارون السّراج ومنزله في الجانب الشرقي ، وتتبّع من ستماء عيسى الأعور في أيام ليلال ، فصيّروا في الحبس في الجانب الشرقي والغربي ، كل قوم في ناحيتهم التي أخذوا فيها ، وقيد ١٣٤٦/٣ أبو هارون وطالب بسبعين^(١) رطلاً من الحديد كل واحد منهما ، وأصيب في منزل ابني أشرس عكمان أخضران فيهما حُمرة في بئر ، فتولّى إخراجهما رجل من أعوان محمد بن عيّاش - وهو عامل الجانب الغربي ، وعامل الجانب الشرقي العباس بن محمد بن جبريل القائد الخراساني - ثم أخذ خصي لأحمد ابن نصر فتهدّد ، فأقرّ بما أقرّ به عيسى الأعور ، فضى إلى أحمد بن نصر وهو في الحمام ، فقال لأعوان السلطان : هذا منزلي ؛ فإن أصبتم فيه عكماً أو عدّة أو سلاحاً لفتنة فأنتم في حلّ منه ومن دمي ؛ ففتش فلم يوجد فيه شيء ، فحمل إلى محمد بن إبراهيم بن مصعب وأخذوا خصيتين وأبين له ورجلاً ممن كان يغشاه يقال له إسماعيل بن محمد بن معاوية بن بكر الباهلي ، ومنزله بالجانب الشرقي ، فحمل هؤلاء الستة إلى أمير المؤمنين الواثق وهو بسامراً على بغال بأكف ليس تحتهم وطاء ، فتقيّد^(٢) أحمد بن نصر بزوج قيود ، وأخرجوا من بغداد يوم الخميس لليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وكان الواثق قد أعلم^(٣) بمكانهم ، وأحضر^(٤) ابن أبي دؤاد وأصحابه ، وجلس لهم مجلساً عاماً ليُمتحنوا امتحاناً مكشوفاً ، فحضر القوم واجتمعوا عنده .

١٣٤٧/٣ وكان أحمد بن أبي دؤاد - فيما ذكر - كارهاً قتله في الظاهر ؛ فلما أتى بأحمد بن نصر لم يناظره الواثق في الشّغب ولا فيما رُفِع^(٥) عليه من إرادته الخروج عليه ؛ ولكنه قال له : يا أحمد ، ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله - وأحمد بن نصر مستقتل^(٦) قد تنور وتطيب ، قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو

(٢) س : « مقيدا » .

(٤) ف : « أحضروا » .

(٦) ف : « مستقيل » .

(١) د ، ف : « بستين » .

(٣) ف : « علم » .

(٥) ف : « روى » .

كلام الله ، قال : فما تقول في ربك ، أترأه يوم القيامة ؟ قال : يا أمير المؤمنين جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «تروُن ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته» ؛ فنحن على الخبر . قال : وحديثي سفيان ابن عيينة بحديث يرفعه : « أن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الله يقلِّبه » ؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو : « يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك » ؛ فقال له إسحاق بن إبراهيم : ويلك ! انظر ماذا تقول ! قال : أنت أمرتني بذلك ؛ فأشفق إسحاق من كلامه ، وقال : أنا أمرتك بذلك ! قال : نعم ، أمرتني أن أنصح له إذ كان أمير المؤمنين ، ومين نصيحتي ^(١) له ألا يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الواصل لمن حوله : ما تقولون فيه ؟ فأكثروا ، فقال عبد الرحمن بن إسحاق — وكان قاضياً على الجانب الغربي فعزل ؛ وكان حاضراً وكان أحمد بن نصروداً له — : يا أمير المؤمنين ؛ هو حلال الدم ، وقال أبو عبد الله الأرميني صاحب ابن أبي دواد : اسقني دمه يا أمير المؤمنين ، فقال الواصل : القتل يأتي على ما تريد ، وقال ابن أبي دواد : يا أمير المؤمنين كافر يستتاب ؛ لعل به عاهة أو تغير ^(٢) عقل — كأنه كره أن يقتل بسببه — فقال الواصل : إذا رأيتموني قد قمت إليه ، فلا يقوم أحد معي ، فإني أحسب خطأي إليه . ودعا بالصمصامة — سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي — وكان في الخزانة ، كان أهدي إلى موسى الهادي ، فأمر سلمة الخاسر الشاعر أن يصفه له ، فوصفه فأجازه — فأخذ الواصل الصمصامة — وهي صفيحة موصولة من أسفلها مسمورة بثلاثة مسامير تجمع بين الصفيحة والصلة ^(٣) — فشى إليه وهو في وسط الدار ، ودعا بنطع فصير في وسطه ، وحبل فشُدَّ رأسه ، ومُدَّ الحبل ، فضربه الواصل ضربة ، فوقع على جبل العاتق ، ثم ضربه أخرى على رأسه ، ثم انتضى سيمًا دمشقي سيفه ، فضرب عنقه وحزَّ رأسه .

وقد ذُكر أن بُغَا الشرابي ضربه ضربة أخرى ، وطعنه الواصل بطرف

(١) ابن الأثير : « فنصيحتي » . (٢) ابن الأثير : « نقص » .

(٣) س : « وبين الصلة » وفي ٥ : « الصفيحة » .

الصَّمْصَامَةُ فِي بَطْنِهِ ، فَحَمِلَ مَعْتِزًا حَتَّى أَتَى بِهِ الْحَظِيرَةَ الَّتِي فِيهَا بَابُكَ ، فَصَلَبَ فِيهَا وَفِي رِجْلِهِ زَوْجُ قِيُودٍ ، وَعَلَيْهِ سِرَاوِيلٌ وَقَمِيصٌ ، وَحَمِلَ رَأْسَهُ إِلَى بَغْدَادَ ، فَنُصِبَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ أَيَّامًا ، وَفِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ أَيَّامًا ، ثُمَّ حُوِّلَ إِلَى الشَّرْقِيِّ ، وَحُظِرَ عَلَى الرَّأْسِ حَظِيرَةٌ ، وَضُرِبَ عَلَيْهِ فُسْطَاطٌ ، وَأُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَرَسُ ، وَعُرِفَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ بِرَأْسِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ ؛ وَكَتَبَ فِي أُذُنِهِ رُقْعَةً :

هَذَا رَأْسُ الْكَافِرِ الْمُشْرِكِ الضَّالِّ ؛ وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مَالِكٍ ؛ مِمَّنْ قَتَلَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْ عَبْدِ اللَّهِ هَارُونَ الْإِمَامَ الْوَائِقَ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَعْدَ أَنْ أَقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ فِي خَسَلَتِ الْقُرْآنِ وَنَفَى التَّشْبِيهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ التَّوْبَةَ ، وَمَكَّنَهُ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ ؛ فَأَبَى إِلَّا الْمَعَانِدَةَ وَالتَّصْرِيحَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَجَّلَ بِهِ إِلَى نَارِهِ وَأَلِيمَ عِقَابِهِ . وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ؛ فَأَقْرَبَ بِالتَّشْبِيهِ وَتَكَلَّمَ بِالْكَفْرِ ، فَاسْتَحْلَ بِذَلِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَمَهُ ، وَلَعَنَهُ .

وَأَمْرٌ أَنْ يُسْتَبْعَ مِنْ وَسِيمٍ بِصَحْبَةِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ ؛ مِمَّنْ ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ مُتَشَابِعًا لَهُ ؛ فَوُضِعُوا فِي الْحَبُوسِ ، ثُمَّ جُعِلَ نَيْفٌ وَعَشْرُونَ رَجُلًا وَنُصِبُوا فِي حَبُوسِ الظُّلْمَةِ ؛ وَمُنِعُوا مِنْ أَخْذِ الصَّدَقَةِ الَّتِي يُعْطَاهَا أَهْلُ السَّجُونِ ، وَمُنِعُوا مِنَ الزُّوَّارِ ، وَثَقَلُوا بِالْحَدِيدِ . وَحَمِلَ أَبُو هَارُونَ السَّرَاجَ وَأَخْتَرَهُ مَعَهُ إِلَى سَامَرَاءَ ، ثُمَّ رَدُّوا إِلَى بَغْدَادَ ، فَجُعِلُوا فِي الْحَابِسِ .

وَكَانَ سَبَبُ أَخْذِ الَّذِينَ أَخَذُوا بِسَبَبِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ ، أَنَّ رَجُلًا قَصَّارًا كَانَ فِي الرَّبْضِ جَاءَ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَصْعَبٍ ، فَقَالَ : أَنَا أَدْلُكَ عَلَى أَصْحَابِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ ، فَوَجَّهَ مَعَهُ مِنْ يَتَّبِعُهُمْ ؛ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا وَجَدُوا عَلَى الْقَصَّارِ سَبَبًا حَبَسَهُ مَعَهُمْ ؛ وَكَانَ لَهُ فِي الْمِهْرَازِ نَخْلٌ ، فَقُطِعَ وَانْتَهَبَ ^(١) مِنْتَزَلُهُ ؛ وَكَانَ مِمَّنْ حَبَسَ بِسَبَبِهِ قَوْمٌ مِنْ وَلَدِ عَمْرُو بْنِ اسْفَنْدِيَارَ ، فَاتُوا فِي الْحَبْسِ ؛ فَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادَ :

مَا لِنْ تَحَوَّلْتَ مِنْ إِيَادٍ ^(٢) صِرْتَ عَذَابًا عَلَى الْعِبَادِ

(١) ف : « وَنَهَبَ » .

(٢) ١ : « أَلَّا تَحَوَّلْتَ فِي إِيَادٍ » .

أَنْتَ كَمَا قَلْتَ مِنْ إِبَادٍ فَارْفُقْ بِهَذَا الْخَلْقِ يَا إِبَادِي

• • •

وفي هذه السنة أراد الواثق الحج ، فاستعد له ، ووجه عمر بن فرج إلى الطريق لإصلاحه ، فرجع فأخبره بقلّة الماء فبدا له .

وحجّ بالناس فيها محمد بن داود بن عيسى .

وفيهما ولّى الواثق جعفر بن دينار اليمن ، فشحّص إليها في شعبان . وحجّ هو وبُغَا الكبير ، وعلى أحداث الموسم بُغَا الكبير ، وكان شخوص جعفر إلى اليمن في أربعة آلاف فارس وألّف راجل وأعطى رزق ستة ^(١) أشهر .

وعقد محمد بن عبد الملك الزيات لإسحاق بن إبراهيم بن أبي خنيس مولى بني قُشَيْر من أهل أضاح فيها على اليامة والبحرين وطريق مكة ، مما يلي البصرة في دار الخلافة ، ولم يذكر أن أحداً عقد لأحد في دار الخلافة إلا الخليفة غير محمد بن عبد الملك الزيات .

وفي هذه السنة نقب قوم من اللصوص بيت المال الذي في دار العامة في جوف القصر ، وأخذوا اثنين وأربعين ألفاً من الدراهم ^(٢) ، وشيئاً من الدنانير يسيراً ، فأخذوا بعدُ وتتبع أخذهم يزيد الحلواني ، صاحب الشرطة خليفة لإيتاخ .

١٣٥١/٣

وفيهما خرج محمد بن عمرو الخارجي من بني زيد بن تغلب في ثلاثة عشر رجلاً في ديار ربيعة ، فخرج إليه غانم بن أبي مسلم بن حميد الطوسي ، وكان على حرب الموصل في مثل عدته ، فقتل من الخوارج أربعة ، وأخذ محمد ابن عمرو أسيراً فبعث به إلى سامراً ، فبعث به إلى مطبق بغداد ، ونصبت رعوس أصحابه وأعلامه عند خشبة بابك .

وفي هذه السنة قدم وصيف التركي من ناحية أصبهان والجبّال وفارس ، وكان شخّص في طلب الأكراد ، لأنهم قد كانوا تطرّقوا إلى هذه النواحي ، وقدم معه منهم بنحو من خمسمائة نفس ، فيهم غلمان صغار ، جمعهم في قيود

(٢) س : « ألف درهم » .

(١) س : « سبعة » .

وأغلال ؛ فأمر بحبسهم ، وأجيز وصيف بخمسة وسبعين ألف دينار ، وقلد سيفاً وكسّى .

• • •

[خبر الفداء بين المسلمين والروم]

وفي هذه السنة ، تمّ الفداء بين المسلمين وصاحب الروم ، واجتمع فيها المسلمون والروم على نهر يقال له اللمس على سَلْوُوقِيَّةَ على مسيرة يوم من طَرَسُوس .

• ذكر الخبر عن سبب هذا الفداء وكيف كان :

ذكر عن أحمد بن أبي قَحْطَبَةَ صاحب خاقان الخادم - وكان خادماً الرشيد ، وكان قد نشأ بالثغر - أن خاقان هذا قدم على الواثق ، وقدم معه نفر^(١) من وجوه أهل طَرَسُوس وغيرها يشكون صاحب مظالم كان عليهم^(٢) ، يكفى أبا وهب ؛ فأحضر ، فلم يزل محمد بن عبد الملك يجمع بينه وبينهم في دار العامة عند^(٣) انصراف الناس يوم الاثنين والخميس ، فيمكثون إلى وقت الظهر ؛ وينصرف محمد بن عبد الملك وينصرفون ، فعزل عنهم^(٤) ، وأمر الواثق بامتحان أهل الثغور في القرآن ، فقالوا بخلقه جميعاً^(٥) ؛ إلا أربعة نفر ؛ فأمر الواثق بضرب أعناقهم إن لم يقولوه ، وأمر لجميع أهل الثغور بجوائز على ما رأى خاقان ، وتعجل أهل الثغور إلى ثغورهم ، وتأخر خاقان بعدهم قليلاً ؛ فقدم على الواثق رسل صاحب الروم - وهو ميخائيل بن توفيل بن ميخائيل ابن أليون بن جورجس - يسأله أن يفادي بمن في يده من أسارى المسلمين ، فوجه الواثق خاقان في ذلك ، فخرج خاقان ومن معه في فداء أسارى المسلمين في آخر سنة ثلاثين ومائتين على موعد بين خاقان ورسول صاحب الروم للالتقاء للفداء في يوم عاشوراء ؛ وذلك في العاشر من الحرم سنة إحدى وثلاثين

(٢) ف : « عليها » .

(١) س : « بقوم » .

(٤) س : « فعزله » .

(٣) س : « بعد انصراف الناس » .

(٥) ف : « جميعاً بخلقهم » .

ومائتين . ثم عقد الوثائق لأحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي على الثغور والعواصم ، وأمره بحضور الفداء ؛ ^(١) «فخرج على سبعة عشر من البرد» وكان الرسل الذين قدموا في طلب الفداء ^(٢) قد جرى بينهم وبين ابن الزيات اختلاف في الفداء ، قالوا ^(٣) : لا نأخذ في الفداء امرأة عجوزاً ولا شيخاً كبيراً ولا صبيّاً ، فلم يزل ذلك بينهم أياماً حتى رضوا عن كل نفس بنفس .

١٣٥٣/٣

فوجه الوثائق إلى بغداد والرقّة في شري من يباع من الرقيق من ممالك ، فاشترى من قدر عليه منهم ، فلم تتمّ العدة ، فأخرج الوثائق من قصره من النساء الروميات العجائز ^(٤) وغيرهن ؛ حتى تمتّ العدة ، وجهه ممن مع ابن أبي دواد رجلين ، يقال لأحدهما يحيى بن آدم الكرخي ، ويكنى أبا رملة ، وجعفر [بن أحمد] بن الحذاء ؛ وجهه معهما كاتباً من كتّاب العرض ^(٥) ، يقال له طالب بن داود ، وأمره بامتحانهم هو وجعفر ، فن قال : القرآن مخلوق فودى به ، ومن أبي ذلك ترك في أيدي الروم ؛ وأمر لطالب بخمسة آلاف درهم ؛ وأمر أن يعطوا جميع من قال : إن القرآن مخلوق ؛ ممن فودى به ديناراً لكل إنسان من ماله ^(٦) حمل معهم ، فضى القوم .

فذكر عن أحمد بن الحارث أنه قال : سألت ابن أبي قحطبة صاحب خاقان الخادم - وكان السفير الموجه بين المسلمين والروم ، وجهه ^(٧) ليعرف عدة المسلمين في بلاد الروم . فأتى ملك الروم وعرف عدتهم قبل الفداء - فذكر أنه بلغت عدتهم ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة ؛ فأمر الوثائق بفدائهم ، وعجل أحمد بن سعيد على البريد ليكون الفداء على يديه ، وجهه من يمتحن الأسراء من المسلمين ، فن قال منهم : إن القرآن مخلوق ، وإن الله عز وجل لا يرّى في الآخرة فودى به ؛ ومن لم يقل ذلك ترك في أيدي الروم ، ولم يكن فداء منذ أيام محمد بن زبيدة في سنة أربع أو خمس وتسعين ومائة .

١٣٥٤/٣

(١-١) ف : « فخرج في خمسة عشر من البريد » .

(٢) ف : « للفداء » .

(٣) ف : « فقالوا » .

(٤) ف : « والعجائز » .

(٥) س : « من الكتاب » .

(٦) كذا في أ ، وفي ط : « من مال » .

(٧) ف : « ووجه » .

قال : فلما كان يوم عاشوراء ، لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، اجتمع المسلمون ومن معهم من العلوج وقائدان من قواد الروم ؛ يقال لأحدهما أنفاس^(١) وللآخر لمسنوس ، والمسلمون والمطوعة في أربعة آلاف بين فارس وراجل ، فاجتمعوا بموضع يقال له اللمس ؛ فذكر عن محمد بن أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي أن كتاب أبيه أتاه ، أن من فُودى به من المسلمين ومن كان معهم من أهل ذمتهم أربعة آلاف وستائة إنسان ؛ منهم صبيان ونساء ستائة ؛ ومنهم من أهل الذمة أقل من خمسمائة والباقي رجال من جميع الآفاق .

وذكر أبو قحطبة - وكان رسول خاقان الخادم إلى ملك الروم لينظر كم عدد الأسرى ، ويعلم صحة ما عزم عليه ميخائيل ملك الروم - أن عدد المسلمين قبل الفداء كان ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة وصبي ، ممن كان بالقسطنطينية وغيرها ؛ إلا من أحضره الروم ومحمد بن عبد الله الطرسوسي - وكان عندهم - فأوفده أحمد بن سعيد بن سلم وخاقان مع نفر من وجوه الأسرى على الواثق ، فحملهم الواثق على فرس فرس ؛ وأعطى لكل رجل^(٢) منهم ألف درهم .

وذكر محمد هذا أنه كان أسيراً في أيدي الروم ثلاثين سنة ، وأنه كان أسير في غزاة رامية كان في العلافه فأسير ، وكان فيمن فُودى به في هذا الفداء ، وقال : فُودى بنا في يوم عاشوراء على نهر يقال له اللامس ، على سسلوقية قريباً من البحر ، وأن عدتهم كانت أربعة آلاف وأربعمائة وستين نفساً^(٣) ؛ النساء وأزواجهن وصبيانهن ثمانمائة وأهل ذمة المسلمين مائة أو أكثر ، فوقع الفداء كل نفس عن نفس صغيراً أو كبيراً ، فاستفرغ خاقان جميع من كان في بلد الروم من المسلمين ممن علم موضعه .

قال : فلمّا جُمِعوا للفداء ، وقف المسلمون من جانب النهر الشرقي والروم من الجانب الغربي - وهو مخاضة - فكان هؤلاء يرسلون من ها هنا رجالاً وهؤلاء

(١) كذا في ا ، س ، وفي باقي الأصول بدون نقط وما أثبتته من ا .

(٢) ف : « لكل واحد » . (٣) ف : « إنساناً » .

من هاهنا رجلا ، فيلتقيان في وسط النهر ، فإذا صار المسلم إلى المسلمين كبر وكبروا ، وإذا صار الرومي إلى الروم تكلم بكلامهم ، وتكلموا شبيهاً بالتكبير .

وذكر عن السندی مولى حسين الخادم ، أنه قال : عقد المسلمون جسراً على النهر ، وعقد الروم جسراً ، فكنا نرسل الرومي على جسرنا ويرسل^(١) الروم المسلم على جسرهم ؛ فيصير هذا إلينا وذاك إليهم ، وأنكر أن يكون مخاضة .

وذكر عن محمد بن كريم أنه قال : لما صرنا في أيدي المسلمين ، امتحننا جعفر ويحيى ، فقلنا ، وأعطينا دينارين دينارين .

١٣٥٦/٣

قال : وكان البطريقان اللذان قدما بالأسرى لا بأس بهما في معاشرتهما .

قال : وخاف الروم عدد المسلمين لقلتهم وكثرة المسلمين ؛ فأمنهم خاقان من ذلك ، وضرب بينهم وبين المسلمين أربعين يوماً لا يُغزَوْنَ حتى يصلوا إلى بلادهم ومأمنهم ؛ وكان الفداء في أربعة أيام ، ففضل مع خاقان ممن كان أمير المؤمنين أعدّ لفداء المسلمين^(٢) عدة كبيرة ، وأعطى خاقان صاحب الروم ممن كان قد فضل في يده مائة نفس ؛ ليكون عليهم الفضل استظهاراً مكان مَنْ يخشى أن يأسروه من المسلمين إلى انقضاء المدة ، ورد الباقي إلى طراسوس ، فباعهم .

قال : وكان خرج معنا ممن كان تنصّر ببلاد الروم من المسلمين نحو ثلاثين رجلاً فودى بهم .

قال محمد بن كريم : ولما انقضت المدة بين خاقان والروم الأربعون يوماً ، غزا أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة ، فأصاب الناس الثلج والمطر ، فمات منهم قتل رمائي إنسان وغرق منهم في البسندون قوم كثير ، وأسير منهم نحو من مائتين ؛ فوجد أمير المؤمنين الواثق عليه لذلك ، وحصل جميع مَنْ مات وغرق خمسمائة إنسان ؛ وكان أقبل إلى أحمد بن سعيد وهو في سبعة آلاف

(٢) ف : « عد للفداء من المسلمين » .

(١) ط : « ويرسلون » .

بطريق من عظمائهم فجبن^(١) عنه ، فقال له وجوه الناس : إن عسكرياً فيه
سبعة آلاف لا يتخوف عليه ، فإن كنت لا تواجه القوم فتطرق بلادهم .
فأخذ نحواً من ألف بقرة وعشرة آلاف شاة ، وخرج فعزله الواثق ، وعقد
لنصر بن حمزة الخزاعي يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى
من هذه السنة .

• • •

وفي هذه السنة مات الحسن بن الحسين ، أخو طاهر بن الحسين بطبرستان
في شهر رمضان .

وفيهما مات الخطاب بن وجه الفلاس .

وفيهما مات أبو عبد الله الأعرابي الراوية يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت
من شعبان وهو ابن ثمانين سنة .

وفيهما ماتت أم أبيها بنت موسى أخت علي بن موسى الرضى .

وفيهما مات مخارق المغنى ، وأبونصر أحمد بن حاتم راوية الأصمعي ، وعمرو
ابن أبي عمرو الشيباني ومحمد بن سعدان النحوى .

(١) كذا في د ، وهو الوجه ، وفي ط : « فحيز » .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن مسير بغا الكبير إلى حرب بني نمير]

فمن ذلك ما كان من مسير بغا الكبير إلى بني نمير حتى أوقع بهم .

* ذكر الخبر عن سبب مسيره إليهم وكيف كان الأمر بينه وبينهم :

١٣٥٨/٣

حدثني أحمد بن محمد بن محمد بن مخلد^(١) بمعظم خبرهم ؛ وذكر أنه كان مع بغا في ذلك السفر ، وأما سياق الكلام فليغيره . ذكر أن سبب شخوص بغا إلى بني نمير كان أن عُمارة بن عُقَيْل بن بلال بن جرير بن الخطّافي امتدح الواثق بقصيدة ، فدخل عليه فأنشده إياها ، فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وبنزّل فكلّم عُمارة الواثق في بني نمير ، وأخبره بعبثهم وفسادهم في الأرض ، وإغارتهم على الناس وعلى الياقة وما قرب منها ؛ فكتب الواثق إلى بغا يأمره بحربهم .

فذكر أحمد بن محمد أن بغا لما أراد الشخوص من المدينة إليهم حمل معه محمد بن يوسف الجعفرى دليلاً له على الطريق ، فضى نحو الياقة يريدهم ، فلقى منهم جماعة بموضع يقال له الشّريف ؛ فحاربوه ، فقتل بغا منهم نسيّفاً وخمسين رجلاً ، وأسروا من أربعين ، ثم سار إلى حُظَيْيَّان ، ثم سار إلى قرية لبني تميم من عمل الياقة تدعى مرأة ، فنزل بها ، ثم تابع إليهم رسله ، يعرض عليهم الأمان ، ودعاهم إلى السمع والطاعة ؛ وهم في ذلك يمتنعون عليه ، ويشتمون رسله ، ويتفلّتون إلى حربه ؛ حتى كان آخر من وجّه إليهم رجلين ؛ أحدهما من بني عدى من تميم والآخر من بني نمير ، فقتلوا التميمي وأثبتوا النميري جراحاً ؛ فسار بغا إليهم من مرأة . وكان مسيره إليهم في أول صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، فورد بطن نخل ، وسار حتى دخل نُخَيْلَةَ^(٢) ، وأرسل

١٣٥٩/٣

(١) ط : « خالد » ، وما أثبتته من ا ، د ، و ، وانظر الفهرس والتصويبات .

(٢) ا : « نخلة » .

إليهم أن اتئونى ، فاحتملت بنو ضَبَّة من مُنَمَّير ، فركبت جبالها مياسر جبال السَّود - وهو جبل خلف اليمامة أكثر أهله باهلة - فأرسل إليهم فأبوا أن يأتوه ، فأرسل إليهم سرية فلم تدرِكهم ، فوجَّه سرايا ، فأصابَت فيهم وأسرت منهم . ثم إنه أتبعهم بجماعة مَن معه وهم نحو من ألف رجل سوى مَن تخلَّف في العسكر من الضعفاء والأتباع ، فلقيهم وقد جمعوا له ، وحشدوا لحر به ، وهم يومئذ نحو من ثلاثة آلاف ، بموضع يقال له روضة الأبنان وبطن السر من القرنين على مرحلتين ، ومن أضاح على مرحلة ، فهزموا مقدَّمته ، وكشفوا ميسرته ، وقتلوا من أصحابه نحواً من مائة وعشرين أو مائة وثلاثين رجلاً ، وعقروا من إبل عسكره نحواً من سبعمائة بعير ومائة دابة ، وانتهبوا الأنقال وبعض ما كان مع بُغا من الأموال .

قال لى أحمد : لقيهم بُغا وهجم عليهم ، وغلبه ^(١) الليل ، فجعل بُغا يناشدهم ، ويدعوهم إلى الرجوع وإلى طاعة أمير المؤمنين ، ويكلِّمهم بذلك محمد ابن يوسف الجعفرى ، فجعلوا يقولون له : يا محمد بن يوسف ، قد والله ولدناك فما رعيت حرمة الرَّحيم ، ثم جئتنا بهؤلاء العبيد والعلَّوج تقاتلنا بهم ! والله لنرينك العُبر ، ونحو ذلك من القول .

فلما دنا الصبح ^(٢) قال محمد بن يوسف لبُغا : أوقع بهم من قبل أن يضيء الصبح ، فيروا قلة عددنا ، فيجترئوا علينا ، فأبى بُغا عليه ؛ فلمَّا أضاء الصبح ونظروا إلى عدد مَن مع بُغا - وكانوا قد جعلوا رجالاتهم أمامهم وفرسانهم وراءهم ونعمهم ومواشيهم من ورائهم - حملوا علينا ، فهزمونا حتى بلغت هزيمتنا معسكرنا ، وأيقنَّا بالهلكة .

قال : وكان قد بلغ بُغا أن خيلاً لهم بمكان من بلادهم ، فوجَّه من أصحابه نحواً من مائتى فارس إليها . قال : فبينما نحن فيما نحن فيه من الإشراف على العطَّيب ، وقد هزِم بُغا ومَن معه إذ خرجت الجماعة التى كان بُغا وجَّهها من الليل إلى تلك الخيل ، وقد أقبلت منصرفة من الموضع الذى وجَّهت

(١) س : « وعليه » .

(٢) س : « للصبح » .

إليه من العسكر في ظهور بني نُمير، وقد فعلوا ما فعلوا ببُغَا وأصحابه، فنفضوا في صفّاراتهم؛ فلما سمعوا نَفْخَ الصّفّارات، ونظروا إلى مَنْ خرج عليهم في أدبارهم، قالوا: غَدَرُ^(١) والله العبد، ولوّوا هاربين، وأسلم فرسانهم رجّالتهم بعد أن كانوا على غاية المحاماة عليهم.

قال لي أحمد بن محمد: فلم يفلت من رجّالتهم كثير أحد؛ حتى قُتِلوا عن آخرهم؛ وأما الفرسان فطاروا هُرّابًا على ظهور الخيل.

وأما غير أحمد بن محمد فإنه قال: لم تزل الهزيمة على بُغَا وأصحابه منذ غدوة إلى انتصاف النهار؛ وذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثنتين وثلاثين ومائتين، ثم تشاغلوا بالنهب وعمّقر الإبل والدواب حتى ثاب إلى بُغَا من كان انكشف من أصحابه، واجتمع إليه مَنْ كان تفرّق عنه، ففكروا على بني نُمير، فهزمهم وقتل منهم منذ زوال الشمس إلى وقت العصر زهاء ألف وخمسمائة رجل. وأقام بُغَا بموضع الوقعة على الماء المعروف ببطن السرّ، حتى جُمِعت له رءوس مَنْ قُتِل من بني نُمير، واستراح هو وأصحابه ثلاثة أيام.

١٣٦١/٣

فحدثني أحمد بن محمد أن مَنْ هرب من فرسان بني نُمير من الوقعة أرسلوا إلى بُغَا يطلبون منه الأمان؛ فأعطاهم الأمان، فصاروا إليه، فقيّدَهم وأشخصهم معه.

وأما غيره فإنه قال: سار بُغَا من موضع الوقعة في طلب من شذّ عنه منهم، فلم يترك إلاّ الضعيف ممن لم يكن له نهوض منهم وبعض المواشي والنعم، ورجع إلى حصن باهلة. قال: وإنما قاتل بُغَا من بني نُمير بنو عبد الله بن نُمير وبنو بُسْرَة وبلحَجّاج وبنو قسطن وبنو سلاه وبنو شُرَيْح وبطون من الخوالم — وهم من بني عبد الله بن نُمير، ولم يكن في القتال من بني عامر بن نُمير إلاّ القليل — وبنو عامر بن نُمير أصحاب نخل وشاء، وليسوا أصحاب خيل، وعبد الله بن نُمير هي التي تحارب العرب — فقال ثُمارة

(١) ط: «غدر»، والصواب ما أثبتته من د.

ابن عَقِيل لَبُغَا :

تَرَكَتِ الْأَعْقَفِينَ وَبَطْنَ قَوْ وَمَلَأَتِ السَّجُونَ مِنَ الْقِمَاشِ

فحدثني أحمد بن محمد أن الذين دخلوا إلى بُغَا بالأمان من بني مُنَمِرٍ
 لمَّا قِيدَهم وجبَسَهم وأشخَصَهم معه شَغَبُوا في الطريق ، وحاولوا كسر قيودهم
 والهرب ، فأمر بإحضارهم واحداً بعد واحد ؛ فكان إذا حضر الواحد يضر به ما بين
 الأربعمائة إلى الخمسمائة وأقل من ذلك وأكثر ؛ فزعم أحمد ^(١) أنه حضر ضربهم
 ولم ينطق منهم ناطق يتوجع من الشرب ؛ وأنه أحضر منهم شيخ قد علّق
 في عنقه مصحفاً ، ومحمد بن يوسف جالس إلى جنب بُغَا ، فضحك منه
 محمد بن يوسف ، وقال لبُغَا : هذا أخبث ما كان - أصلحك الله - حين
 علّق المصحف في عنقه ! فضر به أربعمائة أو خمسمائة ، فما توجع وما استغاث .
 وذكر أن فارساً من بني مُنَمِرٍ لقي بُغَا في وقتهم التي ذكرت أمرها يُدْعَى ^(٢)
 المجنون ، فطعن بُغَا ورى المجنون رجلاً من الأتراك . فأفلت ، وعاش أياماً
 ثلاثة ، ثم مات من رميته .

قال : ثم قدم عليه واجن الأشروسني الصُّغْدِيّ في سبعمائة رجل مدداً
 له من الأشروسنية الإشتيخنية ، فوجّههُ بُغَا ومحمد بن يوسف الجعفرى في
 أثرهم ؛ فلم يزل يتبعهم حتى وغلوا في البلاد ، وصاروا بتبالة وما يليها من حدّ
 عمل اليمن وفاتوه ؛ فانصرف ولم يصر في يديه منهم إلا ستّة نفر أو سبعة ،
 وأقام بحصن باهلة ، ووجه إلى جبال بني مُنَمِرٍ وسهلها من هلال والسود وغيرها
 من عمل اليمامة سرايا في محاربة من امتنع ممن قبل الأمان منهم ، فقتلوا جماعة
 وأسروا جماعة ، وأقبل عدّة من ساداتهم ، كلُّهم يطلب الأمان لنفسه والبطن
 الذي هو منه ، فقبل ذلك منهم وبسطهم وأنسهم ؛ ولم يزل مقيماً إلى أن
 جمع إليه كلّ مَنْ ظنّ أنه كان في هذه النواحي منهم ، وأخذ منهم زُهاء
 ثمانمائة رجل ، فأثقلهم بالحديد وحملهم إلى البصرة ، في ذى القعدة من سنة
 اثنتين وثلاثين ومائتين ، وكتب إلى صالح العباسي بالمسير بمنّ قبله في المدينة

(١) ط : « أحد » وما أثبتته من أ ، د . (٢) ط : « يدعاه » ، تحريف ، صوابه من د .

من بنى كلاب وفزارة ومرة وثعلبة وغيرهم والحق به ؛ فوافاه صالح العباسي ببغداد ، وصاروا جميعاً في المحرم إلى سامرأسنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، وكانت عدة من قدم به بغا وصالح العباسي من الأعراب سوى من مات منهم ١٣٦٣/٣ وهرب . وقتل في هذه الوقائع التي وصفناها أثنى رجل ومائتي رجل من بنى نعيم ومن بنى كلاب ومن مرة وفزارة ومن ثعلبة وطيتي .

* * *

وفي هذه السنة أصاب الحاج في المرجع عطش شديد في أربعة منازل إلى الرابذة ، فبلغت الشربة عدة دنائير . ومات خلق كثير من العطش .
وفيها ولي محمد بن إبراهيم بن مصعب فارس .
وفيها أمر الواثق بترك جباية أعشار سفن البحر .
وفيها اشتد البرد في نيسان حتى جمد الماء لخمس خلون منه .

[ذكر خبر موت الواثق]

وفيها مات الواثق .

• ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته :

ذكر لي جماعة من أصحابنا أن عليته التي توفيت منها كانت الاستسقاء ، فعولج بالإقعاد في تسور مسخن ، فوجد لذلك راحة وخفة مما كان به ، فأمرهم من غد ذلك اليوم بزيادة في إسخان التسور ، ففعل ذلك وقعد فيه أكثر من قعوده في اليوم الذي قبله ، فحمي عليه ، فأخرج منه ، وصير في محفة ؛ وحضره الفضل بن إسحاق الهاشمي وعمر بن فرج وغيرهم ؛ ثم حضر ابن الزيات وابن أبي دواد ، فلم يعلموا بموته حتى ضرب بوجهه المحفة ، فعلموا أنه قد مات .

وقد قيل : إن أحمد بن أبي دواد حضره وقد أغمى ^(١) عليه ، فقضى وهو

(١) ط : « أغمى » ، تحريف ، صوابه من ا ، د .

عنده فأقبل يغمضه ويصلح من شأنه. وكانت وفاته لست بقين من ذى الحجة
وُدفن في قصره بالمهاروني. وكان الذي صلّى عليه وأدخله قبره وتولّى أمره
أحمد بن أبي دواد؛ وكان الواثق أمر أحمد بن أبي دواد أن يُصلّى بالناس
يوم الأضحى في المصلّى، فصلّى بهم العيد؛ لأن الواثق كان شديد العِلّة
فلم يقدر على الحضور إلى المصلّى، ومات من عِلّته تلك.

* * *

ذكر الخبر عن صفة الواثق وسنه وقدر مدة خلافته
ذكر من رآه وشاهده أنه كان أبيض مشرباً حُمرة، جميلاً ربّعة،
حسن الجسم، قائم العين اليسرى؛ وفيها نكته بياض.
وتوفّيَ - فيما زعم بعضهم - وهو ابن ست وثلاثين سنة، وفي قول بعضهم: وهو
ابن اثنتين وثلاثين سنة؛ فقال الذين زعموا أنه كان ابن ست وثلاثين: كان
مولده سنة ست وتسعين ومائة، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة
أيام. وقال بعضهم: وسبعة أيام واثنى عشرة ساعة.
وكان وُلِدَ بطريق مكة، وأمّه أم ولد روميّة؛ يقال لها قراطيس.
واسمه هارون وكنيته أبو جعفر.

وذكر أنه لما اعتلّ علته التي مات فيها وسق بطنه أمر بإحضار المنجمين،
فأحضروا؛ وكان ممن حضر الحسن بن سهل، أخو الفضل بن سهل، والفضل بن
إسحاق الهاشمي وإسماعيل بن نوبخت ومحمد بن موسى الخوارزمي المجوسي
القطرُبلي وسند صاحب محمد بن الهيثم وعامة من ينظر في النجوم، فنظروا في
علته ونجمه ومولده، فقالوا: يعيش دهرًا طويلاً، وقدّروا له خمسين سنة
مستقبله؛ فلم يلبث إلا عشرة أيام حتى مات.

* * *

ذكر بعض أخباره

١٣٦٥/٣

ذكر الحسين^(١) بن الضحّاك أنه شهد الواثق بعد أن مات المعتصم بأيام،

(١) ط: «الحسن» وصولابه من أ، د، وانظر الفهرس.

وقد قعد مجلساً كان أول مجلس قعده ؛ فكان أول ما تُغنى به من الغناء في ذلك المجلس ؛ أن تغنت شارية جارية لإبراهيم بن المهدي :

ما دَرَى الحَامِلُونَ يَوْمَ اسْتَقْدُوا نَعْمَهُ لِلنَّوَاءِ أَمْ لِلْفَنَاءِ (١)
فَلَيْقِلَ فِيكَ بَاكِياتُكَ مَا شِدَّ نَ صَبَاحاً وَوَقْتُ كُلِّ مَسَاءِ
قال : فبكى والله وبكىنا حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه ، ثم اندفع بعض المغنين فغنى :

وَدَّعْ هَرِيرَةً إِنَّ الرُّكْبَ مَرْتَحِلٌ وَهَلْ تَطْبِقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ (٢)
قال : فازداد والله في البكاء ؛ وقال : ما سمعت كالذيوم قطّ تعزية بأب ونهى (٣) نفس ؛ ثم ارفض ذلك المجلس .

وذكر عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع أن علي بن الجهم قال في الواثق بعد أن ولي الخلافة :

قَدْ فَازَ ذُو الدُّنْيَا وَذُو الدِّينِ بِدَوْلَةِ الْوَائِقِ هَارُونَ (٤)
أَفَاضَ مِنْ عَذْلِ وَمِنْ نَائِلٍ مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا مَعَ الدِّينِ !
قَدْ عَمَّ بِالْإِحْسَانِ فِي فَضْلِهِ فَالْنَّاسُ فِي خَفَضٍ وَفِي لَيْنِ
مَا أَكْثَرَ الدَّاعِيَ لَهُ بِالْبَقَا وَأَكْثَرَ التَّالِيِ بِأَمِينِ
وقال علي بن الجهم أيضاً فيه :

وَبَقِيَ بِالْمَلِكِ الْوَائِقِ ثِقِيَ بِاللَّهِ الْنَفُوسُ (٥)
مَلِكٌ يَشْقَى بِهِ الْمَلَأُ لٌ وَلَا يَشْقَى الْجَلِيشُ
أَنْسَ السَّيْفُ بِهِ وَاسْتَحْشَ الْعَلَقُ النَّفِيسُ
أَسَدٌ تَضَحَّكَ عَنْ شِدَاتِهِ الْحَرْبُ الْعَبُوسُ
يَا بَنِي الْعَبَّاسِ يَا أَبَى الْإِلَهِ إِلَّا أَنْ تَسُوسُوا

(٢) للأعشى ، ديوانه ٥٥ (طبعة النموذجية) .

(٤) ديوانه ١٨٨ .

(١) د ، ا : « لقاء » .

(٣) ط : « ونهى » .

(٥) ديوانه ١٣ .

فغنت قلم جارية صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين ، وغنت في شعر محمد بن كُناسة :

فِي انْقِبَاضٍ وَحِشْمَةٍ فَإِذَا جَالَسْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ (١)
أرسلتُ نفسي على سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا شِئْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ

فغنته الواثق ؛ فاستحسنه ؛ فبعث إلى ابن الزيات : ويحك من صالح ابن عبد الوهاب هذا ! فابعث إليه فأشخصه ؛ وليحمل جاريته ؛ فغدا بها صالح إلى الواثق ، فأدخلته عليه ، فلما تغنت ارتضاها ، فبعث إليه ، فقال : قل ، فقال : مائة ألف دينار يا أمير المؤمنين وولاية مصر ، فردّها ، ثم قال أحمد بن عبد الوهاب أخو صالح في الواثق :

أَبَتْ دَارُ الْأَحِبَّةِ أَنْ تُبَيِّنَا أَجْدَكَ مَا رَأَيْتَ لَهَا مُعِينَا
تُقَطِّعُ حَسْرَةً مِنْ حُبٍّ لَيْلَى نَفُوسٌ مَا أَثْنَى وَلَا جُزِينَا

فصنعت فيه قلم جارية صالح ، فغنتاه زرزر الكبير للواثق ، فقال : لمن ذا ؟ فقال : لقلم ، فبعث إلى ابن الزيات ، فأشخص صالحاً ومعه قلم ؛ فلما دخلت عليه ، قال : هذا لك ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : بارك الله عليك ! وبعث إلى صالح : اسمّ وقلّ قولاً ينتهي أن تُعطاه ؛ فبعث إليه : قد أهديتها إلى أمير المؤمنين ، فبارك الله لأمر المؤمنين فيها . قال : قد قبلتها ، يا محمد ، عوّضه خمسة آلاف دينار ، وسماها « اغتباط » فطلمه ابن الزيات ، فأعادت الصوت وهو :

أَبَتْ دَارُ الْأَحِبَّةِ أَنْ تُبَيِّنَا أَجْدَكَ هَلْ رَأَيْتَ لَهَا مُعِينَا

فقال لها : بارك الله عليك وعلى من ربّاك ؛ فقالت : يا سيدي وما ينتفع من رباني ، وقد أمرت له بشيء لم يصل إليه ! فقال الواثق : يا سمانة (٢) ، الدواة ؛ فكتب إلى ابن الزيات : ادفع إلى صالح بن عبد الوهاب ما عوّضناه من ثمن

(١) ورد البيت محرفاً في ط ، وصواب ما أثبتته من ا ، د .

(٢) ط : « سمانه » .

اغتيال خمسة آلاف دينار، وأضعفها . قال صالح : فصرت إلى ابن الزيات فقربني ، وقال : هذه الخمسة الأولى ؛ خذها ، والخمسة آلاف الأخرى أدفعها إليك بعد جمعة ؛ فإن مثلت ، فقل : إني قبضت المال . قال : فكرهت أن أسأل فأقرر بالقبض ؛ فاختفيت في منزلي حتى دفع إلى المال ، فقال لي سمانة : قبضت المال ؟ قلت : نعم ، وترك عمل السلطان ، وتجر بها ، حتى توفى .

خلافة جعفر المتوكل على الله

١٣٦٨/٣

وفي هذه السنة بُويع لجعفر المتوكل على الله بالخلافة ؛ وهو جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد ذي الشَّفِينات بن عليّ السَّجَّاد ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

* * *

ذكر الخبر عن سبب خلافته ووقتها

حدثني غير واحد ؛ أن الواثق لما توفى حضر الدار أحمد بن أبي دواد وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرج وابن الزيات وأحمد بن خالد أبو الوزير ، فعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق ؛ وهو غلام أمرّد ، فألبسوه درّاعة سوداء وقلنسوة رُصافية ، فإذا هو قصير ، فقال لهم وصيف : أما تتقون الله ! تولّون مثل هذا الخلافة ؛ وهو لا يجوز معه الصلاة !

قال : فتناظروا فيمن يولّونها ، فذكروا عدّة ، فذكر عن بعض من حضر الدار مع هؤلاء ، أنه قال : خرجت من الموضع الذي كنت فيه ، فمرت بجعفر المتوكل ؛ فإذا هو في قميص وسروال قاعد مع أبناء الأتراك ، فقال لي : ما الخبر ؟ فقلت : لم ينقطع أمرهم ؛ ثم دعوا به ، فأخبره ببغى الشرابي الخبّر ، وجاء به ، فقال : أخاف أن يكون الواثق لم يمت ، قال : فربّ به ، فنظر إليه مسجّي ، فجاء فجلس ، فألبسه أحمد بن أبي دواد الطويلة وعمّمه وقبله بين عينيه ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! ثم غُسِّل الواثق وصُلّي عليه ودفن ، ثم صاروا من فتورهم إلى دار العامة ؛ ولم يكن لقب المتوكل .

١٣٦٩/٣

وذكر أنه كان يوم بُويع له ابن ست وعشرين سنة ؛ ووضع العطاء للجند لثمانية أشهر ؛ وكان الذى كتب البيعة له محمد بن عبد الملك الزيات ؛ وهو إذ ذاك على ديوان الرسائل ؛ واجتمعوا بعد ذلك على اختيار لقب له ، فقال ابن الزيات : نسميه المنتصر بالله ؛ وخاض الناس فيها حتى لم يشكوا فيها ، فلما كان غداة يوم بكر أحمد بن أبى دواد إلى المتوكل ، فقال : قد رويت فى لقب أرجو أن يكون موافقاً حسناً إن شاء الله ؛ وهو المتوكل على الله ، فأمر بإمضائه ، وأحضر محمد بن عبد الملك ، فأمر بالكتاب بذلك إلى الناس ، فنفذت إليهم الكتب ، نسخة ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أمر - أبقاك الله - أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، أن يكون الرسم الذى يجرى به ذكره على أعواد منابره ، وفى كتبه إلى قضائه وكتبابه وعماله وأصحاب دواوينه وغيرهم من سائر من تجرى المكاتبه بينه وبينه : «من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين» ؛ فأرىك فى العمل بذلك وإعلامى بوصول كتابى إليك موافقاً إن شاء الله .

وذكر أنه لما أمر للأتراك برزق أربعة أشهر وللجند والشاكرية ومن ١٣٧٠/٣
يجرى مجراهم من الهاشميين برزق ثمانية أشهر ، أمر للمغاربة برزق ثلاثة أشهر ، فأبوا أن يقبضوا ، فأرسل إليهم : من كان منكم مملوكاً ؛ فليمض إلى أحمد بن أبى دواد حتى يبيعه ؛ ومن كان حراً صيرناه أسوة الجند ؛ فرضوا بذلك ؛ وتكلم وصيف فيهم حتى رضى عنهم ؛ فأعطوا ثلاثة ، ثم أجروا بعد ذلك مجرى الأتراك . وبويع للمتوكل ساعة مات الواثق بيعة الخاصة وبابعته العامة حين زالت الشمس من ذلك اليوم .

وذكر عن سعيد الصغير أن المتوكل قبل أن يستخلف ذكر له ولجماعة معه أنه رأى فى المنام أن سكرّاً سليمانياً يسقط عليه من السماء ، مكتوباً عليه « جعفر المتوكل على الله » ، فعبسها علينا ، فقلنا : هى والله أيها الأمير أعزك الله الخلافة ، قال : وبلغ الواثق ذلك فحبسه ، وحبس سعيداً معه ، وضيق على جعفر بسبب ذلك .

* * *

وحج بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر خبر حبس محمد بن عبد الملك الزيات ووفاته]

فمن ذلك ما كان من غضب المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات وحبسه إياه .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل إليه الأمر فيه :

أما السبب في غضبه عليه ؛ فإنه كان - فيما ذكر - أن الواثق كان استوزر محمد بن عبد الملك الزيات وفوض إليه الأمور ؛ وكان الواثق قد غضب على أخيه جعفر المتوكل لبعض الأمور ، فوكل عليه عمر بن فرج الرُّحْجِيّ ومحمد بن العلاء الخادم ؛ فكانا يحفظانه ويكتبان بأخباره في كل وقت ؛ فصار جعفر إلى محمد بن عبد الملك يسأله أن يكلمه أخاه الواثق ليرضى عنه ؛ فلمّا دخل عليه مكث واقفاً بين يديه مليّاً لا يكلمه ، ثم أشار إليه أن يقعد فقعد ؛ فلما فرغ من نظره في الكتب ، التفت إليه كالمتهدّد له ، فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت لتسأل أمير المؤمنين الرضا عني ، فقال لمن حوله : انظروا إلى هذا ، يغضب أخاه ، ويسألني أن استرضيه له ! اذهب فإنك إذا صلحت رضى عنك ؛ فقام جعفر كئيباً حزيناً لما لقيه به من قبُح اللقاء والتقصير به ؛ فخرج من عنده ؛ فأقى عمر بن فرج ليسأله أن يختم له صكّه ليقبض أرزاقه ، فلقبه عمر بن فرج بالحبيبة ؛ وأخذ الصكّ ، فرمى به إلى صحن المسجد .

١٣٧١/٣

وكان عمر يجلس في مسجد ؛ وكان أبو الوزير أحمد بن خالد حاضراً ، فقام لينصرف ، فقام معه جعفر ، فقال : يا أبا الوزير ؛ أرايت ما صنع بي عمر ابن فرج ؟ قال : جعلت فداك ! أنا زِمَامٌ عليه ؛ وليس يختم صكّي بأرزاق

إلا بالطلب والترشيق به ؛ فابعث إلى بوكيلك ؛ فبعث جعفر بوكيله ؛ فدفع إليه عشرين ألفاً ، وقال : أنفق هذا حتى يوميئ الله أمرك ؛ فأخذها ثم أعاد إلى أبي الوزير رسوله بعد شهر ؛ يسأله إعانتته ، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم ؛ ثم صار جعفر من فؤره حين خرج من عند عمر إلى أحمد بن أبي دواد ، فدخل عليه ، فقام له أحمد ، واستقبله على باب البيت ، وقبله والتزمه ، وقال : ما جاء بك ، جعلت فداك ! قال : قد جئت لتسترضى لي أمير المؤمنين ، قال : أفعل ونعمة عين وكرامة ، فكلّم أحمد بن أبي دواد الوائق فيه ، فوعده ولم يرض عنه ؛ فلما كان يوم الحلبية كلّم أحمد بن أبي دواد الوائق ، وقال : معروف المعتصم عندي معروف ، وجعفر ابنه ؛ فقد كلمتك فيه ، ووعدت الرضا ؛ فبحق المعتصم يا أمير المؤمنين إلاّ رضيت عنه ؛ فرضى عنه من ساعته وكساه ، وانصرف الوائق وقد قلّد أحمد بن أبي دواد جعفرأ بكلامه حتى رضى عنه أخوه شكراً ، فأحظاه ذلك عنده حين ملك .

١٣٧٢/٣

وذكر أن محمد بن عبد الملك كان كتب إلى الوائق حين خرج جعفر من عنده : يا أمير المؤمنين ، أتاني جعفر بن المعتصم يسألني أن أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه في زى الخنثين له شعر قفاً . فكتب إليه الوائق : ابعث إليه فأحضره ، ومسرّ من يجزّ شعر قفاه ، ثم مسرّ من يأخذ من شعره ويضرب به وجهه ، واصرفه إلى منزله . فذكر عن المتوكل أنه قال : لما أتاني رسوله ، لبست سواداً لي جديداً ، وأتيت رجاء أن يكون قد أتاه الرضا عني ، فقال : يا غلام ، ادع لي حجّاماً ، فدُعِيَ به ، فقال : خذ شعره واجمعه ، فأخذه على السواد الجديد . ولم يأت به بتدليل ؛ فأخذ شعره وشعر قفاه وضرب به وجهه .

قال المتوكل : لما دخلتني من الجزع على شيء مثل ما دخلني حين أخذني على السواد الجديد ؛ وقد جثته فيه طامعاً^(١) في الرضا ، فأخذ شعري عليه . ولما توفّي الوائق أشار محمد بن عبد الملك بابن الوائق ، وتكلّم في ذلك

وجعفر في حُجْرَةٍ غير الحجرة التي يتشاورون فيها، فيمن يعقدون^(١)، حتى بُعث إليه، فعُقد له هناك؛ فكان سبب هلاك ابن الزيات.

وكان بغياً الشرايى الرسولَ إليه يدعوه، فسلم عليه بالخلافة في الطريق، ففقدوا له وبايعوا، فأمهل حتى إذا كان يوم الأربعاء لسبع خلواتٍ من صفر؛ وقد عزم المتوكِّل على مكروه أن يناله به، أمر إيتاخ بأخذه وعذابه؛ فبعث إليه إيتاخ، فظن أنه دُعي به، فركب بعد غدائه مبادراً يظن أن الخليفة دعا به؛ فلما حاذى منزل إيتاخ قيل له: اعدل إلى منزل أبي منصور، فعدل وأوجس في نفسه خيفة؛ فلما جاء إلى الموضع الذي كان ينزل فيه إيتاخ عُدِلَ به يمناً^(٢)، فأحس بالشر، ثم أدخل حجرة، وأخذ سيفه ومِنْطَقَتَهُ وقلنسوته ودرّاعته؛ فدفع إلى غلمانهِ، وقيل لهم: انصرفوا، فانصرفوا لا يشكُّون أنه مقيم عند إيتاخ ليُشرب النبيذ.

قال: وقد كان إيتاخ أعد له رجلين من وجوه أصحابه؛ يقال لهما يزيد ابن عبد الله الحلواني وهرة شارباميان؛ فلما حصل محمد بن عبد الملك خرجا يركضان في جُنْدِهِمَا وشاكِرَيْتَهُمَا، حتى أتيا دار محمد بن عبد الملك، فقال لهم غلمان محمد: أين تريدون؟ قد ركب أبو جعفر؛ فهجما على داره، وأخذوا جميع ما فيها.

فذكر عن ابن الحلواني أنه قال: أتيت البيت الذي كان محمد بن عبد الملك يجلس فيه، فرأيت رثاً الهيئة قليل المتاع، ورأيت فيه طنافس أربعة وقناني رطلبات، فيها شراب؛ ورأيت بيتاً ينام فيه جواريه؛ فرأيت فيه بُورِيّاً ومخاد منضدة في جانب البيت؛ على أن جواريه كنّ ينمّن فيه بلا فرش.

وذكر أن المتوكِّل وجّه في هذا اليوم من قبض ما في منزله من متاع ودواب وجوار وغلمان، فصير ذلك كله في الهاروني، ووجه راشداً المغربي إلى بغداد في قبض ما هنالك من أمواله وخدَمِهِ، وأمر أبا الوزير بقبض ضياعه وضياع أهل بيته حيث كانت. فأما ما كان بسامراً فحمل إلى خزائن

(٢) كذا في ١، د.

(١) كذا في ١، وفي ط: «يعقدون».

مَسْرُور سمانه ، بعد أن اشترى للخليفة ؛ وقيل لمحمد بن عبد الملك : وكلّ
ببيع متاعك . وأتوه بالعباس بن أحمد بن رشيد كاتب عجيف ، فوكله بالبيع
عليه ، فلم يزل أياماً في حبسه مطلقاً ، ثم أمر بتقييده فقيّد ، وامتنع من
الطعام ؛ وكان لا يذوق شيئاً ، وكان شديد الحزاع في حبسه ، كثير البكاء ،
قليل الكلام ، كثير التفكير ، فكث أياماً ثم سُوهر ، ومنع من النوم ، يساهر
ويُنْخَس بمسلة ، ثم ترك يوماً وليلة ، فنام وانتبه ؛ فاشتبهى فاكهة وعنباً ؛
فأتى به ، فأكل ثم أعيد إلى المساهرة ، ثم أمر بتنور من خشب فيه مسامير حديد
[قيام] ^(١) . فذكر عن ابن أبي دواد وأبي الوزير أنهما قالَا : هو أول من أمر بعمل
ذلك ؛ فعذب به ابن أسباط المصري حتى استخرج منه جميع ما عنده ،
ثم ابتلى به فعذب به أياماً .

فذكر عن الدندانى الموكّل بعذابه أنه قال : كنت أخرج وأقفل
الباب عليه ؛ فيمدّ يديه إلى السماء جميعاً حتى يلقّ موضع كتفيه ؛ ثم
يدخل التنّور فيجلس ، والتنّور فيه مسامير حديد وفي وسطه خشبة معترضة ،
يجلس عليها المعضّب ؛ إذا أراد أن يستريح ، فيجلس على الخشبة ساعة ، ثم
يجيء الموكّل به ؛ فإذا هو سمع صوت الباب يُفتح قام قائماً كما كان ؛ ثم
شدّوا ^(٢) عليه .

قال المعضّب له : خاتلته يوماً ، وأريته أنى أقفلت الباب ولم أقفله ؛ إنما
أغلقتة بالقفل ، ثم مكثت قليلاً ، ثم دفعت الباب غفلة ؛ فإذا هو قاعد في
التنّور على الخشبة ، فقلت : أراك تعمل هذا العمل ! فكنت إذا خرجت بعد
ذلك شددت خنأقه ، فكان لا يقدر على القعود ، واستللت الخشبة حتى كانت
تكون بين رجله ؛ فما مكث بعد ذلك إلا أياماً حتى مات .

واختلف في الذى قتل به ، فقيل : ببطيح ، فضرّب على بطنه خمسين
مقرعة ، ثم قلب فضرّب على استه مثلها ، فمات وهو يضرّب ؛ وهم لا يعلمون ،
فأصبح ميتاً قد التوت عنقه ، ونُتفت لحيته . وقيل : مات بغير ضرب .
وذكر عن مبارك المغربي أنه قال : ما أظنه أكل في طول حبسه إلا رغيفاً

واحداً ؛ وكان يأكل العنبية والعنبين .

قال : وكنت أسمع قبل موته بيومين أو ثلاثة يقول لنفسه : يا محمد بن عبد الملك ؛ لم يقنعك النعمة والدواب الفُرّة والدّار النظيفة والكسوة الفاخرة ؛ وأنت في عافية حتى طلبت الوزارة ؛ ذُق ما عملت بنفسك ! فكان يكرّر ذلك على نفسه ؛ فلماً كان قبل موته بيوم ؛ ذهب عنه عتاب نفسه ؛ فكان لا يزد على التشهد وذكر الله ؛ فلما مات أحضِر^(١) ابناه سليمان وعبيد الله — كانا محبوبين — وقد طُرح على باب من خشب في قميصه الذي حبس فيه ؛ وقد اتسخ فقالا : الحمد لله الذي أراح من هذا الفاسق ؛ فدُفعت جُشّته إليهما ، فغسلاه على الباب الخشب ، ودفناه وحفراه ، فلم يعمّقا ؛ فدُكر أن الكلاب نبشته ؛ وأكلت لحمه .

١٣٧١/٣

وكان إبراهيم بن العباس على الأهواز ، وكان محمد بن عبد الملك له صديقاً ، فوجه إليه محمد أحمد بن يوسف أبا الجهم ، فأقامه للناس فصالحه عن نفسه بألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ، فقال إبراهيم^(٢) :

وكنْتَ أَخِي بِإِخَاءِ الزَّمانِ فلما نَبَأَ عُدْتَ حَرْباً عَوَانَا^(٣)
وكنْتَ أَذْمُ إِلَيْكَ الزَّمانِ فأَصْبَحْتُ مِنْكَ أَذْمُ الزَّمانَا
وكنْتَ أَعْدُكَ لِلنَّائِبَاتِ فها أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا
وقال :

أَصْبَحْتُ مِنْ رَأَى أَبِي جَعْفَرٍ فِي هَيْئَةٍ تَنْذِرُ بِالصَّيْلَمِ^(٤)
مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ وَلَكِنَّهَا عِدَاوَةُ الزَّنْدِيقِ لِلْمُسْلِمِ
وأحذر بعد ما قبض عليه مع راشد المغربي إلى بغداد ، لأخذ ماله بها ، فوردها ، فأخذ روحاً غلامه — وكان قهرمانه — في يده أمواله يتجر بها ، وأخذ عدة من أهل بيته ، وأخذ معهم حمل بغل ، ووجدت له بيوت فيها أنواع التجارة من الحنطة والشعير والدقيق والحبوب والزيت والزبيب والتين وبيت

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « أحضره » . (٢) هو إبراهيم بن العباس بن محمد الصولي .

(٣) ديوانه ١٦٥ .

(٤) ديوانه ١٦٦ .

مملوء ثوماً^(١)، فكان جميع ما قبض له مع قيمة تسعين ألف دينار، وكان حبس المتوكل إياه يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر ووفاته يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من شهر ربيع الأول .

* * *

[ذكر غضب المتوكل على عمر بن فرج]

وفيها غضب المتوكل على عمر بن فرج ؛ وذلك في شهر رمضان ، فدفع إلى إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فحبس عنده ، وكتب في قبض ضياعه وأمواله ، وصار نَجَّاح بن سَلَمَة إلى منزله ؛ فلم يجد فيه إلا خمسة عشر ألف درهم ، وحضر مسرور سمانه ، فقبض جواريه ، وقبض عمر ثلاثين رطلا ، وأحضر مولاه نصر من بغداد ، فحمل ثلاثين ألف دينار ، وحمل نصر من مال نفسه أربعة عشر ألف دينار ، وأصيب له بالأهواز أربعون ألف دينار ، ولأخيه محمد بن فرج مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار ، وحمل من داره من المتاع ستة عشر بعيراً فرُشاً ، ومن الجوهر قيمة أربعين ألف دينار ، وحمل من متاعه وفرشه على خمسين جملاً ، كرت مراراً ، وألبس فَرَجِيَّة^(٢) صوف وقبض ، فكث بذلك سبباً ، ثم أطلق عنه وقبض قصره ، وأخذ عياله ، ففتشوا وكن مائة جارية ؛ ثم صولح على عشرة آلاف ألف درهم ، على أن يرد عليه ما حيز عنه من ضياع الأهواز فقط ، ونزعت عنه الجبة الصوف والقيد ؛ وذلك في سؤال .

وقال علي بن الجهم بن بدر لنجاح بن سلمة يحرّضه على عمر بن فرج :
أَبْلِغْ نَجَّاحًا فِي الْكِتَابِ مَالِكَةً
تَمْضِي بِهَا الرِّيحُ إِصْدِرًا وَإِيرَادًا^(٣)
لَا يَخْرُجُ الْمَالُ عَفْوًا مِنْ يَدَيَّ عَمِيرٍ
أَوْ يُغَمَدَ السَّيْفُ فِي قَوْدِيهِ إِغْمَادًا^(٤)
الرُّخَجِيُّونَ لَا يَوْفُونَ مَا وَعَدُوا
وَالرُّخَجِيَّاتُ لَا يُخْلِفْنَ مِيعَادًا
وقال أيضًا يهجوهُ :

جَمَعْتَ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الْحَزْمُ بَيْنَهُمَا
تَبَيَّ الْمُلُوكُ وَأَفْعَالُ الْمَالِكِ^(٥)

(١) كذا في ١، د ، س وفي ط : « ثوباً » . (٢) ١ : « جبة صوف »

(٣) ديوانه ١٣٤

(٤) ديوانه ١٣٤

أردت شكرًا بلا برٍّ ومَرزَنَةٍ لقد سَلَكْتَ سبيلًا غيرَ مسلوك
ظَنَنْتَ عِرْضَكَ لم يُقَرَّعْ بقارعة وما أَرَاكَ على حالٍ بِمَتْرُوكِ

* * *

وفي هذه السنة أمر المتوكل بإبراهيم بن الجنيد النصراني، أخى أيوب كاتب
سمانة، فضرب له بالأعمدة حتى أقرَّ بسبعين ألف دينار، فوجّهه معه مباركاً
المغربى إلى بغداد حتى استخرجها من منزله، وجىء به فحبس.

* * *

[ذكر غضب المتوكل على أبى الوزير وغيره]

وفيها غضب المتوكل على أبى الوزير فى ذى الحجة، وأمر بمحاسناته،
فحمل نحواً من ستين ألف دينار، وحمل بدور دراهم وحلياً، وأخذ له من
متاع مصر اثنين وستين مسقطاً واثنين وثلاثين غلاماً وفرشاً كثيراً، وحبس
بخيائته محمد بن عبد الملك أخا موسى بن عبد الملك والهيثم بن خالد النصراني
وابن أخيه سعدون بن على، وصولح سعدون على أربعين ألف دينار، وصولح
ابن أخيه عبد الله وأحمد على نصف وثلاثين ألف دينار، وأخذت ضياعهم
بذلك.

* * *

وفي هذه السنة استكتب المتوكل محمد بن الفضل الجرجاني.

١٣٧٩/٣

* * *

وفي هذه السنة عزل المتوكل يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من شهر
رمضان عن ديوان الخراج الفضل بن مروان، وولاه يحيى بن خاقان الخراساني
مولى الأزد، وولّى إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول في هذا اليوم ديوان
زمام النفقات وعزل عنه أبى الوزير.

* * *

وفيها ولّى المتوكل ابنه محمداً المنتصر الحرّمين واليمن والطائف، وعقد له

يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

وفيهما فُلج أحمد بن أبي دواد لستَ خلون من جمادى الآخرة .

وفيهما قدم يحيى بن هرثمة مكة وهو إلى طريق مكة بعلى بن محمد بن على

الرضى بن موسى بن جعفر من المدينة .

وفيهما وثب ميخائيل بن توفيل على أمّه تذوّرة فشمّسها وأدخلها الدير ،

وقتل اللُّغْشِيطُ لأنه اتهمها به ؛ وكان ملكها ستّ سنين .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن هرب محمد بن البعيث]

فمن ذلك ما كان من هرب محمد بن البعيث بن حنبل بن جىء به أسيراً من قبل أذربيجان فحبس .

* ذكر الخبر عن سبب هربه وما كان آله إليه أمره :

ذكر أن السبب في ذلك كان أن المتوكل كان اعتل في هذه السنة ؛ وكان مع ابن البعيث رجلٌ يخدمه يسمى خليفة ، فأخبره بأن المتوكل قد توفى ، وأعد له دواب ، فهرب هو وخليفة الذي أخبره الخبر إلى موضعه من أذربيجان ، وموضعه منها مَرْتَنْد - وقيل : كانت له قلعتان تدعى إحداهما شاهى والأخرى يَكْدُر^(١) - ويكدر خارج البحيرة ، وشاهى في وسط البحيرة ، والبحيرة قدرُ خمسين فرسخاً من حدِ أرمية ، إلى رُستاق داخِرَ قَان بلاد محمد بن الرواد ، وشاهى قلعة ابن البعيث حصينة يحيط بها ماء قائمٌ ثم ، يركب الناس من أطراف المراغة إلى أرمية وهي بحيرة لا سمك فيها ولا خير .

١٣٨٠/٣

وذكر أن ابن البعيث كان في حبس إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فتكلم فيه بَخْناً الشرايى ، وأخذ منه الكُفْلاء نحواً من ثلاثين كَفَيْلاً ، منهم محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ؛ فكان يتردد بسامراً ؛ فهرب إلى مَرْتَنْد ، فجمع بِمَرْتَنْد الطعام ؛ وفيها عيون ماء ، فرم ما كان وهى من سُودها ، وأتاه من أراد الفتنة من كل ناحية ؛ من ربيعة وغيرهم ؛ فصار في نحو من ألفين ومائتى رجل .

وكان الوالى بأذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة ، فقصر في طلبه ، فولى

المتوكل حمدويه بن علي بن الفضل السعدي أذربيجان ، ووجهه من سامراً على البريد ، فلما صار إليها جمع البلخند والشاكرية ومن استجاب له ، فصار في عشرة آلاف ، فزحف إلى ابن البعيث ، فألجأ إلى مدينة مَرَنْد - وهي ١٣٨١/٣ مدينة استدارتها فرسخان وفي داخلها بساتين كثيرة ، ومن خارجها كما تدور شجر إلا في موضع أبوابها - وقد جمع فيها ابن البعيث آلة الحصار ، وفيها عيون ماء ، فلما طالت مدته ، وجه المتوكل زيرك التركي في مائتي ألف فارس من الأتراك ، فلم يصنع شيئاً ، فوجه إليه المتوكل عمرو بن سيسل بن كال في تسعمائة من الشاكرية ، فلم يُغن شيئاً ، فوجه إليه بغا الشراي في أربعة آلاف ما بين تركي وشاكري ومغربي ، وكان حمدويه بن علي وعمرو بن سيسل وزيرك زحفوا إلى مدينة مَرَنْد ، وقطعوا ما حولها من الشجر ، فقطعوا نحواً من مائة ألف شجرة وغير ذلك من شجر الغياض ، ونصبوا عليها عشرين منسجنيقا ، وبنوا بخذاء المدينة ما يستكنون فيه ، ونصب عليهم ابن البعيث من المجانيق مثل ذلك ؛ وكان من معه من علّوج رساتيقه يرمون بالمقاليع ، فكان الرّجل لا يقدر على الدنو من سور المدينة ، فقتل من أولياء السلطان في حربه في ثمانية أشهر نحو من مائة رجل ، وجرح نحو من أربعمائة ، وقتل وجرح من أصحابه مثل ذلك .

وكان حمدويه وعمرو وزيرك يغادونه القتال ويأروحوه ؛ وكان السور من قبيل المدينة ذليلاً ، ومن القرار نحواً من عشرين ذراعاً ، وكانت الجماعة من أصحاب ابن البعيث يتدلّون بالحبال معهم الرماح فيقاتلون ؛ فإذا حُمل عليهم من أصحاب السلطان لحقوا إلى الحائط ؛ وكانوا ربما فتحوا باباً يقال له باب الماء ؛ فيخرج منه العدة فيقاتلون ثم يرجعون .

١٣٨٢/٣ ولما قرب بغا الشراي من مَرَنْد بعث - فيما ذكر - عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني ، ومعه أمانات لوجوه أصحاب ابن البعيث ، ولابن البعيث أن ينزلوا وينزل على حكم أمير المؤمنين ؛ وإلا قاتلهم ، فإن ظفر بهم لم يستبق منهم أحداً ، ومن نزل فله الأمان ؛ وكان عامة من مع ابن البعيث من ربيعة من قوم عيسى بن الشيخ ؛ فنزل منهم قوم كثير بالحبال ، ونزل خستق ابن البعيث

على أخته أبو الأغر .

وذكر عن أبي الأغر هذا أنه قال : ثم فتحوا باب المدينة ، فدخل أصحاب حمدويه وزيرك ، وخرج ابن البعيث من منزله هارباً يريد أن يخرج من وجه آخر ؛ فلحقه قوم من الجند ، معهم منصور قهرمانه ؛ وهو راكب دابة ، يريد أن يصير إلى نهر عليه رحاً ليستخفي في الرحا ، وفي عنقه السيف ، فأخذه أسيراً وانتهب الجند منزله ومنازل أصحابه وبعض منازل أهل المدينة ، ثم نودى بعد ما انتهب الناس : برئت الذمة ممن انتهب وأخذوا له أختين وثلاث بنات ونخالته والبواقي سرارى ؛ فحصل في يد السلطان من حرمه ثلاث عشرة امرأة ، وأخذ من وجوه أصحابه المذكورين نحو من مائتي رجل ، وهرب الباقيون ؛ فوافاهم بغا الشراي من غد ، فنادى مناديه بالمنع من النهب ، فكتب بغا الشراي بالفتح لنفسه .

* * *

وخرج المتوكل فيها إلى المدائن في جمادى الأولى .

* * *

[ذكر الخبر عن حج إيتاخ وسببه]

وحج في هذه السنة إيتاخ ، وكان إلى مكة والمدينة والموسم ، ودُعِيَ له على المنابر .

١٣٨٣/٣

* ذكر الخبر عن سبب حجه في هذه السنة :

ذكر أن إيتاخ كان غلاماً خِزَرِيّاً لسلام الأبرش طباخاً ، فاشتره منه المعتصم في سنة تسع وتسعين ومائة ، وكان لإيتاخ رُجُلَةٌ^(١) وبأس ، فرفعه المعتصم ومن بعده الواثق ؛ حتى ضم إليه من أعمال السلطان أعمالاً كثيرة ، وولاه المعتصم معونة سامراً مع إسحاق بن إبراهيم ؛ وكان من قبيلة رجل ، ومن قبل إسحاق رجل ؛ وكان من أراد المعتصم أو الواثق قَتَلَهُ فعند إيتاخ

(١) الرحلة بالضم ، مثل الرجولية .

يُقتل ، وببيدهُ يُحبس ؛ منهم محمد بن عبد الملك الزيات ، وأولاد المأمون من سُندس ، وصالح بن عُجيف وغيرهم ؛ فلماً وليَ المتوكل كان إيتاخ في مرتبته ، إليه الجيش والمغاربة والأتراك والموالي والبريد والحجابه ودار الخلافة ؛ فخرج المتوكل بعد ما استوت له الخلافة متنزّها إلى ناحية القسّاطول ، فشب ليلة ، فعربّد على إيتاخ ؛ فهمّ إيتاخ بقتله ؛ فلما أصبح المتوكل قيل له ، فاعتذر إليه والتزمه ، وقال له : أنت أبى وربّيتني ، فلما صار المتوكل إلى سامراً دسّ إليه منّ يشير عليه بالاستئذان للحجّ ، ففعل وأذن له ، وصيّره أمير كل بلدة يدخلها ، وخلع عليه ، وركب جميع القوّاد معه ، وخرج معه من الشاكريّة والقوّاد والغلمان سوى غلمانهِ وحشّمه بشركثير ؛ فحين خرج صيّرت الحجابه إلى وصيف ، وذلك يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة .

١٣٨٤/٣

وقد قيل إن هذه القصة من أمر إيتاخ كانت في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وإن المتوكل إنما صيّر إلى وصيف الحجابه لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة من سنة ثلاث وثلاثين ومائتين .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى^(١) .

(١) ط : « موسى بن عيسى » .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل إيتاخ]

فمن ذلك مقتل إيتاخ الخزري .

* ذكر الخبر عن صفة مقتله :

ذكر عن إيتاخ أنه لما انصرف من مكة راجعاً إلى العراق، وجهه المتوكل إليه سعيد بن صالح الحاجب مع كسوة وألطف ، وأمره أن يلقاه بالكوفة أو ببعض طريقه ؛ وقد تقدّم المتوكل إلى عامله على الشرطة ببغداد بأمره فيه .

فذكر عن إبراهيم بن المدبر ، أنه قال : خرجت مع إسحاق بن إبراهيم حين قُرب إيتاخ من بغداد ، وكان يريد أن يأخذ طريق الفُرات إلى الأنبار ، ثم يخرج إلى سامرا ، فكتب إليه إسحاق بن إبراهيم : إن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، قد أمر أن تدخل بغداد ، وأن يلقاك بنو هاشم ووجوه الناس ، وأن تقعد لهم في دار خزيمة بن خازم ، فتأمر لهم بجوائز . قال : فخرجنا حتى إذا كنا بالياسرية ، وقد شحن ابن إبراهيم الجسر بالحنند والساكرية ، وخرج في خاصته ، وطُرح له بالياسرية صُفّة ، فجلس عليها حتى قالوا : قد قُرب منك . فركب فاستقبله ؛ فلما نظر إليه أهوى إسحاق لينزل ، فحلف عليه إيتاخ ألاّ يفعل .

١٣٨٥/٣

قال : وكان إيتاخ في ثلثمائة من أصحابه وغلماؤه ، عليه قباء أبيض ، متقلداً سيفاً بمائل ، فساروا جميعاً ؛ حتى إذا صاروا عند الجسر تقدّمه إسحاق عند الجسر ، وعبر حتى وقف على باب خزيمة بن خازم ، وقال لإيتاخ : تدخل أصلح الله الأمير ! وكان الموكلون بالجسر كلما مرّ بهم غلام من غلماؤه قدّموه ؛ حتى بقي في خاصّة غلماؤه ، ودخل بين يديه قوم ، وقد فرشت له دار خزيمة ، وتأخّر إسحاق ، وأمر ألاّ يدخل الدار من غلماؤه إلا

ثلاثة أو أربعة ، وأخذت عليه الأبواب ، وأمر بحراسته من ناحية الشطّ ، وكسرت كل درجة في قصر خزيمة بن خازم ، فحين دخل أغلق الباب خلفه ، فنظر فإذا ليس معه إلا ثلاثة غلمان ، فقال : قد فعلوها ! ولو لم يؤخذ ببغداد ما قلدروا على أخذه ، ولو دخل إلى سامرا ، فأراد بأصحابه قتل جميع من خالفه أمكنه ذلك . قال : فأتيت بطعام قرب الليل ، فأكل فكث يومين أو ثلاثة ، ثم ركب إسحاق في حرّاقة وأعدّ لإيتاخ أخرى ، ثم أرسل إليه أن يصير إلى الحرّاقة ، وأمر بأخذ سيفه ، فحدّروه إلى الحرّاقة ، وصيّر معه قوم في السلاح وصاعد إسحاق ، حتى صار إلى منزله ، وأخرج لإيتاخ حين ^(١) بلغ دار إسحاق ، فأدخل ناحية منها ، ثم قيّد فأثقل بالحديد في عنقه ورجليه ، ثم قدّم بابنيه منصور ومظفر ، وبكاتبه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد النصرانيّ بغداد . وكان سليمان على أعمال السلطان ، وقدامة على ضياع إيتاخ خاصّة ، فحبسوا ببغداد ؛ فأما سليمان وقدامة فصرّبا ، فأسلم قدامة وحبس منصور ومظفر . وذكر عن ترك مولى إسحاق أنه قال : وقفت على باب البيت الذي فيه إيتاخ محبوس ، فقال لي : يا ترك ، قلت : ما تريد يا منصور ؟ قال : أقرئ الأمير السلام ، وقل له : قد علمت ما كان يأمرني به المعتصم والوائق في أمرك ؛ فكنت أدفع عنك ما أمكنني ؛ فلينفعنّي ذلك عندك ؛ أما أنا فقد مرّ بي شدة ورخاء ؛ فما أبالي ما أكلت وما شربت ، وأما هذان الغلامان ؛ فإنهما عاشا في نعمة ولم يعرفا البؤس ، فصيّر لهما مَرَقة ولحماً وشيئاً يأكلان منه . قال : ترك فوقفت على باب مجلس إسحاق ، قال لي : مالك يا ترك ؟ أتريد أن تتكلم بشيء ؟ قلت : نعم ، قال لي إيتاخ كذا ، كذا ، قال : وكانت وظيفة إيتاخ رغيفاً وكوزاً من ماء ، ويأمر لابنيه بخوان فيه سبعة أرغفة وخمس عُرف ؛ فلم يزل ذلك قائماً حياة إسحاق ، ثم لا أدري ما صنع بهما ؛ فأما إيتاخ فقبيد وصيّر في عنقه ثمانون رطلا ، وقبيد ثقيل ، فأت يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وأشهد إسحاق على موته أبا الحسن إسحاق بن ثابت بن أبي عباد وصاحب برید بغداد والقضاة ، وأراهم إياه لا ضرب به ولا أثر .

١٣٨٦/٣

وحدثني بعض شيوخنا أن إيتاخ كان موته بالعطش ، وأنه أطعم^(١) فاستسقى فنع الماء ، حتى مات عطشاً ، وبقى ابنه في الحبس حياة المتوكل ، فلما أفضى الأمر إلى المنتصر أخرجهما ؛ فأما مظفر فإنه لم يعيش بعد أن أخرج من السجن إلا ثلاثة أشهر حتى مات ؛ وأما منصور فعاش بعده .

* * *

[ذكر خبر أسر ابن البعيث وموته]

وفي هذه السنة قدم بغا الشرائي بآبن البعيث في شوال وبخليفته^(٢) أبي الأغر وبأخوى ابن البعيث صقر وخالد — وكانا نزلا بأمان — وبابن لابن البعيث ، يقال له العلاء ؛ خرج بأمان ، وقدم من الأسرى بنحو من مائة وثمانين رجلا ، ومات باقيهم قبل أن يصلوا ؛ فلمّا قربوا من سامرا حُملوا على الجيـمال يستشفهم الناس ، فأمر المتوكل بحبسهم وحبسهم ، وأثقله حديدآ .

فذكر عن عليّ بن الجهم ، أنه قال : أتى المتوكل بمحمد بن البعيث ، فأمر بضرب عنقه ، فطرح على نبطع ، وجاء الشيافون فلوّحوا له ، فقال المتوكل ، وغلظ عليه : ما دعاك يا محمد إلى ما صنعت ؟ قال : الشقوة ، وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه ؛ وإن لي فيك لظننين أسبقهما إلى قلبي أولاهما بك ؛ وهو العفو ؛ ثم اندفع بلا فضل ، فقال :

أبى الناس إلّا أنك اليوم قاتلي إمام الهدى والصفح بالناس أجمل^(٣)
 وهل أنا إلا جيلة من خطية وعفوك من نور النبوة يُجبل
 فإنك خير السابقين إلى العلأ ولا شك أن خير الفعالين تفعل
 قال عليّ : ثم التفت إلى المتوكل ، فقال : إن معه لأدباً ، وبادرت
 فقلت : بل يفعل أمير المؤمنين خيرهما . وعين عليك ؛ فقال : إرجع إلى منزلك .

وحدثني . . . (٤) أنه أنشدني بالمراغة جماعة من أشياخها أشعارآ لابن

(٢) س : « وبخليفته » .

(١) س : « طعم » .

(٣) ابن الأثير : « بالمرء » ، المسعودي : « بالحر » . (٤) نقص في ط ، ولم يرد الخبر في د .

البعيث بالفارسية ، ويدكرون أدبه وشجاعته ، وله أخبار وأحاديث .
 وحدثنى بعضُ مَنْ ذكر أنه شهد المتوكل حين أتى بابن البعيث ،
 وكلمه ابن البعيث بما كلمه به ، فتكلم فيه المعتز ، وهو جالس مع أبيه المتوكل ،
 فاستوهبه فوهب له ، وعفى عنه .

وكان ابن البعيث حين هرب قال :

كَمْ قَدْ قَضَيْتُ أُمُورًا كَانَ أَهْمُكُمَا غَيْرِي وَقَدْ أَخَذَ الْإِفْلَاسُ بِالْكَظَمِ
 لَا تَعْذِلْنِي فِيمَا لَيْسَ يَنْفَعُنِي إِلَيْكَ عَنِّي جَرَى الْعِقْدَارُ بِالْقَلَمِ
 سَأَتِلِفُ الْمَالَ فِي عُسْرٍ وَفِي يَسْرٍ إِنْ الْجَوَادَ الَّذِي يُعْطَى عَلَى الْعَدَمِ

وكان ابن البعيث حين هرب خلف في منزله ثلاثة بنين له ، يقال لهم :
 البعيث وجعفر وحلبس ، وجواري ، فحبسوا ببغداد في قصر الذهب ،
 فتكلم بغا الشراي بعد موت ابن البعيث - ومات بعد دخوله سامراً بشهر - في
 أبي الأغرخنة ، فأطلق وأطلقت خالة لابن البعيث ، فخرجت من السجن ،
 فأتت فرحاً من يومها ، وبقي الباكون في الحبس .
 وذكر أن ابن البعيث صيّر في عنقه مائة رطل ، فلم يزل مكبوباً على
 وجهه حتى مات .

ولما أخذ ابن البعيث أخرج من الحبس مَنْ كان محبوباً بسبب كفالته
 به ، وقد كان بعضهم مات في الحبس ، فأخرج بعدُ باقي عياله وصيّر بنوه :
 حلبس والبعيث وجعفر في عياد الشاكرية مع عبيد الله بن خاقان ، وأجريت
 عليهم الأنزال .

* * *

[أمر المتوكل مع النصاري]

وفي هذه السنة أمر المتوكل بأخذ النصاري وأهل الذمة كلهم بلبس الطيالة
 العسليّة والزنانير وركوب السروج بركب الخشب وبتصيير كُرَتَيْنِ على
 مؤخر السروج ، وبتصيير زرين على قلانس مَنْ لبس منهم قلنسوة مخالفة
 لون القلنسوة التي يلبسها المسلمون ، وبتصيير رقعتين على ما ظهر من لباس

مما يليكهم مخالفٌ لونهما لون الثوب الظاهر الذى عليه ؛ وأن تكون إحدى الرُّقعتين بين يديه عند صدره ، والأخرى منهما خلف ظهره ؛ وتكون كلُّ واحدة من الرُّقعتين قَدْرُ أربع أصابع ، ولونهما عسلياً ، ومن لبس منهم عمامة فكذلك يكون لونها لون العسلى ، ومن خرج من نسائهم فبرزت فلا تبرز إلاّ في إزار عسلى ، وأمر بأخذ مما يليكهم بلبس الزّنانير وبمنعهم لبس المناطق ، وأمر بهدم بيّعتهم المحدثّة ، وبأخذ العشر من منازلهم ، وإن كان الموضع واسعاً صيّر مسجداً ، وإن كان لا يصلح أن يكون مسجداً صيّر قضاءً ، وأمر أن يجعل على أبواب دورهم صورَ شياطين من خشب مسمورة ؛ تفريقاً بين منازلهم وبين منازل المسلمين ، ونهى أن يستعان بهم في الدواوين وأعمال السلطان التى يجرى أحكامهم فيها على المسلمين ، ونهى أن يتعلّم أولادهم في كتابيب المسلمين ، ولا يعلمهم مسلم ، ونهى أن يُظهروا في شعائهم صليبيّاً ، وأن يشمعلوا^(١) في الطريق ، وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض ، لئلا تشبه قبور المسلمين .

١٣٩٠/٣

وكتب إلى عماله فى الآفاق :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أما بعد ؛ فإنّ الله تبارك وتعالى بعزّته التى لا تحاوَل وقدّره على ما يريد ؛ اصطفى الإسلام فترّضيه لنفسه ، وأكرم به ملائكته ، وبعث به رسله ، وأيد به أوليائه ؛ وكَتَفَه بالبرّ ، وحاطه بالنصر ، وحرسه من العاهة ، وأظهره على الأدبيان ، مبرّئاً من الشبهات ، معصوماً من الآفات ، محبوباً بمناقب الخير ، مخصوصاً من الشرائع بأطهرها وأفضلها ، ومن الفرائض بأزكاها وأشرفها ، ومن الأحكام بأعدلها وأقنعها ، ومن الأعمال بأحسنها وأقصدّها ؛ وأكرم أهله بما أحلّ لهم من حلاله ، وحرّم عليهم من حرامه ؛ وبين لهم من شرائعه وأحكامه ، وحدّ لهم من حدوده ومناهجه ، وأعدّ لهم من سعة جزائه وثوابه ، فقال فى كتابه فيما أمر به ونهى عنه ، وفيما حضّ عليه فيه ووعظ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢) ، وقال فيما حرّم على أهله

١٣٩١/٣

(٢) سورة النحل ٩٠ .

(١) أن يشمعلوا : أن يسرعوا .

مما غمط فيه أهل الأديان من ردىء المطعم والمشرب والمنكح لينزّهم عنه وليظهر به دينهم ، ليفضّلهم عليهم تفضيلاً : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ ... ﴾ ^(١) إلى آخر الآية ، ثم ختم ما حرّم عليهم من ذلك في هذه الآية بحراسة دينه ؛ ممن عند عنه وبإتمام نعمته على أهله الذين اصطفاهم ، فقال عز وجل : ﴿ الْيَوْمَ يَتَسَنَّى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾ ^(٢) الآية ، وقال عز وجل : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ... ﴾ ^(٣) وقال : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ... ﴾ ^(٤) الآية ، فحرّم على المسلمين من مآكل أهل الأديان أرجسّها وأنجسّها ، ومن شرابهم أدعاه إلى العداوة والبغضاء ، وأصدّه عن ذكر الله وعن الصلاة ، ومن مناكحهم أعظمها عنده وزراً ، وأولاها عند ذوى الحجى والألباب تحريماً ، ثم حباهم محاسن الأخلاق وفضائل الكرامات ؛ فجعلهم أهل الإيمان والأمانة ، والفصل والترحّم واليقين والصدق ؛ ولم يجعل في دينهم التقاطع والتدابّر ، ولا الحميّة ولا التكبر ، ولا الحيانة ولا الغدر ، ولا التباغى ولا التظالم ؛ بل أمر بالأولى ونهى عن الأخرى ، ووعد وأوعد عليها جنته وناره ، وثوابه وعقابه ؛ فالمسلمون بما اختصّهم الله من كرامته ، وجعل لهم من الفضيلة بدينهم الذى اختاره لهم ، باثنون على الأديان بشرائعهم الزاكية ، وأحكامهم المرضية الطاهرة ، وبراهينهم المنيرة ، وبتطهير الله دينهم بما أحلّ وحرّم فيه لهم وعليهم ، قضاء من الله عزّ وجلّ في إعزاز دينه ؛ حتماً ومشيةً منه في إظهار حقه ماضية ، وإرادةً منه في إتمام نعمته على أهله نافذة ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ ^(٥) ، وليجعل الله الفوز والعاقبة للمتقين ، والخزى في الدنيا والآخرة على الكافرين .

وقد رأى أمير المؤمنين — وبالله توفيقه وإرشاده — أن يحمل أهل الذمّة جميعاً

(٢) سورة النساء ٢٣ .

(٤) سورة الأنفال ٤٤ .

(١) سورة المائدة ٣ .

(٣) سورة المائدة ٩٠ .

بحضرته وفي نواحي أعماله؛ أقربيها وأبعدِها ، وأخصتهم وأخسّتهم على تصيير طبالستهم التي يلبسونها ؛ مَنْ لبسها من تجّارهم وكتّابهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، على ألوان الثياب العسليّة ، لا يتجاوز ذلك منهم متجاوز إلى غيره ، ومن قصر عن هذه الطبقة من أتباعهم وأرذالهم ، ومن يقعد به حاله عن لبس الطيالة منهم أخذ بتركيب خيرقتين صبغهما ذلك الصبغ يكون استدارة كل واحدة منهما شبراً تاماً في مثله ، على موضع أمام ثوبه الذي يلبسه ، تلقاء صدره ، ومن وراء ظهره ، وأن يؤخذ الجميع منهم في قلائسهم بتركيب أزرة عليها تُخالِف ألوانها ألوان القلائس ؛ ترتفع في أماكنها التي تقع بها ، لثلا تلتصق فتُسْتَر ولا ما يركب منها على حباك فتخفي ؛ وكذلك في سروجهم باتخاذ رُكب خشب لها ، وتُصَبِّب أكبر على قرايسها ؛ تكون نائثة عنها ، وموفية عليها ، لا يرخّص لهم في إزالتها عن قرايسهم ، وتأخيرها إلى جوانبها ؛ بل يُستفقد ذلك منهم ؛ ليقع ما وقع من الذي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليه ظاهراً يتيبنته الناظر من غير تأمل ، وتأخذه الأعين من غير طلب ، وأن تؤخذ عبيدهم وإماؤهم ، ومن يلبس المناطق من تلك الطبقة بشدة الزناير والكساتيج مكان المناطق التي كانت في أوساطهم ، وأن توعز إلى عمالك فيما أمر به أمير المؤمنين في ذلك إيعازاً تحذوهم به إلى استقصاء ما تقدم إليهم فيه ، وتحذوهم إدهاناً وميلاً ، وتقدم إليهم في إنزال العقوبة بمن خالف ذلك من جميع أهل الذمة عن سبيل عناد وتهوين إلى غيره ؛ ليقصر الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم على السبيل التي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليها ، وأخذهم بها إن شاء الله .

١٣٩٣/٣

فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره ، وأنفذ إلى عمالك في نواحي عملك ما ورد عليك من كتاب أمير المؤمنين بما تعمل به إن شاء الله ؛ وأمير المؤمنين يسأل الله ربّه ووليّه أن يُصَلِّيَ على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وملائكته ، وأن يحفظه فيما استخلفه عليه من أمر دينه ، ويتولى ما ولاّه مما لا يبلغ حقه فيه إلاّ بعونه ؛ حفظاً يحمل به ما حمّله ، وولاية يقضى بها حقه منه ويوجب بها له أكمل ثوابه ، وأفضل مزيده ؛ إنه كريم رحيم .

١٣٩٤/٣

وكتب إبراهيم بن العباس في شوال سنة خمس وثلاثين ومائتين .

فقال عليّ بن الجهم :

العَسَلِيَّاتُ الَّتِي فَرَّقَتْ بَيْنَ ذَوِي الرُّشْدَةِ وَالْغَيِّ (١)
وَمَا عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ تَكْثُرُوا فَإِنَّهُ أَكْثَرُ لِلْفَيِّ

* * *

[ظهور محمود بن الفرّج النيسابوري]

وفي هذه السنة ظهر بسامراً رجلٌ يُقال له محمود بن الفرّج النيسابوري فزعم أنه ذو القرنين ، ومعه (٢) سبعة وعشرون رجلاً عند خشبة بابك ، وخرج من أصحابه بباب العامة رجلاً ، وبيّغداد في مسجد مدينتها آخران ، وزعما أنه نبيّ ، وأنه ذو القرنين ؛ فأتى به وبأصحابه المتوكّل ، فأمر بضربه بالسياط ؛ فضرب ضرباً شديداً ، فمات من بعد من ضربه ذلك ، وحُبِس أصحابه ؛ وكانوا قدموا من نيسابور ، ومعهم شيء يقرءونه ، وكان معهم عيالاتهم ، وفيهم شيخ يشهد له بالنبوة ، ويزعم أنه يوحى إليه ، وأن جبريل يأتيه بالوحي ، فضرب محمود مائة سوط ، فلم ينكر نبوته حين ضرب ، وضرب الشيخ الذي كان يشهد له أربعين سوطاً ، فأنكر نبوته حين ضرب . وحُمِل محمود إلى باب العامة ، فأكذب نفسه ، وقال : الشيخ قد اختدعني ، وأمر أصحاب محمود أن يصفعوه فصفعوه ؛ كل واحد منهم عشر صفعات ، وأخذ له مصحف فيه كلام قد جمعه ذكر أنه قرأه ، وأن جبريل عليه السلام كان يأتيه به ، ثم مات يوم الأربعاء ثلاث خلون من ذي الحجة في هذه السنة ودفن في الجزيرة .

* * *

[ذكر عقد المتوكّل البيعة لبنية الثلاثة]

وفي هذه السنة عقد المتوكّل البيعة لبنية الثلاثة : لمحمد وسماه المنتصر ، ١٣٩٥/٣ ولأبي عبد الله بن قبيصة — ويختلف في اسمه ، فقبيل إن اسمه محمد ، وقيل :

(٢) ابن الأثير : « وتبعه » .

(١) ديوانه ١٩٢ .

اسمه الزبير ، ولقبه المعتز - ولإبراهيم وسماه المؤيد بولاية العهد ، وذلك - فيما قبل - يوم السبت لثلاث بقين من ذى الحجة - وقيل لليلتين بقيتا منه - وعقد لكل واحد منهم لواءين ؛ أحدهما أسود وهو لواء العهد ، والآخر أبيض وهو لواء العمل ، وضم إلى كل واحد من العمل ما أنا ذاكره .

فكان ما ضم إلى ابنه محمد المنتصر من ذلك إفريقية والمغرب كله من عريش مصر إلى حيث بلغ سلطانه من المغرب وجند قنسرين والعواصم والثغور الشامية والجزرية وديار مضر وديار ربيعة والموصل وهيت وعانات والخابور وقرقيسيا وكور باجرمى وتكريت وطساسيج السواد وكور دجلة والحرمين واليمن وعلك وحضرموت واليامة والبحرين والسند ومكران وقنديل وفرج بيت الذهب وكور الأهواز والمستغلات بسامرا وماه الكوفة وماه البصرة وما سبذان ومهرجان قنق وشهر زور ودرا باذ والصامغان وأصبهان وقم وقاشان وقزوین وأمور الجبل والضبايع المنسوبة إلى الجبال وصدقات العرب بالبصرة .

وكان ما ضم إلى ابنه المعتز كور خراسان وما يضاف إليها ، وطبرستان والرعى وإرمينية وأذربيجان وكور فارس . ضم إليه في سنة أربعين خزن بيوت الأموال في جميع الآفاق ، ودور الضرب ، وأمر بضرب اسمه على الدراهم . وكان ما ضم إلى ابنه المؤيد جند دمشق وجند حمص وجند الأردن وجند

١٣٩٦/٣

فلسطين ، فقال أبو الغضن الأعرابي :

إِنَّ وُلاةَ الْمُسْلِمِينَ الْجَلَّةَ مُحَمَّدٌ ثُمَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ أَبِي الدَّلَّةِ بُورِكَ فِي بَنِي خَلِيفَةِ اللَّهِ

وكتب بينهم كتاباً نسخته :

هذا كتاب كتبه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، وأشهد الله على نفسه بجميع ما فيه ومن حضر من أهل بيته وشيعته وقواده وقضاته وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين لمحمد المنتصر بالله ، ولأبي عبد الله المعتز بالله ، ولإبراهيم المؤيد بالله ؛ بنى أمير المؤمنين ؛ في أصالة من رأيه ، وعموم من عافية بدنه ، واجتماع من فهمه ؛ مختاراً لما شهد به ، متوخيّاً بذلك طاعة ربه ، وسلامة رعيته واستقامتها وانقياد طاعتها ، واتساع كلمتها ؛

وصلاح ذات بينها ؛ وذلك في ذى الحجة سنة خمسة وثلاثين ومائتين [أنه جعل] ^(١) ؛ إلى محمد المنتصر بالله بن جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ولاية عهد المسلمين في حياته والخلافة عليهم من بعده ؛ وأمره بتقوى الله التي هي عِصْمَةٌ مَنْ اعْتَصَمَ بِهَا وَنَجَاةٌ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهَا ، وعَزَمَ من اقتصر عليها ؛ فإن بطاعة الله تَمَّ النعمة ، وتجب من الله الرحمة ، والله غفور رحيم . وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين الخلافة من بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين إلى أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، ثم من بعد أبي عبد الله المعتز ابن أمير المؤمنين الخلافة إلى إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين .

١٣٩٧/٣

وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين لمحمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله ابني أمير المؤمنين السمع والطاعة والنصيحة والمشاورة والمؤالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائهم ، في السر والجمهور ، والغضب والرضا ، والمنع والإعطاء ، والتمسك ببيعته ، والوفاء بعهدده ، لا يَبْغِيَانَهُ غَائِلَةً ، ولا يَحَاوِلَانَهُ مَخَاتَلَةً ، ولا يَمَالَتَانِ عَلَيْهِ عَدُوًّا ، ولا يَسْتَبِدُّانَ دُونَهُ بِأَمْرٍ يَكُونُ فِيهِ نَقْضٌ لما جعل إليه أمير المؤمنين من ولاية العهد في حياته والخلافة من بعده .

وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله ابني أمير المؤمنين الوفاء بما عقده لهما ، وعهد به إليهما من الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، وإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخليفة من بعد أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، والإتمام ^(٢) على ذلك ، وألا يَخْلُعَ لهما ولا واحداً منهما ، ولا يعقد دونهما ولا دون واحد منهما بيعة لولد ، ولا لأحد من جميع البرية ، ولا يؤخر منهما مقدماً ، ولا يقدر منهما مؤخراً ، ولا يَنْقُصُهما ولا واحداً منهما شيئاً من أعمالهما التي ولّاهما عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين وكل واحد منهما ؛ من الصلاة والمعاون والقضاء

١٣٩٨/٣

والمظالم والخراج والضبياع والغنيمة والصدقات وغير ذلك من حقوق أعمالهما ، وما في عمل كل واحد منهما ؛ من البريد والطرر وخزّن بيوت الأموال والمعاون ودور الضرب وجميع الأعمال التي جعلها أمير المؤمنين ، ويجعلها إلى كل واحد منهما ، ولا ينقل عن واحد منهما أحداً من ناحيته من القواد والجند والشاكرية والمولى والغلمان وغيرهم ؛ ولا يعترض عليه في شيء من ضياعه وإقطاعاته وسائر أمواله وذخائره وجميع ما في يده ، وما حواه وملكت يده من تالد وطارف ، وقديم ومستأنف ؛ وجميع ما يستفيدة ويستفاد له بنقص ، ولا يحرم ولا يحنف ^(١) ، ولا يعرض لأحد من عماله وكتابه وقضاته وخدمه ووكلائه وأصحابه ، وجميع أسبابه بمنظرة ولا محاسبة ؛ ولا غير ذلك من الوجوه والأسباب كلها ، ولا يفسخ فيما وكّده أمير المؤمنين لهما في هذا العقد والعهد ، بما يزيل ذلك عن جهته ، أو يؤخره عن رقبته ، أو يكون ناقضاً لشيء منه .

وجعل عبد الله جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين إن أفضت إليه الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين مثل الشرائط التي اشترطها على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين بجميع ما سمى فيه ووصف في هذا الكتاب ، وعلى ما بين وفسر ، مع الوفاء من أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، بما جعله أمير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين من الخلافة وتسليم ذلك راضياً ^(٢) به ممضياً له ؛ مقدماً ما فيه حق الله عليه وما أمره به أمير المؤمنين ، غير ناكث ولا ناكب بذلك ، ولا مبدل ، فإن الله تعالى جدّه وعزّ ذكره يتوعد من خالف أمره ، وعنه عن سبيله في محكم كتابه : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٣) .

على أن لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين وإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، الأمان ، وهما مقيان بحضرته أو أحدهما ، أو كانا غائبين عنه ؛ أو مجتمعين كانا أو متفرقين . ويستمر أبو عبد الله

١٣٩٩/٣

(٢) ط : « رضى » .

(١) : « يحيف » .

(٣) سورة البقرة ١٨١ .

المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بخراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، ويستمر إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بالشام وأجنادها ؛ فعلى محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، أن يَمْضَى أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين إلى خراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، وأن يسلم له ولايتها وأعمالها كلها وأجنادها والكُور الداخلة فيما ولّى جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، فلا يعوقه عنها ، ولا يحبسُه قبْلَه ولا في شيء من البلدان دون خراسان والكور والأعمال المضمومة إليها ، وأن يعجل إشخاصه إليها واليّا عليها وعلى جميع أعمالها ، مُفْرَدًا بها ، فَضًا إِلَيْهِ أعمالها كلها ؛ لينزل حيث أحب من كُور عمله ، ولا ينقله عنها ، وأن يَشْخَص معه جميع من ضَمَّ إليه أمير المؤمنين ، ويضم من مواليه وقوّاده وشاكرَيْته وأصحابه وكتابه وعماله وخدمته ومن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وعبادهم^(١) وأموالهم ؛ ولا يحبس عنه أحداً ، ولا يشرك في شيء من أعماله أحداً ، ولا يوجّه عليه أميناً ولا كاتباً ولا بريداً ، ولا يضرب على يده في قليل ولا كثير .

وأن يطلق محمد المنتصر بالله لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخروج إلى الشام وأجنادها^(٢) فيمن ضم أمير المؤمنين ويضمه إليه من مواليه وقوّاده وخدمته وجنوده وشاكرَيْته وصحابته وعماله وخدمته ومن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وأموالهم ، ولا يحبس عنهم أحداً ، ويسلم إليه ولايتها وأعمالها وجنودها كلّها ، لا يعوقه عنها ، ولا يحبس قبْلَه ولا في شيء من البلدان دونها ، وأن يعجل إشخاصه إلى الشام وأجنادها واليّا عليها ، ولا ينقله عنها ؛ وأن عليه له فيمن ضم إليه من القوّاد والموالى والغلمان والجنود والشاكرية وأصناف الناس وفي جميع الأسباب والوجوه مثل الذي اشترط على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في خراسان وأعمالها على ما رسم من ذلك ، وبين ولّخص ، وشرح في هذا الكتاب .

ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن

(٢) س : « وأجناده »

(١) س : « وعبادهم »

أمير المؤمنين—إذا أفضت الخلافة إليه، وإبراهيم المؤيد بالله مقيم بالشام— أن يُقرّه بها أو كان بحضرته، أو كان غائباً عنه، أن يمضيه إلى عمله من الشام، ويسلم إليه أجنادها ولايتها وأعمالها كلها، ولا يعوقه عنها، ولا يحبس قسبته ولا في شيء من البلدان دونها، وأن يُعجل لإشخاصه إليها واليًا عليها وعلى جميع أعمالها؛ على مثل الشرط الذي أخذ لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين في خراسان وأعمالها؛ على ما رسم ووصف وشرط في هذا الكتاب؛ لم يجعل أمير المؤمنين لواحد ممن وقعت عليه وله هذه الشروط؛ من محمد المنتصر بالله، وأبي عبد الله المعتز بالله، وإبراهيم المؤيد بالله؛ بنى أمير المؤمنين، أن يزيل شيئاً مما اشترطنا في هذا الكتاب، ووكدنا، وعليهم جميعاً الوفاء به؛ لا يقبل الله منهم إلا ذلك، ولا التمسك إلا بعهد الله فيه؛ وكان عهد الله مسؤولاً.

أشهد الله رب العالمين جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ومن حضره من المسلمين بجميع ما في هذا الكتاب على إمضائه إياه؛ على محمد المنتصر بالله، وأبي عبد الله المعتز بالله، وإبراهيم المؤيد بالله، بنى أمير المؤمنين بجميع ما سمي ووصف فيه، وكفى بالله شهيداً ومعيناً لمن أطاعه راجياً، ووفى بعهد خائفاً وحسبياً؛ ومعاقباً من خالفه معانداً، أو صدّ عن أمره مجاهداً.

١٤٠٢/٣

وقد كتب هذا الكتاب أربع نسخ، وقعت شهادة الشهود بحضرة أمير المؤمنين في كل نسخة منها؛ في خزانة أمير المؤمنين نسخة، وعند محمد المنتصر ابن أمير المؤمنين نسخة، وعند أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين نسخة، ونسخة عند إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين.

وقد ولي جعفر الإمام المتوكل على الله أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين أعمال فارس وإرمينية وأذربيجان إلى ما يلي أعمال خراسان وكورها والأعمال المتصلة بها والمضمومة إليها، على أن يجعل له على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين في ذلك الذي جعل له في الحياطة في نفسه، والوثاق في أعماله، والمضمومين إليه، وسائر من يستعين به من الناس جميعاً في خراسان والكور المضمومة إليها والمتصلة بها على ما سمي ووصف في هذا الكتاب.

وقال إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول يمدح بني المتوكل الثلاثة :
المنتصر ، والمعتز ، والمؤيد :

أَضَحَّتْ عُرَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مَنْوُطَةٌ بِالنَّصْرِ وَالْإِعْزَازِ وَالنَّاسِيْدِ^(١)
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةِ كَنَفُوا الْخِلَافَةَ مِنْ وُلَاةِ عَهْدِهِ
قَمَرٌ تَوَالَتْ حَوْلُهُ أَقْمَارُهُ يَكْنِفُنْ مَطْلَعَ سَعْدِهِ بِسَعُودِ
كَنَفْتَهُمُ الْآبَاءُ وَاكْتَنَفَتْ بِهِمْ فَسَعَوْا بِأَكْرَمِ أَنْفُسِ وَجْدُوهِ

١٤٠٣/٣

وله في المعتز بالله :

أَشْرَقَ الْمَشْرِقُ بِالْمَعِ تَزَّ بِاللَّهِ وَلَا حَا^(٢)
إِنَّمَا الْمَعْتَزُ طَيْبٌ بُثَّ فِي النَّاسِ فَفَاحَا

وله أيضاً فيها :

اللَّهُ أَظْهَرَ دِينَهُ وَأَعَزَّهُ بِمُحَمَّدِ^(٣)
وَاللَّهُ أَكْرَمَ بِالْخِلَا فَةِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ
وَاللَّهُ أَيْدَ عَهْدِهِ بِمُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدِ
وَمُؤَيِّدٍ لِمُؤَيَّدَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

* * *

وفيهما كانت وفاة إسحاق بن إبراهيم صاحب الجسر في يوم الثلاثاء لست^٢
بقين من ذى الحجة ، وقيل كانت وفاته لسبع بقين منه . وصير ابنه مكانه ،
وكسى خمس خلع ، وقلد سيفاً ، وبعث المتوكل حين انتهى إليه خبر مرضه
بابنه المعتز لعيادته مع بُغَا الشرابي وجماعة من القواد والجنود .

وذكر أن ماء دجلة تغير في هذه السنة إلى الصُّفْرَةِ ثلاثة أيام ، ففرع

(٢) ديوانه ١٣٠

(١) ديوانه ١٣١

(٣) ديوانه ١٣١

الناس لذلك ، ثم صار في لون ماء المدود وذلك في ذى الحجة .

* * *

وفيها أتى المتوكل بيحيى بن عمر بن حسين^(١) بن زيد بن علي بن أبي طالب عليه السلام من بعض النواحي ؛ وكان - فيما ذكر - قد جمع قومًا ، فضربه عمر بن فرج ثمان عشرة مفرقة ، وحبس ببغداد في المطبق .
وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

(١) ط : « يحيى » ، صوابه من د ، وانظر الفهرس .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر مقتل محمد بن إبراهيم بن مصعب]

فمن ذلك ما كان من مقتل محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق ، أخى إسحاق بن إبراهيم بفارس .

* ذكر الخبر عن مقتله وكيف قتل :

حدثني غير واحد ، عن محمد بن إسحاق بن إبراهيم ؛ أن أباه إسحاق بلغه عنه أنه أكل لا يملأ جوفه شئ ، وأنه أمر باتخاذ الطعام والإكثار منه ، ثم أرسل إليه فدعاه ، ثم أمره أن يأكل ، وقال له : إني أحب أن أرى أكلك ، فأكل وأكثر حتى عجب إسحاق منه ، ثم قدّم إليه بعد ما ظن أنه شبع وامتلاً من الطعام حملاً مشوى ، فأكل منه حتى لم يبق منه إلا عظامه^(١) ؛ فلما فرغ من أكله ، قال : يا بني ، مال أبيك لا يقوم بطعام بطنك ؛ فالحق أمير المؤمنين ؛ فإنّ ماله أحمل لك من مالى . فوجهه إلى الباب وألزمه الخدمة^(٢) ، فكان فى خدمة السلطان حياة أبيه ، وخليفة أبيه ببابه ، حتى مات أبوه إسحاق ؛ فعقد له المعتز على فارس ، وعقد له المنتصر على اليمامة والبحرين وطريق مكة ، فى الحرم من هذه السنة ، وضم إليه المتوكل أعمال أبيه كلها ، وزاده المنتصر ولاية مصر ؛ وذلك أنه كان - فيما ذكر - حمل إلى المتوكل وأولياء عهده مما كان فى خزائن أبيه من الجواهر والأشياء النفيسة ما حظى به عندهم ، فرفعوه ورفعوا مرتبته . فلما بلغ محمد بن إبراهيم ما فعل بآبى أخيه محمد بن إسحاق تنكّر للسلطان ، وبلغ المتوكل عنه أمور أنكرها ، فأخبرنى بعضهم أن تنكّر محمد بن إبراهيم إنّما كان لابن أخيه محمد بن إسحاق ، واعتلله عليه بحمل خراج فارس

١٤٠٥/٣

(٢) كذا فى ١، د ، وفى ط : « الباب » .

(١) د ، ١ : « غير عظامه » .

إليه . وإن محمداً شكاً إلى المتوكل ما كان من تنكر عمته محمد بن إبراهيم في ذلك ، فبسط يده عليه ، وأطلق له العمل فيه بما أحب ، فولّى محمد بن إسحاق الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب فارس ، وعزل عمه ، وتقدم محمد إلى الحسين بن إسماعيل في قتل عمته محمد بن إبراهيم ؛ فذكر أنه لما صار إلى فارس أهدى إليه في يوم النيروز هدايا ؛ فكان فيما أهدى إليه حَلَوَاء ، فأكل محمد بن إبراهيم منها ، ثم دخل الحسين بن إسماعيل عليه ، فأمر بإدخاله إلى موضع آخر وإعادة الحلواء عليه ، فأكل أيضاً منها ، فعطش فاستسقى ، فبقيع الماء ، ورام الخروج من الموضع الذي أدخل إلى فيه ؛ فإذا هو محبوس لا سبيل له إلى الخروج ؛ فعاش يومين وليلتين ، ومات . فحُمِّل ماله وعباله إلى سامرا على مائة جمل . ولما ورد نعي محمد بن إبراهيم على المتوكل أمر بالكتاب فيه إلى طاهر بن عبد الله بن طاهر بالتنزية فكُتِب :

١٤٠٦/٣

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يوجب لك مع كل فائدة ونعمة تهتكت بمواهب الله وتعزيتك عن ملمّات أقداره ؛ وقد قضى الله في محمد بن إبراهيم مولى أمير المؤمنين ما هو قضاؤه في عبادته ؛ حتى يكون الفناء لهم والبقاء له . وأمير المؤمنين يعزيك عن محمد بما أوجب الله لمن عمل بما أمره به في مصائبه ؛ من جزيل ثوابه وأجره ؛ فليكن الله وما قربك منه أولى بك في أحوالك كلها ؛ فإن مع شكر الله مزيدَه ، ومع التسليم لأمر الله رضاه ؛ وبالله توفيق أمير المؤمنين . والسلام .

* * *

[ذكر خبر وفاة الحسن بن سهل]

وفي هذه السنة توفّي الحسن بن سهل في قول بعضهم في أول ذي الحجة منها ، وقال قائل هذه المقالة : مات محمد بن إسحاق بن إبراهيم في هذا الشهر لأربع بقين منه . وذكر عن القاسم بن أحمد الكوفي ، أنه قال : كنت في خدمة الفتح بن خاقان في سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وكان الفتح يتولّى للمتوكل أعمالاً ، منها أخبار الخاصة والعامة بسامرا والهاروني وما يليها ؛ فورد

كتاب إبراهيم بن عطاء المتولّي الأخبارَ بسامراً يذكر وفاة الحسن بن سهل ،
 وأنه شرب شربة دواء في صبيحة يوم الخميس لخمس ليال بقين من ذى القعدة
 من سنة خمس وثلاثين ومائتين أفرطت عليه ، وأنه توفّي في هذا اليوم وقت
 الظهر ، وأنّ المتوكل أمر بتجهيز جهازه من خزائنه . فلماً وضع على سريره
 تعلق به جماعة من التجار من غرماء الحسن بن سهل ، ومنعوه من دفنه ،
 فتوسّط أمرهم يحيى بن خاقان وإبراهيم بن عتّاب ورجل يعرف ببرغوث ؛
 فقطعوا أمرهم ، ودفن . فلما كان من الغد ورّد كتاب صاحب البريد بمدينة
 السلام بوفاة محمد بن إسحاق بن إبراهيم بعد الظهر يوم الخميس لخمس خلون
 من ذى الحجة ، فجزع عليه المتوكل جزعاً ، وقال : تبارك الله وتعالى ! كيف
 توافت منية الحسن ومحمد بن إسحاق في وقت واحد !

* * *

[ذكر خبر هدم قبر الحسين بن علي]

وفيهما أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن عليّ وهدم ما حوله من المنازل
 والدّور ، وأن يُحرث ويُبدّر ويُسقى موضع قبره ، وأن يمنع الناس من إتيانه ؛
 فذكر أنّ عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية : من وجدناه عند قبره بعد
 ثلاثة بعثنا به إلى المطبق ؛ فهرب الناس ، وامتنعوا من المصير إليه ؛ وحُرث
 ذلك الموضع ، وزُرع ما حواله .

* * *

وفيهما استكتب المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وصرف محمد بن الفضل
 الجرجانيّ .

وفيهما حجّ محمد المنتصر ، وحجّت معه جدّته شجاع أمّ المتوكل ،
 فشيّعها المتوكل إلى النجف .

وفيهما هلك أبو سعيد محمد بن يوسف المروزيّ الكيّج فجاءةً ، ذكر أنّ
 فارس بن بُغا الشراييّ وهو خليفة أبيه ، عقد لأبي سعيد هذا ، وهو مولى طيّئ على
 أذربيجان وإرمينية ، فعسكر بالكرخ ؛ كرخ فيروز ؛ فلما كان لسبع بقين
 من شوال وهو بالكرخ مات فجاءةً ، لبس أحد خُفيّه ومدّ الآخر ليلبسه

فسقط ميتاً ، فولّى المتوكل ابنه يوسف ما كان أبوه وليّه من الحرب ، وولاه
بعد ذلك خراج الناحية وضباها ، فشخص إلى الناحية فضبطها ، ووجه عمّاله
في كل ناحية .

وحجّ بالناس في هذه السنة المنتصر محمد بن جعفر المتوكل .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر وثوب أهل إرمينية بعاملهم يوسف بن محمد]

فن ذلك ما كان من وثوب أهل إرمينية بيوسف بن محمد فيها .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به :

قد ذكرنا فيما مضى قبلُ سبب استعمال المتوكل يوسف بن محمد هذا إتياءه على إرمينية ؛ فأما سبب وثوب أهل إرمينية به ؛ فإنه كان - فيما ذكر - أنه لما صار إلى عمله من إرمينية خرج رجل من البطارقة يقال له بقراط بن أشوط ؛ وكان يقال له بطريق البطارقة ، يطلب الإمارة ؛ فأخذه يوسف بن محمد ، وقيّده وبعث به إلى باب الخليفة ، فأسلم بقراط وابنه ؛ فذكر أن يوسف لمّا حمل بقراط بن أشوط اجتمع عليه ابن أخى بقراط بن أشوط وجماعة من بطارقة إرمينية ، وكان الثلج قد وقع في المدينة التي فيها يوسف ؛ وهى - فيما قبل - طرون ؛ فلما سكن الثلج أناخوا عليها من كل ناحية ، وحاصروا يوسف ومنّ معه في المدينة ، فخرج يوسف إلى باب المدينة ، فقاتلهم فقتلوه وكلّ من قاتل معه ؛ فأما من لم يقاتل معه ؛ فإنهم قالوا له : ضع ثيابك ، وانج عرياناً ، فطرح قوم منهم كثير ثيابهم ، ونجوا عراً حفاة ، فأت أكثرهم من البرد ، وسقطت أصابع قوم منهم ونجوا ؛ وكانت البطارقة لمّا حمل يوسف بقراط بن أشوط تحالفاً على قتله ، ونذروا دمه ، ووافقهم على ذلك موسى بن زارة ، وهو على ابنة بقراط ، فنهى سواده بن عبد الحميد الحجّاتى يوسف بن أبى سعيد عن المقام بموضعه ، وأعلمه بما أتاه من أخبار البطارقة ، فأبى أن يفعل ، فوافاه القوم في شهر رمضان ، فأخذوا بسور المدينة والثلج ما بين عشرين ذراعاً إلى أقلّ حول المدينة إلى خيلاط إلى دُبَيْل ، والدنيا كلها ثلج .

وكان يوسف قبل ذلك قد فرّق أصحابه في رساتيق عمله ، فتوجّه إلى كل ناحية منها قوم من أصحابه ، فوجّه إلى كل طائفة منهم من البطارقة ، ومن معهم جماعة ، فقتلهم في يوم واحد ، وكانوا قد حاصروه في المدينة أياماً ، فخرج إليهم فقاتل حتى قُتيل ، فوجّه المتوكل بغا الشرايين إلى إرمينية طالباً بدم يوسف ، فشخص إليها من ناحية الجزيرة ، فبدأ بأرزن بموسى بن زرارة ، وهو [أبو الحر]^(١) وله إخوة : إسماعيل وسليمان وأحمد وعيسى ومحمد وهارون ، فحمل بغا موسى بن زرارة إلى باب الخليفة ، ثم سار فأناخ بجبل الخويشية ، وهم جَمعة أهل إرمينية ، وقتله يوسف بن محمد ، فحاربهم فظفر بهم ، فقتل زهاء ثلاثين ألفاً ، وسبى منهم خلقاً كثيراً ، فباعهم بإرمينية ، ثم سار إلى بلاد الباق فأسر أشوط بن حمزة أبا العباس وهو صاحب الباق — والباقي من كُور البُسفرجان وبنى النشوى ، ثم سار إلى مدينة ديبيل من إرمينية ، فأقام بها شهراً ، ثم سار إلى تفليس .

١٤١٠/٣

* * *

وفي هذه السنة ولّى عبدالله^(٢) بن إسحاق بن إبراهيم بغداد ومعاون السواد . وفيها قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان ، لثمان بقين من شهر ربيع الآخر ، فولّى الشرطة والجزية وأعمال السواد وخلافة أمير المؤمنين بمدينة السلام ، ثم صار إلى بغداد .

وفيها عزل المتوكل محمد بن أحمد بن أبي دواد عن المظالم ، وولاهها محمد ابن يعقوب المعروف بأبي الربيع^(٣) .

وفيها رضى عن ابن أكرم ، وكان ببغداد فأشخص^(٤) إلى سامرا ، فولّى القضاء على القضاة ، ثم ولّى أيضاً المظالم ، وكان عزل المتوكل محمد بن أحمد ابن أبي دواد عن مظالم سامرا لعشر بقين من صفر من هذه السنة .

* * *

(٢) ابن الأثير : « عبيد الله » .

(١) تكملة من ١ ، د

(٤) ف : « ف شخص » .

(٣) ابن الأثير : « بابن الربيع » .

[ذكر غضب المتوكل على ابن أبي دواد]

وفيهما غضب المتوكل على ابن أبي دواد ؛ وأمر بالتوكيل على ضياع أحمد ابن أبي دواد لخمس بقين من صفر ، وحُبِسَ يوم السبت لثلاث خَلَائِفٍ (١) ١٤١١/٣ من شهر ربيع الأول ابنه أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي دواد في ديوان الخراج ، وحبس إخوته عند عبيد الله بن السريّ خليفة صاحب الشرطة ، فلما كان يوم الاثنين حمل أبو الوليد مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وجواهر بقيمة عشرين ألف دينار ، ثم صُورَ بعد ذلك على ستة عشر ألف ألف درهم ، وأشهد عليهم جميعاً ببيع كل ضيعة لهم ؛ وكان أحمد بن أبي دواد قد فُلِجَ ، فلما كان يوم الأربعاء لسبع خلوف من شعبان ، أمر المتوكل بولد أحمد بن أبي دواد ، فحُدِّروا إلى بغداد ، فقال أبو العتاهية :

لو كنت في الرأي منسوباً إلى رشدٍ وكان عزمك عزمًا فيه توفيقُ
لكان في الفقه شغلٌ لو قُبِعَتْ به عن أن تقول: كلامُ الله مخلوقُ
ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم ما كان في الفرع لولا الجهلُ والموقُ
وأقيم فيها الخلعجي للناس في جمادى الآخرة .

* * *

وفيهما ولَّى ابن أكرم قضاء الشرقية حيّان بن بشر ، ولَّى سوار بن عبد الله العنبري قضاء الجانب الغربي ، وكلاهما أعور ، فقال الجماز : ١٤١٢/٣

رأيتُ من الكبائرِ قاضيينِ هما أحدثُ في الخافقينِ
هما اقتسما العمى نصفينِ قدًّا كما اقتسما قضاء الجانبينِ
وتحسبُ منهما من هز رأساً لينظرَ في مواريثِ ودينِ
كأنك قد وضعتَ عليه دنًا فتحتَ بزأله من فردِ عينِ
هما فالزمان بهلك يحيي إذ افتتح القضاء بأعورينِ

[خبر إنزال جثة ابن نصر ودفعه إلى أوليائه]

وفيها أمر المتوكل في يوم الفطرمته بإنزال جثته^(١) أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي ، ودفعه إلى أوليائه .

* ذكر الخبر عما فعل به وما كان من الأمر بسبب ذلك :

ذكر أن المتوكل لما أمر بدفع جثته إلى أوليائه لدفنه ، فعل ذلك ، فدفع إليهم ؛ وقد كان المتوكل لما أفضت إليه الخلافة ، نهى عن الجدل في القرآن وغيره ، ونفذت كتبه بذلك إلى الآفاق ، وهمّ بإنزال أحمد بن نصر عن خشبته ، فاجتمع الغوغاء والرّعاع إلى موضع تلك الخشبة ، وكثّروا^(٢) وتكلموا ، فبلغ ذلك المتوكل ، فوجّه إليهم نصر^(٣) بن الليث ، فأخذ منهم نحواً من عشرين رجلاً ، فضر بهم وحبسهم ، وترك إنزال أحمد بن نصر من خشبته لِمَا بلغه من تكثير العامة في أمره ، وبقي الذين أخذوا بسببه في الحبس حيناً ، ثم أطلقوا ؛ فلما دفع بدنه إلى أوليائه في الوقت الذي ذكرت ، حملة ابن أخيه موسى إلى بغداد ، وغُسل ودُفن ، وضُمّ رأسه إلى بدنه ، وأخذ عبد الرحمن بن حمزة جسده في منديل مصري ، فوضي به إلى منزله ، فكفّنه وصلى عليه ، وتولّى إدخاله القبر مع بعض أهله رجلٌ من التجار ، ويقال له الأبراري

١٤١٣/٣

فكتب صاحب البريد ببغداد — وكان يعرف بابن الكلبي ، من موضع بناحية واسط ، يقال له الكلبانية^(٤) — إلى المتوكل بخبر العامة ، وما كان من اجتماعها وتمسحها بالحنازة ؛ جنازة^(٥) أحمد بن نصر وبخشبة^(٦) رأسه ؛ فقال المتوكل ليحيى بن أكرم : كيف دخل ابن الأبراري القبر على كسبرة^(٧) خزاعة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، كان صديقاً له . فأمر المتوكل بالكتاب إلى محمد بن عبد الله ابن طاهر بمنع العامة من الاجتماع والحركة في مثل هذا وشبهه ؛ وكان

(١) ف : « رأس » . (٢) س : « وكبروا » ، ف : « وأكثروا » .

(٣) ا ، د ، ف : « مصر » . (٤) ط : « الكلثانية » ، وانظر الفهرس .

(٥) ف : « بجنازة » . (٦) كذا في ا ، وفي ط : « حجة » .

(٧) ا : « كسرة » .

بعضهم أوصى ابنه عند موته أن يُرهب العامة ؛ فكتب المتوكل ينهى عن
الاجتماع .

* * *

وغزا الصائفة في هذه السنة عليّ بن يحيى الأرمني .
وحجّ بالناس فيها عليّ بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وكان
والى مكة .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر ظفر بغا بإسحاق بن إسماعيل وإحراقه مدينة تفليس]

فمن ذلك ما كان من ظفر بغا بإسحاق بن إسماعيل مولى بنى أمية بتفليس وإحراقه مدينة تفليس .

* ذكر الخبر عما كان من بغا في ذلك :

ذكر أن بغا لما صار إلى دبيل بسبب قتل القاتلين من أهل إرمينية يوسف ابن محمد ، أقام بها شهراً ؛ فلما كان يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول من سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وجهه بغا زيرك التركي ، فجاوز الكُرّ - وهو نهر عظيم مثل الصراة ببغداد وأكبر ، وهو ما بين المدينة وتفليس في الجانب الغربي وصغدبيل في الجانب الشرقي - وكان معسكر بغا في الشرق ، فجاوز زيرك الكُرّ إلى ميدان تفليس ، وتفليس خمسة أبواب : باب الميدان ، وباب قريس ^(١) ، وباب الصغير ، وباب الربض ، وباب صغدبيل - والكُرّ نهر ينحدر مع المدينة - وجهه بغا أيضاً أبا العباس الواثي ^(٢) النصراني إلى أهل إرمينية عربها وعجمها ، فأتاهم زيرك مما يلي الميدان وأبو العباس مما يلي باب الربض ، فخرج إسحاق بن إسماعيل إلى زيرك ، فناوشه القتال ، ووقف بغا على تلّ مطلق على المدينة مما يلي صغدبيل ؛ لينظر ما يصنع زيرك وأبو العباس ، فبعث بغا النساطين فضرّبوا المدينة بالنار ؛ وهى من خشب الصنوبر ، فهاجت الريح في الصنوبر ، فأقبل إسحاق بن إسماعيل إلى المدينة لينظر ؛ فإذا النار قد أخذت في قصره وجواريه ، وأحاطت به النار ؛ ثم أتاه الأتراك والمغاربة فأخذوه أسيراً ، وأخذوا ابنه عمرّاً ، فأتوا بهما بغماً ، فأمر بغا به ، فردّ إلى باب

١٤١٥/٣

(١) : « قريش » .

(٢) : « الوادي » ، ف : « الوارق » ، ابن الأثير : « الوارق » .

الحسك، فضربت عنقه هناك صَبْرًا ، وحُمِلَ رأسه إلى بُغَا ، وصُلِبَتْ^(١) جيفته على الكُرْبِ ؛ وكان شيخًا محدودًا ضخم الرأس ، يخضب بالوسِمة ، آدم أصلع أحول ؛ فنُصِبَ رأسه على باب الحسك .

وكان الذي نولَّى قتلَه غامش خليفة بُغَا ، واحترق في المدينة نحو من خمسين ألف إنسان ، وأُطْفِئَتِ النار في يوم ولياة^(٢) ؛ لأنها نار الصَّنَوْبَرِ ، لا بقاء لها ، وصَبَّحَهُم^(٣) المغاربة ، فأسروا مَنْ كان حيًّا ، وسلبوا الموتى . وكانت امرأة إسحاق نازلةً بصغد بديل ، وهي حذاء تَفْلَيْس في الجانب الشرقي ، وهي مدينة بناها كسرى أنوشروان ؛ وكان إسحاق قد حصَّنَها وحفر خندقَها ، وجعل فيها مقاتلة من الخويشَّة وغيرهم . وأعطاهم بُغَا الأمان على أن يضعوا أسلحتهم ، ويذهبوا حيث شاء . وكانت امرأة إسحاق ابنة صاحب السرير . ثم وجَّه بُغَا - فيما ذكر - زيرك إلى قلعة الجَرْدَمَان - وهي بين بردعة وتَفْلَيْس - في جماعة من جنده ، ففتح زيرك الجَرْدَمَان ، وأخذ بطريقها القِطْرِيَجَ أسيرًا ، فحمله إلى العسكر . ثم نهض بُغَا إلى عيسى بن يوسف ابن أخت أصطفانوس ؛ وهو في قلعة كُثَيْش من كورة البَيْلَقَان ، وبينها وبين البَيْلَقَان عشرة فراسخ ، وبينها وبين بردعة خمسة عشر فرسخًا ، فحاربه ، ففتحها ، وأخذه وحمله وحمل ابنه معه وأباه ، وحمل أبا العباس الوائلي - واسمه سَنْبَاط بن أشوط - وحمل معه معاوية بن سهل بن سَنْبَاط بطريق أَرَّان ، وحمل آذر نرسی بن إسحاق الخاشني .

* * *

[ذكر مقدم الروم بمراكبهم إلى دمياط]

وفي هذه السنة جاءت للروم ثلثمائة مركب مع عرفا وابن قطونا وأمردناقه^(٤) - وهم كانوا الرؤساء في البحر - مع كل واحد منهم مائة مركب ، فأناخ ابن قطونا

(٢) ف : « يوم الأربعاء وليته » .

(١) ط : « وصلب » .

(٤) ط ، بدون فقط وما أثبتته ن ا .

(٣) ف : « وصحبهم » .

بدمياط ، وبينها وبين الشطّ شبيه بالبحيرة يكون فيها الماء إلى صدر الرجل ؛ فن جازها إلى الأرض أمين من مراكب البحر ؛ فجازها قوم فسلّموا ، وغرق قوم كثير من نساء وصبيان ؛ واحتمل من كانت له قوّة في السفن ؛ فنجوا إلى ناحية الفسطاط ، وبينها وبين الفسطاط مسيرة أربعة أيام . وكان إلى معونة مصر عتبسة بن إسحاق الضّبيّ ، فلما قرب العيد ، أمر الجند الذين بدمياط أن يحضّروا الفسطاط لتحمل لهم ^(١) في العيد ، وأخلى دمياط من الجند ؛ فانتهى مراكب الروم من ناحية شطّا التي يعمل فيها الشطوى ، فأناخ بها مائة مركب من الشلندية ؛ تحمّل كلّ مركب ما بين الخمسين رجلا إلى المائة ^(٢) ؛ فخرجوا إليه وأحرقوا ما وصلوا إليه من دورها وأخصاصها ، واحتملوا سلاحا كان فيها أرادوا حمله إلى أبي حفص صاحب أقریطش نحواً من ألف قناة وآلتها ، وقتلوا من أمكنهم قتله من الرجال ، وأخذوا من الأمتعة والقنشد والكتّان ما كان عبيّ ليحمل إلى العراق ، وسبوا من المسلمات والقيبطيات نحواً من ستمائة امرأة ؛ ويقال إن المسلمات منهنّ مائة وخمسة وعشرون امرأة والباقي من نساء القبط .

١٤١٨/٣

ويقال إن الروم الذين كانوا في الشلنديات التي أناخت بدمياط كانوا نحواً من خمسة آلاف رجل ، فأوقروا سفنهم من المتاع والأموال والنساء ، وأحرقوا خزانة القلوع وهي شرع السفن ، وأحرقوا مسجد الجامع بدمياط ، وأحرقوا كنائس ؛ وكان من حُرِر ^(٣) منهم ممن غرق في بحيرة دمياط من النساء والصبيان أكثر ممن سباه الروم . ثم رحل الروم عنها .

وذكر أن ابن الأكشف كان محبوساً في سجن دمياط ، حبسه عتبسة ، فكسر قيده وخرج ؛ فقاتلهم ، وأعاناه قوم ، فقتل من الروم جماعة ، ثم صاروا إلى أشتوم تينيس ، فلم يحمل الماء سفنهم إليها ، فخشوا أن توحل ؛ فلما لم يحملهم الماء صاروا إلى أشتومها — وهي مرسى بينه وبين تينيس أربعة فراسخ وأقلّ ، وله سور وباب حديد كان المعتصم أمر بعمله — فخرّبوا عامته ، وأحرقوا مافيه من

(٢) بعدها في ف : « رجل » .

(١) كذا في د .

(٣) كذا في ا ، وفي ط : « حذر » .

المجانيق والعراادات ، وأخذوا بابيه الحديد؛ فحملوهما ، ثم توجهوا إلى بلادهم ، لم^(١) يعرض لهم أحد .

* * *

١٤١٩/٣ وخرج المتوكل في هذه السنة يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الآخرة من سامراً يريد المدائن ، فصار إلى الشَّامِسية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، فأقام هناك^(٢) إلى يوم السبت ، وعبر بالعشيّ إلى قُطْرِبُل ، ثم رجع ودخل بغداد يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت منه فمضى في سوقها وشارعها حتى نزل الزعفرانية ، ثم صار إلى المدائن . وغزا الصائفة فيها على بن يحيى الأرمني .

وحجّ بالناس فيها على بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر .

(٢) ف : « هناك » .

(١) ابن الأثير : « ولم » .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك أمر المتوكل بأخذ أهل الذمة بلبس درّعتين عسليتين على الأقبية والدّراريح في المحرم منها، ثم أمره في صفر^(١) بالاعتصار في مراكبهم^(٢) على ركوب البغال والحمر دون الخيل والبراذين .

وفيهما نفي المتوكل على بن الجهم بن بدر إلى خراسان .

وفيهما قتل صاحب الصنّاريّة بباب العامة في جمادى الآخرة منها .

وفيهما أمر المتوكل بهدم البيّع المحدثّة في الإسلام .

وفيهما مات أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي دواد ببغداد في ذى الحجة .

١٤٢٠/٣

وفيهما غزا الصائفة على بن يحيى الأرمني .

* * *

وحجّ بالناس فيها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد ابن على ، وكان إلى مكة .

وفيهما حجّ جعفر بن دينار ؛ وكان إلى طريق مكة مما يلي الكوفة فولّى أحداث الموسم .

وفيهما اتفق شعانين النصارى ويوم النيروز ؛ وذلك يوم الأحد لعشرين ليلة خلت من ذى القعدة ، فذكر أن النصارى زعمت أنهما لم يجتمعا في الإسلام قطّ .

ثم دخلت سنة أربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن وثوب أهل حمص بعاملهم]

فما كان فيها من ذلك وثوب أهل حمص بعاملهم على المعونة .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما آل إليه أمرهم ووثوبهم :

ذكر أن عاملهم على المعونة قتل رجلاً كان من رؤسائهم ؛ وكان العامل يومئذ أبو المغيث الرافعي موسى بن إبراهيم ، فوثب أهل حمص في جمادى الآخرة من هذه السنة ، فقتلوا جماعة من أصحابه ، ثم أخرجوه وأخرجوا صاحب^(١) الحراج من مدينتهم ؛ فبلغ ذلك المتوكل ؛ فوجه إليهم عتاب بن عتاب ، ووجه معه محمد بن عبدويه كرداس الأنباري ، وأمره أن يقول لهم : إن أمير المؤمنين قد أبدلكم رجلاً مكان رجل ؛ فإن سمعوا وأطاعوا ورضوا ؛ فوكل عليهم محمد بن عبدويه ؛ وإن أبوا وثبتوا على الخلاف فأقيم بمكانك ، واكتب إلى أمير المؤمنين حتى يوجه إليك رجاء ، أو محمد بن رجاء الحضاري أو غيره من الخيل لمحاربتهم ؛ فخرج عتاب بن عتاب من سامراً يوم الاثنين لخمس بقين من شهر جمادى الآخرة ، فرضوا بمحمد بن عبدويه ، فولاه عليهم ففعل فيهم الأعاجيب .

* * *

وفيهما مات أحمد بن أبي دواد ببغداد في المحرم بعد ابنه أبي الوليد محمد ؛ وكان ابنه محمد توفّي قبله بعشرين يوماً في ذى الحجة ببغداد .

وفيهما عزل يحيى بن أكرم عن القضاء في صفر ، وقبض منه ما كان له

(١) ابن الأثير : « عامل الحراج » .

يبغداد ومبلغه خمسة وسبعون^(١) ألف دينار ، ومن أسطوانة في داره^(٢) ألفا دينار وأربعة آلاف جريب بالبصرة .

وفيها ولّى جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن عليّ القضاء على القضاة في صفر .

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود وحجّ جعفر بن دينار وهو والى الأحداث بالموسم .

١٤٢٢/٣

(١) ف : « عشرون » .

(٢) س : « أسطوانة في دار » .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن وثوب أهل حمص بعاملهم مرة أخرى]

فمن ذلك ما كان من وثوب أهل حمص بعاملهم على المعونة ؛ وهو محمد ابن عبدويته .

* ذكر الخبر عما كان من أمرهم فيها وما آل إليه الأمر بينهم .

ذكر أن أهل حمص وثبوا في جمادى الآخرة من هذه السنة بمحمد بن عبدويته عاملهم على المعونة ، وأعانهم على ذلك قوم من نصارى حِمَص ، فكتب بذلك إلى المتوكل ، فكتب إليه يأمره بمنأهضتهم ، وأمدّه بجند من راتبة دمشق ، مع صالح العباسي التركي ، وهو عامل دمشق وجند من جند الرملة ، فأمره أن يأخذ من رؤسائهم ثلاثة نفر فيضربهم بالسياط ضرب التلّف ؛ فإذا ماتوا صلبهم على أبوابهم ، وأن يأخذ بعد ذلك من وجوههم عشرين إنساناً فيضربهم^(١) ثلثمائة سوط ، كل واحد منهم ، ويحملهم^(٢) في الحديد إلى باب أمير المؤمنين ، وأن يعزّب ما بها من الكنائس والبيوع ، وأن يُدخل البيعة التي إلى جانب مسجدها في المسجد ، وألاّ يترك في المدينة نصرانياً إلا أخرجها منها ، وينادى فيهم قبل ذلك ؛ فمن وجده^(٣) فيها بعد ثلاثة^(٤) أحسن أدبه . وأمر لمحمد بن عبدويته بخمسين ألف درهم ، وأمر لقواده ووجوه أصحابه بصالات ، وأمر لخليفته على بن الحسين بخمسة عشر ألف درهم ، ولقواده بخمسة آلاف خمسة آلاف درهم ، وأمر بخلع^(٥) ؛ فأخذ محمد بن عبدويته عشرة منهم ؛ فكتب بأخذهم ، وأنه قد حملهم إلى دار أمير المؤمنين ولم

١٤٢٣/٣

(٢) ف : « ويحمله » .

(٤) ١ ، س : « ثلاثة » .

(١) ف : « فيضرب كل واحد منهم » .

(٣) ف : « وجد » .

(٥) د : « بخلع » .

يضر بهم ؛ فوجه المتوكل رجلا من أصحاب الفتح بن خاقان يقال له محمد بن رزق الله ، ليرد من الذين وجه بهم ابن عبدويه محمد بن عبد الحميد الحميدى والقاسم بن موسى بن فوعوس إلى حمص ، وأن يضر بهما ضرب التلف ، ويصلب بهما على باب حِمص ، فردّهما وضربهما بالسياط حتى ماتا ، وصلبهما على باب حمص ، وقدم بالآخرين سامرا وهم ثمانية ؛ فلما صاروا بنصيبين مات واحد منهم ، فأخذ المتوكل بهم رأسه ، وقدم بسبعة منهم سامرا وبرأس الميت . ثم كتب محمد بن عبدويه أنه أخذ عشرة نفر منهم بعد ذلك ، وضرب منهم خمسة نفر بالسياط فأتوا ، ثم ضرب خمسة فلم يموتوا . ثم كتب محمد ابن عبدويه بعد ذلك أنه ظفر برجل منهم من المخالفين يقال له عبد الملك بن إسحاق ابن عمارة — وكان فيها ذكر — رأساً من رعووس الفتنة ؛ فضربه بباب حِمص بالسياط حتى مات ، وصلبه على حصن يعرف بتلّ العباس .

١٤٢٤/٣

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة مُطر الناس فيما ذكر — بسامرا مطراً جوداً^(١) في آب . وفيها ولى القضاء بالشرقية في المحرم أبو حسان الزياتى .

* * *

[ذكر الخبر عن ضرب عيسى بن جعفر وما آل إليه أمره]

وفيها ضرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب خان عاصم ببغداد — فيما قيل — ألف سوط .

* ذكر الخبر عن سبب ضربه وما كان من أمره في ذلك :

وكان السبب في ذلك أنه شهد عند أبي حسان الزياتى قاضى الشرقية عليه أنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة ، سبعة عشر رجلاً ؛ شهاداتهم^(٢) — فيما ذكر — مختلفة من هذا النحو ؛ فكتب بذلك صاحب بريد بغداد إلى عبيد الله ابن يحيى بن خاقان ، فأنهى عبيد الله ذلك إلى المتوكل ، فأمر المتوكل أن

(١) ط : « جواداً » ، وما أثبت من د ، ف . (٢) ١ : « الشهادات » د ، ف : « شهادات » .

يكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط ، فإذا مات رمى به في دجلة ، ولم تدفع جيفته إلى أهله .

فكتب عبيد الله إلى الحسن بن عثمان جواب كتابه إليه في عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أبقاك الله وحفظك ، وأتمّ نعمته عليك ؛ وصل كتابك في الرجل المسمّى عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب الخانات ، وما شهد به اليهود عليه من شتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنهم وإكفارهم ، ورميهم بالكبائر ، وسبهم إلى النفاق ؛ وغير ذلك مما خرج به إلى المعاندة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتثبتك في أمر أولئك اليهود وما شهدوا به ، وما صحّ عندك من عدالة من عدل منهم ، ووضح لك من الأمر فيما شهدوا به ، وشرحك ذلك في رقعة درج كتابك ؛ فعرضت على أمير المؤمنين أعزّه الله ذلك ؛ فأمر بالكتاب إلى أبي العباس محمد بن طاهر مولّى أمير المؤمنين أبقاه الله بما قد نفذ إليه ، مما يشبه ما عنده أبقاه الله^(١) ، في نصرة دين الله ، وإحياء سنته ، والانتقام ممن ألد فيه ، وأن يضرب الرجل حداً في مجمع الناس حدّ الشتم ، وخمسمائة سوط بعد الحدّ للأمور العظام التي اجتراً عليها ، فإن مات ألقى في الماء من غير صلاة ليكون ذلك ناهياً لكل ملحد في الدين ، خارج من جماعة المسلمين ؛ وأعلمتك ذلك لتعرفه إن شاء الله تعالى — والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وذكر أن عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم هذا — وقد قال بعضهم :

١٤٢٦/٣ إن اسمه أحمد بن محمد بن عاصم — لما ضرب ترك في الشمس حتى مات ، ثم رمى به في دجلة .

* * *

وفي هذه السنة انقضت الكواكب ببغداد وتناثرت ، وذلك ليلة الخميس ليلة خلت من جمادى الآخرة .

وفيهما وقع بها الصدام فنفت الدوابّ والبقر .

وفيهما أغارت الروم على عين زربة ، فأسرت من كان بها من الزط ؛ مع نسائهم وذرائعهم وجواميسهم وبقرهم .

[خبر الفداء بين المسلمين والروم في هذه السنة]

وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم .

• ذكر الخبر عن السبب الذي كان ذلك من أجله :

ذكر أن تَدْوُرة صاحبة الروم أم ميخائيل ، وجهت رجلا يقال له جُورجيس بن قريافس^(١) يطلب الفداء لمن في أيدي الروم من المسلمين ، وكان المسلمون قد قاربوا عشرين ألفاً ، فوجّه المتوكل رجلا من الشيعة يقال له نصر بن الأزهر بن فرج^(٢) ؛ ليعرف صحة مَن في أيدي الروم من أسارى المسلمين ، ليأمر بمفاداتهم ؛ وذلك في شعبان من هذه السنة بعد أن أقام عندهم حيناً . فذكر أن تَدْوُرة أمرت بعد خروج نصر بعرض من في إسارها من المسلمين على النصرانية ؛ فن تنصّر منهم كان أسوة من تنصّر قبل ذلك ، ومن أبى قتلته ؛ فذكر أنها قتلت من الأسرى اثني عشر ألفاً ؛ ويقال إن قنقلة^(٣) الخصى كان يقتلهم من غير أمرها . ونفذ كتاب المتوكل إلى عمال الثغور الشامية والبحرية أن شنيئاً الخادم قد جرى بينه وبين جورجيس رسول عظيم الروم في أمر الفداء قول ، وقد اتفق الأمر بينهما ، وسأل جورجيس هذا هدنة لخمس ليال تخلو من رجب سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سبع ليال بقين من شوال من هذه السنة ، ليجمعوا الأسرى ، ولتكون مدة لهم إلى انصرافهم إلى مأماتهم . فنفذ الكتاب بذلك يوم الأربعاء لخمس خلون من رجب ؛ وكان الفداء يقع في يوم الفِطْرِ من هذه السنة .

١٤٢٧/٣

وخرج جورجيس رسول ملكة الروم إلى ناحية الثغور يوم السبت لثمان بقين من رجب على سبعين بغلاً اكتُرِيت له ، وخرج معه أبو قحطبة المغربي الطرطوسي لينظروا وقت الفطر^(٤) ؛ وكان جورجيس قدم معه جماعة من البطارقة وغلماؤه بنحو من خمسين إنساناً ، وخرج شنيئ الخادم للفداء في النصف من شعبان ، معه مائة فارس : ثلاثون من الأتراك ، وثلاثون من المغاربة ، وأربعون من فرسان الشاكرية ؛ فسأل جعفر بن عبد الواحد — وهو قاضي القضاة — أن يؤذن

١٤٢٨/٣

(١) كذا في ١ ، وفي ط من غير ضبط . (٢) د : « فروخ » .

(٣) ١ : « قنقلة » . (٤) ١ : « الفداء » .

له في حضور الفداء ، وأن يستخلف رجلاً يقوم مقامه — فأذن له ، وأمر له بمائة وخمسين ألفاً مـعـونة وأرزاق ستين ألفاً ؛ فاستخلف ابن أبي الشوارب — وهو يومئذ فتى حدث السن — وخرج فلحق شنيقاً ، وخرج أهل بغداد من أوساط الناس ، فذكر أن الفداء وقع من بلاد الروم على نهر اللامس ، يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة إحدى وأربعين ومائتين ، فكان أسرى المسلمين سبعمائة وخمسة وثمانين إنساناً ، ومن النساء مائة وخمسة وعشرين امرأة .

* * *

وفي هذه السنة جعل المتوكل كورة شمشاط عُسْرًا ، ونقلهم من الحراج إلى العشر ، وأخرج لهم بذلك كتاباً .

[ذكر غارة البجة على مصر]

وفي هذه السنة غارت البُجَّة على حرس^(١) من أرض مصر، فوجّه المتوكل لحربهم محمد بن عبد الله القُمَيْتِي .

* ذكر الخبر عن أمرهم وما آلت إليه حالهم :

ذكر أن البُجَّة كانت لا تغزو المسلمين ولا يغزوهم المسلمون لهدنة بينهم قديمة، قد ذكرناها فيما مضى قبل من كتابنا هذا، وهم جنس من أجناس الحبش بالمغرب ، وبالمغرب من السودان — فيما ذكر — البُجَّة وأهل غانة الغافرو بينور^(٢) ورعوين والفروية وبِكُسوم ومكارة أكرم والنوبة والحبش^(٣). وفي بلاد البجة معادن ذهب ؛ فهم يقاسمون مَن يعمل فيها ، ويؤدون إلى عمال السلطان في مصر في كل سنة عن معادنهم أربعمائة مثقال تيسر قبل أن يطبخ ويصفى . فلما كان أيام المتوكل امتنعت البُجَّة عن أداء ذلك الحراج سنين متوالية فذكر أن المتوكل ولّى بريد مصر رجلاً من خدَمِه يقال له يعقوب بن إبراهيم الباذغيسي مولى الهادي ، وهو المعروف بقوصرة ، وجعل إليه بريد مصر والإسكندرية وبرقة ونواحي المغرب ؛ فكتب يعقوب إلى المتوكل أن البُجَّة قد نقصت العهد

(١) ا: « خرش » (٢) كذا في ا، وفي ط من غير نقط (٣) كذا في د، وفي ط: « والحمس ».

الذى كان بينها وبين المسلمين ، وخرجت من بلادها إلى معادن الذهب والجوهر ؛ وهى على التّخوم فيما بين أرض مصر وبلاد البُجّة ؛ فقتلوا عدّة من المسلمين ممن كان يعمل فى المعادن ويستخرج الذهب والجوهر ، وسبّوا عدّة من ذراريّهم ونسائهم ؛ وذكروا أن المعادن لهم فى بلادهم ، وأنهم لا يأذنون للمسلمين فى دخولها ؛ وأن ذلك أوحش جميع من كان يعمل فى المعادن من المسلمين ؛ فانصرفوا عنها خوفاً على أنفسهم وذراريّهم فانقطع بذلك ما كان يؤخذ للسلطان بحقّ الخمس من الذهب والفضة والجوهر الذى يستخرج من المعادن ؛ فاشتدّ إنكار المتوكل لذلك ^(١) وأحفظه ، وشاور فى أمر البُجّة ، فأنهىّ إليه أنهم قوم أهل بدو وأصحاب إبل وماشية ، وأن الوصول إلى بلادهم صعب لا يمكن أن يسلك إليهم الحيوش ؛ لأنها مفاوز وصحارى ، وبين أرض الإسلام وبينها مسيرة شهر ؛ فى أرض قفر وجبال وعر ، لا ماء فيها ولا زرع ولا معقل ، ولا حصن ؛ وأن من يدخلها من أولياء السلطان يحتاج أن يتزوّد لجميع المدة التى ^(٢) يتوهم أن يقيمها فى بلادهم إلى أن يخرج إلى أرض الإسلام ، فإن امتدّ به المقام حتى يتجاوز تلك المدة هلك وجميع ^(٣) من معه ، وأخذتهم البُجّة بالأبدى دون المحاربة ، وأن أرضهم أرض لا تردّ على السلطان شيئاً من خراج ولا غيره .

١٤٣٠/٣

فأمسك المتوكل عن التوجيه إليهم ، وجعل أمرهم يتزيد ، وجرائهم على المسلمين تشتدّ حتى خاف أهل الصعيد من أرض مصر على أنفسهم وذراريّهم منهم ؛ فولّى المتوكل محمد بن عبد الله المعروف بالقمى محاربهم ، وولاه معاون تلك الكور - وهى ققط والأقصر وإسنا وأرمنت وأسوان - وتقدّم إليه فى محاربة البُجّة ؛ وأن يكاتب عنبسة بن إسحاق الضبى العامل على حرب مصر . وكتب إلى عنبسة بإعطائه جميع ما يحتاج إليه من الجند والساكرية المقيمين بمصر .

١٤٣١/٣

فأزاح ^(٤) عنبسة عيلته فى ذلك ، وخرج إلى أرض البُجّة ، وانضمّ إليه

(٢-٢) ف : « ينوون أنهم يقيمونها » .

(٤) ف : « وأزاح » .

(١) ، ف : « ذلك » .

(٣) ف : « بجميع » .

جميع مَنْ كان يعمل في المعادن وقوم كثير من المتطوعة ؛ فكانت عدة من معه نحواً من عشرين ألف إنسان ؛ بين فارس وراجل ، ووجه إلى القلزم ، فحمل في البحر سبعة مراكب موقرة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير ، وأمر قوماً من أصحابه أن يلجئوا بها في البحر حتى يوافوه في ساحل ^(١) البحر من أرض البُجّة ؛ فلم يزل محمد بن عبد الله القمي يسير في أرض البُجّة حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب ، وصار إلى حصونهم وقلاعهم ، وخرج إليه ملكهم — واسمه على بابا واسم ابنه ^(٢) لعيس — في جيش كثير وعدداً ضعافاً مَنْ كان مع القمي من الناس ؛ وكانت البُجّة على إبلهم ومعهم الخراب وإبلهم فرّة تشبه بالمهاري في النجابة ، فجعلوا يلتقون أياماً متوالية ، فيتناوشون ولا يصحّحون المحاربة ، وجعل ملك البُجّة يتطارد للقمي لكي تطول الأيام طمعاً في نفاذ الزاد والعلوفة التي معهم ؛ فلا يكون لهم قوة ، ويموتون هزلاً ، فيأخذهم البُجّة بالأبدى .

فلما توهّم عظيم البُجّة أن الأزواد قد نفدت ، أقبلت السبع المراكب التي حملها القمي حتى خرجت إلى ساحل من سواحل البحر في موضع يعرف ^{١٤٣٢/٣} بصنجة ، فوجه القمي إلى هنالك جماعة من أصحابه يحمون المراكب من البُجّة ، وفرّق ما كان فيها على أصحابه ، فاتسعوا في الزاد والعلوفة ؛ فلما رأى ذلك على بابا رئيس البُجّة قصد لمحاربتهم ، وجمع لهم ، وانتقوا فاقتتلوا قتلاً شديداً ؛ وكانت الإبل التي يحاربون عليها إبلا زعيرة ، تكثر الفزع والرعب من كل شيء ؛ فلما رأى ذلك القمي جمع أجراس الإبل والخليل التي كانت في عسكره كلها ، فجعلها في أعناق الخيل ، ثم حمل على البُجّة ، فنفرت إبلهم لأصوات الأجراس ، واشتدّ رعبها ، فحملتهم على الجبال والأودية ، فزقتهم كل ممزق ، واتبعهم القمي بأصحابه ، فأخذهم قتلاً وأسرّاً حتى أدركه الليل ؛ وذلك في أول سنة إحدى وأربعين ، ثم رجع إلى معسكره ولم يقدر على إحصاء القتلى لكثرتهم ؛ فلما أصبح القمي وجدهم قد جمعوا جمعاً من الرجال ، ثم صاروا إلى موضع آمنوا فيه طالب القمي ، فوافاهم القمي في

الليل في خيله ، فهرب ملكهم ؛ فأخذ تاجه ومتاعه ، ثم طلب على بابا الأمان على أن يُرَدَّ إلى مملكته وبلاده ، فأعطاه القمى ذلك ، فأدى إليه الخراج للمدة التي كان منعها - وهي أربع سنين - لكل^(١) سنة أربعمئة مثقال ، واستخلف على بابا على مملكته ابنه لعيس ، وانصرف القمى بعلى بابا إلى باب المتوكل ، فوصل إليه في آخر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، فكسا على بابا هذا دراعة ديباج وعمامة سوداء ، وكسا جملة رَحَلا مُدَبَّجاً وجمال ديباج ، ووقف بباب العامة مع قوم من البُجَّة نحو من سبعين غلاماً على الإبل بالرحال ، ومعهم الخراب في رؤوس حراهم رؤوس القوم الذين قتلوا من عسكرهم ؛ قتلهم القمى . فأمر المتوكل أن يقبضوا من القمى يوم الأضحى من سنة إحدى وأربعين ومائتين . ولَّى المتوكل البُجَّة وطريق ما بين مصر ومكة سعداً الخادم الإيتاخى ، فولَّى سعد محمد بن عبد الله القمى ، فخرج القمى بعلى بابا ، وهو مقيم على دينه ؛ فذكر بعضهم أنه رأى معه صنماً من حجارة كهيفة الصبي يسجد له .

١٤٣٣/٣

* * *

ومات في هذه السنة يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة في جمادى الآخرة . وحجَّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود ، وحجَّ جعفر بن دينار فيها ، وهو إلى طريق مكة وأحداث الموسم .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر أحداث الزلازل بالبلاد]

فما كان فيها من ذلك الزلازل الهائلة التي كانت بقوميس ورساتيقها في شعبان ؛ فتهدمت فيها الدّور ، ومات من الناس بها مما سقط عليهم من الحيطان وغيرها بشرٌ كثير ؛ ذُكر أنه بلغت عدّتهم خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين نفساً^(١) ؛ وكان عظم ذلك بالدامغان .

وذكر أنه كان بفارس وخراسان والشّام في هذه السنة زلازل وأصوات منكّرة ، وكان باليمن أيضاً مثل ذلك مع خسف بها^(٢) .

* * *

[ذكر خروج الروم من ناحية شمشاط]

وفيهما خرجت الروم من ناحية شمشاط بعد خروج عليّ بن يحيى الأرمني من الصّائفة حتى قاربوا آميد ، ثم خرجوا من الثغور الجزريّة ، فانتهبوا عدّة قرى ، وأسروا نحواً من عشرة آلاف إنسان ؛ وكان دخولهم من ناحية أبريق ؛ قرية قريباس ؛ ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم ، فخرج قريباس وعمر بن عبد الله الأقطع وقوم من المتطوعة في أثرهم ، فلم يلحقوا منهم أحداً ، فكتب إلى عليّ بن يحيى أن يسير إلى بلادهم شاتياً .

* * *

وفيهما قتل المتوكل عطارداً — رجلاً^(٣) كان نصرانياً فأسلم — فمكث مسلماً

(٢) ف : « كان فيها » .

(١) ف : « إنساناً » .

(٣) ف : « رجلاً عطارداً » .

سنين كثيرة ثم ارتدّ فاستُتِيب ، فأبى الرجوع إلى الإسلام ، فضُربت عنقه لليلتين خلتا من شوال ، وأُحرق بباب العامة .

وفي هذه السنة مات أبو حسان الزيادى قاضى الشرقيّة فى رجب .

وفيهما مات الحسن بن علىّ بن الجعد قاضى مدينة المنصور .

وحجّ بالناس فيها عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علىّ ؛ وهو والى مكة ^(١) .

١٤٣٥/٣

وحجّ فيها جعفر بن دينار وهو والى طريق مكة وأحداث الموسم .

(١) بعدها فى س : « وأحداث الموسم » .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان شخوص المتوكل إلى دمشق لعشر بقين من ذى القعدة ،
فضحى ببِلْد ؛ فقال يزيد بن محمد المهلبى حين خرج :

أظُنُّ الشَّامَ تَشَمَّتْ بِالْعِرَاقِ إِذَا عَزَمَ الْإِمَامُ عَلَى انْطِلَاقِ
فَإِنْ تَدَعِ الْعِرَاقَ وَسَاكِنِيهَا فَقَدْ تَبَلَّى الْمَلِيحَةُ بِالطَّلَاقِ

* * *

وفيهما مات إبراهيم بن العباس ، فولى ديوان الضياع الحسن بن مخلد بن
الجراح ، خليفة إبراهيم فى شعبان ، ومات هاشم بن بسنجور فى ذى الحجة .

* * *

١٤٣٦/٤

وحجَّ بالناس فيها عبد الصمد بن موسى .
وحجَّ جعفر بن دينار ، وهو والى طريق مكة وأحداث الموسم .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك دخول المتوكل دمشق في صفر ؛ وكان من لدن شخص من سامراً إلى أن دخلها سبعة وتسعون يوماً — وقيل سبعة وسبعون يوماً — وعزم على المقام بها ، ونقل دواوين الملك إليها ، وأمر بالبناء بها فتحرك الأتراك في أرزاقهم وأرزاق عيالاتهم ، فأمر لهم بما أرضاهم به . ثم استولأ البلد ؛ وذلك أن الهواء بها باردٌ نَدِيٌّ والماء ثَقِيلٌ ، والرياح تهبُّ فيها مع العصر ؛ فلا تزال تشتدُّ حتى يمضي عامة الليل ؛ وهي كثيرة البراغيث ، وغلَّت فيها الأسعار ، وحال الثلج بين السَّابِلَةِ والميرة .

* * *

وفيهما وجه المتوكل بُعَا من دمشق لغزو الروم في شهر ربيع الآخر ، فغزا الصائفة ، فاشتت صُمْلَتُهُ ، وأقام المتوكل بدمشق شهرين وأياماً ، ثم رجع إلى سامراً ، فأخذ في منصرفه على الفرات ، ثم عدل إلى الأنبار ، ثم عدل من الأنبار على طريق الحُرْفِ إليها ، فدخلها يوم الاثنين لسبع بقيين من جمادى الآخرة .

* * *

وفيهما عقد المتوكل^(١) لأبي الساج على طريق مكة مكان جعفر بن دينار — فيما زعم بعضهم — والصواب عندى أنه عقد له على طريق مكة في سنة ثنتين وأربعين ومائتين .

وفيهما أتى المتوكل — فيما ذكر — بحرية كانت للنبي صلى الله عليه وسلم تسمى العترة ؛ ذكر أنها كانت للنجاشي ملك الحبشة ، فوهبها للزبير بن العوام ، فأهداها الزبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكانت عند المؤذنين ، وكان يُمشى بها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العيدين ؛ وكانت

١٤٣٧/٣

تركز بين يديه في الفناء فيصلّي إليها^(١) فأمر المتوكل بحملها بين يديه؛ فكان يحملها بين يديه صاحب الشرطة ، ويحمل حربته خليفة صاحب الشرطة .

* * *

وفيها غضب المتوكل على بختيشوع ، وقبض ماله ، ونفاه إلى البحرين ، فقال أعرابي :

يا سَخْطَةً جَاءَتْ عَلَى مَقْدَارٍ ثَارَ لَهُ اللَّيْثُ عَلَى اقْتِدَارٍ
 مِنْهُ وَبَخْتِيشُوعُ فِي اغْتِرَارٍ لَمَّا سَعَى بِالسَّادَةِ الْأَقْمَارِ
 بِالْأَمْرَاءِ الْقَاذَةِ الْأَبْرَارِ وَلَاةِ عَهْدِ السَّيِّدِ الْمُخْتَارِ
 وَبِالْمَوَالِي وَبَنِي الْأَحْرَارِ رَمَى بِهِ فِي مُوحِشِ الْقِفَارِ
 * بِسَاحِلِ الْبَحْرَيْنِ لِلصُّغَارِ *

وفي هذه السنة اتفق عيد المسلمين الأضحى وشعانين النصارى وعيد الفطر لليهود .

وحجّ بالناس فيها عبد الصمد بن موسى .

(١) بعدها في ف : « في القضاء » .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر بناء الماحوزة]

ففيها أمر المتوكل ببناء الماحوزة، وسماها الجعفرى، وأقطع القواد وأصحابه فيها، وجدّ في بنائها، وتحول إلى الحمّدية ليتمّ أمر الماحوزة، وأمر بنقض القصر المختار والبديع، وحمل ساجهما إلى الجعفرى، وأنفق عليها - فيما قيل - أكثر من ألف دينار، وجمع فيها القُرّاء فقرءوا، وحضر^(١) أصحاب الملاحى فوهب لهم ألف درهم، وكان يسميها هو وأصحابه الخاصة المتوكلية، وبني فيها قصرًا سماه لؤلؤة، لم يُرَ مثله في غلوه، وأمر بحفر نهر يأخذ رأسه خمسة فراسخ فوق الماحوزة من موضع يقال له كرمى يكون شيربًا لما حولها من فوهة النهر إليها، وأمر بأخذ جبيلتنا والخصاصة العليا والسفلى وكرّمى، وحمل أهلها على بيع منازلهم وأرضهم، فأجبروا على ذلك حتى تكون الأرض والمنازل في تلك القرى كلها له، ويخرجهم عنها، وقد رلنهر من النفقة مائتى ألف دينار، وصيّر النفقة عليه إلى دليّل بن يعقوب النصرانى كاتب بغا في ذى الحجة من سنة خمس وأربعين ومائتين، وألقى في حفر النهر اثنى عشر ألف رجل يعملون فيه؛ فلم يزل دليّل يعمل فيه، ويحمل المال بعد المال^(٢) ويقسم عامته في الكتاب؛ حتى قتل المتوكل، فبطل النهر، وأخربت الجعفرية، ونقضت ولم يتمّ أمر النهر.

١٤٣٨/٣

١٤٣٩/٣

* * *

وزلزلت في هذه السنة بلاد المغرب حتى تهدمت الحصون والمنازل والقناطر؛ فأمر المتوكل بتفرقة ثلاثة آلاف درهم في الذين أصيبوا بمنازلهم، وزلزل عسكر

(٢) س : « الماء » .

(١) د : « وحضرها » .

المهدي ببغداد فيها ، وزلزلت المدائن ^(١) .

* * *

وبعث ملك الروم فيها بأسرى من المسلمين ؛ وبعث يسأل المفاداة بمن عنده ؛ وكان الذي قدم من قبيل صاحب الروم رسولا إلى المتوكل شيخاً يدعى أطروبيسليس معه سبعة وسبعون رجلا من أسرى المسلمين ، أهداهم ميخائيل ابن توفيل ملك الروم إلى المتوكل ، وكان قدومه عليه لخمس بقين من صفر من هذه السنة ، فأنزل على شنيف الخادم . ثم وجه المتوكل نصر بن الأزر الشيعي مع رسول صاحب الروم ، فشخص في هذه السنة ، ولم يقع الفداء إلا في سنة ست وأربعين .

وذكر أنه كانت في هذه السنة بأنطاكية زلزلة وزجفة في شوال ، قتلت خلقاً كثيراً ، وسقط منها ألف وخمسمائة دار ، وسقط من سورها نيف وتسعون برجاً ، وسمعوا أصواتاً هائلة لا يحسنون وصفها من كوى المنازل ، وهرب أهلها إلى الصحارى ، وتقطع جبلها الأقرع ، وسقط في البحر ؛ فهاج البحر في ذلك اليوم ؛ وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن ، وغار منها نهر على فرسخ لا يدرى أين ذهب .

١٤٤٠/٣

وسمع فيها - فيما قيل - أهل تينيس في مصر ضجة دائمة هائلة ، فمات منها خلق كثير .

وفيهما زلزلت بالس والرقّة وحرّان ورأس عين وحمص ودمشق والرّها وطرسوس والمصيصة وأذنة ^(٢) وسواحل الشام . ورجفت اللاذقية ، فما بقي منها منزل ، ولا أفلت من أهلها إلا اليسير ، وذهبت جبلة بأهلها .

وفيهما غارت مشاش - عين مكة - حتى بلغ ثمن القربة بمكة ثمانين درهماً ، فبعثت أم المتوكل فأنفقت ^(٣) عليها .

وفيهما مات إسحاق بن أبي إسرائيل وسوار بن عبد الله وهلال الرازي

* * *

(٢) ط : « أدنه » ، صوابه من د .

(١) ف : « الميادين » .

(٣) ط : « فأنفق » ، وما أثبت من ا

[ذكر الخبر عن هلاك نجاح بن سلمة]

وفيهما هلك نجاح بن سلمة .

• ذكر الخبر عن سبب هلاكه :

حدثني الحارث بن أبي أسامة ببعض ما أنا ذاكره من أخباره وبعض ذلك غيره ؛ أن نجاح بن سلمة كان على ديوان التوقيع والتبضع على العمال ، وكان قبل ذلك كاتب إبراهيم بن رباح الجوهري ؛ وكان على الضياع ؛ فكان جميع العمال يتفقونه ويقضون حوائجه ؛ ولا يقدرّون على منعه من شيء يريد ؛ وكان المتوكل ربما نادمه ، وكان انقطاع الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان وهو وزير المتوكل ؛ وكانا يحملان إليه كل ما يأمرهما ^(١) به ، وكان الحسن بن مخلد على ديوان الضياع ، وموسى على ديوان الخراج ؛ فكتب نجاح بن سلمة رقعة إلى المتوكل في الحسن وموسى يذكر أنهما قد خانا وقصرا فيما هما بسبيله ؛ وأنه يستخرج منهما أربعين ألف ألف درهم ؛ فأدناه المتوكل وشاربه تلك العشيّة ، وقال : يا نجاح ؛ خذ الله من يخذلك ، فبكر إلى غدا حتى أدفعهما إليك ؛ فغدا وقد رتب أصحابه ، وقال : يا فلان خذ أنت الحسن ، ويا فلان خذ أنت موسى ؛ فغدا نجاح إلى المتوكل ، فلقى ^(٢) عبيد الله ، وقد أمر عبيد الله أن يحجب نجاح عن المتوكل ؛ فقال له : يا أبا الفضل ، انصرف حتى ننظر وتنظر في هذا الأمر ؛ وأنا أشير عليك بأمر لك فيه صلاح ؛ قال : وما هو ؟ قال : أصليح بينك وبينهما ؛ وتكتب رقعة تذكر فيها أنك كنت شارباً ، وأنت تكلمت بأشياء تحتاج إلى معاودة النظر فيها ، وأنا أصليح الأمر عند أمير المؤمنين ؛ فلم يزل يخدعه حتى كتب رقعة بما أمره به ، فأدخلها على المتوكل ، وقال : يا أمير المؤمنين قد رجع نجاح عما قال البارحة ؛ وهذه رقعة موسى والحسن يتقبلان به بما كتبنا ؛ فتأخذ ما ضمننا عنه ، ثم تعطف عليهما ، فتأخذ منهما قريباً مما ضمن لك عنهما .

فسر المتوكل ، وطمع فيما قال له عبيد الله ، فقال : ادفعه إليهما ؛

١٤٤١/٣

١٤٤٢/٣

(٢) ف : « وقد لقي » .

(١) ف : « يأمر » .

فانصرفا به ؛ وأمرأ بأخذ قلنسوته عن رأسه وكانت خَزًّا ، فوجد البرد ، فقال :
ويحك يا حسن ! قد وجدت البرد ؛ فأمر بوضع قلنسوته على رأسه ، وصار به
موسى إلى ديوان الخراج ، ووجهها إلى ابنه أبي الفرج وأنى محمد ، فأخذه أبو الفرج
وهرب أبو محمد ، ابن بنت حسن بن شنيف ، وأخذ كاتبه إسحاق بن سعد بن
مسعود القُطْرَبِلِّيَّ وعبد الله بن مخلد المعروف بابن البواب - وكان انقطاعه إلى
نجاح - فأقرّهما نجاح وابنه بشحو من مائة وأربعين ألف دينار سوى قيمة
قصورهما وفرشتهما ومستغلاتهما بسامراً وبغداد ، وسوى ضياع لهما كثيرة ،
فأمر بقبض ذلك كله ، وضرب مراراً بالمقارع في غير موضع الضرب نحواً
من مائتي متّقرعة ، وغُمز وخُنِيق ، خنقه موسى الفرائق والمعلوف .

فأما الحارث فإنه قال : عصر خصيته حتى مات ؛ فأصبح ميتاً يوم
الاثنين لثمان بقين من ذى القعدة من هذه السنة ، فأمر بغسله ودفنه ، فدفن
ليلاً ؛ وضرب ابنه محمد وعبد الله بن مخلد وإسحاق بن سعد نحواً من خمسين
خمسین ، فأقرّ إسحاق بخمسين ألف دينار ، وأقرّ عبد الله بن مخلد بخمسة
عشر ألف دينار - وقيل عشرين ألف دينار .

وكان ابنه أحمد ابن بنت حسن قد هرب فظفر به بعد موت نجاح ،
فحبس في الديوان ، وأخذ جميع ما في دار نجاح وابنه أبي الفرج من متاع ،
وقبضت دورهما وضياعهما حيث كانت وأخرجت عيالههما ، وأخذ وكيله بناحية
السّواد ؛ وهو ابن عياش ، فأقرّ بعشرين ألف دينار . وبعث إلى مكة في طلب
الحسن بن سهل بن زوح الأهوازي وحسن بن يعقوب البغدادي ، وأخذ بسببه
قوم فحبسوا .

وقد ذكر في سبب هلاكه غير ما قد ذكرناه ، ذكر أنه كان يضادّ
عبيد الله بن يحيى بن خاقان - وكان عبيد الله متمكناً من المتوكل ، وإليه
الوزارة وعامة أعماله ؛ وإلى نجاح توقيع العامة - فلما عزم المتوكل على بناء
الجعفرى قال له نجاح - وكان في الندماء^(١) - يا أمير المؤمنين ؛ أستمى

(١) ف : « في نداء أمير المؤمنين » .

لك قومًا تدفعهم^(١) إلىّ حتى أستخرج لك منهم أموالاً تبني بها مدينتك هذه؛ إنه يلزمك من الأموال في بنائها ما يعظم قدره ، ويجلّ ذكره . فقال له : سمّهم ، فرفع رقعة يذكر فيها موسى بن عبد الملك وعيسى بن فرّخان شاه خليفة الحسن بن مخلد ، والحسن بن مخلد وزيدان بن إبراهيم ، خليفة موسى بن عبد الملك ، وعبيد الله بن يحيى وأخويه : عبد الله بن يحيى وزكرياء ، وميمون بن إبراهيم ومحمد بن موسى المنجم وأخاه أحمد بن موسى ؛ وعلى بن يحيى بن أبي منصور وجعفر المملوك مستخرج ديوان الخراج وغيرهم نحواً من عشرين رجلاً ؛ فوقع ذلك من المتوكل موقعاً أعجبه ، وقال له : اغدُ غدوةً ، فلما أصبح لم يشكّ في ذلك . وناظر عبيد الله بن يحيى المتوكل ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، أراد ألاّ يدع كاتباً ولا قائداً إلاّ أوقع بهم ؛ فمن يقوم بالأعمال يا أمير المؤمنين ! وغدا نجاح ؛ فأجلسه عبيد الله في مجلسه ، ولم يؤذن له ، وأحضر موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد ، فقال لهما عبيد الله : إنه إن دخل إلى أمير المؤمنين دفعكمُا إليه فقتلكما وأخذ ما تملكان ؛ ولكن اكتبان^(٢) إلى أمير المؤمنين رُقعة تقبلان به فيها بألف دينار ؛ فكتبنا رُقعة بخطوطهما ، وأوصلها عبيد الله ابن يحيى ، وجعل يختلف بين أمير المؤمنين ونجاح وموسى بن عبد الملك والحسن ابن مخلد ؛ فلم يزل يدخل ويخرج ويعين موسى والحسن ؛ ثم أدخلهما على المتوكل ، ففضمنا ذلك ؛ وخرج معهما فدفعه إليهما جميعاً ؛ والناس جميعاً الخواص والعوام ؛ وهما لا يشكّان أنهما وعبيد الله بن يحيى مدفوعون إلى نجاح ؛ للكلام الذي دار بينه وبين المتوكل ، فأخذه ، وتولى تعذيبه موسى بن عبد الملك ، فحبسه في ديوان الخراج بسامراً^(٣) ، وضربه دِراً وأمر المتوكل بكتابه إسحاق ابن سعد — وكان يتولى خاصّ أموره وأمر ضياع بعض الولد — أن يغرم واحداً وخمسين ألف دينار ، وحلّف على ذلك ، وقال : إنه أخذ مني في أيام الواصل وهو يخلف عن عمر بن فرج خمسين ديناراً ؛ حتى أطلق أرزاقى ، فخذوا لكل دينار ألفاً وزيادة ألف فضلاً كما أخذ فضلاً . فحبس ونجّم عليه في ثلاثة

(١) ف : « أسمى لك أقواماً حتى تدفعهم » . (٢) ف : « اكتبنا » .

(٣) ف : « في سامرا » .

أنجم ؛ ولم يطلّق حتى أدّى تعجيلَ سبعة عشر ألف دينار ، وأطلق بعد أن أخذ منه كُفلاءً بالباقي ، وأخذ عبدالله بن مخلّد ، فأغرم سبعة عشر ألف دينار . ووجه عبید الله الحسين بن إسماعيل - وكان أحد حجاب المتوكل - وعتاب ابن عتاب عن رسالة المتوكل أن يضرب نجاح خمسين مقرة إن هو لم يقرّ ويؤدّ ما وُصف عليه ، فضربه ثم عاوده ^(١) في اليوم الثاني بمثل ذلك ، ثم عاوده ١٤٤٦/٣ في اليوم الثالث بمثل ذلك ؛ فقال : أبلغ أمير المؤمنين أني ميت . وأمر موسى ابن عبد الملك جعفر المألوف ومعه عونان من أعوان ديوان الخراج ، فعصروا مذاكيره حتى برد فمات . وأصبح فركب إلى المتوكل فأخبره بما حدث من وفاة نجاح ، فقال لهما المتوكل : إني أريد مالي الذي ضمنته ، فاحتالاه ، فقبضا من أمواله وأموال ولده جملة ، وحبسأ أبا الفرج - وكان على ديوان زمام الضياع من قبل أبي صالح بن يَزْدَاد - وقبضا أمتعته كلها وجميع ملكه ، وكتبأ على ضياعه لأُمير المؤمنين ، وأخذأ ما أخذأ من أصحابه ؛ فكان المتوكل كثيرأ ما يقول لهما كلّمأ شرب : ردّأ وأعلى كاتبي ؛ وإلا فهانوا المال ؛ وضمّ توقيع ديوان العامة إلى عبید الله بن يحيى ، فاستخلف عليه يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان ، ابن عمّه ، ومكث موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلّد على ذلك يطالبهما المتوكل بالأموال التي ضمنها من قبل نجاح ؛ فما أتى على ذلك إلا يسيراً حتى ركب موسى بن عبد الملك يشيّع المنتصر من الجعفرى ، وهو يريد سامراً إلى منزله الذي ينزله بالجوسق ؛ فبلغه معه ساعة ، ثم انصرف راجعأ ^(٢) ؛ فبينأ هو يسير إذ صاح بمن معه : خذونى ، فبدروه فسقط على أيديهم مفلوجأ ، فحمل ١٤٤٧/٣ إلى منزله ، فكث يومه وليلته ، ثم توفى ، فصيرّ على ديوان الخراج أيضاً عبید الله ابن يحيى بن خاقان ، فاستخلف عليه أحمد بن إسرائيل كاتب المعتز ؛ وكان أيضاً خليفته على كتابة المعتز فقال القصّافى :

مَا كَانَ يَخْشَى نَجَاحَ صَوْلَةِ الزَّمَنِ حَتَّى أُدِيلَ لِمُوسَى مِنْهُ وَالْحَمَنِ
غداً عَلَى نَعَمِ الْأَحْرَارِ يَسْلُبُهَا فَرَاخٌ وَهُوَ سَلِيبُ الْمَالِ وَالْبَدَنِ

(١) ف : « ثم ضربه وعاوده » . (٢) ف : « ثم رجع منصورأ » .

وفيهما ضُرب بِخَنْتِشُوعِ الْمُطَبِّبِ مائة وخمسين مِقرعة ، وأثْقِلَ بالحديد ،
وحَبِسَ فِي الْمَطْبَقِ فِي رَجَب .

* * *

[غارة الروم على سَمِيساط]

وفيهما أَغارَت الروم على سَمِيساط ، فقتلوا وسبوا نحواً من خمسمائة .

وغزا علىّ بن يحيى الأرمَنِيّ الصائفة ومنع أهل لؤلؤة رئيسهم من الصعود
إليها ثلاثين يوماً ، فبعث ملك الروم إليهم بِبطريقاً يضمن لكلّ رجل منهم ١٤٤٨/٣
ألف دينار ، على أن يسلموا إليه لؤلؤة ، فأصعدوه إليهم ثم أعطوا أرزاقهم
الفائتة وما أرادوا ، فسَلَّموا لؤلؤة والبطريق إلى بَلْمُكاجُور في ذى الحجة ؛ وكان
البطريق الذي كان صاحب الروم وجهه إليهم يقال له لُغْثِيط ، فلما دفعه أهل
لؤلؤة إلى بَلْمُكاجُور . وقيل : إن علىّ بن يحيى الأرمَنِيّ حمّله إلى المتوكل إلى
الفتح بن بخاقان ، فعرض عليه الإسلام فأبى ، فقالوا : نقتلك ، فقال : أنتم
أعلم ؛ وكتب ملك الروم يَبْذُل مكانه ألف رجل من المسلمين .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم
الإمام ، وهو يعرف بالزَيْنِيّ ؛ وهو والى مكة .

وكان نيروز المتوكل الذي أرفق أهل الخراج بتأخيره إياه عنوم فيها يوم
السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، ولسبع عشرة ليلة خلت
من حَزْرِيَّان ولثان وعشرين من أرديوهشت ماه ، فقال البحرى الطائى :

إِنَّ يَوْمَ النَّيْرُوزِ عَادَ إِلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ سَنَهُ أَرْدَشِير^(١)

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزو عمر بن عبد الله الأقطع الصائفة ، فأخرج سبعة آلاف ١٤٤٩/٣ رأس . وغزوة قريباس ، فأخرج خمسة آلاف رأس ، وغزو الفضل بن قارن بخرآ في عشرين مركباً؛ فافتتح حصن أنطالية . وغزوة بلكاجور فغنم وسبي . وغزو علي بن يحيى الأرمني الصائفة ، فأخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك^(١) والحمر نحواً من عشرة آلاف .

وفيهما تحول المتوكل إلى المدينة التي بناها الماحوزة ، فنزلها يوم عاشوراء من هذه السنة .

* * *

[ذكر خبر الفداء بين الروم والمسلمين في هذه السنة]

وفيهما كان الفداء في صفر على يدى علي بن يحيى الأرمني ، فقُودى بألفين وثلاثمائة وسبعة وستين نفساً . وقال بعضهم : لم يتم الفداء في هذه السنة إلا في جمادى الأولى .

وذكر عن نصرين الأزهر الشيعي — وكان رسول المتوكل إلى ملك الروم في أمر الفداء — أنه قال : لما صرتُ إلى القسطنطينية حضرت دارميخائيل الملك بسوادى وسيفي وخينجري وقلنسوقي ، فجرت بيني وبين خال الملك بطرناس المناظرة — وهو القيم بشأن الملك — وأبوا أن يدخلوني بسيفي وسوادى ، فقلت : أنصرف ، فانصرفت فرُدِدْتُ من الطريق ومعى الهدايا^(٢) نحو من ألف نافجة ١٤٥٠/٣ مسك وثياب حرير وزعفران كثير وطرائف ؛ وقد كان أذن لوفود بُرجان وغيرهم ممن ورد عليه ، وحملت الهدايا التي معي ، فدخلت عليه ؛ فإذا هو على

(١) الرمك ، محرقة : الفرس والبرذونة تتخذ للنمل .

(٢) ف : « هدايا » .

سرير فوق سرير ، وإذا البطارقة حوله قيام ، فسلمت ثم جلست على طرف السرير الكبير ، وقد هَيَّئْتُ لى مجلس ، ووضعت الهدايا بين يديه ، وبين يديه ثلاثة تراجمة : غلام فرّاش كان لمسرور الخادم ، وغلام لعباس بن سعيد الجوهري ، وترجمان له قديم يقال له سُرحُون ؛ فقالوا لى : ما نبلّغه ؟ قلت : لا تزيدون على ما أقول لكم شيئاً ؛ فأقبلوا يترجمون ما أقول ، فقبل الهدايا ولم يأمر لأحد منها بشيء ، وقربنى وأكرمنى ، وهَيَّأ لى منزلاً بقربه ؛ فخرجت فنزلت فى منزلى ، وأتاه أهل لؤلؤة برغبتهم فى النصرانية ، وأنهم معه ، ووجهوا برجلين مَمَّن فيها رهينة من المسلمين .

قال : فتغافل عني نحواً من أربعة أشهر ؛ حتى أتاه كتاب مخالفة أهل لؤلؤة ، وأخذهم رسله واستيلاء العرب عليها ؛ فراجعوا مخاطبتي ، وانقطع الأمر بينى وبينهم فى الفداء ؛ على أن يعطوا جميع مَن عندهم وأعطي جميع مَن عندي ؛ وكانوا أكثر من ألف قليلا ؛ وكان جميع الأسرى الذين فى أيديهم أكثر من ألفين ؛ منهم عشرون امرأة ؛ معهن عشرة من الصبيان ، فأجابونى إلى المخالفة ؛ فاستحلفت خالته ، فحلف عن ميخائيل ، فقلت : أيتها الملك قد حلف لى خالك ؛ فهذه اليمين لازمة لك ؟ فقال برأسه : نعم ، ولم أسمع به يتكلم بكلمة منذ دخلت بلاد الروم إلى أن خرجت منها ، إنما يقول الترجمان وهو يسمع ، فيقول برأسه : نعم أولاً ، وليس يتكلم وخالته المدبّر أمره ، ثم خرجت من عنده بالأسرى بأحسن حال ؛ حتى إذا جئنا موضع الفداء أطلقنا هؤلاء جملة هؤلاء جملة ؛ وكان عِداد مَن صار فى أيدينا من المسلمين أكثر من ألفين منهم عدة ممن كان تنصّر وصار فى أيديهم أكثر من ألف قليلا ؛ وكان قوم تنصّروا ؛ فقال لهم ملك الروم : لا أقبل منكم حتى تبلغوا موضع الفداء ، فمن أراد أن أقبله فى النصرانية فليرجع من موضع الفداء ؛ وإلا فليضمن ويمض مع أصحابه ؛ وأكثر من تنصّر أهل المغرب ، وأكثر من تنصّر بالقسطنطينية ؛ وكان هنالك صائغان قد تنصّرا ، فكانا يحسنان إلى الأسرى ؛ فلم يبق فى بلاد الروم من المسلمين ممن ظهر عليه الملك إلا سبعة نفر ، خمسة أتى بهم من سقليّة ، أعطيت فداءهم على أن يوجه بهم إلى سقليّة ، ورجلان كانا من رهائن لؤلؤة ،

فركنتهما ، [و] ^(١) قلت : اقتلوهما ، فإنهما رغباً في النصرانية .

ومُطَرُّ أهلُ بغداد في هذه السنة واحداً وعشرين يوماً في شعبان ورمضان ؛ حتى نبت العشب فوق الأجاجير .

وصلَّى المتوكلُ فيها صلاة الفطر بالجعفرية ، وصلى عبد الصمد بن ١٤٥٢/٣ موسى في مسجد جامعها ، ولم يصلَّ بسامراً أحد .
وورد فيها الخبر أنَّ سكة بناحية بملسخ تنسب إلى الدَّهَّاقين مُطَرَّت دماً عبيطاً .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن سليمان الزينبي .

وحجَّ فيها محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ فولى أعمال الموسم .

وضحَّى أهل سامراً فيها يوم الاثنين على الرؤية وأهل مكة يوم الثلاثاء .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل المتوكل]

فمّا كان فيها من ذلك مقتل المتوكل .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف قتل :

قال أبو جعفر : « ذكر لي أنّ سبب ذلك كان أنّ المتوكل كان أمر بإنشاء الكتب بقبض ضياع وصيف بأصبهان والجبل وإقطاعها الفتح بن خاقان ؛ فكُتِبَت الكتب بذلك ، وصارت إلى الخاتم على أن تنفذ ^(١) يوم الخميس لحمس خلون من شعبان ؛ فبلغ ذلك وصيفاً ، واستقرّ عنده الذي أمر به في أمره ؛ وكان المتوكل أراد أن يُصَلِّيَ بالناس يوم الجمعة في شهر رمضان في آخر جمعة منه ؛ وكان قد شاع في الناس في أوّل رمضان أنّ أمير المؤمنين يصلي في آخر جمعة من الشهر بالناس ، فاجتمع الناس لذلك واحتشدوا ، وخرج بنو هاشم من بغداد لرفع القيصر وكلامه إذا هو ركب ^(٢) . فلما كان يوم الجمعة أراد الركوب للصلاة ، فقال له عبيد الله بن يحيى والفتح بن خاقان : يا أمير المؤمنين ، إنّ الناس قد اجتمعوا وكثروا ؛ من أهل بيتك وغيرهم ؛ وبعض متظلم وبعض طالب حاجة ؛ وأمير المؤمنين يشكو ضيق الصدر وعكة ^(٣) ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بعض ولاية العهود بالصلاة ، ونكون معه جميعاً فليفعل . فقال : قد رأيتُ ما رأيتم ؛ فأمر المنتصر بالصلاة ، فلمّا نهض المنتصر ليركب للصلاة قال : يا أمير المؤمنين ؛ قد رأينا رأياً ؛ وأمير المؤمنين أعلّى عيناً ، قال : وما هو ؟ اعرضاه عليّ ، قال : يا أمير المؤمنين ، مرّ أبا عبد الله المعترّ بالله الصلاة

١٤٥٣/٣

(٢) س : « راكب » .

(١) كذا في ١د ، وفي ط : « تنقدم » .

(٣) ١د ، وابن الأثير : « وعلة » .

لتشرّفه بذلك في هذا اليوم الشريف ؛ فقد اجتمع أهل بيته ؛ والناس جميعاً
فقد بلغ الله به .

قال : وقد كان ولد للمعتز قبل ذلك بيوم ؛ فأمر المعتز ، فركب وصلى
بالناس ، فأقام المنتصر في منزله — وكان بالجعفرية ^(١) — وكان ذلك مما زاد
في إغرائه به ؛ فلما فرغ المعتز من خطبته قام إليه عبيد الله بن يحيى والفتح بن
خاقان ، فقبلاً يديه ورجليه ، وفرغ المعتز من الصلاة ، فأنصرف وانصرفا
معه ؛ ومعهم الناس في موكب الخلافة ، والعالم بين يديه ؛ حتى دخل على أبيه
وهما معه ؛ ودخل معه داود بن محمد بن أبي العباس الطوسي ، فقال داود :
يا أمير المؤمنين ، ائذن لي فأتكلم ، قال : قل ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ؛
لقد رأيت الأمين والمأمون ورأيت ^(٢) المعتصم صلوات الله عليهم ، ورأيت الواثق
بالله ؛ فوالله ما رأيت رجلاً على منبر أحسن قواماً ، ولا أحسن يديه ، ولا أجهر
صوتاً ، ولا أعذب لساناً ، ولا أخطب من المعتز بالله ، أعزه الله يا أمير المؤمنين
ببقائك ، وأمتعك الله وإيانا بحياته ! فقال له المتوكل : أسمعك الله خيراً ، وأمتعنا
بك ؛ فلما كان يوم الأحد ؛ وذلك يوم الفِطر وجد المتوكل فترة ، فقال :
مُرّوا المنتصر فليصل بالناس ، فقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان : يا أمير المؤمنين ؛
قد كان الناس تطلعوا إلى رؤية أمير المؤمنين في يوم الجمعة فاجتمعوا
واحتشدوا ، فلم يركب أمير المؤمنين ؛ ولا نأمن إن هو لم يركب أن يرجف
الناس بعلته ، ويتكلموا في أمره ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يسرّ الأولياء
ويكسب الأعداء بركوبه فعل . فأمرهم بالتأهب والتهيؤ لركوبه ؛ فركب فصلى
بالناس وأنصرف إلى منزله ، فأقام يومه ذلك ومن الغد لم يدع بأحد ^(٣) من ندماائه .

وذكر أنه ركب يوم الفِطر ؛ وقد ضربت له المصاف نحواً من أربعة
أميال ؛ وترجل الناس بين يديه ، فصلّى بالناس ، ورجع إلى قصره ، فأخذ
حِفْنة من تراب ، فوضعها على رأسه ، فقليل له في ذلك ، فقال : إنني رأيتُ

(٢) ساقطة من ط .

(١) ف : « بداره في الجعفرية »

(٣) ف : « أحدا » .

١٤٥٥/٣

كثرة هذا الجمع ، ورأيتهم تحت يدي ، فأحببت أن أتواضع لله عز وجل ؛ فلمّا كان من غد يوم الفطر لم يدعُ بأحد من ندمائه ؛ فلما كان اليوم الثالث وهو يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال - أصبح نشيطاً فرحاً مسروراً ، فقال : كأني أجد مسّ الدم ، فقال الطيّفُوري وابن الأبرش - وهما طبيباہ : يا أمير المؤمنين ، عزم الله لك على الخير ؛ افعل ، ففعل ؛ واشتهى لحم جزور ، فأمر به فأحضر بين يديه ، فاتّخذ به يده .

وذكر عن ابن الحفصيّ المغني أنه كان حاضر المجلس ، قال ابن الحفصيّ : وما كان أحدٌ ممن يأكل [بين يديه] ^(١) حاضرًا غيري وغير عشعث وزُناّم وبُنان غلام أحمد بن يحيى بن معاذ ؛ فإنه جاء مع المنتصر . قال : وكان المتوكل والفتح بن خاقان يأكلان معاً ، ونحن في ناحية بلزائهم والندماء مفترقون في حجرهم ؛ لم يدع بأحد منهم بعد . قال ابن الحفصيّ : فالتفت إلى أمير المؤمنين ، فقال : كل أنت وعشعث بين يدي . ويأكل معكما نصر بن سعيد الجيهنبي ؛ قال : فقلت : يا سيدي ، نصر والله يأكلني ، فكيف ما يوضع بين أيدينا ! فقال : كلوا بحياي ؛ فأكلنا ثم علّقنا أيدينا بحذائيه . قال : فالتفت أمير المؤمنين التفاتةً ، فنظر إلينا معلقَي الأيدي ، فقال : ما لكم لا تأكلون ؟ قلت : يا سيدي ، قد نفد ما بين أيدينا ؛ فأمر أن يُزاد ، فغُرِفَ لنا من بين يديه .

١٤٥٦/٣

قال ابن الحفصيّ : ولم يكن أمير المؤمنين في يوم من الأيام أسرّ منه في ذلك اليوم . قال : وأخذ مجلسه ، ودعا بالندماء والمغنيين فحضرُوا ، وأهدت إليه قبيحة أمّ المعتز مطرّف خزّ أخضر ؛ لم ير الناس مثله حسناً ، فنظر إليه فأطال النظر ^(٢) ، فاستحسنه وكثر تعجّبه منه ، وأمر به فقطع نصفين ، وأمر برده عليها ^(٣) ، ثم قال لرسولها : أذكّرْتَنِي به ، ثم قال : والله إن نفسي لتحدّثني أني لا ألبسه ، وما أحبّ أن يلبسه أحد بعدي ، وإنما أمرت بشقّه لثلاث يلبسه أحد بعدي ^(٤) ، فقلنا له : يا سيّدنا ، هذا يوم سرور

(٢) ف : « فأطال النظر إليه » .

(٤) ف : « غيري » .

(١) تكلمة من أ .

(٢) ف : « إليها » .

يا أمير المؤمنين نعيذك بالله أن تقول هذا يا سيّدنا ، قال : وأخذ في الشراب واللهو ، ولهج بأن يقول ^(١) : أنا والله مفارقةكم عن قليل ، قال : فلم يزل في لهوه وسروره إلى الليل .

وذكر بعضهم أن المتوكل عزم هو والفتح أن يصيّرا غداءهما عند عبد الله ابن عمر البازيار يوم الخميس لحمس ليال خلدون من شوال ؛ على أن يفتك بالمنتصر ، ويقتل وصيفا وبُغَا وغيرهما من قُوَاد ^(٢) الأتراك ووجوههم ؛ فكثّر عبثُه يوم الثلاثاء قبل ذلك بيوم - فيما ذكر ابن الحفصيّ - بأبنة المنتصر مرة يشتمه ، ومرة يسقيه فوق طاقته ، ومرة يأمر بصفعه ، ومرة يتهدّده بالقتل .

فذكر عن هارون بن محمد بن سليمان الهاشميّ أنه قال : حدثني بعض من كان في الستارة من النساء ، أنه التفت إلى الفتح ، فقال له : برئت من الله ومن قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم تلطِمْه - يعني المنتصر - فقام الفتح ولطِمْه مرتين ؛ يمرّ يده على قفاه ، ثم قال المتوكل لمن حضر : اشهدوا جميعاً أنّي قد خلعتُ المستعجل - المنتصر - ثم ألتفت إليه ، فقال : سميتُك المنتصر ، فسَمّاك الناس لحملك المنتظر ، ثم صرت الآن المستعجل ، فقال المنتصر : يا أمير المؤمنين ، لو أمرت بضرب عنق كان أسهلّ علىّ مما تفعله بي ، فقال : اسقوه ، ثم أمر بالعشاء فأحضر وذلك في جوف الليل ، فخرج المنتصر من عنده ، وأمر بُنْثَانًا غلام أحمد ابن يحيى أن يلحقه ؛ فلما خرج وضعت المائدة بين يدي المتوكل ، وجعل يأكلها ويلقم وهو سكران .

وذكر عن ابن الحفصيّ أن المنتصر لما خرج إلى حُجْرته أخذ بيد زرافة ، فقال له : امض معي ، فقال : يا سيّدِي ؛ إن أمير المؤمنين لم يقم ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أخذه التبيد ، والساعة يخرج بُغَا والندماء ؛ وقد أحببت أن تجعل أمر ولدك إلىّ ، فإن أوتامش سألتني أن أزوّج ابنته من ابنتك ، وابنتك من ابنته ، فقال له زرافة : نحن عبيدك يا سيّدِي ، فرنا بأمرك . وأخذ المنتصر

(٢) ف : « القواد » .

(١) كذا في أ ، وفي س : « يقول » .

بيده وانصرف به معه . قال : وكان زُرَافَة قد قال لى قبل ذلك : ارفق بنفسك ، فإن أمير المؤمنين سكران والساعة يُفَتِّقُ ^(١) ، وقد دعانى تمره ، وسألنى أن أسألك أن تصير إليه فنصير جميعاً إلى حجرته . قال : فقلت له : أنا أتقدمك إليه ، قال : ومضى زُرَافَة مع المنتصر إلى حجرته .

فذكر بُنان غلام أحمد بن يحيى أن المنتصر قال له : قد أملكْتُ ابن زُرَافَة من ابنة أوتامش وابن أوتامش من ابنة زُرَافَة ؟ قال بُنان : فقلت للمنتصر : يا سيدى ، فأين النثار فهو يُحَسِّنُ الإملاك ؟ فقال : غداً إن شاء الله ؛ فإنَّ الليل قد مضى . قال : وانصرف زُرَافَة إلى حجرة تمره ، فلما دخل دعا بالطعام فأتى به ، فما أكل إلا أيسر ذلك حتى سمعنا الضجة والصراخ ؛ فقمنا ، فقال بنان : فما هو إلا أن خرج زُرَافَة من منزل تمره ؛ إذا بُغَا استقبل المنتصر ، فقال المنتصر : ماهذه الضجة ؟ قال : خيراً يا أمير المؤمنين ، قال : ما تقول ، ويلك ! قال : أعظم الله أجرك فى سيدنا أمير المؤمنين ! كان عبداً لله دعاه فأجابه ، قال : فجلس المنتصر ؛ وأمر بباب البيت الذى قُتِلَ فيه المتوكل والمجلس ، فأغلق وأغلقت الأبواب كلها ، وبعث إلى وصيف يأمره بإحضار المعتز والمؤيد عن رسالة المتوكل .

١٤٥٩/٣

وذكر عن عَشَعَتْ أن المتوكل دعا بالمائدة بعد قيام المنتصر وخروجه ومعه زُرَافَة ، وكان بُغَا الصغير المعروف بالشرابى قائماً عند السُر ؛ وذلك اليوم كان نوبة بُغَا الكبير فى الدار ؛ وكان خليفته فى الدار ابنه موسى — وموسى هذا هو ابن خالة المتوكل ، وبُغَا الكبير يومئذ بِسُمِّيَ سَاط — فدخل بُغَا الصغير إلى المجلس ، فأمر الندماء بالانصراف إلى حُجُورهم ، فقال له الفتح : ليس هذا وقت انصرافهم ، وأمير المؤمنين لم يرتفع ، فقال له بغا : إن أمير المؤمنين أمرنى إذا جاوز السبعة ألا أترك فى المجلس أحداً ، وقد شُرِّبَ أربعة عشر رطلاً ، فكره الفتح قيامهم ، فقال له بغا : إن حُرِّمَ أمير المؤمنين خُلف الستارة ، وقد سكر ، فقوموا فاخرجوا ، فخرجوا جميعاً ، فلم يبق إلا الفتح وعشعث وأربعة من خدام الخاصة ؛ منهم ^(٢) شفيع وفرج الصغير ومؤنس وأبو عيسى مارد

المحرزي . قال : ووضع الطباخ المائدة بين يدي المتوكل ، فجعل يأكل ويلقم ، ويقول للمارد : كل معي حتى أكل بعض طعامه وهو سكران ، ثم شرب أيضاً بعد ذلك .

فذكر عثعث أن أبا أحمد بن المتوكل أخا المؤيد لأمه - كان معهم في المجلس ، فقام إلى الخلاء ، وقد كان بغا الشراي أغلق الأبواب كلها غير باب الشط ، ومنه دخل القوم الذين عيّنوا لقتله ، فبصر بهم أبو أحمد ، فصاح بهم : ما هذا يا سفل ! وإذا بسيوف مسئلة ^(١) ، قال : وقد كان تقدّم النفر الذين تولوا قتله بغلون التركي وباجر وموسى بن بغا وهارون بن صوار تكين وبغا الشراي ؛ فلما سمع المتوكل صوت أبي أحمد رفع رأسه ، فرأى القوم ، فقال : يا بغا ، ما هذا ؟ قال : هؤلاء رجال النوبة التي تبيت على باب سيدي أمير المؤمنين ، فرجع القوم إلى ورائهم عند كلام المتوكل لبغا ؛ ولم يكن واجن وأصحابه وولد وصيف حضروا معهم بعد . قال عثعث : فسمعت بغا يقول لهم : يا سفل ، أنتم مقتولون لا محالة ، فوئوا كراماً ؛ فرجع القوم إلى المجلس ، فابتدره بغلون فضربه ضربة على كتفه وأذنه فقدّه ، فقال : مهلا قطع الله يدك ! ثم قام وأراد الوثوب به ، فاستقبله بيده فأبانها ، وشركه باغر ، فقال الفتح : ويلكم ، أمير المؤمنين ! فقال بغا : يا حلفتي ، لا تسكّتي ! فرمى الفتح بنفسه على المتوكل ، فبجعه هارون سيفه ، فصاح : الموت ! واعتوره هارون وموسى بن بغا بأسيا فهما ، فقتلاه وقطعاه ، وأصاب عثعث ضربة في رأسه . وكان مع المتوكل خادم صغير ، فدخل تحت الستارة ، فنجأ ، وتهارب ^(٢) الباؤون . قال : وقد كانوا قالوا لوصيف في وقت ^(٣) ما جاءوا إليه : كن معنا فإننا نتخوف ألا يتم ما نريد فنقتل ، فقال : لا بأس عليكم ، فقالوا له : فأرسل معنا بعض وللك ، فأرسل معهم خمسة من ولده : صالحاً ، وأحمد ، وعبد الله ، ونصرأ ، وعبيد الله ؛ حتى صاروا إلى ما أرادوا .

وذكر عن زرقان خليفة زرافة على البوابين وغيرهم أن المنتصر لما أخذ بيد

(١) ف : « بسيوف مسئلة » . (٢) د ، ا : « وتطايير » ، ف : « وتهارب » .

(٣) ف : « عندما » .

زرافة فأخرجه من الدّار ودخل القوم ، نظر إليهم عثمت ، فقال للمتوكل :
 قد فرغنا من الأسد والحيات والعقارب ، وصرنا إلى السيوف ؛ وذلك أنه كان
 ربما أشلى الحيّة والعقرب أو الأسد ؛ فلما ذكر عثمت السيوف ، قال له :
 ويلك ! أى شئ تقول ^(١) ؟ فما استتم ^(٢) كلامه حتى دخلوا عليه ، فقام للفتح
 في وجوههم ، فقال لهم : يا كلاب ؛ وراءكم وراءكم ! فبدر إليه بغا الشرايى ،
 فبعج بطنه بالسيف ، وبدر الباقر إلى المتوكل ، وهرب عثمت على وجهه .
 وكان أبو أحمد في حُجْرته ، فلما سمع الضجة خرج فوق على أبيه ، فبادره
 بغلون فضر به ضربتين ؛ فلما رأى السيوف تأخذه خرج وتركهم ، وخرج
 القوم إلى المنتصر ، فسلموا عليه بالخلافة ، وقالوا : مات أمير المؤمنين ،
 وقاموا على رأس زرافة بالسيوف ، فقالوا له : بايع ، فبايعه . وأرسل المنتصر إلى
 وصيف : إن الفتح قتل أبى ، فقتلته ، فاحضر في وجوه أصحابك . فحضر
 وصيف وأصحابه فبايعوا . قال : وكان عبيد الله بن يحيى في حُجْرته لا يعلم
 بشئ من أمر القوم ينفذ الأمور .

١٤٦٢/٣

وقد ذكر أن امرأة من نساء الأتراك ألقت رقعة تخبر ما عزم عليه القوم ،
 فوصلت الرقعة ^(٣) إلى عبيد الله ، فشاور الفتح فيها ؛ وكان ذلك وقع إلى
 أبى نوح عيسى بن إبراهيم كاتب الفتح بن خاقان ، فأنهاه إلى الفتح ، فاتفق
 رأيهم على كتمان المتوكل لما رأوا من سروره ؛ فكروه أن ينغصوا عليه يوه ؛
 وهان عليهم أمر القوم ، ووثقوا بأن ذلك لا يجسر عليه أحد ولا يقدر .

فذكر أن أبا نوح احتال في الحرب من ليلته ، وعبيد الله جالس في عمله
 ينفذ الأمور ^(٤) ، وبين يديه جعفر بن حامد ، إذ طلع عليه بعض الخدم ، فقال :
 يا سيدى ، ما يجلسك ؟ قال : وما ذاك ! قال : الدار سيف واحد ، فأمر جعفرأ
 بالخروج ؛ فخرج وعاد ؛ فأخبره أن أمير المؤمنين والفتح قد قتلوا ، فخرج فيمن
 معه من خدمه وخاصته ، فأخبر أن الأبواب مغلقة ، فأخذ نحو الشط ، فإذا أبوابه
 أيضاً مغلقة ، فأمر بكسر ما كان مما بلى الشط ، فكسرت ثلاثة أبواب حتى

(١) بعدها فى ١ : « أى سيوف »

(٢) ف « فلا يستتم » .

(٣) ف : « فصارت الرقعة » .

(٤) ف : « ينفذ أمور السلطان » .

خرج إلى الشطّ ، فصار إلى زورق^(١) ، ففقد فيه ومعه جعفر بن حامد ، وغلّام له ، فصار إلى منزل المعتزّ ، فسأل عنه فلم يصادفه ؛ فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قتلني وقتل نفسه ، وتلهّف عليه ، واجتمع إلى عبيد الله أصحابه غداة يوم الأربعاء من الأبناء والعجم والأرمن والزواقيل والأعراب والصّعاليك وغيرهم [وقد اختلف في عدّتهم^(٢)] ، فقال بعضهم : كانوا زهاء عشرين ألف فارس وقال آخرون : كان معه ثلاثة عشر ألف رجل ، وقال آخرون : كان معه ثلاثة عشر ألف لحام ، وقال المقلّدون : ما بين الخمسة آلاف إلى العشرة آلاف ؛ فقالوا له : إنما كنت تصطنعنا لهذا اليوم ، فأمر بأمرك ، وأذن لنا نتميل على القوم ميّلة ؛ فنقل المنتصر ومن معه من الأتراك وغيرهم . فأبى ذلك ، وقال : ليس في هذا حيلة ، والرجل في أيديهم — يعني المعتزّ .

وذكر عن عليّ بن يحيى المنجّم أنه قال : كنت أقرأ على المتوكل قبل قتله بأيام كتاباً من كتب الملاحم ، فوقفت على موضع من الكتاب فيه : إن الخليفة العاشر يقتل في مجلسه ، فتوقفت عن قراءته وقطعته ، فقال لي : مالك قد وقفت ! قلت : خير ، قال : لا بدّ والله من أن تقرّاه ، فقرّأته وحيداً عن ذكر الخلفاء ؛ فقال المتوكل : ليت شعري من هذا الشقيّ المقتول !

وذكر عن سلمة بن سعيد النصرانيّ أن المتوكل رأى أشوط بن حمزة الأرمي قبل قتله بأيام ، فتأفّف برؤيته ، وأمر بإخراجه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ؛ أليس قد كنت تحبّ خدمته ؟ قال : بلى ، ولكنّي رأيت في المنام منذ ليالٍ كأنّي قد ركبت ، فالتفت إلى وقد صار رأسه مثل رأس البقل^(٣) فقال لي : إلى كم تؤذينا ! إنما بقي من أجلك تمام خمسة عشر سنة غير أيام . قال : فكان بعدد أيام خلافته .

وذكر عن ابن أبي ربيع أنه قال : رأيت في منامي كأن رجلاً دخل من باب الرّستن على عجلة ووجهه إلى الصحراء وبقاه إلى المدينة ، وهو ينشد :

(١) ف : « فنزل إلى زورق » .

(٢) نكلمة من أ .

(٣) ف : « البعير » .

يا عَيْنُ ويلك فاهملى بالدمع سحاً واسبلى
دَلَّتْ على قَرَبِ القيا مة قِتْلَةُ المتوكل

وذكر أن حُبُشَى بن أبى ربيع مات قبل قِتْلِ المتوكل بستين .

وذكر عن محمد بن سعيد ، قال : قال أبو الوارث قاضى نَصِييين :
رأيت فى النوم آتياً أتانى ، وهو يقول :

يانائِمَ العينِ فى جُمانٍ يقظانٍ ما بالُ عينِكَ لا تبكى بتهتان !
أما رأيتَ صُرُوفَ الدهرِ ما فَعَلْتَ بالهاشمى وبالفتح بن خاقان !
وسوفَ يتبعُهُم قومٌ لهم غَدَروا حتى يصيروا كأمسِ الذاهبِ الفانى

١٤٦٥/٣

فأتى البريد بعد أيام بقتلهما جميعاً .

قال أبو جعفر : وقتل ليلة الأربعاء بعد العتمة بساعة لأربع خلون من
شوال - وقيل : بل قتل ليلة الخميس - فكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة
أشهر وثلاثة أيام . وقتل يوم قتل وهو - فيما قيل - ابن أربعين سنة ؛ وكان
ولد بقم الصَّالح فى شوال من سنة ست ومائتين .

وكان أممر حسن العينين خفيف العارضين نحيفاً .

* * *

* ذكر الخبر عن بعض أمور المتوكل وسيرته :

ذكر عن مروان بن أبى الجَنُوب أبى السمط ، أنه قال : أنشدتُ
أمير المؤمنين فيه شعراً ، وذكرتُ الرَّافضة فيه ، فعقد لى على البحرين واليهامة ،
وخلع على أربع خِلمع فى دار العامة ، وخلع على المنتصر وأمر لى بثلاثة
آلاف دينار ، فنثرت على رأسى ، وأمر ابنه المنتصر وسعداً الإيتاخى يلقطانها
لى ، ولا أمس منها شيئاً ؛ فجمعاهما ^(١) ، فانصرفت بها .

(١) بعدها فى ف : « وانصرفا » .

قال : والشعر الذى قال فيه :

مُلك الخليفة جعفر
لكم تراث محمد
يرجو التراث بنو البنا
والصهر ليس بوارث
ما للدين تنحلوا
أخذ الوراثة أهلها
لو كان حقكم لما^(١)
ليس التراث لغيركم
أصبحت بين محبكم
للدين والدنيا سلامة
وبعد لكم تنفى الظلامه
وما لهم فيها قلامة
والبنث لا ترث الإمامه
ميراثكم إلا الندامة
فعلام لوكم علامه !
قامت على الناس القيامة
لا والاله ولا كرامة
والمبغضين لكم علامه

١٤٦٦/٣

ثم نشر على رأسى — بعد ذلك لشعر قلته فى هذا المعنى — عشرة آلاف درهم.
وذكر عن مروان بن أبى الحنوب ، أنه قال : لما استخلف المتوكل
بعث بقصيدة — مدحت فيها ابن أبى دؤاد — إلى ابن أبى دؤاد ، وكان فى آخرها
بيتان ذكرت فيهما أمر ابن الزيات وهما :

وقيل لي الزيات لاقى حمامه
لقد حفر الزيات بالغدر حفرة
فقلت أتانى الله بالفتح والنصر
فألقى فيها بالخيانة والغدر

قال : فلما صارت القصيدة إلى ابن أبى دؤاد ذكرها للمتوكل ، وأنشده
البيتين فأمره بإحضاره ، فقال : هو باليامة ، كان الواثق نفاه لمودته
لأمير المؤمنين . قال : يُحمل ، قال : عليه دين ، قال : كتم هو ؟ قال :
سنة آلاف دينار ، قال : يعطها ، فأعطى وحمل من اليامة ، فصار إلى
سامرا ، وامتدح المتوكل بقصيدة يقول^(٢) فيها :

١٤٦٧/٣

رحل الشباب وليته لم يرحل
والشيب حل وليته لم يحل^(٣)

(١) ط : « لها » وما أثبت من ا . (٢) س : « يذكر » . (٣) ف : « فليته » .

فلما صار إلى هذين البيتين من القصيدة :

كَانَتْ خِلَافَةَ جَعْفَرٍ كَنْبُوءَ جَاءَتْ بِلَا طَلَبٍ وَلَا بِتَنْحُلٍ
وَهَبَ الْإِلَهُ لَهُ الْخِلَافَةَ مِثْلَ مَا وَهَبَ النَّبُوءَةَ لِلنَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
أَمْرٌ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

وذكر عن أبي يحيى بن مروان بن محمد الشنّي الكلبّي ، قال : أخبرني
أبو السمط مَرْوَانُ بْنُ أَبِي الْجَنْوَبِ ، قال : لَمَّا صَرْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ
عَلَى اللَّهِ مَدَحْتُ وَلَاَةَ الْعُهُودِ ، وَأَنْشَدْتُهُ :

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدٍ وَيَا حَبِيبًا نَجْدُ عَلَى النَّاسِ وَالْبُعْدُ !
نَظَرْتُ إِلَّا نَجْدٍ وَبَغْدَادُ ذُونَهَا لَعَلِّي أَرَى نَجْدًا وَهَيْهَاتَ مِنْ نَجْدٍ !
وَنَجْدٌ بِهَا قَوْمٌ هَوَاهُمْ زِيَارَتِي وَلَا شَيْءَ أَحَلَّى مِنْ زِيَارَتِهِمْ عِنْدِي

١٤٦٨/٣

قال : فَلَمَّا اسْتَمْتَمَتْ لِنَشَادِهَا ، أَمَرَنِي بِعَشْرِينَ وَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَخَمْسِينَ
ثَوْبًا وَثَلَاثَةَ مِنَ الظَّهْرِ : فَرَسٌ وَبَغْلَةٌ وَحِمَارٌ ، فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى قُلْتُ فِي شُكْرِهِ :
تَخَيَّرَ رَبُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ جَعْفَرًا فَمَلَكَهُ أَمْرَ الْعِبَادِ تَخَيَّرَا
قال : فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ :

فَأَمْسِكَ نَدَى كَفَيْكَ عَنِّي وَلَا تَزِدْ فَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَطْفِئَ وَأَنْ أَتَجَبَّرَا

قال : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَمْسِكَ حَتَّى أَعْرِفَكَ بِجُودِي ، وَلَا بَرَحْتُ حَتَّى تَسْأَلَ
حَاجَةً ؛ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الضَّيْعَةُ الَّتِي أَمَرْتَ بِإِقْطَاعِي لِإِيَاهَا بِالْيَمَامَةِ ؛
ذَكَرَ ابْنُ الْمَدْبَرِ أَنَّهَا وَقُفَّ مِنَ الْمُعْتَصِمِ عَلَى وَلَدِهِ ، وَلَا يَجُوزُ إِقْطَاعُهَا . قَالَ :
فَلَمَّا أَقْبَلْتُهَا بِدِرْهَمٍ فِي السَّنَةِ مِائَةِ سَنَةٍ ، قُلْتُ : لَا يَحْسَنُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ
يُودَّيَ دِرْهَمٌ فِي الدِّيْوَانِ ، قَالَ : فَقَالَ ابْنُ الْمَدْبَرِ : فَأَلْفَ دِرْهَمٍ ؟ فَقُلْتُ :
نَعَمْ ، فَأَتَقَفَّذُهَا لِي وَلِعَقْبِي ، ثُمَّ قَالَ : لَيْسَ هَذِهِ حَاجَةٌ ، هَذِهِ قِبَالَةٌ ، قُلْتُ :
فَضِياعِي الَّتِي كَانَتْ لِي كَانِ الْوَاقِقُ أَمْرٌ بِإِقْطَاعِي لِإِيَاهَا ، فَتَفَانِي ابْنَ الزِّيَاتِ ،
وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، فَتَقَفَّذُهَا لِي . فَأَمَرَ بِإِنْفَاقِهَا بِمِائَةِ دِرْهَمٍ فِي السَّنَةِ وَهِيَ السِّيُوحُ .

١٤٦٩/٣

وذُكر عن أبي حشيشة أنه كان يقول: كان المأمون يقول: إن الخليفة بعدى في اسمه عين، فكان يُظنُّ أنه العباس ابنه فكان المعتصم، وكان يقول: وبعده هاء، فيظنُّ أنه هارون، فكان الواثق؛ وكان يقول: وبعده أصفر الساقين؛ فكان يظنُّ أنه أبو الحناثر^(١) العباس فكان المتوكل ذلك، فلقد رأيته إذا جلس على السرير يكشف ساقيه؛ فكانا أصفرين؛ كأنما صُبيغا بزعفران.

وذُكر عن يحيى بن أكرم، أنه قال: حضرت المتوكل، فجرى بيني وبينه ذكرُ المأمون وكتبه إلى الحسن بن سهل، فقلت بتفضيله وتقريظه ووصف محاسنه وعلمه ومعرفته ونباهته قولاً كثيراً؛ لم يقع بموافقة بعض من حضر؛ فقال المتوكل: كيف كان يقول في القرآن؟ قلت: كان يقول: ما مع القرآن حاجة إلى علم فرض، ولا مع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وحشة إلى فعل أحد؛ ولا مع البيان والإفهام حجة لتعلم، ولا بعد الجحود للبرهان والحق إلا السيف لظهور الحجة. فقال له المتوكل: لم أرد منك ما ذهبت إليه من هذا المعنى، قال له يحيى: القول بالمحسن في المغيب فريضة على ذي نعمة، قال: فما كان يقول خلال حديثه؛ فإن المعتصم بالله يرحمه الله كان يقوله، وقد أنسيته؟ فقال: كان يقول: اللهم إني أحمدك على النعم التي لا يحصيها أحدٌ غيرك، وأستغفرك من الذنوب التي لا يحيط بها إلا عفوك. قال: فما كان يقول إذا استحسن شيئاً أو بُشِّرَ بشيء، فقد كان المعتصم بالله أمر علي بن يزيد أن يكتبه لنا؛ فكتبه فعلمناه ثم أنسيناه؟ قال: كان يقول: إن ذكر آلاء الله ونشرها وتعداد نعيمه والحديث بها فرض من الله على أهلها، وطاعة لأمره فيها، وشكرٌ له عليها؛ فالحمد لله العظيم الآلاء، السابغ النعماء بما هو أهلُه، ومستوجه من محامده القاضية حقه، البالغة شكره، الموجبة مزيدَه على ما لا يحصيه تعدادنا، ولا يحيط به ذكرنا، من ترادُف مِنتِه، وتتابع فضله، ودوام طوِّله، حمْد من يعلم أن ذلك منه، والشكر له عليه. فقال المتوكل: صدقت، هذا هو الكلام بعينه، وهذا كله حُكم من ذي حُسْنة وعلم؛ وانقضى المجلس.

(١) كذا وردت الكلمة في جميع الأصول.

وقدم في هذه السنة محمد بن عبد الله بن طاهر بغداد منصرفاً من مكة في صفر ؛ فشكا ما ناله من الغم بما وقع من الخلاف في يوم النحر ؛ فأمر المتوكل بإفناذ خريطة صفراء من الباب إلى أهل الموسم برؤية هلال ذى الحجة ، وأن يسار بها كما يسار بالخريطة الواردة بسلامة الموسم ، وأمر أن يقام على المشعر الحرام وسائر المشاعر الشمع مكان الزيت والنقطة . ١٤٧١/٣

وفيها ماتت أم المتوكل بالجعفرية لست خلون من شهر ربيع الآخر (١) وصلى عليها المنتصر ، ودُفِنَتْ عند المسجد الجامع .

* * *

خلافة المنتصر محمد بن جعفر

وفيها بُويع للمنتصر محمد بن جعفر بالخلافة في يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال - وقبل لثلاث خلون منه - وهو ابن خمس وعشرين سنة . وكنيته أبو جعفر بالجعفرية ، فأقام بها بعد ما بويع له عشرة أيام ، ثم تحول منه بعياله وقواده وجنوده إلى سامرا .

وكان قد بايعه ليلة الأربعاء الذين ذكرناهم قبل ، فذكر عن بعضهم ، أنه قال : لما كان صبيحة يوم الأربعاء ، حضر الناس الجعفرية من القواد والكتّاب والوجوه والشاكرية والحنند وغيرهم ؛ فقرأ عليهم أحمد بن الحبيب كتاباً يخبر فيه عن أمير المؤمنين المنتصر ؛ أن الفتح بن خاقان قتل أباه جعفراً المتوكل ، فقتله به ، فبايع الناس ، وحضر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فبايع وانصرف .

وذكر عن أبي عثمان سعيد الصغير أنه قال : لما كانت الليلة التي قُتِلَ فيها المتوكل ، كنا في الدار مع المنتصر ؛ فكان كلما خرج الفتح خرج معه ، وكلما رجع قام لقيامه وجلس لجلوسه ، وخرج في أثره ؛ وكلما ركب أخذ بركابه ، وسوى عليه ثيابه في سرج دابته ؛ وكان اتصل بنا الخبر أن عبيد الله بن يحيى قد أعد له قوماً في طريقه ليغتالوه عند انصرافه ؛ وقد كان ١٤٧٢/٣

المتوكل أسمعته وأحفظه قبل انصرافه ، ووثب به ؛ فانصرف على غضب ، وانصرفنا معه ، فلما صار إلى داره أرسل إلى نُدُمائه وخاصته — وقد كان واعد الأتراك على قتل المتوكل قبل انصرافه إذا ثمل من النبيذ — قال : فلم ألبث أن جاءني الرسول : أن احضر فقد جاءت رسل أمير المؤمنين إلى الأمير ؛ وهو على الركوب ؛ فوقع في نفسي ما كان دار بيننا أنهم على اغتيال المنتصر ؛ وأنه إنما يُدعى لذلك ؛ فركبت في سلاح وعِدّة ، وصرت إلى باب الأمير ، فإذا هم بموجون ؛ وإذا واجن قد جاءه فأخبره أنه قد فرغ^(١) من أمره ، فركب فلحقته في بعض الطريق وأنا مرعوب ؛ فرأى ما بي ، فقال : ليس عليك ! إن أمير المؤمنين قد شَرِقَ بقدح شربه بعد انصرافنا ، فأت رحمة الله . فأكبرت ذلك ، وشتق^(٢) على ، ومضينا وأحمد بن الحصب وجماعة من القواد معنا حتى دخلنا الحير^(٣) ، وتتابع الأخبار بقتل المتوكل ، فأخذت الأبواب ، ووكلت بها ، وقلت : يا أمير المؤمنين ، وسلمتُ عليه بالخلافة ، وقلت : لا ينبغي أن نفارقك لموضع الشَّقَّة عليك من مواليك في هذا الوقت ، قال : أجل ؛ فكن أنت من ورائي وسليمان الرومي . وألقى منديل^(٤) ، فجلس عليه ، وأحطنا به ، وحضر أحمد بن الحصب وكتابه سعيد بن حميد لأخذ البيعة .

١٤٧٣/٣

فذكر عن سعيد بن حميد أن أحمد بن الحصب ، قال له : ويلك يا سعيد ! معك^(٥) كلمتان أو ثلاث^(٦) تأخذ بها البيعة ، قلت : نعم ؛ وكلمات . وعملت كتاب البيعة ، وأخذتها على مَنْ حضر وكلّ من جاء حتى جاء سعيد الكبير ، فأرسله إلى المؤيد ، وقال لسعيد الصغير : امض أنت إلى المعتز حتى تُحضره ، قال سعيد الصغير : فقلت : أمّا ما دمت يا أمير المؤمنين في قلّة ممّن معك فلا أبرح والله من وراء ظهرك ؛ حتى يجتمع الناس . قال أحمد بن الحصب : ها هنا ممّن يكفيك ، فامض ؛ فقلت : لا أمضي حتى يجتمع ممّن يكتفي ؛ فلأتى الساعة أولى به منك ! فلما كثر القواد ، وبايعوا ، ومضيت وأنا آيس من نفسي ، ومعى غلامان ؛ فلما صرتُ إلى باب أبي نوح ،

(١) ط : « فزع » ، تصحيف . (٢) الحير : قصر كان يسره من رأى .

(٣-٣) ف : « كلمات » .

والناس يمجون ويذهبون ويحيثون؛ وإذا على الباب جمعٌ كبيرٌ في سلاح وعِدَّة، فلما أحسُّوا بى لحقنى فارس منهم؛ فسألنى وهو لا يعرفنى : مَنْ أَنْتَ ؟ فعميت عليه خبرى، وأخبرته أننى من بعض أصحاب الفتح، ومضيت حتى صرت إلى باب المعتز، فلم أجد به أحداً من الحرس والبوابين والمكبرين^(١) ولا خلقاً من خلق الله حتى صرت إلى الباب الكبير، فدققتُه دقاً عنيماً مفرطاً، فأجبت بعد مدَّة طويلة، فقيل لى : من هذا ؟ فقلت : سعيد الصغير ؛ رسول أمير المؤمنين المنتصر؛ فضى الرسول، وأبطأ على، وأحسست بالمنكر وضائق على الأرض. ثم فُتِح الباب فإذا بيدون الخادم قد خرج ؛ وقال لى : ادخل وأغلق الباب دونى، فقلت : ذهبت والله نفسى، ثم سألنى عن الخبر، فأخبرته أن أمير المؤمنين شرق بكأسٍ شريها ومات من ساعته ؛ وأن الناس قد اجتمعوا وبايعوا المنتصر، وأنه أرسلنى إلى الأمير أبى عبد الله المعتز بالله ليحضر البيعة. فلخل ثم خرج إلى؛ فقال : ادخل ؛ فلخلت على المعتز ؛ فقال لى : ويلك يا سعيد ! ما الخبر ؟ فأخبرته بمثل ما أخبرت به بيدون، وعزيت به وبكيت، وقلت : تحضر يا سيدى، وتكون فى أوائل مَنْ بايع، فتستدعى بذلك قلب أخيك، فقال لى : ويلك حتى نصبح ! فما زلت أفتيله فى الحبلى والغارب ؛ ويُعيني عليه بيدون الخادم، حتى تهيأ للصلاة، ودعا بشيابه فلبسها، وأخرج له دابة، وركب وركبت معه، وأخذت طريقاً غير طريق الجادة، وجعلت أحدثه وأسهل الأمر عليه، وأذكره أشياء يعرفها من أخيه، حتى إذا صرنا إلى باب عبيد الله بن يحيى بن خاقان سألنى عنه، فقلت : هو يأخذ البيعة على الناس، والفتح قد بايع، فيئس^(٢) حيثنذ ؛ وإذا بفارس قد لحق بنا، وصار إلى بيدون الخادم، فسار به شىء لا أعلمه، فصاح به بيدون ؛ فضى ثم رجع ثلاثاً ؛ كل ذلك يردّه بيدون ويصيح به : دعنا ؛ حتى وافينا باب الحيسر فاستفتحته فقيل لى : مَنْ أَنْتَ ؟ قلت : سعيد الصغير والأمير المعتز، ففتُح لى الباب، وصرنا إلى المنتصر ؛ فلمّا رآه قرّبه وعانقه وعزاه، وأخذ البيعة عليه ؛ ثم وافى المؤيد مع سعيد الكبير، ففعل به مثل

١٤٧٤/٣

١٤٧٥/٣

(١) ط : « والمكبرين ». صوابه من ا ، د . (٢) كذا فى ا ، د ، وفى ط : « تأتى »

ذلك ، وأصبح الناس ، وصار المنتصر إلى الجعفرى . فأمر بدفن المتوكل والفتح ، وسكن الناس ، فقال سعيد الصغير : ولم أزل أطالب المعتز بالبشرى بخلافة المنتصر وهو محبوب في الدار ؛ حتى وهب لى عشرة آلاف درهم .

* * *

وفى ^(١) هذه السنة خلع المعتز والمؤيد أنفسهما ، وأظهر خلعهما في القصر الجعفرى المحدث ^(٢)

وكانت نسخة البيعة التى أخذت للمنتصر :

بسم الله الرحمن الرحيم . تبايعون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين ببيعة طوع واعتقاد ورضاً ، ورغبة بإخلاص من سرائركم ، وانشرح من صدوركم ، وصدق من نياتكم ؛ لا مكرهين ولا مجبرين ، بل مقرين عالين بما في هذه البيعة وتأكيدها من طاعة الله وتقواه ، وإعزاز دين الله وحقه ، ومن عموم صلاح عباد الله ، واجتماع الكلمة ، ولم الشعث ، وسكون الدهاء ، وأمن العواقب ، وعز الأولياء ، وقسمع المالحدين ؛ على أن محمداً الإمام المنتصر بالله عبد الله وخليفته المفترض عليكم طاعته ومناصحته والوفاء بحقه وعقده ، لا تشكون ولا تُدْهَنون ، ولا تُمِلون ولا ترتابون ؛ وعلى السَّمْع له ، والطاعة والمسالمة ، والنصرة والوفاء والاستقامة ، والنصيحة في السر والعلانية ، والخفوف والوقوف عند كل ما يأمر به عبد الله الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين ؛ وعلى أنكم أولياء أوليائه ، وأعداء أعدائه ؛ من خاص وعام ، وأبعد وأقرب ، وتمسكون ببيعته بوفاء العقد ، وذمة العهد ؛ سرائركم في ذلك مثل علانييتكم ، وضائركم مثل ألسنتكم ؛ راضين بما يرضاه لكم أمير المؤمنين في عاجلكم وأجلكم . وعلى إعطائكم أمير المؤمنين بعد تجديدكم بيعته هذه على أنفسكم ، وتأكيدهم إياها في أعناقكم ؛ صفة أيمانكم ، راغبين طائعين ، عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم ؛ وعلى ألا تسعوا في نقض شيء مما أكد الله عليكم ، وعلى ألا يميل بكم ميل في ذلك عن نصرة وإخلاص ، ونصح وموالة ، وعلى ألا تبدلوا ، ولا يرجع منكم راجع عن نيته ، وانطوائه إلى غير علانيته ، وعلى أن تكون

١٤٧٦/ ٣

ببعتكم التي أعطيتكم بها السننكم وعهودكم بيعة يطلع الله من قلوبكم على اجتباها واعتقادها ، وعلى الوفاء بدمتي بها ، وعلى إخلاصكم في نصرتها وموالاة أهلها ، لا يشوب ذلك منكم دغل ولا إدهان ولا احتيال ولا تأول ؛ حتى تلقوا الله ، مؤفين بعهد ، ومؤذنين حقه عليكم ، غير مستشرفين ولا ناكثين ، إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنما يبايعون الله ؛ يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً .

١٤٧٧/٣

عليكم بذلك وبما أكدت هذه البيعة في أعناقكم ، وأعطيتكم بها من صفة أيمانكم ؛ وبما اشترط عليكم بها من وفاء ونصر ، وموالاة واجتهاد ونصح ؛ وعليكم عهد الله ؛ إن عهده كان مشولاً ؛ وذمة الله وذمة رسوله . وأشد ما أخذ على أنبيائه ورسله ، وعلى أحد من عباده من متكّد وثائقه ، أن تسمعوا ما أخذ عليكم في هذه البيعة ، ولا تبدلوا ، وأن تطيعوا ولا تعصوا ، وأن تخلصوا ولا ترتابوا ، وأن تتمسكوا بما عاهدتم عليه تمسك أهل الطاعة بطاعتهم وذوى العهد والوفاء بوفائهم وحققهم ؛ لا يلفتكم عن ذلك هووى ولا ميل ، ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هدى ؛ باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حق الدين والطاعة بما جعلتم على أنفسكم ؛ لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها .

فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكد عليه مسراً أو معلناً ، أو مصرحاً أو محتالاً ؛ فادّهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذت به موثيق أمير المؤمنين ، وعهود الله عليه ؛ مستعملاً في ذلك الهوينى دون الجِدِّ ، والركون إلى الباطل دون نُصرة الحق ، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم ؛ فكل ما يملك كل واحد ممّن خان في ذلك بشيء نقض عهده من مال أو عقار أو سائمة ، أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله ، محرّم عليه أن يرجع شيء من ذلك إلى ماله عن حيلة يقدّمها لنفسه ، أو يحتال بها . وما أفاد في بقية عمره من فائدة مال يقلّ خطرها أو يجلب قدرها ، فتلك سبيله إلى أن توافيه منيته ، ويأتى عليه أجله ؛ وكلّ مملوك يملكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى أحرار لوجه الله ؛ ونساؤه

١٤٧٨/٣

في يوم يلزمه الحنث ، ومن يتزوجه بعدهن إلى ثلاثين سنة طوالق البتة طلاق
الخرج والسنة ؛ لا مثنوية^(١) فيه ولا رجعة . وعليه المشي إلى بيت الله الحرام
ثلاثين حجة ، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ؛ وهو برىء من الله ورسوله ، والله
ورسوله منه بريئان ؛ ولا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ؛ والله عليكم بذلك
شهود ، وكفى بالله شهيداً .

* * *

وذكر أنه لما كانت صبيحة اليوم الذي بويع فيه المنتصر شاع الخبر في
الماحوزة - وهي المدينة التي كان جعفر بناها في أهل سامراً - بقتل جعفر ،
وتوافى الجند والشاكرية بباب العامة بالجعفرى وغيرهم من الغوغاء والعوام ، وكثر
الناس وتسامعوا ، وركب بعضهم بعضاً ، وتكلموا في أمر البيعة ، فخرج إليهم
عتاب بن عتاب - وقيل : إن الذي خرج إليهم زرافة - فأبلغهم عن المنتصر
ما يحبون ، فأسمعوه ؛ فدخل إلى المنتصر فأخبره ؛ فخرج وبين يديه جماعة من
المغاربة ، فصاح بهم : يا كلاب ! خذوهم ؛ فحملوا على الناس فدفعوهم إلى
الثلاثة الأبواب ، فازدحم الناس ووقع بعضهم على بعض ؛ ثم تفرقوا عن عدة
قد ماتوا من الزحمة والدوس ؛ فمنهم من ذكر أنهم كانوا ستة نفر ،
ومنهم من قال : كانوا ما بين الثلاثة إلى الستة .

* * *

وفيها ولّى المنتصر أبا عمرة أحمد بن سعيد - مولى بنى هاشم ، بعد البيعة له
بيوم - المظالم ، فقال قائل :

يا ضيعة الإسلام لما ولي مظالم الناس أبو عمرة
صير مأموناً على أمة وليس مأموناً على بعة

وفي ذى الحجة من هذه السنة أخرج المنتصر على بن المعتصم من سامراً
إلى بغداد ووكل به .

وحج بالناس فيها محمد بن سليمان الزينبي .

(١) لامثنوية ، أى لا استثناء .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر غزاة وصيف التركي الروم]

فمن ذلك ما كان من إغزاء المنتصر وصيفاً التركي صائفة^(١) أرض الروم.

• ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وما كان في ذلك من وصيف :

فذكر أن السبب في ذلك أنه كان بين أحمد بن الحصيب ووصيف شحنة وتباغض ؛ فلما استخلف المنتصر ، وابن الحصيب وزيره ، حرّض أحمد بن الحصيب المنتصر على وصيف ، وأشار عليه بإخراجه من عسكره غازياً إلى الثغر ؛ فلم يزل^(٢) به حتى أحضره المنتصر ، فأمره بالغزو .

١٤٨٠/٣

وقد ذكر عن المنتصر أنه لما عزم على أن يغزى وصيفاً الثغر الشامي ، قال له أحمد بن الحصيب : ومن يجترئ على الموالي حتى تأمر وصيفاً بالشخص ! فقال المنتصر لبعض من الحجابة : ائذن لمن حضر الدار ؛ فأذن لهم وفيهم وصيف ، فأقبل عليه ، فقال له : يا وصيف ؛ أتانا عن طاغية الروم أنه أقبل يريد الثغور ، وهذا أمر لا يمكن الإمساك عنه ؛ فإما شخصت وإما شخصت ؛ فقال وصيف : بل أشخص يا أمير المؤمنين ، قال : يا أحمد ؛ انظر ما يحتاج إليه على أبلغ ما يكون فأقمه له . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ما نعلم ! قم الساعة لذلك ؛ يا وصيف مكراتبك يوافقه على ما يحتاج إليه ، ويلزمه حتى يزيح علتك فيه . فقام أحمد بن الحصيب ، وقام وصيف ، فلم يزل في جهازه حتى خرج ، فما أفلح ولا أنجح .

١٤٨١/٣

وذكر أن المنتصر لما أحضر وصيفاً وأمره بالغزو ، قال له : إن الطاغية — يعني ملك الروم — قد تحرك ، ولست آمنه أن يهلك كل ما يمر به من بلاد

(٢) س : « فلم يشعر » .

(١) ف : « الصائفة » .

الإسلام ، ويقتل ويسبي الذراري ؛ فإذا غزوت وأردت الرجعة انصرفت إلى باب أمير المؤمنين من فورِكَ . وأمر جماعة من القواد وغيرهم بالخروج معه وانتخب له الرجال ؛ فكان معه من الشاكرية والحندي والموالي زهاء عشرة آلاف رجل ؛ فكان على مقدمته في بدايته مزارح بن خاقان ؛ أخوالفتح بن خاقان ؛ وعلى الساقة محمد بن رجاء ، وعلى الميمنة السندی بن بختاشة ، وعلى الدراجة نصر بن سعيد المغربي ؛ واستعمل على الناس والعسكر أبا عون خليفته ؛ وكان على الشرطة بسامراً .

* * *

وكتب المنتصر عند إغزائه وصيفاً مولاه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله محمد المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك ؛ فإن أمير المؤمنين محمد إلك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله . أما بعد : ١٤٨٢/٣
فإن الله وله الحمد على آلائه ، والشكرُ بحمّل بلائه ، اختار الإسلام وفضله ، وأتمّه وأكمله ، وجعله وسيلة إلى رضاه ومشوبته ، وسبيلاً نهجاً إلى رحمته ، وسبباً إلى مدّخور كرامته ؛ فقهر له من خالفه ، وأذلّ له من عندّه عن حقه ، وابتنى غير سبيله ، وخصّه بآتم الشرائع وأكملها ، وأفضل الأحكام وأعدلها ؛ وبعث به خيرته من خلقه وصفوته من عباده محمدّاً صلى الله عليه وسلم ، وجعل الجهاد أعظم فرائضه منزلةً عنده ، وأعلاها رتبةً لديه ، وأنجحها وسيلةً إليه ؛ لأن الله عز وجل أعزّ دينه ، وأذلّ عبادة الشرك ، قال عز وجل " أمراً بالجهاد ، ومفترضاً له : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ لَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) ، وليست تمضي بالمجاهد في سبيل الله حال لا يكابد في الله نصباً ولا أذى ، ولا ينفق نفقة ولا يقارع عدواً ، ولا يقطع بلداً ، ولا يبطأ أرضاً ؛ إلا وله بذلك أمر

مكتوب ، وثواب جزيل ، وأجر مأمول ، قال الله عز وجل : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

١٤٨٣/٣

ثم أثنى عز وجل بفضل منزلة المجاهدين على القاعدين عنده ، وثنا وعدهم من جزائه ومثوبته ، وما لهم من الزلنى عنده ، فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) .

فبالجهاد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، وجعل جنته ثمناً لهم ، ورضوانه جزاء لهم على بذلها ؛ وعداً منه حقاً لا ريب فيه ، وحكماً عدلاً لا تبدل له ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآنَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيُغْنُوا عَنْهُمْ اللَّهُ وَيُكْفُوا عَنْهُمْ كَرْهًا وَكَيْدًا وَلَوْ رَدُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَوُفَّ السَّيْفُ ﴾ (٣) .

وحكم الله عز وجل لأحياء المجاهدين بنصره ، والفوز برحمته ، وأشهد لموتاهم بالحياة الدائمة ، والزلنى لديه ، والخطأ الجزيل من ثوابه ، فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا

(١) سورة التوبة ١٢٠، ١٢١ . (٢) سورة النساء ٩٥ . (٣) سورة التوبة ١١١ .

بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾ .

١٤٨٤/٣

وليس من شيء يتقرب به المؤمنون إلى الله عز وجل من أعمالهم، ويسعون به في حط أوزارهم، وفكك رقابهم، ويستوجبون به الثواب من ربهم، إلا والجهاد عنده أعظم منه منزلة، وأعلى لديه رتبة، وأولى بالفوز في العاجلة والآجلة؛ لأن أهله بذلوا لله أنفسهم، لتكون كلمة الله هي العليا، وسمحوا بها دون من وراءهم من إخوانهم وحريم المسلمين وبقيضتهم، ووقموا بجهادهم العدو .

وقد رأى أمير المؤمنين - لما يحبه من التقرب إلى الله بجهاد عدوه، وقضاء حقه عليه فيما استحقه من دينه، والتماس الزلفة له في إعزاز أوليائه، وإحلال البأس والنقمة بمن حاد عن دينه، وكذب رسله، وفارق طاعته - أن ينهض وصيناً مولى أمير المؤمنين في هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة والروم، غازياً لما عرف الله أمير المؤمنين من طاعته ومناصحته ومحمود نقيته (٢) وخلوص نيته، في كل ما قرب به من الله ومن خليفته .

وقد رأى أمير المؤمنين - والله ولي معونته وتوفيقه - أن تكون موافاة وصيف فيمن أنهض أمير المؤمنين معه من مواليه وجنده وشاكرتيه ثغر مملطية لاثنتي عشرة ليلة تخلدوا من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين؛ وذلك من شهور العجم للنصف من حزيران ودخوله بلاد أعداء الله في أول يوم من تموز؛ فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحي عمالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا؛ ومُرهم بقراءته على من قبيلهم من المسلمين وترغيبهم في الجهاد، وحشهم عليه واستغفارهم إليه، وتعريفهم ما جعل الله من الثواب لأهله، ليعمل ذوو النيات والحسبة والرغبة في الجهاد على حسب ذلك في النهوض إلى عدوهم والخفوف إلى معاونة إخوانهم والذباد عن دينهم والرمي من وراء حوزتهم بموافاة عسكري وصيف مولى أمير المؤمنين مملطية في الوقت الذي حده أمير المؤمنين لهم إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

١٤٨٥/٣

وكتب أحمد بن الحبيب لسبع ليال خلون من المحرم سنة ثمان وأربعين

(١) سورة آل عمران ١٦٩، ١٧٠ . (٢) ط: «تعبته» .

ومائتين ؛ وصيّر على ما ذكر على نفقات عسكر وصيف والمغانم والمقاسم المعروف بأبي الوليد الحريريّ البجليّ .

وكتب معه المنتصر كتاباً إلى وصيف يأمره بالمقام ببلاد الثغر إذا هو انصرف من غزاته أربع سنين ، يغزو في أوقات الغزو منها إلى أن يأتيه رأى أمير المؤمنين .

* * *

[ذكر خبر خلع المعتزّ والمؤيد أنفسهما]

وفي هذه السنة خلع المعتزّ والمؤيد أنفسهما ، وأظهر المنتصر خلعهما في القصر الجعفرىّ المحدث .

• ذكر الخبر عن خلعهما أنفسهما :

ذكر أن محمداً المنتصر بالله لما استقامت له الأمور ، قال أحمد بن الحصب لوصيف وبغا : إنا لا نأمن الحدثان ؛ وأن يموت أمير المؤمنين ، فيلحق الأمر المعتزّ ، فلا يبقى منّا باقية ، ويُسبّد خضراءنا ؛ والرأى أن نعمل في خلع هذين الغلامين قبل أن يظفروا بنا . فجدّ الأتراك في ذلك ، وألحوا على المنتصر وقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ تخلعهما من الخلافة ^(١) ، وتبايع لابنك عبد الوهاب ؛ فلم يزالوا به حتى فعل ، ولم يزل مكرماً المعتزّ والمؤيد ؛ على ميل منه شديد إلى المؤيد ؛ فلما كان بعد أربعين يوماً من ولايته ؛ أمر بإحضار المعتزّ والمؤيد بعد انصرافهما من عنده ، فأحضرا وجُعلا في دار ، فقال المعتزّ للمؤيد : يا أخى ، لم ترانا أحضرنا ؟ فقال : يا شقى ، للخلع ! فقال : لا أظنه يفعل بنا ذلك ؛ فبيناهم كذلك ؛ إذ جاءهم الرسل بالخلع ، فقال المؤيد : السمع والطاعة ، وقال المعتزّ : ما كنت لأفعل ؛ فإن أردتم القتل فشانكم ، فرجعوا إليه ، فأعلموه ثم عادوا بغلظة شديدة ، فأخذوا المعتزّ بعنف ، وأدخلوه إلى بيت ، وأغلقوا عليه الباب .

فذكر عن يعقوب بن السكيت ، أنه قال : حدثني المؤيد ، قال : لما رأيتُ ذلك قلت لهم بجرأة واستطالة : ما هذا يا كلاب ! فقد ضريتم على دماننا ، تشبون على مولاكم هذا الوثوب ! اعزّبوا قبحكم الله ! دعوني أكلمهم ؛ فكاعوا

١٤٨٧/٣ عن جوابي بعد تسرع كان منهم ، وأقاموا ساعة ، ثم قالوا لي : الله إن أحببت ^(١) ؛ فظننت أنهم استأثروا ، فقممت إليه ، فإذا هو في البيت يبكي ^(٢) ، فقلت : يا جاهل ؛ تراهم قد نالوا من أبيك - وهو هو - ما نالوا ، ثم تمتنع عليهم ! اخلع ويلك ولا تراجعهم ! ^(٣) ؛ قال : سبحان الله ! أمرٌ قد مضيت عليه ، وجرى في الآفاق أخلعه من عنق ! فقلت : هذا الأمرُ قتل أباك ، فليته لا يقتلك ! اخلعه ^(٤) ؛ ويلك ! فوالله لئن كان في سابق علم الله أن تليي ليتكن . قال : أفعُل . قال : فخرجت فقلت : قد أجاب ، فأعلموا أمير المؤمنين ، ففضوا ثم عادوا ^(٥) فجزوني خيراً ، ودخل معهم كاتب قد سماه ، ومعه دواة وقرطاس ، فجلس ، ثم أقبل على أبي عبد الله ، فقال : اكتب بخطك خلعك ، فتلكتاً ، فقلت للكاتب : هات قرطاساً ، أميلن ما شئت ^(٦) ، فأملى عليّ كتاباً إلى المنتصر ، أعلمه فيه ضعيفي عن هذا الأمر ؛ وأني علمت أنه لا يحل أن أتقلده ، وكرهت ^(٧) أن يأثم المتوكل بسببي إذ لم أكن موضعاً له ، وأسأله الخلع ، وأعلمه أني خلعت نفسي ، وأحللت الناس مني بيعتي . فكتبت كل ما أراد ، ثم قلت : اكتب يا أبا عبد الله ، فامتنع ^(٨) ، فقلت : اكتب ويلك ! فكتب وخرج الكاتب عنا ، ثم دعانا ^(٩) فقلت : نجد ثيابنا أو نأتي في هذه ؟ فقال : بل جدداً ، فدعوت بثياب فلبستها ، وفعل أبو عبد الله كذلك ، وخرجنا فدخلنا ؛ وهو في مجلسه ، والناس على مراتبهم ، فسلمنا فردوا ، وأمر بالجلوس ، ثم قال : هذا كتابكما ؟ فسكت المعتز ، فبدرت فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ! هذا كتابي بمسألتى ورغبتي ، وقلت للمعتز : تكلم ، فقال مثل ذلك ، ثم أقبل علينا والأتراك وقوفاً ، وقال : أتراني ^(١٠) خلعتكما طمعاً في أن أعيش حتى يكبر ولدِي وأبايع له ! والله ما طمعتُ في ذلك ساعة قط ؛ وإذا لم يكن في ذلك طمع ؛ فوالله لأن يلبسها بنو أبي أحبُّ إليّ من أن يلبسها بنو عمي ؛ ولكن

١٤٨٨/٣

(٢) س : « متكى » .

(٤) ف : اخلع .

(٦) ف : « قرطاسك أمليك » .

(٨) بعدها في ف : « أن يكتب » .

(١٠) س : « أتراني » .

(١) ف : « شئت » .

(٣) ف : « تراجع » .

(٥) ف : « عادوني » .

(٧) ف : « وخفت » .

(٩) ف : « دعا بنا » .

هؤلاء - وأما إلى سائر الموالى ممن هو قائم وقاعد - ألقوا علىّ في خلعتكما ، فخفضت إن لم أفعل أن يعترضكما بعضُهم بحديدة ، فيأتى عليكما ، فأتريانى صانعا ! أقتله ؟ فوالله ما تنى دماؤهم كلهم بدم بعضكم ؛ فكانت إجابتهم إلى ما سألوا أسهل علىّ . قال : فأكتبنا^(١) عليه ، فقبلا^(٢) يده ، فضمتها إليه ، ثم انصرفا .

وذكر أنه لما كان يوم السبت لسبع^(٣) بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المعتز والمؤيد أنفسهما ، وكتب كل واحد منها رُقعة بخطه أنه خلع نفسه من البيعة التي بويغ له ، وأن الناس في حلٍّ من حركاتها ونقضها ؛ وأنهما يعجزان عن القيام بشيء منها ، ثم قاما بذلك على رعوس الناس والأثرار والوجوه والصحابة والقضاة ، وجعفر بن عبد الواحد قاضي القضاة ، والقواد وبني هاشم ، وولادة الدّواوين والشيعة ووجوه الحرس ، ومحمد بن عبد الله بن طاهر ، ووصيف وبُغا الكبير وبُغا الصغير ، وجميع من حضر دار الخاصّة والعامة ، ثم انصرف الناس بعد^(٤) ذلك .

١٤٨٩/٣

والنسخة التي كتبها :

بسم الله الرحمن الرحيم : إن أمير المؤمنين المتوكل على الله رضى الله عنه قلّدتني هذا الأمر ، وباع لي وأنا صغير ؛ من غير إرادتي ومحبتى ؛ فلما فهمت أمرى علمت أنى لا أقوم بما قلّدتني^(٥) ، ولا أصالح لخلافة المسلمين ، فمن كانت بيسعتى في عنقه فهو من نقضها في حلٍّ ، وقد أحللتكم منها ، وأبرأتكم من أيمانكم ؛ ولا عهد لي في رقابكم^(٦) ولا عقد ؛ وأنتم براء من ذلك .

وكان الذى قرأ الرقاع أحمد بن الحبيب . ثم قام كل واحد منهما قائما ، فقال لمن حضر : هذه رقتى وهذا قولى^(٧) ؛ فاشهدوا علىّ ، وقد أبرأتكم من

- | | |
|-------------------------------|---------------------|
| (١) ف : « فكتبنا » . | (٢) ف : « يديه » . |
| (٣) بعدها في ف : « ليال » . | (٤) س : « عند » . |
| (٥) بعدها في ف : « من ذلك » . | (٦) ف : « عليكم » . |
| (٧) ف : « خطي » . | |

أيمانكم^(١) . وحللتكم منها ، فقال لهما المنتصر عند ذلك : قد خار الله لكما وللمسلمين ، وقام فدخل . وكان قد قعد للناس ، وأقعدهما بالقرب منه ، فكتب كتاباً إلى العمال بخلعهما وذلك في صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين .

نسخة كتاب المنتصر بالله إلى أبي العباس محمد بن عبد الله

ابن طاهر مولى أمير المؤمنين في خلع أبي عبد الله المعتز وإبراهيم المؤيد

من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله

مولى أمير المؤمنين ؛ أما بعد ؛ فإن الله وله الحمد على آلائه ، والشكر بجميل^(٢)

بلائه ؛ جعل ولاية الأمر من خلفائه القائمين بما بعث به رسوله صلى الله عليه

وسلم والذابين^(٣) عن دينه ، والداعين إلى حقه والمذممين^(٤) لأحكامه ، وجعل ١٤٩٠/٣

ما اختصهم به من كرامته قيوماً لعباده ، وصلاًحاً لبلاده ، ورحمة غمر بها

خلقه ، وافترض طاعتهم ، ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه

وسلم ، وأوجبها في محكم تنزيله ؛ لما جمع فيها من سكون الدماء ، واتساق

الأنواء ، ولم الشعث ، وأمن السبل ، ووقم^(٥) العدو ، وحفظ الحريم ، وسد

الثغور ، وانتظام الأمور ، فقال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

مِنْكُمْ ﴾^(٦) ، فمن الحق على خلفاء الله الذين حباهم بعظيم نعمته ، واختصهم

بأعلى رتب كرامته ، واستحفظهم فيما جعله وسيلة إلى رحمته ، وسبباً لرضاه ومثوبته .

لأن يؤثروا طاعته في كل حال تصرف بهم ، وقيموا حقه في أنفسهم

والأقرب فالأقرب منهم ؛ وأن يكون محلهم من الاجتهاد في كل ما قرب

من الله^(٧) عز وجل حسب^(٨) موقعهم من الدين وولاية أمر المسلمين .

وأمر المؤمنين يسأل الله مسألة رغبة إليه ، وتذللاً لعظمته ، أن يتولاه فيها استرعاه

ولاية يجمع له بها صلاح ما قلده ، ويحمل عنه أعباء ما حمّله ، ويعينه بتوقيفه

(٢) ف : « على جميل » .

(٤) ف : « والمتممين » .

(٦) سورة النساء ٥٩ .

(٨) ف : « على حسب » .

(١) س : « أيمانى »

(٣) ف : « والذابين »

(٥) ف : « وقم » .

(٧) ف : « إلى الله » .

على طاعته ؛ إنه سميع قريب .

وقد علمت ما حضرت من رفع أبى عبد الله وإبراهيم ابنى أمير المؤمنين المتوكل على الله رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين رقتين بخطوطهما ؛ يذكران فيهما ما عرفهما الله من عطف أمير المؤمنين عليهما ، ورأفته بهما ، وجميل نظره لهما ^(١) ؛ وما كان أمير المؤمنين المتوكل على الله عقده لأبى عبد الله من ولاية عهد أمير المؤمنين وإبراهيم من ولاية العهد بعد أبى عبد الله . وإن ذلك العقد كان وأبو عبد الله طفل لم يبلغ ثلاث سنين ؛ ولم يفهم ما عقده له ولا وقف ^(٢) على ما قلده ، وإبراهيم صغير لم يبلغ الحلم ، ولم يجر أحكامهما ولا جرت أحكام الإسلام عليهما ، وإنه قد يجب عليهما إذ بلغا ووفقا على عجزهما عن القيام بما عقد لهما من العهد ، وأسند إليهما من الأعمال أن ينصحا لله ولجماعة المسلمين ^(٣) ، بأن يُخرجا من هذا الأمر الذى عقد لهما أنفسهما ، ويعتزلا الأعمال التى قلدها ، ويجعلا كل من فى عنقه لهما ببيعة وعليه يمين فى جل ؛ إذ كانا لا يقومان بما رُشحا له ، ولا يصلحان لتقلده ، وأن يخرج من كان ضم إليهما ممن فى نواحيهما من قواد أمير المؤمنين وهواليه وغلمانهم وجنده وشاكرتيه وجميع ممن مع أولئك القواد بالحضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومهما ، ويُرزال عنهم جميعاً ذكر الضم إليهما ، وأن يكونا سوقة من سوق المسلمين وعامتهم ، ويصفان ما لم يزالا يذكران لأمر المؤمنين من ذلك ؛ ويسألانه فيه ، منذ أفضى الله بخلافته إليه ، وأنهما قد خلعا أنفسهما من ولاية العهد ، وخرجا منها ، وجعلا كل من لهما عليه بيعة ويمين من قواد أمير المؤمنين وجميع أوليائه ورعيته ؛ قريبيهم وبعيدهم ، وحاضرهم وغائبهم ؛ فى حل وسعة من بيعتهم وأيمانهم ؛ ليخلعوهما كما خلعا أنفسهما .

١٤٩١/٣

١٤٩٢/٣

وجعلا لأمر المؤمنين على أنفسهما عهد الله ؛ وأشد ما أخذ على ملائكته وأنبيائه وعباده من عهد وميثاق ، وجميع ما أكده أمير المؤمنين عليهما من الأيمان ، بإقامتهما على طاعته ومناصحته وموالاته فى السر والعلانية ، ويسألان أمير المؤمنين

(٢) ف : « وأنه لم يقف » .

(١) ف : « إليهما » .

(٣) ف : « وللمسلمين » .

أن يُظهر ما فعلاه، وينشره، ويُحضّر جميع أوليائه؛ ليسمعوا ذلك منهما طالبين راغبين، طائعين غير مكرهين ولا مجبرين؛ ويُقرأ عليهم الرّقعتان اللتان رفعاهما بخطوطهما، بما ذكرنا من وقوع الأمر لهما من ولاية العهد؛ وهما صبيان، وخلعهما أنفسهما بعد بلوغهما، وما سألا من صرفهما عن الأعمال التي يتوليانها وإخراج من كان بها ممن ضمّ إليهما في نواحيهما من قوّاد أمير المؤمنين وجنده وغلماؤه وشاكرتيه وجميع من مع أولئك القوّاد بالحضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومهما وإزالة ذكر الضمّ إليهما عنهم، وأن يُكتب بالكتاب^(١) بذلك إلى جميع عمال النواحي^(٢).

وإن أمير المؤمنين وقف على صلّتهما فيما ذكرنا ورفعنا، وتقدّم في إحضار جميع إخوانه ومن بحضرته من أهل بيته وقوّاده ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكرتيه وكتّابه وقضائه والفقهاء وغيرهم؛ وسائر أوليائه الذين كانت وقعت البيعة لهما بذلك عليهم. وحضر أبو عبد الله وإبراهيم ابنا أمير المؤمنين المتوكل على الله رضى الله عنه، وقرئت رقعتهما بخطوطهما بحضرتهما؛ إلى مجلس^(٣) أمير المؤمنين عليهما وعليّ جميع من حضر، وأعادا من القول بعد قراءة الرّقعتين مثل الذي كتب به.

ورأى أمير المؤمنين أن يجمع في إجابتهما إلى نشر ما فعلاه وإظهاره، وإمضائه ذلك؛ قضاء حقوق ثلاثة: منها حقّ الله عز وجل فيما استحفظه من خلافته، وأوجب عليه من النظر لأوليائه فيما يجمع لهم كلمتهم في يومهم وغدهم، ويؤلّف بين قلوبهم. ومنها حقّ الرعيّة الذين هم ودائع الله عنده حتى يكون المتقلّد لأمرهم ممن^(٤) يراعيهم آناء الليل والنهار بعنايته ونظره وتفقّده وعدله ورأفته، ومن يقوم بأحكام الله في خلقه، ومن يضطلع بثقل السياسة وصواب التدبير. ومنها حقّ أبي عبد الله وإبراهيم فيما يوجب^(٥) أمير المؤمنين لهما بإخوتهما وماسّ رحمهما؛ لأنهما لو أقاما على ما خرجا منه؛ لم

(٢) ف : « عمالك بالنواحي » .

(٤) س : « ومن » .

(١) ف : « الكتاب » .

(٣) ف : « في مجلس » .

(٥) ف : « يوجه » .

يؤمن أن يؤدي ذلك إلى ما يعظم في الدين ضرره ، ويعمّ المسلمين مكروهه ؛ ويرجع عليهما عظيم الوزر فيه ؛ فخلعهما أمير المؤمنين إذ تحلفا أنفسهما من ولاية العهد ، وخلعهما جميع إخوة أمير المؤمنين ومن بحضرته من أهل بيته ، وخلعهما جميع من حضر من قواد أمير المؤمنين ومواليه وشيعته ^(١) ورؤساء جنده وشاكريته وكتابه وقضاته والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير المؤمنين ؛ الذين كانت أخذت لهما البيعة عليهم .

١٤٩٤/٣

وأمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب بذلك إلى جميع العمال ، ليتقدّموا في العمل بحسب ^(٢) ما فيها ، ويخلعوا أبا عبد الله وإبراهيم من ولاية العهد ؛ إذ كانا قد خلفا أنفسهما من ذلك ، وحلّوا الخاصّ والعامّ ، والحاضر والغائب ، والداني والقاصي منه ؛ ويسقطوا ذكرهما بولاية ^(٣) العهد ، وذكر ما نسب إلى من نسب ولاية العهد من المعتزّ بالله والمؤيد بالله من كتبهم وألفاظهم ؛ والدعاء ^(٤) لهما على المنابر ؛ ويسقطوا كلّ ما ثبت في دواوينهم من رؤسومهما القديمة والحديثة الواقعة على من كان مضمومًا إليهما ، ويزيلوا ما على الأعلام والمطارد من ذكرهما ؛ وما سميت به دوابّ الشاكرية والرابطة من أسمائهما . ومحلّك من أمير المؤمنين وحالك عنده على حسب ما أخلص الله لأمر المؤمنين من طاعتك . ومناصحتك ، ومولاتك ومشايعتك ؛ ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك ، وما عرف الله أمير المؤمنين من طاعتك ويؤمن نقيبك ، واجتهادك في قضاء الحق .

١٤٩٥/٣

وقد أفردك أمير المؤمنين بقيادتك ، وإزالة الضمّ إلى أبي عبد الله عنك وعنّ في ناحيتك بالحضرة وسائر النواحي ؛ ولم يجعل أمير المؤمنين بينك وبينه أحد يرؤسك ، وخرج أمره بذلك إلى ولاية دواوينه .

فاعلم ذلك واكتب إلى عمّالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، وأوعز إليهم في العمل على حسبه . إن شاء الله ، والسلام .

(٢) ف : « بالعمل على حسب » .

(١) ف : « وشيعته ومواليه » .

(٤) ف : « ويترك الدعاء » .

(٣) ف : « من ولاية » .

وكتب أحمد بن الحبيب يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المنتصر]

وفي هذه السنة توفى المنتصر .

* ذكر الخبر عن العلة التي كانت فيها وفاته والوقت الذي توفى فيه وقدر المدة التي كانت فيها حياته :

فأما العلة التي كانت بها وفاته ؛ فإنه اختلف فيها ، فقال بعضهم : أصابته الذبحة في حلقه يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الأول ، ومات مع صلاة العصر من يوم الأحد لخمس ليل خلون من شهر ربيع الآخر .

وقيل : توفى يوم السبت وقت العصر لأربع خلون من شهر ربيع الآخر ؛ وإن علته كانت من ورم في معدته ^(١) ، ثم تصعد إلى فؤاده فمات ؛ وإن علته كانت ثلاثة أيام أو نحوها .

وحدثني بعض أصحابنا أنه كان وجد حرارة ، فدعا بعض من كان يتطبب له ، وأمره ^(٢) بفصده ، ففصده بمبضع مسموم ، ^(٣) فكان فيه منيته ^(٤) ، وإن الطبيب الذي فصده انصرف إلى منزله ، وقد وجد حرارة ، فدعا تلميذا له ؛ فأمره بفصده ووضع مباضعه بين يديه ليتخير أجودها ؛ وفيها المبضع المسموم الذي فُصِدَ به المنتصر ؛ وقد نسيه فلم يجد التلميذ في المباضع التي وضعت بين يديه مِبْضِعاً أجود من المبضع المسموم ؛ ففصده أستاذه وهو لا يعلم أمره ؛ فلماً فصده ^(٥) به نظر إليه صاحبه ^(٦) فعلم أنه هالك ؛ فأوصى من ساعته ، وهلك من يومه .

(٢) : « وأمر » .

(١) س : « قدمه » .

(٤) ف : « فصد » .

(٣-٣) ف : « فمات من ذلك المبضع » .

(٦) ف : « ففرد » .

(٥) س : « إلى صاحبه » .

وقد ذكر أنه وُجد في رأسه علة فقطّر ابن الطيفوري في أذنه دهنًا، فورم رأسه ، وعوجل فاته . وقد قيل : إن ابن الطيفوري إنما سمّه في محاجمه .

قال أبو جعفر : ولم أزل أسمع الناس حين أفضت إليه الخلافة من لدُنْ وَلِيَّيَ إلى أن مات يقولون : إنما مدّة حياته ستة أشهر ، مدّة شيرويه ابن كسرى قاتل أبيه ، مستفيضًا ذلك على السن العامة والخاصة .

وذكر عن يُسُئر الخادم ؛ وكان - فيما ذكر - يتولى بيت المال للمنتصر في أيام إمارته ، أنه قال : كان المنتصر يوماً من الأيام في خيلافته نائمًا في إيوانه ، فانتبه وهو يبكي ويستحب ؛ قال : فهبته أن أسأله عن بكائه ، ووقفت وراء الباب ؛ فإذا عبد الله بن عمر البازيار قد واني فسمع نحيبه وشهيقه ، فقال لي : ما له ؟ ويحك يا يسر ! فأعلمته أنه كان نائمًا فانتبه باكياً ، فدنا منه ، فقال له : ما لك يا أمير المؤمنين تبكي لا أبكي الله عينك ؟ ! قال : ادنُ مني يا عبد الله ؛ فدنا منه فقال له : كنت نائمًا ، فرأيت فيما يرى النائم كأن المتوكل قد جاءني ، فقال لي : ويلك يا محمد ! قتلتنى وظلمتنى وغبنتنى في خلافتي ؛ والله لا تمتعت بها بعدى إلا أيامًا يسيرة ، ثم مصيرك إلى النار . فانتبهتُ ، وما أملك عيني ولا جِزعي . فقال له عبد الله : هذه رؤيا ؛ وهي تصدق وتكذب ، بل يعمرك ويسرك الله ؛ فادع الآن بالنبيذ ، وخذ في اللهو ، ولا تعباً بالرؤيا . قال : ففعل ذلك ؛ وما زال منكسراً إلى أن توفّي .

١٤٩٧/٣

وذكر أن المنتصر كان شاور في قتل أبيه جماعة من الفقهاء ، وأعلمهم بمذاهبه ؛ وحكى عنه أموراً قبيحة كرهت ذكرها في الكتاب ؛ فأشاروا عليه بقتله ؛ فكان من أمره ما ذكرنا بعضه .

وذكر عنه أنه لما اشتدت به علته ؛ خرجت إليه أمه فسألته عن حاله ، فقال : ذهب والله مني الدنيا والآخرة .

قال إبراهيم بن جيش : حدثني موسى بن عيسى الكاتب ، كاتب عمي يعقوب وابن عمي يزيد ، أن المنتصر لما أفضت الخلافة إليه ، كان يُكثّر إذا سكر قتل أبيه المتوكل ، ويقول في الأثر : هؤلاء قَتَلَتِ الخلفاء ، ويذكر من ذلك ما تخوفوه ، فجعلوا لخادم له ثلاثين ألف دينار على أن يحتال في سمّه ،

وجعلوا لعل بن طيفور جملة ، وكان المنتصر يكثر أكل الكمثرى إذا قُدِّمت إليه
 الفاكهة ، فعمد ابن طيفور إلى كمثرى كبيرة نصيجة ، فأدخل في رأسها خلالة ،
 ثم سقاها سمًّا ، فجعلها الخادم في أعلى الكمثرى الذي قدَّمه إليه ، فلما نظر
 إليها المنتصر أمره أن يقشِّرها ويطعمه إياها ، فقشرها وقطعها ، ثم أعطاه قطعة
 قطعة حتى أتى عليها ، فلما أكلها وجد فترةً ، فقال لابن طيفور : أجد حرارة ،
 فقال : يا أمير المؤمنين ؛ احتجم تبرأ من علّة الدم ، وقدّر أنه إذ خرج
 الدم قوى عليه السم . فحجم فحجم ، وغلظت علته عليه . فتخوف هو
 والأتراك أن تطول علته ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن الحجامة لم يكن فيها
 ما قدّرنا في عافيتك ، وتحتاج إلى الفصد ؛ فإنه أنجح لما تريد ، فقال : أفعل ،
 ففصده بمبضع مسموم ، ودشش ، فألقاه في مباحضه — وكان أحدها وأجودها . ثم
 إن على بن طيفور ، وجد حرارة ، فدعا تلميذاً له ليفصده ، فنظر في المباحض
 فلم يجد أحداً منه ، ولا أخير فقصده ، فكانت منيته فيه ^(١) .

وذكر عن ابن دهقانة أنه قال : كنا في مجلس المنتصر يوماً بعد ما قُتل
 المتوكل ، فتحدث المسدود الطنبورى بحديث ، فقال المنتصر : متى كان هذا ؟
 فقال : ليلة لاناه ولا زاجر ؛ فأحفظ ذلك المنتصر .

١٤٩٨/٣

وذكر عن سعيد بن سلمة النصراني أنه قال : خرج علينا أحمد بن
 الحصب مسروراً يذكر أن أمير المؤمنين المنتصر رأى في ليلة في المنام ؛ أنه
 صعد ذرّجة حتى انتهى إلى خمس وعشرين منارة منها ؛ فقبل له :
 هذا ملكك ؛ وبلغ الخبر ابن المنجم ، فدخل عليه محمد بن موسى وعلى بن
 يحيى المنجم مهتئين له بالرؤيا ، فقال : لم يكن الأمر على ما ذكر لكم أحمد
 ابن الحصب ؛ ولكني حين بلغت آخر المراق ، قيل لي : قف فهذا آخر
 عمرك ؛ واغمم لذلك غمًّا شديداً ، فعاش بعد ذلك أياماً تنمّة سنة ، ثم
 مات وهو ابن خمس وعشرين سنة .

وقيل : توفّي وهو ابن خمس وعشرين سنة وستة أشهر .

وقيل : بل كان عمره أربعاً وعشرين سنة ، وكانت مدة خلافته ستة أشهر

(١) هذا الخبر ساقط من ط ، وأثبتته من أ .

في قول بعضهم ويومين .

وقيل : كانت ستة أشهر سواء .

وقيل : كانت مائة يوم وتسعة وسبعين يوماً .

وكان وفاته بسامراً بالقصر المحدث ، بعد أن أظهر في إخوته ما أظهر بأربع وأربعين ليلة ؛ وذكر أنه لما حضرته الوفاة قال :

فَمَا فَرَحْتُ نَفْسِي بِدُنْيَا أَخَذْتُهَا وَلَكِنْ إِلَى الرَّبِّ الْكَرِيمِ أَصِيرُ
وَصَلَّى عَلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُعْتَصِمِ بِسَامِرًا ؛ وبها كان مولده .

وكان أعينَ أفنى قصيراً جَيِّدَ الْبَضْعَةِ . وكان - فيما ذكر - مهيباً .

وهو أول خليفة من بني العباس - فيما بعد - عرف قبره ؛ وذلك أن أمه طلبت إظهار قبره .

١٤٩٩/٣

وكانت كنيته أبا جعفر واسم أمه حبشية وهي أم ولد رومية .

• • •

ذكر بعض سيره

ذكر أن المنتصر لما وليَ الخلافة كان أول شيء أحدث من الأمور عزّل صالح عن المدينة وتولية عليّ بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد إياها ؛ فذكر عن عليّ بن الحسين ، أنه قال : دخلت عليه ^(١) أودّعه ، فقال لي : يا عليّ ، إني أوجهك ^(٢) إلى الحمى ودي - ومدّ جيلند ساعده - وقال : إلى هنا وجهتك ^(٣) ، فانظر كيف تكون للقوم ، وكيف تعاملهم ! يعني آل أبي طالب ، فقلت : أرجو أن أمثل رأي أمير المؤمنين أبده الله فيهم إن شاء الله ؛ فقال : إذا تسعد بذلك عندي

وذكر عن محمد بن هارون ، كاتب محمد بن عليّ برد الخيار وخليفته على ديوان ضياع إبراهيم المؤيد ، أنه أصيب مقتولاً على فراشه ، به عدة ضربات

(٢) ف : « إني موجهك » .

(١) ف : « إليه » .

(٣) ف : « موجهك » .

بالسيف ، فأحضر ولدُه خادماً أسود كان له ووصيفاً ، ذكر أن الوصيف ١٥٠٠/٣
أقرَّ على الأسود ، فأدخل على المنتصر ، وأحضر جعفر بن عبد الواحد ،
فسئل عن قتله مولاه (١) ، فأقرَّ به ، ووصف فعله به وسبب قتله إياه ، فقال
له المنتصر : ويلك ! لم (٢) قتله ؟ فقال له الأسود : لما قتلت أنت أباك المتوكل !
فسأل الفقهاء في أمره (٣) ، فأشاروا (٤) بقتله ، فضرب عنقه وصلبه ، عند
خشبة بابك .

• • •

وفي هذه السنة حكَّم محمد بن عمرو الشاري ، وخرج بناحية الموصل ، فوجه
إليه المنتصر إسحاق بن ثابت الفرغاني ، فأخذه أسيراً مع عِدَّة من أصحابه ،
فقتلوا وصلبوا .

وفيهما تحرك يعقوب بن الليث الصفار من سجستان ، فصار إلى هراة .
وذكر عن أحمد بن عبد الله بن صالح صاحب المصلى أنه قال : كان
لأبي مؤذَن ، فراه بعض أهلنا في المنام كأنه أذن أذاناً لبعض الصلوات ؛
ثم دنا من بيت فيه المنتصر ، فنادى : يا محمد ، يا منتصر ، إن ربك
لبارِصاد .

وذكر عن بُنان المغنِّي - وكان فيما قيل أخصَّ الناس بالمنتصر في حياة
أبيه وبعد ما ولي الخلافة - أنه قال : سألت المنتصر أن يهب لي ثوب ديباج
وهو خليفة ؛ فقال : أوخير لك من الثوب الديباج ؟ قلت : وما هو ؟ قال :
تمارض حتى أعودك ؛ فإنه سيهدى لك أكثر من الثوب الديباج ؛ قال : فأت
في تلك الأيام ، ولم يهب لي شيئاً . ١٥٠١/٣

• • •

وفي هذه السنة بويع بالخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم .

(٢) ف : « كيف » .

(١) ف : « إياه » .

(٤) بعدها في ف : « عليه » .

(٣) ف : « عن أمره » .

خلافة أحمد بن محمد بن المعتصم

وهو المستعين ويكنى أبا العباس

* ذكر الخبر عن سبب ولايته والوقت الذى بويغ له فيه :

ذكر أن المنتصر لما توفى ؛ وذلك يوم السبت عند العصر لأربع خلون من شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وأربعين ومائتين ، اجتمع الموالى إلى الهارونى يوم الأحد ، وفيهم بغا الصغير وبغا الكبير أوتامش ومن معهم ، فاستحلفوا قواد الأتراك والمغاربة والأشروسنية - وكان الذى يستحلفهم على بن الحسين ابن عبد الأعلى الأسكافى كاتب بغا الكبير - على أن يرضوا بمن يرضى به بغا الصغير وبغا الكبير أوتامش ، وذلك بتدبير أحمد بن الحصب ، فحلف القوم وتشاوروا بينهم ، وكرهوا أن يتولّى الخلافة أحد من ولد المتوكل ؛ لقتلهم أباه ^(١) ، وخوفهم أن يغتالهم من يتولى الخلافة منهم ، فأجمع أحمد بن الحصب ومن حضر ^(٢) من الموالى على أحمد بن محمد بن المعتصم ، فقالوا : لانخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم ؛ وقد كانوا قبله ذكروا جماعة من بنى هاشم ؛ فبايعوه وقت العشاء الآخرة من ليلة الاثنين ، لست خلون من شهر ربيع الآخر من السنة ؛ وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، ويكنى أبا العباس .

١٥٠٢/٣

فاستكتب أحمد بن الحصب ، واستوزر أوتامش . فلما كان يوم الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر صار إلى دار العامة من طريق العمري بين البساتين ، وقد ألبسوه الطويلة وزى الخلافة ؛ وحمل إبراهيم بن إسحاق بين يديه الحربة قبل طلوع الشمس ، ووافى واجن الأشروسنى باب العامة من طريق الشارع على بيت المال ، فصف أصحابه صفين ، وقام فى الصف هو وعيدته من وجوه أصحابه ، وحضر الدار أصحاب المراتب من ولد المتوكل والعباسيين والطلبانيين وغيرهم ممن لهم مرتبة ؛ فبيناهم كذلك ، وقد مضى من النهار ساعة ونصف ؛ جاءت صيحة من ناحية الشارع والسوق ؛ فإذا نحو من خمسين فارساً من الشاكزية ؛ ذكروا أنهم من أصحاب

١٥٠٣/٣

(٢) ف : « حضره » .

(١) ف : « المتوكل » .

أبى العباس محمد بن عبد الله ، ومعهم قوم من فرسان طبرية وأخلاط من الناس ومعهم من الغوغاء والسوقة نحو من ألف رجل ؛ فشهروا السلاح ، وصاحوا : يا معتز^(١) يا منصور ، وشدوا على صفى الأشروسنية اللذين صفهما واجن ، فتضعضوا ، وانضم بعضهم إلى بعض ، ونفر من على باب العامة من المبيضة مع الشاكرية ، فكثروا^(٢) ، فشد عليهم المغاربة والأشروسنية ، فهزموهم حتى أدخلوهم الدرب الكبير المعروف بزرافة وعزّون . وحمل قوم منهم على المعتزية ، فكشفوهم ؛ حتى جاوزوا بهم دار أخى عزّون بن إسماعيل وهم فى مضيق الطريق ، فوقف المعتزية هنالك ، ورى الأشروسنية عدة منهم بالنشاب ، وضربوهم بالسيوف ، ونشبت الحرب بينهم ؛ وأقبلت المعتزية والغوغاء يكبرون ؛ ف وقعت بينهم قتلى كثيرة ؛ إلى أن مضى من النهار ثلاث ساعات . ثم انصرف الأتراك وقد بايعوا أحمد بن محمد بن المعتصم ؛ وانصرفوا مما بلى العمري والبساتين ، وأخذ الموالى قبل انصرفهم البسيعة على من حضر الدار من الهاشميين وغيرهم وأصحاب المراتب . وخرج المستعين من باب العامة منصرفاً إلى الهارونى ، فبات هنالك . ومضى الأشروسنية إلى الهارونى ، وقد قُتِل من الفريقين عددٌ كثير ، ودخل قوم من الأشروسنية دوراً ، فظفرت بهم الغوغاء ، فأخذوا دروعهم وسلاحهم وجواشنهم ودوابهم ، ودخل الغوغاء والمنتهبة دار العامة منصرفين إلى الهارونى ، فانتهبوا الخزانة التى فيها السلاح والدروع والجواشن واللجم المغربية وأكثرها منها ؛ وربما مرّ أحدهم بالجواشن والخراب فأكثر ، وانتهبوا فى دار أرمش ابن أبى أيوب بحضرة أصحاب الفقاع تراس خيزران وقتاً بلا أسنة ؛ فكثرت الرماح والتراس فى أيدي الغوغاء وأصحاب الحمامات وغلمان الباقلى ، ثم جاءتهم جماعة من الأتراك منهم بئما الصغير من درب زرافة ، فأحلبوهم من الخزانة ، وقتلوا منهم عدة ، وأمسكوا قليلاً . ثم انصرف الفريقان ، وقد كثرت القتلى بينهم ؛ وأقبل الغوغاء لا يمرّ أحد من الأتراك من أسافل سامراً يريد باب العامة إلا انتهبوا سلاحه ، وقتلوا جماعة منهم عند دار مبارك المغربى ، وعند دار حبش^(٣)

(١) كذا فى ف ، وفى ط : « معتز » ، بدون « يا » .

(٢) س : « فكبروا » .

(٣) كذا فى ١ ، وفى ط من غير نقط .

١٥٠٤/٣

١٥٠٥/٣

أخى يعقوب قوصرة في شوارع سامرا ، وعامة من انتهب - فيما ذكر - هذا السلاح أصحاب الفقاع والناطف وأصحاب الحمامات والسقاءون وغوغاء الأسواق ؛ فلم يزل ذلك أمرهم إلى نصف النهار ، وتحرك أهل السجن بسامرا في هذا اليوم ، فهرب منهم جماعة ، ثم وضع العطاء على البيعة ، وبعث بكتاب البيعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر في اليوم الذي بُوع له فيه ، وكان وصوله إلى محمد في اليوم الثاني ، ووافى به أخ لأنامش ومحمد بن عبد الله في نزهة له ، فوجّه الحاجب إليه ، وأعلمه مكانه ، فرجع من ساعته ، وبعث إلى الهاشميين والقواد والجند ، ووضع لهم الأرزاق .

• • •

وورد في هذه السنة على المستعين وفاة طاهر عبد الله بن طاهر بخراسان في رجب ، فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر على خراسان ، ولمحمد بن عبد الله على العراق ، وجعل إليه الحرمين والشرطة ومعاون السواد برأسه وأفرده به ، وعقد في الجوسق لمحمد بن طاهر بن عبد الله ابن طاهر على خراسان والأعمال المضمومة إليها خاصة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان .

١٥٠٦/٣

ومرض بؤغا الكبير في جمادى الآخرة ، فعاده المستعين في النصف منها ، ومات بؤغا من يومه ، فعقد لموسى ابنه على أعماله وعلى أعمال أبيه كلها . وولّى ديوان البريد .

• • •

وفي هذه السنة وجّه أنوجو التركي إلى أبي العمود الثعلبي ، فقتله يوم السبت بكهــر توتى لخمس بقين من شهر ربيع الآخر .

وفيهما خرج عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الحج ، فوجّه خلفه رسول من الشيعة اسمه شعيب بنفبه إلى برقة ، ومنعه من الحج .

وفيهما ابتاع المستعين من المعتز والمؤيد في جمادى الأولى منها جميع ما كان لهما ، خلا شيئا استثنى منه المعتز قيمته مائة ألف دينار ، وأخذ له لإبراهيم غلة بثمانين ألف دينار في السنة ؛ فلما كان يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت

١٥٠٧/٣

من رمضان ابتيع من المعتز والمؤيد جميع ما لهما من الدور والمنازل والضيايع^(١) والقصور والفُرش والآلة وغير ذلك بعشرين ألف دينار ، وأشهدا^(٢) عليهما بذلك الشهود والعُدول والقضاة وغيرهم . وقيل : ابتيع^(٣) ما لهما من الضيايع وترك إلى أبي عبد الله ما يكون غلته من العيين في السنة عشرين ألف دينار^(٤) ، ولإبراهيم ما تبلغ قيمة غلته في السنة خمسة^(٥) آلاف دينار ؛ فكان ما ابتيع من أبي عبد الله عشرة آلاف ألف دينار وعشر حبات لؤلؤ ، ومن إبراهيم بثلاثة آلاف ألف درهم وثلاث حبات لؤلؤ ؛ وأشهدا عليهما^(٦) بذلك الفقهاء والقضاة . وكان الشراء باسم الحسن بن مخلد للمستعين ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وحُميسا في حجرة الجوسق ، ووُكِّلَ بهما ، وجعل أمرهما إلى بُغا الصغير ؛ وكان الأتراك قد أرادوا حين شَغَب الغوغاء والشاكرية قتلها ؛ فنعمهم من ذلك أحمد بن الخصيب ، وقال : ليس لهما ذنب ولا المشغبة من أصحابهما ، وإنما المشغبة من أصحاب ابن طاهر ، ولكن احبسوهما فحبسا .

١٥٠٨/٣

وفيهما غضب الموالي على أحمد بن الخصيب ؛ وذلك في جُمادى الأولى منها ، واستصفي ماله ومال ولده ، ونُفِيَ إلى إقريطش .
وفيهما صرف غلى بن يحيى عن الثغور الشامية ؛ وعقد له على إرمينية وأذَر بييجان في شهر رمضان من هذه السنة .

وفيهما شَغَب أهل حمص على كيدر بن عبيد الله عامل المستعين عليها فأخرجوه منها ، فوجه إليهم الفضل بن قارن ، فكَبَر بهم حتى أخذهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وحمل منهم^(٧) مائة رجل من عيونهم إلى سامرا ، وهدم سورهم .

وفيهما غزا الصائفة وصيف ، وكان مقيماً بالشعر الشامي حتى ورد عليه موت

(١) ١ ، ف : « والمتاع » .

(٢) ٣) بمدها في ف : « جميع » .

(٤) ٤) ف : « درهم » .

(٥) ٥) س : « عشرة » .

(٦) ٦) ف : « وأشهد عليهم » .

(٧) ٧) ف : « وأخذ منهم » .

المنتصر ، ثم دخل بلاد الروم ؛ فافتتح حصناً يقال ^(١) له فرورية ، وعقد المستعين فيها لأوتامش على مصر والمغرب واتخذه وزيراً .

وفيها عقد لبُغا الشراي على حُلوان وماسبذان ومهرجان قَدَق ، وصيّر المستعين شاهك الخادم على داره وكُراعته وحرمة وخزائنه وخاصّ أموره ، وقدّمه أوتامش على جميع الناس . .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن سليمان الزينبي .

١٥٠٩/٣

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزو جعفر بن دينار الصائفة ، فافتتح ^(١) حصناً ومطامير ، واستأذنه عمر بن عبيد الله الأقطع في المصير إلى ناحية من بلاد الروم ؛ فأذن له ، فسار ومعه خلق كثير من أهل مَلَطِيَّة ، فلقبه الملك في جمع من الروم عظيم بموضع ، يقال له أرز من مَرْج الأسقف ، فحاربه بمَنْ معه محاربة شديدة ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين ، ثم أحاطت به الروم وهم خمسون ألفاً ، فقتل عمر وألفا رجل من المسلمين ؛ وذلك في يوم الجمعة للنصف من رجب .

* * *

[خبر قتل عليّ بن يحيى الأرمنيّ]

وفيهما قتل عليّ بن يحيى الأرمنيّ .

* ذكر الخبر عن سبب قتله :

ذكر أن الروم لما قتل عمر بن عبيد الله ^(٢) ، خرجوا إلى الثغور الجزرية ، وكلبوا عليها وعلى حرم المسلمين بها ، فبلغ ذلك عليّ بن يحيى وهو قافل من إرمينية إلى ميسافارقين ، فنفر إليهم في جماعة من أهل ميسافارقين والسلسلة ، فقتل في نحو من أربع مائة رجل ، وذلك في شهر رمضان .

* * *

[شغب الجند والشاكرية ببغداد]

وشغب الجند والشاكرية ببغداد في هذه السنة في أول يوم من صفر .

(٢) ط : « عبيد » .

(١) ف : « ففتح » .

* ذكر الخبر عن السبب في ذلك :

وكان السبب في ذلك أن الخبر لما اتصل بأهل مدينة السلام وسامراً وسائر ما قرب منهما من مُدُن الإسلام بمقتل عمر بن عبيد الله الأقطع وعلى بن يحيى الأرمي - وكانا نابين من أنياب المسلمين ، شديداً بأُسُهما ، عظيماً غناؤهما عنهما في الثغور التي هما بها - شق ذلك عليهم ، وعظم مقتلُهما في صدورهم ، مع قُرب مقتل أحدهما من مقتل الآخر ، ومع مالحقهم من استفظاعهم من الأتراك قتل المتوكل واستيلائهم على أمور المسلمين ، وقتلهم من أرادوا قتله من الخلفاء ، واستخلافهم من أحبوا استخلافه من غير رجوع منهم إلى ديانة ، ولا نظر للمسلمين ؛ فاجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير ، وانضمت إليها الأبناء والشاكرية تُظهر أنها تطلب الأرزاق ؛ وذلك أول يوم من صفر ، ففتحوا سجن نصر بن مالك ، وأخرجوا من فيه وفي القنطرة بباب الجسر ؛

وكان فيها جماعة - فيما ذكر - من رفوغ^(١) خراسان والصعاليك من أهل الجبال والحميرة وغيرهم ، وقطعوا أحد الجسرين وضربوا الآخر بالنار ، وانحدرت سُفُنُه ، وانتهب ديوان قصص الحبسين ، وقطعت الدفاتر ، وألقيت في الماء ، وانهبوا دار بشر وإبراهيم ابني هارون النصرانيين كاتب محمد بن عبد الله ؛ وذلك كله بالجانب الشرقي من بغداد . وكان إلى الجانب الشرقي حينئذ أحمد بن محمد بن خالد بن هرثمة . ثم أخرج أهل اليسار^(٢) من أهل بغداد وسامراً أموالاً كثيرة من أموالهم ، ففوقوا من خف للنهوض إلى الثغور لحرب الروم بذلك ؛ وأقبلت العامة من نواحي الجبل^(٣) وفارس والأهواز وغيرها لغزو الروم ؛ فلم يبلغنا أنه كان للسلطان فيما كان من الروم إلى المسلمين من ذلك تغيير ، ولا توجه جيش إليهم لحربهم في تلك الأيام .

ولتسع بقين من شهر ربيع الأول ، وثب نفر من الناس لا يُدْرَى مَنْ هم يوم الجمعة بسامراً ، ففتحوا السجن بها ، وأخرجوا من فيه ، فوجه في طلب النفر الذين فعلوا ذلك زُرافة في جماعة من الموالي ، فوثبت بهم العامة فهزمهم ، ثم ركب في ذلك

١٥١١/٣

(٢) من : « البساتين » .

(١) الرفوغ : النواحي .

(٣) ف : « الجبال » .

أوتامش ووصيف وبُغَا وعامة الأتراك، فقتلوا من العامة جماعة ، وألقى على وصيف - فيما ذكر لي - قدر مطبوخ ، ويقال : بل رماه قوم من العامة عند السريجة^(١) بحجر ؛ فأمر وصيف النفاطين ، فقتلوا ما هنالك من حوانيت التجار ١٥١٢/٣ ومنازل الناس بالنار ؛ فأنا رأيت ذلك الموضع محترقا ؛ وذلك بسامرا عند دار إسحاق .

وذكر أن المغاربة انتهبت منازل جماعة من العامة في ذلك اليوم ، ثم سكن الأمر في آخر ذلك اليوم ، وعزل بسبب ما كان من العامة والنفر الذين ذكرت في ذلك اليوم من الحركة ، أحمد بن جميل عما كان إليه من المعونة بسامرا ، وولى مكانه إبراهيم بن سهل الدارج .

* * *

[ذكر خبر قتل أوتامش وكتابه]

وفي هذه السنة قُتِل أوتامش وكتابه شعاع بن القاسم ؛ وذلك يوم السبت لأربع عشرة خلون من شهر ربيع الآخر منها .
* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذكر أن المستعين لما أفضت إليه الخلافة ، أطلق يد أوتامش وشاهك الخادم في بيوت الأموال ، وأباحهما فِعْل ما أرادا فعله فيها ، وفعل ذلك أيضا بأم نفسه ، فلم يمنعها من شيء تريده ؛ وكان كاتبها سلمة بن سعيد النصراني ، وكانت الأموال التي ترد على السلطان من الآفاق إنما يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة الأنفس ، فعمد أوتامش إلى ما في بيوت الأموال من الأموال فاكتسحه ؛ وكان المستعين قد جعل ابنه العباس في حِجْر أوتامش ؛ فكان ما فضل من الأموال عن هؤلاء الثلاثة الأنفس يؤخذ للعباس ، فيصرف في نفقاته وأسبابه - وصاحب ديوان ضياعه يومئذ دَلَيْل - فاقتطع من ذلك^(٢) أموالا جليلة لنفسه ؛ وجعلت الموالى تنظر إلى الأموال تُستهلك ؛ وهم في ضيقة ، وجعل أوتامش وهو صاحب المستعين وصاحب أمره ، والمستولى عليه يُنفِذُ أمور الخلافة ؛ ووصيف

١٥١٣/٣

وبُغَا من ذلك كُلُّهُ بمعزل ، فأغريا الموالى به ، ولم يزالا يدبّران الأمر عليه حتى أحكما التدبير ، فتنمّرت الأتراك والفراغنة على أوتامش ، وخرج إليه منهم يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من هذه السنة أهل الدُّور والكرخ ، فعسكروا وزحفوا إليه وهو في الجُوسق مع المستعين .

وبلغه الخبر ، فأراد الهرب ، فلم يمكنه ، واستجار بالمستعين فلم يجبره فأقاموا على ذلك من أمرهم يوم الخميس ويوم الجمعة ؛ فلما كان يوم السبت دخلوا الجوسق ، فاستخرجوا أوتامش من موضعه الذى تَوَارَى فيه ، فقتل وقتل كاتبه شجاع بن القاسم ، وانتهبت دار أوتامش ، فأخذ منها — فيما بلغنى — أموالٌ جليلة ومتاع وفرش وآلة .

ولما قُتِل أوتامش استوزر المستعين أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج ، وولى عيسى بن فرخان شاه ، وولى وصيف الأهواز ، وبغا الصغير فلسطين في شهر ربيع الآخر . ثم غضب بغا الصغير وحزبه على أبى صالح بن يزداد ، فهرب أبو صالح إلى بغداد في شعبان ، وصيّر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجاني ؛ فصيّر ديوان الرسائل إلى سعيد بن حُميد رياسة ، فقال في ذلك الحمدونى :

لَيْسَ السَّيْفُ سَعِيدٌ بعدما عَاشَ ذَا طِمْرَيْنِ لَا نَوْبَةَ لَهُ
إِنَّ اللَّهَ لَأَيَّاتٌ وَذَا آيَةٌ لِلَّهِ فِينَا مُنْزَلَةٌ

* * *

[مقتل على بن الجهم]

وفيهما قُتِلَ على بن الجهم بن بدر ؛ وكان سبب ذلك أنه توجه من بغداد إلى الثغر ، فلما كان بقرب حلب بموضع يقال له خساف ؛ لقيته خيل لكلب ، فقتلته ، وأخذ الأعراب ما كان معه ، فقال وهو في السياق :

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلٌ أَمْ سَالَ بِالصَّبْحِ سَيْلٌ ^(١)

ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلُ !
وكان منزله في شارع الدّجّيل .

* * *

وفيها عزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ، ووليه جعفر بن محمد بن ١٥١٥/٣
عمار البرجميّ من أهل الكوفة ؛ وقد قيل إن ذلك في سنة خمسين ومائتين .
وفيها أصاب أهل الرّيّ في ذى الحجة زلزلة شديدة ورجفة تهدّت منها
الدور ، ومات خلق من أهلها وهرب الباكون من أهلها من المدينة ؛ فنزلوا خارجها .
ومُطر أهل سامراً يوم الجمعة لخمس^(١) بقين من جمادى الأولى ؛
وذلك يوم السادس عشر من تمّوز مطرٌ جَوْدٌ برعد وبرق ، فأطبّق الغيم ذلك
اليوم ؛ ولم يزل المطر جَوْداً سائلاً يومئذ إلى اصفراء الشمس ثم سكن .
وتحرّكت المغاربة في هذه السنة يوم الخميس لثلاث خلون من جمادى
الأولى ، وكانوا يجتمعون قرب الجسر بسامراً ، ثم تفرّقوا يوم الجمعة .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم
الإمام وهو والى مكة .

(١) بملها في ف : « ليال » .

ثم دخلت سنة خمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ظهور يحيى بن عمر الطالبي ثم مقتله]

فمن ذلك ما كان من ظهور يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ المكنى بأبي الحسين بالكوفة ، وفيها كان مقتله رضي الله عنه .

• ذكر الخبر عن سبب ظهوره وما آل إليه أمره :

١٥١٦/٣

ذكر أن أبا الحسين يحيى بن عمر - وأمه أم الحسين فاطمة بنت الحسين ابن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - نالته ضيقة شديدة ، ولزمه دَيْن ضاق به ذرعاً ، فلقى عمر بن فرج - وهو يتولّى أمر الطالبين - عند مقدمه من خراسان أيام المتوكل ، فكلّمه في صلته ، فأغلظ عليه عمر القول ^(١) ؛ فقفذه يحيى بن عمر في مجلسه ، فحبّس ، فلم يزل محبوساً إلى أن كفل ^(٢) به أهله ، فأطلق ، فشخص إلى مدينة السلام ، فأقام بها بحال سيئة ، ثم صار إلى سامراً ، فلقى وصيفاً في رِزق يُجرى له ، فأغلظ له وصيف في القول ، وقال : لاى شىء يُجرى على مثلك ! فانصرف عنه .

فذكر ابن طاهر أن ابن الصوفي الطالبي حدثه ، أنه أتاه في الليلة التي كان خروجه في صبيحتها ، فبات عنده ، ولم يعلمه بشىء ^(٣) مما عزم عليه ؛ وأنه عرض عليه الطعمام ، وتبين فيه أنه جائع ، فأبى أن يأكل ، وقال : إن عشنا أكلنا ، قال : فتبينت أنه قد عزم ^(٤) على فتكة ؛ وخرج من عندى ؛

(٢) ف : « كفله » .

(٤) ف : « عازم » .

(١) من ف : « له في القول » .

(٣) بعدها في ف : « من أمره » .

فجعل وجهه إلى الكوفة ؛ وبها أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان عاملاً عليها من قبيل محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ فجمع يحيى بن عمر جَمْعاً كثيراً من الأعراب ، وضوى إليه جماعة من أهل الكوفة ، فأتى ^(١) الفلوجة ؛ فصار إلى قرية تعرف بالعمد ؛ فكتب صاحب البريد بخبره ؛ فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أيوب بن الحسن وعبد الله بن محمود السرخسي - وكان عامل محمد بن عبد الله على معاون السواد - يأمرهما بالاجتماع على محاربة يحيى ابن عمر - وكان على الخراج بالكوفة بدر بن الأصمغ - فضى يحيى بن عمر في سبعة نفر من الفرسان إلى الكوفة فدخلها ، وصار إلى بيت مالها ؛ فأخذ ما فيه ؛ والذي وُجد فيه ألفا دينار وزيادة شيء ، ومن الورق سبعون ألف درهم ؛ وأظهر أمره بالكوفة وفتح السجنين ، وأخرج جميع من كان فيهما ؛ وأخرج عمالها عنها ، فلقيه عبد الله بن محمود السرخسي - وكان في عداد الشاكرية ، فضربه يحيى بن عمر ضربة على قُصَّاص شعره ^(٢) في وجهه أنخته ؛ فانهزم ابن محمود مع أصحابه ، وحوى يحيى ما كان مع ابن محمود من الدواب والمال .

ثم خرج يحيى بن عمر من الكوفة إلى سوادها ، فصار إلى موضع يقال له بستان - أو قريباً منه - على ثلاثة فراسخ من جنبلاء ؛ ولم يبق بالكوفة ، وتبعته جماعة من الزيدية ، واجتمعت على نُصْرته جماعة من قرب من تلك الناحية من الأعراب وأهل الطُفوف والسَّيْب الأسفل ، وإلى ظهر واسط . ثم أقام بالبستان ، فكثُر جمعُه ، فوجه محمد بن عبد الله لمحاربته الحسين بن إسماعيل ابن إبراهيم بن مصعب ، وضم إليه من ذَوِي البأس والنجدة من قواده جماعة ؛ مثل خالد بن عمران وعبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفلسس ، وأبي السناء الغنصوي ، وعبد الله بن نصر بن حمزة ، وسعد الضبابي ، ومن الإسحاقية أحمد ابن محمد بن الفضل وجماعة من خاصّة الخراسانية وغيرهم .

وشخص الحسين بن إسماعيل ، فنزل بإزاء هَتَمَسْدَى في وجه يحيى بن عمر ، لا يقدم عليه الحسين بن إسماعيل ومن معه ؛ وقصد يحيى نحو البحرية

(١) كذا في س ، وفي ط : « وأتى » .

(٢) قصاص الشعر : حيث ينهى نبتة من مقدمه أو مؤخره .

— وهى قرية بينها وبين قُسَيْن خمسة فراسخ، ولو شاء الحسين أن يلحقه لحقه — ثم مضى يحيى بن عمر في شرق السَّيْب والحسين في غربته، حتى صار إلى أحمد أباذ فعبّر إلى ناحية سُورَا ، وجعل الجند لا يلحقون ضعيفاً عجز عن اللحاق بيحيى إلا أخذوه ، وأوقعوا بمن صار إلى يحيى بن عمر من أهل تلك القرى .
وكان أحمد بن الفرّج المعروف بابن الفزاري يتولى معونة السَّيْب لمحمد ابن عبد الله، فحمل ما اجتمع عنده^(١) من حاصل السَّيْب قبل دخول يحيى بن عمر أحمد أباذ ، فلم يظفر به .

١٥١٩/٣

ومضى يحيى بن عمر نحو الكوفة ، فلقى عبد الرحمن بن الخطاب وجّههُ الفُلس ، فقاتله بقرب جسر الكوفة قتالاً شديداً ، فانهزم عبد الرحمن بن الخطاب ، وانحاز إلى ناحية شاهى ، ووافاه الحسين بن إسماعيل ، فعسكر بها، ودخل يحيى بن عمر الكوفة ، واجتمعت إليه الزيدية ، ودعا إلى الرضا من آل محمد وكثف أمره ، واجتمعت إليه جماعة من الناس وأحبّوه ، وتولاه العامة من أهل بغداد — ولا يُعلم أنهم تولوا من أهل بيته غيره — وبايعه بالكوفة جماعة لهم بصائر وتدبير في تشييعهم ؛ ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم .
وأقام الحسين بن إسماعيل بشاهى ، واستراح وأراح أصحابه دوابهم ، ورجعت إليهم أنفسهم، وشربوا العذب من ماء الفُرّات ؛ واتصلت بهم الأمداد والميرة والأموال . وأقام يحيى بن عمر بالكوفة بعد العدد ، ويطبع السيوف ، ويعرض الرجال ، ويجمع السلاح .

وإن جماعة من الزيدية ممن لا علم له^(٢) بالحرب ، أشاروا على يحيى بمعالجة الحسين ، وألحت عليه عوام أصحابه بمثل ذلك ، فزحف إليه من ظهر الكوفة من وراء الخندق ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب، ومعه الهيضم العجلى ، في فرسان من بنى عَجَلْ وأناس من بنى أسد ورجالة من أهل الكوفة ليسوا ببنوى علم ولا تدبير ولا شجاعة ، فأُسروا ليلتهم ؛ ثم صَبَحُوا حسينا وأصحابه — وأصحاب حسين مستريحون ومستعدون — فثاروا إليهم^(٣) في الفلّس

١٥٢٠/٣

(٢) ف . « لم » .

(١) ف : « إليه » .

(٣) ف : « عليهم » .

فروا ساعة ، ثم حمل عليهم أصحاب الحسين فانهزموا ، ووضع فيهم السيف ؛ فكان أول أسير الهضم بن العلاء بن جمهور العجلي ، فانهزم رجاله أهل الكوفة ، وأكثرهم عزّل بغير سلاح ، ضَعَفَى^(١) القوى ، خلقتان الثياب ؛ فداستهم الخيل ، وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر ، وعليه جوشن تَبَيَّتْ ، وقد تقطّر به البرذون الذي أخذه من عبد الله بن محمود ، فوقف عليه ابن خالد بن عمران يقال له خير ؛ فلم يعرفه ، وظن أنه رجل من أهل خراسان ؛ لما رأى عليه الجوشن . ووقف عليه أيضاً أبو الغور بن خالد بن عمران ، فقال لخير بن خالد : يا أخى ، هذا والله أبو الحسين قد انفرج قلبه ؛ وهو نازل لا يعرف القصة لانفراج قلبه ، فأمر خير رجلاً من أصحابه المواصلين^(٢) من العرقاء يقال له مُحَسِّن بن المنتاب ، فنزل إليه فذبحه ، وأخذ رأسه وجعله في قَوْصَرَةٍ^(٣) ، ووجهه مع عمر بن الخطاب ، أخى عبد الرحمن بن الخطاب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر .

وَادَّعى قتله غير واحد ، فذكر عن العرس بن عراهم أنهم وجدوه باركاً ، ووجدوا خاتمه مع رجل يعرف بالعسقلاني مع سيفه ، وادَّعى أنه طعنه وسلبه ، وادَّعى سعد الضَّبَّابِي أنه قتله .

وذكر عن أبي الحسين خال أبي السناء أنه طعن في الغلّس رجلاً في ظهره لا يعرفه ، فأصابوا في ظهر أبي الحسين طعنة ولا يُدْرَى مَنْ قتله ، لكثرة من ادَّعاه ، وورد الرأس دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، وقد تغبّر ، فطلبوا مَنْ يَقْوَر ذلك اللحم ، ويخرج الحديقة والغُلْصَمَة^(٤) ، فلم يوجد ، وهرب الجزأرون ، وطلب مَنْ في السجن من الحرّمية الذبّاحين من يفعل ذلك فلم يقدم عليه أحد ، إلا رجل من عمال السجن الحديد ، يقال له سهل بن الصغدِي ، فإنه تولى إخراج دماغه وعينه وقوره بيديه ، وحشّى بالصبر والمسك والكافور بعد أن غسل وصيّر في القطن . وذكر أنهم رأوا بجنبه ضربة بالسيف منكورة .

(١) ف : « ضعاف » . (٢) س : « المواصلين » .

(٣) القوصرة ، بالتخفيف - والتشديد : وعاء للتمر .

(٤) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق .

ثم إن محمد بن عبد الله بن طاهر أمر بحمل رأسه إلى المستعين من غد اليوم الذي وافاه فيه ، وكتب إليه بالفتح بيده ، ونصب رأسه بباب العامة بسامراً ، واجتمع الناس لذلك ، وكثروا وتذمروا ، وتولّى إبراهيم الديرج نصبه ؛ لأن إبراهيم بن إسحاق خليفة محمد بن عبد الله أمره فنصبه لحظة ، ثم حُطّ ، وردّ إلى بغداد لينصب بها بباب الجسر ؛ فلم يتهياً ذلك لمحمد بن عبد الله لكثرة من اجتمع من الناس . وذكر لمحمد بن عبد الله أنهم على أخذه اجتمعوا ، فلم ينصبه ، وجعله في صندوق في بيت السلاح في داره ، ووجه الحسين ابن إسماعيل بالأسرى ورعوس من قتل معه مع رجل يقال له أحمد بن عصمويه ، ممن كان مع إسحاق بن إبراهيم ، فكذبهم وأجاعهم وأساء بهم ؛ فأمر بهم فحبسوا في سجن الحديد ، وكتب فيهم محمد بن عبد الله يسأل الصفح عنهم ، فأمر بتخليتهم ، وأن تدفن الرعوس ولا تُنصب ، فدفنت في قصر بباب الذهب .

وذكر عن بعض الطاهريين أنه حضر مجلس محمد بن عبد الله وهو يهنأ بمقتل يحيى بن عمرو بالفتح وجماعة من الهاشمين والطلبين وغيرهم حضور ؛ فدخل عليه داود بن القاسم^(١) أبو هاشم الجعفرى فيمن دخل ، فسمعهم يهنتونه ، فقال : أيها الأمير ؛ إنك لتهنأ بمقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً لعزّى به ! فما ردّ عليه محمد بن عبد الله شيئاً ، فخرج أبو هاشم الجعفرى ، وهو يقول :

١٥٢٣/٣

يا بنى طاهر كلوه وبياً إن لحم النبى غير مرى
إن وترّاً يكون طالبة إلا لو ترّ نجاحه بالحرى

وكان المستعين قد وجه كلباتكين مدداً للحسين ومستظهِراً به ، فلحق حسيناً بعد ما هُزم القوم وقتل يحيى بن عمر ، فضى معهم صاحب بريد الكوفة فلقي جماعة ممن كان مع يحيى بن عمر ، ومعهم أسوقة وأطعمة يريدون عسكر يحيى ؛ فوضع فيهم السيف فقتلهم ، ودخل الكوفة ؛ فأراد أن

ينهبها ويضع السيف في أهلها ، ففنه الحسين ، وآمن الأسود والأبيض بها ؛
وأقام أياماً ثم انصرف عنها .

* * *

[ذكر خبر خروج الحسن بن زيد العلوي]

وفي هذه السنة كان خروج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن
ابن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب في شهر رمضان منها .

* ذكر الخبر عن سبب خروجه :

حدثني جماعة من أهل طبرستان وغيرهم ؛ أن سبب ذلك كان أن ١٥٢٤/٣
محمد بن عبد الله بن طاهر لما جرى على يده ما جرى من قتل يحيى بن عمر ،
ودخول أصحابه وجيشه الكوفة بعد فراغهم من قتل يحيى ، أقطعه المستعين
من صوافي السلطان بطبرستان قطائع ؛ وأن من تلك القطائع التي أقطعها قطعة
فيما قرب من ثغري طبرستان ممّا يلي الديلم ؛ وهما كلار وسالوس ، كان
يخذائها^(١) أرض لأهل تلك الناحية فيها مرافق ، منها تحت طيهم ومراعى مواشهم
ومسرح سارحتهم ؛ وليس لأحد عليها ملّك ؛ وإنما هي صحراء من موتان^(٢)
الأرض ؛ غير أنها ذات غياض وأشجار وكلا .

فوجّه - فيما ذكر لي - محمد بن عبد الله بن طاهر أخاً لكاتبه بشر بن
هارون النصراني يقال له جابر بن هارون ، لحيازة ما أقطع هنالك من الأرض ،
وعامل طبرستان يومئذ سليمان بن عبد الله خليفة محمد بن طاهر بن عبد الله بن
طاهر ، أخو محمد بن عبد الله بن طاهر ، والمستولى على سليمان ، والغالب على
أمره محمد بن أوس البلخي ؛ وقد فرق محمد بن أوس ولده في مدن طبرستان ،
وجعلهم ولائها ، وضم إلى كل واحد منهم مدينة منها ؛ وهم أحداث سفتها ؛
قد تأذى بهم وبسفتهم من تحت أيديهم من الرعيّة^(٣) وأستنكروا منهم ومن
والدهم ومن سليمان بن عبد الله سفتهم وسيرتهم فيهم ، وغلظ عليهم سوء

(١) : « كادها » .

(٢) الموتان من الأرض : التي لم تحي بعد .

(٣) كذا في أ ، ف ، وق ط : « والرعيّة » .

أثرهم فيهم ؛ بقصص يطول الكتاب بشرح أكثرها .

ووترمع ذلك - فيما ذكر لي - محمد بن أوس الديلم بدخوله إلى ما قرب من بلادهم من حدود طبرستان ؛ وهم أهل سيلم وموادة لأهل طبرستان على اغترار من الديلم بما يلتمس بدخوله إليهم بغارة ، فسبى منهم وقتل ، ثم انكفأ راجعاً إلى طبرستان ، فكان ذلك مما زاد أهل طبرستان عليه حنقاً وغيظاً ، فلما صار رسول محمد بن عبد الله - وهو جابر بن هارون النصراني - إلى طبرستان لحيازة ما أقطعه هنالك محمد ، عمد - فيما قيل لي - جابر بن هارون إلى ما أقطع محمد بن عبد الله من صوا في السلطان فحازه ، وحاز ما اتصل به من موات الأرض التي يرتفق بها أهل تلك الناحية - فيما ذكر - فكان فيما رام حيازته من ذلك الموات الذي بقرب من الثغرين اللذين يسمى أحدهما كلار^(١) والآخر سالوس ؛ وكان في تلك الناحية يومئذ رجلان معروفان بالبأس والشجاعة^(٢) ، وكانا مذكورين قديماً بضبط تلك الناحية من رامها^(٣) من الديلم ، وبإطعام الناس بها وبالإفضال عن من ضوى^(٤) إليهما ؛ يقال لأحدهما محمد وللآخر جعفر ؛ وهما ابنا رستم أخوان ؛ فأنكروا ما فعل جابر بن هارون من حيازته الموات الذي وصفت أمره ، ومانعاه ذلك

١٥٢٦/٣

وكان ابنا رستم في تلك الناحية مطاعين فاستنهما من أطاعهما ممن في ناحيتهما لمنع جابر بن هارون من حيازة ما رام حيازته من الموات الذي هو مرتفق لأهل تلك الناحية - فيما ذكر - وغير داخل فيما أقطعه صاحبه محمد بن عبد الله ، فنهضوا معهما ، وهرب جابر بن هارون خوفاً على نفسه منهما ومن قد نهض معهما ، لإنكار ما رام جابر النصراني فعله . فلحق سليمان بن عبد الله ابن طاهر ، وأيقن محمد وجعفر ابنا رستم ومن نهض معهما في منع جابر عما حاول من حيازة ما حاول حيازته من الموات الذي ذكرت بالشر ، وذلك أن عامل طبرستان كلمها سليمان بن عبد الله ؛ وهو أخو محمد بن عبد الله بن طاهر وعم محمد ابن طاهر بن عبد الله عامل المستعين على خراسان وطبرستان والرتى والمشرق كله يومئذ .

(٢) بعدها في ف : « والنجدة » .

(٤) ف : « انضوى » .

(١) : ١ : « كلان » .

(٣) ف : « يروها » .

فلما أيقن القوم بذلك ، راسلوا جيرانهم من الديلم ، وذكروهم وفاءهم لهم بالعهد الذى بينهم وبينهم ، وما ركبهم به محمد بن أوس من الغدر والقتل والسبى ، وأنهم لا يأمنون^(١) من ركوبه إياهم بمثل الذى ركبهم به ، ويسألونهم مظاهرتهم عليه وعلى من معه ؛ فأعلمهم الديلم أن ما إلى أرضهم من جميع نواحيها من الأرضين والبلاد ؛ إنما عمالها إمّا عمال لظاهر ؛ وإمّا عمال من يتخذ^(٢) آل طاهر إن احتاجوا إلى إنجادهم ؛ وإن ما سألوا من معاونتهم لا سبيل لهم إليه إلا بزوال الخوف عنهم من أن يؤتوا من قبل ظهورهم إذا هم اشتغلوا بحرب من بين أيديهم من عمال سليمان بن عبد الله ؛ فأعلمهم الذين سألوهم المظاهرة على حرب سليمان وعماله أنهم لا يغفلون عن كفايتهم ذلك ؛ حتى يأمنوا مما خافوا منه . فأجابهم الديلم إلى ما سألوهم من ذلك ، ونعقدوا هم وأهل كلار وسالوس على معاونة بعضهم بعضاً على حرب سليمان ابن عبد الله وابن أوس وغيرهم ممن قصدهم بحرب .

ثم أرسل ابننا رستم محمد وجعفر - فيما ذكر - إلى رجل من الطالبين المقيمين كانوا يومئذ بطبرستان ، يقال له محمد بن إبراهيم ، يدعونه إلى البيعة له ، فأبى وامتنع عليهم ، وقال لهم : لكنى أدلكم على رجل منا هو^(٣) أقوم بما دعوتوه إليه منى ، فقالوا : من هو ؟ فأخبرهم أنه الحسن بن زيد ، ودلهم على منزله ومسكنه بالرى . فوجه القوم إلى الرى عن رسالة محمد بن إبراهيم العلوى إليه من يدعوه إلى الشخوص معه إلى طبرستان ؛ فشخص معه إليها ، فوافاهم الحسن بن زيد ، وقد صارت كلمة الديلم وأهل كلار وسالوس ورويان على بيعته وقتال سليمان بن عبد الله واحدة ؛ فلما وافاهم الحسن بن زيد بايع له ابنارستم ، وجماعة أهل الثغور ورؤساء الديلم : كجايا ولاشام وهسودان بن جستان ، ومن أهل رويان عبد الله بن وتند أميد - وكان عندهم من أهل التأله والتعبد - ثم فاهضوا من فى تلك النواحي من عمال ابن أوس فطردوهم عنها ، فلحقوا بابن أوس وسليمان بن عبد الله ؛ وهما بمدينة سارية ، وانضم إلى الحسن ابن زيد مع من بايعه من أهل النواحي التى ذكرت ؛ لما بلغهم ظهوره بها

(١) س : « ولا يأمنون » . (٢) كذا فى ١ ، وفى ط : « ينجد » (٣) س : « وهو » .

١٥٢٩/٣

حوزية جبال طبرستان كما صمغمان وفادسبان وليث بن قباد ، ومن أهل السفح خشكجستان بن إبراهيم بن الخليل بن ونداسفجان ، خلا ما كان من سكان جبل فريم ؛ فإن رئيسهم كان يومئذ والمتملك عليهم قارن بن شهریار ؛ فإنه كان ممتنعاً بجبله وأصحابه ، فلم ينفذ للحسن بن زيد ولا من معه حتى مات ميتة نفسه ، مع موادة كانت بينهما في بعض الأحوال ، ومخاتنة ^(١) ومصاهرة كفاً من قارن بذلك من فعله عادية الحسن بن زيد ومن معه .

ثم زحف الحسن بن زيد وقواده من أهل النواحي التي ذكرت نحو مدينة آمل ؛ وهي أول مدن طبرستان مما يلي كلار وسالوس من السفح — وأقبل ابن أوس من سارية إليها يريد دفعه عنها ، فالتقى جيشاهما في بعض نواحي آمل ، ونشبت الحرب بينهم . وخالف الحسن بن زيد وجماعة ممن معه من أصحابه موضع معركة القوم إلى ناحية أخرى ، فدخلوها . فاتصل الخبر بدخوله مدينة آمل بابن أوس ؛ وهو مشغل بحرب من هو في وجهه من رجال الحسن بن زيد ؛ فلم يكن له هم إلا النجاء بنفسه والحق بسليمان بسارية ؛ فلما دخل الحسن بن زيد آمل كشف جيشه ، وغلظ أمره ، وانقض إليه كل طالب نهب ومريد فتنة من الصعاليك والحوزية وغيرهم ؛ فأقام — فيما حدثت — الحسن بن زيد بآمل أياماً ؛ حتى جى الخراج من أهلها ، واستعد . ثم نهض بمن معه نحو سارية مريداً سليمان بن عبد الله ، فخرج سليمان وابن أوس بمن معه من جيوشهما ؛ فالتقى الفريقان خارج مدينة سارية ، ونشبت الحرب بينهم ، فخالف الوجه الذي التقى فيه الجيشان بعض قواد الحسن بن زيد إلى وجه آخر من وجوه سارية ، فدخلها برجاله وأصحابه ، فانتهى الخبر ^(٢) إلى سليمان بن عبد الله ومن معه من الجند ؛ فلم يكن لهم هم غير النجاة بأنفسهم . ولقد حدثني جماعة من أهل تلك الناحية وغيرها ، أن سليمان بن عبد الله هرب وترك أهله وعياله وثقله وكل ما كان له بسارية من مال وأثاث وغير ذلك بغير مانع ولا دافع ؛ فلم يكن له ناهية دون جرجان . وغلب على ما كان له ولغيره بها من جنده الحسن بن زيد وأصحابه .

١٥٣٠/٣

(٢) بعدها في ا ، ف : « بذلك » .

(١) كذا في ا ، وفي ط : « ومخابية »

فأما عيال سليمان وأهله وأثاثه فإنه بلغنى أن الحسن بن زيد أمر لهم بمركب حملهم فيه حتى ألحقهم بسليمان وهو بجرجان ، وأما ما كان لأصحابه فإن من كان مع الحسن بن زيد من التَّبِيع انتهبه ، فاجتمع للحسن بن زيد بلحاق سليمان بن عبد الله بجرجان إمرة طبرستان كلها .

فلما اجتمعت للحسن بن زيد طبرستان ، وأخرج عنها سليمان ابن عبد الله وأصحابه وجهه إلى الرّى خيلاً مع رجل من أهل بيته ، يقال له الحسن بن زيد ، فصار إليها ، فطرد عنها عاملها من قبيل الطاهرية ، فلما دخل الموجه به من قبيل الطالبين الرى هرب منها عاملها ، فاستخلف بها رجلاً من الطالبين يقال له محمد بن جعفر ، وانصرف عنها ، فاجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الرى إلى حد همدان ، وورد الخبر بذلك على المستعين ، ومدير أمره يومئذ وصيف التركي ، وكتبه أحمد بن صالح بن شیرزاد ، وإليه خاتم المستعين ووزارته . فوجه إسماعيل بن فرّاشة في جمع إلى همدان ، وأمره بالمقام بها وضبطها إلى أن يتجاوز إليها خيل الحسن بن زيد ؛ وذلك أن ما وراء عمل همدان كان إلى محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وبه عماله ، وعليه صلاحه .

فلما استقرّ بمحمد بن جعفر الطالبى القرار بالرّى ظهرت منه — فيما ذكر — أمور كرهها أهل الرّى ، فوجه محمد بن طاهر بن عبد الله قائداً له من قبيله ، يقال له محمد بن ميكال — وهو أخو الشاه بن ميكال — في جمّع من الخيل والرجالة إلى الرّى ، فالتقى هو ومحمد بن جعفر الطالبى خارج الرّى ؛ فذكر أن محمد بن ميكال أسر محمد بن جعفر الطالبى ، وفضّ جيشه ، ودخل الرّى ، فأقام بها ، ودعا بها للسلطان ؛ فلم يتناول بها مكشّه حتى وجه الحسن بن زيد إليه خيلاً ، عليها قائد له من أهل اللازر ، يقال له واجن . فلما صار واجن إلى الرّى خرج إليه محمد بن ميكال ، فاقتلا ، فهزم واجن وأصحابه محمد بن ميكال وجيشه ، والتجأ محمد بن ميكال إلى مدينة الرّى معتصماً بها ، فاتبعه واجن وأصحابه حتى قتلوه ، وصارت الرّى إلى أصحاب الحسن بن زيد .

فلما كان يوم عرفة من هذه السنة بعد مقتل محمد بن ميكال ، ظهر بالرّى أحمد بن عيسى بن على بن حسين الصغير بن على بن حسين بن على بن

أبي طالب رضي الله عنه وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ؛ فصلى أحمد بن عيسى بأهل الرمي صلاة^(١) العيد ، ودعا للرضا من آل محمد ؛ فحاربه محمد بن علي بن طاهر ، فهزمه أحمد بن عيسى ، فصار إلى قزوين .

١٥٣٣/٣

* * *

وفي هذه السنة غضب على جعفر بن عبد الواحد ، لأنه كان بعث إلى الشاكريّة ، فرغم وصيف أنه أفسدهم ، فتوفي إلى البصرة لسبع بقين من شهر ربيع الأول .

وفيها أسقطت مرتبة من كانت له مرتبة في دار العامة من بني أمية ، كابن أبي الشوارب والعثمانيين .

وأخرج في هذه السنة من الحبس الحسن بن الأفشين .

وأجلس فيها العباس بن أحمد بن محمد ، فعقد لجعفر بن الفضل بن عيسى ابن موسى المعروف ببشاشات على مكة في جمادى الأولى .

وفيها وثب أهل حيمص وقوم من كلب — عليهم رجل يقال له عطيف ابن نعمة الكلبي — بالفصل بن قارن أخى مازيار بن قارن ؛ وهو يومئذ عامل السلطان على حيمص ، فقتلوه في رجب ؛ فوجه المستعين إليهم موسى بن بغاء الكبير ، فشخص موسى من سامرا يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ؛ فلما قرب موسى تلقاه أهلها فيما بينها وبين الرستن ، فحاربهم فهزمهم ؛ وافتتح حمص وقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، وأحرقها وأسر^(٢) جماعة من رؤساء أهلها ، وكان عطيف قد لحق بالبيرو .

١٥٣٤/٣

وفيها مات جعفر بن أحمد بن عمّار القاضي يوم الأحد لسبع بقين من شهر رمضان .

وفيها مات أحمد بن عبد الكريم الجوارى والتميمي قاضي البصرة .

وفيها ولي أحمد بن الوزير قضاء سامرا .

(٢) بعدها في : « من أهلها » .

(١) ف : « صلوات » .

وفيها وثبت الشاكرية والحنند بفارس بعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم ،
فانتهبوا منزله ، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن ، وهرب عبد الله بن إسحاق .
وفيها وجه محمد بن طاهر من خراسان بفيلس كان وجه بهما إليه من
كابُل وأصنام وفوائح .
وغزا الصائفة فيها بلكاجور .
وحج بالناس في هذه السنة جعفر بن الفضل بشاشات وهو والى مكة .

١٥٣٥/٣

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر قتل باغر التركي]

فمّا كان فيها من ذلك قتل وصيف وبُغَا الصغير باغر التركي واضطراب
أمر الموالي .

ذكر الخبر عن سبب قتلها باغر :

ذكر أن سبب ذلك كان أن باغر كان أحد قتلة المتوكل ، فزید لذلك
في أرزاقه ، وأقطع قطائع ؛ فكان مما أقطع ضياع بسواد الكوفة ، فتضمن تلك
الضياع التي أقطعها باغر هنالك من كاتب كان لباجر يهودي — رجل من دهاقين
باروسما ونهر الملك — بألفي دينار في السنة ، فعدا رجل بتلك ^(١) الناحية ، يقال
له ابن مارمة علي وكيل لباجر هنالك ، فتناوله أو دس إليه من تناوله ،
فحبس ابن مارمة ، وقيد ، ثم عمل حتى تخلص من الحبس ، فصار إلى
سامرا ؛ فلقى دلييل بن يعقوب النصراني وهو يومئذ كاتب بُغَا الشرابي وصاحب
أمره ، واليه أمر العسكر ، يركب إليه القواد والعمال ؛ لمكانه من بُغَا . وكان
ابن مارمة صديقاً لدلييل ، وكان باغر أحد قواد بُغَا ، فنع دليل باغر
من ظلم أحمد بن مارمة ؛ وانتصف له منه ، فأوغر ذلك من فعله بصدر ^(٢)
باغر ، وباين كل واحد من دليل وباغر صاحبه بذلك السبب ، وباغر
شجاع بطل معروف القدر في الأتراك ، يتوقاه بُغَا وغيره ، ويخافون شره .

١٥٣٦/٣

فذكر أن باغر جاء يوم الثلاثاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة خمسين
ومائتين إلى بُغَا ، وبُغَا في الحمام ، وباغر سكران شديد السكر ، وانتظره
حتى خرج من الحمام ، ثم دخل عليه ، فقال له : والله ما من قتل دليل بُدْ

(١) ف : « من تلك » .

(٢) ف : « صدر باغر » .

ثم سبّه ، فقال له بغا : لو أردت قتل ابني فارس ما منعتك ، فكيف دليل النصراني ! ولكن أمرى وأمر الخلافة في يديه فتنتظر ^(١) حتى أصير مكانه إنساناً ، وشأنك به . ثم وجه بغا إلى دليل يأمره ألا يركب ؛ وقيل : بل تلقاه طبيب لبغا ، يقال له ابن سرجويه ، فأخبره بالقصة ، فرجع إلى منزله ، فاستخفى ، وبعث بغا إلى محمد بن يحيى بن فيروز ، وكان ابن فيروز يكتب له قبل ذلك ، فجعله مكان دليل ، فيوهم باغراً أنه قد عزل دليلاً ؛ فسكن باغر ، ثم أصلح بغا بين دليل وباغر ، وباغريتهد دليلاً بالقَتْل إذا خلا بأصحابه ، ثم تلطّف باغر للمستعين ، ولزم الخدمة في الدار ، وكره المستعين مكانه ؛ فلما كان يوم نوبة بغا في منزله قال المستعين : أى شيء كان إلى إيتاخ من الأعمال ؟ فأخبره وصيف ، فقال : ينبغي أن تصيروا هذه الأعمال إلى أبي محمد باغر ، فقال وصيف : نعم ، وبلغت القصة دليلاً ^(٢) ، فركب إلى بغا فقال له : أنت في بيتك ؛ وهم في تدبير عزلك عن كل أعمالك ؛ فإذا عزلت فما بقاؤك إلا أن يقتلوك ! فركب بغا إلى دار الخلافة في اليوم الذي نوبته في منزله بالعشي ، فقال لوصيف : أردت أن تزيّلني عن مرتبتي ، وتجيء بباغر فتصير مكاى ؛ وإنما باغر عبد من عبيدى ورجل من أصحابي ، فقال له وصيف : ما علمت ما أراد الخليفة من ذلك . فتعاقد وصيف وبغا على تنحية باغر من الدار والاحتياى له ، وأرجفوا له أنه يؤمّر ويضمّ إليه جيش سوى جيشه ؛ ويخضع عليه ، ويجلس في الدار مجلس بغا ووصيف — وهما بسميان الأميرين — ودافعوه بذلك . وإنما كان المستعين تقرب إليه بذلك ليأمن ناحيته ، فأحس هو ومن في ناحيته بالشر ، فجمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل أو بعضها مع غيرهم ؛ فلما جمعهم ناظرهم ووكد البيعة عليهم كما وكدها في قتل المتوكل ، فقالوا : نحن على بيعتنا ، فقال : الزموا الدار حتى تقتل المستعين وبغا ووصيفاً ، ونجى بعل بن المعتصم أو بابن الواثق ، فنفعه خليفة حتى يكون ^(٣) الأمر لنا ، كما هو لهذين اللذين قد

١٥٣٧/٣

(٢) ف : « إلى دليل » .

(١) ا ، ف : « فتصبر » .

(٣) ف : « ليكون » .

استوليا^(١) على أمر الدنيا^(٢) ، وبقينا نحن في غير شيء ؛ فأجابوه إلى ذلك ،
وانتهى الخبر إلى المستعين . فبعث^(٣) إلى بُغْيا ووصيف ؛ وذلك يوم الاثنين ،
فقال لهما : ما طلبتُ إليكما أن تجعلاني خليفة ؛ وإنما جعلتاني وأصحابكما^(٤) ،
ثم تريدان أن تقتلاني ! فحلفا له أنهما ما علما بذلك ، فأعلمهما الخبر .

١٥٣٨/٣

وقيل : إن امرأة باغرا كانت مطلقة منه ، سعت إلى أمّ المستعين وإلى بُغْيا
بذلك ، وبكرت دليل إلى بُغْيا ، وحضر وصيف إلى منزل بُغْيا ومع وصيف
أحمد بن صالح كاتبه ؛ فاتفق رأيهم على أخذ باغرا واثنين من الأتراك معه
وحبسهم حتى يروا رأيهم فيهم ، فأحضروا باغرا ، فأقبل^(٥) في عِدة حتى
دخل الدار إلى بُغْيا .

فذكر عن بشر بن سعيد المَرْتَدِيّ أنه قال : كنت حاضراً دخولَه ،
فمنع من الوصول إلى بُغْيا ووصيف ، وعطيف^(٦) به إلى حمام لبُغْيا ، ودعى له
بالقيود ؛ فامتنع عليهم ؛ فحبسوه في الحمام ؛ وبلغ ذلك الأتراك في الهاروق
والكرخ والدور ، فوثبوا على إصطبل السلطان ، فأخذوا ما كان فيه من الدواب
فانتهبوها وركبوها ، وحضروا الجوسق بالسلاح ؛ فلما أمسوا أمر وصيف
وبُغْيا رشيد بن سعاد أخت وصيف أن يقتل باغرا ، فأتاه في عِدة ؛ فشدّ خُوه
بالطبرزيّات حتى أسكنوه ؛ فلما علم المستعين باجتماعهم ، ركب ووصيف
وبُغْيا حترّاقة^(٧) ، وصاروا إلى دار وصيف جميعاً ، وتراكم الناس يومهم
— وهو يوم الثلاثاء وليلته — بالسلاح جائين وذاهبن ؛ فقال لهم وصيف :
ترفّعوا حتى تنظروا ؛ فإن ثبتوا على المقاومة رمينا إليهم برأسه . فلما انتهى قتله
إلى الأتراك المشغبة ، أقاموا على ما هم عليه من الشغب حتى علموا أن المستعين
وبُغْيا ووصيف قد انحدروا إلى بغداد ؛ وقد كان وصيف أعطى قومًا من
الغاربة فرسانًا ورجالة السلاح والرماح ، ووجه بهم إلى هؤلاء المشغبة ، وبعث

١٥٣٩/٣

(١-١) ف : « علينا وظل الأمر » . (٢) ف : « فأحضر بغيا » .

(٣) ف : « خليفة » . (٤) بعدها في ف : « باغرا » .

(٥) ف : « وعدل » .

(٦) في القاموس : الحراقات : سفن : بالبصرة فيها مراى نيران يرى بها العدو .

إلى الشاكريّة أن يكونوا على عُدّة إن احتيج إليهم ، وسكن الناس عند الظهر ،
وهذأت الأمور ؛ وقد كان عِدّةٌ من قُؤَاد الأتراك صاروا إلى هؤلاء المشغبين
وسألوهم الانصراف ، فقالوا : يُوَقُّ يُوَقُّ ، أى لا لا .

فذكر عن بشر بن سعيد عن جامع بن خالد — وكان أحد خلفاء وصيف
من الأتراك — أنه كان المتولّى مخاطبتهم مع عِدّة ممن يعرف التركية ، فأعلموهم
أن المستعين وبُغَا ووصيف قد خرجوا إلى بغداد ، فأظهروا التندّم ، وانصرفوا
منكسرين ؛ فلما انتشر الخبر بخروج المستعين صار الأتراك إلى دور دليل
ابن يعقوب ودور أهل بيته ممن قرب منه وجيرانه ؛ فانتهبوا ما فيها حتى صاروا
إلى الخشب والدّرّ ونُدات ؛ وقتلوا ما قدروا عليه من البغال ، وانتهبوا علف
الدوابّ والخمر التى فى خزانة الشراب ؛ ودفع عن دار سلمة بن سعيد النصرانيّ
جماعة كان وكلّهم بها ؛ من المصارعين وغيرهم من جيرانهم ، ومنعوهم من
دخول الدار ؛ لأنهم أرادوا دار إبراهيم بن مهران النصرانيّ العسكرى ، فدفعوهم
عنها ، وسلم سلمة وإبراهيم من النهب .

وقال فى قتل باغر والفتنه التى هاجت بسببه بعض الشعراء ، ذكر أن ^(١) قاله
أحمد بن الحارث الهامى :

لعمري لئن قتلوا باغراً	لقد هاج باغراً حرباً طمحوناً ^(٢)
وفرّ الخليفة والقائدا	ن بالليل يلتمسان السفيناً
وصاحوا بميسان ملاحيم	فجاءهم يسبق الناظريناً
فألزّمهم بطن خراقة	وصرّت مجاذيفهم سائريناً
وما كان قدّر ابن مارية	فتكسب فيه الحروب الزبوناً
ولكن دليل سعى سعية	فأخزى الإله بها العالميناً
فحلّ ببغداد قبل الشروق	فحلّ بها منه ما يكرهوناً
فليت السفينة لم تأتينا	وغرقها الله والراكبيناً

١٥٤١/٣

وَأَقْبَلَتِ التُّرُكُ وَالْمَغْرِبُونَ
تَسِيرُ كِرَادِيْسُهُمْ فِي السَّلَاحِ
فَقَامَ بِحَرْبِهِمْ عَالِمٌ
فَجَدَّ سَوْرًا عَلَى الْجَانِبِ
وَأَحْكَمَ أَبْوَابَهَا الْمُصْمَنَاتِ
وَهِيَ مَجَانِيْقُ خَطَّارَةٍ
وَعَبَى فَرُوضًا وَجَيْشِيَّةً
وَعَبَى الْمَجَانِيْقُ مَنْظُومَةٌ
وَجَاءَ الْفَرَاغِنَةُ الدَّارِعُونَ
يَرُوحُونَ خِيَلًا وَرَجُلًا ثِيْنًا
بِأَمْرِ الْحُرُوبِ تَوَلَّاهُ حِينًا
يَنْ حَتَّى أَحَاطَهُمْ أَجْمَعِينَا
عَلَى السُّورِ يَحْمِي بِهَا الْمُسْتَعِينَا
تُفِيْتُ النُّفُوسَ وَتَحْمِي الْعَرِينَا
أَلُوفَ أَلُوفٍ إِذْ تَحْسُبُونَا
عَلَى السُّورِ حَتَّى أَغَارَ الْعَيْنَا

فذكر أنهم لما قدموا بغداد اعتل ابن مازمة ، فعاده دُليل بن يعقوب ، فقال له : ما سببُ علَّتكَ ؟ قال : عَـقَرُ الْقَيْدِ انْتَقَضَ عَلَيَّ ، فقال دُليل : لئن عقركَ القَيْدُ ؛ لقد نقضت الخلافة ، وبعثت فتنة . ومات ابن مازمة في تلك الأيام ؛ فقال أبو علي الهامى الحنفي في شخوص المستعين إلى بغداد :

مَا زَالَ إِلَّا لَزَوَالِ مُلْكِهِ وَخَتْفِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَهُلْكِهِ
ومنع الأتراك الناس من الانحدار إلى بغداد ، فذكر أنهم أخذوا ملاحًا قد أكرى سفينته ، فضربوه مائتي سوط ، وصلابوه على دَقَلِ سَفِينَتِهِ ^(١) ، فامتنع أصحاب السفن من الانحدار إلاَّ سرًّا أو بمؤونة ثقيلة .

١٥٤٢/٢

* * *

[وقوع الفتنة ببغداد بين أهلها وبين جند السلطان]

وفي هذه السنة هاجت الفتنة ووقعت الحرب بين أهل بغداد وجند السلطان الذين كانوا بسامرا ، فبايع كلُّ من كان سامرًا منهم المعتز ، وأقام من ببغداد منهم على الوفاء ببيعة المستعين .

* ذكر الخبر عن سبب هيج هذه الفتنة ، وسبب بيعة من كان بسامرا من الجند المعتز وخلعهم المستعين ، ونصبهم الحرب لمن أقام على الوفاء ببيعته :

(١) النقل : خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يمد عليها الشراع .

قال أبو جعفر: قد ذكرنا قبل موافاة المستعين وشاهك الخادم ووصيف وبُغا وأحمد بن صالح ابن شيرزاد بغداد ؛ وكانت موافاتهم إياها يوم الأربعاء لثلاث ساعات مضيين من النهار لأربعة أيام - وقيل لخمس أيام - خلون من المحرم من هذه السنة ؛ فلما وافاها ، نزل المستعين على محمد بن عبد الله بن طاهر في داره ، ثم وافى بغداد خليفة لوصيف على أعماله ، يعرف بسلام ؛ فاستعلم ما عنده ، ثم انصرف راجعاً إلى منزله بسامراً ، فوافى القواد خلا جعفر الحياط وسليمان بن يحيى بن معاذ بغداد مع جيلة الكتاب والعمال وبنى هاشم ، ثم وافى بعد ذلك من قواد الأتراك الذين في ناحية وصيف كلباتكين القائد وطيفج خليفة ، تركي ، وابن عجوز الخليفة ، نسائي ؛ وممن في ناحية بُغا بایكباک القائد من غلمان الخدمة مع عدة من خلفاء بُغا .

وكان - فيما ذكر - وجه إليهم وصيف وبُغا قبل قدومهم ^(١) رسولا ، يأمرانهم أن يصيروا إذا قدموا بغداد إلى الجزيرة التي حذاء دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، ولا يصيروا إلى الجيسر ، فيربعوا العامة بدخولهم . ففعلوا وصاروا إلى الجزيرة ، فترلوا عن دوابهم ، فوجهت إليهم زواريق حتى عبروا فيها ، فصعد كلباتكين وبایكباک والقواد من أهل الدور وأرنا تجور التركي ، فدخلوا على المستعين ، فرموا بأنفسهم بين يديه ، وجعلوا مناطقهم في أعناقهم تذليلاً وخضوعاً ، وكلموا المستعين وسألوه الصّفْح عنهم والرضا ، فقال لهم : أنتم أهل بَغْيٍ وفساد واستقلال للنعم ؛ ألم ترفعوا إلى في أولادكم ، فألحقتم بكم ^(٢) ؛ وهم نحو من ألفي غلام ، وفي بناتكم فأمرت بتصييرهن في عداد المتزوجات وهن نحو من أربعة آلاف امرأة في المدركين والمولودين ! وكل هذا قد أجبتكم إليه ، وأدررت لكم الأرزاق حتى سبكت لكم آنية الذهب والفضة ، ومنعت نفسي لذتها وشهوتها ؛ كل ذلك إرادة لصلاحكم ورضاكم ؛ وأنتم تزدادون بَغْيًا وفساداً وتهذوا وإبعاداً !

فتضرعوا ، وقالوا : قد أخطأنا ، وأمير المؤمنين الصادق في كل قوله ، ونحن

(٢) ف : « فألحقتم بهم » .

(١) ف : « وصولهم » .

نسأله العفو عنا والصفح عن زلّتنا ! فقال المستعين : قد صفحت عنكم ورضيت ؛ فقال له بايكباك : فإن كنت قد رضيت عنا وصفحنا ، فقم فاركب معنا إلى سامراء ؛ فإن الأتراك ينتظرونك ؛ فأوماً محمد بن عبد الله إلى محمد بن أبي عون ، فلنكر^(١) في حلق بايكباك . وقال له محمد بن عبد الله : هكذا يقال للأمير المؤمنين ؛ قم فاركب معنا ! فضحك المستعين من ذلك . وقال : هؤلاء قوم عَجَسَهم ؛ ليس لهم معرفة بحدود الكلام . وقال لهم المستعين ، تصيرون إلى سامراء ؛ فإن أرزاقكم دارة عليكم ، وأنظر في أمري ها هنا ومقاي .

١٥٤٥/٣

فانصرفوا آيسين منه ، وأغضبهم ما كان من محمد بن عبد الله ، وأخبروا مَنْ وردوا عليه من الأتراك خبرهم ، وخالفوا فيما ردّ عليهم تحريضاً لهم على خلعه والاستبدال به ، وأجمع رأيهم على إخراج المعتز والبيعة له ؛ وكان المعتز والمؤيد في حبس في الجوسق في حُجْرة صغيرة ، مع كل واحد منهما غلام يخدمه ؛ موكلٌ بهم رجل من الأتراك يقال له عيسى خليفة بليار^(٢) ومعه عدة من الأعوان ، فأخرجوا المعتز من يدهم ، فأخذوا من شعره ، وقد كان بُويع له بالخلافة ؛ وأمر للناس برزق عشرة أشهر للبيعة ، فلم يتمّ المال ، فأعطوا شهرين لقلّة المال عندهم .

وكان المستعين خلف بسامراء في بيت المال مما كان ظلمجُور وأساتكين القائدان قدما به من ناحية الموصل من مال الشام نحواً من خمسمائة ألف دينار ؛ وفي بيت مال أمّ المستعين قيمة ألف ألف دينار ، وفي بيت مال العباس ابن المستعين قيمة ستمائة ألف دينار ؛ فذكر أن نسخة البيعة التي أخذت :

بسم الله الرحمن الرحيم . تباعون عبد الله الإمام المعتز بالله أمير المؤمنين بيعة طوع واعتقاد ، ورضاً ورغبة وإخلاص من سرائركم ، وإنشراح من صدوركم ، وصدق من نيّاتكم ؛ لا مكرهين ولا مجبرين ؛ بل مقرّين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من تقوى الله وإيثار طاعته ، وإعزاز حقه ودينه ؛ ومن عموم صلاح عباد الله واجتماع الكلمة ، ولمّ الشعث ، وسكون الدّماء ، وأمن

١٥٤٦/٣

(١) الكز : الضرب والنفخ . (٢) كذا في ١ ، وفي ط من غير نقط .

العواقب، وعزَّ الأواباء، وقمع الملحدين؛ على أن أباعبد الله المعتز بالله عبد الله وخليفتُهُ المفترض عليكم طاعته ونصيحته والوفاء بحقه وعهده؛ لا تشكُّون ولا تُدْهِنون، ولا تَمِيلُونَ ولا تَمُرُّون، وعلى السمع والطاعة، والمشايع والوفاء، والاستقامة والنصيحة في السرِّ والعَلَانِيَةِ، والخُفُوفِ والوقوف عند كلِّ ما يأمر به عبد الله أبو عبد الله الإمام المعتز بالله أمير المؤمنين؛ من مَوَالَاةِ أوليائه، ومُعَادَاةِ أعدائه؛ من خاصٍّ وعامٍّ، وقريبٍ وبعيدٍ، متمسكين ببيعته بوفاء العَقْدِ وذمة العهد؛ سرائركم في ذلك كعلانياتكم، وضمايركم فيه كمثل ألسنتكم، راضين بما يرضى به أمير المؤمنين بعد بيعتكم هذه على أنفسكم، وتأكيدهم لِيَاها في أعناقكم صَفَقَةً، راغبين طائعين؛ عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم، وبولاية عهد المسلمين لإبراهيم المؤيد بالله أخى أمير المؤمنين، وعلى ألا تَسْعَوْا في نقض شيء مما أكد عليكم، وعلى ألا تَمِيلَ بكم في ذلك^(١) مِمَّلٍ عن نصرة^(٢) وإخلاص وموالة؛ وعلى ألا تَبْدَلُوا ولا تَغْيِرُوا، ولا يرجع منكم راجع عن بيعته وانطوائه على غير علانيته؛ وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتموها بألسنتكم وعهودكم ببيعة يَطَّلَعُ الله من قلوبكم على اجتنابها واعتمادها. وعلى الوفاء بذمة الله فيها، وعلى إخلاصكم في نصرتها وموالة أهلها؛ لا يشوب ذلك منكم نفاق ولا إدهان ولا تأوُّل؛ حتى تلقوا الله مؤفنين بعهده، مؤذنين حقَّه عليكم، غير مستريبين ولا ناكثين؛ إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين ببيعة خلافته وولاية العهد من بعده لإبراهيم المؤيد بالله أخى أمير المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

عليكم بذلك وبما أكدت عليكم به هذه البيعة في أعناقكم، وأعطيتم بها من صَفَقَةِ أَيْمَانِكُمْ، وبما اشترط عليكم من وفاء ونصرة، وموالة واجتهاد. وعليكم عهد الله إنَّ عهده كان مستولاً، وذمة الله عزَّ وجلَّ وذمة محمد صلى الله عليه وسلم، وما أخذ الله على أنبيائه ورسُلِهِ، وعلى أحد من عباده من مواكيد وموائيقه؛

١٥٤٧/٣

(٢) س: «عن بصيرة».

(١) س: «عن ذلك».

(٣) سورة الفتح ١٠.

أن تسمعوا ما أخذ عليكم في هذه البيعة ولا تبدلوا ولا تملوا ، وأن تمسكوا بما عاهدتم الله عليه تمسك أهل الطاعة بطاعتهم ، وذوى الوفاء والعهد بوفائهم ، ولا يلفتكم عن ذلك هوًى ولا ميلٌ . ولا يُزيغ قلوبكم فتنة أو ضلالة عن هُدًى ، باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حق الدين والطاعة والوفاء بما جعلتم على أنفسكم ؛ لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها . فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين هذه البيعة على ما أخذ عليكم ، مسراً أو معلناً ، مصرحاً أو محتالاً أو متأولاً ؛ وادّهن فيها أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذ عليه من موثيق الله وعهوده ، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الرأي ؛ فكل ما يملك كل واحد منكم ممن ختر في ذلك منكم عهداً ، من مال أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع أو صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله ، محبوس محرم عليه أن يرجع شيئاً من ذلك إلى ماله ؛ عن حيلة يقدمها لنفسه ، أو يحتال له بها ؛ وما أفاد في بقية عمره من فائدة مال يقلل خطرها أو يجيل ؛ فذلك سبيلها ، إلى أن توافيته منيته ، ويأتى عليه أجله . وكل مملوك يملكه اليوم وإلى ثلاثين سنة ؛ ذكر أو أنثى ، أحرار لوجه الله ، ونسائه يوم يلزمه فيه الحنث ومن يتزوج بعدهن إلى ثلاثين سنة طوائق طلاق الحرج ؛ لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ؛ وهو برىء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريثان ؛ ولا قبيل ^(١) الله منه ^(٢) صرفاً ولا عدلاً ؛ والله عليكم بذلك شهيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأخضر - فيما ذكر - البيعة أبو أحمد بن الرشيد وبه التقرس محمولاً في صحفة ؛ فأمر بالبيعة فامتنع ؛ وقال للمعتز : خرجت إلينا خروج طائع فخلعتما ، وزعمت أنك لا تقوم بها ؛ فقال المعتز : أكرهت على ذلك وخفت السيف . فقال أبو أحمد : ما علينا أنك أكرهت ؛ وقد بايعنا هذا الرجل ؛ فتريد أن نطلق نساءنا ، ونخرج من أموالنا ، ولا ندرى ما يكون ! إن تركتني على أمرى حتى يجتمع الناس ؛ وإلا فهذا السيف . فقال المعتز اتركوه ، فرد إلى منزله من غير بيعة .

(٢) س : « له » .

(١) ف : « فلا قبل » .

وكان ممن بايع إبراهيم الدبرج وعتاب بن عتاب ، فهرب فصار إلى بغداد ،
وأما الدبرج فخلع عليه ، وأقبر على الشرطة ، وخلع على سليمان بن يسار
الكاتب ، وصير على ديوان الضياع ، وأقام يومه يأمر وينهى وينفذ الأعمال ،
ثم توارى في الليل ، وصار إلى بغداد .

ولما بايع الأتراك المعتز ولّى عمالّه ، فولّى سعيد بن صالح الشرطة ، وجعفر
ابن دينار الحرس ، وجعفر بن محمود الوزارة ، وأبا الحمار ديوان الخراج ؛ ثم
عزل وجعل مكانه محمد بن إبراهيم منقار ، وولّى ديوان جيش الأتراك المعروف
بأبي عمر ، كاتب سبأ الشراقي ، وولّى مقلداً كسند الكلب أخا أبي عمر بيوت
الأموال وإعطاء الأتراك والمغاربة والشاكرية ، وولّى بريد الآفاق والخاتم سبأ
السايباني ، واستكتب أبا عمر ، فكان في حدّ الوزارة .

ولما اتصل بمحمد بن عبد الله خبر البيعة للمعتز وتوجيهه العبال ، أمر بقطع
الميرة عن أهل سامراً ، وكتب إلى مالك بن طوق في المصير إلى بغداد هو
ومن معه من أهل بيته وجنده ، وإلى نجوبة بن قيس وهو على الأنبار في
الاحتشاد والجمع ، وإلى سليمان بن عمران الموصلي في جمع أهل بيته ومنع
السفن أو شيء من الميرة أن ينحدر إلى سامراً ، ومنع أن يصعد شيء من الميرة
من بغداد إلى سامراً ، وأخذت سفينة فيها أرز وستة طر ، فهرب الملاح منها
وبقيت السفينة حتى غرقت ، وأمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصيل
بغداد ؛ فتقدم في ذلك ؛ فأدير عليها السور من دجلة من باب الشامية إلى
سوق الثلاثاء حتى أوردته دجلة ومن دجلة من باب قطيعة أم جعفر ، حتى
أوردته قصر^(١) حميد بن عبد الحميد ، ورتب على كل باب قائداً في جماعة
من أصحابه وغيرهم وأمر بحفر الخنادق حول السورين^(٢) كما يدوران في الجانبين
جميعاً ومظلات يأوي إليها الفرسان في الحر والأمطار ؛ فبلغت النفقة - فيما
ذكر - على السورين وحفر الخنادق والمظلات ثلثمائة ألف دينار وثلثين ألف
دينار ؛ وجعل على باب الشامية خمس شذات بعرض الطريق ؛ فيها

(٢) س : « السور » .

(١) س : « حصن » .

العوارض والألواح والمسامير الطوال الظاهرة^(١)، وجعل من خارج الباب الثاني باب معلق بمقدار الباب ثخين، قد ألبس بصفائح الحديد، وشُدَّ بالحبال كي إن وافي أحد^(٢) ذلك الباب أرسل عليه الباب المعلق، فقتل مَنْ تحته. وجعل على الباب الداخل عرّادة^(٣)، وعلى الباب الخارج خمسة مجانيق كبار؛ وفيها واحد كبير سمّوه الغضبان، وست عرّادات ترمي بها إلى ناحية رقة الشماسية؛ وصيّر على باب البردان ثمان عرّادات، في كل ناحية أربع، وأربع شدّ أخات وكذلك على كل باب من أبواب بغداد في الجانب الشرقي والغربي، [وجعل على كل باب من أبوابها قواداً برجالهم]^(٤) وجعل لكل باب من أبوابها دهليزاً بسقائف تسع مائة فارس ومائة راجل؛ ولكل منجنيق وعرّادة رجالاً مرتبين يمدّون بحباله. ورامياً يرمى إذا كان القتال. وفرض فروضاً ببغداد ومرّ قوم من أهل خراسان قدموا حجّاجاً، فسألوا المعونة على قتال الأتراك. فأعينوا. وأمر محمد بن عبد الله بن طاهر أن يُفَرِّض من العيارين فرض، وأن يجعل عليهم عريف، ويعمل لهم ترأس من البوارى المقيّرة، وأن يعمل لهم مخال تملأ حجارة. ففعل ذلك وتولى — فيما ذكر — عمل البوارى المقيّرة محمد بن أبي عون. وكان الرجل منهم يقوم خلّيف البارية فلا يرى منها. تحمّلت نساءجات، أنفق عليها زيادة على مائة دينار؛ وكان العريف على أصحاب البوارى المقيّرة من العيارين رجلاً يقال له يَسْتَوِيَه. وكان الفراغ من عمل السور يوم الخميس لسبع بقين من المحرم.

١٥٥٢/٣

وكتب المستعين إلى عمّال الخراج بكل بلدة وموضع أن يكون حملهم ما يحملون من الأموال إلى السلطان إلى بغداد، ولا يحملون إلى سامُرّا شيئاً؛ وإلى عمّال معاون في ردّ كتب الأتراك. وأمر^(٣) بالكتاب إلى الأتراك والهند الذين بسامُرّا يأمرهم بنقص بيعة المعتز ومراجعة الوفاء^(٤) ببيعته إياه، ويذكرهم أياديه عندهم، وينهاهم عن معصيته ونكث بيعته؛ وكان كتابه بذلك إلى سبيل الشراي.

١٥٥٣/٣

(٢) من أ.

(١) العرّادة: أصفر من المنجنيق.

(٣) ف، أ: «ثم أمر».

(٤) بعدها في ف: «لهم».

ثم جرت بين المعتز ومحمد بن عبد الله بن طاهر مكاتبات ومراسلات ، يدعو المعتز محمداً إلى الدخول فيما دخل فيه من بايعه بالخلافة وخلع^(١) المستعين ، ويذكره^(٢) ما كان أبوه المتوكل أخذ له عليه بعد أخيه المنتصر من العهد وعقد الخلافة ، ودعوة محمد بن عبد الله المعتز إلى ما عليه من الأوبة إلى طاعة المستعين ، واحتجاج كل واحد منهما على صاحبه فيما يدعو إليه من ذلك بما يراه حجة له ؛ تركت ذكرها كراهة الإطالة بذكرها .

وأمر محمد بن عبد الله بكسر القناطر وبتشق المياه بطسوج الأنبار وما قرب منه من طسوج بادورياً ، ليقطع طريق الأتراك حين تخوف من ورودهم الأنبار . وكان الذي تولى ذلك نجوبة بن قيس ومحمد بن حمد بن منصور السعدي . وبلغ محمد بن عبد الله توجيه الأتراك لاستقبال الشمس التي كانت مع البينوق الفرغاني من يحميها من أصحابه . فوجّه محمد ليلة الأربعاء لعشر بقيين من المحرم خالد بن عمران وبندار الطبري إلى ناحية الأنبار .

ثم وجه بعدهما رشيد بن كاوس ، فصادفوا البينوق ومن معه من الأتراك والمغاربة ، وطالبهم خالد وبندار بالشمسية ، فصار البينوق وأصحابه مع خالد وبندار إلى بغداد إلى المستعين .

وكان محمد بن الحسن بن جياويه الكردي يتولى معونة عكبراء ؛ وكان على الراذان^(٣) رجل من المغاربة قد اجتمع عنده مال ، فتوجه إليه ابن جيلويه ، ودعاه إلى حتمل مال الناحية ، فامتنع عليه ، ونصب له الحرب ؛ فأسر ابن جيلويه المغربي ، وحمله إلى باب محمد بن عبد الله ، ومعه من مال الناحية اثنا عشر ألف دينار وثلاثون ألف درهم ؛ فأمر محمد بن عبد الله لابن جيلويه بعشرة آلاف درهم . وكتب كل واحد من المستعين والمعتز إلى موسى بن بغا ، وهو مقيم بأطراف الشام قرب الجزيرة — وكان خرج إلى حمص لحرب أهلها — يدعو إلى نفسه ، وبعث كل واحد منهما إليه بعدة ألوية يعقدها لمن أحب ، ويأمره المستعين بالانصراف إلى مدينة السلام ، ويستخلف على عمله من رأى . فانصرف

(١) س : « ويخلع » . (٢) ١ : « وتذكره » .

(٣) ١ ، ف : « الراذانات » .

إلى المعتزّ وصار معه . وقدم عبد الله بن بُغا الصغير بغداد على أبيه ؛ وكان قد تخلّف بسامُراً حين خرج أبوه منها مع المستعين، وصار إلى المستعين، فاعتذر إليه وقال لأبيه : إنما قدمتُ إليك لأموت تحت ركابك . وأقام ببغداد أياماً ، ثم استأذن ليخرج إلى قرية بقرب بغداد على طريق الأنبار ، فأذن له ؛ فأقام فيها إلى الليل ، ثم هرب من تحت ليلته ، ففضى في الجانب الغربي إلى سامُراً بجانباً لأبيه ، ومائلًا عليه ؛ واعتذر إلى المعتزّ من مصيره إلى بغداد، وأخبره أنه إنما صار إليها ليعرف أخبارهم ، وليصير إليه فيُعرفه صحتها . فقبل ذلك منه ، وردّه إلى خدمته .

١٥٥٥/٣

وورد الحسن بن الأفشين بغداد ، فخلع عليه المستعين ، وضمّ إليه من الأشروسنيّة وغيرهم جماعة كثيرة ، وزاد في أرزاقه ستة عشر ألف درهم في كلّ شهر .

ولم يزل أسد بن داود سياه مقيماً بسامُراً ، حتى هرب منها ، فدُكر أنّ الأتراك بعثوا في طلبه إلى ناحية الموصل والأنبار والجانب الغربي في كل ناحية خمسين فارساً ، فوافّى مدينة السلام ؛ فدخل على محمد بن عبد الله ، فضمّ إليه من أصحاب إبراهيم الديرج مائة فارس ومائتي راجل، ووكله بباب الأنبار مع عبد الله بن موسى بن أبي خالد .

وعقد المعتزّ لأخيه أبي أحمد بن المتوكل يوم السبت لسبع بقين من المحرم من هذه السنة—وهي سنة إحدى وخمسين ومائتين—على حرب المستعين وابن ظاهر ، وولاه ذلك ، وضمّ إليه الجيش ، وجعل إليه الأمر والنهي ، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركيّ ، فعسكر بالقاطول في خمسة آلاف من الأتراك والفراغة وألفين من المغاربة ، وضمّ المغاربة إلى محمد بن راشد المغربي ؛ فوافوا عكّبراء ليلة الجمعة لليلة بقيت من المحرم ؛ فصلّى أبو أحمد، ودعا للمعتزّ بالخلافة ؛ وكتب بذلك نسخاً^(١) إلى المعتزّ ؛ فذكر جماعة من أهل عكّبراء أنهم رأوا الأتراك والمغاربة وسائر أتباعهم ؛ وهم على خوف شديد ، يرون أنّ محمد بن

١٥٥٦/٣

(١) : « ومائل عنه » .

عبد الله قد خرج إليهم فسبقهم إلى حربهم ، وجعلوا ينتهبون القرى ما بين
عُكبراء وبغداد وأوانا وسائر القرى من الجانب الغربي ، تخوفاً على أنفسهم
وخلوا عن الغلات والضيايح ؛ فخربت الضيايح ، وانتُهبت الغلات والأمتعة
وهدمت المنازل ، وسُلب الناس في الطريق .

ولما وافى أبو أحمد عُكبراء ومن معه خرج جماعة من الأتراك الذين
كانوا مع بُغا الشرايى بمدينة السلام من مواليه والمضمومين إليه ، فهربوا ليلاً ،
فاجتازوا بباب الشماسية ؛ وكان على الباب عبد الرحمن بن الخطاب ، ولم يعلم
بخبرهم ؛ وبلغ محمد بن عبد الله ذلك ، فأنكره عليه وعنفه ، وتقدم في حفظ
الأبواب وحراستها والنفقة على من يتولاها .

ولما وافى الحسن بن الأفشين مدينة السلام وكُل بباب الشماسية .

ثم وافى أبو أحمد وعسكره الشماسية ليلة الأحد لسبع خلون من صفر ، ومعه
كاتبه محمد بن عبد الله بن بشر بن سعد المرثدى ، وصاحب خبر العسكر من
قِبَل المعتز الحسن بن عمرو بن قماش ومن قِبَله ، صاحب خبر له يقال له
جعفر بن أحمد البنائى^(١) ، يعرف بابن الحبازة ، فقال رجل من البصريين كان
في عسكره ويعرف ببازنجانة :

يا بنى طاهر أتنكم جنود الد ه الموت بينها منشور
وجيوش أمانهن أبو أحمد د نعم المولى ونعم النصير

ولما صار أبو أحمد بباب الشماسية ولّى المستعين الحسين بن إسماعيل
باب الشماسية ، وصير من هناك من القواد تحت يده ؛ فلم يزل مقيماً هناك
مدة الحرب إلى أن شخص إلى الأنبار ؛ فولّى مكانه إبراهيم بن إسحاق بن
إبراهيم ؛ ولثلاث عشرة مضت من صفر ؛ صار إلى محمد بن عبد الله جاسوس
له ؛ فأعلمه أن أبا أحمد قد عبى قوماً يحرقون ظلال الأسواق من جانبي بغداد ،
فكشطت في ذلك اليوم .

(١) كذا في ١ ، وفي ط كلمة غير منقوطة .

وذكر أن محمد بن عبد الله وجه محمد بن موسى المنجم والحسين بن إسماعيل ، وأمرهما أن يخرجوا من الجانب الغربي ، وأن يرتفعا حتى يجاوزا عسكر أبي أحمد ويحزرا : كتم في عسكره ؟ فزعم محمد بن موسى أنه حزرهم ألقي إنسان ، معهم ألف دابة^(١) ، فلما كان يوم الاثنين لعشر خلون من صفر وافت طلائع الأتراك إلى باب الشماسية ، فوقفوا بالقرب منه ؛ فوجه محمد بن عبد الله الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال وبنندار الطبري فيمن معهم ؛ وعزم على الركوب لمقاتلتهم ، فانصرف إليه الشاه ، فأعلمه أنه وافى بمن معه باب الشماسية .

١٥٥٨/٣

فلما عاين الأتراك الأعلام والرايات وقد أقبلت نحوهم انصرفوا إلى معسكرهم ؛ فانصرف الشاه والحسين ، وترك محمد الركوب يومئذ .

فلما كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر عزم محمد بن عبد الله على توجيه الجيوش إلى القفص ليعرض جنده هنالك ، ويُرهب بذلك الأتراك ؛ وركب معه وصيف وبغا في الدروع ، وعلى محمد درع ، وفوق الدرع صدره من درع طاهر ؛ وعليه ساعد حديد ؛ ومضى معه بالنقهاء والقضاة ، وعزم على دعائهم إلى الرجوع عما هم عليه من التمدد في الطغيان واللبجاج والعصيان ، وبعث يبذل لهم الأمان على أن يكون أبو عبد الله ولي العهد بعد المستعين ؛ فإن قبلوا الأمان وإلا باكرهم بالمقتال يوم الأربعاء لاثني عشرة ليلة تخلو من صفر ؛ ففضى نحو باب قطربل ، فنزل على شاطئ دجلة هو ووصيف وبغا ، ولم يمكنه^(٢) التقدم لكثرة الناس ؛ وعارضهم من جانب دجلة الشرقي محمد بن راشد المغربي .

١٥٥٩/٣

ثم انصرف محمد ؛ فلما كان من الغد وافته رسل عبد الرحمن بن الخطاب وجه الفيلس وعلك القائد ومن معهما من القواد ، يعلمونه أن القوم قد دنوا منهم ، وأنهم قد رجعوا إلى عسكرهم إلى رقة الشماسية ، فنزلوا وضربوا مضاربهم فأرسل إليهم ألا تبدهم ، وإن قاتلوكم فلا تقتلوهم ؛ وادفعوهم اليوم . فوافى باب الشماسية اثنا عشر فارساً من عسكر الأتراك — وكان على باب الشماسية

(٢) ف : « ولم يمكنهم » .

(١) ا ، س « راية »

باب وسَرَبَ ، وعلى السَرَبِ باب ، فوقف الاثنا عشر الفارس بإزاء الباب ، وشتَمُوا مَنْ عَلَيْهِ ، ورموا بالسهم ، ومن بباب الشماسية سكوتُ عنهم ؛ فلما أكثرُوا أمرَ عِلَّكَ صاحب المِنجنيق أن يرميَهم^(١) ؛ فرماهم فأصاب منهم رجلاً فقتله ؛ فنزل أصحابه إليه ، فحملوه وانصرفوا إلى عسكرهم^(٢) بباب الشماسية .

وقدم عبد الله بن سليمان خليفة وصيف التركيّ الموجه إلى طريق مكة لضبط الطريق مع أبي الساج في ثلثمائة رجل من الشاكرية ، فدخل على محمد بن عبد الله ، فخلع عليه خمس خلع ، وعلى آخر ممن معه أربع خلع .

ودخل أيضاً في هذا اليوم رجل من الأعراب من أهل الشعابية يطلب الفَرَسَ معه خمسون رجلاً ، وورد الشاكرية القادمون من سامراً من قيادات شتى ؛ وهم أربعون رجلاً ، فأمر بإعطائهم وإنزالهم فأعطوا .

١٥٦٠/٣

ووافى الأتراك في هذا اليوم باب الشماسية ، فرمُوا بالسهم والمنجنيق والعَرادات ؛ وكان بينهم قتلى وجرحى كثير ؛ وكان الأمير الحسين بن إسماعيل لمحاربتهم ، ثم أمدَّ بأربعمائة رجل من المملطيين^(٣) مع رجل يعرف بأبي السنا الغنوي [وهو ابن أخت الهيثم الغنوي]^(٤) ، ثم أمدَّهم بقوم من الأعراب نحو من ثلثمائة رجل ، وحمل في هذا اليوم من الصلوات لمن أبلَى في الحرب خمسة وعشرين ألف درهم ، وأطوقه وأسورة من ذهب ؛ فصار ذلك إلى الحسين ابن إسماعيل وعبد الرحمن بن الخطاب وعلَّكَ ويحيى بن هرثة والحسن بن الأفشين وصاحب الحرب الحسين بن إسماعيل ؛ فكان الجرحى من أهل بغداد أكثر من مائتي إنسان ، والقتلى عدَّة ، وكذلك الجراحات في الأتراك والقتلى أكثرهم بالمجاذيق ؛ وانهمزم أكثر عامة أهل بغداد ، وثبت أصحاب البواري وانصرفوا جميعاً ، وهم في القتلى والجرحى شبيه بالسواء ؛ وجرح من هؤلاء — فيما ذكر — مائتان ، ومن هؤلاء مائتان ، وقتل جماعة من الفريقين .

وجاء كردوس من الفراغة والأتراك في هذا اليوم إلى باب خراسان من ١٥٦١/٣

(١) س : « يرموهم » .

(٢) ف : « معسكرهم » .

(٣) ط : « المملطين » ، ما أثبتته من أ .

(٤) من أ .

الجانب^(١) الشرق لم يدخلوا منه ، وأتى الصريخ محمد بن عبد الله ، وثبت لهم المبيتة والغواء فردّوهم . وقد كان محمد أمر أن يُمخّر تلك الناحية ؛ فلما أرادوا الانصراف ، وحلت عامة دوابهم ، ونجا أكثرهم ، أحضر الأتراك منجنيقاً ، فغلبهم الغواء عليه والمبيتة ، وكسروا قاعة من قوائمه ، وقتل اثنان من الشاشية من الحجاج ، وأمر بحمل الآجر من قصر الطين وتلك الناحية إلى باب الشماسية ؛ وفتحوا باب الشماسية ، وأخرجوا إلى الآجر من لقطه ، وردّوه إلى هذا الجانب من السور .

وكان محمد بن عبد الله اتصل به أن جماعة من الأتراك قد صاروا إلى ناحية النهر وان ، فوجّه قائدين من قوّاده يقال لهما عبد الله بن محمود أنسرخسى ويحيى بن حفص المعروف بحبّوس في خمسمائة من الفرسان والرّجال^(٢) إلى هذه الناحية ، ثم أردفهم بسبعمائة رجل أيضاً ، وأمرهم بالمقام هناك ؛ ومنع من أراد من الأتراك ؛ فتوجّه آخرهم إلى هذه الناحية يوم الجمعة لسبع خلون من صفر .

فلما كان ليلة الاثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر ، صار قوم من الأتراك إلى النهر وان ، فخرج جماعة ممن كان مع عبد الله بن محمود ، فرجعوا هرباً ، وأخذت دوابّهم ، وانصرف من نجا منهم إلى مدينة السلام مفلولين ، وقتل زهاء خمسين رجلاً ، وأخذوا ستين دابة ، وعدة من البغال قد كانت جاءت من ناحية حلوان عليها الثلج^(٣) ، فوجّهوا بها إلى سامراً ، ووجهوا برعوس من قتلوا من الجند ، فكانت أول رعوس وافت في تلك الحرب سامراً .

١٥٦٢/٣

وانصرف عبد الله بن محمود مفلولاً في شيرذمة ، وصار طريق خراسان في أيدي الأتراك ، وانقطع الطريق من بغداد إلى خراسان .

وكان إسماعيل بن فراشة وجّه إلى همدان للمقام بها ، فكتب إليه بالانصراف ، فانصرف ، فأعطى هو وأصحابه استحقاقهم .

(٢) ف : « فارس وراجل » .

(١) ف : « الباب » .

(٣) ط : « الساج » . وما أثبت من ا .

ووجه المعتز عسكراً من الأتراك والمغاربة والفراغنة وممن هو في عدادهم .
وعلى الأتراك والفراغنة الدرغمان الفرغاني ، وعلى المغاربة ريلة ^(١) المغربي ، فساروا
إلى مدينة السلام من الجانب الغربي ، فجازوا قُطْرَبِلَ إلى بغداد ، وضربوا عسكرهم
بين قُطْرَبِلَ وقطيعة أم جعفر ؛ وذلك عشية الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت
من صفر . .

فلما كان يوم الأربعاء من غد هذه الليلة ، وجه محمد بن عبد الله بن
ظاهر الشاه بن ميكال من باب القطيعة وبُنداراً وخالد بن عمران فيمن معهم
من أصحابهم من الفرسان والرجالة . فصافهم الشاه وأصحابه ، فتراموا بالحجارة ١٥٦٣/٣
والسهام ، وألحوا الشاه إلى مضيق عند باب القطيعة ، وكثر المبيضة من أهل بغداد ،
ثم حمل الشاه والمبيضة حملة واحدة أزالوا بها الأتراك والمغاربة وممن معهم عن
موضعهم ، وحمل عليهم المبيضة ، وأصحروا بهم ، وحمل عليهم الطبرية
فخالطوهم ؛ وخرج عليهم بُندار وخالد بن عمران من الكمين ؛ وكانوا كمنوا
في ناحية قُطْرَبِلَ ، فوضعوا في أصحاب أبي أحمد الأتراك منهم وغيرهم السيف ،
فقتلوهم أبرح قتل ؛ فلم يُفَلت منهم إلا القليل ، وانتهب ^(٢) المبيضة عسكرهم
وما كان فيه من المتاع والأهل والأثقال والمضارب والخُرثي ، فكل من أفلت منهم
من السيف رمى بنفسه في دجلة ليعبر إلى عسكر أبي أحمد ؛ فأخذ أصحاب
الشبّارات ، وكانت الشبّارات قد شُحنت بالمقاتلة — فقتلوا وأسروا ، وجعل
القتلى والرءوس من الأتراك والمغاربة وغيرهم في الزواريق ، فنصبت بعضها في
البحرين ؛ وعلى باب محمد بن عبد الله ؛ فأمر محمد بن عبد الله لمن أبلى في
هذا اليوم بالأسورة ، فسوّر قوم كثير من الجند وغيرهم ، فطأب ^(٣) المنهزمة ،
فبلغ بعضهم أوانا ، وبلغ بعضهم ناحية عسكر أبي أحمد عتبر دجلة ،
وبعضهم نفذ إلى سامراً .

وذكر أن عسكر الأتراك يوم هُزموا بباب القطيعة كانوا أربعة آلاف ،
فقتل منهم يوم الواقعة هنالك ألفان ؛ وكان وُضع فيهم بالسيف من باب

(١) كذا في أ ، وفي ط من غير نقط . (٢) أ ، ف : « وانتهب » .

(٣) ف : « غطيت » .

الْقَطِيعَةَ إِلَى الْقُبُصِ ، فَقَتَلُوا مَن قَتَلُوا ، وَغَرَّقَ مَن غَرَّقَ ، وَأَسِيرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، فَخَلَعَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى بُنْدَارٍ أَرْبَعَ خِلَعٍ مُلْحَمٍ ^(١) ، وَوَشَّى وَسَوَادَ وَخَزَّ ، وَطَوَّقَهُ طَوْقًا مِنْ ذَهَبٍ ، وَخَلَعَ عَلَى أُنَى السَّنَا أَرْبَعَ خِلَعٍ ، وَعَلَى خَالِدِ بْنِ عِمْرَانَ وَجَمِيعِ الْقَوَادِ ، كُلَّ رَجُلٍ أَرْبَعَ خِلَعٍ . وَكَانَ انْصِرَافَهُمْ مِنَ الْوَقْعَةِ مَعَ الْمَغْرِبِ ، وَسُخِّرَتِ الْبَغَالُ ، وَأُخِذَ لَهَا الْجَوَالِيْقُ لِتَحْمِلَ فِيهَا الرُّعُوسَ إِلَى بَغْدَادَ .

وَكَانَ كُلُّ مَن وَافَى دَارَ مُحَمَّدٍ بِرَأْسِ تَرْكِيٍّ أَوْ غُرْنِيٍّ أَعْطُوهُ خَمْسِينَ دِرْهَمًا ، وَكَانَ أَكْثَرُ ذَلِكَ الْعَمَلِ لِلْمَبِيَّضَةِ وَالْعِيَّارِينَ ^(٢) ؛ ثُمَّ وَافَى عِيَّارُو بَغْدَادَ قَطْرِبُلَ ، فَانْتَهَبُوا مَا تَرَكَه الْأَتْرَاكُ مِنْ مَتَاعِ أَهْلِ قَطْرِبُلَ وَأَبْوَابِ دَوْرِهِمْ ؛ فَوَجَّهَهُ مُحَمَّدٌ فِي آخِرِ هَذَا الْيَوْمِ أَخَاهُ أَبَا أَحْمَدَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْمُظَفَّرَ بْنَ سَيْسَلٍ فِي أَثَرِ الْمُنْهَزِمِينَ ^(٣) حَيَاطَةً لِأَهْلِ بَغْدَادَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْمَنْ رَجْعَتِهِمْ عَلَيْهِ ^(٤) فَبَلَغَا الْقُبُصَ ، وَانْصَرَفَا سَالِمِينَ ، وَزَعَجَا مَن أَقَامَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْعِيَّارِينَ بِنَاحِيَةِ قَطْرِبُلَ ، وَأَشِيرَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَتَّبِعَهُمْ بِعَسْكَرٍ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، لِيُوْغَلَ فِي آثَارِهِمْ ، فَأَبَى ذَلِكَ وَلَمْ يَتَّبِعْ مُوَلِّيًّا ، وَلَمْ يَأْمُرْ أَنْ يُجْمَهَزَ عَلَى جَرِيحٍ ، وَقَبِلَ أَمَانَ مَن اسْتَأْمَنَ ، وَأَمَرَ سَعِيدَ بْنَ حَمِيدٍ فَكَتَبَ ^(٥) كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ هَذِهِ الْوَقْعَةَ ؛ فَقَرَأَ عَلَى أَهْلِ بَغْدَادَ فِي مَسْجِدِ جَامِعِهَا ، نَسَخَتَهُ :

١٥٦٥/٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَّا بَعْدُ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْعِمِ فَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ شُكْرَ نِعْمَتِهِ ، وَالْقَادِرِ فَلَا يِعَارِضُ فِي قُدْرَتِهِ ، وَالْعَزِيزِ فَلَا يَغَالِبُ ^(٦) فِي أَمْرِهِ ، وَالْحَكِيمَ الْعَدْلَ فَلَا يَرُدُّ حُكْمَهُ ، وَالنَّاصِرَ فَلَا يَكُونُ نَصْرُهُ إِلَّا لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ ، وَالْمَالِكَ لِكُلِّ شَيْءٍ فَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ عَنْ أَمْرِهِ ^(٧) ، وَالْهَادِيَ إِلَى الرَّحْمَةِ فَلَا يَضِلُّ مَنْ انْقَادَ لَطَاعَتِهِ ، وَالْمُقَدِّمَ لِإِعْذَارِهِ لِيُظَاهَرَ بِهِ حُجَّتُهُ ؛ الَّذِي جَعَلَ دِينَهُ لِعِبَادِهِ رَحْمَةً ، وَخِلَافَتَهُ لِدِينِهِ عَصَمَةً ، وَطَاعَةَ خُلَفَائِهِ فَرَضًا وَاجِبًا عَلَى كَافَةِ الْأُمَّةِ ؛ فَهَمَّ الْمُسْتَحْفَظُونَ فِي أَرْضِهِ عَلَى

(١) فِي الْقَامُوسِ : « الْمَلْحَمُ ، كَمَكْرَمَ : جَنَسٌ مِنَ الثِّيَابِ » .

(٢) فِي الْقَامُوسِ : « الْعِيَّارُ : الْكَثِيرُ الْفَهَابُ وَالْخَبِيْثُ » .

(٣) أ ، ف : « الْمُنْهَزِمَةُ » . (٤) ف : « عَلَيْهِمْ » .

(٥) س : « فَأَمَرَ أَنْ يَكْتَبَ » . (٦) كَذَا فِي أ .

(٧) أ ، ف : « سُلْطَانُهُ » .

١٥٦٦/٣

ما بعث به رسله ، وأمناؤه على خلقه فيما^(١) دعاهم إليه من دينه ، والحاملون لهم على منهاج حقه ؛ لئلا يتشعب بهم الطريق إلى المخالفة لسيله ، والهادى لهم إلى صراطه ؛ ليجمعهم على الجادة التى نذب إليها عباده الذين بهم يُحمى الدين من الغواة والمخالفين ؛ محتجين على الأمم بكتاب الله الذى استعملهم به ، ودعا الأمة بحق الله الذى اختارهم^(٢) له ؛ إن جاهدوا كانت حجة الله معهم ، وإن حاربوا حكّم بالنصر لهم ، وإن بغاهم عدوّ كانت كفاية الله حائلةً دونهم ومعقلا لهم^(٣) ، وإن كادهم كائد فالله من وراء عونهم ، نصّبهم الله لإعزاز دينه ؛ فمن عاداهم فلإنما عادى الدين الذى أعزه وحرسه بهم ، ومن ناوأهم فلإنما طعن على الحق الذى يكلؤه بحراستهم ؛ جيوشهم بالنصر والعزّ منصوره ، وكتائبهم بسلطان الله من عدوّهم محفوظة ، وأيديهم عن دين الله دافعة ، وأشياعهم بتناصرهم فى الحقّ عالية ، وأحزاب أعدائهم ببغيهم مقموعة ، وحجتهم عند الله وعند خلقه داحضة ، ووسائلهم إلى النصر مردودة ؛ تجمعهم مواطن التحاكم ، وأحكام الله بخذلانهم واقعة ، وأقداره بإسلامهم إلى أوليائه جارية ، وعاداتهم فى الأمم^(٤) السالفة والقرون الخالية ماضية ؛ ليكون أهل الحق على ثقة من إنجاز سابق الوعد ، وأعداؤه محجوبون بما قدّم إليهم من الإنذار ، معجّلة لهم نقمة الله بأيدى أوليائه ، معدّة لهم العذاب عند ربهم ، والخزى موصول بنواصيهم فى دنياهم ، وعذاب الآخرة من ورائهم وما الله بظلام للعبيد .

١٥٦٧/٣

وصلى الله على نبيه المصطفى ، ورسوله المرتضى ، والمنقذ من الضلالة إلى الهدى ، صلاة تامّة نامية بركاتها ، دائمة اتصالها ، وسلم تسليماً .
والحمد لله تواضعاً لعظمته ، والحمد لله إقراراً بربوبيته ، والحمد لله اعترافاً بقصور أقصى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته . والحمد لله الهادى إلى حمده ، والموجب به مزيده ، والمخصى^(٥) به عوائد إحسانه ، حمداً يرضاه ويتقبّله ، ويوجب طوله وإفضاله . والحمد لله الذى حكم بالخذلان على منّ

(٢) ١ ، ر : « اختاره لهم » .

(٤) ف : « القرون » .

(١) ف : « على ما » .

(٣) ١ : « يجمعهم » .

(٥) ١ : « والمخصن » .

بَغَى عَلَى أَهْلِ دِينِهِ ، وَسَبَقَ وَعْدَهُ بِالنَّصْرِ لِمَنْ بَغَى عَلَيْهِ مِنْ أَنْصَارِ حَقِّهِ .
وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ كِتَابَهُ الْعَزِيزَ ، مَوْعِظَةً لِلْبَاطِلِينَ ؛ فَإِنْ أَقْلَعُوا كَانَتْ التَّذْكَيرُ
نَافِعَةً لَهُمْ ، وَالْحُجَّةُ عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ قَامَ بِهَا فِيهِمْ ، ثُمَّ أَوْجِبَ بَعْدَ التَّذْكَيرِ وَالْإِصْرَارِ
جِهَادَهُمْ ، فَقَالَ فِيمَا قَدَّمَ مِنْ وَعْدِهِ ، وَأَبَانَ مِنْ بَرَاهَانِهِ : ﴿ ثُمَّ بَغَى عَمَلِيَّةً لِيَنْصُرَنَّهُ
اللَّهُ ﴾ ^(١) ، وَعَدَّ مِنَ اللَّهِ حَقًّا نَهَى بِهِ أَعْدَاءَهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَثَبَّتَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى
سَبِيلِهِ ؛ وَاللَّهُ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ .

١٥٦٨/٣

وَاللَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي رَأْسِ دَعْوَتِهِ ، وَسَيْفِ دَوْلَتِهِ ، وَالْحَامِي عَنْ سُلْطَانِهِ
وَمَحَلِّ نَفَقَتِهِ ، وَالْمُتَقَدِّمُ فِي طَاعَتِهِ وَنَصِيحَتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَالذَّابُّ عَنْ حَقِّهِ ، وَالْقَائِمُ
بِمُجَاهَدَةِ أَعْدَائِهِ ؛ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، نِعْمَةٌ يُرْغَبُ إِلَى اللَّهِ
فِي إِتِمَامِهَا ، وَالتَّوْفِيقُ لَشُكْرِهَا ، وَالتَّطَوُّلُ بِمَنْ أَرَادَ الْمَزِيدَ فِيهَا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ رَلَّ آبَاءَهُ
الْقِيَامَ بِالِدَّعْوَةِ الْأُولَى لِآبَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ جَمَعَ لَهُ آثَارَهُمْ بِقِيَامِهِ بِالِدَّوْلَةِ
الثَّانِيَةِ ؛ حِينَ حَاوَلَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَنْ يَطْمِسُوا مَعَالِمَ دِينِهِ وَيَغْفَتُوا ؛ فَقَامَ بِحَقِّ اللَّهِ
وَحَقِّ خَلِيفَتِهِ ، مُحَامِيًا عَنْهَا ، وَمَرَامِيًا مِنْ وَرَائِهَا ، مُتَنَاوِلًا لِلْبَعِيدِ بِرَأْيِهِ وَنَظَرِهِ ،
مُبَاشِرًا لِلْقَرِيبِ بِإِشْرَافِهِ وَتَفَقُّدِهِ ، بِإِذْلا نَفْسِهِ فِي كُلِّ مَا قَرَّبَهُ مِنَ اللَّهِ ، وَأَوْجِبَ لَهُ
الزُّلْفَةَ عِنْدَهُ ، وَسِمْتَ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَلِيًّا ، مَكَانَفًا عَلَى الْحَقِّ ، وَنَاصِرًا
مَوَازِرًا عَلَى الْخَيْرِ ، وَظَهِيرًا مُجَاهِدًا لِعَدُوِّ الدِّينِ .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَقْدِّمَ بِهِ إِلَيْكُمْ فِيمَا أَحْدَثَتْهُ الْفِرْقَةُ
الضَّالَّةُ عَنْ سَبِيلِ رَبِّهَا ، الْمَفَارِقَةُ لِعَصْمَةِ دِينِهَا ، الْكَافِرَةُ لِنِعْمِ اللَّهِ وَنِعْمِ خَلِيفَتِهِ
عِنْدَهَا ، الْمُبَايِنَةُ لِحِمَاةِ الْأُمَّةِ الَّتِي أَلَّفَ اللَّهُ بِخِلَافَتِهِ نِظَامَهَا ، الْحَاوِلَةُ لِتَشْتِيتِ
الْكَلِمَةَ بَعْدَ اجْتِمَاعِهَا ، النَّاكِثَةُ لِبَيْعَتِهِ ، الْحَالَعَةُ لِرَبِيقَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْنَاقِهَا ،
الْمَوَالِي الْأَتْرَاكُ ، وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ مِنْ نَصْرِ الْغُلَامِ لِلْمُرُوفِ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ
لِإِقَامَتِهَا عِنْدَ مُصِيرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ ، مَحَلِّ سُلْطَانِهِ ، وَجَمْعِ ^(٢)
أَنْصَارِهِ وَأَبْنَاءِ أَنْصَارِ آبَائِهِ ؛ وَمَا قَابَلَ بِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خِيَانَتَهُمْ وَآثَرَهُ مِنَ
الْأُنَاةِ فِي أَمْرِهِمْ .

١٥٦٩/٣

(١) سُورَةُ الْحَجِّ ٦٠ .

(٢) ١٤٥ س : « وَجَمْعَ » .

ثم إن هؤلاء الناكثين جمعوا جمعاً من الأتراك والمغاربة ، ومن ولج في سوادهم ، ودخل في غمارهم ، مؤثيماً للفتنة من ألفاف الغي ، ورأسوا عليهم المعروف بأبي أحمد بن المتوكل ، ثم ساروا نحو مدينة السلام في الجانب الشرق ، معلنين للبغي والاعتدار ، مظهرين للغى والإصرار ؛ فتأثامهم أمير المؤمنين ، وفسح لهم في النظرة لهم ، وأمر بالكتاب إليهم بما فيه تبصيرهم الرشد ، وتذكيرهم^(١) بما قدّموا من البيعة ، وإفهامهم ما لله عليهم وله في ذلك من الحق ، وأن خروجهم مما دخلوا فيه من بيعتهم طوعاً ، والخروج من دين الله والبراءة منه ومن رسوله ، وتحريمهم أموالهم ونساءهم عليهم ؛ وأن في تمسكهم به سلامة أديانهم ، وبقاء نعمتهم ، والاحتباس من حلول النقم بهم^(٢) ، وأن يبين لهم ما سلف من بلائه عندهم ، من أسنى المواهب ، وأرفع الرغائب ، والاختصاص بسنى المراتب ، والتقدم في الخافل ؛ فأبوا إلا تمادياً ونفاراً ، وتمسكاً بالغي وإصراراً .

فقلّد أمير المؤمنين نصيحه المؤتمن ووليّه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين تديراً^(٣) أمورهم ودعائهم إلى الحق ما كانت الإنابة أو محاربتهم إن جنح بهم غيهم ، وتتابعوا في ضلالهم ، فلم يألم نظراً وإفهاماً ، وتبييناً وإرشاداً ، وهم في ذلك رافعون أصواتهم بالتوعد لأهل المدينة السلام ؛ بسفك دمائهم وسبى نساءهم وتغنم أموالهم ؛ وقبل ذلك ما كانوا في مسيرهم على السبيل التي يستعملها أهل الشرك في غاراتهم ، ويميلون إليها عند إمكان التهنئة^(٤) لهم ؛ لا يجتازون بعامر إلا أخربوه ، ولا بحريم لمسام ولا غيره إلا أباحوه ، ولا بمسلم يعجز عنهم إلا قتلوه ، ولا بمال لمسلم ولا ذمى إلا أخذوه ؛ حتى انتقل كثير ممن سبقت إليه أخبارهم من أمامهم عن أوطانهم ، وفارقوا منازلهم ورباعهم ، وفزعوا إلى باب أمير المؤمنين تحصناً من معرفتهم ، لا يمرؤن بغنى إلا خلعوا عنه لباس الغنى ؛ ولا بمستور إلا هتكوا عن الذرية والنساء ستره ، لا يرقبون في مؤمن إلا^(٥) ولا ذمة ، ولا يتوقفون عن مسلم بهتك ولا مشئلة ، ولا يرغبون عما حرم الله من دم ولا حرمة .

ثم تلقوا التذكرة بالحرب ، وقابلوا الموعظة بالإصرار على الذنب ، وعارضوا

(٢) س : « الغير » .

(٤) ا : « النرة » .

(١) س : « وتذكروهم » .

(٣) كذا في ا ، وفي ط : « بتديبر » .

التبصير بالاستبصار في الباطل ؛ فذَلَبُوا نحو باب الشَّامِسية ، وقد رتب محمد ابن عبد الله مولى أمير المؤمنين بذلك الباب والأبواب التي سبيلها سبيله من أبواب مدينة السلام الحيوش في العُدَّة الكاملة ، والعُدَّة المتظاهرة ؛ معاقلمهم التوكُّل على ربهم ، وحصونهم الاعتصام بطاعته ، وشعارهم التكبير والتهليل أمام عدوهم . ومحمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ، يأمرهم بتحسين ما يليهم والإمساك عن الحرب ما كانت مندوحة لهم ؛ فبادأهم الأولياء بالموعظة ، وبدأهم الغواة الناكثون بحربهم ، وعادوهم أياماً بجموعهم وعدادهم ، مُدَلِّين بعدتهم ومقدِّرين ألا غالب لهم ؛ ولا يعلمون بالله أن قدرته فوق قدرتهم ، وأن أقداره نافذة بخلاف إرادتهم ، وأحكامه عادلة ماضية لأهل الحق عليهم ؛ حتى إذا كان يوم السبت للنصف من صفر وافوا باب الشَّامِسية بأجمعهم ^(١) ، قد نشروا أعلامهم ، وتنادوا ^(٢) بشعارهم ، وتحصَّنوا بأسلحتهم ، وبدأ الأمر ^(٣) منهم لمن عاينهم ، ليس لهم وعيد دون سفك الدماء ، وسبى النساء ، واستباحة الأموال ؛ فبدأهم الأولياء بالموعظة فلم يسمعوا ، وقابلوهم بالتذكرة فلم يُصغوا إليها ، وبدعوا بالحرب منا بدين لها ، فتسرَّع الأولياء عند ذلك إليهم ، واستنصروا عليهم ^(٤) ، واستحكمت بالله ثققتهم ، ونفذت به بصائرهم ؛ فلم تزل الحرب بينهم إلى وقت العصر من هذا اليوم ؛ فقتل الله من حماتهم وفرسانهم ورؤسائهم وقادة باطلهم جماعة كثيراً عددها ^(٥) ، ونالت الجراحة المشخنة التي تأتى على من نالته أكثر عامتهم .

١٥٧٢/٣

فلما رأى أعداء الله وأعداء دينه أن قد أكذب ظنونهم ، وحال بينهم وبين أمانيتهم ، وجعل عواقبها حشرات عليهم ؛ استنهضوا جيشاً من سامراً من الأتراك والمغاربة في العتاد والعُدَّة والجلاد والأسلحة في الجانب الغربي ، طالبين المعركة ، ومؤمِّلين أن ينالوا نيلاً من أهله باشتغال إخوانيتهم في الجانب الشرقي بأعدائهم .

وقد كان محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين شَحَنَ الجانبين جميعاً

(٢) س : « وتبادروا » .

(٤) ف : « على عدوهم » .

(١) س : « بجمعهم » .

(٣) ١ : « الأشر » .

(٥) ١ ، ف : « عدتها » .

بالرجال والعُدَّة ، ووكل بكل ناحية مَن يقوم بحفظها وحراستها ، ويكف عن الرعية بوائق أعدائهم ، ووكل بكل باب من الأبواب^(١) قائداً في جمع كثيف ، ورتب على السور مَن يراعيه في الليل والنهار^(٢) وبث الرجال ليعرف أخبار أعداء الله في حركاتهم ونهوضهم^(٣) ومقامهم وتصرفهم ، فيعامل كل حال لهم بحال يفت الله في أعضادهم بها .

فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر ، وافى الجيش الذي أنهضوه^(٤) من الجانب الغربي^(٥) الباب المعروف بباب قطربل ، فوقفوا بإزاء الناكثين المعسكرين بالجانب الشرق من دجلة في عدد^(٦) لا يسعه إلا الفضاء ، ولا يحمله إلا الجبال الفسيح ، وقد تواعدوا أن يكون دنوهم من الأبواب معاً لشغل^(٧) الأولياء بحربهم من الجهات ، فيضعفوا عنهم ويغلبوا حقهم بباطلهم ؛ أملاً كاذباً كادهم الله فيه غير صادق ، وظناً خائباً لله فيه قضاء نافذ^(٨) . وأنهض محمد بن عبد الله نحوهم محمد بن أبي عون وبندار بن موسى الطبري مولى أمير المؤمنين وعبد الله بن نصر بن حمزة من باب قطربل ، وأمرهم بتقوى الله وطاعته ، والاتباع لأمره والتصرف مع كتابه ، والتوقف عن الحرب حتى تسبق التذكرة الأسماع ، وتزول الحجفة بالتتابع منهم والإصرار ، فنفذوا في جمع يقابل جمعهم ، مستبصرين في حق الله عليهم ، مسارعين إلى لقاء عدوهم ، محتسين خطاهم ومسيرهم ، واثقين بالثواب الآجل والجزاء العاجل . فتلقاهم ومن معهم أعداء الله ، قد أطلقوا نحوهم أغنيتهم ، وأشرعوا لينحورهم أسنيتهم ، لا يشكون أنهم نهزة المختلس ، وغنيمة المنتهب ؛ فنادوهم بالموعظة نداء مستمعا ، فجثها أسماعهم ، وعمت عنها أبصارهم ، وصدتهم أولياء الله في لقائهم ؛ بقلوب مستجمعة لهم ، وعلم بأن الله لا يخلف وعده فيهم ؛ فجالت الخيل بهم جولة ، وعادت كرة بعد كرة عليهم ، طعنًا بالرماح ، وضربًا بالسيوف ، ورشقا بالسهم ؛ فلما مستهم ألم جراحها ، وكلمتهم الحرب بأنياها ، ودارت

(٢) بعدها في ف : « في كل حال » .

(١) س : « الجانبين » .

(٤) س : « الذين نهضوا » .

(٣) بعدها في ف : « وما معهم » .

(٦) ف : « عداد » .

(٥) س : « الشرق » .

(٨) ا : « سابق » .

(٧) ف : « ليشغل » .

عليهم رجاها ، وصمم عليهم أبناؤها ، ظمأ إلى دمائهم ؛ ولَّوْا أديبارهم ، ومنح الله أكتافهم ، وأوقع بأسه بهم ، فقتلت منهم جماعة لم يحترسوا من عذاب الله بتوبة ، ولم يتحصنوا من عقابه بأمانة ، ثم ثابت ثانية ؛ فوقفوا بإزاء الأولياء ، وعبر إليهم أشياءهم الغاؤون من عسكرهم بباب الشَّامِسية ألف رجل من أنجادهم في السفن ، معاونين لهم على ضلالتهم ؛ فأنهض لهم محمد بن عبد الله خالد بن عمران والشاه بن ميكال مولى طاهر نحوهم ، فنفذوا ببصيرة لا يتخونها فتور ، ونية لا يلحقها تقصير ؛ ومعهما العباس بن قارن مولى أمير المؤمنين .

١٥٧٥/٣

فلما وافي الشاه فيمن معه أعداء الله ، وكل بالمواضع التي يتخوف منها^(١) مدخل الكُمناء ، ثم حمل من توجه معه من القواد المسمين ماضين لا يغويهم الوعيد ، ولا يشكون من الله في النصر والتأييد ، فوضعوا أسيافهم فيهم ، تمضى أحكام الله عليهم ؛ حتى ألحقهم بالمعسكر الذي كانوا عسكروا فيه وجاوزوه ، وسلبوهم كل ما كان من سلاح وكراع وعتاد الحرب ؛ فبين قليل غودرت جثته بمصرعه ، ونقلت هامته إلى مصير فيه معتبر لغيره ، ومن لاجئ من السيف إلى الغرق لم يجره الله من حذاره ، ومن أسير مصفود يقاد إلى دار أولياء الله وحزبه ، ومن هارب بحشاشة نفسه ، قد أسكن الله الخوف قلبه ؛ فكانت النعمة بحمد الله واقعة بالفريقين ممن وافي الجانب الغربي قادماً ، ومن عبر إليهم من الجانب الشرق منجداً ، لم ينسج منهم ناج ، ولم يعتصم منهم بالتوبة معتصم ، ولا أقبل إلى الله مقبل ؛ فرقاً أربعاً يجمعها النار ، ويشملها^(٢) عاجل النكال ، عظة ومعتبراً لأولى الأبصار ؛ فكانوا كما قال الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾^(٣) .

١٥٧٦/٣

ولم تزل الحرب بين الأولياء وبين الفرقة التي كانت في الجانب الشرق والقتل محتفل في أعلاهم ، والجراح فاشية فيهم ؛ حتى إذا عاينوا ما أنزل الله بأشياءهم من البوار ، وأحل بهم من النعمة والاستئصال ؛ ما لهم من الله من عاصم ، ولا من أوليائه ملجأ ولا موئل ؛ ولَّوْا منهزمين مغلولين منكوبين ، قد

(١) س : « فيها » . (٢) ف : « ويشملهم » . (٣) سورة إبراهيم ٢٨ ، ٢٩ .

أراهم الله العبر في إخوانهم الغاوية ، وطوائفهم المضلّة ؛ وضلّ ما كان في أنفسهم لما رأوا من نصر الله لجنده ، وإعزازه لأوليائه ؛ والحمد لله ربّ العالمين ، قامع الغواة الناكبين عن دينه ، والبغاة الناقضين لعهدّه ، والمرّاق الخارجين من جملة أهل حقّه ؛ حمداً مبلغاً رضاه ، وموجباً أفضل مزيده ؛ وصلى الله أولاً وآخراً على محمد عبده ورسوله ، الهادى إلى سبيله ، والدّاعى إليه بإذنه ، وسلم تسليماً .

وكتب سعيد بن حميد يوم السبت لسبع خلون من صفر سنة إحدى وخمسين ومائتين .

* * *

وركب محمد بن عبد الله بن طاهر يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر إلى باب الشماسية ، وأمر بهدم ما وراء سور بغداد من الدور والخوانيت والبساتين وقطع الشّخل والشّجر من باب الشماسية إلى ثلاثة أبواب ؛ لتتسع الناحية على من يحارب فيها ؛ وكان وجهه من ناحية فارس والأهواز نيّف ١٥٧٧/٣ وسبعون حملاً بمال إلى بغداد ، قدم به - فيما ذكر - منكجور بن قارن الأشروسيّ القائد ، فوجه الأتراك وأبو أحمد بن بابك إلى طارستان في ثلثائة فارس وراجل ؛ ليلتقى ذلك المال إذا صار إليها . فوجه محمد بن عبد الله قائداً له يقال له يحيى بن حفص ، يحمل ذلك المال ، فعدّل به عن طارستان ، خوفاً من ابن بابك ؛ فلما علم ابن بابك أن المال قد فاتته صار بمن معه إلى النهروان ؛ فأوقع من كان معه من الجند بأهلها ، وأخرج أكثرهم ، وأحرق سفن الجسر ؛ وهي أكثر من عشرين سفينة ، وانصرف إلى سامراً .

وقدم محمد بن خالد بن يزيد - وكان المستعين قلده الثغور الجزريّة ، وكان مقيماً بمدينة بلد ينتظر من يصير إليه من الجند والمال - فلما كان من اضطراب أمر الأتراك ودخول المستعين بغداد ما كان ، لم يمكنه المصير إلى بغداد إلاّ من طريق الرقة ، فصار إليها بمن معه من خاصّته وأصحابه ؛ وهم زهاء أربعمائة فارس وراجل ؛ ثم انحدر منها إلى مدينة السلام ، فدخلها يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر ، فصار إلى دار محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ فخلع عليه خمس خلع : ديبقى^(١) ، ومسلّم ، وخزّ ، ووشى ، وسواد ،

(١) ديبقى : ثوب منسوب إلى ديبق ، بلدة قديمة كانت بمصر .

ثم وجهه في جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد ؛ فأخذ على ظهر^(١) الفرات فحاربه في نفر يسير ، فهزّم وصار إلى ضيعة^(٢) بالسواد .

فذكر عن سعيد بن حميد أنه قال : لمّا انتهى خبر هزيمة محمد بن عبد الله ، قال : ليس يُفلح أحدٌ من العرب إلّا أن يكون معه نبيّ ينصره به . وفي هذا اليوم كانت للأتراك وقعة باب الشّمسية ، كانوا صاروا إلى الباب ، فقاتلوا عليه قتالاً شديداً حتى كشفوا مَنْ عليه ، ورموا المنجنيق المنصب بسرّة الباب بالنفط والنار ، فلم يعمل فيه نارهم ، وكشّروهم من على الباب من الجند حتى أزالوهم عن موقفهم ، ودفعوهم عن الباب بعد قتلهم عدّة سيرة من أهل بغداد ، وجرحيهم منهم جماعة كثيرة بالسّهام . فوجّه محمد بن عبد الله إليهم عند ذلك العرّادات التي كانت تحمل في السفن والزوارق ، فرمّوهم بها رمياً شديداً ، فقتلوا منهم جماعة كثيرة نحواً من مائة إنسان ، فتنحّوا عن الباب ؛ وكان بعض المغاربة صار في هذا اليوم إلى سور باب الشّمسية ؛ فرمى كلّاب إلى السور ، وتعلّق به وصعد ، فأخذه الموكلون بالسور فقتلوه ، ورّموا برأسه في المنجنيق إلى عسكر الأتراك ؛ وانصرفوا عند ذلك إلى معسكرهم .

وذكر أن بعض الموكلين بسور باب الشّمسية من الأبناء هاله ما رأى من كثرة مَنْ ورد باب الشّمسية في هذا اليوم من الأتراك والمغاربة ؛ وكانوا قترّبو من الباب بأعلامهم وطبولهم ، ووضع بعض المغاربة كلّاباً على السور ؛ فأراد بعض الموكّلين بالسور أن يصبح : يا مستعين ، يا منصور ، فغلط ؛ فصاح : يا معتز ، يا منصور ؛ فظنّه بعض الموكّلين بالباب من المغاربة ، فقتلوه وبعثوا برأسه إلى دار محمد بن عبد الله ؛ فأمر بنصبه ، فجاءت أمه وأخوه في عشية هذا اليوم بجثته في حمل يصيحان ويطلبان رأسه ؛ فلم يدفع إليهما ؛ ولم يزل منصوباً على الحسر إلى أن أنزل مع ما أنزل من الرؤوس .

ووافي ليلة الجمعة لسبع بقين من صفر جماعة من الأتراك باب البرّدان ؛ وكان الموكل به محمد بن رجاء ؛ وذلك قبل شخوصه إلى ناحية واسط ؛ فقتل منهم

(١) ف : « طريق الفرات » . (٢) ف : « ضيعة » .

سته نفر ، وأسر أربعة ، وكان الدرعمان شجاعاً بطلاً ، وصار في بعض الأيام مع الأتراك إلى باب الشماسية ، فرمى بحجر منجنيق ، فأصاب صدره ؛ فأنصرف به إلى سامراً ، فمات بين بصرى وعكبة راء ؛ فحمل إلى سامراً ؛ فذكر يحيى بن العكبي القائد المغربي أنه كان إلى جنب الدرعمان في يوم من أيامهم ؛ إذ وافاه فاوكي^(١) ، فأصاب عينه ، ثم أصابه بعد ذلك حَجَر فَأُطَارَ رأسه ، فحمل ميتاً .

١٥٨٠/٣

وذكر عن علي بن حسن الراعي ، أنه قال : كنّا قد جمعنا على السور على باب الشماسية من الرماة جماعة ، وكان مغربي يحيى حتى يقرب من الباب ، ثم يكشف استه^(٢) ثم يضطر ويصيح ؛ قال : فانتخب له سهماً فألقته في دُبره حتى خرج من حلقه ، وسقط ميتاً . وخرج من الباب جماعة فنصبوه كالمصلوب ، وجاءت المغاربة بعد ذلك ، فاحتلموه .

وذكر أن الغوغاء اجتمعوا بسامراً بعد هزيمة الأتراك يوم قُطْرُبَل ، ورأوا ضعف أمر المعتز ، فانتهبوا سوق أصحاب الحلى والسيوف والصارفة ، وأخذوا جميع ما وجدوا فيها من متاع وغيره ، فاجتمع التجار إلى إبراهيم المؤيد أنخى المعتز ، فشكوا ذلك إليه ، وأعلموه أنهم قد كانوا ضمنوا لهم أموالهم وحفظها عليهم . قال : فقال لهم : كان ينبغي لكم أن تحولوا متاعكم إلى منازلكم ؛ وكبّر عنده ذلك^(٣) .

وقدم بحونة بن قيس بن أبي السعدى يوم السبت ثمان بقين من صفر بمن فَرَضَ من الأعراب وهم ستمائة راجل ومائتا فارس . وقدم في هذا اليوم عشرة نفر من وجوه أهل طرسوس يشكون بلكا جور ، ويزعمون أن بيعة المعتز^(٤) وردت عليه ، فخرج بعد ساعتين من وصول الكتاب ، ودعا إلى بيعة المعتز ، وأخذ القواد وأهل الثغر بذلك ؛ فبايع أكثرهم ، وامتنع بعض ، فأقبل على من امتنع بالضرب والقيد والحبس . وذكر أنهم امتنعوا وهربوا لما أخذهم بالبيعة

١٥٨١/٣

(٢) س : « رأسه » .

(١) ف : « وافاه سهم » .

(٣) ١ : « ولم يكن عنده لذلك فكبر » .

(٤) ١ : « خلق » .

كرهاً، فقال وصيف : ما أظن الرجل إلاّ [اغتر وموّه عليه] ^(١) وأن الوارد عليه بكتاب المعتزّ هو الليث بن بابّك ، وذكر له أن المستعين مات ، وأقاموا المعتزّ مكانه ؛ فتكلّم ^(٢) هؤلاء النفر يشكون بلكاجور ، ونسبوه إلى أنه فعل ذلك على عمد ، ورفعوا عليه أنه كان يرى في بني الوائق، وقد ورد كتاب بلكاجور يوم الأربعاء لأربع بقين من صفر مع رجل يقال له عليّ الحسين المعروف بابن الصّعلوك ؛ يذكر فيه أنه ورد عليه كتاب من أبي عبد الله بن المتوكل ، أنه قد وليّ الخلافة ، وباع له. فلما ورد عليه كتاب المستعين بصحة الأمر ، جدّد أخذ البيعة على من قبّله ، وأنه على السمع والطاعة له . فأمر للرسول بألف درهم فقبضها ، وقد كان أمر بالكتاب إلى محمد بن عليّ الأرمني المعروف بأبي نصر بولايته على الثغور الشّامية . فلما ورد كتاب بلكاجور بالطاعة أمسك عن إنفاذ كتاب محمد بن عليّ الأرمني بالولاية .

وفي يوم الاثنين لست بقين من صفر من هذه السنة قدم إسماعيل بن فراشة من ناحية همدان في نحو ثلثمائة فارس ، وكان جنده ألفاً وخمسمائة ؛ فتقدّم بعضهم وتأخّر بعض ، وتفرّقوا ، وقدم معه برسول للمعتزّ ، كان وجّه إليه لأخذ البيعة ، فقيّد الرسول وصار به إلى مدينة السلام على بغل بلا إكاف ، فخلع على إسماعيل خمس خلع . وورد برجل ذكر أنه علوى أخذ بناحية الرّي وطبرستان ، متوجّهاً إلى من هناك من العلوية ؛ وكان معه دوابّ وغلمان ؛ فأمر به فحبس في دار العامة أشهراً ، ثم أخذ منه كفيل وأطلق .

١٥٨٢/٣

وقرئ في هذا اليوم كتاب موسى بن بغا يذكر فيه أنه ورد كتاب المعتزّ ، وأنه دعا أصحابه ، وأخبرهم بما حدث ، وأمرهم بالانصراف معه إلى مدينة السلام ؛ فامتنعوا ، وأجابه الشاكرية والأبناء، واعتزله الأتراك ومن كان فيهم ، وحاربوه فقتل منهم جماعة وأسرى ؛ فهم قادمون معه . فكبروا في دار ابن طاهر عند قراءتهم كتابه .

ونخمس بـتقين من صفر دخل من البصرة عشرين سفائن بحرية ؛ تسمّى

(١) من ا ، وموضع ذلك بياض في ط (٢) كذا في ا ، وفي ط : « فكثر » .

البوارج ، في كل سفينة اشتيام وثلاثة نقاطين ونجار وخباز وتسعة وثلاثون رجلا من الجذافين والمقاتلة^(١) ؛ فذلك في كل سفينة خمسة وأربعون رجلا . فهدت إلى الجزيرة التي بجذاء دار ابن طاهر ، ولعب أصحابها بالنيران ، ثم مدت إلى ناحية الشماسية في هذه الليلة ، فرمى من فيها من الأتراك بالنيران ، فعزوا على الانتقال من معسكرهم برقة الشماسية إلى بستان أبي جعفر بالحير ، ١٥٨٣/٣ ثم بدا لهم فارتفعوا فوق معسكرهم في موضع لا ينالهم شيء من النار . وليلة بقيت من صفر صار الأتراك والمغاربة إلى أبواب مدينة السلام من الجانب الشرقي ، فأغلقت الأبواب في وجوههم ، ورموا بالسهم والمنجنقات والعرادات ، فقتل من الفريقين وجرح جماعة كثيرة ، فلم يزلوا كذلك إلى العصر .

* * *

وفي هذه السنة كرّ سليمان بن عبد الله راجعاً من جرجان إلى طبرستان وشخص من آمل ، وخرج يجمع كثير وخيل وسلاح ، فتنحى الحسن بن زيد ولحق بالديلم ، فكتب إلى السلطان ابن أخيه محمد بن طاهر بدخوله طبرستان ، ففرى كتابه ببغداد ، وكتب نسخة ذلك المستعين إلى بغا الصغير مولى أمير المؤمنين بفتح طبرستان على يدى محمد بن طاهر وهزيمة الحسن ابن زيد ؛ وأن سليمان بن عبد الله دخل سارية على حال من السلامة ، وأنه ورد عليه ابنان لقارن بن شهریار مولى أمير المؤمنين ، يقال لهما مازيار ورسم ، في خمسمائة رجل ، إلى ما ذكر من غير ذلك في الفتح ، وأن أهل آمل أتوه منيمين مظهرين إنابتهم ، مستقيلين عراتهم ؛ فلقبهم بما زاد في سكونهم وثقتهم ، ونهض بعسكره على تعبته ، مستقرئاً للقرى والطرق ، وتقدم بالنهي عن القتل ، وترك العرض لأحد في سلب وغيره ، وتوعد من جاوز ذلك ؛ وأن كتاب أسد بن جندان وافاه بهزيمة على بن عبد الله الطالبي المسمى بالمرعشي فيمن كان معه ؛ وهم أكثر من ألفى رجل ورجلين من رؤساء الجبل ، في جمع عظيم عند تأدّى الخبر إليهم بانهازم الحسن بن زيد ودخوله بالأولياء إلى تلك الناحية ، وأنه دخل مدينة آمل في أحسن هيئة ، وأظهر عزّة وسلامة شاملة ،

(١) : « ومقاتلة » .

وانقطعت عنه أسباب الفتنة .

ولخمس بقين من المحرم من هذه السنة ورد كتاب العلاء بن أحمد عامل
بغا الشراشي على الخراج والضرائب بإرمينية ، بما كان من خروج رجلين بتلك
الناحية ؛ ستمهما وذكر لإيقاعه بهما ، وأنهما التجأ إلى قلعة ، فوضع عليها
المجانيق حتى جهدها ، وأنهما خرجا من القلعة هاربين ، وخفي أمرهما وصارت
القلعة في أيدي^(١) الأولياء .

* * *

وفيها أيضاً ورد كتاب مؤرخ لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم بانتقاض
أهل أردبيل ، وكتاب الطالبي إليهم ، وأنه بعث^(٢) أربعة عساكر على أربعة
أبواب مدينتهم ليحاصروهم .

١٥٨٥/٣

* * *

وفيها ورد كتاب مخبر عن الحرب التي كانت بين عيسى بن الشيخ والموفق
الخارجي وأسرى عيسى الموفق ، ومسألة عيسى المستعين توجيه ما يحتاج إليه من
السلاح ؛ ليكون عدة له في البلد ، يقوى به الجند على الغزو^(٣) ، وأن
يكتب إلى صاحب الصور في توجيه أربع مراكب إليه بجميع آلتها ؛ تكون قبلة
مع ما قبله منها .

* * *

وفيها أيضاً ورد كتاب محمد بن طاهر بخبر الطالبي الذي ظهر بالري
ونواحيها ، وما أعد له من العساكر ، ووجه إليه من المقاتلة ، وبهرب الحسن
ابن زيد عند مصيره إلى الحمديّة وإحاطة عسكره بها ؛ وأنه عند دخوله الحمديّة
وكل بالمسالك والطرق ، وبث أصحابه ، وأن الله أظفروهم بمحمد بن جعفر
أسيراً على غير عقم ولا عهد . والذي صار إلى الري من العلوية في المرة الثانية
بعد ما أسير محمد بن جعفر أحمد بن عيسى بن علي بن حسين الصغير بن علي
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن

١٥٨٦/٣

(١) س : « يد » . (٢) ف : « نصب لهم » . (٣) س : « العدو » .

عبد الله بن حسن بن عليّ بن أبي طالب ، وهو الذي خرج في مصعد الحاجّ ،
والذي بطبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن
الحسن بن عليّ بن أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه .

* * *

وفيها أيضاً ورد كتابٌ من محمد بن طاهر على المستعين ، يذكر فيه انهزام
الحسن بن زيد منه ، وأنه لقيه في زُهاء ثلاثين ألفاً ، فجرت فيما بينه وبينه حرب ،
وأنه قتل من رموس أصحابه ثلثمائة وثيقتاً وأربعين رجلاً . وأمر المستعين أن
يقرأ نسخة كتابه في الآفاق .

* * *

وفيها خرج يوسف بن إسماعيل العلويّ ابن أخت موسى بن عبد الله
الحسينيّ .

وفي شهر ربيع الأول منها أمر محمد بن عبد الله أن يتخذ لعيّاري أهل
بغداد كافر كوبات ، وأن يصيّر فيها مسامير الحديد ، ويجعل ذلك في دار
المظفر بن سيسل ؛ لأنهم كانوا يحضرون القتال بغير سلاح ، وكانوا يرمون
بالآجر ، ثم أمر منادياً ، فنادى : مَنْ أراد السلاح فليحضر دار المظفر ،
فوافّاها العياريون من كل جانب ، فقسم ذلك فيهم ، وأثبت أسماهم ، ورأس
العيّاريون عليهم رجلاً يدعى ينتويه ؛ ويكنى أبا جعفر وعدّة^(١) آخر ؛ يدعى
أحدهم دُؤنل ، والآخر دمحال ، والآخر أبا نملة ، والآخر أبا عصارة ، فلم
يثبت منهم إلاّ ينتويه ؛ فإنه لم يزل رئيساً على عيّاري الجانب الغربيّ ؛ حتى
انقضى أمر هذه الفتنة . ولما أعطي العياريون الكافر كوبات تفرّقوا على أبواب
بغداد ، فقتلوا من الأتراك ومن أتباعهم نحواً من خمسين نفساً في ذلك اليوم ،
وقتل منهم عشرة أنفس وجرح منهم خمسمائة بالنشاب ، وأخذوا من الأتراك
علمهم وسلّمين .

وفيها كانت لبحونة^(٢) بن قيس وقعة مع جماعة من الأتراك بناحية بزوغمي ،

(١) ف : « وأربعة » . (٢) ط : « نجوبة » ، وما أثبتته من أ ، وانظر الفهرس .

لقيهم هو ومحمد بن أبي عون وغيرهما ، فأسروا منهم سبعة ، وقتلوا ثلاثة ، ورمى بعضهم بنفسه في الماء ، فغرق بعضهم ونجا بعضهم .

وذكر عن أحمد بن صالح بن شيرزاد ، أنه سأل رجلاً من الأسرى عن عدة القوم الذين لقيهم بحونة ، قال : كنا أربعين رجلاً ، فلقينا بحونة وأصحابه سحراً ، فقتل منا ثلاثة ، وغرق ثلاثة ، وأسر ثمانية ، وأفلت الباقيون ، وأخذ ثمان عشرة دابة^(١) وجواشن وراية لعامل أوانا ، وهو أخو هارون بن شعيب . وكانت الوقعة بأوانا يوم الأربعاء ، وأقام جند بحونة وعبد الله بن نصر بن حمزة بقطر بل مسلحة .

١٥٨٨/٣

ونخرج - فيما ذكر - ينتويه وأصحابه من العيارين في بعض هذه الأيام من باب قطر بل ، فضوا يشتمون الأتراك حتى جازوا قطر بل ، فعبّر من عبر إليهم من الأتراك ناشبة في الزواريق ، فقتلوا منهم رجلاً ، وجرحوا منهم عشرة ؛ وكاثرهم العيارون بالحجارة فأثخنوهم ، فرجعوا إلى معسكرهم ، فأحضر ينتويه دار ابن طاهر ؛ فأمر ألا يخرج إلا في يوم قتال ، وسور ، وأمر له بخمسمائة درهم .

ولأربع عشرة خلت من ربيع الأول منها ، قلع من ناحية الرقة مزاحم بن خاقان ، وأمر القواد وبني هاشم وأصحاب الدواوين بثلثيه ؛ وقدم^(٢) معه من كان معه من أصحابه من الخراسانية والأتراك والمغاربة ، وكانوا زهاء ألف رجل ؛ معهم عتاد الحرب من كل صنّف ، ودخل بغداد ، ووصيف عن يمينه وبغا عن شماله ، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن يسار بغا ، وإبراهيم بن إسحاق خليفهم ؛ وهو بوقار ظاهر ؛ فلمّا وصل خلع عليه سبع خلع ، وقتل سيفاً ، وخلع على ابنه ، على كل واحد منهما خمس خلع . ثم أمر أن يفرض له ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرّجال ، ووجه المعتز موسى بن أشناس ومعه حاتم بن داود بن بنحور في ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرّجال فسكر بإزاء عسكر أبي أحمد من الجانب الغربي بباب قطر بل الليلة خلت

١٥٨٩/٣

(١) : « راية » .

(٢) : « ومعه » .

من ربيع الأول . وخرج رجل من العيَّارين يعرف بديكويه على حمار وخبلفته على حمار ، ومعهم تيرسة وسلاح ؛ وخرج آخر في الجانب الشرقى يكنى أبا جعفر ويعرف بالخرمى في خمسمائة رجل في سلاح ظاهر ، معهم الترسه وبوارى مُمَيَّرة وسيوف وسكاكين في مناطقهم ، ومعهم كافركوبات ، وقرب العسكر الوارد من سامرا إلى الجانب الغربى من بغداد . فركب محمد بن عبد الله معه أربعة عشر قائداً من قواده في عُدَّة كاملة ، وخرج من المبيضة والنظارة خلق كثير ، فسار حتى حاذى عسكر أبى أحمد ؛ وكانت بينهم في الماء جتولة قتيل من عسكر أبى أحمد أكثر من خمسين رجلاً ، ومضى المبيضة حتى جازت العسكر بأكثر من نصف فرسخ ، فعبرت إليهم شبَّارات من عسكر أبى أحمد ؛ فكانت بينهم مناوشة ، وأخذوا عِدَّة من الشبَّارات بما فيها من المقاتلة والملاحين ، فاستوثق منهم ، وانصرف محمد بن عبد الله ، وأمر ابن^(١) أبى عون أن يصرف الناس ، فوجه ابن أبى عون إلى النظارة والعامَّة من صرفهم وأغلظ لهم^(٢) القول ، وشتَّمهم وشتَّموه ، وضرب رجلاً منهم فقتله . وحملت عليه العامَّة ؛ فانكشف من بين أيديهم ؛ وقد كان أربع شبَّارات من شبَّارات أهل بغداد تخلَّفت ؛ فلما انصرف ابن أبى عون منهزماً من العامَّة نظر إليها أهل عسكر أبى أحمد فوجهوا في طلبها شبَّارات ، فأخذوها وأحرقوا سفينة فيها عرَّادة لأهل بغداد وصار العامَّة من فورهم إلى دار ابن أبى عون لينهبوها ، وقالوا : ما يمل الأتراك ، وأعانهم وانهزم بأصحابه . وكلموا محمد بن عبد الله في صرفه وضجوا ، فوجه المظفر بن سيسل في أصحابه ، وأمره أن يصرف العامَّة ويمنعهم أن يأخذوا لابن أبى عون شيئاً من متاعه ، وأعلمهم أنه قد عزله عن أمر الشبَّارات والبحريات والحرب ، وصير ذلك إلى أخيه عبيد الله بن عبد الله ، فضى مظفر ، فصرف الناس عن دار محمد بن أبى عون .

وفى يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول وافى عسكر الأتراك الشاخص من سامرا إلى بغداد عكَّيسراً ، فأخرج ابن طاهر بNDAR الطبرى وأخاه عبيد الله وأبا السنن ومزاحم بن خاقان وأسد بن داود سياه ونخالد

١٥٩١/٣

(٢) ف : « عليهم » .

(١) ف : « محمد بن أبى عون » .

ابن عمران وغيرهم من قواده ، فضوا حتى بلغوا قُطْرُبِلَ ، وفيها كمين الأتراك فأوقع بهم ، ونشبت الحرب بينهم ؛ فدفعهم الأتراك حتى بلغوا الحائطين بطريق قُطْرُبِلَ . وقاتل أبو السنا وأسد بن داود قتالا شديداً ، وقتل كل واحد منهما عدّة من الأتراك والمغاربة ، ومال أبو السنا ميلاً ، وتبعه الناس ، فقتل قائداً من قواد الأتراك يقال له سور ، ورفع رأسه فصار من فوره إلى دار ابن طاهر ، وأعلمه هزيمة الناس وسأله المدد ، فأمر ابن طاهر به فطُوقَ - وكان وزن الأطواق كل طوق ثلاثين ديناراً ، وكل سوار سبعة مثاقيل ونصف - وانصرف أبو السنا راجعاً إلى الناس فيمن أخرج إليهم من المدد من جميع الأبواب ، فذكر أن محمد بن عبد الله عتف أبا السنا بإخلاقه بموضعه ومجيئه نفسه بالرأس ، وقال له : أخلّت بالناس ، فقبّح الله هذا الرأس ومجيثك به !

ولما انصرف محمد بن عبدوس قاتل أسد بن داود أشد قتال بعد تفرق الناس عنه ، فقتل . وثاب إلى موضعه قوم من أهل بغداد بعد ما أخذ الأتراك رأسه ، فدافعوه عن جسّته ، فحملوه إلى بغداد في زورق ، وبلغ الأتراك باب قُطْرُبِلَ ، فخرج الناس إليهم فدفعوهم عن الباب دفعاً شديداً ، واتبعوهم حتى نحوهم ؛ فأتى دار ابن طاهر بعدة رهوس ممن قتل من الأتراك والمغاربة في هذا اليوم ، فأمر بنصبها بباب الشامية ، فنصبت هنالك ، ثم رجع الأتراك والمغاربة على أهل بغداد من ناحية قُطْرُبِلَ ، فقتل من أهل بغداد خلق كثير ، وقتل من الأتراك جمع كثير ؛ ولم يزل بNDAR ومن معه يقاتلونهم حتى أمسوا . وانصرف بNDAR بالناس ، وغلقت الأبواب ، وأمر ابن طاهر المظفر بن سَيْسَسَل ورشيد ابن كاوس وقائداً معهم فتوجّهوا في نحو من خمسمائة فارس من باب قُطْرُبِلَ إلى ناحية عسكر^(١) ابن أشناس ، فوافوهم على حال سكون وأمن ، فقتلوا منهم نحواً من ثلثائة ، وأسروا عدّة وانصرفوا .

١٥٩٢/٣

وذكر أن الأتراك والمغاربة وافوا في هذا اليوم باب القطيعة ، فنقبوا نقيباً

(١) ف : « من عسكر » .

بقرب الحمام الذى يعرف بباب القطيعة ، فقتل أول من خرج منهم من النقب ، وكان القتل فى هذا اليوم أكثر فى الأتراك والمغاربة والجراح بالسهم فى أهل بغداد .

وسمعت جماعة يذكرون أنه حضر هذه الواقعة غلام لم يبلغ الحلم ، ومعه مخلاة فيها حجارة ومقلاع فى يده ، يرى عنه فلا يخطئ وجوه الأتراك وجوه دوابهم . وأن أربعة من فرسان الأتراك الناشبة جعلوا يرمونه فيخطئون ، وجعل يرميهم فلا يخطئ ، وتقطر بهم دوابهم ؛ ففضوا حتى جاءوا معهم بأربعة من رجاله^(١) المغاربة بأيديهم^(٢) الرماح والتراس ، فجعلوا يحملون عليه ، ثم داخله اثنان منهم ، فرمى بنفسه فى الماء ، ودخلا خلفه فلم يلحقاه ، وعبر إلى الجانب الشرقى ، وصيح بهما ، وكبّر الناس ؛ فرجعوا ولم يصلوا إليه .

وذكر أن عبيد الله بن عبد الله دعا القواد فى هذا اليوم وهم خمسة نفر ، فأمر كل واحد منهم بناحية ، ثم مضى الناس إلى الحرب ، وانصرف هو إلى الباب ؛ فقال لعبد الله بن جهم وهو موكل^(٣) بباب قطربل : إياك أن تدع منهم أحداً يدخل منهزماً من الباب . ونشبت الحرب ، وتشتت الناس ، وقعت الهزيمة ؛ وثبت أسد بن داود ؛ حتى قتل وقتل بيده ثلاثة ، ثم أتاه سهم غرّب^(٤) ، فوقع فى حلقه فولّى ، وجاء سهم آخر فوقع فى كفّ دابته فشبت به فصرعته ؛ ولم يثبت معه أحد إلا ابنه ، فجرح ؛ وكان إغلاق الباب على المنهزمين أشد من عدوهم . وحمل - فيما ذكر - إلى سامراً من أهل بغداد سبعون أسيراً ، ومن الرعوس ثلثمائة رأس^(٥) .

وذكر أن الأسرى لما قربوا من سامراً أمر الذى وجه به معهم ألا يدخلهم سامراً إلا مغطى الوجوه ، وأن أهل سامراً لما رأوهم كثر ضجيجهم وبكاؤهم ؛ وارتفعت أصواتهم وأصوات نسايتهم بالصراخ والدعاء ، فبلغ ذلك المعتز ، فكره أن تغلظ قلوب من بحضرته من الناس عليه ، فأمر لكل أسير بدينارين ،

(٢) ف : « فى أيديهم » .

(٤) سهم غرب : لا يدري راميه .

(١) ف : « أربعة رجال » .

(٣) ف : « وكان الموكل » .

(٥) ١ : « مائة رأس وأربعون رأساً » .

وتقدّم إليهم بترك معاودة القتال ، وأمر بالروعس فدُفِنَت .

وكان في الأسرى ابن لحمد بن نصر بن حمزة وأخ لقُسْطَنْطِينَة - بَاجَرِيَّة أم حبيب وخمسة من وجوه بغداد ممن كان في النظّارة ؛ فأما ابن محمد بن نصر ، فذكر أنه قُتِلَ وصلب بإزاء باب ^(١) الشّمْاسِيَّة لمكان أبيه .

وفي يوم الخميس لأربع بَاقِيْن ^(٢) من شهر ربيع الأول ، قدم أبو الساج من طريق مكة في نحو من سبعمائة فارس ومعه ثمانية عشر محملاً فيها ستة وثلاثون أسيراً من أسارى الأعراب في الأغلال ، ودخل هو وأصحابه بغداد في زِيّ حسن وسلاح ظاهر ، فصار إلى الدّار ، فخلع عليه خمس خلع ، وقلّد سيفاً ، وانصرف إلى منزله مع أصحابه ؛ وقد خلع على أربع نفر من أصحابه ^(٣) .

وفي يوم الاثنين لانسلاخ شهر ربيع الأول ^(٤) ، وافى باب الشّمْاسِيَّة - فيما قيل - جماعة من الأتراك ، معهم من المعتزّ كتاب إلى محمد بن عبد الله : وسألوا إيصاله إليه ، فامتنع الحسين بن إسماعيل من قبوله حتى استأمر ؛ فأمر بقبوله ؛ فوافى يوم الجمعة ثلاثة فوارس ، فأخرج إليهم الحسين بن إسماعيل رجلاً معه سيف وتُرس ، فأخذ الكتاب من خريطة ، فأخرج ، فأوصله إلى محمد ؛ فإذا فيه تذكير محمد بما يجب عليه من حفظه لقديم العهد بينه وبين المعتزّ والحرمة ؛ وأن الواجب كان عليه أن يكون أوّل من سعى في أمره وتوجيه ^(٥) خلافته ؛ وذكر أن ذلك أوّل كتاب ورد عليه من المعتزّ بعد الحرب .

وفي يوم السبت ^(٦) لخمس خلون من ربيع الآخر وافى بغداد حبّشون ابن بغا الكبير ومعه يوسف بن يعقوب قوصرة مولى الهادي فيمن كان مع موسى ابن بغا من الشاكرية ، وانضمّ إليهم ^(٧) عامة الشاكرية المقيمين بالرقّة ؛ وهم في نحو من ألف وثلثمائة ، فخلع عليه خمس خلع ، وعلى يوسف أربع خلع ، وعلى نحو من عشرين من وجوه الشاكرية ، وانصرفوا إلى منازلهم .

(١) س : « بباب الشّمْاسِيَّة » .

(٢) ف : « خلون » .

(٣) ف : « منهم » .

(٤) س : « الآخر » .

(٥) ا : « وتوكيدا » .

(٦) ف : « إليه » .

(٧) ف : « الخميس » .

وقدِمَ بغداد رجل ذكر أن عِدَّة الأتراك والمغاربة وحشَوْهم^(١) في الجانب الغربي اثنا عشر ألف رجل ورأسهم بايكباك القائد ، وأنَّ عِدَّة مَن^(٢) مع أبي أحمد في الجانب الشرق سبعة آلاف رجل خليفته عليهم الدَرغمان الفرغانى ، وأنه ليس بسامراً من قوَاد الأتراك ولا من قوَاد المغاربة إلاَّ ستة نفر ، وُكِّلُوا بحفظ الأبواب . وكانت بين الفريقين وقعة يوم الأربعاء لسبع خَلَائِف من شهر ربيع الآخر ، فقتل — فيما ذكر — فيها من أصحاب المعتز مع من غرق منهم أربعمئة^(٣) رجل ، وقتل من أصحاب ابن طاهر مع مَن غرق ثلثمائة رجل ، لم يكن فيهم إلا جندي ؛ وذلك أنه لم يخرج في ذلك اليوم من الغوغاء أحد . وقتل الحسن بن عليّ الحربى ؛ وكان يوماً صعباً على الفريقين جميعاً .

١٥٩٦/٣

وذكر أن مزاحم بن خاقان رعى فيه موسى بن أشناس بسهم فأصابه ، فانصرف مجروحاً ، وافتقد من عسكر أبي أحمد نحو من عشرين قائداً من الأتراك والمغاربة .

ولما كان يوم الخميس لأربع عشرة بقية من شهر ربيع الآخر خلع على أبي الساج خمس خِلَع، وعلى ابن فراشة أربع خِلَع ، وعلى يحيى بن حفص جبوس^(٤) ثلاث خِلَع . وعسكر أبو الساج في سوق الثلاثاء ، وأعطى الجند بغالا من بغال السلطان يُحمل عليها الرِّجالة ، وحول مزاحم بن خاقان من باب حترَب إلى باب السلامة ، وصار مكان مزاحم خالد بن عمران الطائى الموصلى .

وذكر أن أبا الساج لما أمره ابن طاهر بالشخص قال له : أيتها الأمير ، عندى مشورة أشير بها ، قال : قل يا أبا جعفر ؛ فلذلك غير متَّهم ، قال : إن كنت تريد أن تجاد هؤلاء القوم فالرأى لك ألا تفارق قوَادك ولا تفرِّقهم ، وأجمعهم حتى تفض^(٥) هذا العسكر المقيم بإزائك ؛ فلذلك إذا فرغت من هؤلاء فما أقدرك على من وراءك ! فقال : إن لى تدبيراً ، ويكفى إن شاء . فقال

(١) س : « حشَوْهم » .

(٢) ف : « وجيوشهم » .

(٣) ط : « جبوس » ، وانظر الفهرس .

(٤) ف : « سبعمئة » .

(٥) ابن الأثير : « هزم » .

أبو الساج : السمع والطاعة ؛ ومضى لما أمير به .

وذكر أن المعتز كتب إلى أبي أحمد يلومه للتقصير في قتال أهل بغداد ، فكتب إليه :

لَأْمُرِ المنايا علينا طريقُ
فَأَيَّامُنَا عِبْرٌ لِلْأَنَامِ^(١)
ومنها هَنَاتٌ تُشِيبُ الوليدَ
وَسُورٌ عَرِيضٌ لَهُ ذِرْوَةٌ^(٢)
قِتَالٌ مُبِيدٌ ، وَسَيْفٌ عَتِيدٌ^(٣)
وطولُ صِيَاحٍ لداعِي الصِّبَا
فهَذَا قَتِيلٌ وَهَذَا جَرِيحٌ^(٤)
وهَذَا قَتِيلٌ وَهَذَا تَلِيلٌ
هُنَاكَ اغْتِصَابٌ وَشَمٌّ انْتِهَابٌ
إِذَا مَا سَمَوْنَا إِلَى مَسَلِكِ^(٥)
فَبِاللَّهِ نَبْلُغُ مَا نَرْتَجِيهِ

وللدَّهْرِ فِيهِ اتِّسَاعٌ وَضِيقُ
فَمِنْهَا الْبُكُورُ وَمِنْهَا الطُّرُوقُ
وَيَحْذُلُ فِيهَا الصَّدِيقَ الصَّدِيقُ
تَفُوتُ الْعَيُونَ وَبَعْرُ عَمِيقُ
وَخَوْفٌ شَدِيدٌ ، وَحِصْنٌ وَثِيقُ
سِلَاحُ السِّلَاحِ ، فَمَا يَسْتَفِيقُ
وهَذَا حَرِيقٌ وَهَذَا غَرِيقُ
وَآخِرُ يَشْدَخُهُ الْمُنْجَنِّيقُ
وَدُورٌ خَرَابٌ وَكَانَتْ تَرُوقُ
وَجَدْنَاهُ قَدْ سُدَّ عَنَا الطَّرِيقُ
وَبِاللَّهِ نَدْفَعُ مَا لَا نَطِيقُ

فأجابه محمد بن عبد الله - أو قيل على لسانه :

أَلَا كُلٌّ مِنْ زَاغٍ عَنْ أَمْرِهِ
مَلَاقٍ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ وَصَفَتْ
وَلَا سِيِّمًا نَاكثٌ بَيْعَةً
يُسَدُّ عَلَيْهِ طَرِيقُ الْهَدْيِ
وَلَيْسَ بِبَالِغٍ مَا يَرْتَجِيهِ

وَجَارٍ بِهِ عَنْ هُدَاهُ الطَّرِيقِ^(٦)
وهَذَا بِأَمْثَالِ هَذَا خَلِيقُ
وَتَوَكِيدُهَا فِيهِ عَهْدٌ وَثِيقُ
وَيَلْقَى مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا يُطِيقُ
مَنْ كَانَ عَنْ غِيهِ لَا يُفِيقُ

(٢) ١، وابن الأثير : « وفتنة دين لها ذروة » .

(٤) ابن الأثير : « فهذا طريح » .

(٦) س : « وجاربه » .

(١) ١، ف وابن الأثير : « وأيامنا » .

(٣) ابن الأثير : « قتال متين »

(٥) ابن الأثير : « إذا شرعنا » .

أَتَانَا بِهِ خَبِيرٌ سَائِرٌ رَوَاهُ لَنَا عَنْ خُلُقٍ خُلُقٍ
وَهَذَا الْكِتَابُ لَنَا شَاهِدٌ يُصَدِّقُهُ ذَا النَّبِيِّ الصَّدُوقُ
أَمَّا الشَّعْرُ الْأَوَّلُ ؛ فَإِنَّهُ يَنْشُدُ لَعَلَى بْنِ أُمِيَّةٍ فِي فِتْنَةِ الْمَخْلُوعِ وَالْمَأْمُونِ ،
وَالْجَوَابُ لَا يَعْرِفُ قَائِلَهُ .

وَفِي رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ذُكِرَ أَنَّ مَائَتِي نَفْسٍ مِنْ بَيْنِ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ
مَضَوْا مِنْ قِبَلِ الْمُعْتَزِّ إِلَى نَاحِيَةِ الْبَنْدَنِجِيِّينَ وَرُئِيسِهِمْ تَرْكِيَّ يَدْعَى أَبْلَجَ ^(١) ،
فَقَصَدُوا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ، فَانْتَهَبُوا دَارَهُ ، وَأَغَارُوا عَلَى قَرِيْبَتِهِ ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى
قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهَا ، فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا ، فَلَمَّا أَطْمَأْنَنُوا اسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمُ الْحَسَنُ بْنُ
عَلِيٍّ أَكْرَادًا مِنْ أَخْوَالِهِ وَقَوْمًا مِنْ قَرْيِ حَوْلِهِ ، فَصَارُوا إِلَيْهِمْ وَهُمْ غَارُونَ ،
فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَقْتِيلٌ أَكْثَرَهُمْ ، وَأَسْرَ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، وَقَتَلَ أَبْلَجَ ، وَهَرَبَ
مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ لَيْلًا ، ثُمَّ بَعَثَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَسْرَى وَرَأْسَ أَبْلَجَ وَرَعُوسَ مَنْ
قَتَلَ مَعَهُ إِلَى بَغْدَادِ .

وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ هَذَا رَجُلٌ مِنْ شِيْبَانٍ كَانَ يَخْلُفُ - فِيمَا ذَكَرَ - يَحْيَى بْنَ
حَفْصٍ فِي عَمَلِهِ ، وَأُمَّتُهُ مِنَ الْأَكْرَادِ .

* * *

ذَكَرَ خَبِيرُ الْمَدَائِنِ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ

ذَكَرَ أَنَّ أَبَا السَّاجِ وَإِسْمَاعِيلَ بْنَ فَرَّاشَةَ وَيَحْيَى بْنَ حَفْصٍ ، لَمَّا خُلِعَ
عَلَيْهِمْ لِلشَّخْصِ نَحْوُ الْمَدَائِنِ ، عَسَكُوا بِسُوقِ الثَّلَاثَةِ ؛ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ
لِعَشْرِ بَقِيَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، حَمَلَ رَجُلًا لَهُ ^(٢) عَلَى الْبَغَالِ ، وَصَارَ إِلَى
الْمَدَائِنِ ، ثُمَّ إِلَى الصِّيَادَةِ ؛ وَابْتَدَأَ فِي حَفْرِ خَنْدَقِ الْمَدَائِنِ - وَهُوَ خَنْدَقُ كَسْرَى -
وَكَتَبَ يَسْتَمِدُّ ؛ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ خَمْسَمِائَةَ رَجُلٍ مِنْ رِجَالِ الْجَيْشِيَّةِ ؛ وَكَانَ شَخْصُهُ
فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، ثُمَّ اسْتَمَدَهُ فَأَمَدَهُ ، فَحَصَلَ فِي عَسْكَرِهِ ثَلَاثَةُ
آلَافِ فَارِسٍ وَأَلْفَا رَاجِلٍ ، ثُمَّ أَمِيدَ بِمَائَتِي رَاجِلٍ مِنَ الشَّاكِرِيَّةِ الْقَدَمَاءِ ، وَحُمِّلُوا
فِي السَّفَنِ ، وَانْحَدَرُوا إِلَيْهِ يَوْمَ الْأَحَدِ لِأَرْبَعِ خَلَاوَنٍ مِنْ جَمَادَى الْآخِرَةِ .

* * *

(٢) ف : « رَجَالَةٌ » .

(١) ا : « أَبْلَجَ » .

ذكر الخبر عن أمر الأنبار وما كان فيها من هذه الفتنة

فمما كان بها أن محمد بن عبد الله وجهه بحونة^(١) بن قيس في الأعراب إلى الأنبار ، وأمره بالمقام بها والفرض لأعراب الناحية ، وفرض قوماً منهم ومن المشبهة بهم نحواً من ألفي رجل ؛ فأقام بالأنبار وضبطها ؛ فبلغه أن قوماً من الأتراك قد قصدوه ، فبشّق الماء من الفرات إلى خندق الأنبار ، فامتلاً الخندق لزيادة الماء ، وفاض على ما يليه من الصحارى ؛ فصار الماء إلى السالحين^(٢) فصار ما يلي الأنبار بطيحة^(٣) واحدة ، وقطع القناطر التي توصل إلى الأنبار ؛ وكتب يستمد . فندب للخروج إليه رشيد بن كاوس أخو الأفسين ، وضم إليه ممن كان معه من رجاله تمة ألف رجل ؛ خمسمائة فارس وخمسمائة راجل ، فشخص وعسكر في قصر عبدويه ، وأمدّه ابن طاهر بثلاثمائة راجل من المملّطين القادمين من الثغور ، وانتخبوا ، ودفع إليهم استحقاقهم ، ونفذوا إليه يوم الثلاثاء . ورحل من قصر عبيدويه يوم الاثنين سلبخ ربيع الآخر في نحو من ألف وخمسمائة رجل ، وأخرج المعتز أبا نصر بن بَغَا من سامراً على طريق الإسحاق يوم الثلاثاء ، فسار يومه وليلته ، فصبح الأنبار ساعة نزلها رشيد بن كاوس .

١٦٠٠/٣

وكان بحونة نازلاً في المدينة ورشيد خارجها ، فلمّا وافى أبو نصر عاجل رشيداً وأصحابه وهم غارئون على غير تعبئة ، فوضع أصحابه فيهم السيف ، ورموهم بالنشاب فقتلوا عِدَّة^(٤) ، وثار بعض أصحاب رشيد إلى أسلحتهم^(٥) ، فقاتلوا الأتراك والمغاربة قتالاً شديداً ، وقتلوا منهم جماعة ، ثم انهزم الشاكرية ورشيد على الطريق الذي جاءوا فيه منصرفين إلى بغداد .

١٦٠١/٣

ولما بلغ بحونة مالقيه^(٦) أصحاب رشيد ، وأنّ الأتراك قد مالوا عند انهزام رشيد إلى الأنبار عبّـر إلى الجانب الغربي ، وقطع جسر الأنبار ، وعبر معه جماعة من أصحابه ، وصار رشيد إلى المَحْوَل في ليلته ، وسار بحونة

(١) كذا في أ، وفي ط: « نجوبة »، وانظر الفهرس (٢) في بعض النسخ: « السيلحين » .

(٤) س: « فقتلهم » .

(٣) البطيحة: المسيل الواسع .

(٦) س: « مالتى » .

(٥) ف: « سلاحهم »

في الجانب الغربي حتى وافى بغداد يوم الخميس بالعشي . ثم دخل رشيد في هذه العشيّة إلى دار ابن طاهر ، فأعلم بحوثة محمد بن عبد الله أنه عند مصير الأتراك إلى الأنبار وجهه إلى رشيد يسأله أن يوجهه إليه مائة رجل من الناشبة^(١) ليرتبهم قدام أصحابه ، فامتنع من ذلك ، وسأله أن يضمّ إليه ناشبة من الفرسان والرجالة ليصير إلى بني عمه ، وذكر أنهم مقيمون هنالك في الجانب الغربي على الطاعة وانتظار أمير المؤمنين ، وضمن أن يتلافى ما كان منه . فغمّ إليه ثلثمائة رجل من فرسان الشاكرية الناشبة ورجالاتهم ، وخلع عليه خمس خلع ، ومضى إلى قصر ابن هبيرة يستعدّ هنالك .

١٦٠٢/٣

ثم اختار محمد بن عبد الله الحسين بن إسماعيل للأنبار ، وجهه محمد بن رجاء الحضاريّ معه وعبد الله بن نصر بن حمزة ورشيد بن كاوس ومحمد بن يحيى وجماعة من الناس ، وأمر بإخراج المال لمن يخرج مع الحسين ومع هؤلاء القوم ؛ فامتنع منّ كان قدم من مملّطية من الشاكرية وهم عظم الناس من قبض رزق أربعة أشهر ؛ لأنّ أكثرهم كان بغير دوابّ ، وقالوا : نحتاج إلى أن نقوى في أنفسنا ، ونشتري الدوابّ . وكان الذي أطلق لهم أربعة آلاف دينار ، ثم رضوا بقبض أربعة أشهر ؛ فجلس الحسين في مجلس على باب محمد بن عبد الله ، وتقدّم في تصحيح الجرائد ، ليكون عرضه الناس وأصحابه في مدينة أبي جعفر ، فأعطى في ذلك اليوم جماعة من خاصّته . ثم صار الحسين وأصحاب الدواوين بعد ذلك إلى مدينة أبي جعفر ، ووضع العطاء لمن يخرج معه من الجند في ثلاثة مجالس ؛ واستمّ إعطاؤهم يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى .

فلما كان يوم الاثنين أحضر الحسين بن إسماعيل الدارومعه القواد الخارجون معه : رشيد بن كاوس ، ومحمد بن رجاء ، وعبد الله بن نصر بن حمزة ، وأرمش الفرغانيّ ، ومحمد بن يعقوب أخو حزام ، ويوسف بن منصور بن يوسف البرم ، والحسين بن عليّ بن يحيى الأرمنيّ ، والفضل بن محمد بن الفضل ، ومحمد بن هزيمة بن النصر ، وخلع على الحسين ؛ وقُدّمت مرتبته

١٦٠٣/٣

إلى الفَوْج الثاني - وكان في الفوج الرابع - وخلع على هؤلاء القوّاد ، وصيّرت رُشيد بن كاوس على المقدمة ، ومحمد بن رجاء على الساقة ، ومضى الحسين ومن ضمّ إليه من عشيرته وقوّاده إلى معسكرهم ، وأمر وصيف وبغا أن يسبقا^(١) الحسين إلى معسكره ، وشيَّعه عبيدُ الله بن عبد الله وجميع قوّاد ابن طاهر وكتّابه وبنوهاشم والوجّه إلى الياسرية ، وأخرج لأهل العسكر من المال ستة وثلاثون ألف دينار ، وحمل إلى معسكر الياسرية بعدُ لإعطاء مَنْ بقي ألف وثمانمائة دينار ، تمام استحقاقهم .

فلَمّا كان يوم الخميس سارت مقدّمة الحسين والمقلّد لها عبد الله بن نصر ومحمد بن يعقوب في ألف فارس وراجل ، فنزلوا البَشَق المعروف بالقاطوفة^(٢) ؛ وكان الأتراك قد وجّهوا إلى المنصورية على خمسة فراسخ من بغداد جماعة منهم ومن المغاربة والقوّعاء زهاء مائة إنسان ، فظنّهم بسبعة من المغاربة ، فوجّه بهم إلى الحسين ، فأنفذهم إلى الباب ، وسار الحسين يوم الجمعة لسبع بقيّين من جمادى الأولى . وقد كان أهل الأنبار حين تنحّى بحونة^(٣) ورشيد ، وصار الأتراك والمغاربة إلى الأنبار ونادوا الأمان ؛ فأعطوه ، وأمّروا بفتح حوانيتهم والتسوّق فيها والانتشار في أمورهم ، واطمأنّوا إلى ذلك منهم وسكنوا ، وطعموا فيهم أن بفوا لهم ؛ فأقاموا بذلك يومهم وليلتهم حتى أصبحوا ، وكان في وقت غلبتهم عليها وافتشهم سفن من الرقّة فيها دقيق وأطواف^(٤) فيها زيت وغير ذلك ؛ فأخذوه وجمعوا ما وجدوا فيها من إبل ودواب وبغال وحمير ، ووجّهوا بذلك مع مَنْ يؤدّيه إلى منازلهم بسامراً ، وانتهبوا ما وجدوا ، ووجّهوا برعوس مَنْ قُتِل من أصحاب رشيد وبحونة وأهل بغداد وبمن أسروا وكانوا مائة وعشرين رجلاً ، والرعوس سبعون رأساً ، وجعلوا الأسرى في الجوّالقات ، قد أخرجوا منها رعووسهم حتى صاروا إلى سامراً ، وصار الأتراك إلى فم الأستانة ، وحاولوا سدّها ليقطعوا ماء الفرات عن بغداد ؛ فوجّهوا رجلاً ، ودفعوا إليه مالا لآلة السكّر^(٥) وسدّه مع القلّسوس^(٦) والصوّارى ، ففطّن به وهو يبتاع ذلك ، فحمّل إلى دار

١٦٠٤/٣

١٦٠٥/٣

(١) ١ : « يشيعا » . (٢) ١ : « العاطوفة » . (٣) ط : « نجوبة » .
(٤) في القاموس : « الطوف : قرب ينفخ فيها ويشد بعضها إلى بعض كهيئة السطح يركب عليها في الماء ويحمل عليها » . (٥) السكر : سد ماء النهر .
(٦) القلّس : حبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرها من قلوب سفن البحر .

ابن طاهر بعد أن نالته العامة بالضرب والشتم؛ حتى أشفى على الموت، فسئل عن أمره فصدّق، فوُجّه به إلى الحبس.

وكان ابن طاهر قد وُجّه الحارث خليفة أبي الساج؛ فكان على طريق مكة إلى قصر ابن هبيرة، وضمّ إليه خمسمائة رجل من فرسان الشاكرية القادمين معه؛ فنفذ ومنّ معه لسبع خلون من جمادى الأولى، ووجّه ابن أبي دلف هشام^(١) ابن القاسم في مائتي راجل وفارس إلى السيبين، ليقيم هناك؛ فلما توجه الحسين إلى الأنبار كُتِب إليه باللاحق بعسكر الحسين ليصير معه إلى الأنبار، ونُودِيَ ببغداد في أصحاب الحسين ومزاحم بن خاقان أن يلحقوا بقوادهم. فسار الحسين، وتقدّم خالد بن عمران حتى نزل^(٢) دِمًّا؛ فأراد أن يعقد على نهر أنق جسرًا ليعبر عليه أصحابه، فأنه الأتراك، فعبّر إليهم جماعة من الرّجالة فكشفوهم، وعقد خالد الجسر، فعبّر هو وأصحابه، وصار الحسين إلى دِمًّا، فمسكر خارجها، وأقام في معسكره يومًا، ووافته طلائع الأتراك ممّا يلي نهر أنق ونهر رُفَيْسِل فوق قرية دِمًّا، فصَفّ الحسين أصحابه من جانب النهر والأتراك من الجانب الآخر، وهم زهاء ألف رجل، وتراشقوا بالسهم، فجرح بينهم عداد، وانصرف الأتراك إلى الأنبار.

وكان بحونة مقيمًا بقصر ابن هبيرة، فانضمّ إلى الحسين في جميع من كان معه من الأعراب وغيرهم، وكتب بحونه يسأل مالا لإعطاء أصحابه؛ فأمر أن يحمل إلى معسكر الحسين لإعطاء أصحاب بحونة ثلاثة آلاف دينار، وحمل إلى الحسين مال وأطواق وأسورة وجواهر لمن أبلى في الحرب، وكان الحسين وُعد أن يُسمَد بالرجال حتى يكمل عسكره عشرة آلاف رجل، فكتب ينتجز ذلك؛ فأمر بتوجيه أبي السنا محمد بن عبدوس الغنوي والجمحاف بن سواد في ألف فارس وراجل من المملطيين وجند انتخبوا من قيادات شتى، فقبضوا أنزالهم^(٣) لليلتين بقيتا من جمادى. وساروا مع أبي السنا والجمحاف على نهر كثر نخايا إلى الحوّل، ثم إلى دِمًّا، ونزل الحسين بعسكره في موضع يعرف

(١) ط: «هاشم»، وانظر القهرس

(٢) س: «دخل».

(٣) ف: «أموالهم».

بالقـطـيعة واسع يحتمل العسكر ، فأقام فيه يومه ، ثم عزم على الرحلة منه إلى قرب الأنبار ، فأشار عليه رُشيد والقوَاد أن يُنزل عسكره بهذا الموضع لِسَعْمته وحَصَانته ، ويسير هو وقوَادُه في خيلٍ جريـدة^(١) ، فإن كان الأمر له كان قادراً أن ينقل عسكره ؛ وإن كان عليه انحاز إلى عسكره وراجع عدوّه ؛ فلم يقبل الرأي ، وحملهم على المسير^(٢) « من موضعهم » ، فساروا وبين الموضعين فرسخان أو نحوهما . فلما بلغوا الموضع الذي أراد الحسين النزول فيه ، أمر الناس بالنزول ؛ وكان جواسيس الأتراك في عسكر الحسين ، فساروا إليهم ، وأعلموهم رحلة الحسين ، وضيق العسكر بالموضع الذي نزل فيه ، فوافوهم والناس يحطون أثقالهم ، فسار أهل العسكر ، ونادوا السلاح ، فصافوهم ؛ فكانت بينهم قتلى من الفريقين ، وحمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم كشفاً قبيحاً ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وغرق منهم خلق كثير في الفُرات . وكان الأتراك قد كنوا قوماً ، فخرج الكمين عند ذلك على بقيّة العسكر ؛ فلم يكن لهم ملجأ إلا الفرات . وغرق من أصحاب الحسين خلق كثير ، وقُتِل جماعة وأسر من الرجال^(٣) جماعة ؛ وأما الفرسان فضرَبُوا دوابّهم هُرَاباً لا يلبون على شيء ، والقوَاد ينادونهم يسألونهم الرجعة ، فلم يرجع منهم أحد ، وأبلى محمد بن رجاء ورُشيد يومئذ بلاء حسناً ، ولم يكن لمن انهزم معقل دون الياسرية على باب بغداد ، فلم يملك القوَاد أمور أصحابهم ، فأشفقوا حينئذ على أنفسهم ، فانشؤا راجعين وراءهم ، يحمونهم من أدبارهم أن يتبعوا ، وحوى الأتراك جميع عسكر الحسين بما فيه من المضارب وأثاث الجند وتجارات أهل السوق ؛ وكان معه في السفن سلاح سليم ؛ لأن الملاحين حَرَزُوا سفنهم ، فسلم ما كان معهم من السلاح ومن تجارات التجار .

١٦٠٨/٣

وذكر عن ابن زبور^(٤) كاتب الحسين أنه أخذ للحسين اثنا عشر صندوقاً فيها كسوة ومال من مال السلطان مبلغه ثمانية آلاف دينار ، ونحو من أربعة آلاف دينار لنفسه ، ونحو من مائة بغل ؛ وانتهب فروض الحسين مضارب الحسين وأصحابه ، وطاروا مع مَن طار ، فوافوا الياسرية ؛ وكان أكثر

(٢) س : « الرجال » .

(١ - ١) س : « من معه » .

(٣) ١ : « ابن زيتون » .

النهب مع أصحاب أبي السنا .

ووافى الحسين والفلّ الياسرية يوم الثلاثاء لستّ خلون من جمادى الآخرة .
ولقى الحسين رجل من التجار في جماعة ممن ذهب^(١) أموالهم في عسكره ،
فقال : الحمد لله الذي بيّض وجهك ! أصعدت في اثني عشر يوماً ، وانصرفت
في يوم واحد ! فتغافل عنه .

قال أبو جعفر : ومّا انتهى إلينا من خبر الحسين بن إسماعيل ومَن كان
معه من القوّاد والجند الذين كان محمد بن عبد الله بن طاهر استنهمهم من
بغداد في هذه السّنة لحرب مَن كان قصد الأنبار وما اتّصل بها من البلاد
من الأتراك والمغاربة ، أنه لما صار إلى الياسرية منصرفه مهزوماً من دميمًا ، أقام
بها في بستان ابن الحروريّ ، وأقام مَن وافى الياسرية من المنهزمة في الجانب
الغربيّ من الياسرية ، ومُنِعوا من العبور ، ونُودى ببغداد فيمن دخلها من الجند
الذين في عسكر الحسين أن يلحقوا بالحسين في معسكره ، وأجملوا ثلاثة أيام ؛
فمن وجد منهم ببغداد بعد ثلاثة ضُرب ثلثمائة سوط ، ومُحى اسمه من الديوان .
فخرج الناس ، وأمر خالد بن عمران في الليلة التي قدم فيها الحسين أن يعسكر
في أصحابه بالحوّل ، وأعطى أصحابه أرزاقهم في تلك الليلة في الشّرج ، ونودى
في أصحابه بالحوّل باللاحاق به .

ونودى في الفَرَض القُدّماء الذين كانوا فرضوا بسبب أبي الحسين يحيى بن
عمر بالكوفة وهم خمسمائة رجل ، وأصحاب خالد وهم نحو من ألف رجل ،
فَعسكروا بالحوّل يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة . وأمر ابن طاهر
الشاه بن ميكال في صبيحة الليلة التي وافى فيها الحسين أن يتلقاه ويمنعه من
دخول بغداد . فلقية في الطريق ، فردّه إلى بستان ابن الحروريّ ، وأقاموا
يومهم ؛ فلما كان الليل صاروا إلى دار ابن طاهر ، فوبّخه ابن طاهر وأمره
بالرّجوع إلى الياسرية لينفذ إلى الأنبار مع مَن ينفذ إليها من الجند ؛ فصار
من ليلته إلى الياسرية . ثم أمر بإخراج مال لإعطاء شهر واحد لآل هذا العسكر

فحمل تسعة آلاف دينار ، وصار كتاب ديوان العطاء وديوان العَرْض إلى
الياسريّة لعرض الجند وإعطائهم .

فلما كان يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الآخرة توجه خالد بن
عمران مُصعِداً إلى قنطرة بهلایا - وهي موضع السُّكَّر - وخرجت معه نحو من
عشرين سفينة ، وركب عبيد الله بن عبد الله وأحمد بن إسرائيل والحسن بن
مخلد إلى عسكر الحسين بن إسماعيل بالياسريّة ، فقرءوا على الحسين والقواد كتاباً
كُتِبَ به عن المستعين ، يخبرهم فيه بسوء طاعتهم وما ركبوا من العصيان
والتخاذل ؛ فقرئ عليهم والعسكر مقيم ، والعَرْض يعرضونهم ليتعرفوا مَنْ
قُتِلَ وَمَنْ غرق من كلّ قيادة ، ونودي باللّحاق بعسكرهم ؛ فخرجوا .
وأناهم كتاب بعض عيونهم بالأخبار يخبر أن القتلى كانت من الأتراك أكثر من
مائتين ، والبحرعى نحواً من أربعمائة ؛ وأن جميع مَنْ أسره الأتراك من أهل
بغداد الخيشية والفروض من الرّجالة مائتان وعشرون إنساناً ، وأنه عدّ رؤوس
مَنْ قُتِلَ فوجدها سبعين رأساً ؛ وكانوا أخذوا جماعة من أهل الأسواق ،
فصاحوا لأبي نصر : نحن أهل السوق ، فقال : ما بالكم معهم ! فقالوا :
أكرهنا فخرجنا ، شتناً^(١) [أو أبينا]^(٢) فأطلق من كان منهم يشبه السوق .
وأمر بحبس الأسرى في القَطِيعَة .

١٦١١/٣

وذُكر عن صاحب بغال السلطان : أن جميع ما ذهب من بغال السلطان
مائة وعشرون بغلاً .

ورحل الحسين يوم الاثنين لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الآخرة ،
وكتب إلى خالد بن عمران وهو مقيم على السُّكَّر ، أن يرحل متقدماً أمامه ،
فامتنع خالد من ذلك ؛ وذكر أنه لا يبرح من موضعه إلا أن يأتيه قائد في
جُنْد كثيف فيقيم مكانه ، لأنه يتخوّف أن يأتيه الأتراك من خلفه من
عسكرهم بناحية قَطْرِبُل . وأمر ابن طاهر بمال ، فحمل إلى^(٣) الحسين بن
إسماعيل لإعطاء جميع من في عسكره رزق شهر واحد ؛ ليُفَرِّق فيهم بدماً ،
وأمر أن يخرج معه الكتاب والعَرْض لأصحابه هنالك ، وقلّد أمر نفقات

١٦١٢/٣

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « تسبياً » . (٢) تكلّة من ١ ، وموضعها بياض في ط .

(٣) س : « مع » .

عسكره وإعطاء الجند من قبل ديوان الخراج الفضل بن مظفر السبعي^(١) ، وحمل المال مع السبعي إلى معسكر الحسين ، لينفذ معه إذا نفذ .

وقد قيل : إن الحسين ارتحل إلى الأنبار في النصف من ليلة الأربعاء لعشر بقين من جمادى الآخرة ، فسار وتبعه من في عسكره يوم الأربعاء ، ونودي في أصحابه باللاحاق به ، فسار حتى نزل ديمًا ، وأراد أن يعقد على نهر أنق جسرًا ليعبر عليه ، فأنعه الأتراك^(٢) ، فعبر إليهم جماعة من أصحابه من الرجال ، فحاربهم حتى كشفوهم . وعقد خالد الجسر ، فعبر أصحابه ووجه محمد بن عبد الله بكاتبه محمد بن عيسى بشيء شافه^(٣) به ، فيقال : إنه حمل معه أطواقًا وأسورة ، وانصرف إلى منزله ، وصار إلى الحسين يوم السبت لثمان خلت من رجب رجل ، فأخبره أن الأتراك قد دلّوا على عدة مواضع في الفرات ، تخاض إلى عسكره ، فأمر بضرب الرجل مائتي سوط ،^(٤) ووكّل بالخواض رجالًا من قواده ، يقال له الحسين بن علي بن يحيى الأرمني في مائة راجل ومائة فارس ؛ فطلع أول القوم ، فخرج عليهم وقد أتاه منهم أربعة عشر علمًا ، فقاتل أصحابه ساعة ، ووكّل بالقنطرة أبا السنّا ، وأمره أن يمنع من انهزم من العبور ؛ فأتى الأتراك المخاضة ، فرأوا الموكّل بها ، فتركوه واقفًا ، وصاروا إلى مخاضة أخرى خلف الموكّل فقاتلوهم ، فصبر الحسين بن علي وقاتل ، فقتل للحسين بن إسماعيل ، فقصده نحوه ، ولم يصل إليه حتى انهزم ، وانهزم خالد بن عمران معه ومن معه ، ومنعهم أبو السنّا من العبور على القنطرة ، فرجع الرجال والحراسانية فرموا بأنفسهم في الفرات ، فغرق من لم يحسن السباحة ، وعبر من كان يحسن السباحة ، فنجوا عريانًا ، وخرج إلى جزيرة لا يصل منها إلى الشطّ ، لِمَا على الشطّ من الأتراك ، فذكر عن بعض جند الحسين ، أنه قال : بعث الحسين بن علي الأرمني إلى الحسين بن إسماعيل أن الأتراك قد وافوا المخاضة ، فأثأه الرسول ، فقتل : الأمير ناثم ، فرجع الرسول فأعلمه ، فردّ آخر ، فقال له الحاجب : الأمير في الخرج ، فرجع فأخبره ، فردّ

(١) س : « الشيعي » .

(٢) بعد في ف : « ومن معهم » .

(٣) ف : « يشافه » .

(٤-٤) ف : « ووجه لموضع الخواض » .

رسولاً ثالثاً ، فقال : قد خرج من المخرج ونام ؛ فعلت الصبيحة فعبر الأتراك ،
 فقعده الحسين في زورق أو شتارة ، وانحدر . واستأثروا قوم من الخراسانية ،
 ورموا ثيابهم وسلاحهم ، وقعدوا على الشطّ عُرّة ، وشدّ أصحاب أعلام
 الأتراك حتى ضربوا أعلامهم على مضرب الحسين بن إسماعيل ، واقتطعوا
 السوق ، وانحدرت عامة السفن ، فسلمت إلّا ما كان موكلّاً به منها ، ولحق
 الأتراك أصحاب الحسين ، فوضعوا فيهم السيف ؛ فقتلوا وأسروا نحواً من
 مائتين ، وغرق خلتق كثير ؛ ووافى الحسين والمنهزمة بغداد نصف الليل .
 ووافى فلهم وبقيتهم في النهار ؛ وفيهم جرحى كثيرة ؛ فلم يزلوا إلى نصف
 النهار يتتابعون عبّارة مجرّحين ، وفُقد من قواد الحسين بن يوسف البرم وغيره .
 ثم جاء كتابه أنه أسير في أيدي الأتراك عند مُفلح ؛ وأنّ عدّة الأسرى من
 وقعة الحسين الثانية مائة ونيف وسبعون إنساناً ، والقتلى مائة ، والدوابّ نحو من ألفي
 دابة ومائتي بغل وأكثر ، وقيمة السلاح والثياب وغير ذلك أكثر من مائة ألف
 دينار ؛ فقال الهندواني في الحسين بن إسماعيل :

١٦١٤/٣

يا أَخْرَمَ النَّاسِ رَأْيًا فِي تَخْلُفِهِ عَنْ الْقِتَالِ خَلَطْتَ الصَّفْوَ بِالْكَدْرِ
 لَمَّا رَأَيْتَ سُيُوفَ التَّرِكِ مُصْلَتَةً عَلِمْتَ مَا فِي سَيْوفِ التَّرِكِ مِنْ قَدَرٍ
 فَصِرْتَ مَنْحَجَرًا ذُلًّا وَمَنْقَصَةً وَالنُّجْحُ يَذْهَبُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالضَّجَرِ

ولحق بالمعتزّ في جمادى الآخرة منها من بغداد جماعة من الكتاب وبنى
 هاشم ، ومن القواد مُزاحم بن خاقان أرطوج ، ومن الكتاب عيسى بن إبراهيم
 ابن نوح ويعقوب بن إسحاق ونماری ويعقوب بن صالح بن مرشد ومقلة وابن
 لأبي^(١) مزاحم بن يحيى بن خاقان ومن بنى هاشم عليّ ومحمد ابنا الوائق ، ومحمد
 ابن هارون بن عيسى بن جعفر ، ومحمد بن سليمان من ولد عبد الصمد بن عليّ .

١٦١٥/٣

* * *

وفيها كانت وقعة بين محمد بن خالد بن يزيد وأحمد المولود وأيوب بن أحمد

بالسككيس من أرض بنى تغلب، قتل بين الفريقين جماعة كثيرة، وانهمزم محمد ابن خالد، وانتهب الآخرون متاعه، وهدم أيوب دور آل هارون بن معمر، وقتل من ظفر به من رجالهم.

* * *

وفيها كانت لبلكاجور غزوة فتح - فيما ذكر - فيها مطمورة أصاب^(١) فيها غنيمة كثيرة، وأسر جماعة من الأعلاج، وورد بذلك على المستعين كتاب تاريخه يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين ومائتين.

* * *

وفي يوم السبت لثمان بقين من رجب من هذه السنة كانت وقعة بين محمد ابن رجاء وإسماعيل بن فراشة وبين جعلان التركي بناحية بادرايا وباكسايا، فهزم ابن رجاء وابن فراشة جعلان، وقتلا من أصحابه جماعة وأسرا جماعة.

* * *

وفي رجب منها كان - فيما ذكر - وقعة بين ديوداد أبي الساج وبين بايكباك بناحية جمر جيرايا، قتل^(٢) فيها أبو الساج بايكباك، وقتل من رجاله جماعة، وأسر منهم جماعة، وغرق منهم في النهر وان جماعة.

وفي النصف من رجب منها اجتمع من كان ببغداد من بنى هاشم من العباسيين، فصاروا إلى الجزيرة التي بإزاء دار محمد بن عبد الله، فصاحوا بالمستعين وتناولوا محمد بن عبد الله بالشتم القبيح، وقالوا: قد منعنا أرزاقنا، وتدفع الأموال إلى غيرنا ممن لا يستحقها، ونحن نموت هزلا وجوعاً! فإن دفعت إلينا أرزاقنا وإلا قصدنا إلى الأبواب ففتحنها، وأدخلنا الأتراك؛ فليس يخالفنا أحد من أهل بغداد. فعبر إليهم الشاه بن ميكال، فكلتهم ورفق بهم، وسأهم أن يعبر معه منهم ثلاثة أنفس ليدخلهم على ابن طاهر؛ فامتنعوا من ذلك، وأبوا إلا الصياح وشتم محمد بن عبد الله؛ فانصرف عنهم الشاه؛ فلم يزالوا على حالهم إلى قرب الليل، ثم انصرفوا واجتمعوا من غد ذلك اليوم، فوجه إليهم محمد بن عبد الله، فأمرهم بحضور الدار يوم الاثنين ليأمر من يناظرهم،

(٢) ١: «قل».

(١) ١: «غم».

فصاروا إلى الدار، فأمر^(١) محمد بن داود الطوسي^(٢) بمناظرتهم ؛ وبذل لهم رزق شهر واحد، وأمرهم^(٣) أن يقبضوا ذلك، ولا يكلّفوا الخليفة أكثر من هذا ؛ فأبوا أن يقبضوا رزق شهر ، وانصرفوا .

• • •

[خروج الحسين بن محمد الطالب وما آل إليه أمره]

وفيهما خرج بالكوفة رجل^{*} من الطالبين يقال له الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي^{*} بن حسين بن علي^{*} بن أبي طالب ، فاستخلف بها رجلا منهم يقال له محمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن حسن ، ويكنى أبا أحمد ، فوجه إليه المستعين مزاحم بن خاقان أرطوج ؛ وكان العلوي بسواد الكوفة في ثلثائة رجل من بني أسد وثلثائة رجل من الجارودية والزيدية وعامتهم صوّافية^(٤) ؛ وكان العامل يومئذ بالكوفة أحمد ابن نصر بن مالك الحُزاعي، فقتل العلوي من أصحاب ابن نصر أحد عشر رجلا، منهم من جند الكوفة أربعة، وهرب أحمد بن نصر إلى قصر ابن هبيرة ؛ فاجتمع هو وهشام بن أبي دلف ؛ وكان يلي بعض سواد الكوفة — فلما صار مزاحم إلى قرية شاهي كتب إليه في المقام حتى يوجهه إلى العلوي من يردّه إلى الفيضة والرجوع . فوجه إليه داود بن القاسم الجعفري، وأمر له بمال ، فوجهه إليه وأبطأ داود وخبره على مزاحم ، فزحف مزاحم إلى الكوفة من قرية شاهي ، فدخلها وقصد العلوي فهرب ، فوجهه في طلبه قائداً ، وكتب بفتحه الكوفة في خريطة مرسّنة .

١٦١٧/٣

١٦١٨/٣

وقد ذكر أن أهل الكوفة عند ورود مزاحم حملوا العلوي على قتاله ، ووعدهو النصر ، فخرج في غربي الفرات ؛ فوجه مزاحم قائداً من قواده في الشرق من الفرات ، وأمره أن يمضي حتى يعبر قنطرة الكوفة ثم يرجع ، فمضى القائد لذلك، وأمر مزاحم بعض أصحابه الذين بقوا معه أن يعبروا مخاضة الفرات في

(٢) أ، ف : « الطالب » .

(٤) أ، ف : « صوفية » .

(١) س : « وأمر » .

(٣) ف : « وسألم » .

قرية شاهی ، وأن يتقدّموا حتى يحاربوا أهل الكوفة ويصافقوهم من أمامهم فساروا ومعهم مزاحم ، وعسّر الفرات ، وخلف أثقاله ومن بقي معه من أصحابه ؛ فلما رأهم أهل الكوفة ناوשוهم الحرب ، ووافاهم قائد مزاحم ، فقاتلهم من ورائهم ومزاحم من أمامهم ؛ فأطبقوا عليهم جميعاً فلم يفلت منهم أحد .

وذكر عن ابن الكردية أن مزاحماً قتل من أصحابه قبل دخوله الكوفة ثلاثة عشر رجلاً ، وقتل من الزيدية أصحاب الصّوف سبعة عشر رجلاً ، ومن الأعراب ثلثمائة رجل ؛ وأنه لما دخل الكوفة رُمي بالحجارة فضرب ناحيتي الكوفة بالنار ، وأحرق سبعة أسواق ؛ حتى خرجت النار إلى السّبيع ، وهجم على الدار التي فيها العلويّ فهرب ؛ ثم أتى به وقتل في المعركة من العلوية رجل^(١)

وذكر أنه حبس جميع من بالكوفة من العلوية ، وحبس أبناء هاشم ، وكان ١٦١٩/٣ العلويّ فيهم .

وذكر عن أبي إسماعيل العلويّ أن مزاحماً أحرق بالكوفة ألف دار ، وأنه أخذ ابنة الرجل منهم فعنفها .

وذكر أنه أخذ للعلويّ جوارٍ ، فيهم امرأة حرّة مضمومة ، فأقامها على باب المسجد ونادى عليها .

• • •

وفي النصف من رجب من هذه السنة ، ورد على مزاحم كتاب من المعتزّ يأمره بالمصير إليه ، ويعدّه وأصحابه ما يحبّ ويحبّون . فقرأ الكتاب مزاحم على أصحابه ؛ فأجابه الأتراك والفراغنة والمغاربة ، وأبى الشاكرية ذلك ، ففضى فيمن أطاعه منهم وهم زهاء أربعمئة إنسان . وقد كان أبو نوح تقدّمه إلى سامراً ، فأشار بالكتاب إليه ، وكان مزاحم ينتظر أمر الحسين بن إسماعيل ؛ فلما انهزم الحسين مضى إلى سامراً ؛ وقد كان المستعين وجهه إلى مزاحم عند فتح الكوفة عشرة آلاف دينار وخمس خلع وسيفاً ، ونفذ الرسول إليه ، وألقى الجند الذين كانوا معه في الطريق ؛ فردّوا جميع ذلك معهم ، وصاروا إلى باب محمد بن عبد الله ، وأعلموه ما فعل مزاحم . وكان في الجند والشاكرية خليفة

(١) ف : «رجلان» .

الحسين بن يزيد الحراني وهشام بن أبي دلف والحرث خليفة أبي الساج ، فأمر ابن طاهر أن يخلع على كل واحد منهم ثلاث خلعة .

١٦٢٠/٣

وذكر أن هذا العلوي كان قد ظهر بنينوي في آخر جمادى الآخرة من هذه السنة ؛ فاجتمع إليه جماعة من الأعراب ، وفيهم قوم ممن كان خرج مع يحيى بن عمر في سنة خمسين ومائتين ، وقد كان قدم إلى تلك الناحية هشام ابن أبي دلف ، فواقعهم العلوي في جماعة نحو من خمسين رجلا ، فهزمه وقتل عِدَّة من أصحابه ، وأسر عشرين رجلا وغلاماً ، وهرب العلوي إلى الكوفة ؛ فاخفى بها ، ثم ظهر بعد ذلك . وحمل الأسرى والرءوس إلى بغداد ، فعرف خمسة نفر ممن كان مع أصحاب أبي الحسين يحيى بن عمر ؛ فأطلقوا . وأمر محمد بن عبد الله أن يضرب كل واحد ممن أطلق وعاد خمسمائة سوط ، فضربوا في آخر يوم من جمادى الآخرة .

وذكر أن كتب أبي الساج لما وردت بما كان من إيقاعه ببايكباك ؛ وذلك لاثنتي عشرة بقيت من رجب من هذه السنة ، وجه إليه بعشرة آلاف دينار معونة له ، وبخلعة فيها خمسة أثواب وسيف .

* * *

وفيها كانت وقعة فيما ذكر — بين منكجور بن خيدر^(١) وبين جماعة^(٢) من الأتراك بباب المدائن هزمهم فيها منسكجور ، وقتل منهم جماعة .

* * *

وفيها كانت لبلكاجور صائفة ، فتح فيها فتوحاً فيما ذكر .

١٦٢١/٣

* * *

وفيها كانت وقعة بين يحيى بن هرثة وأبي الحسين بن قريش ، قُتِل من الفريقين جماعة ، ثم انهزم أبو الحسين بن قريش .

وفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان كانت بباب بغواريا وقعة بين الأتراك وأصحاب ابن طاهر ؛ وكان السبب في ذلك أن الموكل كان بباب بغواريا لإبراهيم بن محمد بن حاتم والقائد المعروف بالنساوي في نحو من

(١) كذا في ١ ، وفي ط « حيدروس » من غير نقط .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « بجماعة » .

ثلثمائة فارس وراجل ، فجاءت الأتراك والمغاربة في جَمْع كثير ، فنقبوا السور في موضعين ، فدخلوا منهما ، فقاتلهم النساوي فهزموه ، ووافوا باب الأنبار ، وعليه إبراهيم بن مصعب وابن أبي خالد وابن أسد بن داود سياه ، وهم لا يعلمون بدخولهم باب بغواريا ، فقاتلهم قتالا شديداً ، فقتل من الفريقين جماعة . ثم إنَّ مَنْ كان على باب الأنبار من أهل بغداد انهزموا لا يلوون على شيء ، ف ضرب الأتراك والمغاربة باب الأنبار بالنار فاحترق ، وأحرقوا ما كان على باب الأنبار من المجانيق والعرَّادات ، ودخلوا بغداد حتى صاروا إلى باب الحديد ومقابر الرهينة ومن ناحية الشارع إلى موضع أصحاب الدواليب ، فأحرقوا ما هنالك وأحرقوا كلَّ ما قرب من ذلك من أمامهم وورائهم ، ونصبوا أعلامهم على الخوانيت التي تقرب من ذلك الموضع ، وانهزم الناس ؛ حتى لم يقف بين أيديهم أحد ؛ وكان ذلك مع صلاة الغداة ، فوجه ابن طاهر إلى القوَّاد ، ثم ركب في السلاح فوقف على باب درب صالح المسكين ، ووافاه القوَّاد ، فوجههم إلى باب الأنبار وباب بغواريا وجميع الأبواب التي في الجانب الغربي ، وشحنها بالرجال ، وركب بُغَا ووصيف ، فتوجه بُغَا في أصحابه وولده إلى باب بغواريا ، وصار الشاه بن ميكال والعباس بن قارن والحسين بن إسماعيل إلى باب الأنبار والغوغاء ، فالتقوا والأتراك في داخل الباب ، فبادرهم العباس بن قارن^(١) ، فقتل - فيما ذكر - في مقام واحد جماعة من الأتراك ، ووجه برء وسهم إلى باب ابن طاهر ، وكاثرهم الناس على هذه الأبواب ، فدفعوهم حتى أخرجوهم بعد أن قُتِل منهم جماعة ؛ وكان بُغَا الشرايبي خرج إلى باب بغواريا في جمع كثير ، فوافاهم وهم غارئون ، فقتل منهم جماعة كثيرة ، وهرب الباقيون ، فخرجوا من الباب ؛ فلم يزل بُغَا يحاربهم إلى العصر ؛ ثم انهزموا وانصرفوا ، ووكل بالباب مَنْ يحفظه ، وانصرف إلى باب الأنبار ، ووجه في حمل الحصن والآجر ، وأمر بسدّه .

وفي هذا اليوم أيضاً كانت حرب شديدة بباب الشَّامسية ، قُتِل من الفريقين - فيما ذكر - جماعة كثيرة ، وجرح آخرون ؛ وكان الذي قاتل الأتراك في هذا اليوم - فيما ذكر - يوسف بن يعقوب قوصرة .

(١) ط : « خازن » صوابه منّا ، وانظر الفهرس .

وفيهما أمر محمد بن عبد الله المظفر بن سيسل أن يعسكر بالياسرية ، ففعل ذلك ، ثم انتقل إلى الكُنْساسَة إلى أن وافاه بالفردل بن إيزنكجيك^(١) الأشروسني ، فأمر له بفرض ، وضم إليه رجالا من الشاكرية وغيرهم ، وأمر أن يضام المظفر ويعسكر بالكُنْساسَة ، ويكون أمرهما واحداً ، ويضبط تلك الناحية ، فأقاما هنالك حيناً ، ثم أمر بالفردل المظفر بالمضي ، ليعرف خبر الأتراك ليدبّر في أمرهم بما يراه ، فامتنع من ذلك المظفر ، وزعم أن الأمير لم يأمره بشيء مما سأله ، وكتب كل واحد منهما يشكو صاحبه ، وكتب المظفر يستغنى من المقام بالكُنْساسَة ، ويزعم أنه ليس بصاحب حرب ، فأعفى ، وأمر بالانصراف وازوم البيت ، وقلد أمر ذلك العسكر ومن فيه من الجند النائية والأثبات بالفردل ، وضم إليه أثبات المظفر وأفرّد بالناحية .

* * *

وفي شهر رمضان من هذه السنة التقى هشام بن أبي دلف والعلوي الخارج بنينسوى ، ومعه رجل من بني أسد ، فاقتتلوا فقتل من أصحاب العلوي - فيما ذكر - نحو من أربعين رجلاً ، ثم افترقا ، فدخل العلوي الكوفة فباع أهلها المعتز ، ودخل هشام بن أبي دلف بغداد .

١٦٢٤/٣

وفي شهر رمضان من هذه السنة كانت بين أبي الساج والأتراك وقعة بناحية جسر جسر آيا ، هزمهم فيها أبو الساج ، وقتل منهم جماعة كثيرة ، وأسر منهم جماعة آخر .

* * *

[ذكر خبر قتل بالفردل]

والليلة بقيت من شهر رمضان منها قُتِل بالفردل ، وكان سبب قتله أن أبا نصر بن بغا لما غلب على الأنبار وما قرب منها ، وهزم جيوش ابن طاهر من تلك الناحية وأجلاهم عنها ، بثّ خيله ورجاله في أطراف بغداد من الجانب الغربي ، وصار إلى قصر ابن هبيرة ، وبها بحونة بن قيس من قبيل ابن طاهر ، فهرب منه من غير قتال^(٢) جرى بينه وبينه ، ثم صار أبو نصر إلى نهر صرصر ،

(١) كذا في ١ ، وفي ط : اذ ابن مكحول فعل .

(٢) س : « عن غير قتال » .

واتصل بابن طاهر خبره وخبر الوقعة التي كانت بين أبي الساج والأتراك
بمجرى رايا وخذلان من معه من الفروض إياه عند احمرار البأس. فندب بالفردل
إلى اللحاق بأبي الساج والمسير بمن معه إليه ، فسار بالفردل فيمن معه غداة
يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، فسار يومه وصبح المدائن ، فوافاها
مع موافاة الأتراك ومن هو مضموم إليهم من غيرهم ، وبالمدائن^(١) رجال ابن
طاهر وقواده^(٢) ، فقاتلهم الأتراك ، فانهزموا . ولحق من فيها من القواد
بأبي الساج ، وقاتل بالفردل قتالا شديداً ، ولما رأى انهزام من هنالك من
أصحاب ابن طاهر مضى متوجهاً نحو أبي الساج بمن معه فأدرك فقتل .
وذكر عن ابن القواريري - وكان أحد القواد - قال : كنت وأبو الحسين
ابن هشام موكلين بباب بغداد ومنكجور منفرد بباب ساباط ، وكان بقرب باب
ثلثة في سور^(٣) المدائن ، فسألت منكجور أن يسد ما فأتى ، فدخل الأتراك
منها ، وتفرق أصحابه . قال : وبقيت في نحو من عشرة أنفس ، ووافي
بالفردل هو وأصحابه ، فقال : أنا الأمير ، أنا فارس ومعى فرسان ، تمضى على
الشط ، وتكون الرجال على السفن ، فدافع ساعة ثم مضى لوجهه وعسكره في
السفن على حالهم يريد أبا الساج ، أو تلك الناحية ، وأقمت بعده ساعة تامة .
وتحتي أشقر عليه حلية ، فصرت إلى نهر فعثر بي ، فسقطت عنه ، وقصدوني
يقولون : صاحب الأشقر ! فخرجت من النهر راجلاً قد طرحت عنى السلاح .
فنجوت .

وغضب ابن طاهر على ابن القواريري وأصحابه ، وأمرهم بلزوم
منازلهم ، وغرق بالفردل .

* * *

ولأربع خلون من شوال من هذه السنة ، جمع - فيما ذكر - محمد بن
عبد الله بن طاهر جميع قواده الموكلين بأبواب بغداد وغيرهم ؛ فشاورهم جميعاً
في الأمور ، وأعلمهم ما ورد عليهم من الهزائم ؛ فكل أجاب بما أحب من
بذل النفس والدم والأموال ، فجزاهم خيراً وأدخلهم إلى المستعين ، وأعلمه ما ناظرهم

(١-١) ف ؟ « من قواد ابن طاهر وأصحابه جماعة » .

(٢) من : « من سور » .

فيه وما ردّوا عليه من الجواب ، فقال لهم المستعين : والله يا معشر القوّاد ، لئن قاتلت عن نفسي وسلطاني ما أقاتل إلاّ عن دولتكم وعامتكم ، وأن يردّ الله إليكم^(١) أموركم قبل مجيء الأتراك وأشباههم ؛ فقد يجب عليكم المناصحة والجهد في قتال هؤلاء الفسقة ؛ فردّوا أحسن مرّد ، وجزاهم الخير ، وأمرهم بالانصراف إلى مراكزهم فانصرفوا .

* * *

[ذكر خبر هزيمة الأتراك ببغداد]

وفي يوم الاثنين لأيام خلّت من ذى القعدة من هذه السنة كانت وقعة عظيمة لأهل بغداد ، هزموا فيها الأتراك ، وانتهبوا عسكرهم ؛ وكان سبب ذلك أن الأبواب كلّها من الجانبين فتّحت ونُصبت المجانيق والعرادات في الأبواب كلّها والشبّارات في دجلة ، وخرج منها الجند كلّهم ، وخرج ابن طاهر وبُغّا ووصيف حين تراحف الفريقان ، واشتدّت الحرب إلى باب القطيعة ، ثمّ عبروا إلى باب الشّامسية ، وقعد ابن طاهر في قُبّة ضربت له ، وأقبلت الرُّمّة من بغداد بالنّاوكية في الزّواريق ؛ ربما انتظم السهم الواحد عدّة منهم فقتلهم ، فهزمت الأتراك ، وتبعهم أهل بغداد حتى صاروا إلى عسكرهم ، وانتهبوا سوقهم^(٢) هنالك ، وضربوا زورقاً لهم كان يقال له الحديدى ، كان آفة على أهل بغداد بالنار ، وغرق من فيه ، وأخذوا لهم شبّارتين ؛ وهرب الأتراك على وجوههم لا يلوون على شيء ، وجعل وصيف وبغّا يقرّون كلاماً جىء برأس : ذهب والله الموالى . واتّبعهم أهل بغداد إلى الرّوذبار ، ووقف أبو أحمد بن المتوكل يردّ الموالى ، ويخبرهم أنهم إن لم يكرّوا لم يبق لهم بقية ؛ وأن القوم يتبعونهم إلى سامرّا . فراجعوا ، وثاب بعضهم ، وأقبلت العامة تحزّ رءوس منّ قتل ؛ وجعل محمد بن عبد الله يطوق كلّ منّ جاء برأس ويصله ، حتّى كثّر ذلك ، وبدت الكراهة في وجوه من مع بُغّا ووصيف من الأتراك والموالى ؛ ثمّ ارتفعت غبرة من ريح جنوب ، وارتفع الدخان مما احترق ،

١٦٢٧/٣

(١) ف : « عليكم » .

(٢) س : « سيوفهم » .

وأقبلت أعلام الحسن بن الأفشين مع أعلام الأتراك يقدمها علم أحمر، قد استلبه غلام لشاهك، فنسى أن ينعكسه؛ فلما رأى الناس العلم الأحمر ومن خلفه، توهّموا أن الأتراك قد رجعوا عليهم وانهمزوا؛ وأراد بعض من وقف أن يقتل غلام شاهك، ففهمه، فنكس العلم، والناس قد ازدحموا منهزمين؛ وتراجع الأتراك إلى معسكرهم ولم يعلموا بهزيمة أهل بغداد، فتحملوا عليهم؛ فانصرف الفريقان بعضهم عن بعض.

* * *

[خبر وقعة أبي السلاس مع المغاربة]

وفيها كانت وقعة لأبي السلاس وكيل وصيف بناحية الجبل مع المغاربة، وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن رجلاً من المغاربة يقال له نصر سهل، وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن رجلاً من المغاربة يقال له نصر سهل، صار بجماعة من المغاربة إلى عمل بعض ما إلى أبي الساج من الأرض، وانتهب هو وأصحابه ما هنالك من القنوى؛ فكتب أبو السلاس إلى أبي الساج يعلمه ذلك، فوجه أبو الساج إليه - فيما ذكر - بنحو من مائة نفس بين فارس وراجل؛ فلمّا صاروا إليه كبس أولئك المغاربة، فقتل منهم تسعة، وأسر عشرين، وأفلت نصر سهل سارياً.

* * *

[ذكر خبر وقوع الصلح بين الموالى وابن طاهر]

ووضعت الحرب أوزارها بعد هذه الوقعة بين الموالى وابن طاهر؛ فلم يعودوا لها، وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن ابن الطاهر قد كان كاتب المعتز قبل ذلك في الصلح؛ فلما كانت هذه الوقعة أنكرت عليه؛ فكتب إليه؛ فذكر أنه لا يعود بعدها لشيء يكرهه؛ ثم أغلقت بعد ذلك على أهل بغداد أبوابها؛ فاشتد عليهم الحصار، فصاحوا في أول ذي القعدة من هذه السنة في يوم الجمعة: الجوع! ومضوا إلى الجزيرة التي هي تلقاء دار ابن طاهر؛ فأرسل إليهم ابن طاهر: وجهوا إلى منكم خمسة مشايخ، فوجهوا بهم، فأدخلوا عليه؛ فقال لهم: إن من الأمور أموراً لا يعلم بها العامة؛ وأنا عليل، ولعل

أعطى^(١) الجند أرزاقهم ثم أخرج بهم إلى عدوكم . فطابت أنفسهم ، وخرجوا عن غير شيء ، وعادت العامة والتجار بعد إلى الجزيرة التي بمخاء دار ابن طاهر ؛ فصاحوا وشكوا ما هم فيه من غلاء السعر^(٢) ، فبعث إليهم فسكنهم ؛ ووعدهم ومنّاهم . وأرسل ابن طاهر إلى المعتز في الصلح . واضطرب أمر أهل بغداد ، فوافق بغداد للنصف من ذى القعدة من هذه السنة حماد بن إسحاق ابن حماد بن زيد ، ووجه مكانه أبو سعيد الأنصاري إلى عسكر أبي أحمد رهينة ، فلقى حماد بن إسحاق ابن طاهر ، فخلا به فلم يذكّر ما جرى بينهما . ثم انصرف حماد إلى عسكر أبي أحمد ، ورجع أبو سعيد الأنصاري ، ثم رجع حماد إلى ابن طاهر ، فجرت بين ابن طاهر وبين أبي أحمد رسائل مع حماد . ولتسع بقين من ذى القعدة خرج أحمد بن إسرائيل إلى عسكر أبي أحمد مع حماد وأحمد بن إسحاق وكيل عبيد الله بن يحيى بإذن ابن طاهر لمناظرة أبي أحمد في الصلح .

١٦٢٩/٣

ولسبع بقين من ذى القعدة أمر ابن طاهر بإطلاق جميع من في الحبوس ممن كان حبس بسبب ما كان بينه وبين أبي أحمد من الحروب ومعاونته إياه عليه فأطلقه . ومن غد هذا اليوم اجتمع قوم من رجالة الجند وكثير من العامة ، فطلب الجند أرزاقهم ، وشكت العامة سوء الحال التي هم بها من الضيق وغلاء السعر وشدة الحصار ، وقالوا : إما خرجت فقاتلت ؛ وإما تركتنا ؛ فوعدهم أيضاً الخروج أو فتح الباب للصلح ، ومنّاهم . فانصرفوا .

فلما كان بعد ذلك ، وذلك لخمس بقين من ذى القعدة شحّ السجون والجسر وباب داره والجزيرة بالجند والرجال ، فحضر الجزيرة بشّر كثير ، فطردوا من كان ابن طاهر صيرهم فيها ، ثم صاروا إلى الجسر من الجانب الشرقى ، ففتحوا سجن النساء ، وأخرجوا من فيه ، ومنعهم على بن جهشيار ومن معه^(٣) من الطبرية من سجن الرجال ، ومنعهم أبو مالك الموكل بالجسر^(٤) الشرقى ، فشجّوه وجرحوا^(٥) دابتين لأصحابه ؛ فدخل داره وخلّاهم ، فانتهبوا ما في

١٦٣٠/٣

(١) س : « ولم أن أعطى » . (٢) ف : « الأسعار » . (٣) ف : « معهم » .

(٤) ف : « بالحبس » . (٥) س ، ف : « وأخرجوا » .

مجلسه ، وشدّ عليهم الطبريّة فنحوّهم حتى أخرجوهم من الأبواب ، وأغلقوها دونهم ، وخرج منهم جماعة ، ثم عبر إليهم محمد بن أبي عون ، فضمين للجند رزق أربعة أشهر ؛ فانصرفوا على ذلك ، وأمر ابن طاهر بإعطاء أصحاب ابن جهشيار أرزاقهم لشهرين من يومهم فأعطوا .

* * *

[ذكر بدء عزم ابن طاهر على خلع المستعين والبيعة للمعتز]

ووجه أبو أحمد خمس سفائن من دقيق وحنطة وشعير وقتّ وتبن إلى ابن طاهر في هذه الأيام ، فوصلت إليه . ولما كان يوم الخميس لأربع خلون من ذي الحجة علم الناس ما عليه ابن طاهر من خلع المستعين وبيعته للمعتز ، ووجه ابن طاهر قواده إلى أبي أحمد حتى بايعوه للمعتز ، فخلع على كل واحد منهم أربع خلع ، وظنت العامة أن الصلح جرى بإذن الخليفة المستعين ، وأن المعتز وليّ عهده .

* * *

[خروج العامة ونصرة المستعين على ابن طاهر]

ولما كان يوم الأربعاء خرج رشيد بن كاوس - وكان موكّلاً بباب السلامة - مع قائد يقال له نهشل بن صخر بن خزيمه بن خازم وعبد الله بن محمود ، ووجه إلى الأتراك بأنه على المصير إليهم ليكون معهم ، فوافاه من الأتراك زهاء ألف فارس ؛ فخرج إليهم على سبيل التسليم عليهم ؛ على أن الصلح قد وقع ، فسلم عليهم ، وعانق من عرف منهم ، وأخذوا بلجام دابته ، ومضوا به وبابنه في أثره ؛ فلما كان يوم الاثنين صار رشيد إلى باب الشامية فكلم الناس ، وقال : إن أمير المؤمنين وأبا جعفر يقرئان عليكم السلام ، ويقولان لكم : من دخل في طاعتنا قربناه ووصلناه ، ومن آثر غير ذلك فهو أعلم ؛ فشتمة العامة . ثم طاف على جميع أبواب الشرقية بمثل ذلك ، وهو يشتّم في كل باب ، ويشتم المعتز . فلما فعل رشيد ذلك علمت العامة ما عليه ابن طاهر ، ففضت إلى الجزيرة التي بجذاء دار ابن طاهر ؛ فصباحوا به وشتّموه أقبح شتم ؛ ثم صاروا إلى بابيه ، ففعلوا مثل ذلك ؛ فخرج إليهم راغب الخادم ، فحضهم على ما فعلوا ، وسألهم الزيادة فيما هم فيه من نصرة المستعين ، ثم مضى إلى الحظيرة

التي فيها الجيش ، فمضى بهم وجماعة أخر غيرهم وهم زهاء ثلثمائة في السلاح ، فصاروا إلى باب ابن طاهر ، فكشفوا من عليه ورد وهم ، فلم يبرحوا يقاتلونهم ؛ حتى صاروا إلى دهليز الدار ، وأرادوا إحراق الباب الداخلى فلم يجدوا نارا ، وقد كانوا باتوا بالجزيرة الليل كله يشتمونه ويتناولونه بالقبيح .

١٦٣٢/٣

وذكر عن ابن شجاع البلخى أنه قال : كنتُ عند الأمير وهو يحدثني ويسمع ما يُقذف به من كلِّ إنسان ؛ حتى ذكروا اسم أمِّه ، فضحك وقال : يا أبا عبد الله ، ما أدرى ^(١) كيف عرفوا اسم أمي ! ولقد كان كثير من جوارى أبي العباس عبد الله بن طاهر لا يعرفون اسمها ، فقلت له : أيها الأمير ، ما رأيت أوسع من حلمك ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، ما رأيت أوفى من الصبر عليهم ؛ ولا بد من ذلك . فلما أصبحوا وافوا الباب ، فصاحوا ؛ فصار ابن طاهر إلى المستعين يسأله أن يطلع إليهم ويسكنهم ويعلمهم ما هو عليه لهم ؛ فأشرف عليهم من أعلى الباب وعليه البردة والطويلة ، وابن طاهر إلى جانبه ؛ فحلف لهم بالله ما اتهمه ؛ وإني لفي عافية ما على من بأس ؛ وإنه لم يخلع ، ووعدهم أنه يخرج في غد يوم الجمعة ليصلى بهم ، ويظهر لهم . فانصرف عامتهم بعد قتلى وقعت .

ولما كان يوم الجمعة بكّر الناس بالصباح يطلبون المستعين ، وانتهى دواب على بن جهشيار - وكانت في الخراب ، على باب الجسر الشرق - وانتهب جميع ما كان في منزله وهرب ؛ وما زال الناس وقوفاً على ما هم عليه إلى ارتفاع النهار ، فوافى وصيف وبُغَا وأولادها ومواليهما وقوادها وأخوال المستعين ؛ فصار الناس جميعاً إلى الباب ، فدخل وصيف وبُغَا في خاصتهما ، ودخل أخوال المستعين معهم إلى الدهليز ، ووقفوا على دوابهم ، وأعلم ^(٢) ابن طاهر بمكان الأخوال ؛ فأذن لهم بالنزول فأبوا ، وقالوا : ليس هذا يوم نزولنا عن ظهور دوابنا حتى نعلم ^(٣) نحن والعامّة ما نحن عليه ؛ ولم تزل الرّسل تختلف إليهم ، وهم يأبون ،

١٦٣٢/٣

(١) ف : « ما أعرف » .

(٢) ف : « وعلم » .

(٣) ف : « إلا بعد أن نعرف » .

فخرج إليهم محمد بن عبد الله نفسه ، فسألم النزول والدخول إلى المستعين ، فأعلموه أن العامة قد ضجّت مما بلغها وصحّ عندها ما أنت عليه من خلع المستعين والبيعة للمعتز ، وتوجيهك القواد بعد القواد للبيعة للمعتز ، وإرادتك التحويل لبصير الأمر إليه و إدخاله الأتراك والمغاربة بغداد ، فيحكموا فيهم بحكمهم فيمن ظهروا عليه من أهل المدائن والقُرى ، واستراب بك أهل بغداد ، واتهموك على خليفتهم وأموالهم وأولادهم وأنفسهم ؛ وسألوا إخراج الخليفة إليهم ليرؤّه ويكذبوا ما بلغهم عنه . فلما تبين محمد بن عبد الله صحّة قوّم ، ونظر إلى كثرة اجتماع الناس وضجيجهم سأل المستعين الخروج إليهم ؛ فخرج إلى دار العامة التي كان يدخلها جميع الناس ، فنُصب له فيها كرسيٌّ ، وأدخل إليه جماعة من الناس فنظروا إليه ، ثم خرجوا إلى من وراءهم ؛ فأعلموهم صحّة أمره . فلم يقنعوا بذلك ؛ فلما تبين له أنهم لا يسكنون دون أن يخرج إليهم - وقد كان عرف كثرة الناس - أمر بإغلاق الباب الحديد الخارج فأغلق ، وصار المستعين وأحواله ومحمد بن موسى المنجّم ومحمد بن عبد الله إلى الدرجة التي تُفضى إلى سطوح دار العامة وخزائن السلاح ، ثم نصب لهم سلايم على سطح^(١) المجلس الذي يجلس فيه محمد بن عبد الله والفتح بن سهل ، فأشرف المستعين على الناس وعليه سواد ، وفوق السواد برّدة النبي صلى الله عليه وسلم . ومعه القضيب ؛ فكلّم الناس وناشدهم ، وسألم بحقّ صاحب البردة إلّا انصرفوا ؛ فإنه في أمّن وسلامة ، وإنه لا بأس عليه من محمد بن عبد الله ؛ فسأله الرُكوب معهم والخروج من دار محمد بن عبد الله لأنهم لا يأمنونه عليه ؛ فأعلمهم أنه على النقلة منها إلى دار عمته أمّ حبيب ابنة الرشيد ؛ بعد أن يصلح له ما ينبغي أن يسكن فيه ، وبعد أن يحول أمواله وخزائنه وسلاحه وفرشه وجميع ما له في دار محمد بن عبد الله ؛ فانصرف أكثر الناس^(٢) ، وسكن أهل بغداد .

ولما فعل أهل بغداد ما فعلوا من اجتماعهم على ابن طاهر مرّة بعد مرّة وإسماعهم إياه المكره ، تقدّم إلى أصحاب المعاون ببغداد بتسخير ما قدّموا

(١) س : « سطوح » .

(٢) بعدها في ف : « عنه ذلك » .

عليه من الإبل والبغال والحمير^(١) لينتقل عنها .

وذكروا أنه أراد أن يقصد المدائن ، واجتمع على بابيه جماعة من مشايخ الحربية والأرباض جميعاً ؛ يعتذرون إليه ، ويسألونه الصَّفْحَ عما كان منهم ، ويذكرون أن الذي فعل ذلك الغوغاء والسفهاء لسوء الحال التي كانوا بها والفاقة التي نالتهم ، فردّ عليهم - فيما ذكر - مردّاً جميلاً ، وقال لهم قولاً حسناً ، وأثنى عليهم ، وصفح عما كان منهم ، وتقدّم إليهم بالتقدّم إلى شبايهم وسفهائهم في الأخذ على أيديهم ، وأجابهم إلى ترك النقطة ، وكتب إلى أصحاب المعاون بترك السخرة^(٢) .

١٦٣٥/٣

* * *

[ذكر خبر انتقال المستعين إلى دار رزق الخادم بالرصافة]

ولأيام خـلـسـون من ذى الحجة انتقل المستعين من دار محمد بن عبد الله ، وركب منها ، فصار إلى دار رزق الخادم في الرصافة ، ومرّ بدار عليّ بن المعتصم ، فخرج إليه عليّ ، فسأله النزول عنده ، فأمره بالركوب ، فلما صار إلى دار رزق الخادم نزلها ، فوصل إليها - فيما ذكر - مساءً ، فأمر للفرسان من الجند حين صار إليها بعشرة دنانير لكل فارس^(٣) منهم ، وبخمس دنانير لكل راجل . وركب بركوب المستعين ابن طاهر ، ويده الحربة يسير بها بين يديه ، والقواد خلفه ، وأقام - فيما ذكر - مع المستعين ليلة انتقل إلى دار رزق محمد بن عبد الله إلى ثلث الليل ؛ ثم انصرف ، وبات عنده وصيف وبُغَا حتى السحر ، ثم انصرفا إلى منازلهما .

ولما كان صبيحةُ الليلة التي انتقل المستعين فيها من دار ابن طاهر اجتمع الناس في الرصافة ، وأمير القواد وبشوهاشم بالمصير إلى ابن طاهر والسلام^(٤) عليه ، وأن يسيروا معه إذا ركب إلى الرصافة . فصاروا إليه ؛ فلما كان الضحى الأكبر من ذلك اليوم ، ركب ابن طاهر وجميع قواده في تعبئة

١٦٣٦/٣

(٢) س ، : « السخر » .

(١) ف : « الحمير » .

(٤) ف ، : « التسام » .

(٣) ا : « رجل » .

وحوله ناشبة رجالة ؛ فلما خرج من داره وقف للناس ، فعاتبهم وحلف أنه ما أضمر لأمر المؤمنين - أعزه الله - ولا لولي له ولا لأحدٍ من الناس سوءاً ، وأنه ما يريد إلا إصلاح أحوالهم ، وما تدوم به النعمة عليهم ، وأنهم قد توهّموا عليه ما لا يعرفه ، حتى أبكى الناس . فدعا له مَن حضر ، وعبر الجسر ، وصار إلى المستعين ، وبعث فأحضر جيرانه ووجوه أهل الأرباض من الجانب الغربي ، فخطبهم بكلام عاتبهم فيه ، واعتذر إليهم بما بلغهم ، ووجّه وصيف وبعثاً مَن طاف على أبواب بغداد ، ووكّلا صالح بن وصيف بباب الشّاسية . وذكر أن المستعين كان كارهاً لنقله عن دار محمد ؛ ولكنه انتقل عنها من أجل أن الناس ركبوا الزواريق بالنقاطين ليضربوا روشن ابن طاهر بالنار لما صعب عليهم فتحُ بابه يوم الجمعة .

وذكر أن قوماً منهم كنجور ، وقفوا بباب الشّاسية من قبيل أبي أحمد ، فطلبوا ابن طاهر ليكلموه ، فكتب إلى وصيف يعلمه خبر القوم ، ويسأله أن يعلم المستعين ذلك ليأمر فيه بما يرى ؛ فردّ المستعين الأمر في ذلك إليه ؛ وأنّ التدبير في جميع ذلك مردود إليه ، فيتقدّم في ذلك بما رأى .

١٦٣٧/٣

وذكر أن عليّ بن يحيى بن أبي منصور المنجم كاتب محمد بن عبد الله في ذلك بكلام غليظ ، فوثب عليه محمد بن أبي عون فأسمعه وتناوله .

وذكر عن سعيد بن حميد أن أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وعبيد الله بن يحيى خَلَمُوا بابن طاهر ؛ فما زالوا يفتلون في الذّروة والغارب ، ويشيرون عليه بالصلح ^(١) ، وأنه ربما كان عنده قوم فأجروا الكلام في خلاف الصّلح ، فيكشر ^(٢) في وجوههم ، ويعرض عنهم ؛ فإذا حضر هؤلاء الثلاثة أقبل عليهم وحادثهم وشاورهم .

وذكر عن بعضهم أنه قال : قلت لسعيد بن حميد يوماً : ما ينبغي إلا أن يكون قد كان انطوى على المداينة في أوّل أمره ؛ قال : وددت أنه كان كذلك ؛ لا والله ما هو إلا أن هُزِم أصحابه من المداين والأخبار حتى

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « في الصّلح » . (٢) كذا في ١ ، وفي ط « فنكس » .

كاتب القوم ، وأجابهم بعد أن كان قد جادَّهم .

وحدثني أحمد بن يحيى النحويّ - وكان يؤدّب ولد ابن طاهر - أن محمد بن عبد الله لم يزل جادّاً في نُصرة المستعين حتى أحفظه عبيد الله بن يحيى ابن خاقان ، فقال له : أطل الله بقاءك ! إن هذا الذي تنصره وتجدّ في أمره من أشدّ الناس نفاقاً ، وأخبثهم ديناً ؛ والله لقد أمر وصيفاً وبغا بقتلك ، فاستعظما ذلك ولم يفعلاه ، وإن كنت شاكّاً فيما وصفت من أمره ، فسلْ تُخبره ؛ وإن منّ ظاهر نفاقه أنه كان وهو بسامراً لا يجهر في صلته ببسم الله الرحمن الرحيم ؛ فلما صار إلى ما قبلك ، جهر بها مراعاةً لك ؛ وترك نصرة وليك^(١) وصهرك وتربيتك ؛ ونحو ذلك من كلام كلّمه به ؛ فقال محمد بن عبد الله : أخزى الله هذا ، لا يصلح لدين ولا دنيا ، قال : وكان أوّل من تقدّم على صرف محمد بن عبد الله عن الجيدّ في أمر المستعين عبيد الله بن يحيى في هذا المجلس ، ثم ظاهر عبيد الله بن يحيى على ذلك أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد ؛ فلم يزلوا به حتى صرفوه عمّا كان عليه من الرأى في نصرة المستعين .

١٦٣٨/٣

* * *

وفي يوم الأضحى من هذه السنة صلّى بالناس المستعين صلاة الأضحية في الجزيرة التي بجذاء دار ابن طاهر ، وركب وبين يديه عبيد الله بن عبد الله ، معه الحربة التي لسليمان ، وبيد الحسين بن إسماعيل حربة السلطان ، وبُغَا ووصيف يكتفانه ؛ ولم يركب محمد بن عبد الله بن طاهر ، وصلى عبد الله ابن إسحاق في الرّصافة .

١٦٣٩/٣

* * *

[ذكر بدء المفاوضة في أمر خلع المستعين]

وفي يوم الخميس ركب محمد بن عبد الله إلى المستعين ، وحضره عدّة من الفقهاء والقضاة ، فذكّر أنه قال للمستعين : قد كنت فارقتنى على أن

(١) س : « لوليك » .

تَنفَّذَ فِي كُلِّ مَا أَعَزَمَ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِ عِنْدِي بِخَطِّكَ رُقْعَةٌ بِذَلِكَ ؛ فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ :
أَحْضِرِ الرُّقْعَةَ . فَأَحْضَرَهَا ؛ فَإِذَا فِيهَا ذِكْرُ الصَّلَاحِ ؛ وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْخُلُوعِ ،
فَقَالَ : نَعَمْ ، أَنْفِذِ الصَّلَاحَ ، فَقَامَ الْخَلَنَجِيُّ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّهُ يَسْأَلُكَ
أَنْ تَخْلَعَ قَمِيصًا قَمَصَصَكَ بِهِ اللَّهُ . وَتَكَلِّمَ عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْمُنَجِّمَ فَأَغْلَظَ مُحَمَّدُ
ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ .

ثُمَّ رَكِبَ بَعْدَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ -وَذَلِكَ لِلنَّصَفِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ- إِلَى
الْمُسْتَعِينِ بِالرَّصَافَةِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَمَعَهُ وَصِيفٌ وَبُغَا ، فَضَرَوْا جَمِيعًا حَتَّى
صَارُوا إِلَى بَابِ الشَّمَاسِيَّةِ ، فَوَقَفَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى دَابَّتِهِ ، وَمَضَى وَصِيفٌ
وَبُغَا إِلَى دَارِ الْحَسَنِ بْنِ الْأَفْشِينَ ، وَانْحَدَرَتِ الْمَيْتَضَةُ وَالْغَوَاةُ مِنَ السُّورِ ،
وَلَمْ يَطْلُقْ لِأَحَدٍ فَتَحَ الْأَبْوَابِ ^(١) ، وَقَدْ كَانَ خَرَجَ قَبْلَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ إِلَى
عَسْكَرِ أَبِي أَحْمَدَ ، فَاشْتَرَوْا مَا أَرَادُوا ؛ فَلَمَّا خَرَجَ مَنَّا ذَكَرْنَا إِلَى بَابِ الشَّمَاسِيَّةِ
نُودِيَ فِي أَصْحَابِ أَبِي أَحْمَدَ أَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادِ شَيْءٌ ؛ فَتَنَعَوْا
مِنَ الشِّرَاءِ ، وَكَانَ قَدْ ضَرَبَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِبَابِ الشَّمَاسِيَّةِ مَضْرِبٌ كَبِيرٌ
أَحْمَرٌ ؛ وَكَانَ مَعَ ابْنِ طَاهِرٍ بَنْدَارِ الطَّبْرِيِّ وَأَبُو السَّنَا وَنَحْوُ مِنْ مِائَتِي فَارَسٍ
وَمِائَتِي رَاجِلٍ ، وَجَاءَ أَبُو أَحْمَدَ فِي زَلَّالٍ حَتَّى قَرِبَ مِنَ الْمَضْرِبِ ، ثُمَّ خَرَجَ
وَدَخَلَ الْمَضْرِبَ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَوَقَفَ الَّذِينَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ
الْجُنُودِ نَاحِيَةً ، فَتَنَاضَرُ ابْنُ طَاهِرٍ وَأَبُو أَحْمَدَ طَوِيلًا ، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ الْمَضْرِبِ ،
وَانْصَرَفَ ابْنُ طَاهِرٍ مِنْ مَضْرَبِهِ إِلَى دَارِهِ فِي زَلَّالٍ ؛ فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا خَرَجَ مِنْ
الزَّلَّالِ ، فَرَكِبَ وَمَضَى إِلَى الْمُسْتَعِينِ لِيُخْبِرَهُ بِمَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي أَحْمَدَ ،
وَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى الْعَصْرِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ؛ فَذُكِرَ أَنَّهُ قَارَفَهُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَ خَمْسِينَ
أَلْفَ دِينَارٍ ، وَيُقَطَّعَ غَلَّةُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي السَّنَةِ ؛ وَأَنْ يَكُونَ مَقَامُهُ بِبَغْدَادَ
حَتَّى يَجْتَمِعَ لَهُمْ مَالٌ يُعْطَوْنَ الْجُنْدَ ؛ وَعَلَى أَنْ يُؤَلَّى بُغَا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالْحِجَازَ ،
وَوَصِيفَ الْجَبَلِ وَمَا وَآلَاهُ ، وَيَكُونَ ثَلَاثَ مَا يَحْيَى مِنْ الْمَالِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،
وَجُنْدَ بَغْدَادَ وَالثَّلَاثَانَ لِلْمَوَالِي وَالْأَتْرَاكِ .

(١) س : « الباب » .

وذكر أن أحمد بن إسرائيل لما صار إلى المعتزّ ولّاه ديوان البريد، وفارقه على أن يكون هو الوزير وعيسى بن فرخان شاه على ديوان الخراج وأبو نوح على الخاتم والتوقيع؛ فاقسموا الأعمال، فوردت خريطة الموسم إلى بغداد بالسلامة، فبعث بها إلى أبي أحمد^(١)، ثم ركب ابن طاهر - فيما قيل - لأربع عشرة بقيت من ذي الحجة من هذه السنة إلى المستعين، لمناظرته في الخلع، فناظره فامتنع عليه المستعين، وظنّ المستعين أن بئعا ووصيفا معه، فكاشفاه، فقال المستعين: هذا عُمّتي والسيف والنّطع؛ فلما رأى امتناعه انصرف عنه، فبعث المستعين إلى ابن طاهر بعلی بن یحیی المنجم وقوم من ثقاته، وقال: قولوا له: اتق الله، فلما جئتك لتدفع عني؛ فإن لم تدفع عني فكُفّ عني. فردّ عليه؛ أمّا أنا فأقعد في بيتي؛ ولكن لا بدّ لك من خلعه طائعا أو مكرها.

١٦٤١/٣

وذكر عن عليّ بن يحيى أنه قال له: قل له: إن خلعتها فلا بأس؛ فوالله لقد تمزقت تمزقا لا يرفع؛ وما تركت فيها فضلا. فلما رأى المستعين ضعف أمره وخذلان ناصريه أجاب إلى الخلع؛ فلما كان يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، وجّه ابن طاهر ابن الكرديّة وهو محمد بن إبراهيم بن جعفر الأصغر بن المنصور والخلنجي وموسى بن صالح بن شيخ وأباسعيد الأنصاري وأحمد بن إسرائيل ومحمد بن موسى المنجم إلى عسكر أبي^(٢) أحمد ليوصلوا كتاب محمد إليه بأشياء سألها المستعين من حين نُدب إلى أن يخلع نفسه. فأوصلوا الكتاب، فأجاب إلى ما سأل، وكتب الجواب بأن يُقطع وينزل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يكون مضطربا من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى مكة. فأجابه إلى ذلك؛ فلم يقنع المستعين إلا بخروج ابن الكرديّة بما سأل إلى المعتزّ، حتى يكتب بإجابته بذلك بخطه بعد مشافهة ابن الكرديّة المعتزّ بذلك، فتوجّه ابن الكرديّة بها.

١٦٤٢/٣

وكان سبب إجابة المستعين إلى الخلع - فيما ذكر - أن وصيفا وبئعا وابن طاهر ناظروه في ذلك وأشاروا عليه؛ فأغلظ لهم^(٣)، فقال له وصيف:

(١) إلى هنا تنتهي نسخة أحمد الثالث. (٢) ط: «ابن»، وانظر الفهرس.

(٣) ف: «عليهم».

أنت أمرتنا بقتل باغر؛ فصيرنا إلى ما نحن فيه؛ وأنت عرضتنا لقتل أوتامش،
وقلت: إن محمداً ليس بناصح؛ وما زالوا يفرعون ويحتالون له، فقال محمد
ابن عبد الله: وقد قلت لي إن أمرنا لا يصطالح إلا باستراحتنا من هذين؛
فلما اجتمعت كلمتهم أذعن لهم بالخلع، وكتب بما اشترط لنفسه عليهم؛
وذلك لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة.

ولما كان يوم السبت لعشر بقين من ذي الحجة، ركب محمد بن
عبد الله إلى الرضافة وجميع القضاة والفقهاء، وأدخلهم على المستعين فوجاً
فوجاً، وأشهدهم عليه أنه قد صير أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر؛ ثم
أدخل عليه البوابين والخدم، وأخذ منه جوهر الخلافة، وأقام عنده حتى مضى
هوى من الليل، وأصبح الناس يرجفون بألوان الأراجيف، وبعث ابن طاهر
إلى قواده في موافاته؛ مع كل قائد منهم عشرة نفر من وجوه أصحابه، فوافوه،
فأدخلهم^(١) ومنأهم، وقال لهم: إنما أردت بما فعلت صلاحكم وسلامتكم
وحقن الدماء. وأعد للخروج إلى المعتز في الشروط التي اشترطها للمستعين
ولنفسه ولقواده قومًا ليوثق المعتز في ذلك بخطه. ثم أخرجهم إلى المعتز،
ففضوا إليه حتى وقع في ذلك بخطه إمضاء^(٢) كل ما سأل المستعين وابن طاهر
لأنفسهما من الشروط، وشهدوا عليه بإقراره بذلك كله، وخلع المعتز على
الرسل، وقلدهم سيوفًا، وانصرفوا بغير جائرة ولا نظر في حاجة لهم، ووجه
معهم لأخذ البيعة له على المستعين جماعة من عنده؛ ولم يأمر للجند بشيء.
وحمل إلى المستعين أمه وابنته وعياله بعد ما فتش عياله، وأخذ منهم بعض
ما كان معهم مع سعيد بن صالح؛ فكان دخول الرسل^(٣) بغداد منصرفهم
من عند المعتز يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين.
وذكر أن رسل المعتز لما صاروا بالشماسية، قال ابن سجيادة: أنا أخاف
من أهل بغداد؛ فإمّا أن يحمل المستعين إلى الشماسية أو إلى دار محمد بن عبد الله
ليبايع المعتز، ويخلع نفسه ويؤخذ منه القضيبي والبردة.

(٢) ف: «بامضاء».

(١) بعدها في: «عليه».

(٣) ف: «الجند».

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة كان ظهورُ المعروف بالكوكبي بقزوين وزنجان وغلبته عليها وطرده عنها آل طاهر؛ واسم الكوكبي الحسين بن أحمد ابن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه .

* * *

وفيهما قطعت بنو عتقيل طريق جدّة ، فحاربهم جعفر بشاشات ، فقتل من أهل مكة نحو من ثلثائة رجل ، وبعض بني عتقيل القائل :
عليك ثوبانٍ وأُمّي عارية فأتني لي ثوبك يا بن الزانية
فلما فعل بنو عتقيل ما فعلوا غلت بمكة الأسعار ، وأغارت الأعراب على القرى .

١٦٤٤/٣

* * *

[ذكر خبر خروج إسماعيل بن يوسف بمكة]

وفيهما ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب بمكة ، فيرب جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العامل على مكة ، فانتهب إسماعيل بن يوسف منزل جعفر ومنزل أصحاب السلطان ، وقتل الجند وجماعة من أهل مكة ، وأخذ ما كان حمل لإصلاح العيين من المال وما كان في الكعبة من الذهب ، وما في خزائنها من الذهب والفضة والطيب وكسوة الكعبة ، وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار ، وأنهب مكة ، وأحرق بعضها في شهر ربيع الأول منها . ثم خرج منها بعد خمسين يوماً ، ثم صار إلى المدينة ، فتوارى علي بن الحسين بن إسماعيل العامل عليها ، ثم رجع إسماعيل إلى مكة في رجب ، فحصرهم حتى تماوت أهلها جوعاً وعطشاً ؛ وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم ، واللحم رطل بأربعة دراهم ، وشربة ماء ثلاثة دراهم ؛ ولقي أهل مكة منه كلّ بلاء . ثم رحل بعد مقام سبعة وخمسين يوماً إلى جدّة ، فحبس عن الناس الطعام ، وأخذ أموال التجار

١٦٤٥/٣

وأصحاب المراكب ، فحمل إلى مكة الحنطة والذرة من اليمن ، ثم وافت^(١) المراكب من القُلُزُم ،

ثم وافى إسماعيل بن يوسف الموقف ؛ وذلك يوم عرفة ، وبه محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور الملقب كعب البقر ، وعيسى بن محمد المخزومي صاحب جيش مكة — وكان المعتز وجههما إليها — فقاتلهم ، فقتل نحو من ألف ومائة من الحاج^(٢) ، وسلب الناس ، وهربوا إلى مكة ، ولم يبقوا بعرفة ليلاً ولا نهاراً ، ووقف إسماعيل وأصحابه ، ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها .

(١) ف : « وافت » .

(٢) س : « الناس » .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خلع المستعين وبيعة المعتز]

فمن ذلك ما كان من خلع المستعين أحمد بن محمد بن محمد بن المعتصم نفسه من الخلافة ، وبيعته للمعتز محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم ، والدعاء للمعتز على منبرى بغداد ومسجدي جانبها الشرقي منها والغربي ، يوم الجمعة لأربع خلون من المحرم من هذه السنة ، وأخذ البيعة له بها على من كان يومئذ بها من الجند .

وذكر أن ابن طاهر دخل على المستعين ومعه سعيد بن حميد حين كتب له بشروط الأمان ، فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ قد كتب سعيد كتب الشروط وأكد غاية التأكيد ، فنقرؤه عليك فتسمعه ^(١) ؟ فقال له المستعين : لا عليك ^(٢) ! ألا تركتها يا أبا العباس ، فما القوم بأعلم بالله منك ؛ قد أكدت على نفسك قبلهم فكان ما قد علمت ؛ فما ردّ عليه محمد شيئاً .

١٦٤٦/٣

ولما بايع المستعين المعتز ، وأخذ عليه البيعة ببغداد ، وأشهد عليه ^(٣) الشهود من بني هاشم والقضاة والفقهاء والقواد نقل من الموضع الذي كان به ^(٤) من الرضافة إلى قصر الحسن بن سهل بالخرم هو وعياله وولده وجواريه ، فأنزلوهم فيه جميعاً ، ووكل بهم سعيد بن رجاء الحضاري في أصحابه ، وأخذ المستعين البردة والقضيب والخاتم ، ووجه مع عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكتب معه :

أما بعد ؛ فالحمد لله متمم النعم برحمته ، والهادي إلى شكره بفضله ، وصلى

(٢) ابن الأثير : « لا حاجة إلى توكيدها » .

(٤) ف : « فيه » .

(١) ابن الأثير : « لتسمعه » .

(٣) بعدها في ف : « بذلك » .

الله على محمد عبده ورسوله؛ الذي جمع له ما فرّق من الفضل في الرّسل قبله، وجعل تراثه راجعاً إلى مَنْ خَصَّه بخلافته، وسأّم تسليماً. كتابي إلى أمير المؤمنين وقد تمّم الله له أمره، وتسلّمت تراث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عنده، وأنقذته إلى أمير المؤمنين مع عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعبده.

ومنع المستعين الخروج إلى مكة، واختار أن ينزل البصرة. فذكر عن سعيد ابن حميد أن محمد بن موسى بن شاكر قال: البصرة وبيّنة، فكيف اخترت أن تنزلها! فقال المستعين: هي أوبى، أو ترك الخلافة!

وذكر أن قُرْبَ جارية قبيحة جاءت برسالة إلى المستعين من المعتز، يسأله أن ينزل عن ثلاث جوار كان المستعين تزوجهنّ من جوارى المتوكل، فنزل عنهنّ، وجعل أمرهنّ إليهنّ؛ وكان احتبس عنده من الجوهر خاتمين يقال لأحدهما البُرُج والآخر الجبل، فوجّه إليه محمد بن عبد الله بقُرْبَ خاصية المعتز وجماعة، فدفعهما إليهم، وانصرفوا بذلك إلى محمد بن عبد الله، فوجّه به إلى المعتز.

ولست خلون من المحرم دخل - فيما قيل - بغداد أكثر من مائتي سفينة، فيها من صنوف التجارات وغم كثير، وأشخص المستعين مع محمد بن مظفر ابن سيسل وابن أبي حفصة إلى واسط في نحو من أربعمائة فرسان ورجالة. وقدم بعد ذلك عليّ ابن طاهر عيسى بن فرخان شاه وقُرْب، فأخبراه أن ياقوتة من جوهر الخلافة قد حبسها أحمد بن محمد عنده؛ فوجّه ابن طاهر الحسين ابن إسماعيل فأخرجها، فإذا ياقوتة بهيئة، أربع أصابع طولاً في عرض مثل ذلك، وإذا هو قد كتب عليها اسمه، فدفعته إلى قُرْب، فبعثت بها إلى المعتز.

واستوزر المعتز أحمد بن إسرائيل، وخلع عليه، ووضع تاجاً على رأسه، وشخص أبو أحمد إلى سامراً يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من المحرم منها، وشيّع محمد بن عبد الله والحسن بن مخلد، فخلع على محمد بن عبد الله خمس خلع وسيفاً، ورجع من الرّوذ باز.

وقال بعض الشعراء في خلع المستعين :

خُلِعَ الخِلافةَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَسَيُقْتَلُ التَّالِي لَهُ أَوْ يُخْلَعُ
ويزولُ مُلْكُ بَنِي أَبِيهِ وَلَا يُرَى أَحَدٌ تَمَلَّكَ مِنْهُمْ يَسْتَمِيعُ
لِإِيهَا بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ سَبِيلَكُمْ فِي قَتْلِ أَعْبُدْكُمْ طَرِيقُ مَهْيَعُ
رَفَعْتُمْ دُنْيَاكُمْ فَتَمَزَّقَتْ بِكُمْ الْحَيَاةُ تَمَزَّقًا لَا يُرْقَعُ

وقال بعض البغداديين :

إِنِّي أَرَاكَ مِنَ الْفِرَاقِ جَزُوعًا أَضْحَى الْإِمَامُ مَسِيرًا مَخْلُوعًا
كَانَتْ بِهِ الْآفَاقُ تَضْحَكُ بِهَجَّةٍ وَهُوَ الرِّبِيعُ لِمَنْ أَرَادَ رِبِيعًا
لَا تُنْكِرِي حَدَثَ الزَّمَانِ وَرِيبَهُ إِنَّ الزَّمَانَ يُفَرِّقُ الْمَجْمُوعَا
لَبَسَ الْخِلَافَةَ وَاسْتَجَدَّ مَحَبَّةً يَقْضِي أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعَا
فَجَنَتْ عَلَيْهِ يَدُ الزَّمَانِ بِصَرْفِهِ حَرْبًا وَكَانَ عَنِ الْحُرُوبِ شُشُوعَا
وَتَجَانَفَ الْأَتْرَاكُ عَنْهُ تَمَرُّدًا أَضْحَى ، وَكَانَ وَلَا يُرَاحُ مَرُوعَا
فَنَزَا بِهِمْ ، فَتَنَزَّوْا بِهِ وَتَعَاوَرَتْ أَيْدِي الْكِمَاةِ مِنَ الرُّعُوسِ نَجِيعَا
فَأَزَالَهُ الْمَقْدَارُ عَنْ رُتَبِ الْعِلَا فَتَوَى بِوِاسِطَةٍ لَا يُحِسُّ رُجُوعَا
غَدَرُوا بِهِ ، مَكْرُوا بِهِ ، خَانُوا بِهِ لَزِمَ الْفَرَاشَ ، وَحَالَفَ التَّضْجِيعَا
وَتَكَنَّفُوا بِغَدَادٍ مِنْ أَقْطَارِهَا قَدْ ذَلَّلُوا مَا كَانَ قَبْلُ مَنِيعَا
وَلَوْ أَنَّهُ سَعَرَ الْحُرُوبَ بِنَفْسِهِ مُتَلَبِّيًا لِلْقَائِنِ دُرُوعَا
حَتَّى يُصَادِمَ بِالْكِمَاةِ كِمَاتَهُ فَيَكُونُ مِنْ قَصْدِ الْحُرُوبِ صَرِيعَا
لَغَدَا عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ مُحَرَّمًا وَلَكَانَ إِذْ غَدَرَ اللَّثَامُ مَنِيعَا
لَكِنْ عَصَى رَأْيَ الشَّفِيقِ وَعَذَلَهُ وَعَدَا لِأَمْرِ الدَّاكِثِينَ مُطِيعَا

١٦٤٩/٣

١٦٥٠/٣

والمُلكُ ليسَ بِمالكِ سلطانِه
 ما زالَ يَخْدَعُ نفسَه عن نفسِه
 باعَ ابنُ طاهرٍ دينَه عن بيعِه
 خلَعَ الخِلافةَ والرعيَّةَ فاغتدى
 فليَجْرَعَنَّ بِذاكِ كأساً مُرَّةً
 مِن كانَ للرأيِ السَّديدِ مضيعاً
 حتى غدا عن ملكه مخدوعاً
 أمسى بها مُلكُ الإمامِ منيعاً
 من دينِ ربِّ محمدٍ مخلوعاً
 وليُلفَيْنَّ لتابعيه تبعاً

وقال محمد بن مروان بن أبي الجحّوب بن مروان حين خلع المستعين ، وصار إلى واسط :

إِنَّ الْأُمُورَ إِلَى الْمُعْتَزِّ قَدْ رَجَعَتْ
 وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لَيْسَ لَهُ
 وَمَالُكَ الْمُلْكِ مَوْتِيهِ وَنَازِعُهُ
 إِنَّ الْخِلَافَةَ كَانَتْ لَا تُلَاثِمُهُ
 مَا كَانَ أَقْبَحَ عِنْدَ النَّاسِ بَيْعَتُهُ
 لَيْتَ السَّفِيهِينَ إِلَى قَافٍ دَفَعْنَ بِهِ
 كَمْ سَاسَ قَبْلَكَ أَمْرَ النَّاسِ مِنْ مَلِكٍ
 أَمْسَى بِكَ النَّاسُ بَعْدَ الضُّيْقِ فِي سَعَةٍ
 وَاللَّهُ يَدْفَعُ عَنْكَ السَّوْءَ مِنْ مَلِكٍ
 مَا ضَاعَ مَلْحَى وَلَا ضَاعَ اصْطِنَاعُكَ لِي
 فَارْدُدْ عَلَيَّ بِنَجْدٍ ضَيْعَةَ قَبِضْتُ
 فَإِنْ رَدَدْتُ إِمَامَ الْعَدْلِ غَلَّتْهَا
 وَاللَّهُ يَجْعَلُ بَعْدَ الضُّيْقِ مُتَسَعًا
 فَإِنَّهُ بِكَ عَنَّا السَّوْءَ قَدْ دَفَعَا
 وَقَدْ وَجَدْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ مُصْطَنَعًا
 فَإِنَّ مِثْلَكَ مِثْلِي يُقْطَعُ الضُّيْعَا
 فَاللَّهُ أَنْفَ حُسَادِي بِهِ جَدَعَا

١٦٥٢/٣

وقال يمدح المعتز بعد خلع المستعين :

قد عَادَتِ الدُّنْيَا إِلَى حَالِهَا
 دُنْيَا بِكَ اللَّهُ كَفَى أَهْلِهَا
 وَسَرَّنا اللَّهُ بِإِقْبَالِهَا
 مَا كَانَ مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِهَا

وكانَ قَدْ مَلَكَهَا جَاهِلٌ لا تَصْلُحُ الدُّنْيَا لَجُهَايَهَا
 قد كانتِ الدُّنْيَا بِهِ قُفِّلَتْ فكنتَ مِفْتَاحًا لَأَقْفَالِهَا
 إِنَّ الَّتِي فُزْتَ بِهَا دُونَهُ عَادَتْ إِلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهَا
 خِلَافَةً كُنتَ حَقِيقًا بِهَا فَضْلَكَ اللَّهُ بِسِرِّبَالِهَا
 فَرَدَّ اللَّهُ إِلَى حَالِهِ وَرَدَّهَا اللَّهُ إِلَى حَالِهَا
 وَلَمْ تَكُنْ أَوَّلَ عَارِيَةٍ رُدَّتْ عَلَى رَغْمٍ إِلَى آلِهَا
 وَاللَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى قَرِيَةٍ مَا كَانَ يُجْزَى بَعْضُ أَعْمَالِهَا
 أَدْخَلَ فِي الْمَلِكِ يَدًا رِعْدَةً أَخْرَجَهَا مِنْ بَعْدِ إِدْخَالِهَا
 بَدَّلْنَا اللَّهُ بِهِ سَيِّدًا أَسْكَنَ دُنْيَا بَعْدَ زَلْزَالِهَا
 بُدِّلَتْ الْأُمَّةُ هَذَا بَذَا كَانَتْهَا فِي وَقْتِ دَجَالِهَا
 وَقَامَ بِالْمُلْكِ وَأَنْقَالَه وَقَامَ بِالْحَرْبِ وَأَثْقَالَهَا
 أَبْطَلَ مَا كَانَ الْعِدَا أَمَلُوا رَمَيْكَ بِالْخِيَلِ وَأَبْطَالَهَا
 تُعْمِلُ خِيَلًا طَالَمَا نَجَحْتَ مَا عَمِلْتَ خِيَلٌ كَأَعْمَالِهَا
 وقال الوليد بن عبيد البحرى فى خلع المستعين ومدهح المعتز^(١) :

١٦٥٣/٣

أَلَا هَلْ أَتَاهَا أَنَّ مُظْلِمَةَ الدُّجَى تَجَلَّتْ وَأَنَّ الْعَيْشَ سُهْلَ جَانِبُهُ
 وَأَنَا رَدَدْنَا الْمُسْتَعَارَ مُذَمَّمًا عَلَى أَهْلِهِ وَاسْتَأْنَفَ الْحَقَّ صَاحِبُهُ
 عَجِبْتُ لِهَذَا الدَّهْرِ أَعْيَتْ صُرُوفُهُ وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا صَرْفُهُ وَعَجَائِبُهُ
 مَتَى أَمَلَ الدِّيَاكُ^(٢) أَنْ يُصْطَفَى لَهُ عُرَى النَّجَاجِ أَوْ يُثْنَى عَلَيْهِ عَصَائِبُهُ
 وَكَيْفَ ادَّعَى حَقَّ الْخِلَافَةِ غَاصِبُ حَوَى دُونَهُ إِرْثَ النَّبِيِّ أَقَارِبُهُ
 بِكِي الْمَنْبَرِ الشَّرْقِيِّ إِذْ خَارَ فَوْقَهُ عَلَى النَّاسِ ثَوْرٌ قَدْ تَدَلَّتْ غَبَاغِبُهُ
 ثَقِيلٌ عَلَى جَنْبِ الثَّرِيدِ مُرَاقِبُ لَشَخِصِ الْخَوَانِ يَبْتَدِي فَيَوَائِبُهُ

١٦٥٤/٣

(١) ديوانه ٢١٤ (المعارف).

(٢) فى الأصول : « الذيال » ، وما أثبتته من الديوان ، والدياك : صاحب الديك .

إذا ما احتشى من حاضر الزاد لم يُبَلْ
 إذا بَكَرَ الفَرائِشَ ينثو حديثه
 تَخَطَّى إلى الأَمْرِ الَّذِي لَيْسَ أَهْلُهُ
 فكيف رأيتَ الحقَّ قَرَّ قراره
 ولم يكنِ المَعْتَرُ بِاللَّهِ إِذْ سَرَى
 رَمَى بالقَضِيبِ عَنُوةً وهو صاغِرُ
 وقد سَرَّيَ أَنْ قِيلَ وَجْهَهُ مَسْرَعاً
 إلى كَسَكِرٍ خَلْفَ الدَّجَاجِ ولم يكنِ
 وما لِحْيَةُ القَصَّارِ حَيْثُ تَنَفَّسَتْ
 يحوز ابنُ خَلَّادٍ على الشَّعْرِ عِنْدَهُ
 فَأَقْسَمْتُ بِالوَادِي الحَرَامِ وما حَوَتْ
 لقد حَمَلَ المَعْتَرُ أُمَّةَ أَحْمَدِ
 تَدَارَكَ دِينَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَفَتْ
 وَضَمَّ شِعَاعَ المُلُوكِ حَتَّى تَجْمَعَتْ

* * *

وانصرف أبو الساج ديوداد بن ديودست إلى بغداد لسبع بقين من المحرم
 من هذه السنة ، فقلَّده محمد بن عبد الله معاون ما سقَى الفرات من السَّوَادِ ،
 فوجه أبو الساج خليفة له يقال له كربه إلى الأنبار ، ووجه قوماً من أصحابه
 إلى قصر ابن هبيرة مع خليفة له ، ووجه الحارث بن أسد في خمسمائة فارس
 وراجل ، يستقروا أعماله ، ويطرده الأتراك والمغاربة عنها ، وقد كانوا عاثوا في
 النواحي وتلصصوا . ثم شخص أبو الساج من بغداد لثلاث خلون من ربيع
 الأول ، ففرق أصحابه في طساسيج الفرات ، ونزل قصر ابن هبيرة ؛ ثم صار
 إلى الكوفة ، ووافى أبو أحمد سامراً منصوراً من معسكره^(١) إليها لإحدى

عشرة بقيت من المحرم ، فخلع المعتز عليه ستة أثواب وسيفاً ، وتزوج تاج ذهب بقلنسوة مجوهره ، ووُشَّح وشاحي ذهب بجوهر ، وقُلِّد سيفاً آخر مرصعاً بالجوهر ، وأجلس على كرسي ، وخلع على الوجوه من القواد .

* * *

[ذكر خبر قتل شريح الحبشي]

وفيه قتل شريح الحبشي ، وكان سبب ذلك أنه حين وقع الصلح ، هرب في عِدَّة من الحبشة ، فقطع الطريق فيما بين واسط وناحية الجبل والأدواز ، ونزل قرية من قرى أم المتوكل يقال لها ديري ، فنزل في خانها في خمسة عشر رجلاً ، فشرّبوا وسكروا ، فوثب عليهم أهل القرية فكتفّوهم ، وحملوهم إلى واسط ، إلى منصور بن نصر ، فحملهم منصور إلى بغداد ، فأنفذهم محمد ابن عبد الله إلى العسكر ، فلما وصلوا قام بايكباك إلى شريح . فوسّطه بالسيف وصُلِّب على خشبة بابك ، وضرب أصحابه بالسياط ما بين الخمسمائة إلى الألف .

١٦٥٨/٣

* * *

وفي شهر ربيع الآخر منها توفيّ عبيد الله بن يحيى بن خاقان في مدينة أبي جعفر .

* * *

[ذكر حال بُغا ووصيف]

وفيهما كتب المعتز إلى محمد بن عبد الله في إسقاط اسم بغا ووصيف ومن كان في رسمهما^(١) من الدواوين .

وذكر أن محمد بن أبي عون أحد قواد محمد بن عبد الله ناظره لما صار أبو أحمد إلى سامرا في قتل بُغا ووصيف ، فوعده أن يقتلها ، فبعث المعتز إلى محمد ابن عبد الله بلواء ، وعقد لمحمد بن أبي عون لواء على البصرة واليامة والبحرين ،

(١) س : « رسميهما » .

فكتب قومٌ من أصحاب بُغا ووصيف إليهما بذلك ، وحذروهما محمد بن عبد الله ؛ فركب وصيف وْبُغا إليه يوم الثلاثاء لحمس بقين من ربيع الأول ، فقال له بغا : بلَغنا أيها الأمير ما ضمنه ابن أبي عون من قتلنا ؛ والقوم قد غدروا وخالفوا ما فارقونا عليه ؛ والله لو أرادوا أن يقتلونا ما قدروا عليه . فحلف لهما أنه ما علم بشيء من ذلك ؛ وتكلم بُغا بكلام شديد ، ووصيف يكفُّه ، وقال وصيف : أيها الأمير ، قد غدر القوم ونحن نتمسك ونقعد في منازلنا حتى يحییء مَن يقتلنا ! وكانا دخلا مع جماعة ، ثم رجعا إلى منازلهما ، فجمعا جندهما ومواليهما ، وأخذوا في الاستعداد وشرى السلاح وتفرق الأموال في جيرانهما إلى سلخ ربيع . وكان وصيف وْبُغا عند قدوم قُرب ، وجهَّ إليهما محمد ابن عبد الله كاتبه محمد بن عيسى ، فأقبلا معه حتى صارا عند دار محمد بن عبد الله بقرب^(١) الجسر ، فلقيهما جعفر الكردي وابن خالد البرمكي ؛ فتعلق كل واحد منهما بلجام واحد منهما ، وقال لهما : إنما دُعيتما لتحملا إلى العسكر ؛ وقد أعد لكما لذلك قومٌ أولتقتلا ، فرجعا وجمعا جمعا ، وأجريا على كل رجل كل يوم درهين ؛ فأقاما في منزلهما .

وكان وصيف وجه أخته سعاد إلى المؤيد ، وكان المؤيد في حِجرها ، فأخرجت من قصر وصيف ألف ألف دينار كانت مدفونة فيه ؛ فدفعتها إلى المؤيد ؛ فكلَّم المؤيد المعتز في الرضا عن وصيف ؛ فكتب إليه بالرضا عنه ؛ فضرب مضاربه بباب الشماسية على أن يخرج ، وتكلم أبو أحمد ابن المتوكل في الرضا عن بغا ، فكتب إليه بالرضا . واضطرب أمرهما وهما مقيمان ببغداد .

ثم اجتمع على المعتز الأتراك فسألوه الأمر بإحضارهما ، وقالوا : هما كبيرانا ورئيسانا ؛ فكتب إليهما بذلك ، فجاء بالكتاب بايكباك في نحو من ثلثمائة رجل ؛ فأقام بالبردان ، ووجه إليهما الكتاب لسبع بقين من شهر رمضان من هذه السنة ؛ فكتب إلى محمد بن عبد الله بمنعهما ؛ فوجهها بكتابيهما أحمد

(١) ف : « عند » .

ابن صالح ودُّ ليل بن يعقوب إلى محمد بن عبد الله ليستأذناه ؛ فأتاهما جيش من الأتراك ، فقتلوا بالمصلّى ، وخرج وصيف وبُغَا وأولادهما وفرسانهما في نحو من أربعمائة إنسان ، وخلفا في دورهما الثَّقَل والعِيال ، ودعا أهل بغداد لهما ودعوا لهم .

١٦٦٠/٣

وقد كان ابن طاهر وجه محمد بن يحيى الواثقي وبندار الطبري إلى باب الشَّامِسيَّة وباب البردَّان ليمنعهما ، ومضيا من باب خراسان ، ونفذا ولم يعلم كاتباهما حتى قال محمد بن عبد الله لأحمد ودليل : ما صنع صاحبا كما ؟ فقال أحمد ابن صالح : خلفتُ وصيفاً في منزله . قال : فإنه قد شخص الساعة ، قال : ما علمتُ ؛ فلمّا صار إلى صامُراً بكّر أحمد بن إسرائيل يوم الأحد لتسع بقين من شوال من هذه السنة في السَّحَر إلى وصيف ، وأقام عنده مليّاً ، ثم انصرف إلى بُغَا ، فأقام عنده مليّاً ، ثم صار^(١) إلى الدَّار ، فاجتمع الموالي وسألوا ردتّهما إلى مراتبهما ، فأجيبوا إلى ذلك ، وبعث إليهما ، فحضرا ورتبا في مراتبهما التي كانت قبل مصيرهما إلى بغداد ، وأمر بردّ ضياعهما ، وخلع عليهما خلع المرتبة . ثم ركب المعتزّ إلى دار العامة ، وعقد لبُغَا ووصيف على أعمالهما وردّ ديوان البريد كما كان قبل إلى موسى بن بغا الكبير ، فقبل موسى ذلك .

* * *

[ذكر الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر]

وفي شهر رمضان من هذه السنة كانت وقعة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر ، ورئيس الجند يومئذ ابن الخليل . وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن المعتزّ كتب إلى محمد بن عبد الله في بيع غلّة طساسيج ضياع بادرويا وقُطْرُبُل ومَسْكِين وغيرها ، كلّ كُرّين^(٢) بالمعدّل بخمسة وثلاثين ديناراً من غلّة سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وكان المعتزّ ولّي بريد بغداد رجلاً يقال له صالح بن الهيثم ، وكان أخوه منقطعاً إلى أنامش أيام

١٦٦١/٣

(١) ف : « انصرف » . (٢) الكر : مكيال عند أهل العراق ، ستون قفراً .

المتوكل ، فارتفع أمرُ صالح هذا أيام المستعين ؛ وكان ممن أقام بسامراً ؛ وهو من أهل المخرم ، وكان أبوه حائكاً ثم صار يبيع الغزل ؛ ثم انتقل أخوه إليه لما ارتفع . فلما أقام ببغداد كُتِبَ إليه يُؤمر أن يقرأ الكتاب على قواد أهل بغداد كعتاب بن عتاب ومحمد بن يحيى الوائقي ومحمد بن هرثمة ومحمد بن رجاء وشعيب ابن عجيف ونظرانهم ، فقرأه عليهم ، فصاروا إلى محمد بن عبد الله ، فأخبروه ؛ فأمر محمد بن عبد الله فأجضر صالح بن الهيثم ، وقال : ما حملك على هذا بغير علمي ! وتهتده وأسمعه . وقال للقواد : انتظروا حتى أرى رأيي ، وأمركم بما أعزم عليه ، فانصرفوا من عنده على ذلك ، وشخص بعد ذلك ، واجتمع القروض والشاكرية والناتبة إلى باب محمد بن عبد الله يطلبون أرزاقهم لعشر خَلَوْنَ من شهر رمضان ؛ فأخبرهم أن كتاب الخليفة ورد عليه ، بجواب كتاب له كان كتب بمسألة أرزاق جند بغداد ، إن كنت فرضت القروض^(١) لنفسك ، فأعطهم أرزاقهم ؛ وإن كنت فرضت لنا فلا حاجة لنا فيهم . فلما ورد الكتاب عليه أخرج لهم بعد شغبتهم بيوم ألقي دينار ، فوُضعت لهم ثم سكتوا . ثم اجتمعوا لإحدى عشرة خلت من شهر رمضان ؛ ومعهم الأعلام والطبول ، وضربوا المضارب والحيم على باب حرب وباب الشماسية وغيرهما ، وبنوا بيوتاً من بوارى وقصب ، وباتوا ليلتهم . فلما أصبحوا كثر جمعهم ، وبيت ابن طاهر قوماً من خاصته في داره ، وأعطاهم درهماً درهماً ؛ فلما أصبحوا مضوا من داره إلى المشغبة ؛ فصاروا معهم . فجمع ابن طاهر جنده القادمين معه من خراسان ، وأعطاهم لشهرين ، وأعطى جند بغداد القلماء ؛ الفارس دينارين والراجل ديناراً ، وشحن داره بالرجال ؛ فلما كان يوم الجمعة اجتمع من المشغبة خلق كثير بباب حرب بالسلاح والأعلام والطبول ، ورئيسهم رجل يقال له عبدان بن الموفق ، ويكنى أبا القاسم ؛ وكان من أثبات عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان ديوان عبدان في ديوان وصيف ، فقلع ببغداد ، فباع داراً له بمائة ألف دينار ، فشخص إلى سامراً ؛ فلما وثبت الشاكرية بباب العامة كان معهم ، فضربه سعيد الحاجب خمسمائة سوط ، وجسه حبساً طويلاً ،

١٦٦٢/٣

ثم أطلق . فلما كان فتنه المستعين صار إلى بغداد ، وانضم إليه هؤلاء المشغبّة ، فحضّهم على الطلب بأرزاقهم^(١) وفائتهم ، وضمن لهم أن يكون لهم رأساً يدبّر أمرهم^(٢) . فأجابوه إلى ذلك ؛ فأنفق عليهم يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة نحواً من ثلاثين ديناراً فيما أقام لهم من الطعام ، ومن كانت لهم كفاية لم يحتج إلى نفقته ؛ فكان ينصرف إلى منزله ، فلما كان يوم الجمعة اجتمعت منهم جماعة كثيرة ، وعزموا على المصير إلى المدينة ليمضوا إلى الإمام فيمنعوه من الصلّاة والدعاء للمعتز ، فساروا على تعية في شارع باب حَرْب ؛ حتى انتهوا إلى باب المدينة في شارع باب الشام ، وجعل أبو القاسم هذا على كل درب يمرّ به قوماً من المشغبّة ، من بين راميح وصاحب سيف ليحفظوا الدروب ؛ كيلا يخرج منها أحد لقتالهم .

١٦٦٣/٣

ولما انتهى إلى باب المدينة دخل معهم المدينة جماعة كثيرة ، فصاروا بين البابين وبين الطائفت ، فأقاموا هناك ساعة ، ثم وجّهوا جماعة منهم يكونون نحواً من ثلثمائة رجل بالسلاح إلى رُحبة الجامع بالمدينة ؛ ودخل معهم من العامة خلّيق كثير ، فأقاموا في الرُحبة ، وصاروا إلى جعفر بن العباس الإمام ، فأعلموه أنهم لا يمنعون من الصلّاة ، وأنهم يمنعون من الدعاء للمعتز . فأعلمهم جعفر أنه مريض لا يقدر على الخروج إلى الصلّاة ، فانصرفوا عنه ، وصاروا إلى درب أسد بن مرزبان ، فشحنوا الشارع النافذ إلى درب الرقيق ، ووكلوا بباب درب سليمان بن أبي جعفر جماعة ، ثم مضوا يريدون الجسر في شارع الحمدآدين ، فوجّه إليهم ابن طاهر عدّة من قوّاده فيهم^(٣) الحسين بن إسماعيل والعباس ابن قارن وعليّ بن جهشيار وعبد الله بن الأفشين في جماعة من الفرسان ، فناظروهم ودفعوهم دفعاً رقيقاً ، وحمل عليهم الجند والشاكرية حملة جرحوا فيها جماعة من قوّاد ابن طاهر ، وأخذوا دابة ابن قارن وابن جهشيار ورجل من فرض عبيد الله بن يحيى من الشاميين يقال له سعد الضبابي ، وجرحوا المعروف بأبي السنا ، ودفعوهم عن الجسر حتى صيّروهم^(٤) إلى باب عمرو بن مسعدة .

١٦٦٤/٣

(٢) ف : «أمورهم» .

(٤) ف : «صار» .

(١) ف : «طلب الأرزاق» .

(٣) ف : «منهم» .

فلما رأى الذين بالجانب الشرق منهم أن أصحابهم قد أزالوا أصحاب ابن طاهر عن الجسر كبروا ، وحملوا يريدون العبور إلى أصحابهم ؛ وكان ابن طاهر قد أعد سفينة فيها شوك وقصب ليضرم فيها النار ، ويرسلها على الجسر الأعلى ؛ ففعل ذلك ، فأحرقت عامة سفنه وقطعته ؛ وصارت إلى الآخر ، فأدركها أهل الجانب الغربى ، ففروا وأطفئوا النار التى تعلقت بسفن الجسر . وعبر من الجانب الشرقى إلى الجانب الغربى خلق كثير ، ودفعوا أصحاب ابن طاهر عن ساباط عمرو بن مسعدة ، وصاروا إلى باب ابن طاهر ، وصار الشاكرية والجنند إلى ساباط عمرو بن مسعدة ، وقتل من الفريقين إلى الظهر نحو من عشرة نفر ، وصار جماعة من الغوغاء والعامة إلى المجلس الذى يعرف بمجلس الشرطة فى الجسر^(١) من الجانب الغربى إلى بيت يقال له بيت الرفوع ، فكسروا الباب ، وانتهبوا ما فيه ؛ وكان فيه أصناف من المتاع ، فاقتتلوا عليه فلم يتركوا فيه شيئاً^(٢) ، وكان كثيراً جليلاً . وأحرق ابن طاهر الجسرين لما رأى الجنند قد ظهروا على أصحابه ، وأمر بالخوانيت التى على باب الجسر التى تتصل بدرب سليمان أن تحرق بمنة ويسرة ، ففعل فاحترق فيها للتجار متاع كثير ، وتهدم حيطان مجلس صاحب الشرطة ؛ فلما ضربت الخوانيت بالنار حالت النار بين الفريقين ، وكبرت الجنند عند ذلك تكبيرة شديدة ؛ ثم انصرفوا إلى معسكرهم . وباب حرب ، وصار الحسين بن إسماعيل مع جماعة من القواد والشاكرية إلى باب الشام ، فوقف على التجار والعامة فوبخهم على معاونتهم الجنند ، وقال : هؤلاء قاتلوا على خبزهم وهم معذرون ؛ وأنتم جيران الأمير ومن يجب عليه نصرتة ، فلم فعلتم ما فعلتم ، وأعنتم الشاكرية عليه ورميت بالحجارة ، والأمير متحول عنكم ! ثم صار محمد بن أبى عون إليهم ، فقال لهم مثل ذلك ؛ وانصرف إلى ابن طاهر ؛ فكث الجنند المشتغبون فى مواضعهم ومعسكرهم ، وانضم إلى ابن طاهر جماعة من الأثبات وجمع جميع أصحابه ، فجعل بعضهم فى داره ، وبعضهم فى الشارع النافذ من الجسر إلى داره ، قد عبأهم تعبى الحرب ، حذاراً من كثرة الجنند عليه أياماً ؛ فلم يكن لهم عودة ؛ فصار فى بعض الأيام

(٢) بعدها فى ف : « إلا انتهب » .

(١) س : « الجسر » .

١٦٦٦/٣

التي كان من عودتهم ابنُ طاهر على وَجَلٍ^(١) - فيما ذكر - رجلاً من المشغبة استأمننا إليه ، فأخبراه^(٢) بعورة أصحابهما ، فأمر لهما بمائتي دينار ، ثم أمر الشاه بن ميكال والحسين بن إسماعيل بعد العشاء الآخرة بالمصير في جماعة من أصحابهما إلى باب حَرْبٍ ، فتَلَطَّفاً لأبي القاسم رئيس القوم وابن الخليل - وكان من أصحاب محمد بن أبي عون - فصاروا إلى ما هناك ؛ وكان أبو القاسم وابن الخليل قد صار كل واحد منهما عند مفارقة الرجلين اللذين صاروا إلى ابن طاهر ورجل آخر يقال له القُصَمَى ؛ وتفرق الشاكريّة عنهما إلى ناحية خوفاً على أنفسهما ، فضى الشاه والحسين في طلبهما حتى خرجا من باب الأنبار ، وتوجّها نحو جسر بطاطيا ، فدُكِرَ أن ابن الخليل استقبلهما قبل أن يصيرا إلى جسر بطاطيا ، فصاح بهما ابن الخليل وبمنَ معهما من هؤلاء ، وصاحوا به ؛ فلمّا عرفهم حمل عليهم ، فجرح منهم عدّة ، فأحلقوا به ، وصار في وسط القوم ، فطعنه رجل من أصحاب الشاه ، فرمى به إلى الأرض ، فبَسَّجَه على بن جهشيار بالسيف وهو في الأرض ، ثم حُمِلَ على بغل وبه زَمْقٌ ، فلم يصلوا به إلى ابن طاهر حتى قَتَصَ . وأمر الشاه بطرحه في كَنِيْفٍ في دهليز الدَّارِ إلى أن حُمِلَ إلى الجانب الشرقي ؛ وأما عبدان بن الموفق فإنه كان قد صار إلى منزله وإلى موضع اختفى فيه ، فدُلَّ عليه ، وأُخِذَ وحُمِلَ إلى ابن طاهر ، وتفرق الشاكريّة الذين كانوا بباب حرب ، وصاروا إلى منازلهم ، وقُبِدَ عبدان بن الموفق بقيدين فيهما ثلاثون رطلاً . ثم صار الحسين بن إسماعيل إلى الحبس الذي هو فيه في دار العامة ، وقعد على كرسيّ ، ودعا به ؛ فسأله : هل هو دسيس لأحد ، أو فعل ما فعل من قبَل نفسه ؟ فأخبره أنه لم يلصقه أحد ؛ وإنما هو رجل^(٣) من الشاكريّة طلب بخبزه . فرجع الحسين إلى ابن طاهر فأعلمه ذلك ، فخرج طاهر بن محمد وأخوه إلى دار العامة الداخلة ، فقعدا وأحضرا مَنَ بات في الدار من القواد والحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال ، وأحضرا عبدانَ ، فحمّله رجلاً ، فكان المخاطب له الحسين ، فقال : أنت رئيس القوم ؟ فقال : لا ؛ إنما أنا رجل منهم ؛ طلبت ما طلبوا ، فشتمه

١٦٦٧/٣

(٢) ف : « فاعلماه » .

(١) س. ف : « رجل » .

(٣) ف : « وأخبر أنما هو » .

الحسين ، وقال حرب بن محمد بن عبد الله بن حرب : كذبت ؛ بل أنت رئيس القوم ؛ وقد رأيناك تعبيهم بباب حرب وفي المدينة وباب الشام ، فقال : ما كنت لهم برأس ؛ وإنما أنا رجل منهم ؛ طلبت ما طلبوا ، فأعاد عليه الحسين الشتم ، وأمر بصفحه فصُفِّع ، وأمر بسحبه فسُحِبَ بقيوده إلى أن أخرج من الدار ، وشمته كلُّ مَنْ لحقه ، ودخل طاهر بن محمد إلى أبيه فأخبره خبره ، وحمل عبيدان على بغل ؛ ومُضِيَ به إلى الحبس^(١) ، وحمل ابن الخليل في زورق عُيِّرَ به إلى الجانب الشرقي ، وصلب ؛ وأمر بعبدان فجرَّد وضرب مائة سوط بئارها . وأراد الحسين قتله ، فقال لمحمد بن نصر : ما ترى في ضربه خمسين سوطاً على خاصرته ؟ فقال له محمد : هذا شهر عظيم ؛ ولا يحلّ لك أن تصنع به هذا ؛ فأمر به فصُلِبَ حيّاً ، وحُمِلَ على سلّم حتى صُلِبَ على الجسر ، وربط بالحبال ، فاستسقى بعد ما صُلِبَ ، فنفعه الحسين فقبل له : إن شرب الماء مات ، قال : فاستسقى إذا ؛ فسقوه ، فتُرك مصلوباً إلى وقت العصر ، ثم حُبِسَ ؛ فلم يزل في الحبس يومين ثم مات اليوم الثالث مع الظهر ؛ وأمر بصلبه على الخشبة التي كان صُلِبَ عليها ابن الخليل ، ودُفِعَ ابن الخليل إلى أوليائه فدُفِنَ .

* * *

[ذكر الخبر عن خلع المؤيد ثم موته]

وفي رجب من هذه السنة خَلَعَ المعتز المؤيد أخاه من ولاية العهد بعده .
* ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه :

كان السبب في ذلك — فيما بلغنا — أن العلاء بن أحمد عامل إرمينية بعث إلى إبراهيم المؤيد بخمسة آلاف دينار ليصلح بها أمره ، فبعث ابن فرخان شاه إليه ، فأخذها ، فأغرى المؤيد الأتراك يعيسى بن فرخان شاه ، وخالفهم المغاربة ، فبعث المعتز إلى أخويه : المؤيد وأبي أحمد ؛ فحبسهما في الجوسق ، وقيد المؤيد وصيره في حجرة ضيقة ، وأدرّ العطاء للأتراك والمغاربة ، وحبس كنجور حاجب المؤيد ، وضربه خمسين مفرقة ، وضرب خليفته أبا الهول خمسمائة

(١) س : « الجسر » .

سَوَّطَ وَطُوفَ بِهِ عَلَى جَمَلٍ ، ثُمَّ رَضِيَ عَنْهُ وَعَنْ كَسَنَجُورٍ ، فَصُرِفَ إِلَى مَنْزِلِهِ . ١٦٦٩/٣

وقد ذكر أنه ضرب أخاه المؤيد أربعين مفرقة ، ثم خُلِعَ^(١) بِسَامَرَا يوم الجمعة لسبع خلون من رجب ، وخُلِعَ بِبَغْدَاد يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من رجب ، وأُخِذَت رَقْعَةٌ بِخَطِّهِ بِخُلْعِ نَفْسِهِ .
ولست بقين من رجب من هذه السنة — وقيل لثمان بقين منه — كانت وفاة إبراهيم بن جعفر المعروف بالمؤيد .

* ذكر الخبر عن مسبب وفاته :

ذكر أن امرأة من نساء الأتراك جاءت محمد بن راشد المغربي ، فأخبرته أن الأتراك يريدون إخراج إبراهيم المؤيد من الحبس ؛ وركب محمد بن راشد إلى المعتز ، فأعلمه ذلك ، فدعا بموسى بن بُغَا ، فسأله فأنكر ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنما أرادوا أن يخرجوا أبا أحمد بن المتوكل لأنسوم به كان في الحرب التي كانت ، وأما المؤيد فلا . فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب دعا بالقضاة والفقهاء والشهود والوجوه ، فأخرج إليهم إبراهيم المؤيد ميتاً لا أثر به^(٢) ولا جرح ؛ وحمل إلى أمه إسحاق — وهي أم أبي أحمد — على حمار ، وحمل معه كفن وحنوط وأمر بدفنه ، وحول أبو أحمد إلى الحجرة التي كان فيها المؤيد .

وذكر أن المؤيد أدرج في لحاف سمور ، ثم أمسك طرفاه حتى مات .

وقيل : إنه أقمع في حَجَرٍ من ثلج ، ونضدت عليه حجارة الثلج فمات برداً .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل المستعين]

وفي شوال منها قتل أحمد بن محمد المستعين .

* ذكر الخبر عن قتله :

ذكر أن المعتز لما همَّ بقتل المستعين ، ورد كتابه على محمد بن عبد الله

(١) ف : « خلعه » . (٢) ف : « فيه » .

ابن طاهر بنكبته ، وأمره بتوجيه أصحاب معاونه في الطسّاسيج ، ثم ورد عليه منه بعد ذلك كتاب مع خادم يدعى سيبا ، يؤمّر فيه بالكتاب إلى منصور ابن نصر بن حمزة - وهو على واسط - بتسليم المستعين إليه ؛ وكان المستعين بها مقيماً ، وكان الموكل به ابن أبي خميصه وابن المظفر بن ميسل ومنصور ابن نصر بن حمزة وصاحب البريد ؛ فكتب محمد في تسليم المستعين إليه ، ثم وجهه - فيما قيل - أحمد بن طولون التركي في جيش ، فأخرج المستعين لست بقين من شهر رمضان ، فوافي به القاطول لثلاث خلون من شوال .
وقيل إن أحمد بن طولون كان موكّلاً بالمستعين ، فوجهه سعيد بن صالح إلى المستعين في حمّله ، فصار إليه سعيد فحمّله .

وقيل إن سعيداً إنما تسلّم المستعين من ابن طولون في القاطول بعد ما صار به ابن طولون إليها ، ثم اختلف في أمرهما ، فقال بعضهم : قتله سعيد بالقاطول ؛ فلمّا كان غد اليوم الذي قتله فيه أحضر جواريه وقال : انظرون إلى مولاكنّ قد مات ، وقد قال بعضهم : بل أدخله سعيد وابن طولون سامراً ، ثم صار به سعيد إلى منزل له فعذّبه حتى مات .

وقيل : بل ركب معه في زورق ومعه عدّة حتى حاذى به فمُ دجّيل ، ١٦٧١/٣ ، وشدّ في رجله حجراً ، وألقاه في الماء .

وذُكر عن متطبّب كان مع المستعين نصرانيّ يقال له فضلان ، أنه قال : كنتُ معه حين حمل ، وأنه أخذ به على طريق سامراً ، فلما انتهى إلى نهر نظر إلى موكب^(١) وأعلام وجماعة ، فقال لفضلان : تقلم فانظر منّ هذا ؛ فإن كان سعيداً فقد ذهب نفسي ؛ قال فضلان . فتقدّمت إلى أوّل الجيش ، فسألته فقالوا : سعيد الحاجب ، فرجعت إليه فأعلمته - وكان في قبّة تعادله امرأة - فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ذهب نفسي والله ! وتأخرت عنه قليلاً .

(١) س : « مركب » .

قال : فلقِيَه أوَّل الجِيش ، فأقاموا عليه وأنزلوه ودابته ^(١) ، فضرَبوه ضربةً بالسيف ، فصاح وصاحت دابته ، ثم قُتِل ؛ فلما قُتِل انصرف الجِيش .

قال : فصرت ^(٢) إلى الموضع ؛ فإذا هو مقتول في سراويل بلا رأس ؛ وإذا المرأة مقتولة ، وبها عدة ضربات ، فطرحنا عليهما ^(٣) نحن تراب النهر ^(٤) حتى واريئاهما ، ثم انصرفنا .

قال : وأتَيْتِ المعتزَ برأسه وهو يلعب بالشطرنج ؛ فقيل : هذا رأس المخلوع فقال : ضعه هنالك ، ثم فرغ من لعبه ، ودعا به فنظر إليه ، ثم أمر بلفته ، وأمر لسعيد بخمسين ^(٥) ألف درهم ووُلِّي معونة البصرة .

وذكر عن بعض غلمان المستعين أن سعيداً لما استقبله أنزله ، ووكل به رجلاً من الأتراك بقتله ، فسأله ، أن يمهل حتى يُصَلِّيَ ^(٥) ركعتين ؛ وكانت عليه جبة ، فسأل سعيد التركي الموكل بقتله أن يطلبها منه قبل قتله ، ففعل ذلك ، فلما سجد في الركعة الثانية قتله واحتزَّ رأسه ، وأمر بلفته ، ونحى مكانه .

١٦٧٢/٣

وقال محمد بن مروان بن أبي الحسنوب بن مروان بن أبي حفصة في أمر المؤيد ، ويمدح المعتز :

أنت الذي يُمسك الدنيا إذا اضطربت يا مُمسكَ الدين والدنيا إذا اضطربا
إنَّ الرعيَّة - أبَقاك الإله لها - ترَجُّو بِعَدْلِكَ أن تبقى لها حِقَباً
لَقَدْ عُنِيَتْ بحربٍ غيرِ هَيْئَةٍ وكان عودُكَ نَبْعاً لم يكن غرباً
ما كنتَ أوَّلَ رأسٍ خانَهُ ذَنْبٌ والرأس كنتَ وكان الناكثُ الذنباً
لو كانَ تَمَّ له ما كانَ دَبْرُهُ لأَصْبَحَ المُلْكُ والإسلامُ قد ذَهَباً
أراد يَهْلِكُ دُنْيانا وَيُعْطِبُها ^(٦) وَقَدْ أَرَادَ هَلَاكَ الدين والعطبا

(٢) ف : « فنظرت » .

(٤) س : « بخمسة آلاف » .

(٦) س : « وهلكها » .

(١) س : « عن دابته » .

(٣-٢) ف : « التراب » .

(٥) س : « أن يصلي » .

لَمَّا أَرَادَ وَثُوبًا مِنْ سَفَاهَتِهِ
لَقَدْ رَمَاكَ بِسَهْمٍ لَمْ يُصِيبْكَ بِهِ
لَقَدْ رَعَيْتَ لَهُ مَا كَانَ مِنْ سَبَبٍ
كَحُسْنِ فَعْلِكَ لَمْ يَفْعَلْ أَخٌ بِأَخٍ
قَدْ كُنْتَ مُشْتَغَلًا بِالْحَرْبِ ذَاتَعَبٍ
قَدْ كَانَ يَا ذَا النَّدَى يُعْطَى بِلا طَلِبٍ
وَكُنْتَ أَكْثَرَ بَرًّا مِنْ أَبِيهِ بِهِ
وَكَانَ قُرْبَ سَرِيرِ الْمَلِكِ مَجْلِسُهُ
وَكَانَ فِي نِعَمٍ زَالَتْ وَكَانَ لَهُ
أَمْسَى وَحِيدًا وَقَدْ كَانَتْ مَوَاكِبُهُ (١)
أَيْنَ الصُّفُوفِ الَّتِي كَانَتْ تَقُومُ لَهُ
وَذُلٌّ بَعْدَ تَعَادِيهِ وَنَخْوَتِهِ
وَقَدْ فَسَخَتْ عَنِ الْأَعْنَاقِ بَيْعَتَهُ
لَقَبْتُهُ لَقَبًا مِنْ بَعْدِ إِمْرَتِهِ
كَسَوْتُهُ ثَوْبَ عَزٍّ فَاسْتَهَانَ بِهِ
كَمْ نِعْمَةٍ لَكَ فِيهَا كُنْتَ تَشْرُكُهُ (٢)
شَبَّهْتُهُ بِسَرَاجٍ كَانَ ذَا لَهَبٍ
أَمْسَتْ قَطِيعَةُ إِبْرَاهِيمَ قَدْ قَطَعَتْ
وَمَا تَوَاخَذَ يَا حِلَافَ النَّدَى أَحَدًا
إِنِّي بِلَدْحِ بَنِي الْعَبَّاسِ ذُو حَسَبٍ

(١) ف : « الناس » .

(٣) س : « مراكبه » .

(٢) ف : « ولا نسبا » .

(٤) س : « فيها كنت تشركه » .

أَمْسَى عَلَيْهِ إِمَامُ الْعَدْلِ قَدُوثِيًّا (١)
وَمِنْ رَمَاكَ عَلَيْهِ سَهْمُهُ انْقَلَبَا
فَمَا رَعَى لَكَ إِحْسَانًا وَلَا سَبَبًا (٢)
كُنَّا لِذَلِكَ شُهَدَاً لَمْ نَكُنْ غَيْبًا
وَكَانَ يَلْعَبُ مَا كَلَّفْتُهُ تَعَا
وَكُنْتَ يَا ذَا النَّدَى تَعْطِيهِ مَا طَلِبَا
وَلَمْ تَكُنْ بِأَخٍ فِي الْبِرِّ، كُنْتَ أَبَا
فَقَدْ تَبَاعَدَ مِنْهُ بَعْدَ مَا اقْتَرَبَا
بَابٌ يُزَارُ فَأَمْسَى الْيَوْمَ مُخْتَجِبًا
عَشْرِينَ أَلْفًا تَرَاهُمْ خَلْفَهُ عَصَبَا
كَمَا يَقُومُ إِذَا مَا جَاءَ أَوْ ذَهَبَا
كَالْحَوْتِ أَصْبَحَ عَنْهُ الْمَاءُ قَدْ نَضَبَا
فَلَا خَطِيبَ لَهُ يَدْعُو إِذَا اخْتَطَبَا
وَاللَّهُ بَدَلُهُ بِالْأَمْرِ وَاللَّغْبَا
وَلَمْ يَضُنَّهُ فَأَمْسَى عَنْهُ مُغْتَضِبَا
وَاللَّهُ أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِمَا اكْتَسَبَا
فَمَا تَرَكْتَ لَهُ نُورًا وَلَا لَهَبَا
حَبِلَ الصَّفَاءُ وَحَبِلَ الْوُدُّ فَانْقَضَبَا
حَتَّى تُبَيِّنَ فِيهِ التُّكْنُثَ وَالرِّيْبَا
وَكَانَ مَذْحِ بَنِي الْعَبَّاسِ لِي حَسَبَا

إِنَّ التَّقَى يَا بَنِي الْعَبَّاسِ أَدَبِكُمْ حَتَّى اسْتَفَادَتْ قُرَيْشٌ مِنْكُمْ الْأَدَبَا
مَنْ كَانَ مُقْتَضِباً فِي حَوْلٍ مَدْحَكُمْ فَلَسْتُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ مُقْتَضِباً

* * *

[أمر المعتز مع أهل بغداد]

ذكر عن أبي عبد الرحمن الفاني أن فتى من أهل سامراء أملى عليه
مما عمله بعض أهلها عن ألسن الأتراك أن المعتز لما أفضت إليه الخلافة، وقلده
الله القيام بأمر عباده في المشارق والمغارب، والبر والبحر، والبدو والحضر،
والسهل والجبل؛ تأتم بسوء اختيار أهل بغداد وفتنتهم؛ فأمر المعتز بالله بإحضار
جماعة ممن صفت أذهانهم، ورقت طبائعهم^(١)، ولطف ظنهم، وصحت
نحائزهم، وجادت غرائزهم، وكملت عقولهم بالمشورة، فقال أمير المؤمنين:
أما تنظرون إلى هذه العصاة التي ذاع نفاقهم، وغار شأوهم؛ الهمسج الطغام،
والأوغاد الذين لا مسكة بهم، ولا اختيار لهم، ولا تمييز معهم؛ قد زين
لهم تفحيم الخطأ سوء أعمالهم، فهم الأقلون وإن كثروا. والمدمومون إن ذكروا؛
وقد علمت أنه لا يصلح لقود الجيوش وسد الثغور وإبرام الأمور وتبدير الأقاليم
إلا رجل قد تكاملت فيه خلال أربع حزم يقبف به عند موارد الأمور
حقائق مصادرها، وعلم يحجزه عن التهور والتغبر في الأشياء إلا مع إمكان
فرصتها، وشجاعة لا ينقصها الملمات مع تواتر حوائجها، وجود يهون به
تبذير جلائل الأموال عند سؤلها. وأما الثلاث: فسرعة مكافأة الإحسان إلى
صالح الأعوان، وثقل الوظة على أهل الزيف والعدوان، والاستعداد للحوادث؛
إذ لا تؤمن من نوائب الزمان. وأما الاثنان؛ فإسقاط الحاجب عن الرعية،
والحكم بين القوى والضعيف بالسوية. وأما الواحدة فالتيقظ في الأمور مع علم
تأخير عمل اليوم لغد؛ فما ترون؛ وقد اخترت رجالاً^(٢) لهم من موالى، أحلهم
شديد الشكيمة، ماضى العزيمة؛ لا تبطره السراء، ولا تدهشه الضراء،
لا يهاب ما وراءه، ولا يهوله ما تلقاه، وهو كالحريش في أصل السلام^(٣)؛ إن

١٦٧٦/٣

١٦٧٧/٣

(٢) ف: «لهم رجال».

(١) ف: «طبايعهم».

(٣) الحريش: نوع من الحيات أرقم، والسلام: الحجارة الصلبة.

حُرِّكَ حمل ، وإن نهش قتل ؛ عُدَّتْهُ عَتِيلَةٌ ، ونَقَمَتْهُ شَدِيدَةٌ ، يَلْقَى الجَيْشَ
فِي النَفَرِ القَلِيلِ العَدَدِ بقلْبٍ أَشَدَّ من الحديد . طَالِبٌ لِلثَّارِ ، لَا يَقِلُّ العَسَاكِرُ ،
بِاسِلُ البَأْسِ ، مُقْتَضِبُ الأنْفَاسِ لَا يَعُوزُهُ ^(١) مَا طَلَبَ ، وَلَا يَفُوتُهُ من هَرَبٍ ؛
وَارِي الزَّنَادِ ، مُطَّلِعُ العِمَادِ ، لَا تُشْهِرُهُ الرِّغَائِبُ ، وَلَا تُعْجِزُهُ النَوَائِبُ ؛ إِنْ
وَلَّى كَفَى ، وَإِنْ وَعَدَ وَفَّى ، وَإِنْ نَازَلَ فَبَطَلَ ، وَإِنْ قَالَ فَعَلَ ، ظِلَّمَهُ لَوْلِيهِ
ظَلِيلٌ ، وبَأْسُهُ فِي الهِيَاجِ عَلَيْهِ دَلِيلٌ ؛ يَفُوقُ مَنْ سَامَاهُ ، وَيُعْجِزُ مَنْ نَاوَاهُ ،
وَيُسْتَعَبُ مَنْ جَارَاهُ ، وَيَنْعَشُ مَنْ وَالَاهُ .

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ من القَوْمِ ، فَقَالَ : قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَضَائِلَ
الْأَدَبِ ، وَخَصَّصَكَ بِإِرْثِ النُّبُوَّةِ ، وَأَلْقَى إِلَيْكَ أَرْزَمَةَ الْحِكْمَةِ ، وَوَفَّرَ نَصِييَكَ من
حِبَاءِ الْكِرَامَةِ ؛ وَفَسَّحَ لَكَ فِي الفَتَاهِمِ ، وَنَوَّرَ قَلْبَكَ بِأَنْفَاسِ الْعُلُومِ وَصَفَاءِ الذَّهْنِ ؛
فَأَقْصَحَ عَنِ الْقَلْبِ الْبَيَانَ ، وَأَدْرَكَ فَهْمَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَاللَّهِ خَبْرٌ عَلَى مَنْ لَمْ
يُحِبَّ بِمَا حُبِّيَتْ مِنَ الْمَنِّ الْعِظَامِ ، وَالْأَيَادِي الْجَسَامِ ، وَالْفَضَائِلَ الْحَمُودَةَ ، ١٦٧٨/٣
وَشَرَفَ الطَّبَاعِ . فَتَطَلَّعْتَ الْحِكْمَةَ عَلَى لِسَانِكَ ، فَمَا ظَنَنْتَهُ فَهُوَ صَوَابٌ ، وَمَا
فَهِمَّتَهُ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يِعَابَ ، وَأَنْتَ وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسِيحٌ وَحْدَهُ ،
وَقَرِيعَ دَهْرِهِ ، لَا يَبْلُغُ كَلِيَّةَ فَضْلِهِ الْوَصْفُ ، وَلَا يَحْصُرُ أَجْزَاءُ شَرَفِ
فَضْلِهِ النِّعَتُ .

ثُمَّ أَمَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَقْدِ لِانْتِصَارِهِ عَلَى النُّوَاحِي ، وَأَطْلَقَهُمْ فِي أَشْعَارِ
أَعْدَائِهِمْ وَأَبْشَارِهِمْ وَدِمَائِهِمْ . فَلَمَّا بَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي النُّوَاحِي
أَنْشَأَ كِتَابًا نَسَخْتَهُ :

أَمَّا بَعْدُ فَلِإِنَّ زَيْغَ الْهَوَى صَدَفَ بِكُمْ عَنْ حَزْمِ الرَّأْيِ ، فَأَقْحَمَكُمْ حَبَائِلَ
الْخَطَا ، وَلَوْ مَلَكْتُمْ الْحَقَّ عَلَيْكُمْ ، وَحَكَمْتُمْ بِهِ فِيكُمْ لِأَوْرَدَكُمْ الْبَصِيرَةَ ، وَنَفَى
عَنْكُمْ غِيَاةَ ^(٢) الْخَيْرَةِ . وَالْآنَ فَلِإِنْ تَجَنَّحُوا لِلْسَّلَامِ تَحَقَّنُوا دِمَاءَكُمْ ، وَتَرَخَّدُوا
عَيْشَكُمْ ، وَيَصْفَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ جَرِيرَةِ جَارِمِكُمْ ؛ وَأَخْلَتِي لَكُمْ ذِرْوَةَ مَسْبُوغِ
النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ مَضَيْتُمْ عَلَى غُلَّتَائِكُمْ ، وَسَوَّلَ لَكُمْ الْأَمَلُ أَسْوَأَ أَعْمَالِكُمْ ،
فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، بَعْدَ نَسْبِذِ الْمَعْذَرَةِ إِلَيْكُمْ ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ ،

(١) ط : « يعوزه » تحريف الإنسان .

(٢) ط : « غيابة » ، تحريف ، والغياية : كل شيء أظلم الإنسان .

ولئن شئت الغارات ، وشبّ ضُرام الحرب ، ودارت رحاها على قطبها ، وحسنت الصوارم أوصال حُماتها^(١) ، واستجرت العوالى منّ نهمها ، ودُعيت نزال ، والتحم الأبطال ، وكلحت الحرب عن أنيابها أشداقها ، وألقت للتجرد عنها قِنَاعها ، واختلقت أعناق الخيل ، وزحف أهل النجعة إلى أهل البنى ، لتعلمنّ أى الفريقين أسمح بالموت نفساً ، وأشدّ عند اللقاء بطشاً ، ولات حين معذرة ، ولا قبول فدية ! وقد أعذر منّ أنذر ؛ وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون !

فبلغ كتاب محمد بن عبد الله الأتراك ، فكتبوا جواب كتابه :

إن شخص الباطل تصوّر لك في صورة الحقّ ، فتخيّل لك الغيّ رشدًا كسراب بقية يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ولو راجعت عزوب^(٢) عقلك أنار لك برهان البصيرة ، وحسم عنك موادّ الشبهة ؛ لكن حصّت عن سنة الحقيقة ، ونكصت على عقبيك لِمَا ملك طباعك من دواعي الخيرة ؛ فكنت في الإصغاء لهتافه والتجرد إلى وروده كالذى استهوته الشياطين في الأرض حيران . ولعمرك يا محمد ؛ لقد وردّ وعدك لنا ووعدك إيانا ، فلم يُلنّنا منك ، ولم يثتنا عنك ، إذ كان فحصّ اليقين قد كشف عن مكنون ضميرك ، وألّفاك كالمكتفى بالبرق نهجاً ؛ إذا أضاء له مشى فيه ، وإذا أظلم عليه قام . ولعمرك لئن اشتدّ في البغي شأوك ، ومتعت بصُبابة^(٣) من الأمل ليكون أمرك عليك غمة ؛ ولتأتينك بجنود لا قبل لك بها ، ولتُخرجنك منها ذليلاً ، وأنت من الصاغرين . ولولا انتظارنا كتاب أمير المؤمنين بإعلامنا ما نعمل في شاكلته ، بلغنا بالسيّاط النياط ، وغمدنا السيوف وهي كآلة ، وجعلنا عاليها سافلها ، وجعلناها مأوى الظلمان والحيات والبوم ؛ وقد ناديتك من كُتب ، وأسمعناك إن كنت حيّاً ، فإن تجب تفلح ، وإن تأب إلا غيّا نخزك به ، وعمّا قليل لتصبحنّ نادمين .

* * *

(١) ف : « أوصال حياتها » .

(٢) ط : « غروب » ، تحريف .

(٣) ط : « بصّابة » ، تحريف .

[وقوع الفتنة بين الأتراك والمغاربة]

وفي أولِ يَوْمٍ من رجب من هذه السنة كانت بين المغاربة والأتراك ملحمة ؛ وذلك أن المغاربة اجتمعت فيه مع محمد بن راشد ونصر بن سعيد ؛ فغلبوا الأتراك على الجوسق ، وأخرجوهم منه ، وقالوا لهم : في كل يوم تقتلون خليفة ، وتخلعون آخر ، وتقتلون وزيراً ! وكانوا قد وثبوا على عيسى بن فرخان شاه ؛ فتناولوه بالضرب ، وأخذوا دوابه . ولما أخرجت المغاربة الأتراك من الجوسق ، وغلبوهم على بيت المال ، أخذوا خمسين دابة مما كان الأتراك يركبونها ؛ فاجتمع الأتراك ، وأرسلوا إلى من بالكرخ والدور منوم ، فلاقوا هم والمغاربة ، فقتل من المغاربة رجلاً ، فأخذت المغاربة قاتله ، وأعانت المغاربة الغوغاء والشاكريّة ، فضعف الأتراك ، وانقادوا للمغاربة . فأصلح جعفر بن عبد الواحد بين الفريقين ، فاصطلحوا على ألا يُحْدِثُوا شيئاً ، ويكون في كل موضع يكون فيه رجل من قبيل أحد الفريقين يكون فيه آخر من الفريق الآخر ؛ ففكثوا على ذلك مُدَّة .

وبلغ الأتراك اجتماع المغاربة إلى محمد بن راشد ونصر بن سعيد ، واجتمع الأتراك إلى بايكباك ، فقالوا : نطلب هذين الرأسين ؛ فإن ظفرنا بهما فلا أحد ينطق ؛ وكان محمد بن راشد ونصر بن سعيد قد اجتمعا في صدر اليوم الذي عزم الأتراك فيه على الوثوب بهما ، ثم انصرفا إلى منازلهما ، فبلغهما أن بايكباك قد صار إلى منزل ابن راشد ، فعدل محمد بن راشد ونصر بن سعيد إلى منزل محمد بن عزون ليكونا عنده حتى يسكن الأتراك ، ثم يرجعا إلى جمعهما ، فغمز إلى بايكباك رجلاً ، ودله عليهما . وقيل إن ابن عزون هو الذي دس من دل بايكباك والأتراك عليهما ؛ فأخذهما الأتراك فقتلوهما ؛ فبلغ ذلك المعتز ، فأراد قتل ابن عزون ، فكلّم فيه فنفاه إلى بغداد .

* * *

[ذكر خبر حمل الطالبيين من بغداد إلى سامرا]

وفيها حمل محمد بن علي بن خلف العطار وجماعة من الطالبيين من بغداد إلى سامرا ، فيهم أبو أحمد محمد بن جعفر بن حسن بن جعفر بن حسن بن

حسن بن عليّ بن أبي طالب، وحمل معهم أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى وذلك لثمانٍ خلون من شعبان منها .

* ذكر السبب في حملهم :

وكان السبب — فيما ذكر — أن رجلا من الطالبين شخص من بغداد في جماعة من الجيشية والشاكرية إلى ناحية الكوفة، وكانت الكوفة وسوادها من عمل أبي الساج في تلك الأيام ؛ وكان مقيماً ببغداد لمناظرة ابن طاهر إياه في الخروج إلى الرى ، فلما بلغ ابن طاهر خبر الطالبى الشاخص من بغداد إلى ناحية الكوفة ، أمر أبا الساج بالشخص إلى عمله بالكوفة ، فقدّم أبو الساج خليفته عبد الرحمن إلى الكوفة ، فلقى أبا الساج أبو هاشم الجعفرى مع جماعة معه من الطالبين ببغداد ، فكلّموه في أمر الطالبى الشاخص إلى الكوفة ، فقال لهم أبو الساج : قولوا له يتنحى عنى ، ولا أراه . فلما صار عبد الرحمن خليفته أبى الساج إلى الكوفة ودخلها رُمى^(١) بالحجارة حتى صار إلى المسجد ، فظنّوا أنه جاء لحرب العلوى ، فقال لهم : إني لست بعامل ؛ إنما أنا رجل وجهت لحرب الأعراب ، فكفّوا عنه ؛ وأقام بالكوفة . وكان أبو أحمد محمد بن جعفر الطالبى الذى ذكرت أنه حمل من الطالبين إلى سامراء كان المعتزّ ولأه الكوفة بعد ما هزم مزاحم بن خاقان العلوى الذى كان وجه لقتاله بها الذى قد مضى ذكره قبل في موضعه ، فعاث — فيما ذكر — أبو أحمد هذا في نواحي الكوفة وأذى الناس ، وأخذ أموالهم وضياعهم . فلما أقام خليفة أبى الساج بالكوفة لطف لأبى أحمد العلوى هذا وآنسه حتى خالطه في المزاكلة والمشاركة ، ودخله . ثم خرج متنزّهاً معه إلى بستان من بساتين الكوفة ، فأمسى وقد عي له عبد الرحمن أصحابه ، فقيّده وحمله مقيّداً بالليل على بغال الدخول ؛ حتى ورد به بغداد في أول شهر ربيع الآخر ، فلما أتى به محمد بن عبد الله حبسه عنده ، ثم أخذ منه كفيلاً وأطلقه ، ووجدت مع ابن أخ محمد بن عليّ بن خلف العطار كُتّب من الحسن بن زيد ؛ فكتب بخبره إلى المعتزّ ، فورد الكتاب بحمله مع عتّاب بن عتّاب ، وحمل هؤلاء الطالبين ، فحملوا جميعاً

١٦٨٣/٣

(٢) داخله : راوغه وخادعه .

(١) ف : « فدخلها ورى » .

مع خمسين فارساً ، وحمل أبو أحمد هذا وأبو هاشم الجعفرى وعلى بن عبيد الله ابن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن بن علي بن أبي طالب . ١٦٨٤/٣
وتحدث الناس في علي بن عبيد الله أنه إنما استأذن في المصير إلى منزله بسامراً ، فأذن له ووصله — فيما قيل — محمد بن عبد الله بألف درهم ؛ لأنه شكاً إليه ضيقه ، وودّع أبو هاشم أهله .

وقيل إن سبب حمل أبي هاشم ، إنما كان ابن الكردية وعبد الله بن داود بن عيسى بن موسى قالوا للمعتز : إنك إن كتبت إلى محمد بن عبد الله في حمّل داود بن القاسم لم يحمله ، فاكتب إليه ، وأعلمه أنك تريد توجيهه إلى طبرستان لإصلاح أمرها^(١) ، فإذا صار إليك رأيت فيه رأيك ؛ فحمّل على هذا السبيل ولم يُعرض له بمكره .

* * *

وفيها ولّى الحسن بن أبي الشوارب قضاء القضاة ؛ وكان محمد بن عمران الضبي مؤدّب المعتز قد سمي رجالاً للمعتز للقضاء نحو ثمانية رجال ؛ فيهم الخلنجي والخصاف ، وكتب كتبهم ، فوقع فيه شفيح الخادم ومحمد بن إبراهيم بن الكردية وعبد السميع بن هارون بن سليمان بن أبي جعفر ، وقالوا : إنهم من أصحاب ابن أبي دؤاد ، وهم رافضة^(٢) وقد رية وزيدية وجهمية^(٣) . فأمر المعتز بطردهم^(٤) وإخراجهم إلى بغداد ، ووثب العامة بالخصاف ، وخرج الآخرون إلى بغداد ، وعزل الضبي إلا عن المظالم .

وذكر أن أرزاق الأتراك والمغاربة والشاكرية قدّرت في هذه السنة ، فكان ١٦٨٥/٣ مبلغ ما يحتاجون إليه في السنة مائتي ألف ألف دينار ، وذلك^(٥) خراج المملكة كلها لستين .

* * *

وفيها توجه أبو الساج إلى طريق مكة ، وكان سبب ذلك — فيما ذكر — أن وصيفاً لمّا صلح أمره ، ودفع المعتز إليه خاتمه كتب إلى أبي الساج يأمره

(٢-٢) ف : « قد رية جهمية » .

(٤) س : « وكذلك » .

(١) ف : « أهلها » .

(٣) بعدها في ف : « من المسكر » .

بالخروج إلى طريق مكة ليصلحه ، ووجه إليه من المال ما يحتاج إليه ؛ فأخذ في الجهاز ؛ فكتب محمد بن عبد الله يسأل أن يصير طريق مكة إليه ؛ فأجيب إلى ذلك ، فوجه أبا الساج من قبيله .

وفي أوّل ذي الحجة عقد لعيسى بن الشيخ بن السليل على الرملة ، فأفند خليفته أبا المغراء إليها ، فقيل : إنه أعطى بئها أربعين ألف دينار على ذلك ، أو ضمنها إليه .

وفيها كتب وصيفاً إلى عبد العزيز بن أبي دلف بتوليته الجبل ، وبعث إليه بخيل ، فتولّى ذلك من قبيله .

وفيها قتل محمد بن عمرو الشاري بديار ربيعة ؛ قتله خليفة لأيوب بن أحمد في ذي القعدة .

وفيها سخط على كنجور ، وأمر بحبسه في الجوسق ، ثم حمّل إلى بغداد مقيداً ، ثم وجه به إلى اليمامة فحبس هنالك .

وفيها أغار ابن جُستّان صاحب الديلم مع أحمد بن عيسى العلويّ والحسين^(١) ابن أحمد الكوكبيّ على الرّيّ فقتلوا وسبوا ، وكان ما بها حين قصدها عبد الله ابن عزيز ، فهرب منها ؛ فصالحهم أهل الرّيّ على ألفي درهم ، فأدّوها ، وارتحل عنها ابن جُستّان ، وعاد إليها ابنُ عزيز ، فأمر أحمد بن عيسى وبعث به إلى نيسابور .

١٦٨٦/٣

وفيها مات إسماعيل بن يوسف الطالبيّ الذي كان فعل بمكة ما فعل .
وحجّ فيها بالناس محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور من قبل المعتز .

(١) ط : « الحسن » ؛ وهو الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الكوكبي .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من عقد المعتز في اليوم الرابع من رجب لموسى بن بَغَا الكبير على الجبل ، ومعه من الجيش يومئذ من الأتراك ومن يجرى مجراهم ألفان وأربعمائة وثلاثة وأربعون رجلا ، منهم مع مُفْلِح ألف ومائة وثلاثون رجلا .

* * *

[ذكر خبر أخذ الكرج من ابن أبي دلف]

وفيهما أوقع مُفْلِح وهو على مقدمة موسى بن بَغَا بعبد العزيز بن أبي دلف لثمان ليال بَقَيْن من رجب من هذه السنة وعبد العزيز في زهاء عشرين ألفا من الصعاليك وغيرهم ؛ وكانت الوقعة بينهما - فيما قيل - خارج هَمْدَان على نحو من ميل ، فهزمه مُفْلِح ثلاثة فراسخ يقتلون ويأسرون ، ثم رجع مُفْلِح ومن معه سالمين ؛ وكتب بالفتح في ذلك اليوم . فلما كان في شهر رمضان عبأ مُفْلِح خيله نحو الكَرَج ، وجعل لهم كَمَنِينَ ، ووجه عبد العزيز عسكراً فيه أربعة آلاف فقاتلهم مُفْلِح ، وخرج كمين مُفْلِح على أصحاب عبد العزيز فانهزموا ، ووضع أصحاب مُفْلِح فيهم السيف ، فقتلوا وأسروا ، وأقبل عبد العزيز معيناً لأصحابه ؛ فانهزم بانهزام أصحابه ، وترك الكَرَج ، ومضى إلى قتلعة له في الكَرَج يقال له زز ، متحصناً بها ، ودخل مُفْلِح الكَرَج ، فأخذ جماعة من آل أبي دُلْف أسراً ، وأخذ نساء من نسائهم ؛ يقال إنه كان فيهم أم عبد العزيز ؛ فأوثقهم .

* * *

وذكر أنه وجه سبعين حملاً من الرعوس إلى سامراً وأعلاماً كثيرة .

وشخص فيها موسى بن بَغَا من سامراً إلى هَمْدَان فترها .

وفيهما خلع المعتز على بَغَا الشرايبي في شهر رمضان ، وألبسه التاج والوشاحين ، فخرج فيهما إلى منزله .

[ذكر الخبر عن قتل وصيف]

وفيها قُتل وصيف التركي ؛ وذلك لثلاث بـتقين من شـؤال منها ؛ وكان السبب في ذلك — فيما ذكر — أن الأتراك والفراغنة والأشـر وسنية شغبوا وطلبوا أرزاقهم لأربعة أشهر ؛ فخرج إليهم بـغا ووصيف وسيا الشرائي في نحو من مائة إنسان من أصحابهم ؛ فكلّمهم وصيف ، وقال : ما تريدون ؟ قالوا : أرزاقنا ، فقال : خذوا تراباً ؛ وهل عندنا مال ! وقال بـغا : نعم ، نسأل أمير المؤمنين في ذلك ؛ وتناظر في دار أشناس ، وينصرف عنكم مَن ليس منكم ، فدخلوا دار أشناس ، ومضى سـيا الشرائي منصرفاً إلى سامراً ، ثم تبعه بـغا لاستثمار الخليفة في إعطائهم ؛ وكان وصيف في أيديهم ؛ فوثب عليه بعضهم ، فضربه بالسيف ضربتين ، ووجأه آخر بسكين ، فاحتمله نوشرى بن طاجبك — وهو أحد قواده — إلى منزله ؛ فلما أبطأ عليهم بـغا ظنوا أنهم في التعبئة عليهم ؛ فاستخرجوه من منزل^(١) نوشرى ؛ فضربوه بالطبرزيئات حتى كسروا عـضديه ، ثم ضربوا عنقه ، ونصبوا رأسه على محراك تننور ، وقصدت العامة بـسامراً الانتهاب لمنازل وصيف وولده ، فرجع بنو وصيف ، فنعوا منازلهم ، ثم جعل المعتز ما كان إلى وصيف من الأمور إلى بـغا الشرائي .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل بندار الطبري]

وفي يوم الفِطْر^(٢) من هذه السنة قُتل بندار الطبري .

* ذكر سبب قتله :

فكان سبب ذلك أنه حَكَمَ بالبوازيح محكّم يدعى مُساور بن عبد الحميد ، في رجب من هذه السنة ، فوجّه المعتز إليه في شهر رمضان سائكين ، فقال إلى فاحية طريق خراسان ، فوجّه محمد بن عبد الله إليه ؛ وذلك أن طريق خراسان كان إليه بندار ومظفر بن سيسل مَسْلَحة ، فلما صاروا بدسكرة الملك أقاما ؛ فذكر أن بندار خرج في آخر يوم من شهر رمضان منصيِّداً ، فبـعُد في

١٦٨٩/٣

(٢) ف : « العيد » .

(١) س : « منازل » .

طلب الصيّد حتى جاوز دُور الدّسكرة بنحو^(١) فرسخ ؛ فبينما هو كذلك ؛
 لاذنظر إلى علّامين مقبلين معهما جماعة مُقبلة نحو الدّسكرة ، فوجّه بعض
 أصحابه لينظر ما الأعلام ؛ فأخبره صاحب الجماعة أنه عامل كَرّخ جُدّان ،
 وأنه انتهى إليه أنّ رجلا يقال له مساور بن عبد الحميد من الدّهاقين من أهل
 البوازيج شرّى^(٢) ، وأنه بلغه أنه يصير إلى كَرّخ جُدّان ؛ فلما بلغه ذلك
 خرج هارباً إلى الدّسكرة ليأنس بقرب بندار ومظفر ؛ فانصرف بُندار من
 ساعته إلى المظفر فقال له : إن الشاري يقصد كَرّخ جُدّان ، ويريدنا ؛
 فامض بنا نلقاه ، فقال له المظفر : قد أمسينا وزريد أن نصاتي الجمعة ، وغداً
 العيد ؛ فإذا انقضى العيد قصدناه . فأبى بُندار ، ومضى من ساعته طمعاً بالمظفر
 الشاري وحده دون مظفر ؛ فأقام مظفر ولم يبرح من الدّسكرة - وبين الدسكرة
 وتلّ عكبراء ثمانية فراسخ ، وبين تلّ عكبراء وموضع الوقعة أربعة فراسخ -
 فصار بُندار إلى تلّ عكبراء ، فوافاها عند العتمة ليلة الفطر^(٣) . فعلف دوابه
 شيئاً ، ثم ركب ، فسار حتى أشرف على عسكر الشاري ليلاً وهم يصلّون
 ويقرءون القرآن ؛ فأشار عليه بعض أصحابه وخاصته أن يبيتهم وهم غارون ،
 فأبى وقال : لا ؛ حتى أنظر إليهم وينظروا إلى . فوجّه فارسين أو ثلاثة ليأتوه
 بخبرهم ؛ فلما قُربوا من عسكرهم نذروا بهم ، فصاحوا : السلاح ! وركبوا
 فتواقفوا إلى أن أصبحوا ، ثم اقتتلوا ، فلم يكن أصحاب بَندار أن يروهوا بسهمهم
 واحد ، وكانوا زهاء ثلثمائة فارس وراجل فعباهم ميمنة وميسرة وساقة ، وأقام
 هو في القلب ، فحمل عليهم مساور وأصحابه ، فثبت لهم بُندار وأصحابه ؛
 ثم انحدر لهم الشّراة عن موضع عسكرهم ومبيتهم ؛ ليطلع بَندار وأصحابه في
 النهب ، فلم يعرض بُندار وأصحابه لعسكرهم . ثم كرّ الشّراة عليهم
 بالسيوف والرماح ، وهم زهاء سبعمائة ؛ فصبر الفريقان ، فصار الشراة إلى
 السيوف دون الرماح ، فقتل من الشّراة نحو من خمسين رجلاً ، ومن أصحاب
 بَندار مثلهم ، ثم حمل الشراة حملةً ، فاقتطعوا من أصحاب بَندار نحواً من

١٦٩٠/٣

(١) ف : « بنحو من فرسخ » .

(٢) شرى ، أى رأى رأى الخوارج .

(٣) ف : « ليلة العيد » .

مائة رجل، فصبر لهم المائة ساعة، ثم قُتِلُوا جميعاً، وانهزم بُسْدار وأصحابه، فجعلوا يقتطعونهم قطعة بعد قطعة فيقتلونهم. وأمن بُسْدار في الحرب، فطليبه فلحقوه بقرب تلٍّ عُكْبَرَاء على قَدَرٍ أربعة فراسخ من موضع الوقعة؛ قتلوه ونصبوا رأسه، ونجا من أصحاب بُسْدار نحو من خمسين رجلاً — وقيل مائة رجل — انحازوا عن^(١) الوقعة عند اشتغال الخوارج بمن كانوا يقتطعون^(٢) منهم، وانتهى خبره إلى مظفر وهو مقيم بالدَّسْكَرَة، فتنحى من الدَّسْكَرَة إلى ما قَرُب من بغداد، ووصل خبر مقتله إلى محمد بن عبد الله بغد^(٣) الفِطْر، فذكر أنه لم يشرب ولم يسلِّه كما كان يفعل؛ غماً بما ورد عليه من مقتله. ثم مضى مُساور من فوره إلى حُلوان؛ فخرج إليه أهلها فقاتلوه، قتل منهم أربع مائة إنسان، وقتلوا جماعة من أصحاب الشَّارِي، وقتل عدة من حجاج خراسان كانوا بحُلوان، فأعانوا أهل حُلوان، ثم انصرفوا عنهم.

١٦٩١/٣

* * *

[ذكر خبر موت محمد بن عبد الله بن طاهر]

وليلة أربع عشرة من ذى القعدة منها، انخسف^(٤) القمر؛ ففرق^(٥) كله أو غاب أكثره؛ ومات محمد بن عبد الله بن طاهر مع انتهاء خسوفه^(٦) — فيما ذكر — وكانت علته التي مات فيها قروحاً أصابته في حلقه ورأسه فذبحته. وذكر أن القروح التي كانت في حلقه ورأسه كانت تدخل فيها الفتائل؛ فلما مات تنازع الصلاة عليه أخوه عبيد الله وابنه طاهر؛ فصلّى عليه ابنه. وكان أوصى بذلك — فيما قيل.

ثم وقع بين عبيد الله بن عبد الله أخى محمد بن عبد الله وبين حشم محمد بن عبد الله تنازع حتى سلوا السيوف عليه، ورُمى بالحجارة، ومالت الغوغاء والعامّة وموالى إسحاق بن إبراهيم مع طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر، ثم صاحوا: طاهر يا منصور؛ فعبّر عبيد الله إلى ناحية الشرقية إلى داره،

١٦٩٢/٣

- | | |
|---------------------|-------------------|
| (١) ف: «من الوقعة». | (٢) س: «يقتطعون». |
| (٣) ف: «بعد الفطر». | (٤) ف: «انكسف». |
| (٥) س: «ففرق». | (٦) ف: «كسوف». |

ومال معه القواد لاستخلاف محمد بن عبد الله كان إياه على أعماله ووصيته بذلك، وكتابه بذلك إلى عمّاله، ثم وجه المعتز الخلع وولاية بغداد إلى عبيد الله، وأمر عبيد الله للذي أتاه بالخلع من قبيل المعتز فيما قيل بخمسين ألف درهم .

• • •

نسخة الكتاب الذي كتبه محمد بن عبد الله إلى عمّاله باستخلافه أخاه عبيد الله بعده :

أما بعد فإن الله عز وجل جعل الموت حتماً مقضياً جارياً على الباقيين من خلقه ، حسبما جرى على الماضين ؛ وحقيق على من أعطى حظاً من توفيق الله ، أن يكون على استعداد لحلول ما لا بد منه ولا يحصى عنه في كل الأحوال . وكتابي هذا وأنا في علة قد اشتد الإشفاق منها ، وكاد الإيأس يغلب على الرجاء فيها ؛ فإن يسأل الله ويدفع فبقدرته وكريم عادته ؛ وإن يحدث في الحدث الذي هو سبيل الأولين والآخرين ؛ فقد استخلفت عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين أخى الموثوق باقتفائه أثرى ، وأخذ به بسبيله من سلطان أمير المؤمنين إلى أن يأتيه من أمره ما يعمل بحسبه ؛ فاعلم ذلك واتمّر فيما تتولاه بما يرد به كتب عبيد الله وأمره إن شاء الله .

وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

• • •

وفيها نفي المعتز أبا أحمد بن المتوكل إلى واسط ، ثم إلى البصرة ، ثم ردّ ١٦٩٣/٣ إلى بغداد ، وأنزل إلى الجانب الشرقى في قصر دينار بن عبد الله .

وفيها نفي أيضاً على بن المعتصم إلى واسط ثم ردّ إلى بغداد فيها .

وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر في ذى الحجة .

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبي .

وفيها غزا محمد بن معاذ بالمسلمين في ذى القعدة من ناحية مَـسَـطِـيـة ، فهزموه وأسر محمد بن معاذ .

وفيهما التقي موسى بن بَغَا والكوكبيّ الطالبيّ على فرسخ من قَزَوين يوم الاثنين سَلَخَ ذِي القَعْد منها ، فهزَم موسى الكوكبيّ ، فلاحق بالدَيْلَم ، ودخل موسى بن بَغَا قَزَوين .

وذكر لي بعض مَن شَهِد الواقعة ، أَنَّ أصحاب الكوكبيّ من الدَيْلَم لما اتَّقَوْا بِمُوسَى وَأَصْحَابِهِ صَفَوْا صَفُونًا ، وَأَقَامُوا تَرَمْتُونًا فِي وَجُوهِهِمْ يَتَّقُونَ بِذَلِكَ سِهَامَ أَصْحَابِ مُوسَى ؛ فَلَمَّا رَأَى مُوسَى أَنَّ سِهَامَ أَصْحَابِهِ لَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ مَعَ مَا قَدْ فَعَلُوا ، أَمَرَ بِمَا مَعَهُ مِنَ النَّفْطِ أَنْ يُصَبَّ فِي الْأَرْضِ الَّتِي التَّقَى هُوَ فِيهَا ؛ ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْإِسْطِرَادِ لَهُمْ ، وَلِإِظْهَارِ هَزِيمَةِ مِنْهُمْ ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ ؛ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ظَنَّ الْكُوكَبِيُّ وَأَصْحَابُهُ أَنَّهُمْ انْهَزَمُوا ^(١) ؛ فَتَبِعُوهُمْ . فَلَمَّا عَلِمَ مُوسَى أَنَّ أَصْحَابَ الْكُوكَبِيِّ قَدْ تَوَسَّطُوا النَّفْطَ أَمَرَ بِالنَّارِ فَأَشْعَلَتْ فِيهِ ، فَأَخَذَتْ فِيهِ النَّارُ ، وَخَرَجَتْ مِنْ تَحْتِ أَصْحَابِ الْكُوكَبِيِّ ، فَجَعَلَتْ تَحْرِقُهُمْ ؛ وَهَرَبَ الْآخَرُونَ . وَكَانَ هَزِيمَةُ الْقَوْمِ عِنْدَ ذَلِكَ وَدُخُولِ مُوسَى قَزَوِينَ .

وفيهما لَقِيَ خَطَارْمَشَ مَسَاوِرَ الشَّارِى بِنَاحِيَةِ بَجَسَلُولَاءِ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، فَهَزَمَهُ

مَسَاوِرَ .

١٦٩٤/٣

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من مقتل بغا الشراي .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

* * *

[ذكر خبر مقتل بغا الشراي]

ذكر أن السبب في ذلك كان أنه كان يحضر المعتز على المصير إلى بغداد ، والمعتز يأبى ذلك عليه . ثم إن بغا اشتغل مع صالح بن وصيف في خاصته بعُرس جمعة بنت بغا ، كان صالح بن وصيف تزوجها للنصف من ذى القعدة ؛ فركب المعتز ليلاً ، ومعه أحمد بن إسرائيل إلى كرخ سامراً يريد بايكباك ومن كان معه على مثل ما هو عليه من انحرافه عن بغا . وكان سبب انحرافه عنه — فيما ذكر — أنهما كانا في شراب لهما يشربانه ، فعربد أحدهما على صاحبه ؛ فتهاجرا لذلك ؛ وكان بايكباك بسبب ذلك هارباً من بغا مستخفياً منه ؛ فلما وافى المعتز بمن معه الكرخ اجتمع مع بايكباك ١٦٩٥/٣ أهل الكرخ وأهل الدور ، ثم أقبلوا مع المعتز إلى الجوسق بسامراً ؛ وبلغ ذلك بغا ، فخرج في غلمانهم وهم زهاء خمسمائة ومثلهم من ولده وأصحابه وقواده ، وصار إلى نهر نيسرك ، ثم انتقل إلى مواضع ، ثم صار إلى السن ، ومعه من العين تسع عشرة بدرة دنانير ومائة بدرة دراهم ؛ أخذها من بيت ماله وبيوت أموال السلطان ؛ فأنفق منها شيئاً يسيراً حتى قُتِل (١) .

وذكر أنه لما بلغه أن المعتز قد صار إلى موضع الكرخ مع أحمد بن إسرائيل خرج في خاصة قواده حتى صار إلى تل عكجراء ، ثم مضى فصار إلى السن ؛ فشكا أصحابه بعضهم إلى بعض ما هم فيه من العسف (٢) ، وأنهم

(٢) ف : « القشف » .

(١) ف : « إلى أن قتل » .

لم يخرجوا معهم بمضارب ، ولا ما يتدفقون به من البرد ، وأنهم في شتاء . وكان
بُغَا في مضرب له صغير على دِجْلَةٍ ، كان يكون فيه ، فأثاه^(١) ساتكين ،
فقال : أصلى الله الأمير ! قد تكلم أهل العسكر ، وخاضوا في كذا وأنا رسولهم
إليك ، فقال : كلهم يقول مثل قولك^(٢) ؟ قال : نعم ؛ وإن شئت فابعث إليهم
حتى يقولوا مثل قولِي ، قال : دعني الليلة حتى أنظر ، ويخرج إليكم أمري بالغداة ،
فلما جنّ عليه الليل دعا بزُورق ، فركبه مع خادمين معه ، وحمل معه شيئاً
من المال ، ولم يحمل معه سلاحاً ولا سيكّيناً ولا عموداً ، ولا يعلم أهل عسكره
بذلك من أمره ، والمعتزّ في غيابة بُغَا لا ينام إلاّ في ثيابه ، وعليه السلاح ،
ولا يشرب نبيذاً ، وجميع جواريه على رجل . فصار بُغَا إلى الجسر في الثلث
الأول من الليل ؛ فلما قارب الزُورق الجسر بعث الموكلون به منّ في الزُورق ،
فصاح بالغلام ، فرجع إليهم . وخرج بُغَا في البستان الخاقانيّ ، فلحقه عدّة
منهم ؛ فوقف لهم وقال : أنا بُغَا . ولحقه^(٣) وليد المغربيّ ، فقال له : مالك
جعلت فداك ! فقال : إما أن تذهب^(٤) بي إلى منزل صالح بن وصيف ، وإما
أن تصيروا معي إلى منزلي ؛ حتى أحسن إليكم . فوكل^(٥) به وليد المغربيّ ، وصرّ
يركض^(٦) إلى الجوسق ، فاستأذن على المعتزّ ، فأذن له ، فقال : ياسيدي
هذا بُغَا قد أخذته ووكلت به ، قال : ويلك ! جئني برأسه ؛ فرجع وليد ،
فقال للموكلين به : تنحّوا عنه حتى أبلغه الرسالة ، فتنحّوا عنه ، فضربه
ضربة على جبهته ورأسه ؛ ثم تناهى على يديه فقطعهما ، ثم ضربه حتى صرعه
وذبحه ، وحمل رأسه في بركة قبائه ، وأتى به المعتزّ ؛ فوهب له عشرة آلاف
دينار ، وخلع عليه خيلعة ، ونصب رأسه بسامراً ؛ ثم ببغداد ، ووثبت المغاربة
على جسّته ، فأحرقوه بالنار ؛ وبعث المعتزّ من ساعته إلى أحمد بن إسرائيل
والحسن بن مخلد وأبي نوح ، فأحضرهم وأخبرهم ، وتتبع عبيد الله بن طاهر
بنيه ببغداد ؛ وكانوا صاروا إليها هُرباً مع قوم يثقون بهم ؛ فاستروا عندهم

١٦٩٦/٣

(١) س : « وأثاه » .

(٢) س : « ولقيه » .

(٣) ف : « فوجه » .

(٤) س : « ذلك » .

(٥) س : « إنما أريد » .

(٦) ف : « ثم فر يركض » .

فذكر أنه حُبِسَ في قصر الذَّهَب من ولده وأصحابه^(١) ، خمسة عشر ١٦٩٧/٣
إنساناً ، وفي المطَّابِق عشرة .

وقيل : إنَّ بُغَا لَمَّا^(٢) انحدر إلى سامراً ليلةَ أَخِيذِ شاور أصحابه في
الانحذار إليها مَكْتَمًا ، فيصير إلى منزل صالح بن وصيف ، وإذا قرب العيد
دخل أهل العسكر ، وخرج هو وصالح بن وصيف وأصحابه ، فوثبوا بالمغاربة ،
فوثبوا بالمعتز .

* * *

وفيهما عقد صالح بن وصيف لديوداد على ديار مُضَرَّ وَقَيْتَسْرين والعواصم
فوثبوا بالمعتز في ربيع الأوَّل منها .

وفيهما عقد بايكباك لأحمد بن طولون على مصر .

وفيهما أوقع مفلح وباجور بأهل قم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ؛ وذلك
في شهر ربيع الأوَّل منها .

وفيهما مات على بن محمد بن علي بن موسى الرضا يوم الاثنين لأربع بقين
من جمادى الآخرة ، وصلى عليه أبو أحمد بن المتوكل في الشارع المنسوب
إلى أبي أحمد ، ودفن في داره .

وفيهما في جمادى الآخرة وفي الأهواز دُلف بن عبد العزيز بن أبي دُلف
بتوجيه والده عبد العزيز إِيَّاهُ إليها وجُنْدَى سابور وتُسْتَر ، فجباها مائتي
ألف دينار ثم انصرف .

وفي شهر رمضان منها شخص نوشرى إلى مُساور الشارى فلقية وهزمه ،
وقتل من أصحابه جماعة كثيرة .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عليّ بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن
محمد .

(٢) س : « إنا » .

(١) س : « وصحابته » .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من دخول مُفْلِح طَبَرستان ووقعة كانت بينه وبين الحسن بن زيد الطالبي، هزم فيها مُفْلِح الحسن بن زيد، فلحق^(١) بالديلم، ثم دخل مُفْلِح آمل، وأحرق منازل الحسن بن زيد، ثم توجه نحو الديلم في طلب الحسن بن زيد.

* * *

[ذكر خبر استيلاء يعقوب بن الليث على كرمان]

وفيهما كانت وقعة بين يعقوب بن الليث وطوق بن المغلس خارج كيرمان أسر فيها يعقوب طوقاً؛ وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن علي بن الحسين بن قريش بن شيبان كتب إلى السلطان يخطب كيرمان - وكان قبلاً من عمال آل طاهر - وكتب يذكر ضعف آل طاهر وقلة ضبطهم، بما إلهيهم من البلاد، وأن يعقوب بن الليث قد غلبهم على سجستان، وتباطأ على السلطان بتوجيه خراج فارس؛ فكتب السلطان إليه بولاية كيرمان، وكتب إلى يعقوب بولايتها يلتزم بذلك إغراء كل واحد منهما بصاحبه ليسقط مؤنة المالك منهما عنه ويتفرد بمؤنة الآخر؛ إذ كان كل واحد منهما عنده حرباً له وفي غير طاعته؛ فلما فعل ذلك بهما زحف يعقوب بن الليث من سجستان يريد كيرمان، ووجهه على بن الحسين طوق بن المغلس وقد بلغه خبر يعقوب وقصده كيرمان في جيش عظيم من فارس، فصار طوق بكيرمان، وسبق يعقوب إليها فلخلها، وأقبل يعقوب من سجستان، فصار من كيرمان على مرحلة.

١٦٩٩/٣

فحدثني مَنْ ذكر أنه كان شاهداً أمرهما، أن يعقوب بقى مقياً في

(١) س: «فألق».

الموضع الذى أقام به من كيرمان على مرحلة لا يرتحل عنه شهراً أو شهرين ، يتجسس^(١) أخبار طوق ؛ ويسأل عن أمره كل من مرّ به خارجاً من كيرمان إلى ناحيته ، ولا يبدع أحداً يجوز عسكره من ناحيته إلى كيرمان ، ولا يزحف طوق إليه ولا هو إلى طوق . فلما طال ذلك من أمرهما كذلك أظهر يعقوب الارتحال عن معسكره^(٢) إلى ناحية سيجستان ، فارتحل عنه مرحلة . وبلغ طوقاً ارتحالته ، فظن أنه قد بدا له في حربه^(٣) ، وترك عليه كيرمان وعلى على بن الحسين ؛ فوضع آلة الحرب ، وقعد للشرب ، ودعا بالملاهي ، ويعقوب في كل ذلك لا يغفل عن البحث عن أخباره . فاتفق به ووضع طوق آلة الحرب وإقباله على الشراب واللهو بارتحالته^(٤) ؛ ففكر راجعاً ، فطوى المرحلتين إليه في يوم واحد ، فلم يشعر طوق وهوى لهوه وشربه^(٥) في آخر نهاره إلا بغبرة قد ارتفعت من خارج المدينة التي هو فيها من كيرمان ، فقال لأهل القرية : ما هذه الغبرة ؟ فقبل له : غبرة مواشى أهل القرية منصرفة إلى أهلها ، ثم لم يكن إلا كلا ولا^(٦) ؛ حتى وفاه يعقوب في أصحابه ، فأحاط به وبأصحابه ؛ فذهب أصحاب طوق لما أحيط بهم يريدون المدافعة عن أنفسهم ، فقال يعقوب لأصحابه : أفرجوا للقوم ، فأفرجوا لهم ، ففرّوا هاربين على وجوههم ، وخلّوا كل شيء^(٧) لهم مما كان معهم في معسكرهم ، وأسر يعقوب طوقاً .

فحدثني ابن حماد البربري أن على بن الحسين لما واجه طوقاً حملته صناديق في بعضها أطواقه وأسورة ليطوق ويسور من أبلى معه من أصحابه ، وفي بعضها أموال ليجيز من استحق الجائزة منهم ، وفي بعضها قيود وأغلال ليقيد بها من أخذ من أصحاب يعقوب ؛ فلما أسر يعقوب طوقاً ورؤساء الجيش الذين كانوا معه أمر بجيازة كل ما كان مع طوق وأصحابه من المال والأثاث والكراع والسلاح ، فحيز ذلك كله ، وجُمع إليه ؛ فلما أتى بالصناديق أتى بها مقلّعة ،

(١) ب : « يتجسس » .

(٢) ب : « من معسكره » .

(٣) ب : « حله » .

(٤) س : « وارتحالته » .

(٥) ف : « ولعبه » .

(٦) س : « مديدة » .

(٧) ب : « عن كل شيء » .

فأمر ببعضها أن يُفتح ، ففتح فإذا فيه القيود والأغلال ، فقال لطَوَّق : يا طوق ؛ ما هذه القيود والأغلال ؟ قال : حملنيها على بن الحسين لأقيّد بها الأسرى وأغلّتهم بها ، فقال : يا فلان ، انظر أكبرها وأنقلها فاجعله في رجلي طَوَّق وغلّته بغلّ . ثم جعل يفعل مثل ذلك بمن أسر من أصحاب طوق . قال : ثم أمر بصناديق أخر ففتحت ؛ فإذا فيها أطوقه وأسورة ، فقال : يا طوق . ما هذه ؟ قال : حملنيها على لأطوّق بها وأسور أهل البلاء من أصحابي ، قال : يا فلان ؛ خذ من ذلك طَوَّق كذا وسوار كذا ، فطوّق فلاناً وسوره ، ثم جعل يفعل ذلك بأصحاب نفسه حتى طوّقهم وسورهم ، ثم جعل يفعل كذلك بالصناديق . قال : ولما أمر يعقوب بمدّ يد طوق ليضعها ^(١) في الغلّ ، إذا على ذراعه عصابة ، فقال له : ما هذا يا طوق ؟ قال : أصلح الله الأمير ! إني ^(٢) وجدت حرارة ففصّدتها ، فدعا بعض من معه فأمر بمدّ خفه من رجله ففعل ذلك ، فلما نزع من رجله تناثر من خفّه كسر خبز يابسة . فقال : يا طوق هذا خفيّ لم أنزعه من رجلي منذ شهرين ، وخبزي في خفيّ منه أكل لا أطأ فراشاً ، وأنت جالس في الشرب ^(٣) والملاهي ! بهذا التدبير أردت حربى وقتلى !

فلما فرغ يعقوب بن الليث من أمر طَوَّق دخل كيرمان وحازها وصارت مع سجستان من عملته .

١٧٠٢/٣

* * *

[ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث فارس]

وفيهما دخل يعقوب بن الليث فارس وأسر على بن الحسين بن قريش .

• ذكر الخبر عن سبب أسره إياه وكيف وصل إليه :

حدثني ابن حمّاد البربري ، قال : كنت يومئذ بفارس عند على بن الحسين بن قريش ، فورد عليه خبر وقعة يعقوب بن الليث بصاحبه طَوَّق ابن المغلس ودخول يعقوب كيرمان واستيلائه عليها ، ورجع إليه الفلّ ، فأيقن بإقبال يعقوب إلى فارس ؛ وعلى يومئذ بشيراز من أرض فارس ، فضم إليه

١٧٠٣/٣

(٢) ب ، ف : « كنت » .

(١) ف : « ليجمعها » .

(٣) ب : « الشراب » .

جيشه ورجالة الفلّ من عند طَوّوق وغيرهم ، وأعطاهم السلاح ، ثم برز من شيراز ، فصار إلى كُرّ خارج شيراز بين آخر طرفه عرضاً ممّا يلي أرض شيراز ، وبين عَرَضُ جبل بها من الفضاء قدرُ ممرّ رجل أودابة ، لا يمكن من ضيقه أن يمرّ فيه أكثر من رجل واحد . فأقام في ذلك الموضع ، وضرب عسكره على شطّ ذلك الكرّ ممّا يلي شيراز ، وأخرج معه المتسوّقة^(١) والتجار من مدينة شيراز إلى مُعسكره ، وقال : إن جاء يعقوب لم يجد موضعاً يجوز الفلاة إلينا ؛ لأنه لا طريق له إلاّ الفضاء الذي بين الجبل والكرّ ؛ وإنما هو قدر ممرّ رجل ؛ إذا أقام عليه رجل واحد منع من يريد أن يجوزه ، وإن لم يقدر أن يجوز إلينا بقي في البرّ بحيث لا طعام له ولا لأصحابه ولا علف لدوابهم .

قال ابن حماد : فأقبل يعقوب حتى قدّر من الكرّ ، فأمر أصحابه بالنزول أوّل يوم على نحو من ميل من الكرّ ممّا يلي كيرمان ، ثم أقبل هو وحده وبيده رمح عُشاريّ ؛ يقول ابن حماد : كأنّي أنظر إليه حين أقبل وحده على دابته ، ما معه إلاّ رجل واحد ، فنظر إلى الكرّ والجبل والطريق ، وقرب من الكرّ ، وتأمل عسكر^(٢) علىّ بن الحسين ، فجعل أصحاب علىّ يشتمونه^(٣) ، ويقولون : لئردنك إلى شُعْب المراحل والقماقم ، يا صفّار - وهو ساكت لا يردّ عليهم شيئاً - قال : فلمّا تأمل ما أراد من ذلك ورآه ، انصرف راجعاً إلى أصحابه . قال : فلمّا كان من الغد عند الظهر أقبل بأصحابه ورجاله حتى صار على شطّ كرّ ممّا يلي برّ كيرمان ، فأمر أصحابه فنزلوا عن دوابهم ، وحطّوا أثقالهم . قال : ثم فتح صندوقاً كان معه .

قال ابن حماد : كأنّي أنظر إليهم وقد أخرجوا كلباً ذئبياً ، ثم ركبوا دوابّهم أعراء ، وأخذوا رماحهم بأيديهم . قال : وقبل ذلك كان قد عبأ علىّ ابن الحسين أصحابه ، فأقامهم صفوفاً على الممرّ الذي بين الجبل والكرّ ؛ وهم يرون أنه لا سبيل ليعقوب ، ولا طريق له يمكنه أن يجوزه غيره . قال : ثم

(٢) س : « وقام من معسكر » .

(١) ب « السوقة » .

(٣) س : « يسبونه » .

جاءوا بالكلب ، فرموا به في الكُرّ ، ونحن وأصحاب عليّ ينظرون إليهم يضحكون منهم . قال : فلما رموا بالكلب فيه ، جعل الكلب يسبح في الماء إلى جانب عسكر عليّ بن الحسين ، وأقحم أصحاب يعقوب دوابهم خلف الكلب ، وبأيديهم رماحهم ، يسرون في أثر الكلب . فلما رأى عليّ ابن الحسين أن يعقوب قد قطع عامة الكُرّ إليه وإلى أصحابه ، انتقض عليه تدبيره ، وتحير في أمره ؛ ولم يلبث أصحاب يعقوب إلا أسير ذلك حتى خرجوا من الكُرّ من وراء أصحاب عليّ بن الحسين ؛ فلم يكن بأسرع من أن خرج أوائلهم منه حتى هرب أصحاب عليّ يطلبون مدينة^(١) شيراز ، لأنهم كانوا يصيرون إذا خرج أصحاب يعقوب من الكُرّ بين جيش يعقوب وبين الكُرّ ، ولا يجدون ملجأ إلا هزموا . وانهزم عليّ بن الحسين بانهزام أصحابه ؛ وقد خرج أصحاب يعقوب من الكُرّ ، فكبت به دابته ، فسقط إلى الأرض ولحقه بعض السَّجْزِيَّة فهم عليه بسيفه ليضربه ؛ فبلغ إليه خادم له ، فقال : الأمير . فنزل إليه السجزيّ ، فوضع في عنقه عمامته ، ثم جرّه إلى يعقوب ، فلما أتى به أمر بتقييده ، وأمر بما كان في عسكره من آلة الحرب من السلاح والكُرّاع وغير ذلك ، فجمع إليه ، ثم أقام بموضعه حتى أمسى ، وهجم عليه الليل ، ثم رحل من موضعه . ودخل مدينة شيراز ليلاً وأصحابه يضربون بالطَّبُول ، فلم يتحرك في المدينة أحد ، فلما أصبح أنهب^(٢) أصحابه دار عليّ بن الحسين ودور أصحابه ؛ ثم نظر إلى ما اجتمع في بيت المال من مال الخراج والضَّياع ، فاحتمله ووضع الخراج ، فجباه ، ثم شخص منها متوجّهاً إلى سِجِسْتان ، وحمل معه ابن قريش ومن أسير معه .

١٧٠٥/٣

* * *

وفيها وجه يعقوب بن الليث إلى المعتز بلواب وبُزاة ومِسْكَ هديّة .
وفيها وليّ سليمان بن عبد الله بن طاهر شرطة بغداد والسواد ، وذلك لست خلون من شهر ربيع الآخر ، وكانت موافاته سامراً من خراسان — فيما ذكر —

١٧٠٦/٣

(٢) ف : « انهب » .

(١) ب : « الحرب إلى مدينة شيراز » .

يوم الخميس ثمان خلون من شهر ربيع الأول ، وصار إلى الإيتاخية ، ثم دخل على المعتز يوم السبت ، فخلع عليه وانصرف .
وفيهما كانت وقعة بين مساور الشاري ويارجوخ ، فهزمه الشاري وانصرف إلى سامراً مفلولاً .

ومات العللي بن أيوب في شهر ربيع الآخر منها .

* * *

[ذكر فعل صالح بن وصيف مع أحمد بن إسرائيل ورفيقه]

وفيهما أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وأبا نوح عيسى بن إبراهيم فقيدهم ، وطالبهم بأموال ؛ وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن هؤلاء الكتّاب الذين ذكرت كانوا اجتمعوا يوم الأربعاء لليلتين خللتا من جمادى الآخرة من هذه السنة على شراب لهم يشربونه ، فلمّا كان يوم الخميس غد ذلك اليوم ، ركب ابن إسرائيل في جَمْعٍ عظيم إلى دار السلطان التي يَتَقَعُد فيها ، وركب ابن مخلد إلى دار قبيصة أمّ المعتز - وهو كاتبها - وحضر أبو نوح الدار ، والمعتز ناظم ، فانتبه قريباً من انتصاف النهار ، فأذن لهم ، فحمل صالح بن وصيف على أحمد بن إسرائيل ، وقال للمعتز : يا أمير المؤمنين ؛ ليس للأتراك عطاء ولا في بيت المال مال ؛ وقد ذهب ابن إسرائيل وأصحابه بأموال الدنيا ، فقال له أحمد : يا عاصي يا بن العاصي ! ثم لم يزالا يتراجعان الكلام حتى سقط صالح مغشياً عليه ، فرُش على وجهه الماء . وبلغ ذلك أصحابه وهم على الباب ، فصاحوا صيحة واحدة ، واختلطوا سيوفهم ، ودخلوا على المعتز مُصْلِينَ ؛ فلما رأى ذلك المعتز دخل وتركهم ، وأخذ صالح بن وصيف ابن إسرائيل وابن مخلد وعيسى بن إبراهيم فقيدهم ، وأثقلهم بالحديد ، وحملهم إلى داره ، فقال للمعتز لصالح قبل أن يحملهم : هَبْ لي أحمد ؛ فإنه كاتبى ؛ وقد ربّاني ؛ فلم يفعل ذلك صالح ، ثم ضرب ابن إسرائيل ؛ حتى كسرت أسنانه ، وبطح ابن مخلد فضرب مائة سوط ؛ وكان عيسى بن إبراهيم محتجماً فلم يزل يُصَفَع حتى جرت الدماء من محاجمه ؛ ثم لم يتركوا حتى أخذت رقاعهم بمال جليل قسّط عليهم .

وتوجه قوم من الأتراك الى إسكاف ليأتوا بجعفر بن محمود ، فقال المعتز :
 أمّا جعفر فلا أربّ لي فيه ولا يعمل لي . ففضوا ، فبعث المعتزّ إلى أبي صالح
 عبد الله بن محمد بن يزيد المروزيّ ، فحمّل ليصيره وزيراً ، وبعث إلى إسحاق
 ابن منصور ، فأشخص . وبعث قبيصة إلى صالح بن وصيف في ابن إسرائيل :
 إمّا حملته إلى المعتزّ وإمّا ركبت إليك فيه .

١٧٠٨/٣

وقد ذكر أنّ السبب في ذلك كان أنّ الأتراك طلبوا أرزاقهم ، وأنهم
 جعلوا ذلك سبباً لما كان من أمرهم ، وأنّ الرسل لم تزل تختلف بينهم وبين
 هؤلاء الكتاب ؛ إلى أن قال أبو نوح لصالح بن وصيف : هذا تدبيرك على
 الخليفة ، فغشّى على صالح حينئذ ما داخله من الحرّد والغَيْظ حتى رشّوا على وجهه
 الماء ، فلمّا أفاق جرى بين يديّ المعتزّ كلام كثير ، ثم خرجوا إلى الصلاة ،
 وخلا صالح بالمعتزّ ، ثم دُعِيَ بالقوم فلم يلبثوا إلا قليلاً ، حتى أخرجوا إلى
 قُبّة في الصحن ؛ ثم دُعِيَ بأبي نوح وابن مخلد فأخذت سيوفهما وقلانسهما
 ومزّقت ثيابهما ، ولحقهما ابن إسرائيل فألقى نفسه عليهما ؛ فثَلّث به ؛ ثم
 أخرجوا إلى الدهليز وحُمِلوا على الدواب والبغال ، وارتدّ خلف كلّ واحد
 منهم تركي ، وبعث بهم إلى دار صالح على طريق الخير ، وانصرف صالح
 بعد ساعة ، وتفرّق الأتراك ، فانصرفوا . فلما كان بعد ذلك بأيام جعل في
 رجل كلّ^(١) واحد منهم ثلاثون رطلا ، وفي عنق كلّ واحد منهم عشرون رطلا
 من حديد ، وطولبوا بالأموال ، فلم يُجب واحد منهم إلى شيء ؛ ولم ينقطع أمرهم
 إلى أن دخل رجب ؛ فوجّهوا في قبض ضياعهم ودورهم وضياع أسبايهم وأموالهم ،
 وُسِّموا الكتاب الخونة ، فقدم جعفر بن محمود يوم الخميس لعشر خلون من
 جمادى الآخرة فوليّ الأمر والنهي .

١٧٠٩/٣

* * *

وليلتين خَلَسَتَا من رجب ظهر بالكوفة عيسى بن جعفر وعليّ بن زيد
 الحسينيّان ، فقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى .

* * *

(١) ف : « في كعب كل رجل » .

[ذكر الخبير عن خلع المعتز ثم موته]

ولثلاث بقين من رجب منها خلع المعتز . وللبلتين خلنا من شعبان أظهر موته ؛ وكان سبب خلعها - فيما ذكر - أن الكتّاب الذي ذكرنا أمرهم ، لمّا فعل بهم الأتراك ما فعلوا ، ولم يُقرّوا لهم بشيء ، صاروا الى المعتز يطلبون أرزاقهم ، وقالوا له : أعطنا أرزاقنا حتى نقتل لك صالح بن وصيف ، فأرسل المعتز إلى أمه يسألها أن تعطيه مالا ليعطيهم ، فأرسلت إليه : ما عندي شيء ، فلما رأى الأتراك ومنّ بامرأ من الجند أن قد امتنع الكتّاب من أن يعطوهم شيئاً ، ولم يجدوا في بيت المال شيئاً ، والمعتز وأمّه قد امتنعا من أن يسئما لهم بشيء ؛ صارت كلمة الأتراك والفراغة والمغاربة واحدة ، فاجتمعوا على خلع المعتز ، فصاروا إليه ثلاث بقين من رجب ؛ فذكر بعض أسباب السلطان أنه كان في اليوم الذي صاروا إليه عند تحرير الخادم في دار المعتز ، فلم يرعه إلا صياح القوم من أهل الكرخ والدور ، وإذا صالح بن وصيف وبايكباك ومحمد بن بغا المعروف بأبي نصر ، قد دخلوا^(١) في السلاح ، فجلسوا على باب المنزل الذي ينزله المعتز ، ثم بعثوا إليه : اخرج إلينا ، فبعث إليهم : إني أخذت الدواء أمس ، وقد أجفاني اثنتي عشرة مرة ؛ ولا أقدر على الكلام من الضعف ؛ فإن كان أمراً لا بدّ منه ، فليدخل إلى بعضكم فلنيسعلمني^(٢) . وهو يرى أن أمره واقف على حاله . فلنخل إليه جماعة من أهل الكرخ والدور من خلفاء القواد ، فجزوا برجله إلى باب الحجرة ؛ قال : وأحسبهم كانوا قد تناولوه بالضرب بالدبابيس ، فخرج وقميصه مخرق في مواضع ، وآثار الدم على منكبيه ، فأقاموه في الشمس في الدار في وقت شديد الحر . قال : فجعلت أنظر إليه يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي قد أقيم فيه . قال : فرأيت بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده ، وجعلوا يقولون : اخلعها ، فأدخلوه حجرة على باب حجرة المعتز كان موسى بن بغا يسكنها حين^(٣) كان حاضراً ، ثم بعثوا

(٢) بعدها في ب «ماهو» .

(١) ص : « فدخلوا » .

(٣) ف : « لما » .

إلى ابن أبي الشوارب ، فأحضروه مع جماعة من أصحابه ؛ فقال له صالح وأصحابه : اكتبْ عليه كتاب خلع ، فقال : لا أحسنه ؛ وكان معه رجل أصبهاقي ، فقال : أنا أكتب ، فكتب وشهدوا عليه وخرجوا . وقال ابن أبي الشوارب لصالح : قد شهدوا أن له ولأخته^(١) وابنه وأمه الأمان ، فقال صالح بكفّه : أى نعم ؛ ووكّلوا بذلك المجلس وبأمره نساء يحفظنها .

١٧١١/٣

فذكر أن قبيحة كانت اتخذت في الدار التي كانت فيها سرّياً^(٢) ، وأنها احتالت هي وقرب وأخت المعتز ، فخرجوا من السرّ ، وكانوا أخذوا عليها الطرُق ، ومنعوا الناس أن يجوزوا من يوم فعلوا بالمعتز ما فعلوا ؛ وذلك يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء ليلة بقيت من رجب .

فذكر^(٣) أنه لما خلع دفع إلى من يعذّبه ومنع الطعام والشراب ثلاثة أيام ، فطلب حسوة من ماء البئر ، فنعه . ثم جصّصوا سرداباً بالجِصّ الثخين ، ثم أدخلوه فيه ، وأطبقوا عليه بابّه ، فأصبح ميتاً .

وكانت وفاته لليلتين خلتا من شعبان من هذه السنة . فلما مات أشهد على موته بنو هاشم والقواد ؛ وأنه صحيح لا أثر فيه ، فدُفِن مع المنتصر في ناحية قصر الصوامع ؛ فكانت خلافته من يوم بوعله بسامراً إلى أن خلع أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً . وكان عمره كلّهُ أربعاً وعشرين سنة . وكان أبيض أسود الشعر كثيفه ، حسن العينين والوجه ، ضيق الجبين ، أحمر الوجنتين^(٤) ، حسن الجسيم^(٥) ، طويلًا .

١٧١٢/٣

وكان مولده بسامراً .

(١) ف : « ولأخيه » .

(٢) السرب ، بالفتح : الحفير تحت الأرض .

(٣) ف : « فذكروا » .

(٤) ب : « اللون » .

(٥) ب : « الوجه » .

خلافة ابن الواثق المهتدى بالله

وفي يوم الأربعاء ليلة بقيت من رجب من هذه السنة، بويج محمد بن الواثق، فسُمِّيَ بالمهتدى بالله، وكان يكنى أبا عبد الله، وأمه رومية، وكانت تسمى قُرْب . .

وذكر عن بعض من كان شاهداً أمرهم، أن محمد بن الواثق لم يقبل بيعته أحد، حتى أتى بالمعتز فخلع نفسه، وأخبر عن عجزه عن القيام بما أسند إليه، ورغبته في تسليمها إلى محمد بن الواثق، وأن المعتز مدّ يده فبايع الواثق، فسَمَّوه بالمهتدى، ثم تنحى وبايع خاصة الموالي .

وكانت نسخة الرقعة بخلع المعتز نفسه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أشهد عليه الشهود المسمون في هذا الكتاب، شهدوا أن أبا عبد الله بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقرّ عندهم، وأشهدهم على نفسه في صحة من عقله، وجواز من أمره، طائعا غير مكره، أنه نظر فيما كان تقلّده من أمر الخلافة والقيام بأمر المسلمين، فرأى أنه لا يصلح لذلك، ولا يكمل له، وأنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها^(١)، ضعيف عن ذلك، فأخرج نفسه، وتبرأ منها، وخلعها من رقبتيه، وخاع نفسه منها، وبرأ كل من كانت له في عنقه بيعة من جميع أوليائه وسائر الناس مما كان له في رقابهم من البيعة والعهود^(٢) والمواثيق والأيمان بالطلاق والعناق والصدقة والحجّ وسائر الأيمان، وحلّ لهم من جميع ذلك^(٣) وجعلهم في سعة منه في الدنيا والآخرة، بعد أن تبين له أن الصلاح له وللمسلمين في خروجه عن الخلافة والتبرؤ منها، وأشهد على نفسه بجميع ما سمي، ووصف في هذا الكتاب جميع الشهود المسمين فيه، وجميع من حضر، بعد أن قرئ عليه حرفاً حرفاً، فأقرّ بفهمه ومعرفته جميع ما فيه طائعا غير مكره، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة ١٧١٣/٣

(٢) س، ف : « والعقد » .

(١) ب، ف : « فيها » .

(٣) بعدها في ف : « كله » .

خمس وخمسين ومائتين .

فوقع المعتز في ذلك : « أقرّ أبو عبد الله بجميع ^(١) ما في هذا الكتاب ، وكتب بخطه » .

وكتب الشهود شهاداتهم : شهد الحسن بن محمد ومحمد بن يحيى وأحمد ابن جناب ويحيى بن زكرياء بن أبي يعقوب الأصبهانيّ وعبد الله بن محمد العامريّ وأحمد بن الفضل بن يحيى وحماّد بن إسحاق وعبد الله بن محمد وإبراهيم ابن محمد ؛ وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين .

١٧١٤/٣

* * *

[قيام الشغب ببغداد ووثوب العامة بسليمان بن عبد الله]

وفي سلخ ^(٢) رَجَب من هذه السنة ^(٣) ، كان ببغداد شغب ووثوب العامة بسليمان بن عبد الله بن طاهر .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل الأمر إليه :

وكان السببُ في ذلك ، أن الكتاب من محمد بن الواثق ورد يوم الخميس سلخ رجب على سليمان ببغداد ببيعة الناس له ، وبها أبو أحمد بن المتوكل ؛ وكان أخوه المعتز سيّره إلى البصرة حين سخط على أخيه من أمه المؤيد ؛ فلما وقعت العصبية بالبصرة نقله إلى بغداد ؛ فكان مقيماً بها ، فبعث سليمان بن عبد الله بن طاهر وإليه الشرطة يومئذ ببغداد ، فأحضره داره ، وسمع من ببغداد من الجند والغوّاء بأمر المعتز وابن الواثق ، فاجتمعوا إلى باب سليمان ، وضجّوا هنالك ، ثم انصرفوا على أنه قيل لهم : لم يرد علينا من الخبر ما نعلم به ما عمل به القوم ، فعندوا يوم الجمعة على ذلك من الصباح والقول الذي كان قيل لهم يوم الخميس ، وصلى الناس في المسجدين ^(٤) ، ودُعِيَ فيهما للمعتز ، فلما كان يوم السبت غدا القوم ، فهجموا على دار سليمان ، وهتفوا باسم أبي أحمد ، ودعّوا إلى بيعته ، وخلصوا إلى سليمان في داره ، وسألوه أن يريهم أبا أحمد

١٧١٥/٣

(٢) من : « شهر » .

(١) ف : « جميع » .

(٣) ب : « المسجد » .

(٤) س : « منها » .

ابن المتوكل ، فأظهره لهم ، ووعدهم المصير الى محبتهم إن تأخر عنهم ما يحبون ، فانصرفوا عنه بعد أن أكدوا عليه في حفظه .

وقدم يارجوخ فنزل البردان ومعه ثلاثون ألف دينار لإعطاء الجند ممن بمدينة السلام ، ثم صار الى الشماسية ، ثم غدا ليدخل بغداد ؛ فبلغ الناس الخبر ، فضجوا وبادروا بالخروج إليه ، وبلغ يارجوخ الخبر ، فرجع الى البردان ، فأقام بها ، وكتب الى السلطان ، واختلفت الكتب حتى وجته الى أهل بغداد بمال^(١) رضوا به ، وقعت بيعة^(٢) الخاصة ببغداد للمهتدى يوم الخميس لسبع ليال خلتون^(٣) من شعبان ، ودعى له يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان^(٤) بعد أن كانت ببغداد فيسنة ، قتل فيها وغرق في دجلة قوم ، وجرح آخرون لأن سليمان كان يحفظ داره قوم من الطبرية بالسلاح ، فحاربهم أهل بغداد في شارع دجلة وعلى الجسر ؛ ثم استقام الأمر بعد ذلك وسكنوا^(٥) .

* * *

[ذكر خبر ظهور قبيحة أم المعتز]

وفي شهر رمضان من هذه السنة ظهرت قبيحة للأتراك ، ودلتهم على الأموال التي عندها والذخائر والجوهر ؛ وذلك أنها — فيما ذكر — قد قدرت الفتك بصالح ، وواطأت على ذلك النفر من الكتاب الذين أوقع بهم صالح ؛ فلما أوقع بهم صالح ، وعلمت أنهم لم يطاؤوا عن صالح شيئاً من الخبر بسبب ما نالهم من العذاب ؛ أيقنت بالهلاك ؛ فعملت في التخلص ، فأخرجت ما في الخزائن داخل الجوسق^(٦) من الأموال والجواهر^(٧) وفاخر المتاع ، فأودعت ذلك كله مع ما كانت أودعت قبل ذلك مما هو في هذا المعنى ، ثم لم تأمن المعاجلة الى ما نزل بها وبابنها ، فاحتالت للهرب وجهاً ، فحضرت سرباً من داخل القصر من حجرة لها خاصة ينفذ الى موضع يفوت التفتيش ، فلما علمت

(٢) ب : « معه » .

(١) ب : « بما رضوا به » .

(٤) ف : « منه » .

(٣) س : « لسبع يقين » .

(٦) ف : « في الجوسق » . (٧) ب : « والجوهر » .

(٥) س : « وسكن » .

بالحادثة بادرت من غير تلبّث ولا تلوّم ؛ حتى صارت في ذلك السّرّب ، ثم خرجت من القصر ؛ فلما فرغ الذين شغبوا في أمر ابنها مما أرادوا لإحكامه ؛ فصاروا الى طلبها غير شاكّين في القدرة عليها ، وجدوا القصر منها خالياً ، وأمرّها عنهم مستتراً ؛ لا يقفون منه على شيء ؛ ولا ما يؤديهم الى معرفته ؛ حتى وقفوا على السّرّب ، فعلموا حينئذ أنهم منه أوتوا فسلكوه ؛ وانتهوا الى موضع لا يُوقف منه على خبر ولا أثر ، فأيقنوا بالفسوّ ، ثم رجموا الظنّون ؛ فلم يجدوا لها معقلاً أعزّ ولا أمتع إن هي لحأت إلية من حبيب حرة موسى بن بغا التي تزوّجها من جوارى المتوكل ، فأحالوا على تلك الناحية ، وكرهوا التعرّض لشيء من أسبابها ، ووضعوا العيون والأرصّاد عليها ، وأظهروا التوعّد لمن وقفوا على معرفته بأمرها ؛ ثم لم يُظهرهم عليها ؛ فلم يزل الأمر منظوياً عنهم ؛ حتى ظهرت في شهر رمضان ؛ وصارت الى صالح بن وصيف ، ووسّطت بينها وبين صالح العطّارة ؛ وكانت تثيق بها ؛ وكانت لها أموال ببغداد ، فكتبت في حَمَلِها ؛ فاستخرج وحَمَل منها الى سامُراً .

١٧١٧/٣

فذكر أنه وافى سامُراً يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من هذه السّنة قدر خمسمائة ألف دينار ، ووقعوا لها على خزائن ببغداد . فوجّه في حملها ، فاستخرج وحمل منها ، فحمل الى السلطان من ذلك متاعٌ كثير ، وأُحبل من ببغداد من الجند والشاكرية المرتزقة بمال عظيم عليه ولم تزل تُباع تلك الخزائن متصلاً ببغداد وسامُراً عدّة شهور ؛ حتى نفدت . ولم تزل قبيحة مقيمة الى أن شخص الناس الى مكة في هذه السنة ، فسُيّرت إليها مع رجاء الربّانيّ وحشّ مولى المهتلى ؛ فذكر عَمَن سمعها في طريقها وهي تدعو الله على صالح بن وصيف بصوت عالٍ وتقول : اللهم أخز صالح ابن وصيف ؛ كما هتك سترى ، وقتل ولدنى ، وبدّد شملى ، وأخذ مالى ، وغرّبنى عن بلدى ، وركب الفاحشة منى ! فانصرف الناس عن الموسم^(١) واحتبست بمكة .

١٧١٨/٣

وذكر أن الأتراك لما تحركوا ، وثاروا بالمعتز أرسلوا إليه يطلبون منه خمسين

ألف دينار ؛ على أن يقتلوا صالحًا ؛ ويستوى لهم الأمر . فأرسل إلى أمه يعلمها اضطرابهم عليه ، وأنه خائف على نفسه منهم ، فقالت : ما عندى مال ، وقد وردت لنا سفائح ؛ فلينتظروا حتى نقبض ونعطيتهم ؛ فلما قُتل المعتز ، أرسل صالح إلى رجل جوهرى . قال الرجل : فدخلت إليه وعنده أحمد ابن خاقان ؛ فقال : ويحك ! هوذا ترى ما أنا فيه ! وكان صالح قد أخافوه وطالبوه بالمال ؛ ولم يكن عنده شيء ، فقال لى : قد بلغنى أن لقييحة خزانة^(١) في موضع يرشدك إليه هذا الرجل — واذا رجل^(٢) بين يديه — فامض ومعك أحمد ابن خاقان ؛ فإن أصبحت شيئًا فأثبتته عندك ، وسلمته إلى أحمد بن خاقان ، وصير^(٣) إلى^(١) معه . قال : فضيت^(١) إلى الصّفوف^(٢) بحضرة المسجد الجامع ؛ فجاء بنا ذلك الرجل إلى دار صغيرة معمورة نظيفة ؛ فدخلنا ففتشنا كل موضع فيها فلم نجد شيئًا ، وجعل ذلك يغلظ على أحمد بن خاقان ، وهو يتهدد الرجل ويشوعده ، ويغلظ له ، وأخذ الرجل فأسأ ينقر به الحيطان يطلب موضعًا قد ستر فيه المال ؛ فلم يزل كذلك حتى وقع الفأس على مكان فى الحائط استدل بصوته على أن فيه شيئًا ، فهدمه وإذا من ورائه باب ، ففتحناه ودخلنا إليه ؛ فأدّانا إلى سرب ، وصرنا إلى دار تحت الدار التى دخلناها على بنائها وقسمتها ، فوجدنا من المال على رفوف فى أسفاط زهاء ألف ألف دينار ، فأخذ أحمد منها ومن كان معه قدر ثلثمائة ألف دينار ، ووجدنا ثلاثة أسفاط : سَفَطًا فيه مقدار مكوك زمرد إلا أنه من الزمرد الذى لم أر للمتوكل مثله ولا لغيره ، وسَفَطًا دونه فيه نصف مكوك حب كبير ، لم أر والله للمتوكل ولا لغيره مثله ، وسَفَطًا دونه فيه مقدار كيلجة ياقوت أحمر لم أر مثله ، ولا ظننت أن مثله يكون فى الدنيا ؛ فقومت الجميع على البيع ؛ فكانت قيمته ألفى ألف دينار ، فحملناه كله إلى صالح ؛ فلما رآه جعل لا يصدق ولا يوقن حتى أحضر^(٣) بحضرته ووقف عليه ، فقال عند ذلك : ١٧٢٠/٣ فعل الله بها وفعل ؛ عرضت ابنها للقتل فى مقدار خمسين ألف دينار ، وعندها مثل هذا فى خزانة واحدة من خزائنها !

(٢) س : « إلى القصر » .

(١) ب ، ف : « فضينا » .

(٣) ف : « حتى أحضره » .

وكانت أم محمد بن الواثق توفيت قبل أن يبايع^١؛ وكانت تحت المستعين ؛ فلما قُتِلَ المستعين صيرها المعتز في قصر الرضافة الذي فيه الحرم، فلما ولي الخلافة المهتدي قال يوماً لجماعة من الموالى: أمّا أنا فليس لى أمّ أحتاج لها إلى غلّة عشرة آلاف ألف^(١) في كل سنة لجواريتها وخدمها والمتصلين بها ؛ وما أريد لنفسى وولدى إلا القوت ، وما أريد فضلا إلاّ لإخوتى فإن الضيقة قد مستهم .

[ذكر الخبر عن قتل أحمد بن إسرائيل وأبى نوح]

ولثلاث بقين من رمضان^(٢) من هذه السنة قتل أحمد بن إسرائيل وأبو نوح .

* ذكر الخبر عن صفة القتيلة التي قتلا بها :

فأما السبب الذى أدّاهما إلى القتل ؛ فقد ذكرناه قبل^٣ ، وأما القتيلة التي قُتِلَا بها ، فإنه ذكر أن صالح بن وصيف لما استصفى أموالهما ومال الحسن ابن مخلّد، وعذّبهم بالضرب والقيند وقرب كوانين الفحم^(٣) في شدة الحرّ منهم ، ومنعهم كلّ راحة ، وهم في يده على حالهم ، ونسبهم الى أمور عظام من الخيانة والقصد لذّ السلطان وإلحّص على دوام الفتن والسعى في شقّ عصا المسلمين ، فلم يعارضه المهتدي في شيء من أمورهم^(٤) ، ولم يوافقه على شيء أنكره من فعله بهم . ثمّ وجهه إليهم الحسن بن سليمان الدوشابى في شهر رمضان ، ليتولّى استخراج شيء إن كان زوى عنه من أموالهم .

١٧٢١/٣

قال : فأخرج إلى أحمد بن إسرائيل ، فقلت له : يا فاجر ، تظنّ أنّ الله يُمهلك ، وأنّ أمير المؤمنين لا يستحلّ قتلك ؛ وأنت السبب في الفتن ، والشريك في الدماء، مع عظيم الخيانة وفساد النية والطويّة ! إنّ في أقلّ من هذا ما تستوجب به المشّة كما استوجب من كان قبلك ، والقتل في العاجلة والعذاب

(٢) ب : « من شهر رمضان » .

(٤) س : « أمرهم » .

(١) بعدها في ف : « دينار » .

(٣) ف : « النار » .

والخزى فى الآجلة، إن لم تسعد من الله بعفو وإمهال، ومن إمامك بصفح واحتمال؛ فاستر نفسك من نزول ما تستحق بالصدق عما عندك من المال؛ فإنك إن تفعل ويوقف على صدقك تسلم بنفسك. قال: فذكر أنه لاشيء عنده، ولا ترك له إلى هذا الوقت مال ولا عتقة. قال: فدعوت بالمقارع وأمرت أن يقام فى الشمس، وأرعدت وأبرقت، وإن كان ليفوتنى الظفر منه بشيء من صرامة ورجلة^(١) حتى أومى إلى قدر تسعة عشر ألف دينار؛ فأخذت رقعته بها.

قال: ثم أحضرت أبا نوح عيسى بن إبراهيم فقلت له مثل الذى قلت لأحمد أو نحوه، وزدت فى ذلك بأن قلت: وأنت مع هذا^(٢) مقيم على دينك النصرانية، مرتكب فروج المسلمين تشقياً من الإسلام وأهله! ولا دلالة أدل على ذلك ممن لم يزل فى منزلك على حال النصرانية من أهل وولد، ومن كان ذا عتقه فقد أباح الله دمه.

قال: فلم يجيب إلى شيء، وأظهر ضعفاً وفقراً. قال: وأما الحسن بن مخلد فأخرجته؛ فلما خاطبته خاطبت رجلاً موضعاً^(٣) رخواً، قال: فبكته بما ظهر منه، وقلت: من كان له الرضا بين يديه إذا سار على الشهاى^(٤) وقد رما قدرت، وأراد ما أردت، لم يكن موضعاً رطباً ولا مخنثاً رخواً. قال: ولم أزل به حتى كتب رقعة بجوهر قيمته نيف وثلاثون ألف دينار؛ قال: وردوا جميعاً إلى موضعهم^(٥)؛ وانصرفت. فكانت مناظرة الحسن بن سليمان الدوشابى لهم آخر مناظرة كانت معهم؛ ولم ينظروا أيام المهتدى فيما بلغنى^(٦) مناظرة غيرها.

فلما كان يوم الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان أخرج أحمد بن إسرائيل وأبو نوح عيسى بن إبراهيم إلى باب العامة، فقعد صالح بن وصيف ١٧٢٣/٣

(١) الرجلة؛ مثل الرجولية.

(٢) ف: «ذلك».

(٣) الموضع: الطرح، غير مستحكم الخلق.

(٤) الشهاى: نوع من البراذين، مفردة شهرية.

(٥) ف: «موضعهم».

(٦) ب، ف: «نعله».

في الدار ، ووكل بضربيهما حماد بن محمد بن حماد بن دثقمش ، فأقام أحمد بن إسرائيل وابن دثقمش يقول : أوجع ، وكان كل جلد يضربه سوطين ، ويتنحى حتى وفوه خمسمائة سوط . ثم أقاموا أبا نوح أيضاً فضرب خمسمائة سوط ضرب التآلف ، ثم حملاً على بغلين من بغال السقائين على بطونهما ، منكسةً رعوسهما ، ظاهرة ظهورهما للناس . فأما أحمد فحين بلغ خشبة بابك مات ، وحين وصلوا بأبي نوح مات ؛ فدفن أحمد بين الحائطين . ويقال إن أبا نوح مات من يومه في حبس السرخسي خليفة ظلمجور على شرط الخاصة ، وبقي الحسن بن مخلد في الحبس .

وذكير عن بعض من حضر أنه قال : لقد رأيت حماد بن محمد بن حماد بن دثقمش وهو يقول للجلادين : أنفسكم يا بني الفاعلة — لا يكنى — ويقول : أوجعوا وغيروا السياط ، وبدلوا الرجال ، وأحمد بن إسرائيل وعيسى يستغيثان ؛ فذكير أن المهتدي لما بلغه ذلك قال : أما عقوبة إلا السوط أو القتل ! أما يقوم مقام هذا شيء ! أما يكنى ! إنا لله وإنا إليه راجعون ، يقول ذلك ويسترجع مراراً .

وذكر عن الحسن بن مخلد أنه قال : لم يكن الأمر فينا عند صالح إذا لم يحضره عبد الله بن محمد بن يزداذ على ما كان يكون عليه من الغلظة إذا حضر . قال : وكان يقول لصالح : اضرب وعذب فإنّ الأصلاح من وراء ذلك القتل ؛ فإنهم إن أفلتوا لم تؤمن بوائقهم في الأعقاب ؛ فضلاً عن الواترين ؛ ويذكره قببح ما بلغه عنهم . وكان يسر بذلك .

١٧٢٤/٣

قال : وكان داود بن [أبي] ^(١) العباس الطوسي يحضرنا عند صالح فيقول : وما هؤلاء أعزك الله ، فبلغ منك الغضب بسببهم هذا المبلغ ! فظنه يرققه علينا حتى يقول : على إني والله أعلم أنهم إن تخلصوا انتشر ^(٢) منهم شر كبير وفساد في الإسلام عظيم ؛ فينصرف وقد أفتاه بقتلنا ، وأشار عليه بإهلاكنا ؛

(١) زيادة لازمة ؛ وهو داود بن محمد أبي العباس . وانظر الفهرس .

(٢) كذا في ب وهو الوجه ، وفي ط : « تخلص » .

فيزداد برأيه وما قال له علينا غيظاً ، وإلى الإساءة بنا أنسأ ، فسئل بعض من كان يخبر أمرهم : كيف نجا الحسن بن محمد مما صلبى به صاحبه ؟ فقال : بخصلتين ؛ إحداهما أنه صدقه عن الخبر في أوّل وهلة وأوجد الدلائل على ما قاله له إنه حق ؛ وقد كان وعده العفو إن صدقه ، وحلف له على ذلك ، والأخرى أن أمير المؤمنين كلمه فيه وأعلمه حرمة أهله به ، وأوماً إلى محبته لإصلاح شأنه ، فردّه عن عظيم المكروه فيه ؛ وقد كنت أرى أنه لو طالت لصالح مدة وهو في يده ، أطلقه واصطنعه ، ولم يكن صالح بن وصيف اقتصر في أمر الكتاب على أخذ أموالهم وأموال أولادهم ؛ حتى أخاف^(١) أسبابهم وقراباتهم بأخذ أموالهم ، وتخطى إلى المتصلين بهم .

* * *

[شغب الجند والعامّة ببغداد وولاية سليمان بن عبد الله بن طاهر عليها]
ولثلاث عشرة خلت من شهر رمضان منها فتح السجن ببغداد ، ووثبت الشاكريّة والنائبّة ببغداد من جندها بمحمد بن أوس البلخي :
* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما آل الأمر إليه فيه :

ذكر أن السبب في ذلك كان أن محمد بن أوس ، قدم بغداد مع سليمان ابن عبد الله بن طاهر وهو على الجيش القادمين من خراسان مع سليمان والصعاليك الذين تألفهم سليمان بالرّي ، ولم تكن أسماؤهم في ديوان السلطان بالعراق ، ولا أمير سليمان فيهم بشيء ؛ وكافت السنّة فيهم أن يقام لمن قدم معه من خراسان بالعراق حسب ما يقام بخراسان لنظرائهم من مال ضياع ورثة ذى اليمينين^(٢) ، ويكتب بذلك إلى خراسان ليُعارض الورثة هناك من مال العامّة ، بدل ما كان دُفع من مالهم بالعراق . فلما قدم سليمان بن عبد الله العراق ، وجد بيت مال الورثة فارغاً وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر قد تقدّم عند ما صحّ عنده من الخبر^(٣) بتصوير الأمر فيما كان يتولاه إلى أخيه سليمان بن عبد الله ،

(١) من : « خاف » .

(٢) في ابن الأثير : « ورثة طاهر بن الحسين » .

(٣) ب : « الأمر » .

فأخذ ما كان حاصلاً لورثة أبيه وجده في بيت مالهم ، واستسلف على ما لم يرتفع ، وتعجل من المتقبّلين أموال نجوم لم تحلّ حتى استنظفت ذلك أجمع ، وشخص^(١) . فأقام بالجوَيْث في شرق دِجْلَة ، ثم عبّر حتى صار في غريبتها ، فضاقت بسليمان الدنيا ، وتحرك الشاكرية والجنّد في طلب الأرزاق ، وكتب سليمان إلى أبي عبد الله المعتزّ بذلك وقدّر أموالهم ، وأدخل في المال تقدير القادمين معه ؛ ووجه محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الكاتب الخراساني كاتبه في ذلك . فأجيب بعد مناظرات إلى أن سُبِّب له على عمال السّواد مالٌ صُودر عليه لطمع من مدينة السلام وشحن السّواد لا يقوم بما يجب للنّائبة فضلاً عن القادمين مع النّائبة ؛ فلم يتهيأ لسليمان الوصول إلى شيء من المال ، وقدم ابن أوس والصّعاليك وأصحابه ، فقصر المال عنه وعن كان يقدر وصوله إليه من النّائبة^(٢) ، فوقفوا على ذلك وعلى السبب المضربهم فيه . وكان القادمون مع سليمان من الصّعاليك وغيرهم لما قدّموا بغداد أساءوا المجاورة لأهلها ، وجأهروا بالفاحشة ، وتعرّضوا للحرم والعبيد والغلمان ، وعادوهم لمكانهم من السلطان ؛ حتى امتلأوا عليهم غيظاً وحسناً . وقد كان سليمان بن عبد الله وحراً^(٣) على الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب بن رزيق ؛ لمكانه كان من عبيد الله بن عبد الله [بن طاهر]^(٤) ونصرته له وكفايته ، وانصرافه عن سليمان وأسبابه^(٥) . فلما انصرف الحسين بن إسماعيل إلى بغداد بعقب ما كان يتولاه لعبيد الله من أمر الجنّد والشاكرية ، فحبس كاتبه في المطبق وحاجبه في سجن باب الشام ، ووكل بباب الحسين ابن إسماعيل جنّداً من قبيل إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ؛ لأن سليمان ولّى إبراهيم ما كان الحسين بن إسماعيل يتولاه لعبيد الله من أمر جسر بني بغداد وطساميخ قطربل ومسكن والأنبار ؛ فلما حدث ما حدث من بيعة المهتدي وشغب الجنّد والشاكرية بمدينة السلام ، ووقعت الحرب في تلك الأيام ، شدّ محمد ابن أوس على رجل من المرازقة ، كان من الشيعة ، فضربه في دار سليمان ثلاثاً

١٧٢٧/٣

(٢) س ، ف : « من مال النّائبة » .

(٤) من ب ، ف .

(١) س : « وأشخص » .

(٣) الوجز : الحقد .

(٥) ب ، ف : « وأشباهه » .

سوط ضرباً مبرحاً ، وجبسه بباب الشام ؛ وكان هذا الرَّجُل من خاصّة الحسين بن إسماعيل ؛ فلما حدث هذا الحادث احتيج إلى الحسين بن إسماعيل ، لفضل جلده وإقدامه فتُحْيَى^(١) من كان يباهه موثقاً فظهر ، فراجع أصحابه من غير أمر ؛ وقد كانوا فُرقوا على القوّاد ، وضُمّ منهم جمع كبير إلى محمد بن أبي عون القائد ؛ فذكر أن المضمومين^(٢) إلى ابن أبي عون لما صاروا إلى بابه^(٣) ، فرّق فيهم من ماله ؛ للرّاجل عشرة دراهم ، وللفارس ديناراً ؛ فلما رجعوا إلى الحسين رفع ابن أبي عون بذكر ذلك ؛ فلم يخرج في ذلك تعيين ولا أمر ؛ فلم يزل الحال على هذا والجند والشافريّة يصيحون في طلب مال البيعة وما بقي لهم من مال الطمع المتقدّم ؛ وقد ردّ أمرهم في تقسيط ما لهم ، وقبضهم إلى الحسين على ما كان الأمر عليه أيام عبيد الله بن عبد الله بن طاهر . وكان الحسين لا يزال يلقى إليهم ما عليه محمد بن أوس ومن قدم مع سليمان من القصد لأخذ أموالهم والفوز بها دونهم ؛ حتى امتلأت قلوبهم . فلما كان يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان ، اجتمع جماعة من الجند والشافريّة ، ومعهم جماعة من العامة حتى صاروا إلى سجن باب الشام ليلاً ، فكسروا بابه ، وأطلقوا في تلك الليلة أكثر من كان فيه ، ولم يبق فيه من أصحاب الجرائم أحدٌ إلا الضعيف والمريض والمثقل ؛ فكان ممن خرج في تلك الليلة نفرٌ من أهل بيت مساور بن عبد الحميد الشاري ، وخرج معهم المروزيّ مضروب محمد بن أوس وجماعة ممن قد لزم السلطان إلى أن صاروا إلى قبضته زهاء خمسين ألفاً ، وأصبح الناس في يوم الجمعة وباب الحبس^(٤) مفتوح ؛ فمن قدر أن يمشي مشى ، ومن لم يقدر اكترى له ما يركبه ؛ وما يمنع من ذلك مانع ، ولا يدفع دافع ؛ فكان ذلك من أقوى الأمور التي بعثت الخاصة والعامة على دفع الهيبة بينهم وبين سليمان بن عبد الله وسدّ باب السجن بباب الشام بآجر وطين ؛ ولم يعلم أنه كان لإبراهيم ابن إسحاق في هذه الليلة ولا لأحد من أصحابه حركة أصلاً ؛ فتحدث الناس أن الذي جُنِيَ على سجن باب الشام بمكان المروزيّ الذي ضربه ابن أوس فيه

(١) ف : « فتحي » .

(٢) س : « القاديين » .

(٣) ب : « باب ابن أبي عون » .

(٤) ب ، ف : « السجن » .

حتى يخلص^(١). ثم لم يمض بعد ذلك خمسة أيام ، حتى نافر ابن أوس الحسين ابن إسماعيل في أمر مال النائية أرادته محمد بن أوس لأصحابه ومنعه الحسين ، وتجاريا في ذلك كلاما غلظ بينهما ، فخرج محمد متنكرا ؛ فلما كان الغد من ذلك اليوم غدا محمد بن أوس إلى دار سليمان ، وغدا الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال مولى طاهر ، وحضر الناس باب سليمان ؛ وكان^(٢) بين مَن حضر من أصحاب ابن أوس وبين النائية محادثة ، علت فيها الأصوات ؛ فتبادر أصحاب ابن أوس والقادمون إلى الجزيرة ، وعبر إليهم ابن أوس وولده ؛ وتصايح الناس بالسلاح ، وخرج الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال والمظفر ابن سيسل في أصحابهم ، وصاح الناس بالعامية : مَن أراد التَّهَب فليلحق بنا ؛ فقليل ؛ إنه عبر الجسر من العامة في ذلك الوقت مائة ألف إنسان في الزَّوَارِق ، وتوافى الجند والساكبة بالسلاح ؛ فوافى أوائل الناس الجزيرة ؛ فلم يكن إلاّ قدر اللحظة حتى حمل رجل من أهل سَرَخس على الكبير من ولد محمد بن أوس ، وطعنه ، فأرادته عن شهرى كان تحته ؛ ثم أخذته السيوف فانهزم عنه أصحابه ، فلم يعمل أحد منهم شيئا ، وسلب الجريح وحمل في زورق ، حتى عبّر به إلى دار سليمان بن عبد الله بن طاهر ، فألقى هناك .

١٧٣٠/٣

فذكر بعض مَن حضر سليمان ، أنه لما رآه اغرورقت عيناه من الدمع ، ومهّد له ، وأحضّر له الأطباء ، ومضى ابن أوس من وجهه^(٣) إلى منزله ؛ وكان ينزل في دار لآل أحمد بن صالح بن شيرزاد بالدور ، مما يلي قصر جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك . وجدّ أهل بغداد في آثارهم والقوادر معهم حتى تلقوهم^(٤) ، فكانت بينهم وقعة بالدور ؛ أولها في آخر الساعة الثانية وآخرها في أوّل الساعة السابعة ؛ فلم يزالوا يترشقون بالنشاب ، ويتطاعنون بالرماح ، ويتخابطون بالسيوف . وأعان ابن أوس جيرانه من أهل سويقة قُطوطا وأصحاب الزَّوَارِق من ملاحي الدور . واشتدّت الحرب ، ووجه أهل بغداد يطلبون نفاطين

١٧٣١/٣

(٢) ب ، ف : « فكانت » .

(٤) ب : « حتى يلقوهم » .

(١) ف : « تخلص » .

(٣) ف : « فوره » .

من دار سليمان^(١) . فذكروا أن حاجبه دخل ، فأعلمه ذلك ؛ فأمر بمنعهم منه ؛ وقاتل ابن أوس قتلاً شديداً ، فنهزم أصحابه ؛ وقد كان أخرج حرمه من داره ؛ فلم يزل أهل بغداد يتبعونهم حتى أخرجوهم من باب الشَّامِسيَّة ، ووصل الناس إلى منزل ابن أوس ؛ فانتهبوا جميع ما كان فيه ؛ فذكُر أنه انتهب له بقيمة ألفي ألف درهم ؛ والمقلَّل يقول : ألف ألف وخمسين ألفاً ؛ وأنه انتهب له زهاء مائة سراويل مبطَّن بسمَّور ؛ سوى ما كان مبطَّنًا بغيره من الوبر مما يشاكل ذلك ؛ وانتهب له من الفرش الطبري الخام والمقصور والمدرج والمقطوع ما يكون قيمته ألف ألف درهم ؛ وانصرف الناس ، فجعل الجند يدخلون دار سليمان ، وهم يكثرون^(٢) ، ومعهم ١٧٣٢/٣ النهب وهم يصيحون ، وما لهم مانع ولا زاجر . وأقام ابن أوس ليلته تلك بالشَّامِسيَّة مع من لحق به من أصحابه . وقد كان أهل بغداد وثبوا بمنزل الصَّعاليك التي كانوا فيها سكَّاناً ، فنهبوا ، وتعرَّضوا لمن كان تخلف منهم ، فتلاحق القوم هُرباً ، ولم يبق منهم في اليوم الثاني ببغداد أحد ظاهراً .

فذكُر أن سليمان وجَّه تلك الليلة إلى ابن أوس ثياباً وفرشاً وطعاماً ؛ فيقال : إن محمداً قبَّله ، وقيل : إنه ردَّه . وأصبح الناس في اليوم الثاني وغدا الحسين بن إسماعيل والمظفر بن سبيل إلى دار الشاه بن ميكال ، ولحق به وجوه الشاكرية والنائبة وغيرهم ؛ فأقاموا هناك مُراعِمين سليمان بن عبد الله بن طاهر . وخلت دار سليمان فلم يحضرها إلا جُمُيعة . فبعث إليهم سليمان مع محمد بن نصر بن حمزة بن مالك الخُزاعي ، وهو لا يعلم ما عليه عقد القوم ، يُعلمهم قبح^(٣) ما ركبوا من محمد بن أوس ، وما يجب لمحمد بحُرْمته وقديمه ، وأنهم لو أنهوا إليه ما أنكروا منه لتقدَّم في ذلك بما يكفيهم معه الحال التي ركبوها ، فضجَّ الشاكرية الذين حضروا دار الشاه جميعاً وقالوا : لا نرضى بمجاورة ابن أوس ولا بمجاورة أحدٍ من أصحابه ولا من الصَّعاليك المنضمين إليه ؛ وأنهم إن

(١) ف : « نقاطين من أهل بغداد من عند دار سليمان » .

(٢) ف : « يكثرون » .

(٣) س ، ف : « قبيح » .

أكرهوا على ذلك تعاقدوا مباينته ، وخلع مَن يسومهم إياه ، وأحال الشاه بن ميكال والحسين بن إسماعيل والمظفر بن سيسل على كراهة القوم ، فرجع الرسول بذلك إلى سليمان ، فردّه إليهم بكلام دون ذلك ، ووعدهم وقال : أنا أثق بقولكم وضمائنكم ^(١) دون أيمانكم وعهودكم . ثم استوى جالساً .

وذكر أنه لم يزل مستقلاً ^(٢) محمد بن أوس ومن لحق به من الصعاليك وغيرهم ، عارفاً بسوء رغبتهم ورداءة مذاهبهم ، وبسوم محمد بن أوس في نفسه خاصة ومحبتة وشروعه في كل ما دعا إلى خلاف وفرقة ، وأسبغ هذا المعنى ، وكثر فيه حتى خرج به إلى الإغراق فيه ؛ إلى أن قال : لقد كنت أدخل في قنوق في الصلاة طلب الراحة من ابن أوس . ثم التفت إلى محمد بن علي بن طاهر ، فأمره بالمصير إلى ابن أوس ، والتقدم إليه في العزم على الانصراف إلى خراسان ، وأن يعلمه أنه لا سبيل له إلى الرجوع ^(٣) إلى مدينة السلام ؛ ولا إلى تولي شيء من الأمور التي يتولاها لسليمان .

١٧٣٤/٣

فلما تنهى الخبر إلى ابن أوس رحل من الشامية ، فصار في رقة البرداء على دجلة ، فأقام بها أياماً حتى اجتمع إليه مَن تفرق من أصحابه ، رحل فنزل النهران ؛ فلم يزل بها مقيماً . وقد كان كتب إلى بايكباك وصال ابن وصيف يعرض عليهما نفسه ، ويشكو إليهما ما نزل به ؛ فلم يجد عنده شيئاً مما قصد ؛ وقد كان محمد بن عيسى بن عبد الرحمن مقيماً بسامراً ليند أمور سليمان ، وكان كارهاً لابن أوس ، منحرفاً عنه . وكان ابن أوس مضطرب الأمر لسوء محضر محمد بن عيسى الكاتب ؛ فلما انقطعت عن ابن أوس وأصحابه المادّة ، تعبثوا بأهل القرى والسابلة ، وأكثروا الغارات والنهب ، ورحل حتى نزل النهران .

فذكر عن بعض مَن قصده لينتهبه ، فذكرهم المعاد ، وخوفهم الله أنهم ردوا عليه أن قالوا له : إن كان النهب والقتل جائزاً في مدينة السلام ؛ وهي قبة الإسلام ، ودار عز السلطان ، فما استنكار ذلك في الصحارى والبراري !

(٢) س ، ف : « مستقبلاً » .

(١) ف : « وكلامكم » .

(٣) س : « رجوعه » .

ثم رحل ابنُ أوس عن النّهر و ان بعد أن أتر في تلك الناحية آثاراً قبيحة، وأخذ أهلَ البلاد بأداء الأموال ، وحمل منها الطعام^(١) في السفن في بطن النّهر و ان إلى إسكاف بنى جنيد لبيعه هناك .

١٧٣٥/٣

وكان محمد بن المظفر بن سيسل بالمدائن ، فلما بلغه مصيرُ ابنِ أوس إلى النّهر و ان صير إقامته بالتّعمانية من عمل الزواجى خوفاً على نفسه منه لحضور أبيه كان في يوم الواقعة .

فذكر عن محمد بن نصر بن منصور بن بسام - وعبرتأ ضيعته - أن وكيله انصرف عنها هارباً بعد أن أدّى إلى ابن أوس تحت العذاب وخوف الموت قريباً من ألف وخمسمائة دينار؛ ولم يزل ابن أوس مقيماً هناك، يقرب ويباعد ، ويقبض ويبسط ، ويشدّ ويلين ، ويرهب ؛ حتى أتاه كتاب بايكباك بولاية طريق خراسان من قبله ، فكان من وقت خروجه من مدينة السلام إلى وقت ورود الكتاب عليه بالولاية شهران وخمسة عشر يوماً .

وذكر عن بعض ولد عاصم بن يونس العجليّ أن أباه كان يتولّى ضياعاً للنوشريّ بناحية طريق خراسان ، وأنه كتب الى النوشريّ يذكر ما عاين من قوّة عسكر ابن أوس وظاهر عدتهم ، ويشير بأن يذكر ذلك لبايكباك ، ويصف خلاء طريق خراسان من سلطان يتولاه ويحوط أهله^(٢) ، وأنّ هذا عسكر مشحّنٌ بالرجال والعُدّة والعتاد ، مقيم في العمل ، وأن النوشريّ ذكر ذلك لبايكباك ، وأشار عليه بتوليته طريق خراسان ، وتخفيف المئنة عن السلطان^(٣) ، فقبيل ما أشار به عليه ، وأمر بكتّبه فكتبت ، وولّى طريق خراسان في ذى القعدة من هذه السنة - وهي سنة خمس وخمسين ومائتين - وكان موسى خليفة مساور ابن عبد الحميد الشاري مقيماً بالدسكرة ونواحيها في زهاء ثلثمائة رجل ، قد ولّاه مساور ما بين حُلوان إلى السوس على طريق خراسان وبطن جُوخي وما قرب ذلك من طساسيج السواد .

* * *

(٢) ف : « ويحيط أمره »

(١) بعدها في ف : « جملة » .

(٣) ف : « على السلطان » .

١٧٣٦/٣

وفيها أمر المهتدي بإخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامراً ونفيهم منها إلى بغداد ؛ بعد أمرٍ كان قد تقدّم من قبيحة في ذلك قبل أن ينزل بابنها ما نزل ، وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرد الكلاب وإبطال الملامى وردّ المظالم ، وجلس لذلك للعامّة ، وكانت ولايته والدنيا كلها من أرض الإسلام مفتونة .

* * *

[ذكر خبر استيلاء مفلح على طبرستان ثم انصرافه عنها]

وفيها شخص موسى بن بغا ومنّ معه من الموالى وجند السلطان من الرّثى وانصرف مفلح عن طبرستان بعد أن دخلها ، وهزم الحسن بن زيد ، وأخرجها عنها إلى أرض الديلم .

* ذكر الخبر عن شخوصه عنها :

ذكر أن السبب في ذلك أن قبيحة أمّ المعتزّ، لما رأت من الأتراك اضطراباً، وأنكرت أمرهم، كتبت إلى موسى بن بغا تسأله القدوم إلى ما قبيلها، وأملت وروده^(١) عليها قبل حدوث ما حدث عليها وعلى ابنها المعتزّ ، فعزم موسى على الانصراف إليها ، وكان ورود كتابها عليه ومفلح بطبرستان . فكتب^(٢) موسى إلى مفلح يأمره بالانصراف إليها وهو بالرّثى، فحدثني بعض أصحابنا^(٣) من أهل طبرستان ، أن كتاب موسى ورد على مفلح بذلك ، وقد توجه نحو أرض الديلم في طلب الحسن بن زيد الطالبي . فلما ورد عليه الكتاب انصرف واجعاً إلى حيث توجه منه ، فعظم ذلك على قوم كانوا معه من رؤساء أهل طبرستان ممن كان هارباً قبل مقدم مفلح عليهم من الحسن ابن زيد ، لما كانوا قد رجوا من مقدمه عليهم وكفايتهم أمر الحسن بن زيد والرجوع إلى منازلهم وأوطانهم ؛ وذلك أن مفلحاً كان يعدّهم اتباع الحسن ابن زيد حيث توجه حتى يظفروا به أو يُخترّم دونه ، ويقول لهم - فيما ذكر لي -

١٧٣٧/٣

(٢) كذا في ب ، وفي ط : « وكتب » .

(١) ف : « قدومه » .

(٣) ف : « أصحابه » .

لو رميت قلنسوتي في أرض الديلم ما اجترأ أحد منهم أن يذنوّ منها . فلما رأى القوم انصرافه عن الوجه الذي توجه له من غير عسكر للحسن بن زيد . ولا أحد من الديلم صدّه ، سألوه — فيما ذكر لي — عن السبب الذي صرّفه عما كان يعدّهم به من اتباع ابن زيد ، وجعلوا يكلمونه — فيما أخبرت — وهو كالمسيبوت^(١) لا يجيبهم بشيء ؛ فلما أكثروا عليه قال لهم : ورد على كتاب الأمير موسى بعزمة منه ألا أضع كتابه من يدي بعد ما يصل إلىّ حتى أقبل إليه . وأنا مغموّم بأمركم ؛ ولكن لا سبيل إلى مخالفة الأمير . فلم يتهيباً لموسى الشخصوس من الرّى إلى سامراً حتى وافاه الكتاب بهلاك المعتزّ وقيام المهتدي بعده بالأمر ، ففتّاه^(٢) ذلك عما كان عزم عليه من الشخصوس ، لقوته ما قد رادراكه من أمر المعتزّ . ولمّا وردت عليه بيعة المهتدي ، امتنع أصحابه عليه من بيعته ، ثم بايعوا . فورد خبر بيعتهم سامراً ثلاث عشرة خلت من شهر رمضان من هذه السنة .

ثم إنّ الموالى الذين في عسكر موسى بلغهم ما استخرج صالح بن وصيف من أموال الكتاب وأسباب المعتزّ والمتوكل ، فشحّوا بذلك على المقيدين بسامراً ؛ فدعوا موسى إلى الانصراف بهم إلى سامراً .

وقدم مفلح على موسى بالرّى تاركاً طبرستان على الحسن بن زيد ، فذكر عن القاشاني أنّه قال : كتب إلىّ ابن أخى من الرّى يذكر أنّه لقي مفلحاً بالرّى ، فسأله عن سبب انصرافه فذكر أن الموالى قد أبوا أن يقيموا ، وأنهم إذا انصرفوا لم يُغنّ مقامه شيئاً .

ثم إن موسى افتتح خراج سنة ست وخمسين ومائتين يوم الأحد مستهلّ شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين ، فاجتني — فيما ذكر — في يوم الأحد قدر خمسمائة ألف درهم ، فاجتمع أهل الرّى ، فقالوا ، أعزّ الله الأمير ! إنك تزعم أنّ الموالى يرجعون إلى سامراً لما يقدرونه من كثرة العطاء هناك ، وأنت وأصحابك في أكثر وأوسع مما القوم هناك فيه ؛ فإن رأيت أن تسدّ هذا الثغر ، وتحسب في أهله^(٣) الأجر والثواب^(٤) ، وتلزمنا من خراجنا في خاصّ أموالنا لمن معك ما ترى أن^(٤) نحتمله فعلت . فلم يجيبهم إلى ما سألو ، فقالوا :

(٢) فتّاه : كفه .

(٤) ف : « أننا » .

(١) المسيبوت : الميت .

(٣-٣) ف : « الثواب » .

أصلح الله الأمير ! فإذا كان الأمير عزم على تركنا ، والانصراف عنا ، فما معنى أخذنا بالحراج لسنة لم نبتدئ بعمارتهما ؛ وأكثر غلة سنة خمس وخمسين ومائتين ، التي قد أخذ الأمير خراجها في الصحارى لا يمكننا الوصول إليها إن رحل الأمير عنا ! فلم يلتفت إلى شيء مما وصفوه له ، وسألوه إياه .

واتصل خبرُ انصرافه بالمهتدى ، فكتب إليه في ذلك كتباً كثيرة ، لم تؤثر أثراً . فلما انتهى إليه قفول موسى من الرّعى ، ولم تغن الكتب شيئاً وجهه رجلين من بني هاشم ، يقال لأحدهما عبد الصمد بن موسى ، ويعرف الآخر بأبى عيسى يحيى بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن على بن عبد الله بن عباس ، وحُملاً^(١) رسالة إلى موسى وإلى من ضمّ عسكره من الموالى ، يصدقهم فيها عن الحال بالحضرة وضيق الأموال بها ، وما يُحاذر من ذهاب ما يخلفونه وراء ظهورهم ، وغلبة الطالبين عليه واتساع آثارهم إلى ناحية الجبل . فشخص بذلك الهاشميان في جماعة من الموالى [وأتباعهم من الديلم]^(٢) ، وأقبل موسى ومن معه وصالح بن وصيف في ذلك يعظم على المهتدى انصرافه ، وينسبه إلى المعصية والخلاف ، ويستهل عليه في أكثر ذلك ، ويبرأ إلى الله من فعله .

١٧٤٠/٣

فذكر أن كتاب صاحب البريد بهمةً دنان لمّا ورد على المهتدى بفصول موسى عنها ، رفع المهتدى يديه إلى السماء ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : اللهم إني أبرأ إليك من فعل موسى بن بُغَا وإخلاله بالشَّغْر وإباحته العدو ؛ فإني قد أعذرت إليه فيما بينى وبينه . اللهم تولّ كيد مَنْ كاید المسلمين ، اللهم انصر جيوش المسلمين حيث كانوا ، اللهم إني شاخص بنيتى واختيارى إلى حيث نكب المسلمون فيه ، ناصراً لهم ودافعاً عنهم . اللهم فأجرنى بنيتى إذ عدمتُ صالحِ الأعوان ! ثم انحدرتُ دموعه يبكى .

وذكر عن بعض من حضر المهتدى في بعض مجالسه التي يقول فيها هذا القول ، وحضره سليمان بن وهب ، فقال : أيا مرنى أمير المؤمنين أن أكتب إلى موسى بما أسمع منه ؟ فقال له : نعم ، اكتب بما تسمع منى ؛ وإن أمنتك أن تنقشه في الصخر^(٣) . ففلقه^(٤) الهاشميان في الطريق ولم يُغنيا شيئاً ،

١٧٤١/٣

(٢) من ا .

(٤) ط : « فلقياه » .

(١) ب « وحملها » .

(٣) ف : « عل الصخر » .

وضجّ الموالي ، وكادوا يشنون بالرّسل ، ورد موسى في جواب الرّسالة يعتذر بتخلف من معه عن الرجوع إلى قوله دون ورود باب أمير المؤمنين ، وأنه إن رام التخلف عنهم لم يأمنهم على نفسه ، ويحتجّ بما عاين الرّسل الموجهون إليه . فورد الرسل بذلك ، وأوفد مع الرسل موسى وفداً من عسكره ، فوافوا سامراً لأربع خلون من المحرم سنة ست وخمسين ومائتين .

* * *

[ذكر الخبر عن مفارقة كنجور على بن الحسين بن قريش]

وفي هذه السنة فارق كنجور على بن الحسين بن قريش ، وكان قد نُفي أيام المعتزل إلى فارس ، فوكل به على بن الحسين ، وحبسه ؛ فلما أَرَادَ على ابن الحسين محاربة يعقوب بن الليث أخرجه من الحبس ، وضمّ إليه خيلاً ورجالاً ، فلما انهزم الناس عن على بن الحسين لحق كنجور بناحية الأهواز ، فأثر في ناحية رامهرمز أثراً^(١) ، ثم لحق بابن أبي دلف ، فوافاه بهمدان ، وأساء السيرة في أسباب^(٢) وصيف وضياعه ووكلائه في تلك الناحية ، ثم لحق بعد ذلك بعسكر موسى . فلما أقبل موسى فيمنّ ضمه العسكر ، بلغ ذلك صالحاً ، فكتب عن المهتدي في حمل كنجور إلى الباب مقيداً ، فأبى ذلك الموالي ، ثم لم تزل الكتب تختلف فيه إلى أن نزل العسكر القاطول . ثم ظهر أن صالحاً قعد لمراغمته ، وأن موسى ترحّل إلى سامراً على المباينة لصالح ومن مال إليه ، ولحق بايكباك بعسكر موسى ، وأقام موسى هناك يومين . ووجه المهتدي إليه أخاه إبراهيم لأمره في أمر كنجور يعلمه أن الموالي بسامراً قد أبوا أن يقاروا على دخول كنجور ، ويأمره بتقييده وحمله إلى مدينة السلام ؛ فلم يتهبأ في ذلك ما قدره^(٣) صالح ، وكان جوابهم أن قالوا : إذا دخلنا سامراً امتثلنا ما أمر به أمير المؤمنين في كنجور وغيره .

* * *

(١) ا : « آثاراً قبيحة » . (٢) س : « أصحاب » . (٣) س : « ما قدر » .

خروج أول علموى بالبصرة

والنصف من شوال من هذه السنة ، ظهر في فُرات البصرة رجل زعم أنه عليّ بن محمد بن أحمد بن عليّ بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب ، وجمع إليه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ ، ثم عبر دجلة ، فنزل الدينارى .

• ذكر الخبر عن أمره والسبب الذى بعثه على الخروج هنالك :

وكان اسمه ونسبه — فيما ذكر — عليّ بن محمد بن عبد الرحيم ، ونسبه في عبد القيس ، وأمه قرّة ابنة عليّ بن رحيب بن محمد بن حكيم ، من بني أسد ابن خزيمه ، من ساكنى قرية من قرى الرى ، يقال لها ورزّين ، بها مولده ومنشؤه ؛ فذكر عنه أنه كان يقول : جدّى محمد بن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن عليّ بن الحسين . فلما قُتل زيد هرب فلحق بالرى ، فلجأ الى ورزّين ، فأقام بها . وإن أبا أبيه عبد الرحيم رجلٌ من عبد القيس ، كان مولده بالطالقان ، وأنه قدم العراق فأقام بها ، واشترى جارية سندية ، فأولدها محمداً أباه ؛ فهو عليّ بن محمد هذا ، وأنه كان متصلاً قبل بجماعة من آل المنتصر ؛ منهم غانم الشطرنجى وسعيد الصغير ويسر الخادم ؛ وكان منهم معاشه ومن قوم من أصحاب السلطان وكتابه يمدحهم ويستميحهم بشعره .

١٧٤٣/٣

ثم إنه شخص — فيما ذكر — من سامراً سنة تسع وأربعين ومائتين الى البحرين ، فادّعى بها أنه عليّ بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالب ، ودعا الناس بهجر الى طاعته ، واتّبعه جماعة كثيرة من أهلها ، وأبته جماعة آخر ؛ فكانت بسببه بين الذين اتبعوه والذين أبوه عصبية قُتِلت بينهم جماعة ، فانتقل عنهم لما حدث ذلك الى الأحساء ، وضوى الى حى من بنى تميم ثم من بنى سعد ، يقال لهم بنو الشامس ؛ فكان بينهم مقامه . وقد كان أهل البحرين أحلّوه من أنفسهم محلّ النبى — فيما ذكر — حتى جى له الخراج هنالك ونفذ حكمه بينهم ، وقتلوا أسباب السلطان بسببه ووتر منهم جماعة كثيرة ، فتنكروا له ، فتحول عنهم الى البادية .

١٧٤٤/٣

ولما انتقل إلى البادية صحبه جماعة من أهل البحرين ، منهم رجل كِبَال من أهل الأحساء، يقال له يحيى بن محمد الأزرق المعروف بالبَحْرَانِيّ ، مولى لبني دارم ويحيى بن أبي ثعلب ، وكان تاجراً من أهل هَجَر ، وبعضُ موالى بني حنظلة أسود يقال له سليمان بن جامع ؛ وهو قائد جيشه ، ثم كان ينتقل في البادية من حَيٍّ إلى حَيٍّ .

فذكر عنه أنه كان يقول : أوتيت في تلك الأيام آيات من آيات إمامتي ظاهرة للناس ؛ منها — فيما ذكر عنه — أنه قال : إِنِّي لَقَيْتُ سُورًا من القرآن لا أحفظها ، فجرى بها لساني في ساعة واحدة ، منها سبحان والكهف وص . قال : ومن ذلك أني لقيت نفسي على فراشي ، فجعلت أفكر في الموضع الذي أقصد له ، وأجعل مقامى به ؛ إذ نَبَتَ بي البادية ، وضقت بسوء طاعة أهلها ، فأظلمتني سحابة ، فبرقت ورعدت ، واتصل صوت الرعد منها بسمعي ، فخذُوطبتُ فيه ، فقبل : اقصد البصرة ، فقلت لأصحابي وهم يكتنفونني ^(١) : إِنِّي أَمَرْتُ بصوت هذا الرعد بالمصير إلى البصرة .

١٧٤٥/٣

وذكر أنه عند مصيره إلى البادية أوهم أهلها أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة ، فاختدع بذلك قومًا منهم ؛ حتى اجتمع بها منهم جماعة كثيرة ، فزحف بهم إلى موضع بالبحرين يقال له الرَّدْم ، فكانت بينهم وقعة عظيمة ، كانت الدائرة فيها عليه وعلى أصحابه ، قُتِلُوا ^(٢) فيها قتلا ذريعًا ، فنفرت عنه العرب وكرهته ، وتجنبَت صحبته . فلما تفرقت عنه العرب ، ونبت به البادية ، شخّص عنها إلى البصرة ، فنزل بها في بني ضُبَيْعَة ، فاتبعه بها جماعة ؛ منهم عليّ بن أبان المعروف بالمُهَلْبِيّ وأخواه محمد والحليل وغيرهم . وكان قدمه البصرة في سنة أربع وخمسين ومائتين ، ومحمد بن رجاء الحضاريّ عامل السلطان بها ، ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالية والسعدية ، فطمع في أحد الفريقين أن يميل إليه ، فأمر أربعة نفر من أصحابه ، فخرجوا بمسجد عباد ، أحدهم يسمى محمد بن سلم القصاب الهجريّ ، والآخر بُرَيْش القرَيعِيّ ، والثالث عليّ الضَرَّاب ، والرابع الحسين الصيدنانيّ ؛ وهم الذين كانوا صحبوه

(٢) و : « قتلوا » .

(١) ١ : « مطيفون بي » .

١٧٤٦/٣

بالبحرين ، فدعوا إليه ^(١) ، فلم يجبه من أهل البلد أحد ، وثاب إليهم الجند ، فتفرقوا ولم يظفر بأحد منهم . فخرج من البصرة هارباً ، فطلبه ابن رجاء فلم يقدِر عليه ، وأُخبر ^(٢) ابن رجاء بميل جماعة من أهل البصرة إليه ، فأخذهم فحبسهم ؛ فكان فيمن حبس يحيى بن أبي ثعلب ومحمد بن الحسن الأيادي وابن صاحب الزنج علي بن محمد الأكبر وزوجته أم ابنه ومعها ابنة له وجارية حامل ، فحبسهم ومضى هو لوجهه يريد بغداد ، ومعه من أصحابه محمد بن سلم ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع وبريش القريعي . فلما صاروا بالبصرة نذر بهم بعض موالي الباهليين ، كان يلي أمر البصرة ، يقال له ثُمَيْر بن عمار ، فأخذهم وحملهم إلى محمد بن أبي عَوْن ، وهو عامل السلطان بواسط ، فاحتال لابن أبي عَوْن حتى تخلص هو وأصحابه من يده ، ثم صار إلى مدينة السلام ، فأقام بها حَوَلاً ، وانتسب فيها إلى أحمد بن عيسى بن زيد ؛ وكان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه بها آيات ، وعرف ما في ضمائر أصحابه ، وما يفعله كل واحد منهم ؛ وأنه سأل ربه بها آية أن يعلم حقيقة أمره ، فرأى كتاباً يكتب له ، وهو ينظر إليه على حائط ، ولا يرى شخص كاتبه .

وذكر عن بعض تَبَاعِه أنه بمقامه بمدينة السلام استمال جماعة ، منهم جعفر بن محمد الصُّوحاني — كان ينتسب إلى زيد بن صُوحان — ومحمد بن القاسم وغلاما يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان : مشرق ورفيق ؛ فسَمَى مشرقاً حمزة وكنّاه أبا أحمد ، وسَمَى رفيقاً جعفرأ وكنّاه أبا الفضل . ثم لم ^(٣) يزل عامه ذلك بمدينة السلام ^(٤) حتى عَزَلَ محمد بن رجاء عن البصرة ، فخرج عنها ، فوثب رؤساء الفتنة من البلاية والسعدية ، ففتحوا المحابس ، وأطلقوا مَنْ كان فيها ؛ فتخلصوا فيمن تخلص . فلما بلغه خلاصُ أهله ، شخص إلى البصرة ، فكان رجوعه إليها في شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، ومعه علي بن أبان — وقد كان ^(٥) لحق به وهو بمدينة السلام — ويحيى بن محمد ، ومحمد بن سلم ، وسليمان بن جامع ، وغلاما يحيى بن عبد الرحمن : مشرق ورفيق ؛ وكان يحضر

١٧٤٧/٣

(٢) س : « فأخبر » .

(١) س : « فذهبوا » .

(٤) ف : « في مدينة » . (٥) س : « وكان » .

(٣) ف : « ولم » .

هؤلاء الستة رجل من الجند يكنى أبا يعقوب ، ولقب نفسه بعد ذلك بجُربان ، فساروا جميعاً حتى وافوا برنخل ، فنزلوا قصرأ هنالك يعرف بقصر القرشي ، على نهر يعرف بعمود ابن المنجم ؛ كان بنو موسى بن المنجم احتفروه ؛ وأظهر أنه وكيل لولد الواصل في بيع السباخ ، وأمر أصحابه أن يتحلوه ذلك ، فأقام هنالك .

فذكر عن ربحان بن صالح أحد غلمان الشَّورجيين — وهو أول من صاحبه منهم — أنه قال : كنت موكلًا بغلمان مولاي ، أنقل الدقيق إليهم من البصرة ، وأفرقه فيهم ، فحملت ذلك إليهم كما كنت أفعل ، فررت به وهو مقيم ببرنخل في قصر القرشي ، فأخذني أصحابه ، فصاروا بي إليه ، وأمروني بالتسليم عليه بالإمرة ، ففعلت ذلك ، فسألني عن الموضع الذي جئت منه ، فأخبرته أني أقبلت من البصرة ، فقال : هل سمعت لنا بالبصرة خبراً ؟ قلت : لا ، قال : فما خبر الزينبي ؟ قلت : لا علم لي به ، قال : فخير البلاية والسعدية ؟ قلت : ولا أعرف أخبارهم أيضاً ، فسألني عن أخبار غلمان الشَّورجيين وما يجري لكل غلام منهم من الدقيق والسويق والتمر وعمن يعمل في الشورج من الأحرار والعبيد ، فأعلمته ذلك ، فدعاني إلى ما هو عليه ، فأجبتة ، فقال لي : احتل فيمن قدرت عليه من الغلمان ، فأقبل بهم إلي . ووعدني أن يقودني على من آتية به منهم ، وأن يحسن إلي ؛ واستحلفني ألا أعلم أحداً بموضعه ، وأن أرجع إليه . فخلت سبيلي ، فأتيت بالدقيق الذي معي الموضع الذي كنت قصدته به ، وأقيمت عنده يومى ، ثم رجعت إليه من غد ، فوافيته وقد قدم عليه رفيق غلام يحيى بن عبد الرحمن ، وكان وجهه إلى البصرة في حوائج من حوائجه ، ووافاه بشبل بن سالم — وكان من غلمان الدباسين — وبحريرة كان أمره بابتياعها ليتخذها لواء ؛ فكتب فيها بحمرة وخضرة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، إلى آخر الآية ، وكتب اسمه واسم أبيه ، وعلقها في رأس مُردى ^(٢) ، وخرج في السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان .

(٢) المردى : خشبة يدفع بها الملاح السفينة .

(١) سورة التوبة ١١١ .

فلما صار إلى مؤخر القصر الذي كان فيه ، لقيه غلمان رجل من الشورجيين يعرف بالطار ، متوجهين إلى أعمالهم^(١) ، فأمر بأخذهم فأخذوا ، وكُتِف وكييلهم ، وأُخذ معهم ، وكانوا خمسين غلاماً ، ثم صار إلى الموضع الذي يعمل فيه السنائي ، فأخذ منه خمسمائة غلام ، فيهم المعروف بأبي حديد ، وأمر بوكيلهم فأخذ معهم مكتوفاً ، وكانوا في نهر يعرف بنهر المكائر ، ثم مضى إلى موضع السيرافي ، فأخذ منه خمسين ومائة غلام ، فيهم زريق وأبو الخنجر . ثم صار إلى موضع ابن عطاء ، فأخذ طريقاً وصبيحاً الأعسر وراشداً المغربي وراشداً القرماطي ، وأخذ معهم ثمانين غلاماً . ثم أتى موضع إسماعيل المعروف بغلام سهيل الطحان ، ثم لم يزل يفعل ذلك كذلك في يومه ، حتى اجتمع إليه بشر كثير من غلمان الشورجيين ، ثم جمعهم وقام فيهم خطيباً ، فنتأهم ووعدهم أن يقودهم ويرأسهم ، ويملكهم الأموال ، وحلف لهم الأيمان الغلاظ ألا يغدر بهم ، ولا يأخذ لهم ، ولا يدع^(٢) شيئاً من الإحسان إلا أتى إليهم . ثم دعا مواليتهم ، فقال : قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم ، وفعلتم بهم ما حرم الله عليكم أن تفعلوه بهم ، وجعلتم عليهم ما لا يطيقون ، فكلمني أصحابي فيكم ، فرأيت إطلاقكم ، فقالوا : إن هؤلاء الغلمان أبقا ، وهم يهربون منك فلا يسبقون عليك ولا علينا ، فخذ منا مالا وأطلقهم لنا . فأمر غلمانهم فأحضروا شطبة^(٣) ثم بسط كل قوم مولاهم ووكيلهم ، فضرب كل رجل منهم خمسمائة شطبة ، وأحلفهم بطلاق نسائهم ألا يعلموا أحداً بموضعه ، ولا بعدد أصحابه ، وأطلقهم . فضوا نحو البصرة .

١٧٥٠/٢

ومضى رجل منهم يقال له عبد الله ، ويعرف بكرخي ، حتى عتبر دجيلة ، فأنذر الشورجيين ليحرزوا غلمانهم ، وكان هناك خمسة عشر ألف غلام .

ثم سار بعد ما صلت العصر حتى وافى دجيلة ، فوجد سفن سماد تدخل في المد ، فقدّمها ، فركب فيها ، وركب أصحابه حتى عبروا دجيلة ،

(١) ب : « أعمالهم » . (٢) ف : « لا يدع لهم شيئاً » .

(٣) الشطب : السعف الأخضر الرطب من جريد النخل ، واحده شطبة .

وصاروا إلى نهر ميمون ، فنزل المسجد الذى فى وسط السوق الشارع على نهر ميمون ، وأقام هناك . ولم يزل ذلك دأبه ، يجتمع إليه السودان إلى يوم القيظ . فلما أصبح نادى فى أصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر فاجتمعوا ، وركز المردى الذى عليه لواؤه ، وصلى بهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال ، وأن الله قد استنقذهم به من ذلك ، وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ، ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ، ويبلغ بهم أعلى الأمور ، ثم حلف لهم على ذلك . فلما فرغ من صلاته وخطبته ، أمر الذين فهموا عنه قوله أن يفهموه من لا فهم له من عجمهم ، لتطيب بذلك أنفسهم . ففعلوا ذلك ، ودخل القصر . فلما كان بعد يوم قصد نهر بور ، فوافى جماعة من أصحابه هناك الحميرى فى جماعة ، فدفعوهم حتى أخرجوهم إلى الصحراء ، فلحقهم صاحب الزنج فيمن معه ، فأوقع بالحميرى وأصحابه ، فانهزموا حتى صاروا إلى بطن دجلة . واستأمن إليه رجل من رؤساء الزنج يكنى بأبى صالح ، يعرف بالقصير ، فى ثلثمائة من الزنج ، فمناهم ووعدهم .

فلما كثرت من اجتمع إليه من الزنج قوود قواده ، وقال لهم : كل من أتى منكم برجل فهو مضموم إليه . وقيل إنه لم يقوود قواده إلا بعد مواقعه الخوّل ببيسان ومصيره إلى سبخة القسندل .

وكان ابن أبى عون^(١) نقل عن ولاية واسط إلى ولاية الأبلّة وكوور دجلة ، فذكر أنه انتهى إليه فى اليوم الذى قوود فيه قواده أن الحميرى وعقبلا مع خليفة ابن أبى عون المقيم كان بالأبلّة ، قد أقبلوا نحوه ، ونزلوا نهر طين ، فأمر أصحابه بالمصير إلى الرزيفية وهى فى مؤخر الباذآورد ، فصار إليها فى وقت صلاة الظهر ، فصلوا بها ، واستعدوا للقتال ، وليس فى عسكره يومئذ إلا ثلاثة أسياف : سيفه ، وسيف على بن أبان ، وسيف محمد بن سليم . ونهض بأصحابه فيما بين الظهر والعصر راجعاً نحو الحمديّة ، وجعل على بن أبان فى آخر أصحابه ، وأمره أن يعرف^(٢) خبر من يأتيه من ورائه ، وتقدم فى أوائل الناس حتى وافى الحمديّة ، فقع على النهر ، وأمر الناس فشرّبوا منه ، وتوافى إليه أصحابه ، فقال له على بن أبان : قد كنا نرى من ورائنا بارقة ونسمع

(٢) ف « يتعرف » .

(١) هو محمد بن أبى عون .

حسّ قوم يتبعوننا ، فلسنا ندرى : أرجعوا عنا أم هم قاصدون إلينا ؟ فلم يستمّ كلامه حتى لحق القوم ، وتنادى^(١) الزنج السلاح ، فبدر مفرّج النوبى المكفى بأبى صالح ، وريحان ابن صالح ، وفتح الحجام - وكان فتنح يأكل - فلما نهض تناول طبقاً كان بين يديه ، وتقدّم أصحابه ، فلقية رجل من الشورجيين ، يقال له بلبل ، فلماً رآه فتنح حمل عليه وحذّفه بالطبق الذى كان فى يده ، فرمى بلبل بسلاحه ، ولتّى هارباً ، وانهزم أصحابه ، وكانوا أربعة آلاف رجل ، فذهبوا على وجوههم ، وقُتِلَ مَن قُتِلَ منهم ، ومات بعضهم عطشاً ، وأسيرَ منهم قوم ، فأتىَ بهم صاحب الزنج ، فأمر بضرب أعناقهم ففُضِرَت ، وحملت^(٢) الرعوس على بغال كان أخذها من الشورجيين ، كانت تنقل الشورج ؛ ومضى حتى وافى القادسيّة ؛ وذلك وقت^(٣) المغرب ، فخرج من القرية رجل من موالى بعض الهاشميين على أصحابه ، فقتل رجلاً من السودان ، فأتاه الخبر ، فقال له أصحابه : ائذن لنا فى انتهاب القرية وطلب قاتل صاحبنا ، فقال : لا سبيلَ إلى ذلك دون أن نعرف ما عند القوم ، وهل فعل القاتل ما فعل عن رأيهم ، ونسألهم أن يدفعوه إلينا ؛ فإن فعلوا ولاّساغ لنا قتالهم .

١٧٥٣/٣

وأعجلهم المسير ، فصاروا إلى نهر ميمون راجعين ، فأقام فى المسجد الذى كان أقام فيه فى بدأته وأمر بالرعوس المحمولة معه فنُصِبَت ، وأمر بالأذان أبا صالح النوبى فأذّن ، وسلم عليه بالإمرّة ، فقام فصلّى بأصحابه العشاء الآخرة ، وبات ليلته بها ، ثم مضى من الغد حتى مرّ بالكرخ فطواها ، وأتى قرية تعرف بجُببى فى وقت صلاة الظهر ، فعبّر دُجَيْلًا من مخاضة دلّ عليها ، ولم يدخل القرية ، وأقام خارجاً منها ، وأرسل إلى مَن فيها ، فأتاه كبارهم وكبراء أهل الكرخ ، فأمرهم بإقامة الأنزال^(٤) له ولأصحابه^(٥) ، فأقيم له ما أراد ، وبات عندهم ليلته تلك ، فلما أصبح أهدى له رجل من أهل جببى فرساً كميّاً ، فلم يجد سرّجاً

(٢) س : « وجملت » .

(١) س : « ونادى » .

(٣) س : « فى وقت المغرب » .

(٤ - ٤) س : « لأصحابه » .

ولا لحاماً ، فركبه بحبل وسَنَفَه ^(١) بليف ، وسار حتى انتهى إلى المعروف بالعباسي العتيق ، فأخذ منه دليلاً إلى السَّيْب ، وهو نهر القرية المعروفة بالجعفرية ، ونذِر به أهل القرية ، فهربوا عنها ، ودخلها فنزل دار جعفر بن سليمان وهي في السوق ، وتفرق أصحابه في القرية ، فأثوه برجل وجدوه ، فسأله عن وكلاء الهاشميين ، فأخبره أنهم في الأجمة ، فوجّه الملقب بجُربان ، فأثاه برئيسهم وهو يحيى بن يحيى المعروف بالزيرى أحد موالى الزياديين ، فسأله عن المال ، فقال : لا مال عندي ، فأمر بضرب عنقه ، فلما خاف القتل أقر بشيء قد كان أخفاه ، فوجّه معه ، فأثاه بمائتي دينار وخمسين ديناراً وألف درهم ؛ فكان هذا أول ما صار إليه ، ثم سأله عن دواب وكلاء الهاشميين فدلّه على ثلاثة براذين : كُميت ، وأشقر ، وأشهب ؛ فدفع أحدها إلى ابن سلم ، والآخر إلى يحيى ابن محمد ، وأعطى مُشرفاً غلام يحيى بن عبد الرحمن الثالث .

وكان رفيق يركب بغلاً كان يحمل عليه الثَّقَل ، ووجد بعض السودان داراً لبعض بني هاشم فيها سلاح ، فانتهبوه ، فجاء النوبى الصغير بسيف ، فأخذه صاحب الزنج ، فدفعه إلى يحيى بن محمد ، فصار في أيدي الزنج سيوف وبالات وزقايات وتيراس وبات ليلته تلك بالسَّيْب ؛ فلما أصبح أتاه الخبر أن رئيساً والحميرى وعقبلاً الأبلّى قد وافوا السَّيْب ، فوجّه يحيى ابن محمد في خمسمائة رجل ، فيهم سليمان وريحان بن صالح وأبو صالح ^(٢) النوبى الصغير ، فلقوا القوم فهزمهم ، وأخذوا صميرية ^(٣) وسلاحاً ، وهرب من كان هنالك ، ورجع يحيى بن محمد فأخبره الخبر ، فأقام يومه ، وسار من غد يريد المذار ، بعد أن اتخذ على أهل الجعفرية ألاّ يقاتلوه ، ولا يعينوا عليه أحداً ، ولا يستروا عنه . فلما عبر السَّيْب صار إلى قرية تعرف بقرية اليهود شارعة على دجلة ، فوافق هنالك رُميساً في جَمْع ، فلم يزل يقاتلهم

(١) سنه : شده بالسناف ، والسناف : حبل يشد من التصدير إلى خلف الكركرة ؛ حتى يثبت التصدير .

(٢) هو أبو صالح للقصير ، واسمه مفرج ، وانظر ص ٤١٥ .

(٣) الصميرية : نوع من السفن النهرية .

يومه ذلك ، وأسر من أصحابه عِدَّة ، وعقر منهم جماعة بالشَّباب . وقتل غلام لمحمد بن أبي عون كان مع رُمَيْس ، وغرقت سميرية كان فيها ملاحها ، فأخذ وضربت عنقه ، وسار من ذلك الموضع يريد المذار . فلما صار إلى النهر المعروف بباب مداد جاوزه حتى أصبح ، فرأى بُسْتَانًا ، وتلاً يعرف بجبل الشياطين ، فقصده للتل فقعده عليه ، وأثبت أصحابه في الصحراء ، وجعل لنفسه طليعة .

١٧٥٦/٣

فذكر عن شبل أنه قال : أنا كنت طليعته على دجلة ، فأرسلت إليه أخبره أن رُمَيْسًا بشاطيء دجلة يطلب رجلاً يؤدّي عنه رسالة ، فوجه إليه على بن أبان ومحمد بن سلم وسليمان بن جامع ، فلما أتوه قال لهم : اقرعوا على صاحبكم السلام ، وقولوا له : أنت آمن على نفسك حيث سلكت من الأرض ؛ لا يعرض لك أحد ، واردد هؤلاء العبيد على مواليتهم ، وأخذ لك عن كل رأس خمسة دنانير . فأتوه فأعلموه ما قال لهم رُمَيْس ، فغضب من ذلك وآلى^(١) ليرجع فليقرن بطن امرأة رُمَيْس ، وليحرقن داره ، وليخوضن الدماء هنالك . فأنصرفوا إليه ، فأجابوه بما أمروا به ، فأنصرف إلى مقابل الموضع الذي هو به من دجلة ، فأقام به ، فوافاه في ذلك اليوم إبراهيم بن جعفر المعروف بالهمداني ؛ ولم يكن لحق به إلا في ذلك الوقت ، وأتاه يكتب فقرأها ، فلما صلى العشاء الآخرة ، أتاه إبراهيم ، فقال له : ليس الرأي لك إتيان المذار ، قال : فما الرأي ؟ قال : ترجع ، فقد بايع لك أهل عبّادان وميسان وروذان وسليمانان ، وخالفت جمعاً من البلالية بفوّهة القنديل وأبرسان ينتظرونك . فلما سمع السودان ذلك من قول إبراهيم مع ما كان رُمَيْس عرّض عليه في ذلك اليوم خافوا أن يكون احتال عليهم ليردهم إلى مواليتهم ، فهرب بعضهم ، واضطرب الباقر . فجاءه محمد بن سلم فأعلمه اضطرابهم ، وهرب من هرب منهم ، فأمر بجمعهم في ليلته تلك ، ودعا مصلحاً ، وميّر الزنج من الفراتية . ثم أمر مصلحاً أن يعلمهم أنه لا يردّهم ولا أحداً منهم إلى مواليتهم ، وحالف لهم على ذلك بالإيمان الغلاظ ، وقال : ليحطّ بي منكم جماعة ، فإن أحسّوا مني غدرًا فتكؤوا بي . ثم جمع

١٧٥٧/٣

الباقين ؛ وهم الفراتية والقرواطيون والنوبة وغيرهم ممن يفصح باسان العرب ، فحلف لهم على مثل ذلك ، وضمن ووثق من نفسه ، وأعلمهم أنه لم يخرج لعرض من أعراض الدنيا ، وما خرج إلا غضباً لله ، ولما رأى ما عليه الناس من الفساد في الدين ، وقال : ها أنا ذا معكم في كل حرب ، أشرككم فيها ببدى ، وأخطر معكم فيها بنفسى . فرضوا ودعوا له بخير . فلما أسحر أمر غلاماً من الشورجيين يكنى أبا منارة ، فنفع في بوق لهم كانوا يجتمعون بصوته ، وسار حتى أتى السبب راجعاً ، فألفى هناك الحميرى ورؤيساً وصاحب ابن أبى عون ، فوجه إليهم مشرقاً برسالة أخفاها ، فرجع إليه بجوابها ، فصار صاحب الزنج إلى النهر ، فتقدم صاحب محمد بن أبى عون ، فسلم عليه ، وقال له : لم يكن جزاء صاحبنا منك أن تفسد عليه عمله ، وقد كان منه إليك ما قد علمت بواسط ، فقال : لم آت لقتالكم ، فقل لأصحابك يوسعون^(١) لى فى الطريق ، حتى أجاوزكم .

فخرج من النهر إلى دجلة ، ولم يلبث أن جاء الجند ومعهم^(٢) أهل الجعفرية فى السلاح الشاك ؛ فتقدم المكتنى^(٣) بأبى يعقوب المعروف بجربان ، فقال لهم : يا أهل الجعفرية ، أما علمتم ما أعطينمونا من الأيمان المغلظة ألا تقاتلونا ، ولا تُعينونا غايماً أحداً ، وأن تعينونا متى اجتاز بكم أحد منا ! فارتفعت أصواتهم بالنعير والضجيج ، ورموه بالحجارة والنشاب . وكان هناك موضع فيه زهاء ثلثمائة زرنوق ، فأمر بأخذها فأخذت ، وقرن بعضها ببعض حتى صارت كالشاشات ، وطرحت إلى الماء ، وركبها المقاتلة فلحقوا القوم ، فقال بعضهم : عبر على بن أبان يومئذ قبل أخذ الزرانيق سباحة ، ثم جمعت الزرانيق ، وعبر الزنج ، وقد زالوا عن شاطئ النهر فوضعوا فيهم السيف ، فقتل منهم خلق كثير ، وأتى منهم بأسرى ، فوبخهم وخلّى سبيلهم ، ووجه غلاماً من غلمان الشورجيين يقال له سالم يعرف بالزغاوى ، إلى مَنْ كان دخل الجعفرية من أصحابه ، فردّهم ، ونادى : ألا برئت الذمة ممن انتهب شيئاً

(٢) س : « معهم » .

(١) س : « لصاحبك يوسع » .

(٣) س : « المكتنى » .

من هذه القرية، أو سبى منها أحداً، فمن فعل ذلك فقد حانت به العقوبة الموجبة .
ثم عبر من غربى السبب إلى شرقه ، واجتمع أصحابه الرؤساء حتى إذا
جاوز القرية بمقدار غلوة سمع النعير من ورائه فى بطن النهر ، فراجع الزنج ،
فلذا رُمس والحُميرى وصاحب ابن أبى عون قد وافوه لمتا بلغهم حال أهل
الجعفرية . فألقى السودان أنفسهم عليهم ، فأخذوا منهم أربع سُميريات بملأحها
ومقاتليها ، فأخرجوا السُميريات بمن فيها ، ودعا بالمقاتلة فسألهم ، فأخبروه أن
رُمساً وصاحب ابن أبى عون لم يَدعاهم حتى حملاهم على المصير إليه ، وأن
أهل القرى حرّضوا رُمساً وضمّنوا له ولصاحب ابن أبى عون مالا جليلا ،
وضمن له الشورجيون على ردّ غلمانهم ؛ لكلّ غلام خمسة دنانير ، فسألهم
عن الغلام المعروف بالنميرى المأسور والمعروف بالحجام ، فقالوا : أما النميرى
فأسير فى أيديهم ، وأما الحجام فلان أهل الناحية ذكروا أنه كان يتلصص فى
ناحيتهم ، ويسفك الدماء ، فضربت عنقه ، وصُلب على نهر أبى الأسد .
فلما عرف خبرهم أمر بضرب أعناقهم ، فضربت إلا رجلا يقال له محمد بن
الحسن البغدادى ، فإنه حلف له أنه جاء فى الأمان ، لم يُشهر عليه سيفاً ،
ولا نصب له حرباً ، فأطلقه . وحمل الرؤوس والأعلام على البغال ، وأمر بإحراق
سفنهم فأحرقت .

١٧٥٩/٣

وسار حتى أتى نهر فريد ، فانتهى إلى نهر يعرف بالحسن بن محمد القاضى
وعليه مستناة تعترض بين الجعفرية ورُستاق القُفُص ، فجاءه قوم من أهل القرية
من بنى عجل ، فعرضوا عليه أنفسهم ، وبذلوا له ما لديهم ، فجزاهم خيرا ،
وأمر بترك العرض (١) لهم .

وسار حتى أتى نهراً يعرف بباثا ، فنزل خارجاً من القرية التى على النهر
وهى قرية تشرى على دُجَيل ، فأتاه أهل الكرخ ، فسلموا عليه ، ودعّوا له
بخير ، وأمدّوه من الأنزال بما أراد . وجاءه رجل يهودى خيرى يقال له ماندويه
فقبل يده ، وسجد له — زعم — شكراً لرؤيته إياه ، ثم سأله عن مسائل كثيرة ،
فأجابها عنها ، فزعم أنه يجد صفة فى التوراة ، وأنه يرى القتال معه ، وسأله

١٧٦٠/٣

عن علامات في بدنه ذكر أنه عرفها فيه ، فأقام معه ليلته تلك يحادثه .

وكان إذا نزل اعتزل عسكره بأصحابه الستة ، ولم يكن يومئذ يُنكر التبيذ على أحد من أصحابه ، وكان يتقدم إلى محمد بن سلم في حفظ عسكره ؛ فلما كان في تلك الليلة أتاه في آخر الليل رجلٌ من أهل الكَرخ ، فأعلمه أن رُميسًا وأهل المفتح والقرى التي تتصل بها وعقيلًا وأهل الأيكة قد أتوهم معهم الدبيل بالسلاح الشاك ، وأن الحميرى في جمع من أهل الفُرات وقد صاروا في تلك الليلة إلى قنطرة نهر ميمون ، فقطعوها ليمنعوه العبور . فلما أصبح أمر ، فصيح بالزنج ، فعبروا دُجِلا ، وأخذ في مؤخر الكرخ حتى وافي نهر ميمون ، فوجد القنطرة مقطوعة ، والناس في شرق^(١) النهر والسُميريات في بطنه ، والدبيل في السُميريات ، وأهل القرى في الجرببيات والمجونحات ؛ فأمر أصحابه بالإمساك عنهم ، وأن يرحلوا عن النهر توقياً للشباب ، ورجع فقعده على مائة ذراع من القرية ؛ فلما لم يروا أحداً يقتلهم خرج منهم قوم ليعرفوا الخبر ، وقد كان أمر جماعة من أصحابه ، فأتوا القرية ، فكسّسوا فيها خفين لأشخاصهم ؛ فلما أحسوا خروج مَنْ خرج منهم ، شدوا عليهم ، فأسروا اثنين وعشرين رجلاً ، وسعوا نحو الباقيين ، فقتلوا منهم جماعة على شاطئ النهر ، ورجعوا إليه بالرؤوس والأسرى ، فأمر بضرب أعناقهم بعد مناظرة جرت بينه وبينهم ، وأمر بالاحتفاظ بالرؤوس ، وأقام إلى نصف النهار ؛ وهو يسمع أصواتهم ، فأتاه رجل من أهل البادية مستأمنًا ، فسأله عن غَوْر النهر ؛ فأعلمه أنه يعرف موضعاً منه يُخاض ، وأعلمه أن القوم على معاودته بجمعهم يقتلونهم ؛ فنهض مع الرجل حتى أتى به موضعاً على مقدار ميل من الحمديّة ، فخاض النهر بين يديه ، وخاض الناس خلفه ، وحمله ناصح المعروف بالرملى ، وعبر بالدواب ؛ فلما صار في شرق النهر كرّ راجعاً نحو نهر ميمون ؛ حتى أتى المسجد فنزل فيه ، وأمر بالرؤوس فنُصبت ، وأقام يومه ، وانحدر جيش رُميس بجمعه في بطن دُجيل ، فأقاموا بموضع يعرف بأقشَى بإزاء النهر المعروف

(١) س : « شرق » .

ببرد الخيار ، ووجهه طليعة فرجع إليه ، فأخبره بمقام القوم هناك ، فوجهه من
ساعته ألف رجل ، فأقاموا بسبخة هناك على قهوة هذا النهر ، وقال لهم : إن
أتوكم إلى المغرب ؛ وإلا فاعلموني . وكتب كتاباً إلى عقيل ، يذكره فيه ^(١)
أنه قد بايعه في جماعة من أهل الأبلّة ، وكتب إلى رُميس يذكره حليفه له
بالسبب أنه لا يقاتله ؛ وأنه ينهي أخبار السلطان إليه ، ووجهه بالكتابين
إليهما مع بعض الأكرة بعد أن أحلفه أن يوصلهما .

١٧٦٢/٣

وسار من نهر ميمون يريد السبخة التي كان هياً فيها طليعة ؛ فلما صار
إلى القادسية والشيفية ، سمع هناك نعيراً ، ورأى رمية ؛ وكان إذا سار يتنكب
القرى ؛ فلم يدخلها ، وأمر محمد بن سلم أن يصير إلى الشيفية في جماعة ؛
فيسأل أهلها أن يسلموا إليه قاتل الرجل من أصحابه في ممره كان بهم ؛
فرجع إليه ، فأخبره أنهم زعموا أنه لا طاقة لهم بذلك الرجل لولائه من الهاشمين ^(٢)
ومنعهم له ؛ فصاح بالغلman ، وأمرهم بانتهاب القريتين ، فانتهب منهما مالا
عظيماً ؛ عيناً وورقا وجوهرأ وحلياً وأواني ذهب وفضة ، وسبي منهما يومئذ
غلmanاً ونسوة ؛ وذلك أول سبي سبي ، ووقفوا على دار فيها أربعة عشر
غلاماً من غلمان الشورج ، قد سد عليهم باب ؛ فأخذهم وأتى بمولى
الهاشمين القاتل صاحبه فأمر محمد بن سلم بضرب عنقه ، ففعل ذلك ،
وخرج من القريتين في وقت العصر ، فنزل السبخة المعروفة ببرد الخيار .
فلما كان في وقت المغرب أتاه أحد أصحابه الستة ، فأعلمه أن أصحابه ،

١٧٦٣/٣

قد شغلوا بخمور وأنبذة وجدوها في القادسية ؛ فصار ومعه محمد بن سلم ويحيى
ابن محمد إليهم ، فأعلمهم أن ذلك مما لا يجوز لهم ، وحرّم النبيذ في ذلك
اليوم عليهم ، وقال لهم : إنكم تلاقون جيوشاً تقاتلونهم ^(٣) ، فدعوا شرب النبيذ
والتشاغل به ، فأجابوه إلى ذلك ؛ فلما أصبح جاءه غلام من السودان ، يقال
له قاقويه ، فأخبره أن أصحاب رُميس قد صاروا إلى شرق دجيل ، وخرجوا
إلى الشط ، فدعا على بن أبان ، فتقدم إليه أن يمضي بالزنج ، فيوقع بهم ؛

(٢) س : « بالهاشمين لولائه منهم » .

(١) ف : « يذكره » .

(٣) س : « يقاتلونكم » .

ودعا مشرقاً ، فأخذ منه لصطرلاباً ، فقام به الشمس ، ونظر في الوقت ، ثم عبر وعبر الناس خلفه القنطرة التي على النهر المعروف ببرد الخيار ؛ فلما صاروا في شريقه ، تلاحق الناس بعلی بن أبان ، فوجدوا أصحاب رئيس وأصحاب عقیل على الشطّ، والدّیلا في السفن يرمون بالنشاب ، فحملوا عليهم ؛ فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهبت ریح من غربی دُجیل ، فحملت السفن ، فأدنتها من الشطّ ، فنزل السودان إليها ، فقتلوا من وجدوا فيها ، وانحاز رئيس ومن كان معه إلى نهر الدير على طريق أقشى ، وترك سفنه لم يحركها ليظن أنه مقيم ، وخرج عقیل وصاحب ابن أبي عون إلى دجلة مبادرين ؛ لا يلبيان على شيء .

وأمر صاحب الزنج بإخراج ما في السفن التي فيها الدّیلا ؛ وكانت مقرّنة بعضها ببعض ، فنزل فيها قاقويه ليفتشها ، فوجد رجلا من الدّیلا ، فحاول إخراجَه فامتنع عليه ، وأهوى إليه بسُرتی كان معه ؛ فضربه ضربة على ساعده ، فقطع بها عرقاً من عروقه ، وضربه ضربة على رجله ، فقطعت عصبه من عصبه ، وأهوى له قاقويه ، فضربه ضربة على هامته فسقط ، فأخذ بشعره ، واحتزّ رأسه ؛ فأتى به صاحب الزنج ، فأمر له بدينار خفيف ، وأمر يحيى بن محمد أن يقودَه على مائة من السودان . ثم سار صاحب الزنج إلى قرية تعرف بالمهلبيّ تقابل قيساران ، ورجع السودان الذين كانوا اتبعوا^(١) عقیلا وخليفة ابن أبي عون، وقد أخذ سُمریة فيها ملاحان ؛ فسألهم عن الخبر ، فقالوا : اتبعناهم فطرحوا أنفسهم إلى الشطّ، وتركوا هذه السُمیریة ، فجننا بها . فسأل الملاحین ، فأخبراه أن عقیلا حملهما على اتباعه قهراً ، وحبس نساءهما حتى اتبعاه ، وفعل ذلك بجميع من تبعه^(٢) من الملاحین ؛ فسألهما عن سبب مجيء الدّیلا ، فقالا : إن عقیلا وعدم مالا ؛ فتبعوه ؛ فسألهما عن السفن الواقعة بأقشى ، فقالا : هذه سفن رئيس وقد تركها ، وهرب في أوّل النهار ، فرجع حتى إذا حاذاها^(٣) أمر السودان فعبروا ، فأتوه بها ؛ فأنهبهم ما كان فيها ، وأمر بها فأحرقت ، ثم صار إلى القرية المعروفة بالمهلبيّة واسمها تنغت ، فنزل

(١) س : « تبعوا » . (٢) س : « معه » . (٣) س : « جاوزها » .

قريباً منها ، وأمر بانتهابها وإحراقها ؛ فانتُهبتُ وأحرقت ، وسار على نهر الماديان ، فوجد فيها تموراً ، فأمر بإحراقها .

وكان لصاحب الزنج بعد ذلك أمور من عيشته هو وأصحابه في تلك الناحية تركنا ذكرها ، إذ لم تكن عظيمة ؛ وإن كان كل أموره كانت عظيمة .

ثم كان من عظيم ما كان له من الوقائع مع أصحاب السلطان وقعة كانت مع رجل من الأتراك يكنى أبا هلال في سوق الرِّيان ؛ ذكر عن قائد من قواده يقال له ربحان ، أن هذا التركي وافاهم في هذا السوق ، ومعه زهاء أربعة آلاف رجل أو يزيدون ؛ وفي مقلته منه قوم عليهم ثياب مشهرة وأعلام وطبول ، وأن السودان حملوا عليه حملة صادقة ، وأن بعض السودان ألقى صاحب علم القوم فضربه بخشبتيْن كانتا معه في يده فصصره ، وانهزم القوم ، وتلاحق السودان ، فقتلوا من أصحاب أبي هلال زهاء ألف وخمسمائة . وإن بعضهم اتبع أبا هلال ففاته بنفسه على دابة عُرَى ^(١) ، وحال بينهم وبين من أفلت ظلمة الليل ؛ وأنه لما أصبح أمر بتتبعهم ، ففعلوا ذلك فجاءوا بأسرى ورعوس ، فقتل الأسرى كلهم . ثم كانت له وقعة أخرى بعد هذه الوقعة مع أصحاب السلطان ؛ هزمهم ^(٢) فيها ، وظفر ^(٣) بهم ، وكان مبتدأ الأمر في ذلك - فيما ذكر عن قائد لصاحب الزنج من السودان يقال له ربحان - أنه قال : لما كان في بعض الليل من ليالي هذه السنة التي ذكرنا أنه ظهر فيها ، سمع نباح كلب في أبواب تعرف بعمر وبن مسعدة ، فأمر بتعرف الموضع الذي يأتي منه النباح ، فوجه لذلك رجلاً من أصحابه ، ثم رجع فأخبره أنه لم ير شيئاً ؛ وعاد النباح . قال ربحان : فدعاني ، فقال لي : صر إلى موضع هذا الكلب النابح ؛ فإنه إنما نبح شخصاً يراه ، فصرتُ فإذا أنا بالكلب على المسناة ، ولم أر شيئاً ، فأشرفتُ فإذا أنا برجل قاعد في درجات هنالك ، فكلمته ، فلما سمعني أفصح بالعربية كلمني ، فقال : أنا سييران بن عفوالله ، أتيتُ صاحبكم بكتب من شيعته بالبصرة ، وكان سييران هذا أحد من أصحاب الزنج أيام مقامه بالبصرة ، فأخذته فأتيته به ، فقرأ الكتب التي كانت معه ، وسأله عن الزينبي

١٧٦٦/٣

(١) س : « عربية » . (٢) ف : « هزمهم » . (٣) ب : « فظفر » .

وعن عدة مَنْ كان معه ، فقال : إن الزَّينبيَّ قد أعدَّ لك الخوَل والمطوَّعة والبلالية والسعدية ؛ وهم خلق كثير ، وهو على لقائك بهم بيسان . فقال له : اخفِض صوتك ، لئلا يرتاع الغلمان بخبرك^(١) . وسأله عن الذي^(٢) يقود هذا الجيش ، فقال : قد نُدب لذلك المعروف بأبي منصور ؛ وهو أحد موالى الهاشميين : قال له : أفرأيت جمعهم ؟ قال : نعم ؛ وقد أعدوا الشرط لكشف من ظفروا به من السودان ، فأمره بالانصراف إلى الموضع الذي يكون فيه مُقامه ، فانصرف سيران إلى عليّ بن أبان ومحمد بن سلم ويحيى بن محمد ، فجعل يحدّثهم إلى أن أسفّر الصبح ، ثم سار صاحب الزنج إلى أن أشرف عليهم . فلما انتهى إلى مؤخر ترسّى وبرسونا وسندادان بيسان ، عرض له قوم يريدون قتاله ، فأمر عليّ بن أبان فأناهم فهزمهم ، وكان معهم مائة أسود ، فظفر بهم . قال ربحان : فسمعتة يقول لأصحابه : من أمارات تمام أمركم ما ترون من إتيان هؤلاء القوم بعبيدهم فيسلمونهم إليكم ؛ فيزيد الله في عددكم . ثم سار حتى صار إلى بيسان .

قال ربحان : فوجهني وجماعة من أصحابه إلى الحجر لطلب الكاروان وعسكرهم في طرف النخل في الجانب الغربي من بيان ، فوجهنا^(٣) إلى الموضع الذي أمرنا^(٤) بالمصير إليه ، فألفينا هناك ألفاً وتسعمائة سفينة ، ومعها قوم من المطوَّعة قد احتبسوها ، فلما رأونا خلّوا عن السفن ، وعبروا سُلبان عرايا ماضين نحو جُوبك . وسقنا السفن حتى وافيناه بها ، فلما أتيناه بها أمر فبسط له على نشز من الأرض وقعد ، وكان في السفن قوم حجاج أرادوا سلوك طريق البصرة ؛ فناظرهم بقية يومه إلى وقت غروب الشمس ، فجعلوا يصدقونه في جميع قوله ، وقالوا : لو كان معنا فضل نفقة لأقمنا معك ، فردّهم إلى سفنهم ؛ فلما أصبحوا أخرجهم ، فأحلفهم ألا يخبروا أحداً بعدة أصحابه ، وأن يقللوا أمره عند من سألهم عنه . وعرضوا عليه بساطاً كان معهم ، فأبدله ببساط كان معه ، واستحلفهم أنه لا مال

(٢) ب : « من الذي » .

(٤) ب : « أمر » .

(١) ف : « لخبرك » .

(٣) س : « فتوجهنا » .

للسلطان معهم ولا تجارة ، فقالوا : معنا رجل من أصحاب السلطان ، فأمر بإحضاره ، فأحضر ، فحلف الرجل أنه ليس من أصحاب السلطان ، وأنه رجل معه نُقْلُ أراد به البصرة ، فأحضر صاحب السفينة التي وُجد فيها ، فحلف له أنه إنما اتجر فيه ، فحمله فخلى سبيله ، وأطاق الحجاج فذهبوا ، وشرع أهل سليمانان على بيان يلزائه في شرق النهر ؛ فكلّمهم أصحابه وكان فيهم حسين الصيدناني الذي كان صحبه بالبصرة ؛ وهو أحد الأربعة الذين ظهروا بمسجد عبّاد ، فلحق به يومئذ ؛ فقال له : لِمَ أبطأت عني إلى هذه الغاية ؟ قال : كنت مختلفياً ، فلما خرج هذا الجيش دخلت في سواده . قال : فأخبرني عن هذا الجيش ، ما هم ؟ وما عدّة أصحابه ؟ قال : خرج من الخوّل بمحضرق ألف ومائتا مقاتل ، ومن أصحاب الزينبي ألف ، ومن البلالية والسعدية زهاء ألفين ، والفرسان مائتا فارس . ولا صاروا بالأبلّة وقع بينهم وبين أهلها اختلاف ؛ حتى تلاعنوا ، وشتم الخوّل محمد بن أبي عون ، وخلفتهم بشاطئ عثمان وأحسبهم مصبّحيك في غد . قال : فكيف يريدون أن يفعلوا إذا أتونا ؟ قال : هم على إدخال الخيل من سندادان بَيّان ، ويأتيك رجّالهم من جنبتي النهر .

١٧٦٩/٣

فلما أصبح وجهه طليعةً ليعرف الخبر ، واختاره شيخاً ضعيفاً زميناً لثلاث يُعرض له ؛ فلم يرجع إليه طليعته . فلما أبطأ عنه وجهه فتعّ الحجاج ومعه ثلثمائة رجل ، ووجهه يمحي بن محمد إلى سندادان ، وأمره أن يخرج في سوف بَيّان ، فجاءه فتشع فأخبره أن القوم مقبّاون إليه في جمع كثير ، وأنهم قد أخذوا جنبتي النهر ؛ فسأل عن المدّة ، فقيل : لم يأت بعد ، فقال : لم تدخل خيلهم بعد ، وأمر محمد بن سلّم وعليّ بن أبان أن يقعدا لهم في النخل ، وقعد هو على جبل مشرف عليهم ؛ فلم يلبث أن طلعت الأعلام والرجال حتى صاروا إلى الأرض المعروفة بأبي العلاء البلخي ؛ وهي عطفة على دُبيران ؛ فأمر الزنج فكبروا ثم حملوا عليهم فوافوا بدم دبيران ، ثم حمل الخوّل يقدمهم أبو العباس بن أيمن المعروف بأبي الكباش وبشير القيسي ، فراجع الزنج حتى بلغوا الجبل الذي هو عليه ، ثم رجعوا عليهم ؛ فثبّتوا لهم ، وحمل أبو الكباش على فتشع الحجاج فقتله ، وأدرك غلاماً يقال له دينار من السودان فضربه

١٧٧٠/٣

ضربات ، ثم حمل السودان عليهم ، فوافدوا بهم شاطئ بيان ، وأخذتهم السيوف .
قال ريحان : فعهدى بمحمد بن سلم وقد ضرب أبا الكباش ، فألقى نفسه في الطين ، فلحقه بعض الزنج ، فاحتز رأسه . وأما علي بن أبان ، فإنه كان ينتحل قتل أبي الكباش وبشير القيسي ، وكان يتحدث عن ذلك اليوم فيقول : كان أول من لقيني بشير القيسي ، فضربني وضربته ، فوقعت ضربته في ترسي ، ووقعت ضربتي في صدره وبطنه ؛ فانتظمت جوانح صدره ، وفريت بطنه ، وسقط فأتيته ، فاحتزرت رأسه . ولقيني أبو الكباش ، فشغلني بي ، وأتاه بعض السودان من ورائه فضربه بعضاً كانت في يده على ساقه ؛ فكسرهما فسقط ، فأتيته ولا امتناع به ، فقتلته واحتزرت رأسه ؛ فأتيته بالرأسين صاحب الزنج .

قال محمد بن الحسن بن سهل : سمعت صاحب الزنج يخبر أن علياً أتاه برأس أبي الكباش ورأس بشير القيسي — قال : ولا أعرفهما — فقال : كان هذان يقدمان^(١) القوم ، فقتلتهما فانهزم أصحابهما لما رأوا مصرعهما .

قال ريحان — فيما ذكر عنه : وانهزم الناس فذهبوا كل مذهب ، واتبعهم السودان إلى نهر بيسان ، وقد جسر^(٢) النهر ، فلما وافوه انغمسوا في الوحل ، فقتل أكثرهم . قال : وجعل السودان يملكون بعضا حبيهم دينار الأسود الذي كان أبو الكباش ضربه ، وهو جريح ملقى ، فيحسبونه من الخول فيضربونه بالمنجل حتى أثخن ، ومر به من عرفه ، فحمل إلى صاحب الزنج ، فأمر بمدواة كلومه .

قال ريحان : فلما صار القوم إلى فوهة نهر بيان ، وغرق من غرق ، وأخذت السفن التي كانت فيها اللواب ، إذا ملوح يلوح من سفينة ، فأتيناه فقال : ادخلوا النهر المعروف بشريكان ، فإن لهم كيناً هناك ، فدخل يحيى ابن محمد وعلي بن أبان ، فأخذ يحيى في غربي النهر ، وسلك علي بن أبان في شرقية ، فإذا كمين في زهاء ألف من المغاربة ، ومعهم حسين الصبيداني

(٢) الجزر : ضد المد .

(١) س ، ف : « مقدمان » .

أسيراً قال: فلما رأونا شدوا على الحسين، فقطعوه قطعاً، ثم أقبلوا إلينا، ومدوا رماحيهم، فقاتلوا إلى صلاة الظهر، ثم أكب السودان عليهم فقتلهم أجمعين، وحموا سلاحهم؛ ورجع السودان إلى عسكرهم؛ فوجدوا صاحبهم قاعداً على شاطئ بيان، وقد أتى بنيّف وثلاثين علماً وزهاء ألف رأس، فيها رموس أنجاد الخول وأبطالهم؛ ولم يلبث أن أتوه بزهر يومئذ.

١٧٧٢/٣

قال ربحان: فلم أعرفه، فأتى يحيى وهو بين يديه، فعرفه فقال لى: هذا زهر الخول؛ فما استبقاؤك إياه! فأمر به فضربت عنقه. وأقام صاحب الزنج يومه وليلته. فلما أصبح وجهه طليعة إلى شاطئ دجلة، فأناه طليعته، فأعلمه أن بدجلة شداتين لاصقتين بالجزيرة، والجزيرة يومئذ على فوهة القنديل، فرد الطليعة بعد العصر إلى دجلة ليعرف الخبر؛ فلما كان وقت المغرب أتاه المعروف بأبى العباس خال ابنه الأكبر، ومعه رجل من الجند يقال له عمران، وهو زوج أم أبى العباس هذا، فصفا لهما أصحابه، ودعا بهما؛ فأدّى إليه عمران رسالة ابن أبى عون، وسأله أن يعبر بياناً ليفارق عمله، وأعلمه أنه قد نحى الشدا عن طريقه، فأمر بأخذ السفن التى تخترق بياناً من جبى، فصار أصحابه إلى الحجر، فوجدوا فى سلبان مائتى سفينة، فيها أعدال دقيق، فأخذت، ووُجد فيها أكسية وبركانات، وفيها عشرة من الزنج، وأمر الناس بركوب السفن؛ فلما جاء المد^(١) - وذلك فى وقت المغرب - عبر وعبر أصحابه حيال فوهة القنديل، واشتدت الرياح، فانقطع عنه من أصحابه المكنى بأبى دلف، وكان معه السفن التى فيها الدقيق؛ فلما أصبح وافاه أبو دلف فأخبره أن الريح حملته إلى حسكر عمران، وأن أهل القرية هموا به؛ وبما كان معه، فدفقهم عن ذلك. وأناه من السودان خمسون رجلاً، فسار عند موافاة السفن والسودان إياه حتى دخل القنديل، فصار إلى قرية للمعلّى بن أيوب، فترها، وانبت أصحابه إلى دبتا، فوجدوا هناك ثلثمائة رجل من الزنج، فأتوه بهم، ووجدوا وكيلاً للمعلّى بن أيوب، فطالبه بمال، فقال: اعبر إلى برسان.

١٧٧٣/٣

(١) س: «حاوزوا».

فَأَتَيْكَ بِالْمَالِ ، فَأَطْلَقَهُ ، فَذَهَبَ وَلَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَمْرُ بَانتِهَابِ
الْقَرْيَةِ فَانْتَهَبَتْ .

قال ريحان — فيما ذكر عنه : فلقد رأيتُ صاحب الزنج يومئذ ينتهب
معنا ، ولقد وقعتُ يدي ويده على جبة صوف مُضْرَبَةٍ ؛ فصار بعضها في يده
وبعضها في يدي ، وجعل يحاذيني عليها حتى تركتها له . ثم سار حتى صار
إلى مسلحة الزينبي على شاطئ القنديل في غربي النهر ، فثبت له القوم الذين
كانوا في المسلحة ؛ وهم يرون أنهم يطيقونه ، فعجزوا عنه ؛ فقتلوا أجمعين ؛
وكانوا زهاء مائتين ، وبات ليلته في القصر ، ثم غدا في وقت المد قاصداً إلى
سبخة القنديل ، واكتنف أصحابه حافتي النهر ، حتى وافوا مُنْذِرَانِ ، فدخل
أصحابه القرية فانتهبوها ، ووجدوا فيها جمعاً من الزنج ، فأتوه بهم ، ففرتهم
على قواده^(١) ، ثم صار إلى مؤخر القنديل ، فأدخل السفن النهر المعروف
بالحسني النافذ إلى النهر المعروف بالصالحى ؛ وهو نهر يؤدي إلى دُبَا ، فأقام
بسبخة هناك .

فذكر عن بعض أصحابه أنه قال : ها هنا قوَد القواد ؛ وأنكر أن يكون
قوَد قبل ذلك . وتفرق أصحابه في الأنهار حتى صاروا إلى مربعة دُبَا ،
فوجدوا رجلاً من التمارين من أهل كلاء البصرة ، يقال له محمد بن جعفر
المريدي ، فأتوه به ، فسلم عليه وعرفه ، وسأله عن البلاية ، فقال : إنما أتيتك
برسالتهم ، فلقيني السودان ، فأتوك بي ، وهم يسألونك شروطاً إذا أعطيتهم
إياها سمعوا لك وأطاعوا ، فأعطاء ما سأل لهم ، وضمن القيام له بأمرهم ؛ حتى
يصيروا في حيزه ، ثم خلّى سبيله ، ووجهه معه من صيَّره إلى الفيّاض ، ورجع
عنه ، فأقام أربعة أيام ينتظره ؛ فلم يأت ، فسار في اليوم الخامس وقد سرح
السفن التي كانت معه في النهر ، وأخذ هو على الظهر فيما بين نهر يقال له
الدَّاورْداني والنهر المعروف بالحسني والنهر المعروف بالصالحى ، فلم يتعد
حتى رأى خيلاً مقبلة من نحو نهر الأمير زهاء ستمائة فارس ، فأسرع أصحابه

(١) ف : « أصحابه » .

إلى النهر الدَّأورداني، وكان الخليل في غربيته، فكلَّمهم طويلاً، وإذا هم قوم من الأعراب فيهم عنتر بن حجنّا وثمال، فوجّه إليهم محمد بن سلم، فكلّم ثمالاً وعنتر، وسألاً عن صاحب الزّنج، فقال: ها هو ذا، فقال: نريد كلامه، فأتاه فأخبره بقولهما، وقال له: لو كلّمتهما! فزجره، وقال: إنّ هذا مكيدة، وأمر السودان بقتالهم، فعبروا النهر، فعدلت الخليل عن السودان، ورفعوا علماً أسود، وظهر سليمان أخو الزّينبي— وكان معهم— ورجع أصحاب صاحب الزّنج، وانصرف القوم، فقال لمحمد بن سلم: ألم أعلمك أنهم إنّما أرادوا كيدنا!

وسار حتى صار إلى دُبّا، وانبت أصحابه في النخل، فجاءوا بالغنم والبقر، فجعلوا يذبحون ويأكلون، وأقام ليلته هناك؛ فلما أصبح سار حتى دخل الأرخب المعروف بالمطهرى، وهو أرخب ينقذ إلى نهر الأمير المقابل للقياض من جانيه، فوجدوا هناك شهاب بن العلاء العنبري، ومعه قوم من الخول، فأوقعوا به، وأفلت شهاب في نفيّر ممن كان معه، وقتل من أصحابه جماعة، ولحق شهاب بالمنصف من الفياض، ووجد أصحاب صاحب الزّنج ستمائة غلام من غلمان الشورجيين هناك، فأخذوهم، وقتلوا وكلاءهم، وأتوه بهم، ومضى حتى انتهى إلى قصر يعرف بالجوهرى على السبّخة المعروفة بالبرامكة، فأقام فيه^(١) ليلته تلك؛ ثم سار حيث أصبح حتى وافى السبّخة التي تُشرع على النهر المعروف بالدينارى، ومؤخرها يُفضى إلى النهر المعروف بالحدث، فأقام بها، وجمع أصحابه، وأمرهم ألاّ يعجلوا بالذهاب إلى البصرة حتى يأمرهم^(٢) وتفرّق أصحابه في انتهاب كلّ ما وجدوا، وبات هناك ليلته تلك.

(١) ب: «فيها» .

(٢) ف: «يعلمهم» .

ذكر الخبر عن مسير صاحب الزنج بزوجه وجيوشه فيها إلى البصرة

ذكر أنه سار من السَّبَّخَةِ التي تشرع على النهر المعروف بالديناري ، ومؤخرها يفضي إلى النهر المعروف بالحدث ، بعد ما جمع بها أصحابه يريد البصرة ؛ حتى إذا قابل النهر المعروف بالرياحي أتاه قوم من السودان ، فأعلموه أنهم رأوا في الرياحي بارقة ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى تنادى الزنج السلاح ، فأمر على بن أبان بالعُبور إليهم ، وكان القوم في شرق النهر المعروف بالديناري ، فعبر في زهاء ثلاثة آلاف ، وجيش^(١) صاحب الزنج عنده أصحابه ، وقال لعلّي : إن احتجت إلى مزيد في الرجال فاستمدني . فلما مضى ، صاح الزنج : السلاح ! لحركة رأوها من غير الجهة التي صار إليها على ، فسأل عن الخبر ، فأخبر أنه قد أتاه قوم من ناحية القرية الشارعة على نهر حرب المعروفة بالجعفرية ، فوجه محمد بن سلم إلى تلك الناحية .

فذكر عن صاحبه المعروف بريحان ، أنه قال : كنتُ فيمن^(٢) توجه مع محمد ، وذلك في وقت صلاة الظهر ، فوافينا القوم بالجعفرية^(٣) ، فنشَب القتال بيننا وبينهم إلى آخر وقت العصر ، ثم حمل السودان عليهم حملة صادقة ، فولّوا منهزمين وقُتِل من الجند والأعراب وأهل البصرة البلالية والسعدية خمسمائة رجل ، وكان فتح المعروف بسلام أبي شيث معهم يومئذ ، فولّ هارباً ، فاتبعه فيروز الكبير ؛ فلما رآه جاداً في طلبه رماه بببضة كانت على رأسه ؛ فلم يرجع عنه ؛ فرماه بترسه فلم يرجع عنه ، فرماه بتنّور حديد كان عليه فلم يرجع عنه ؛ ووافي به نهر حرب ، فألقى فتح نفسه فيه ، فأفلت ورجع فيروز ، ومعه ما كان فتح ألقاه من سلاحه ؛ حتى أتى به صاحب الزنج .

قال محمد بن الحسن : قال شَيْبَل : حكى لنا أن فتحاً طفر يومئذ نهر حرب ، قال : فحدثت هذا الحديث الفضل بن عدّي الدارمي ،

(١) م : « وجلس » . (٢) ب : « من » . (٣) ب : « في الجعفرية » .

فقال : أنا يومئذ مع السعدية ، ولم يكن على فتح تنوّر حديد ، وما كان عليه إلا صدرة حرير صفراء ، ولقد قاتل يومئذ حتى لم يبق أحد يقاتل ، وأتى نهر حرب ، فوثبه حتى صار إلى الجانب الغربي منه . ولم يعرف ما حكى ربحان من خبر فيروز .

قال : وقال ربحان : لقيت فيروز قبل انتهائه إلى صاحب الزنج ، فاقتصر على قصته وقصة فتوح ، وأراني السلاح . وأقبل الزنج على أخذ الأسلاب ، وأخذت على النهر المعروف بالديناري ، فإذا أنا برجل تحت نخلة عليه قلنسوة خزر ، وخف أحمر ودراعة ، فأخذته فأراني كتاباً معه ، وقال لي : هذه كتب لقوم من أهل البصرة ، وجهوني بها ، فألقيت في عنقه عمامة ، وقدمته إليه ، وأعلمته خبره ، فسأله عن اسمه فقال : أنا محمد بن عبد الله ، وأكنى بأبي الليث ، من أهل أصبهان ، وإنما أتيتك رغباً في صحبتك ، فقبله ، ولم يلبث أن سمع تكبيراً ، فإذا علي بن أبان قد وافاه ومعه رأس البلالي المعروف بأبي الليث القواريري .

قال : وقال شيبيل : الذي قتل أبا الليث القواريري وصيف المعروف بالزهرى وهو من مذكوري البلالية ، ورأس المعروف بعبدان الكسبي ، وكان له في البلالية صوت في رعوس جماعة منهم ، فسأله عن الخبر فأخبره أنه لم يكن فيمن قاتله أشد قتالا من هذين — يعني أبا الليث وعبدان — وأنه هزمهم حتى ألغاهم في نهر نافذ ، وكانت معهم شدة فغرقها ، ثم جاءه محمد بن سلم ومعه رجل من البلالية أسيراً ، أسره شيبيل يقال له محمد الأزرق القواريري ، ومعه رعوس كثيرة ، فدعا الأسير فسأله عن أصحاب هذين الجيشين ، فقال له : أما الذين كانوا في الرياحي فإن قائدهم كان أبا منصور الزينبي ، وأما الذين كانوا مما يلي نهر حرب ، فإن قائدهم كان سليمان أخا الزينبي من ورائهم مُصَحَّرًا ، فسأله عن عددهم فقال له : لا أحصيهم ، إلا أني أعلم أنهم كثير عددهم . فأطلق^(١) محمد القواريري ، وضمه إلى شيبيل ، وسار حتى وافى سبحة

(١) ف : « وأطلق » .

الجعفرية ، فأقام ليلته بين القتلى ؛ فلما أصبح جمع أصحابه فحذّرهم أن يدخل أحد منهم البصرة ، وسار فترسّع منهم أنكلويه وزُرَيْق وأبو الخنجر - ولم يكن قُوْدُ يومئذٍ وسليم ووصيف الكوفيّ . فوافوا النهر المعروف بالشاذاني ، وأتاهم أهل البصرة ، وكثّروا عليهم ؛ وانتهى الخبر إليه ، فوجّه محمد بن سلم وعلى بن أبان ومشرقاً غلام يحجي في خلق كثير ، وجاء هو يسايرهم ؛ ومعه السفن التي فيها الدوابّ المحمّولة ونساء الغلمان حتى أقام بقنطرة نهر كثير .

قال ريحان : فأتيته وقد رُميت بحجر ، فأصاب ساقى ، فسألني عن الخبر فأخبرته (١) أن الحرب قائمة ، فأمرني بالرجوع ، وأقبل معي حتى أشرف على نهر السابجة . ثم قال لي : امض إلى أصحابنا ، فقل لهم يستأخروا عنهم ، فقلت له : ابعِدْ عن هذا الموضع فإنني لست آمنُ عليك الخول . فتنحى ، ومضيت . فأخبرت القواد (٢) بما أمر به ، فراجعوا ، وأكبّ أهل البصرة عليهم ، وكانت هزيمة وذلك عند العصر ، ووقع الناس في النهرين : نهر كثير ونهر شيطان ، فجعل يهتف بهم ويردّهم فلا يرجعون ، وغرق جماعة من أصحابه في نهر كثير ، وقتل منهم جماعة على شطّ النهر وفي الشاذاني ؛ فكان ممن غرق يومئذٍ من قواده أبو الجون ومبارك البحرائي وغطاء البربري وسلام الشامي ، ولحقه غلام أبي شيث وحاتر القيسيّ وسُحيل ، فعَلَوْا القنطرة ، فرجع إليهم وانهزموا عنه حتى صاروا إلى الأرض ، وهو يومئذٍ في دُرّاعة وعمامة ونعل وسيف ، وتُرسّه في يده ؛ ونزل عن القنطرة وصعداها البصريون يطلبونه ، فرجع فقتل منهم بيده رجلا على خمس مراق من القنطرة ، وجعل يهتف بأصحابه ويعرفهم مكانه ، ولم يكن بقي معه في ذلك الموضع من أصحابه إلا أبو الشوك ومصالح ورفيق غلام يحجي .

قال ريحان : فكنت معه فرجع ؛ حتى صار إلى المعليّ ، فنزل في غربي نهر شيطان .

قال محمد بن الحسن : فسمعتُ صاحب الزنج يحدث ، قال : لقد

(١) ف : « فأعلمته » .

(٢) س : « حتى أخبرت » .

رَأَيْتُنِي فِي بَعْضِ نَهَارِ هَذَا الْيَوْمِ ؛ وَقَدْ ضَلَلْتُ عَنْ أَصْحَابِي ، وَضَلُّوا عَنِّي ،
فَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا مُصْلِحٌ وَرَفِيقٌ ، وَفِي رِجْلِي نَعْلٌ سِنْدِي ، وَعَلَى عِمَامَةٍ قَدْ انْحَلَّ
كُورٌ مِنْهَا فَأَنَا أَسْحَبُهَا مِنْ وَرَائِي ، وَيَعْجَلُنِي الْمَشْيُ عَنْ رَفْعِهَا ، وَمَعِيَ سِنِّي
وَتُرْسِي . وَأَسْرَعُ ^(١) مُصْلِحٌ وَرَفِيقٌ فِي الْمَشْيِ وَقَصَّرْتُ ، فَغَابَا عَنِّي ، وَرَأَيْتُ
فِي أَثَرِي رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ؛ فِي يَدِ أَحَدِهِمَا سَيْفٌ ، وَفِي يَدِ الْآخَرِ حِجَارَةٌ ،
فَلَمَّا رَأَيْتُ عَرَفَانِي ، فَجَدَا فِي طَلْبِي ، فَجَعَتَا إِلَيْهِمَا ، فَانصَرَفَا عَنِّي ،
وَمَضَيْتُ حَتَّى خَرَجْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ مَجْمَعُ أَصْحَابِي ؛ وَكَانُوا قَدْ تَحَيَّرُوا
لِفَقْدِي ؛ فَلَمَّا رَأَوْنِي سَكَنُوا إِلَى رُؤْيِي .

١٧٨١/٣

قَالَ رِيحَانُ : فَجَعْتُ بِأَصْحَابِهِ إِلَى مَوْضِعٍ يَعْرِفُ بِالْمَعْلَمَةِ فِي غَرْبِي نَهْرَ شَيْطَانٍ ،
فَتَزَلُّ بِهِ ، وَسَأَلَ عَنِ الرِّجَالِ ؛ فَإِذَا قَدْ هَرَبَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَنَظَرَ فَإِذَا هُوَ مِنْ
جَمِيعِ أَصْحَابِهِ فِي مَقْدَارِ خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَأَمَرَ بِالنَّفْخِ فِي الْبُوقِ الَّذِي كَانُوا
يَجْتَمِعُونَ لَصَوْتِهِ ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، وَبَاتَ لَيْلَتَهُ ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ
جَاءَ الْمَلَقُ بِجُرْئَانٍ ، وَقَدْ كَانَ هَرَبَ فِيمَنْ هَرَبَ ، وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ غُلَامًا
فَسَأَلَهُ : أَبِنْ كَانَتْ غَيْبَتُهُ ؟ فَقَالَ : ذَهَبْتُ إِلَى الزَّوَارِقَةِ طَلِيعَةً .

قَالَ رِيحَانُ : وَوَجَّهْنِي لِأَتَعْرِفَ لَهُ مَنْ فِي قَنْطَرَةِ نَهْرِ حَرَبٍ ، فَلَمْ أَجِدْ
هَنَّاكَ أَحَدًا ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ انْتَهَبُوا السُّفْنَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ ، وَأَخَذُوا
الدُّوَابَّ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَظَفَرُوا بِمَتَاعِهِ مِنْ مَتَاعِهِ ، وَكُتِبَ مِنْ
كِتَابِهِ ، وَاصْطَرَلَابَاتُ كَانَتْ مَعَهُ ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ مِنْ غَدِ هَذَا الْيَوْمِ نَظَرَ فِي عِدَّةٍ ^(٢)
أَصْحَابِهِ ، فَإِذَا هُمْ أَلْفُ رَجُلٍ قَدْ كَانُوا ثَابُوا إِلَيْهِ فِي لَيْلَتِهِمْ تِلْكَ .

١٧٨٢/٣

قَالَ رِيحَانُ : فَكَانَ فِيمَنْ هَرَبَ شَبْلٌ ، وَكَانَ نَاصِحَ الرِّمْلِ يَنْكُرُ هَرَبَ
شَبْلٍ . قَالَ رِيحَانُ : فَجَعْتُ شَبْلَ مَنْ غَدَ ، وَمَعَهُ عَشْرَةُ غُلَمَانٍ ، فَلَامَهُ وَعَتَفَهُ ،
وَسَأَلَ عَنْ غُلَامٍ كَانَ يُقَالُ لَهُ نَادِرٌ يَكْنَى بِأَبِي نَعْمَةَ ، وَعَنْ عُنْبَرِ الْبَرْبَرِيِّ ؛
فَأَخْبَرَ أَنَّهُمَا هَرَبَا فِيمَنْ هَرَبَ ، فَأَقَامَ فِي مَوْضِعِهِ ، وَأَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمٍ أَنْ يَصِيرَ
إِلَى قَنْطَرَةِ نَهْرِ كَثِيرٍ ، فَيُعْظِ النَّاسَ وَيُعَلِّمَهُمْ مَا الَّذِي دَعَاهُ إِلَى الْخُرُوجِ ، فَصَارَ
مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمٍ وَسُلَيْمَانُ بْنُ جَامِعٍ وَيَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ ، فَوْقَ سُلَيْمَانَ وَيَحْيَى ، وَعَبَرُ

محمد بن سلم حتى توسَّط أهل البصرة ، وجعل يكلمهم ، ورأوا منه غيرة فانطوا عليه ؛ فقتلوه .

قال الفضل بن عديّ : عبّر محمد بن سلم إلى أهل البصرة ليعظهم وهم مجتمعون في أرض تعرف بالفضل بن ميمون ؛ فكان أول من بدر إليه وضربه بالسيف فتحّ غلام أبي شيث ، وأتاه ابن التومنيّ السعديّ ، فاحتزّ رأسه ، فرجع سليمان ويحيى إليه ، فأخبراه الخبر ، فأمرهما بطي ذلك عن الناس حتى يكون هو الذي يقوله لهم ، فلما صلى العصر نعى محمد بن سلم لأصحابه ، وعرف خبره من لم يكن عرفه ، فقال لهم : إنكم تقتلون به في غد عشرة آلاف من أهل البصرة . وجه زريقاً وغلاماً له يقال له سقبتويا ، وأمرهما بمنع الناس من العبور ؛ وذلك في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين .

قال محمد بن الحسن : فحدثني محمد بن سمعان الكاتب ، قال : لما كان في يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة جمع له أهل البصرة ، وحشدوا له لما رأوا من ظهورهم عليه في يوم الأحد ، وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحمّاد الساجي . وكان من غزاة البحر - في الشّدَا ، وله علم بركوبها والحرب فيها ، فجمع المطوعة ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ومن خفّ معه من حزبيّ البلاية والسعدية ، ومن أحبّ النظر من غير هذه الأصناف من الهاشميين والقرشيين وسائر أصناف الناس ، فشحن ثلاثة مراكب من الشّدَا من الرماة ، وجعلوا يزدحمون في الشّدَا حرصاً على حضور ذلك المشهد ، ومضى جمهور الناس رجالة ، منهم من معه السلاح ، ومنهم نظارة لا سلاح معهم ، فدخلت الشّدَا والسفن النهر المعروف بأمر حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم في المدّ . ومرت الرّجالة والنظارة على شاطئ النور ، قد سدّوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفاً وكثرة ، وكان صاحب الزنج مقيماً بموضعه من النور المعروف بشيطان .

قال محمد بن الحسن : فأخبرنا صاحب الزنج أنه لما أحسّ بمصير الجمع إليه ، وأتته طلائعه بذلك وجه زريقاً وأبا الليث الأصهبانيّ في جماعة

معهما في الجانب الشرقى من النهر كميناً وشبلاً وحسيناً الحمائى في جماعة من أصحابه في الجانب الغربى بمثل ذلك ، وأمر على بن أبان ومن بقي معه من جمعه بتلقى القوم ، وأن يجثوا لهم فيمن معه ، ويستروا برأسهم فلا يثور إليهم منهم ثائر حتى يوافيهم القوم ويؤموا إليهم بأسيا ففهم ؛ فإذا فعلوا ذلك ثاروا إليهم . وتقدم إلى الكمينين : إذا جاوزهما الجمع وأحسأ بثورة أصحابهم إليهم أن يخرجوا من جنبى النهر ، ويصيحا بالناس . وأمر نساء الزنج بجمع الآجر ولإمداد الرجال به .

قال : وكان يقول لأصحابه بعد ذلك : لِمَا أَقْبَلَ إِلَى الْجَمْعِ يَوْمَئِذٍ وَعَايِنْتَهُ رَأَيْتُ أَمْرًا هَائِلًا رَاعَنِي ، وَمَلَأَ صَدْرِي رَهْبَةً وَجَزَعًا ، وَفَزَعَتْ إِلَى الدَّعَاءِ ، وَلَيْسَ مَعِيَ مِنْ أَصْحَابِي إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرُ ؛ مِنْهُمْ مُصْلِحٌ ؛ وَلَيْسَ مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ خَبِلَ لَهُ مَصْرَعُهُ فِي ذَلِكَ . فَجَعَلَ مُصْلِحٌ يَعِجَّتْنِي مِنْ كَثَرَةِ ذَلِكَ الْجَمْعِ ، وَجَعَلَتْ أَوْمِي إِلَيْهِ أَنْ يَمْسُكَ ^(١) فَلَمَّا قَرِبَ الْقَوْمُ مِنِّي قُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ سَاعَةُ الْعُسْرَةِ ، فَأَعْنِي ، فَرَأَيْتُ طَيْورًا يَبِضًّا تَلَقَّتْ ذَلِكَ الْجَمْعَ ، فَلَمْ أُسْتَمِمْ كَلَامِي حَتَّى بَصُرْتُ بِسُمِيرِيَّةٍ قَدْ انْقَلَبَتْ بَيْنَ فِيهَا ، فَفَرَقُوا ^(٢) ثُمَّ تَلَتْهَا الشَّدَا ، وَثَارَ أَصْحَابِي إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ قَصَدُوا لَهُمْ فَصَاحُوا بِهِمْ . وَخَرَجَ الْكَمِينَانِ عَنْ جَنْبَتِي النَّهْرِ مِنْ وَرَاءِ السَّفْنِ وَالرَّجَالَةِ ، وَخَبِطُوا مَنًى وَلَتَى مِنَ الرَّجَالَةِ وَالنَّظَّارَةِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْمَعْرُوفِ ، فَفَرَقَتْ طَائِفَةٌ ، وَقَتَلَتْ طَائِفَةٌ ، وَهَرَبَتْ طَائِفَةٌ نَحْوَ الشَّطِّ طَمَعًا فِي النِّجَاةِ ، فَأَدْرَكَهَا السَّيْفُ ؛ فَن ثَبِتَ قَتِيلٌ ، وَمَنْ رَجَعَ إِلَى الْمَاءِ غَرِقَ ، وَبَلَغَ مِنْ كَانَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ مِنَ الرَّجَالَةِ إِلَى النَّهْرِ فَفَرَقُوا وَقَتَلُوا ، حَتَّى أَبِيرَ أَكْثَرَ ذَلِكَ الْجَمْعِ ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ ، وَكَثُرَ الْمَفْقُودُونَ بِالْبَصْرَةِ ، وَعَلَا الْعَوِيلُ مِنْ نِسَائِهِمْ . وَهَذَا يَوْمُ الشَّدَا الَّذِي ذَكَرَهُ النَّاسُ ، وَأَعْظَمُوا مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْقَتْلِ . وَكَانَ فِيْمَنْ قَتَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ جَمَاعَةٌ مِنْ وَلَدِ جَعْفَرِ بْنِ سَلِيمَانَ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنَ الرَّمَاةِ الْمَشْهُورِينَ ؛ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ لَا يَحْصِي عَدَدَهُمْ

(١) ب « بالسكر » .

(٢) ب : « ففرقت » .

وانصرف الخبيث وجُمعت له الرؤوس، فذهب إليه جماعة من أولياء القتلى ،
 فعرضها عليهم، فأخذوا ما عرفوا منها، وعبأ ما بقى عنده من الرؤوس التي لم يأت
 لها طالب في جريية ملائها منها ، وأخرجها من النهر المعروف بأَم حبيب في
 ١٧٨٦/٣ الجزر ، وأطلقها . فوافت البصرة ، فوقفت في مشرعة تعرف بمشرعة القيّار ،
 فجعل الناس يأتون تلك الرؤوس ، فيأخذ رأس كل رجل أولياؤه، وقوى عدو
 الله بعد هذا اليوم ، وتمكن الرعب في قلوب أهل البصرة منه ، وأمسكوا عن
 حربه . وكتب إلى السلطان بخبر ما كان منه، فوجه جُعلان التركي مدداً
 لأهل البصرة، وأمر أبا الأحوص الباهليّ بالمصير إلى الأبتة واليّا ، وأمدّه برجل
 من الأتراك يقال له جُريج .

فزعم الخبيث أن أصحابه قالوا له بعقب هذه الواقعة : إنا قد قتلنا مقاتلة
 أهل البصرة، ولم يبق فيها إلا ضعفاؤهم ومن لا حراك به، فأذن لنا في تقحمها .
 فزبرهم وهجن آراءهم ، وقال لهم : لا بل ابعدوا عنها ، فقد أربعناهم وأخضناهم
 وأمنتم جانبهم ؛ فالرأى الآن أن تتدعوا حربهم حتى يكونوا هم الذين يطلبونكم .
 ثم انصرف بأصحابه إلى سبّخة أبي قرّة وقعها بين النهرين : نهر أبي قرّة
 بالحاجر . قال شبل : هي سبّخة أبي قرّة وقعها بين النهرين : نهر أبي قرّة
 والنهر المعروف بالحاجر .

فأقام هناك ، وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ ، وهذه السبّخة متوسطة النخل
 والقرى والعمارات ، وبث أصحابه يميناً وشمالاً يغير بهم على القرى ، ويقتل
 ١٧٨٧/٣ بهم الأكرة وينهب أموالهم ، ويسوق مواشيهم .

فهذا ما كان من خبره وخبر الناس الذين قربوا من موضع مخرجه في هذه
 السنة .

* * *

وليلتين بقيتا من ذى القعدة منها حبس الحسن بن محمد بن أبي الشوارب
 القاضي ، وولّى عبد الرحمن بن نائل البصريّ قضاء سامرا في ذى الحجة منها .
 وحج بالناس فيها على بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن عليّ .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

* * *

[ذكر الخبر عن وصول موسى بن بغا إلى سامرا واختفاء صالح]

فمن ذلك ما كان من موافاة موسى بن بغا سامراً واختفاء صالح بن وصيف المقدّمة ، وحمل من كان مع موسى من قوَّاد المهتدى من الجوسق إلى دار ياجور .

ذكر أنّ دخول موسى بن بغا سامراً بمن معه كان يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم من هذه السنة ؛ فلما دخلها أخذ في الحسير ، وعباً أصحابه ميمنة وميسرة وقلباً في السلاح ، حتى صار إلى باب الحسير مما يلي الجوسق والقصر الأحمر ؛ وكان ذلك يوماً جلس فيه المهتدى للناس للمظالم ؛ فكان ممن أحضره في ذلك اليوم بسبب المظالم أحمد بن المتوكل بن فتيان ؛ فكان في الدار إلى أن دخل الموالي ، فحملوا المهتدى إلى دار ياجور ، واتبعه أحمد بن المتوكل إلى ما هناك ، فلم يزل موكلاً به في مضرب مفلح إلى أن انقطع الأمر ، وردّ المهتدى إلى الجوسق ، ثم أطلق . وكان القيم يأمر دار الخلافة بإيكباك ، فصيرها إلى ساتكين قبل ذلك بأيام ، فظنّ الناس أنه إنما فعل ذلك لثقتيه بساتكين ، وأنه على أن يغلب على الدار والخليفة وقت قدوم موسى . فلما كان في ذلك اليوم لزم منزله ، وترك الدار خالية ، وصار موسى في جيشه إلى الدار ، والمهتدى جالس للمظالم ؛ فأعلم بمكانه ، فأمسك ساعة عن الإذن ، ثم أذن لهم ، فدخلوا فجرى من الكلام نحو ما جرى يوم قدّم الوفد والرسل ، فلما طال الكلام تراطنوا فيما بينهم بالتركية ، وأقاموه من مجلسه ، وحمضوه على دابة من دواب الشاكرية ، وانتهبوا ما كان في الجوسق من دواب الخاصة ، ومضوا يريدون الكرخ ، فلما صاروا عند باب الحسير في القطائع عند دار ياجور أدخلوه دار ياجور .

١٧٨٨/٣

١٧٨٩/٣

فذكر عن بعض الموالي ممن حضرهم ذلك اليوم ، أنّ سبب أخذهم المهتدى

ذلك اليوم كان أن بعضهم قال لبعض : إن هذه المطاولة إنما هي حيلة عليكم حتى يكبسكم صالِح بن وصيف بجيشه . فخافوا ذلك ، فحملوه وذهبوا به إلى الموضع الآخر ؛ فذكر عمن سمع المهتدي يقول لموسى : ما تريد ويحك ! اتق الله وخفّفه ؛ فإنك تركب أمراً عظيماً . قال : فردّ عليه موسى : إنا ما نريد إلا خيراً ، ولا وتربة المتوكل لا نالك منا شرّ البتة .

قال الذى ذكر ذلك : فقلت فى نفسى : لو أراد خيراً لحلف بتربة المعتصم أو الواثق . ولما صاروا به إلى دار ياجور أخذوا عليه العهود والمواثيق ألاّ يمايل صالحاً عليهم ، ولا يضمر^(١) لهم إلا مثل ما يظهر ؛ ففعل ذلك ، فجدّوا له البيعة ليلة الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من المحرم ، وأصبحوا يوم الثلاثاء ، فوجّهوا إلى صالح أن يحضرهم للمناظرة ، فوعدهم أن يصير إليهم .

فذكر عن بعض رؤساء الفراغة ، أنه قيل له : ما الذى تطالبون به صالح ابن وصيف ؟ فقال : دماء الكتاب وأموالهم ودم المعتز وأمواله وأسبابه . ثم أقبل القوم على إبرام الأمور وعسكرهم خارج باب الحير عند باب ياجور ؛ فلما كانت ليلة الأربعاء استتر صالح ؛ فذكر عن طلعمجور أنه قال : لما كانت ليلة الأربعاء اجتمعنا عند صالح ، وقد أمر أن يفرّق أرزاق أصحاب^(٢) النبوة عليهم ، فقال لبعض من حضره : اخرج فأعرض من حضر من الناس ، فكأنوا بالغداة زهاء خمسة آلاف . قال : فعاد إليه ، وقال : يكونون ثمانمائة رجل ، أكثرهم غلمانك ومواليك . فأطرق مليّاً ، ثم قام وتركنا ، ولم يأمر بشيء وكان آخر العهد .

وذكر عمن سمع بتختيشوع يقول وهو يعرض بصالح قبل قدوم موسى . حرّمنا هذا الجيش الحسن ، وأرغمناه ، حتى إذا أقبل إلينا تشاغلنا بالنرد والشرب ، كأننا بنا وقد اختمينا إذا ورد القاطول ! فكان الأمر كذلك .

وغدا طُعّمنا إلى باب ياجور ستحرّ يوم الأربعاء فلقية مفلح ، فضربه بطبرزين ، فشجّه فى جانب جيئه الأيمن ، فكان الذين أقاموا مع صالح الليلة

(٢) ب : « أصحابه » .

(١) كذا فى ب .

التي استتر فيها من القواد الكبار طُغْتَا بن الصيغُون وطلحجُور صاحب المؤبد
ومحمد بن تركش وخمّوش والنوشريّ ، ومن الكتاب الكبار أبو صالح عبد الله
ابن محمد بن يزداد وعبد الله بن منصور وأبو الفرج . وأصبح الناس يوم الأربعاء
لثلاث عشرة خلت من المحرم وقد استتر صالح ، وغدا أبو صالح إلى دار ياجور ، وجاء
عبد الله بن منصور ، فدخل الدار مع سليمان بن وهب ، وتنصّح إليهم أن عنده
سفّاتج بخمسة آلاف دينار .

وذكر أن صالحاً أرادته على حملها ، فأبى أن يقرّ الأمر قراره .

١٧٩١/٣

وخلع في هذا اليوم على كنجور ليتولّى أمر دار صالح وتفتيشها ، ومضى
ياجور صاحب موسى فأبى بالحسن بن مَحْمَد من الموضع الذي كان فيه محبوساً
من دار صالح .

* * *

وفي هذا اليوم من هذا الشهر ولّى سليمان بن عبد الله بن طاهر مدينة
السلام والسواد ، ووجّه إليه بخلع ، وزيد على ما كان يخلع على عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر .

وفيه ردّ المهتدي إلى الجوسق ، ودفع عبد الله بن محمد بن يزداد إلى الحسن
ابن مَحْمَد .

وفيه أظهر النداء على صالح .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل صالح بن وصيف]

ولثمان بقين من صفر من هذه السنة قتل صالح بن وصيف .

* ذكر الخبر عن سبب قتله وسبب الوصول إليه بعد اختفائه :

ذكر أن سبب ذلك كان أن المهتدي لما كان يوم الأربعاء لثلاث بقين
من المحرم سنة ست وخمسين ومائتين أظهر كتاباً ، ذكر أن سيما الشرايى زعم
أن امرأة جاءت به مما يلي القصر الأحمر ، ودفعته إلى كافور الخادم الموكل

بالحرم ، وقالت له : إن فيه نصيحة ، وإن منزلي في موضع كذا فإن أردتموني فاطلبوني هناك ، فأوصل الكتاب إلى المهتدى ، فلما طُلبت في الموضع الذي وصفت حين احتيج إلى بحثها عن الكتاب لم توجد ، ولم يعرف لها خبر .

١٧٩٢/٣

وقد ذُكر أن المهتدى أصاب ذلك الكتاب ، ولم يدر^(١) من رى به ، فذكر أن المهتدى دعا سليمان بن وهب بحضرة جماعة من الموالى فيهم موسى ابن بغا ومفلح وبايكباك وياجور وبكالبا وغيرهم ؛ فدفع^(٢) الكتاب إلى سليمان ، وقال له : تعرف هذا الخط ؟ قال : نعم ، هذا خط صالح بن وصيف ، فأمره أن يقرأه عليهم ، فإذا صالح يذكر فيه أنه مستخف بسامراً ، وأنه إنما استتر متخيراً للسلامة وإبقاءً على الموالى ، وخوفاً من إيصال الفتن بحرب إن حدثت بينهم ، وقصداً لأن يبيت القوم ، ويكون ما يأتونه بعد بصيرة مما ذكر في هذا الباب . ثم ذكر ما صار إليه من أموال الكتاب ، وقال : إن عِلِمَ ذلك عند الحسن ابن مخلد ، وهو أحدهم ، وهو في أيديكم . ثم ذكر من وصل إليه ذلك المال وتولى تفريقه ، وذكر ما صار إليه من أمر قبيحة ، وأشار إلى أن علم ذلك عند أبي صالح بن يزداد وصالح العطار ، ثم ذكر أشياء في هذا المعنى ، بعضها يعتذر به وبعضها يحتج به ، ومخرج القول في ذلك يدل على قوة في نفسه .

فلما فرغ سليمان من قراءة الكتاب وصله المهتدى بقول منه يحث على الصالح والهدنة والألفة والاتفاق ، ويكره إليهم الفرقة والتفاني والتباغض ، فدعا ذلك القوم إلى تهمته ، وأنه يعلم بمكان صالح ، وأنه يتقدمهم عنده ، فكان بينهم في ذلك^(٣) كلام كثير ومناظرات طويلة ، ثم أصبحوا يوم الخميس لليلتين بقيتا من المحرم سنة ست وخمسين ومائتين ، فصاروا جميعاً إلى دار موسى بن بغا في داخل الجوسق يتراطون ويتكلمون . واتصل الخبر بالمهتدى .

١٧٩٣/٣

فذكر عن أحمد بن خاقان الواثق أنه قال : من ناحيتي انتهى الخبر إلى

(٢) س : « فوقع » .

(١) ب : « ولا يدرى » .

(٣) س : « هذا » .

المهتدى ؛ وذلك أنى سمعت بعض من كان حاضر المجلس وهو يقول : أجمع القوم على خلع الرجل .

قال : فصرت إلى أخيه إبراهيم ، فأعلمته بذلك ، فدخل عليه فأعلمه ذلك ، وحكاها عنى ؛ فلم أزل خائفاً أن يجعل أمير المؤمنين فيخبرهم عنى بالخبر ، فرزق الله السلامة .

وذكر أن أخا بابكباك قال لهم فى هذا المجلس لما أطلعوه على ما كانوا عزموا عليه : إنكم قتلتم ابن المتوكل ، وهو حسن الوجه ، سخي الكف ، فاضل النفس ، وتريدون أن تقتلوا هذا وهو مسلم يصوم ولا يشرب النبيذ من غير ذنب ! والله لئن قتلتم هذا لألحقن بحراسان ، ولأشيعن أمركم هناك .

فلما اتصل الخبر بالمهتدى خرج إلى مجلسه متقلداً سيفاً ، وقد لبس ثياباً نظافاً ، وتطيب ، ثم أمر^(١) بإدخالهم إليه ، فأبوا ذلك ملياً ، ثم دخلوا عليه ، فقال لهم : إنه قد بلغنى ما أنتم عليه من أمرى ؛ ولست كمن تقدمنى مثل أحمد بن محمد المستعين ، ولا مثل ابن قبيصة ؛ والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط ، وقد أوصيت إلى أخى^(٢) بولدى ، وهذا سبى ؛ والله لأضربن به ما استمسك قائمته بيدي ؛ والله لئن سقط من شعرى شعرة ليهلكن أو ليذهبن بها أكرهكم . أما دين ! أما حياة ! أما رعة ! كم يكون هذا الخلاف على الخلفاء والإقدام والجراءة على الله ! سواء عليكم من قصد الإبقاء عليكم ومن كان إذا بلغه مثل هذا عنكم دعا بأرطال الشراب فشربها مسروراً بمكروهم وحباً لبواركم ! خبروني عنكم ؛ هل تعلمون أنه وصل إلى من دنياكم هذه شئ ! أما إنك تعلم يا بابكباك أن بعض المتصلين بك أيسر من جماعة إخواني وولدي ؛ وإن أحببت أن تعرف ذلك فانظر : هل ترى فى منازلهم فرشاً أو وصائف أو خلعاً أو جوارى ! أو لهم ضياع أو غلات ! سوء لكم ! ثم تقولون : إني أعلم علم صالح ، وهل صالح إلا رجل من الموالى ، وكواحد منكم ! فكيف الإقامة معه إذا ساء رأيكم فيه ! فإن آثرتم الصلح كان ذلك ما أهوى لجمعكم ،

١٧٩٤/٣

(٢) ب : « إخواني » .

(١) س : « ثم تطيب وأمر » .

وإن أيتيم إلا الإقامة على ما أنتم عليه فشأنكم ؛ فاطلبوا صالحاً، ثم ابلغوا شفاء أنفسكم ؛ وأما أنا فما أعلم علمه . قالوا : فاحلف لنا على ذلك . قال : أما اليمين فأني أبذلها لكم ؛ ولكني أؤخرها حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدلين وأصحاب المراتب غداً إذا صليت الجمعة . فكأنهم لانوا قليلاً ، ووجهه في إحضار الهاشميين فحضروا في عشيّتهم ، فأذن لهم ، فسلموا ولم يذكر لهم شيئاً ، وأمروا بالمصير إلى الدار لصلاة الجمعة ، فانصرفوا ، وغدا الناس يوم الجمعة ولم يحدثوا^(١) شيئاً ، وصلى المهتدي ، وسكن الناس وانصرفوا هادنين .

١٧٩٥/٣

وذُكر عن بعض مَنْ سمع الكلام في يوم الأربعاء يقول : إن المهتدي لما خُوّن صالح قال : إن بايكباك قد كان حاضراً ما عمل به صالح في أمر الكتاب ومال ابن قبيحة ، فإن كان صالح قد أخذ من ذلك شيئاً فقد أخذ مثل ذلك بايكباك ؛ فكان ذلك الذي أحفظ بايكباك .

وقال آخر : إنه سمع هذا القول ، وإنه ذكر محمد بن بغا ، وقال : قد كان حاضراً وعالمًا بما أجروا عليه الأمر ، والشريك في ذلك أجمع . فأحفظ ذلك أبا نصر .

وقد قيل : إن القوم من لدن قدم موسى كانوا مضمرين هذا المعنى ، منظومين على الغيل^(٢) ؛ وإنما كان يمنعهم منه خوف الاضطراب وقلة الأموال ؛ فلما ورد عليهم مال فارس والأهواز تحرّكوا ، وكان ورود^(٣) ذلك عليهم يوم الأربعاء لثلاث بقين من المحرم ، ومبلغه سبعة عشر ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم .

[ذكر الخبر عن خروج العامة على المهتدي]

فلما كان يوم السبت انتشر الخبر في العامة أن القوم على أن يخلعوا المهتدي ، ويفتكوا به ، وأنهم أرادوه على ذلك ، وأرهقوه ، وكتبوا الرقاع وألقوها في المسجد الجامع والطرقات ؛ فذكر بعض^(٣) من زعم أنه قرأ رقعة منها فيها :

(١) س : « فلم يحدثوا » . (٢) ب : « ورد » . (٣) س : « بعضهم » .

بسم الله الرحمن الرحيم ، يا معشر المسلمين ، ادعوا الله لخليفكم
العدل الرضى المصاهى لعمر بن الخطاب أن ينصره على عدوه ، ويكفيه مؤنة
ظلمه ، ويتم النعمة عليه وعلى هذه الأمة ببقائه ؛ فإن المولى قد أخذوه بأن
يخلع نفسه وهو يعذب منذ أيام ، والمديبر لذلك أحمد بن محمد بن ثوبة
والحسن بن مخلد ، رحم الله من أخلص النية ودعا وصلى على محمد صلى الله
عليه وسلم !

١٧٩٦/٣

فلما كان يوم الأربعاء لأربع خلون من صفر من هذه السنة ، تحرّك
المولى بالكرخ والدور ، ووجهوا إلى المهتدى على لسان رجل منهم يقال له
عيسى : إنا نحتاج أن نلقى إلى أمير المؤمنين شيئاً ، وسألوا أن يوجه أمير المؤمنين
إليهم أحد إخوته ، فوجه إليهم أخاه عبد الله أبا القاسم ، وهو أكبر إخوته ،
وجه معه محمد بن مباشر المعروف بالكرخى ، ففضيا إليهم ، فسألاهم عن
شأنهم ، فذكروا أنهم سامعون مطيعون لأمر المؤمنين ، وأنه بلغهم أن موسى
ابن بغا وبايكياك وجماعة من قوادهم يريدونه على الخلع ، وأنهم يبذلون دماءهم
دون ذلك ، وأنهم قد قرعوا بذلك رقاعاً ألقيت في المسجد والطرقات ،
وشكوا مع ذلك سوء حالهم ، وتأخّر أرزاقهم ، وما صار من الإقطاعات إلى
قوادهم التي قد أجحفت بالضيايع والخراج ، وما صار لكبرائهم من المعاون
والزيادات من الرسوم القديمة مع أرزاق النساء والدخلاء الذين قد استغرقوا
أكثر أموال الخراج . وكثر كلامهم في ذلك ، فقال لهم أبو القاسم عبد الله
ابن الواثق : اكتبوا هذا في كتاب إلى أمير المؤمنين ، أتولّى إيصاله لكم ؛
فكتبوا ذلك ، وكتبهم في الذى يكتبون محمد بن ثيف الأسود ؛ وكان يكتب
لعيسى (١) صاحب الكرخ أحياناً . وانصرف أبو القاسم ومحمد بن مباشر ،
فأوصلا الكتاب إلى المهتدى ، فكتب جوابه بخطه ، وختمه بخاتمه ، وغدا
أبو القاسم إلى الكرخ ، فوافاهم . فصاروا به إلى دار أشناس وقد صيروها مسجداً
جامعاً لهم ، فوقف ووقفوا له في الرحبة ، واجتمع منهم زهاء مائة وخمسين
فارساً ونحو من خمسمائة راجل ، فأقرأهم من المهتدى السلام ، وقال : يقول

١٧٩٧/٣

لكم أمير المؤمنين : هذا كتابي إليكم بخطي وخاتمي ، فاسمعوه وتدبروه ، ثم دفع الكتاب إلى كاتبهم فقرأه ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً . فهمت كتابتكم ، وسرتي ما ذكرت من طاعتكم وما أنتم عليه ؛ فأحسن الله جزاءكم ، وتولى حياتكم ؛ فأما ما ذكرت من خلعتكم وحاجتكم ، فعزيز على ذلك فيكم ، ولوددت والله أن صلاحكم يهتأ بالآكل ولا أطعم ولدى وأهلى إلا القوت الذى لا شبع دونه ، ولا ألبس أحداً من ولدى إلا ما ستر العورة ، ولا والله حاطكم الله ما صار إلى منذ تقلدت أمركم لنفسي وأهلى وولدى ومتقدمي علماني وحشمتي إلا خمسة عشر ألف دينار ، وأنتم تقفون على ما ورد ويرد ، كل ذلك مصروف إليكم ، غير مدخر عنكم . وأما ما ذكرت مما بلغكم ، وقرأتم به الرقاع التى ألقيت فى المساجد والطرق ، وما بذلتم من أنفسكم ؛ فأنتم أهل ذلك . وأين تعتذرون مما ذكرت ونحن وأنتم نفس واحدة ! فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأمانتكم خيراً . وليس الأمر كما بلغكم ، فعلى ذلك فليكن عملكم إن شاء الله . وأما ما ذكرت من الإقطاعات والمعاون وغيرها ، فأنا أنظر فى ذلك وأصير منه إلى محبتكم إن شاء الله والسلام عليكم . أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم حافظاً ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً كثيراً .

فلما بلغ القارئ من الكتاب إلى الموضع الذى قال : « ولم يصل إلى إلا قدر خمسة عشر ألف دينار » ، أشار أبو القاسم إلى القارئ ، فسكت ثم قال : وهذا ما قدر ، هذا قد كان أمير المؤمنين فى أيام إمارته يستحق فى أقل من هذه المدة ما هو أكثر منه بأرزاقه وأنزاله ومعونته ، وقد تعلمون ما كان من تقدمه يصرفه فى صلوات الخشنيين والمغنين وأصحاب الملاهى وبناء القصور وغير ذلك ، فادعوا الله لأمر المؤمنين . ثم قرأ الكتاب حتى أتى على الكتاب .

فلما فرغ كثير الكلام وقالوا قولاً ، فقال لهم أبو القاسم : اكتبوا بذلك كتاباً صدره على مجارى الكتب إلى الخلفاء ، واكتبوه عن القواد وخلفائهم والعرفاء بالكرخ والدور وسامراً . فكتبوا—بعد أن دعا الله فيه لأمر المؤمنين : إن الذى يسألون ، أن تردّ الأمور إلى أمير المؤمنين فى الخاصّ والعام ، ولا يعترض عليه معترض ، وأن تردّ رسومهم إلى ما كانت عليه أيام المستعين بالله ، وهو أن يكون على كل تسعة منهم عريف ، وعلى كل خمسين خليفة ، وعلى كل مائة قائد ، وأن تسقط النساء والزيادات والمعاون ، ولا يدخل^(١) مولى فى قبالة ولا غيرها ، وأن يوضع لهم العطاء فى كل شهرين على ما لم يزل ، وأن تبطل الإقطاعات ، وأن يكون أمير المؤمنين يزيد من شاء ويرفع من شاء . وذكروا أنهم صائرون فى أثر كتابهم إلى باب أمير المؤمنين ، ومقيمون هناك إلى أن تقضى حوائجهم . ولأنه إن بلغهم أن أحداً اعترض أمير المؤمنين فى شىء من الأمور أخذوا رأسه ، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن بغا وبايكباك ومفلحاً وياجور وبكالب وغيرهم .

١٧٩٩/٣

ودعوا الله لأمر المؤمنين ودفعوا الكتاب إلى أبى القاسم . فانصرف به حتى أوصله ، وتحرك الموالى بسامراً ، واضطرب القواد جداً ، وقد كان المهتدى قعد المظالم وأدخل الفقهاء والقضاة ، وأخذوا مجالسهم ، وقام القواد فى مراتبهم ، وسبق دخول أبى القاسم دخول المتطلّمين .

فقرأ المهتدى الكتاب قراءة ظاهرة ، وخلا بموسى بن بغا ، ثم أمر سليمان بن وهب أن يوقع فى رقعتهم بإجابتهم إلى ما سألوا ، فلما فعل ذلك فى فصل من الكتاب أو فصلين ، قال أبو القاسم : يا أمير المؤمنين ، لا يقنعهم إلا خط أمير المؤمنين وتوقيعه ، فأخذ المهتدى كتابهم فضرب على ما كان سليمان وقع فى ذلك ، ووقع فى كل باب بإجابتهم^(٢) إلى ما سألوا ، وبأن يفعل ذلك . ثم كتب كتاباً مفرداً بخطه وختمه بخاتمه ، ودفعه إلى أبى القاسم ، فقال أبو القاسم لموسى وبايكباك ومحمد بن بغا : وجهوا إليهم معى رسلاً يعتذرون إليهم بما بلغهم عنكم . فوجه كل واحد منهم رجلاً ، وصار أبو القاسم إليهم وهم فى مواضعهم ،

١٨٠٠ ٣

وقد صاروا زهاء ألف فارس وثلاثة آلاف راجل ؛ وذلك في وقت الظهور من يوم الخميس لخمس ليال خلون من صفر من هذه السنة ، فأقرأهم من أمير المؤمنين السلام ، وقال لهم : إن أمير المؤمنين ، قد أجابكم إلى كل ما سألتهم ، فادعوا الله لأمر المؤمنين . ثم دفع كتابهم إلى كاتبهم ، فقرأه عليهم بما فيه من التوقيعات ؛ ثم قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ؛ فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم ؛ أرشدكم الله وحاطكم ، وأمتع بكم ، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم ؛ وعلى أيديكم . فهمت كتابكم ، وقرأته على رؤسائكم ، فذكروا مثل الذي ذكرتم ، وسألوا مثل الذي سألتهم ، وقد أجبتكم إلى جميع ما سألتهم بحبة لصالحكم وألفتكم واجتماع كلمتكم ، وقد أمرت بتقرير أرزاقكم ، وأن تصير دائرة عليكم ، فليست لكم حاجة إلى حركة ، فطيبوا نفساً ، والسلام . أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم ، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم ، وعلى أيديكم !

فلما فرغ القارئ من الكتاب ، قال لهم أبو القاسم : وهؤلاء رسل رؤسائكم يعتذرون إليكم من شيء إن كان بلغكم عنهم ، وهم يقولون : إنما أنتم إخوة ؛ وأنتم منا وإلينا .

وتكلم الرسل بمثل ذلك ، فتكلموا أيضاً كلاماً كثيراً ، ثم كتبوا كتاباً يعتذرون فيه بمثل العذر الأول إلى أمير المؤمنين ، وذكروا فيه خصالاً مما ذكره في الكتاب الذي قبله ، ووصفوا أنه لا يقنعهم إلا أن ينفذ إليهم خمس توقيعات ، توقيعاً بحط الزيادات ، وتوقيعاً برد الإقطاعات ، وتوقيعاً بإخراج الموالى البوايين من الخاصة إلى عداد البرائيين ، وتوقيعاً برد الرسوم إلى ما كانت عليه أيام المستعين ، وتوقيعاً برد التلاجي حتى يدفعوها إلى رجل يضمون إليه خمسين رجلاً من أهل الدور ، وخمسين رجلاً من أهل سامرا ينتجزون من الدواوين ، ثم يصير أمير المؤمنين الجيش إلى أحد إخوته أو غيرهم ممن يرى ليسفر بينه وبينهم بأموهم ، ولا يكون رجلاً من الموالى ، وأن يؤمر صالح بن وصيف فيحاسب هو وموسى بن بغا على ما عندهم من الأموال ، وأنه لا يرضيهم دون ما سألوها في كتبهم كلها مع تعجيل العطاء ، وإدراك أرزاقهم عليهم في كل شهرين ،

وأنهم قد كتبوا إلى أهل سامراً والمغاربة في موافاتهم ، وأنهم صاثرون إلى باب أمير المؤمنين لينجز ذلك لهم ، ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم أخى أمير المؤمنين ، وكتبوا كتاباً آخر إلى موسى بن بغا وبايكباك ومحمد بن بغا ومفلح وياجور وبكالبا وغيرهم من القواد الذين ذكروا أنهم كتبوا كتاباً ، ذكروا فيه أنهم قد كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا ، وأن أمير المؤمنين لا يمنعهم ما سألوا^(١) إلا أن يعترضوا عليه ، وأنهم إن فعلوا ذلك وخالفوه لم يوافقوه على شيء ، وأن أمير المؤمنين إن شاكرته شوكته أو أخذ من رأسه شعرة ، أخذوا رؤوسهم جميعاً ، وأنه ليس يقنعهم إلا أن يظهور صالح بن وصيف حتى يجمع بينه وبين موسى ابن بغا ، حتى ينظر أين موضع الأموال ؛ فإن صالحاً قد كان وعدهم قبل استتاره أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر .

١٨٠٢/٣

ثم دفعوا هذا الكتاب إلى رسول موسى ، ووجهوا مع أبي القاسم عدة نفر منهم ؛ ليوصلوا إلى أمير المؤمنين كتابهم ، وليستمعوا كلامه .

فلما رجع أبو القاسم وجه موسى زهاء خمسمائة فارس ، فوقفوا على باب الحير بين الجوسق والكسرخ ، فقال إليهم أبو القاسم ورسل القوم ورسل أنفسهم ، فدفع رسول موسى إلى موسى كتاب القوم إليه وإلى أصحابه - وفي الجماعة سليمان بن وهب وولده وأحمد بن محمد بن ثوابة وغيرهم من الكتاب - فلما قرأ الكتاب عليهم أعلمهم أبو القاسم أن معه كتاباً من القوم إلى أمير المؤمنين ، ولم يدفعه إليهم . فركبوا^(٢) جميعاً وانصرفوا إلى المهتدى ، فوجدوه في الشمس قاعداً على ليد ، قد صلتى المكتوبة ؛ وكسر جميع ما كان في القصر من الملاحى وآلاتها وآلات اللعب والمززل ، فدخلوا فأوصلوا إليه الكتب ، وخلوا ملياً . ثم أمر المهتدى سامان بن وهب بإنشاء الكتب على ماسألوا في خمس رفاع ، فأنفذها المهتدى في درج كتاب منه بخطه ، ودفعه إلى أخيه ، وكتب القواد إليهم جواب كتابهم ، ودفعوه إلى صاحب سوسى ، فصار إليهم أبو القاسم في وقت المغرب ، فأقرأهم من المهتدى السلام ، وقرأ عليهم كتابه ، فإذا فيه :

١٨٠٢/٣

بسم الله الرحمن الرحيم . وفقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه . فهتم كتابكم . حاطكم الله ، وقد أنفذت إليكم التوقيعات الخمس على ما سألتكم ، فوكلوا من^{*} يتنجزها من الدواوين إن شاء الله . وأما ما سألتكم من تصيير أمركم إلى أحد إخواني ليوصل إلى أخباركم ، ويؤدي إلى حوائجكم ؛ فوالله إنى لأحب أن أتفق ذلك بنفسى ، وأن أطلع على كل أمركم وما فيه مصلحتكم ، وأنا مختار لكم الرجل الذى سألتكم ، من إخواني أو غيرهم إن شاء الله ؛ فاكتبوا إلى^{*} بحوائجكم وما تعلمون أن فيه صلاحكم ؛ فإنى صائر من ذلك إلى ما تحبون إن شاء الله ، وفقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه .

وأوصل إليهم رسول موسى كتاب موسى وأصحابه ؛ فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أبقاكم الله وحفظكم ، وأتم^{*} نعمته عليكم ، فهنا كتابكم ؛ وإنما أتم إخواننا وبنوعمنا ، ونحن صائرون إلى ما تحبون ، وقد أمر أمير المؤمنين أعزه الله فى كل ما سألتكم بما تحبون وأنفذ التوقيعات به إليكم . وأما ذكرتم من أمر صالح مولى أمير المؤمنين وتغييرنا له فهو الأخ وابن العم ، وما أردنا من ذلك ما تكرهون ؛ فإن وعدكم أن يعطيكم أرزاق ستة أشهر فقد رفعنا إلى أمير المؤمنين رقاعاً ، نسأله مثل الذى سألتكم . وأما ما قلتم من ترك الاعتراض ١٨٠٤/٣ على أمير المؤمنين وتفويض الأمر إليه ، فنحن سامعون مطيعون لأمر المؤمنين ، والأمور مفوضة إلى الله وهو مولانا ونحن عبيده ، وما نعترض^(١) عليه فى شيء من الأمور أصلاً . وأما ما ذكرتم أنا نريد بأمر المؤمنين سوءاً ، فمن أراد ذلك فجعل الله دائرة السوء عليه ، وأخزاه فى دنياه وآخرته . أبقاكم الله وحفظكم ، وأتم^{*} نعمته عليكم !

فلما قرأ الكتابات^(٢) عليهم ، قالوا لأبى القاسم : هذا المساء قد أقبل ، ننظر فى أمرنا الليلة ، ونعود بالغداة لنعرفك رأينا . فافترقوا ، وانصرف أبو القاسم إلى أمير المؤمنين .

(١) س : « ولا نعترض » .

(٢) س : « الكتاب » ، ابن الأثير : « الكتابين » .

ثم أصبح القوم من غداة يوم الجمعة ، فلما كان في آخر الساعة الأولى ، ركب موسى بن بغا من دار أمير المؤمنين ، وركب الناس معه وهم قدر ألف وخمسمائة رجل ؛ حتى خرج من باب الحير الذي يلي القطائع من الجوسق والكركخ ، فعسكر هناك ، وخرج أبو القاسم أخو المهتدي ، ومعه الكركخي ، حتى صار إلى القوم ، وهم زهاء خمسمائة فارس وثلاثة آلاف راجل ؛ وقد كان أبو القاسم انصرف في الليل ومعه التوقيعات ؛ فلما صار بينهم أخرج كتاباً من المهتدي نسخته شبيه بالكتاب الذي في درجه التوقيعات ^(١) . فلما قرأ الكتاب ضجّوا ، واختلفت أقاويلهم ، وكشّر من يلحق بهم من رجالة الموالي من ناحية سامرا في الحير ^(٢) ؛ فلم يزل أبو القاسم ينتظر أن ينصرف من عندهم بجواب يحصله يؤديه إلى أمير المؤمنين ، فلم يتهياً ذلك إلى الساعة الرابعة ، وانصرفوا ، فطائفة يقولون : نريد أن يعزّ الله أمير المؤمنين ، ويوفر علينا أرزاقنا ؛ فإننا قد هلكنا بتأخيرها عنا . وطائفة يقولون : لا نرضى حتى يولّى علينا أمير المؤمنين إخوته ، فيكون واحد بالكركخ ، وآخر بالدور ، وآخر بسامرا ، ولا نريد أحداً من الموالي يكون علينا رأساً . وطائفة تقول : نريد أن يظهر صالح بن وصيف - وهي الأقل .

١٨٠٥/٣

فلما طال الكلام بهذا منهم ، انصرف أبو القاسم إلى المهتدي بجملة من الخبر ، وبدأ بموسى في الموضع الذي هو معسكر فيه ؛ فانصرف بانصرافه ، فلما صلتى المهتدي الجمعة صيّر الجيش إلى محمد بن بغا ، وأمره بالمصير إلى القوم مع أخيه أبي القاسم ، فركب معه محمد بن بغا في زهاء خمسمائة فارس ، ورجع موسى إلى الموضع الذي كان فيه بالغداة ، ومضى أبو القاسم ومحمد ابن بغا حتى خالطا القوم ، وأحاط الجميع به ، فقال أبو القاسم لهم : إن أمير المؤمنين يقول : قد أخرجت التوقيعات لكم بجميع ما سألتهم ، ولم يبق لكم مما تحبون شيء إلاّ وأمير المؤمنين يبلغ فيه الغاية ؛ وهذا أمان لصالح بن وصيف بالظهور . وقرأ عليهم أماناً لصالح ، بأن موسى وبايكباك سألوا أمير المؤمنين أعزّه الله ذلك ، فأجابهما إليه ، وأكدّه بغاية التأكيد ، ثم قال : فعلام

١٨٠٦/٣

اجتماعكم ! فأكثرُوا الكلام ؛ فكان الذى حصله عند انصرافه أن قالوا : نريد أن يكون موسى فى مرتبة بُغا الكبير ، وصالح فى مرتبة وصيف أيام بُغا ، وبايكباك فى مرتبة الأولى ، ويكون الجيش فى يد مَنْ هو فى يده ؛ إلى أن يظهر صالح ابن وصيف ، فيوضع ^(١) لهم العطاء ، وتنجز لهم الأرزاق بما فى التوقعات . فقال : نعم .

فانصرف القوم ، فلما صاروا على قدر خمسمائة ذراع اختلفوا ، فقال قوم : قد رضينا ، وقال قوم : لم نرض ، وانصرف رسل المهتدى إليه : إنَّ القوم قد تفرقوا ؛ وهم على أن ينصرفوا ، فانصرف موسى عند ذلك ، وتفرق الناس إلى مواضعهم من الكسرخ والدور وسامراً . فلما كان غداة يوم السبت ، ركب ولد وصيف وجماعة من مواليهم وغلماهم ، وتنادى الناس : السلاح ! وانتوب دوابَّ العامة الرِّجالة ؛ رجالة أصحاب صالح بن وصيف ، ومضوا فمسكروا بسامراً فى طرف وادى إسحاق بن إبراهيم ، عند مسجد لُجَيْن أمّ ولد المتوكل . وركب أبو القاسم عند ذلك يريد دار المهتدى ، فمرَّ بهم فى طريقه ، فتعلقوا به وبمن كان معه من حشمه وغلماهم ، فقالوا له : تؤدى إلى أمير المؤمنين عينا رسالة ؟ فقال لهم : قولوا ، فخلطوا ولم يتحصل من قولهم شيئاً إلا : إنا نريد صالحاً ، فضى حتى أدّى إلى أمير المؤمنين ذلك وإلى موسى ، وجماعة القواد حضور .

فذكر عن حضر المجلس أن موسى بن بغا ، قال : يطلبون صالحاً منى ؛ كأنى أنا أخفيته وهو عندى ! فإن كان عندهم ^(٢) فينبغى لهم أن يظهره . وتأكد عندهم الخبر باجتماع القوم ، وتحلب الناس إليهم ، وتهايجوا من دار أمير المؤمنين ؛ فركبوا فى السلاح ، وأخذوا فى الحير حتى اجتمعوا ما بين الدكة ^(٣) وظهر المسجد الجامع ؛ فاتصل الخبر بالأتراك ومن كان ضوًى إليهم ، فانصرفوا ركضاً وعدوا لا يلوى فارس على راجل ، ولا كبير على صغير حتى دخلوا الدروب والأزقة ، ولحقوا بمنازهم ، وزحف موسى وأصحابه جميعاً ، فلم يبق بسامراً قائد يركب إلى دار أمير المؤمنين إلا ركب معه ، ولزموا الحير

(٢) س « عندكم » .

(١) س : « فيوقع » .

(٢) س : « الرحبة » .

حتى خرجوا مما يلي الحائطين . ثم خرجوا ؛ فأما مفلح وواجن ومن انضم إليهما فسلكوا شارع بغداد حتى بلغوا سوق الغنم ، ثم عطفوا إلى شارع أبي أحمد ، حتى لحقوا بجيش موسى . وأما موسى وجماعة القواد الذين كانوا معه مثل ياجور وساتكين ويارجوخ وعيسى الكرخي ، فإنهم سلكوا على سمت شارع أبي أحمد ، حتى صاروا إلى الوادي ، وانصرفوا إلى الجوسق ؛ فكان تقدير الجيش الذين كانوا مع موسى في هذا اليوم - وهو يوم السبت - أربعة آلاف فارس في السلاح والقيسي الموتر والدروع والجلوشن^(١) والرماح والطبرزيينات^(٢) . وكان أكثر القواد الذين كانوا بالكرخ يطلبون صالحاً^(٣) مع موسى في هذا الجيش يريدون محاربة من يطلب صالحاً .

١٨٠٨/٣

وقد ذكر عن بعض من تخير أمرهم ؛ أن أكثر من كان ركباً مع موسى كان هواه مع صالح ، ولم يكن للكرخيين والدوريين في هذا اليوم حركة ؛ فلما وصل القوم إلى الجوسق كان أول ما ظهر منهم^(٤) النداء بأن من لم يحضر دار أمير المؤمنين في غداة يوم الأحد من قواد صالح وأهله وغلمانهم وأصحابه أسقط^(٥) اسمه ، وخرب منزله، وضرب وقيد وحذر إلى المطبق ؛ ومن وجد بعد ثلاثة من هذه الطبقة ظاهراً بعد استتار ، فقد حل به مثل ذلك ، ومن أخذ دابة لعائى أو تعرض له في طريق ؛ فقد حلت به العقوبة الموجهة .

وبات الناس ليلة الأحد لثمان خلون من صفر على ذلك ؛ فلما كان غداة يوم الاثنين انتهى إلى المهتدي أن مساورا^(٦) الشاري صار إلى بلد، فقتل بها وحرق ، فنادى في مجلسه بالنفير ، وأمر موسى ومفلحاً وبايكباك بالخروج ، وأخرج موسى^(٧) مضاربه ؛ فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة مضت من صفر بطل أمر موسى ومحمد بن بغا ومفلح في الخروج ، وقالوا : لا يبرح

(١) الجلوشن : جمع جوشن ؛ وهو نوع من الدروع .

(٢) في معرب الجواليقي : « الطبرزين فارسي ، وتفسيره فأس السرج ؛ لأن فرسان العجم

تحمله معها يقاتلون به » . (٣) ب : « صالحاً » .

(٤) س : « عنهم » . (٥) س : « سقط » .

(٦) س : « مشاور » . (٧) ب : « مفلح » .

أحدٌ منا^(١) حتى ينقطع أمرنا وأمر صالح ؛ وهم مجمعون على ذلك ، يخافون من صالح أن يخلفهم بمكروه .

وذكر عن بعض الموالى أنه قال : رأيت بعض بنى وصيف - وهو الذى كان جمع تلك الجموع - يلعب مع موسى وبايكباك بالصوالحة فى ميدان بغا الصغير يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر . ثم جدّ هؤلاء فى طلب صالح بن وصيف ، فهُجم بسببه على جماعة ممن كان متصلاً به قبل ذلك. وممن اتهموه أنه آواه، منهم إبراهيم بن سعدان النحوى وإبراهيم الطالبي^{١٨٠٩/٣} وهارون بن عبد الرحمن بن الأزهر الشيعى وأبو الأحوص بن أحمد بن سعيد ابن سلم بن قتيبة وأبو بكر ختن أبي حرملة الحجام وشارية المغنية والسرخسى صاحب شرطة^(٢) الخاصة وجماعة غيرهم .

فذكر عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق ، قال : حدثنى صاحب رُبُع القبة - وهو رُبُع تلقاء دار صالح بن وصيف - قال : بينا^(٣) نحن قعود يوم الأحد ، إذا غلام قد خرج من زُقاق ، وأراه مذعوراً ، فأنكرناه ، فأردنا مسألته عن شأنه ؛ ففأتنا ؛ فلم نلبث أن أقبل عيَّار من موالى صالح بن وصيف يعرف بروزيه ، ومعه ثلاثة نفر أو أربعة ، فدخلوا الزُقاق ، فأنكرناهم ، فلم يلبثوا أن خرجوا ، وأخرجوا صالح بن وصيف ، فسألنا عن الخبر ، فإذا الغلام قد دخل داراً فى الزُقاق يطلب ماءً ليشربه . قال : فسمع قائلاً يقول بالفارسية : أيها الأمير تنحّ ، فإن غلاماً قد جاء يطلب ماء ؛ فسمع الغلام ذلك ، وكان بينه وبين هذا العيَّار معرفة^(٤) ، فجاء فأخبره ، فجمع العيَّار ثلاثة أناسٍ ، وهجم عليه فأخرجه .

وذكر عن العيَّار الذى هجم عليه ، أنه قال : قال لى الغلام ما قال ، فأقبلت ومعى ثلاثة نفر ، فإذا بصالح بن وصيف بيده مرآة ومُشط ، وهو يَسْرَحُ لحيته ، فلما رآنى بادر فدخل بيتاً ، فخفت أن يكون قصد لأخذ سيف أو سلاح ، فتلوّمت ثم نظرت إليه ؛ فإذا هو قد لجأ إلى زاوية ، فدخلت^{١٨١٠/٣}

(٢) س : « شرط » .

(٤) س : « مقه » .

(١) س : « منا أحد » .

(٣) س : « بينا » .

إليه فاستخرجته فلم يزدني على التضرع شيئاً . قال : فلما تضرع إلى قلت : ليس إلى تركك سبيل ؛ ولكني أمرت بك على أبواب إخوانك وأصحابك وقوادك وصنائعك ؛ فإن اعترض لي منهم اثنان أطلقتهما في أيديهم . قال : فأخرجته فالحققت إلا من هو عوني على مكروهه .

فذكر أنه لما أخذ مضى به نحو ميلين ، ليس معه إلا أقل من خمسة نفر من أصحاب السلطان . وذكر أنه أخذ حين أخذ ، وعليه قميص ومبطنة ملحم وسراويل ، وليس على رأسه شيء وهو حاف .

وقيل إنه حمل على يردون صينائي^(١) والعامّة تعدو خلفه وخمسة من الخاصة يمنعون منه ؛ حتى انتهوا به إلى دار موسى بن بغا ؛ فلما صاروا به إلى دار موسى بن بغا أتاه بابكباك ومفلح وياجور وساتكين وغيرهم من القواد ، ثم أخرجوه من باب الخير الذي يلي قبيلة المسجد الجامع ؛ ليذهبوا به إلى الجوسق ، وهو على بغل بكاف ، فلما صاروا به إلى حدّ المنارة ، ضربه رجل من أصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه كاد يقذه منها ، ثم احتزوا رأسه وتركوا جيفته هناك ، وصاروا به إلى المهتدي ؛ فوافوا به قبيل المغرب وهو في بركة قباء رجل من غلمان مفلح يقطر دماً ، فوصلوا به إليه ، وقد قام لصلاة المغرب ، فلم يره ، فأخرجوه لينصالح^(٢) ، فلما قضى المهتدي صلاته ، وخبروه أنهم قتلوا صالحاً ، وجاءوا برأسه لم يزداهم على أن قال : وارؤوه ؛ وأخذ في تسبيحه . ووصل الخبر إلى منزله ، فارتفعت الواعية وباتوا ليلتهم .

١٨١١/٣

فلما كان يوم الاثنين لسبع بقين من صفر حمل رأس صالح بن وصيف على قناة ، وطيف به ، ونودي عليه : هذا جزاء من قتل مولاه ، ونصب بباب العامة ساعة ثم نُحى ، وفعل به ذلك ثلاثة أيام تتابعاً ، وأخرج رأس بغا الصغير في وقت صلب رأس صالح يوم الاثنين ، فدفع إلى أهله ليدفنوه . فذكر عن بعض الموالي أنه قال : رأيت مفلحاً وقد نظر إلى رأس بغا ،

(١) يردون صينائي : أشقر أو كيت .

(٢) س : « ليصل » .

فبكى وقال : قتلنى الله إن لم أقتل قاتلك ؛ فلما كان يوم الخميس لأربع بقين من صفر ، وجّه موسى بالرأس إلى أم الفضل ابنة وصيف ، وهى امرأة النوشرى ، وكانت قبله عند سلمة بن خاقان .

فذكر عن بعض بنى هاشم أنه قال : هنأت موسى بن بغا بقتل صالح فقال : كان عدو أمير المؤمنين استحقّ القتل . قال : وهنأت ببايكباك بذلك ؛ فقال : مالى أنا وهذا ! إنما كان صالح أخى ، فقال السلولى لموسى إذ قتل صالح بن وصيف :

وَجِئْتَ إِذْ جِئْتَ يَا مُوسَى عَلَى قَدَرٍ	وَنِلْتَ وَتَرَكَ مِنْ فِرْعَوْنَ حِينَ طَفَى
يَرْمِيكَ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ عَنْ وَتَرٍ	ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ بَاغٍ أَخُو حَسَدٍ
بِالْجَمْرِ مُحْتَرِقٌ بِالْجَمْرِ وَالشَّرِّ	وَصَيْفٌ بِالكَرْخِ مَمْشُولٌ بِهِ وَيُغَا
فِي الْحَيْرِ جَيْفَتُهُ ، وَالرُّوحُ فِي سَقَرٍ	وَصَالِحُ بْنُ وَصَيْفٍ بَعْدُ مُنْعَفِرٌ

* * *

وفى مستهل جمادى الأولى من هذه السنة رحل^(١) موسى بن بغا وبايكباك إلى مساور ، وشيّعهم محمد بن الواثق .

وفى جمادى الأولى أيضاً منها التقى مساور بن عبد الحميد وعبيدة العمروسى الشارى بالكُحَيْل ، وكانا مختلفى الآراء ، فظفر مساور بعبيدة فقتله .

وفى هذا الشهر من هذه السنة التقى مساور الشارى ومفلح ، فحدثت عن مساور ، أنه انصرف من الكُحَيْل بعد قتله العمروسى ، وقد كلّم كثير من أصحابه فلم تتدخل كلّوهم ، وانغيبوا من الحرب التى كانت جرت بين الفريقين إلى عسكر موسى ومن ضمّه ذلك العسكر وهم حامون ، فأوقع بهم ؛ فلما لم يصل إلى ما أراد منهم من الظفر بهم ، وكان التقاؤهم بجبل زبى تعلق هو وأصحابه بالجبل فصاروا إلى ذرّوته^(٢) ، ثم أوقدوا النيران ، وركزوا رماحهم ،

١٨١٢/٣

(١) س : « ترحل » .

(٢) س : « فى دروته » .

وعسكر موسى بسفح الجبل ثم هبط مساور وأصحابه من الجبل، من غير الوجه الذى عسكر به موسى، فضى وموسى وأصحابه يحسبون أنهم فوق الجبل فقاتوهم.

* * *

[ذكر الخبر عن خلع المهتدى ثم موته]

وفى رجب من هذه السنة لأربع عشرة ليلة خلت منه خلع المهتدى ، وتوفى يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه ووفاته :

ذكر أن ساكنى الكرخ بسامراً^(١) والدور تحرّكوا لليلتين خلستا من رجب من هذه السنة ، يطلبون أرزاقهم ، فوجه إليهم المهتدى طبايغو الرئيس عليهم وعبد الله أخا المهتدى ، فكلمهم فلم يقبلوا منهما ، وقالوا : نحن نريد أن نكلم أمير المؤمنين مشافهةً . وخرج أبو نصر بن بغا تحت ليلته إلى عسكر أخيه ، وهو بالسّنّ بالقرب من الشارى ، ودخل دار الجوسق جماعة منهم ؛ وذلك يوم الأربعاء ، فكلمهم المهتدى بكلام كثير ، وقطع العطاء عن الناس يوم الأربعاء والخميس والناس متوقفون حتى يعرفوا ما يصنع موسى بن بغا ، وكان موسى وضع العطاء فى عسكره لشهر ، وكان على مناجزة الشارى إذا استوى^(٢) أصحابه ، فوقع الاختلاف ، ومضى موسى يريد طريق خراسان .

١٨١٤/٣

واختلف فى سبب الاختلاف الذى جرى ، فصار من أجله موسى إلى طريق خراسان ، والسبب الذى من أجله خرج المهتدى لحرب من حاربه من الأتراك ، فقال بعضهم : كان السبب الذى من أجله تنحى موسى عن وجه الشارى وتترك حربه وصار إلى طريق خراسان ، أن المهتدى استمال بايكباك ، وهو مع موسى مقيم فى وجه الشارى مساور ، وكتب إليه يأمره أن يضم العسكر الذى مع موسى إلى نفسه ، وأن يكون هو الأمير عليهم ، وأن يقتل موسى بن بغا ومفلحاً ، أو يحملهما إليه مقيدين . فلما وصل الكتاب إلى بايكباك ، أخذاه ومضى به إلى موسى بن بغا ، فقال : إني لست أفرح بهذا ؛ وإنما هذا

(٢) س : « إذا استوى » .

(١) س : « بسم رأى » .

تدبير علينا جميعاً ، وإذا فُعل بك اليوم شيء فُعل بى غداً مثله ، فما ترى ؟ قال : أرى أن تصير إلى سامراً ، فتخبره أنك فى طاعته ، وناصره على موسى ومفلح ؛ فإنه يطمئن إليك ، ثم ندبر فى قتله .

فقدم بايكباك فدخل على المهتدى ، وقد مضوا إلى منازلهم كما قدموا من عند الشارى ؛ فأظهر له المهتدى الغضب ، وقال : تركت العسكر ، وقد أمرتك أن تقتل موسى ومفلحاً ، وداهنت فى أمرهما ! قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف لى بهما ؟ وكيف يتهاى لى قتلها ؟ وهما أعظم جيشاً منى ، وأعز منى ! ولقد جرى بينى وبين مفلح شيء فى بعض الأمر ؛ فما انتصفت منه ؛ ولكنى قد قدمت بجيشى وأصحابى ومن أطاعنى لأنصرك عليهما ، وأتوى أمرك ؛ وقد بقى موسى فى أقل العدد . قال : ضع سلاحك ، وأمر بإدخاله داراً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ليس هذا سبيل مثلى إذا قدم من مثل هذا الوجه ؛ حتى أصير إلى منزلى ، وأمر أصحابى وأهلى بأمرى . قال : ليس إلى ذلك ^(١) سبيل ، أحتاج إلى مناظرتك . فأخذ سلاحه ، فلما أبطأ خبره على أصحابه سعى فيهم أحمد بن خاقان حاجب بايكباك ، فقال : اطلبوا صاحبكم قبل أن يحدث به حدث ؛ فجاشت الترك ، وأحاطوا بالجوسق . فلما رأى ذلك المهتدى وعنده صالح بن على بن يعقوب بن أبى جعفر المنصور شاوره ، وقال : ما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لم يبلغ أحد من آبائك ما بلغت ^(٢) من الشجاعة والإقدام ، وقد كان أبو مسلم أعظم شأنًا عند أهل خراسان من هذا التركى عند أصحابه ؛ فما كان إلا أن طرح رأسه إليهم حتى سكنوا ^(٣) ، وقد كان فيهم من يعبدّه ويتخذّه ربّاً ، فلو فعلت مثل ذلك سكنوا ؛ فأنت أشد من المنصور إقداماً ، وأشجع قلباً . فأمر المهتدى الكرخى - واسمه محمد ابن المباشر ، وكان حدّاداً بالكرخ بطرق المسامير ، فانقطع إلى المهتدى ببغداد فوثق به ولزمه - فأمره بضرب عنق بايكباك ، ف ضرب عنقه ، والأتراك مصطفون فى الجوسق فى السلاح ، يطلبون بايكباك ؛ فأمر المهتدى عتاب بن عتاب القائد

١٨١٥/٣

(٢) ب : « بلغت » .

(١) ب : « هذا » .

(٣) ب : « فسكنوا » .

أن يرميهم برأسه فأخذ عتاب الرأس ؛ فرمى به إليهم ، فتأخروا وجاشوا ، ثم شدّ رجل منهم على عتاب ، فقتله ، فوجّه المهتدى إلى الفراغة والمغاربة والأوكشيّة والأشروسنيّة والأتراك الذين بايعوه^(١) على الدرهمين والسويق ، فجاءوا ، فكانت بينهم قتلى كثيرة ، كثر فيها الناس ، فقليل : قُتل من الأتراك الذين قاتلوا نحو من أربعة آلاف ، وقيل ألفان وقيل ألف ؛ وذلك يوم السبت لثلاث عشرة خلت من رجب من هذه السنة .

١٨١٦/٣

ثمّ تنامّ القوم يوم الأحد ، فاجتمع جميع الأتراك ، فصار أمرهم واحداً ، فجاء منهم زهاء عشرة آلاف رجل ، وجاء طوغيتا أخو بايكباك وأحمد بن خاقان حاجب بايكباك في نحو من خمسمائة ؛ مع من جاء مع طوغيتا من الأتراك والعجم ، وخرج المهتدى ومعه صالح بن عليّ ، والمصحف في عنقه ، يدعوا الناس إلى أن ينصروا خليفَتهم . فلما التحم الشرّ مال الأتراك الذين مع المهتدى إلى أصحابهم الذين مع أخى بايكباك ، وبقى المهتدى في الفراغة والمغاربة ومن خفّ معه من العامة ، فحمل عليهم طوغيتا أخو بايكباك حملاً ثائر حرّان موتور ، فنقض تعبيَتهم ، وهزمهم ، وأكثر فيهم القتل وولّوا منهزمين ، ومضى المهتدى يركضُ منهزماً ، والسيف في يده مشهور ، وهو ينادى : يا معشر الناس ، انصروا خليفَتكم ؛ حتى صار إلى دار أبي صالح عبدالله بن محمد بن يزداد وهي بعد خشبة بابك ، وفيها أحمد بن جميل صاحب المعونة ، فدخلها ووضع سلاحه ، وليس البياض ليعلوّ داراً ويتزل أخرى وبهرب . فطُلب فلم يُوجد ، وجاء أحمد بن خاقان في ثلاثين فارساً يسأل عنه حتى وقف على خبره في دار ابن جميل ، فبادرهم ليصعد ، فرمى بسهم وبُعِجَ بالسيف ، ثمّ حمله أحمد بن خاقان على دابة أو بغل ، وأردف خلفه سائساً حتى صار به إلى داره ، فدخلوا عليه ، فجعلوا يصفعونه ويبرقون في وجهه ، وسألوه عن ثمن ما باع من المتاع والخُرُتّى ، فأقرّ لهم بستمائة ألف قد أودعها الكرخيّ الناس ببغداد ، وأصابوا عنده خسف الواضحة مُغْنِيَةً ، فأخذوا رقعته بستمائة ألف دينار ؛ ودفعوه إلى رجل ، فوطئ على خُصِيَّتِهِ حتى قتله .

١٨١٧/٣

(١) س : « بايعوا » .

وقال بعضهم : كان السببُ وأول الخلاف ، أنّ الاحقين من أولاد الأتراك اجتمعوا ، وقالوا : لا نرضى أن يكون علينا رئيسٌ غير أمير المؤمنين ، وكتبوا إلى موسى بن بُغَا وبايكباك ، وهما في وجه الشارى ، فوافى موسى في رجاله حتى صار إلى قنطرة في ناحية الوزيرية يوم الجمعة ، وعسكر المهتدى في الحيسر ، وقرب منهم ، ثم خرج إلى الجوسق ، وعليه السلاح ؛ فلما كان يوم السبت لثلاث عشرة خلت من رجب ، دخل بايكباك طائعا ، ومضى موسى إلى ناحية طريق خراسان في نحو من ألقى رجل ، وجاء المهتدى رجلٌ من الموالي ؛ فقال له : إنّ بايكباك قد وعد موسى أن يفتك بك في الجوسق ، فأخذ المهتدى بايكباك ، وأمر بنزع سلاحه وحبسه ، فحبس يوم السبت إلى وقت العصر ^(١) ، ثم خرج أهل الكرخ وأهل الدّور يطلبونه ، وانصرفوا وبكروا يوم الأحد ، فلم يتخلف منهم أحد إلا حضر راكباً وراجلا في السلاح ، فلما صاروا إلى الجوسق ، صلتى المهتدى الظهر ، وخرج إليهم في الفراغة والمغاربة ، فتطارد لهم الأتراك ، فحملوا عليهم . فلما تبسّعهم خرج كمين لهم ، فقتل من الفراغة والمغاربة جماعة كبيرة ، وهرب المهتدى ، ومرّ على باب أبي الوزير و غلام له يصبح : يا معشر الناس ، هذا خليفتم ؛ وتراكم الأتراك خلقه ، فدخل دار أحمد بن جميل ، وتسلى المهتدى من دار إلى دار ، وأحرق الأتراك بتلك الناحية كلها ، فأخرجوه من دار غلام لعبد الله بن عمر البازيار ، وحملوه وبه طعنة في خاصرته على برذون أعجف ، في قميص وسراويل ، وانتهبوا دار الكرخى ودور بنى ثوابة وجماعة من الناس ؛ فلما كان يوم الاثنين حمل أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتیان إلى دار يار جوخ ، والأتراك يدورون في الشوارع ، ويحمّدون العامة إذ لم يتعرّضوا لهم .

وقال آخرون : بل كان السبب في ذلك ؛ أنّ أهل دور سامرا والكرخ تحرّكوا في يوم الاثنين ليلة خلت من رجب من هذه السنة ، واجتمعوا بالكرخ وفوقها ، فوجّه المهتدى إليهم كيغسلّغ وطبايعون صول أرتكين وعبد الله أخا نفسه ، فلم يزالوا بهم حتى سكنوا ورجعوا إلى الدار ، وبلغ أبا نصر محمد بن

بغا الكبير أن المهتدى قد تكلم فيه وفي أخيه موسى ، وقال للموالى : إن الأموال عندهم ، فتخوفه وإياهم ، فهرب في ليلة الأربعاء لثلاث خلون من رجب ، فكتب إليه المهتدى أربعة كتب يعطيه فيها الأمان على نفسه ومن معه ، ووصل كتابان إليه وهو بالمحمدية مع أبرتكين بن برنمكا تكين ، ووصل الآخران إليه مع فرج الصغير ، فوثق بذلك ، فرجع حتى دخل الدار هو وأخوه حبشون وبكالبا ، فحبسوا وحبس معهم كيغتلغ ، فأفرد أبو نصر عنهم ؛ فطلب منه المال ، فقبض من وكيله خمسة عشر ألف دينار ، وقتل يوم الثلاثاء لثلاث خلون من رجب ، ورُمى به في بئر من آبار القناة ، وأخرج من البئر يوم الاثنين للنصف من رجب ، ومضى به إلى منزله وقد أراح ، فاشتري له ثلثائة مثقال مسك وستائة مثقال كافور ، وصير عليه فلم تنقطع الرائحة ، وصلى عليه الحسن بن المأمون ، وكتب المهتدى إلى موسى بن بغا عند حبسه أبا نصر يأمره بتسليم العسكر إلى بايكباك والإقبال إلى سامرا في مواليه ، وكتب إلى بايكباك في تسلم العسكر والقيام بقتال الشاري ، فصار بايكباك بالكتاب إلى موسى فقرأه ، فاجتمعوا على الانصراف إلى سامرا ، وبلغ المهتدى ذلك ، وأنهم على خلافه ، فجمع الموالى ، فحضتهم على الطاعة ، وأمرهم بلزومه في الدار وترك الإخلال به ، وأجرى على كل رجل من الأتراك ومن يجري مجراهم في كل يوم درهمين ، وعلى كل رجل من المغاربة درهما . فاجتمع له من الفريقين وأخذانهم زهاء خمسة عشر ألف إنسان ، منهم من الأتراك المعروف بالكامل في الجوسق وغيره من المقاصير . وكان القيم بأمر الدار بعد حبس كيغتلغ مسرور بالبلخي والرئيس من القواد طبايغو ، والقيّم بحبس من حبس من هؤلاء عبد الله بن تكين . وبلغ موسى ومفلحاً وبايكباك حبس أبي نصر وحبشون ومن حبس ، فأخذوا حذرهم .

١٨٢٠/٣

وجرت الرسل والكتب بينهم وبين المهتدى يوم الخميس ، وخرج المهتدى يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب بجمعه متوقعا ورود القوم عليه ؛ فلم يأت أحد . فلما كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب صحح الخبر بأن موسى قد عرج عن طريق سامرا إلى ناحية الجبل مع مفلح ،

ودخل يوم السبت بايكباك ويارجوخ وأساتكين وعلى بن بارس وسيا الطويل وخطارمش إلى الدار ، فحبس بايكباك وأحمد بن خاقان خليفته ، وصُرف الباقر ، فاجتمع أصحاب بايكباك وغيره من الأتراك ، وقالوا : لم يُحبس قائدنا ؟ ولم قتل أبو نصر ؟ فخرج إليهم المهتدي يوم السبت - ولم يكن بينهم حرب - ١٨٢١/٣ فرجع ، وخرج يوم الأحد وقد اجتمعوا له ^(١) ، وجمع هو المغاربة والأتراك البرانيين والفراغة فصير على الميمنة مسروراً البلخي ، وعلى الميسرة يارجوخ ، والمهتدي في القلب مع أساتكين وطبايعوا وغيرهما من القواد .

فلما حسيّت الشمس ، قرب القوم بعضهم من بعض ، وهاجت الحرب ، وطلبوا بايكباك ، فرمى إليهم المهتدي برأسه - وكان عتاب بن عتاب أخرجه من بركة قبائه - فلما رأوه شدّ أخوه طغوتيا في جماعة من خاصته على جمع المهتدي ، وعطفت الميمنة والميسرة من عسكر المهتدي ، فصاروا معهم ، وانتهزم الباقر عن المهتدي ، وقتل جماعة من الفريقين .

فذكر عن حبشون بن بغا ، أنه قال : قُتل سبعمائة وثمانون إنساناً ، وتفرق الناس ، ودخل المهتدي الدار ، فأغلق الباب الذي دخل منه ، وخرج من باب المصاف حتى خرج من الباب المعروف بإيتاخ ، ثم إلى سويقة مسرور ، ثم درب الواثق ؛ حتى خرج إلى باب العامة ، وهو ينادي : يا معشر الناس ، أنا أمير المؤمنين ؛ قاتلوا عن خليفتكم . فلم تجبه العامة إلى ذلك ، وهو يمر في الشارع وينادي ، فلم يرم ينصرونه ، فصار إلى باب السجن ، فأطلق مَنْ فيه ، وهو يظن أنهم يعينونه ؛ فلم يكن منهم إلا الهرب ، ولم يجبه أحد . فلما لم يجيبوه ، صار إلى دار أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وفيها أحمد بن جميل صاحب الشرطة ^(٢) نازل ، فدخل عليه ، فأخرج من ناحية ديوان الضياع ، ثم صير به إلى الجوسق ، فحبس فيه عند أحمد بن خاقان ، وانتهب دار أحمد ابن حميل .

١٨٢٢/٣

وكان ممن قتل في المعركة من قواد المغاربة نصر بن أحمد الزبيرى ، ومن

(٢) س : « الشرطة » .

(١) س : « إليه » .

قواد الشاكرية عتاب بن عتاب حين جاء برأس بایكباك إلیهم ، وقتل المهتدی — فیما قیل — فی الوقعة عدة كثيرة بيده ، ثم جرى بينهم وبينه بعد أن حبس كلام شديد ، وأرادوه على الخلع فأبى ، واستسلم للقتل ، فقالوا : إنه كان كتب رُقعة بيده لموسى بن بغا وبایكباك وجماعة من القواد ؛ أنه لا يغدر بهم ولا يغتالهم ، ولا يفتك بهم ، ولا يهزمهم بذلك ، وأنه متى فعل ذلك يوم أو بأحد منهم ووقفوا عليه فهم في حل من بيعته ، والأمر إلیهم يُقعدون من شاءوا . فاستحلوا بذلك نقض أمره .

وقد كان يارجوخ بعد انهزام الناس صار إلى الدار ، فأخرج من ولد المتوكل جماعة ، فصار بهم إلى داره ، فبايعوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من رجب ، وسُمي المعتمد على الله ، وأشهد يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب على وفاة المهتدی محمد بن الواثق ، وأنه سليم ليس به إلا الجراحتان اللتان نالتاه يوم الأحد في الوقعة ؛ إحداهما من سهم الأخرى من ضربة ، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد وعدة من إخوة أمير المؤمنين ، ودُفن في مقبرة المنتصر ، ودخل موسى بن بغا ومفلح سامراً يوم السبت لعشر بقين من رجب ، فسلم على المعتمد فخلع عليه ، وصار إلى منزله وسكن الناس .

١٨٢٣/٣

وقال بعضهم—وذكر أنه كان شاهداً أمرهم : لما كان ليلة الاثنين ليلة خلت من رجب ثار أهل الكرخ والدور جميعاً ، فاجتمعوا ، وكان المهتدی يوجه إلیهم إذا تحرّكوا أخاه عبد الله ، فوجه إلیهم في هذا اليوم عبد الله أخاه كما كان يوجهه ، فصار إلیهم ؛ فوجدتهم قد أقبلوا يريدون الجوسق ، فكلّمهم ، وضمن لهم القيام بحوائجهم ، فأبوا وقالوا : لا نرجع حتى نصير إلى أمير المؤمنين ونشكو إليه قصتنا . فانصرف منهم عبد الله ، وفي الدار في هذا الوقت أبو نصر محمد بن بغا وحبشون وكيخلف ومسرور الباسي وجماعة ؛ فلما أدّى عبد الله إلى المهتدی ما دار بينه وبينهم ، أمره بالرجوع إلیهم ، وأن يأتي بجماعة منهم فيوصلهم إليه ؛ فخرج فتلقاهم قريباً من الجوسق ، فأدارهم على أن يقفوا بموضعهم ، ويوجهوا معه جماعة منهم فأبوا . فلما تناهى الخبر

إلى أبي نصر ومن كان معه في الدار بأن جمعهم قد أقبل ، خرجوا جميعاً ١٨٢٤/٣
من الدار مما يلي باب النزلة ، فلم يبق في الدار إلا مسرور البلخي وألطن
خليفة كيـمـلـغ ، ومن الكتاب عيسى بن فرخان شاه ، ودخل الموالى مما يلي باب القصر
الأحمر ، فملئوا الدار زهاء أربعة آلاف ، فصاروا إلى المهتدي ، فشكوا إليه
حالهم .

وكان اعتمادهم في مسائلهم أن يعزل عنهم أمراءهم ، ويضمّ أمورهم إلى
إخوة أمير المؤمنين ، وأن يؤخذ الأمراء والكتاب بالخروج مما اختانوه من أموال
الناسطان ؛ وذكروا أن قدره خمسون ومائة ألف ألف . فوعدهم النظر في أمرهم
وإجابتهم إلى ما سألوا ، فأقاموا يومهم ذلك في الدار ، فوجه المهتدي محمد
ابن مباشر الكرخي ، فاشترى لهم الأسوقة ، ومضى أبو نصر بن بغا من فوره
ذلك ؛ حتى عسكر في الحير بالقرب من موضع الحلبة ، فلحق به زهاء خمسمائة
رجل ، ثم تفرقوا عنه في ليلتهم ؛ فلم يبق إلا في أقل من مائة ، ومضى فصار
إلى الحمديّة ، وأصبح الموالى في غداة يوم الأربعاء يطالبون بما كانوا يطالبون
به أولاً ، فقبل لهم : إن هذا الأمر الذي تريدونه أمرٌ صعب ، وإخراج الأمر
عن أيدي هؤلاء الأمراء ليس بسهل عليكم ؛ فكيف إذا جمع إلى ذلك أخذهم
بالأموال ! فانظروا في أموركم ؛ فإن كنتم تظنون أنكم تصبرون على هذا الأمر
حتى يبلغ منه غايته أجابكم إليه أمير المؤمنين ، وإن تكن الأخرى فإن ١٨٢٥/٣
أمير المؤمنين يحسن لكم النظر . فأبوا إلا ما سألوه أولاً ، فدُعوا إلى إيمان البيعة على
أن يقيموا على هذا القول ، ولا يرجعوا عنه ، وأن يقاتلوا من قاتلهم فيه ، وينصحوا
لأمير المؤمنين ويوالئوه . فأجابوه إلى ذلك ، فأخذت عليهم إيمان البيعة ، فباع
في ذلك اليوم زهاء ألف رجل وعيسى بن فرخان شاه الذي تجرى على يده الأمور ،
ومقامه مقام الوزير . ثم كتبوا إلى أبي نصر كتاباً عن أنفسهم ؛ كتبه لهم
عيسى بن فرخان شاه ، يذكرون فيه إنكارهم خروجه من الدار عن غير سبب ،
وأنهم إنما قصدوا أمير المؤمنين ليشتكوا إليه حاجتهم ، وأنهم لما وجدوا الدار
فارغة أقاموا فيها ، وأنهم إذا عاد ردّوه إلى حاله ، ولم يهتجوه . وكتب عيسى
عن الخليفة بمثل ذلك إليه ، فأقبل من الحمديّة بين العصر والعشاء ، فدخل

الدار ، ومعه أخوه حَبْشُون وكيغلف وبكالبا وجماعة منهم ، فقام الموالى فى وجوههم معهم السلاح ، وقعد المهتدى ، فوصل إليه أبو نصر ومن معه ، فسلم عليه ، ودنا فقبل يد المهتدى ورجله والبساط ، وتأخر فخطبه المهتدى بأن قال له : يا محمد ، ما عندك فيما يقول الموالى ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يذكرون أنكم احتجتم الأموال ، واستبدتم بالأعمال ، فما تنظرون فى شىء من أمورهم ، ولا فيما عاد لمصلحتهم^(١) . فقال محمد : يا أمير المؤمنين ؛ وما أنا والأموال ! ما كنت كاتب ديوان ، ولا جرت على يدي أعمال^(٢) . فقال له : فأين هى الأموال ؟ وهل هى إلا عندك وعند أخيك ، وكتابكم وأصحابكم ! ودنا الموالى ، فتقدم عبد الله بن تكين وجماعة منهم ، فأخذوا بيد أبى نصر وقالوا : هذا عدو أمير المؤمنين ، يقوم بين يديه بسيف ، فأخذوا سيفه ، ودخل غلام لأبى نصر كان حاضراً يقال له ثيتل ، فسل سيفه ، وخطا ليمنعهم من أبى نصر ، وكانت خطوته تلى الخليفة ، فسبقه عبد الله بن تكين ، فضرب رأسه بالسيف ، فما بقى فى الدار أحد إلا سل سيفه ، وقام المهتدى ، فدخل بيتاً كان بقربه ، وأخذ محمد بن بُغا ، فأدخل حجرة فى الدار ، وحبس أصحابه الباقون ، وأراد القوم قتل الغلام ، فنعمهم المهتدى ، وقال : إن لى فى هذا نظراً . ثم أمر^(٣) فأعطى قميصاً من الخزانة ، وأمر بغسل رأسه من الدّم ، وحبس .

١٨٢٦/٣

فأصبح الناس يوم الأربعاء وقد كثروا ، والبيعة تؤخذ ، ثم أمر عبد الله ابن الواثق بالخروج إلى الرفيف فى ألف رجل من الشاكرية والفراغنة وغيرهم ؛ وكان ممن أمر بالخروج من قواد خراسان محمد بن يحيى الواثقى وعتاب بن عتاب وهارون بن عبد الرحمن بن الأزهر وإبراهيم أخو أبى عون ويحيى بن محمد بن داود وولد نصر بن شيث وعبد الرحمن بن دينار وأحمد بن فريدون وغيرهم .

ثم إن عبد الله بن الواثق بلغه عن هؤلاء القواد أنهم يقولون : إنه ليس بصواب شخوصهم إلى تلك الناحية ، فترك الخروج إليها .

١٨٢٧/٣

(٢) س : « أموال » .

(١) س : « إلى مصلحتهم » .

(٣) س : « وأمر » .

ثم إنهم أرادوا أن يكتبوا إلى موسى ومفلح بالانصراف وتسليم العسكر إلى مَنْ فيه من القواد ، فأجمعوا^(١) على أن يكتبوا إليهما بذلك كتاباً ، وكتبوا إلى بعض القواد في تسليم^(٢) العسكر منهما ، وكتبوا إلى الصغار بما سأل أصحابهم بسامراً ، وما أجيئوا إليه ، وأمر بنسخ الكتب التي كتبت إلى القواد ، وأن ينظروا ؛ فإن سارع موسى ومفلح إلى ما أميرا به من الإقبال إلى الباب في غلمانهم وتسليم العسكر إلى مَنْ أميرا بتسليمه إليه ؛ وإلا شذّهما وثاقاً ، وحملوهما إلى الباب ، وجثّوهما هذه الكتب مع ثلاثين رجلاً منهم ، فشحصوا عن سامراً ليلة الجمعة لحمس خلون من رجب من هذه السنة ، وأجرى على مَنْ أخذت عليه البيعة في الدار على كل رجل منهم في اليوم درهمان ، فكان المتولى لتفرقة ذلك عليهم عبد الله بن تكين ، وهو خال ولد كنجور .

ولما تناهى الخبر إلى موسى وأصحابه اتهم كنجور ، وأمر بحبسه بعد أن ناله بالضرب ، وموسى حينئذ بالسن . ولما انتهى الخبر إلى بايكباك وهو بالحديثة أقبل إلى السن ، فاستخرج كنجور من الحبس ، واجتمع العسكر بالسن ، ووصل إليهم الرسل ، وأوصلوا الكتب ، وقرءوا بعضها على أهل العسكر ، وأخذوا عليهم البيعة بالنصرة لهم ، فارتحلوا حتى نزلوا قنطرة الرفيف يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب ؛ وخرج المهتدي في هذا اليوم إلى الحيسر ، وعرض الناس ، وسار قليلاً ، ثم عاد وأمر أن تخرج الخيام والمضارب فتضرب في الحيسر ، وأصبح الناس يوم الجمعة ، وقد انصرف من عسكر موسى زهاء ألف رجل ؛ منهم كوتكين وحشنج .

ثم خرج المهتدي إلى الحيسر ، ثم صير ميمنته عليها كوتكين ، وميسرته عليها حشنج ، وصار هو في القلب ، ثم رجع الرسل تختلف بين العسكرين . والذي يريد موسى بن بغا أن يؤلّي ناحية ينصرف إليها ، والذي يريد القوم من موسى أن يُقبل في غلمانه لينظرهم ؛ فلم يتهياً بينهم في ذلك اليوم شيء . فلما كان ليلة السبت ، انصرف مَنْ أراد الانصراف عن موسى ، ورجع موسى ومفلح يريدان طريق خراسان في زهاء ألف رجل ، ومضى بايكباك

(١) س : « فأجمعوا » .

(٢) س : « تسليم » .

وجماعة من قواده في ليلتهم مع عيسى الكرخي ، فباتوا معه ، ثم أصبحوا يوم السبت ، وأقبل بايكباك ومن معه حتى دخلوا الدار ، فأخذت سيوفهم بايكباك ويارجوخ وأساتكين وأحمد بن خاقان وخطارمش وغيرهم . فوصلوا جميعاً إلى المهتدي ، فسلموا ، فأمرُوا بالانصراف إلا بايكباك ، فإن المهتدي أمر أن يوقف بين يديه ، ثم أقبل يعدّ عليه ذنوبه ، وما ركب من أمر المسلمين والإسلام .

ثم إن المولى اعترضوه ، فأدخلوه حجرة في الدار ، وأغلقوا عليه الباب ، ثم لم يلبث إلا قدر خمس ساعات حتى قُتِل يوم السبت من الزوال . واستوى الأمر ، فلم تكن حركة ، ولا تكلم أحد إلا نَفَر يسير أنكروا أمر بايكباك ، ولم يُظهروا كل الجرع . فلما كان يوم الأحد ، أنكر الأتراك مساواة الفراغة لهم في الدار ودخلهم معهم ، ووضّح عندهم أن التدبير إنما جرى في قتل رؤسائهم حتى يقدم عليهم الفراغة والمغاربة ، فخرجوا من الدار بأجمعهم ، وبقيت الدار على الفراغة والمغاربة ، وأنكر الأتراك بناحية الكرخ ذلك ، وأضافوا إليه طلب بايكباك لاجتماع أصحاب بايكباك معهم ، فأدخل المهتدي إليه جماعة من الفراغة ، وأخبرهم بما أنكره الأتراك ، وقال لهم : إن كنتم تعلمون أنكم تقومون بهم ، فما يكره أمير المؤمنين قريكم ، وإن كنتم بأنفسكم تظنون عجزاً عنهم أرضيتهم بالمصير إلى محبتهم من قبيل تفاقم الأمر . فذكر الفراغة أنهم يقومون بهم ويقهرونهم ، إذا اجتمعت كلمتهم وكلمة المغاربة ، وعدّوا أشياء كثيرة من تقديمهم عليهم . وأرادوا المهتدي على الخروج إليهم ، فلم يزل كذلك إلى الظهر ، ثم ركب وأكثر الفرسان الفراغة وأكثر الرجال المغاربة ، ووجه إليهم وهم بين الكرخ والقطائع والأتراك زهاء عشرة آلاف ، وهم في ستة آلاف لم يكن معهم من الأتراك إلا أقل من ألف ، وهم أصحاب صالح ابن وصيف وجماعة مع يارجوخ . فلما التقى الزحفان ، انحاز يارجوخ بمن معه من الأتراك ، وانهزم أصحاب صالح بن وصيف ، فرجعوا إلى منازلهم وخرج طاشتُمُر من خلف الدكة ، وكانوا جعلوا كميناً ، وتصادم القوم ، فكانت الحرب بينهم ساعة من النهار ، ضرباً وطعناً ورمياً .

١٨٢٩/٣

١٨٣٠/٣

ثم وقعت الهزيمة على أصحاب المهتدي ، فثبت وأقبل يدعوهم إلى نفسه ،

ويقاتل حتى يئس من رجوعهم ؛ ثم انهزم ويده سيف مشطّب ، وعليه درع وقبّاء ؛ ظاهر به حرير أبيض معين ، فضى حتى صار إلى موضع خشبة بابل ، وهو بحث الناس على مجاهدة القوم ونصربه ؛ فلم يتبعه أحد إلا جماعة من العيارين ؛ فلما صاروا إلى باب السجن تعلقوا بأجامة ، وسألوه لإطلاق من في السجن ، فانصرف بوجهه عنهم ، فلم يتركوه حتى أمر بإطلاقهم ، فانصرفوا عنه ، واشتغلوا بباب السجن ، وبقي وحده ، فرح حتى صار إلى موضع دار أبي صالح بن يزيداد، وفيها أحمد بن جميل، فدخل الدار وأغلقت الأبواب ، فترع ثيابه وسلاحه ؛ وكانت به طعنة في وركه ، فطلب قميصاً وسراويل ، فأعطاه أحمد بن جميل ، وغسل الدم عن نفسه ، وشرب ماء وصلّى ، فأقبل جماعة من الأتراك مع يار جوخ نحو من ثلاثين رجلاً ؛ حتى صاروا إلى دار أبي صالح ، فضرّبوا الباب حتى دخلوها ؛ فلما أحس بهم أخذ السيف وسعى ، فصعد على درجة في الدار ، ودخل القوم ؛ وقد علا السطح ، فأراد بعضهم الصعود لأخذه ، فضرّبه بالسيف فأخطأه ، وسقط الرجل عن الدرجة ^(١) ، فرمّوه بالنشاب ، فوقعت نسيابة في صدره ، فجرحته جراحة خفيفة ، وعلم ^(٢) أنه الموت ؛ فأعطى بيده ، ونزل فرمى بسيفه فأخذه ، فجعلوه على دابة بين يدي أحدهم ، وسلكوا الطريق الذي جاء منه ، حتى صيروه إلى دار يار جوخ في القطائع ، وأنهبوا الجوسق ؛ فلم يبق فيه شيء ، وأخرجوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان - وكان محبوباً في الجوسق - وكتبوا إلى موسى بن بغا وسألوه الانصراف إليهم ، فأقام المهتدى عندهم لم يتحدثوا في أمره شيئاً ؛ فلما كان يوم الثلاثاء بايعوا أحمد بن المتوكل في القطائع ، وصاروا به يوم الأربعاء إلى الجوسق فبايعه الهاشميون والخاصة ، وأرادوا المهتدى على الخلع في هذه الأيام ، فأبى ولم يجبههم ، ومات يوم الأربعاء ، وأظهروه يوم الخميس لجماعة الهاشميين والخاصة ، فكشفوا عن وجهه وغسلوه ، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين .

وقدم موسى بن بغا يوم السبت لعشر بقين من رجب وركب أحمد بن

(٢) س : « فلم » .

(١) س : « على الدرجة » .

فتيان إلى دار العامة يوم الاثنين لثمان بقين من رجب ، فبايعوه بيعة العامة .

فذكر عن محمد بن عيسى القرشي أنه قال : لما صار المهتدي في أيديهم أبا أن يخلع نفسه ، فخلعوا أصابع يديه ورجليه من كفيه وقدميه ، حتى ورمت كفاه وقدماه ، وفعلوا به غير شيء حتى مات .

وقد ذكر في^(١) سبب قتل أبي نصر محمد بن بغا أنه كان خرج من سامرا يريد أخاه موسى ، فوجه إليه المهتدي أخاه عبد الله في جماعة من المغاربة والفراغنة ، فلحقوه بالرقيف ، فجاء به فحبس ، وكان قد دخل على المهتدي مسلما قبل خلافهم ، فقال له : يا محمد ؛ إنما قدم أخوك موسى في جيشه وعبيده حتى يقتل^(٢) صالح بن وصيف وينصرف ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ أعينك بالله! موسى عبدك وفي طاعتك ؛ وهو مع هذا في وجه عدو كلب ، قال : قد كان صالح أنفع لنا منه ، وأحسن سياسة للملك ، وهذا العاصي قد رجع^(٣) إلى الرى ، قال : وما حيلته يا أمير المؤمنين ؟ قد هزمه وقتل أصحابه وشرده به كل مشرد ، فلما انصرف عاد ، وهذا فعله أبدا ؛ اللهم إلا أن تأمره بالمقام بالرى دهره . قال : دع هذا عنك ، فإن أخاك ما صنع شيئا أكثر من أخذ الأموال واحتجانها لنفسه . فأغلظ له أبو نصر ، وقال : ينظر فيما صار إليه وإلى أهل بيته منذ وليت الخلافة فيرد ، وينظر ما صار إليك وإلى إخوتك فيرد . فأمر به فأخذ وضرب وحبس ، وانتهبت داره ودار ابن ثوبة ، ثم أباح دم الحسن بن مخلد وابن ثوبة وسليمان بن وهب القطان كاتب مفلح ، فهربوا فانتهبت^(٤) دورهم . ثم جاء المهتدي بالفراغنة والأشروسنية والطبرية والديلمة والإشتاخنية ومن بقي من أتراك الكرخ وولد وصيف ، فسألم النصرة على موسى ومفلح ، وضرب بينهم ، وقال : قد أخذوا الأموال واستأثروا بالنبيء ، وأنا أخاف أن يقتلوني ، وإن نصرتموني أعطيتكم جميع ما فاتكم ، وزدتكم في أرزاقكم . فأجابوه إلى نصره والخلاف على موسى وأصحابه ، ولزموا

١٨٣٢/٣

١٨٣٣/٣

(٢) س : « ليقتل » .

(٤) س : « فنهبت » .

(١) س : « عن سبب » .

(٣) س : « قد خرج » .

الجَوْسُق ، وبابِعو^(١) بيعة جديدة وأمر بالسويق والسكر فاشتري لهم ، وأجرى على كل رجل منهم في كل يوم درهمين ، وأطعموا في بعض أيامهم الخبز واللحم . وتولى أمر جيشه أحمد بن وصيف وعبد الله بن بَغَا الشراقي والتفت معهم بنو هاشم ، وجعل يركب في بني هاشم ، ويدور في الأسواق ، ويسأل الناس النصرة ، ويقول : هؤلاء الفساق يقتلون الخلفاء ، ويثبون على مواليتهم ، وقد استأثروا بالنبي ، فأعينوا أمير المؤمنين وانصروه . وتكلم صالح بن يعقوب ابن المنصور وغيره من بني هاشم ، ثم كتب بعد إلى بايكياك يأمره أن يضم الجيش كله إليه ، وأنه الأمير على الجيش أجمع ، ويأمره بأخذ موسى ومفلح .

ولما هلك المهتدي طلبوا أبا نصر بن بَغَا ، وهم يظنون أنه حي ، فدلوا على موضعه ، فنبش فوجده مذبحاً ، فحمل إلى أهله ، وحملت جثة بايكياك فدفنت . وكسرت الأتراك على قبر محمد بن بَغَا ألف سيف ، وكذلك يفعلون بالسيد منهم إذا مات . وقيل إن المهتدي لما أبى أن يخلعها ، أمروا من عَصَرَ خصيته حتى مات ؛ وقيل : إن المهتدي لما احتضر قال :

أَهْمَ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَمِيرِ وَالنَّزْوَانِ
وقيل إن محمد بن بَغَا لم يحدثوا في أمره يوم حبس شيئاً ، وطالبوه بالأموال ، فدفع إليهم نيفاً وعشرين ألف دينار ، ثم قتلوه بعد ؛ بعجوا بطنه ، وعصروا حلقه ، وألقوا في بئر من القناة ، فلم يزل هنالك حتى أخرجه الموالى بعد أسرهم المهتدي بيوم ، فدفن .

وكانت خلافة المهتدي كلها إلى أن انقضى أمره أحد عشر شهراً وخمسة وعشرين يوماً ، وعمره كله ثمان وثلاثون سنة . وكان رَحْبَ الجبهة ، أَجْلَحَ ، جهم الوجه ، أَشْهَلَ ، عظيم البطن ، عريض المنكبين ، قصيراً ، طويل اللحية . وكان وليد بالقاطول .

[ذكر أخبار صاحب الزنج مع جعلان]

وفي هذه السنة وافى جعلان البصرة لحرب صاحب الزنج .

• ذكر الخبر عما كان من أمرهما هنالك :

ذكر أن جعلان لما صار إلى البصرة زحف بعسكره منها ، حتى صار بينه وبين عسكر صاحب الزنج فرسخ ، فخندق على نفسه ومن معه ، فأقام ستة أشهر في خندقه ، فوجه الزينبي وبُريه وبنو هاشم ومن خفّ لحرب الخبيث من أهل البصرة في اليوم الذي تواعدهم جعلان للقائه ، فلما التقوا لم يكن بينهم إلاّ الرمي بالحجارة والنشاب ، ولم يجد جعلان إلى لقائه سبيلا لضيق الموضع بما فيه من النخل والدغل عن مجال الخيل ، وأصحابه أكثرهم فرسان.

فذكر عن محمد بن الحسن أن صاحب الزنج قال : لما طال مقام جعلان في خندقه ، رأيتُ أن أخينّ له من أصحابي جماعة يأخذون عليه مسالك الخندق ، ويبستونه فيه ، ففعل ذلك ، وبيته في خندقه ، فقتل جماعة من رجاله ، وبيع الباقيون روعاً شديداً . فترك جعلان عسكره ذلك ، وانصرف إلى البصرة ، وقد كان الزينبي قبل يبات الخبيث جعلان جمع مقاتلة البلالية والسعدية ، ثم وجه لهم من ناحية نهر نافذ وناحية هزّاردر ، فواقعوهم^(١) من وجهين ، ولقيهم الزنج ، فلم يثبتوا لهم ، وقهرهم^(٢) الزنج ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وانصرفوا مغلولين ، وانحاز جعلان إلى البصرة ، فأقام بها وظهر عجزه للسلطان .

١٨٣٥/٣

* * *

وفيهما صرف جعلان عن حرب الخبيث ، وأمر سعيد الحاجب بالشخص إليها للحربه .

وفيهما تحول صاحب الزنج من السبّخة التي كان ينزلها إلى الجانب الغربي

(١) س : « فواقعوهم » .

(٢) س : « فهزهم » .

من النهر المعروف بأبي الخصيب .

وفيها أخذ صاحب الزنج - فيما ذكر - أربعة وعشرين مركباً من مراكب البحر ، كانت اجتمعت تريد البصرة ، فلما انتهى إلى أصحابها خبره وخبر من معه من الزنج وقطعهم السبيل ، اجتمعت آراؤهم على أن يشدوا مراكبهم بعضها إلى بعض ، حتى تصير كالجذيرة ، يتصل أولها بآخرها ، ثم يسيروا بها في دجلة . فاتصل به خبرها ، فندب إليها أصحابه ، وحرضهم عليها ، وقال لهم : هذه الغنيمة الباردة .

قال أبو الحسن : فسمعت صاحب الزنج يقول : لما بلغني قرب المراكب مني ^(١) نهضت للصلاة ، وأخذت في الدعاء والتضرع ، فخطبتُ بأن قيل لي : قد أظلمت ففتح عظيم ، والتفتُ فلم ألبث أن طلعت المراكب ، فنهض أصحابي إليها في الجريبات ، فلم يلبثوا أن حوَّوها وقتلوا مقاتلتها ، وسبوا ما فيها من الرقيق ، وغنموا منها أموالاً عظيماً لا تحصى ولا يعرف قدرها ، فأذهب ذلك أصحابه ثلاثة أيام ، ثم أمر بما بقي فحيز له .

* * *

[ذكر الخبر عن دخول الزنج الأبلّة]

ولخمس بقين من رجب من هذه السنة ، دخل الزنج الأبلّة ، فقتلوا بها خلقاً كثيراً وأحرقوها .

* ذكر الخبر عنها وعن سبب الوصول إليها :

ذكر أن صاحب الزنج لما تنحى جعلان عن خندقه بشاطي* عثمان الذي كان فيه ، وانحاز إلى البصرة ألحَّ بالسرايا على أهل الأبلّة ، فجعل يحاربهم من ناحية شاطي* عثمان بالرجالة ، وبما خفَّ له من السفن من ناحية دجلة ، وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية نهر معقل .

فذكر عن صاحب الزنج ، أنه قال : ميّلت ^(٢) بين عبادان والأبلّة ، فلتُ

(٢) ميّلت ، أي أخذت أرجح وأوزان .

(١) س : « منهم » .

إلى التوجه إلى عبادان ، ندبتُ الرّجالة لذلك ، فقبل لى : إن أقرب العدو داراً، وأولاه بالآلة تتشاغل بغيره عنه أهلُ الأبلّة ، فرددت الجيش الذى كنت سيرتُ نحو عبادان إلى الأبلّة. فلم يزلوا يحاربون أهل الأبلّة إلى ليلة الأربعاء لخمس بقين من رجب سنة ست وخمسين ومائتين. فلما كان فى هذه الليلة اقتحمها الزنج مما بلى دجلة ونهر الأبلّة ، فقتل بها أبو الأحوص وابنه ، وأضرمت نارا ، وكانت مبنية بالساج محفوفة بناء متكائفاً . فأسرعت فيها النار ، ونشأت ريحٌ عاصف ، فأطارت شرر ذلك الحريق حتى وصلت بشاطئ عثمان ، فاحترق. وقتل بالأبلّة خلقٌ كثير ، وغرق خلق كثير ، وحوت الأسلاب ، فكان ما احترق من الأمتعة أكثر مما انتهب .

١٨٣٧/٣

وقتل فى هذه الليلة عبد الله بن حميد الطوسى وابن له ؛ كانا فى شدّة بنهر معقل مع نصير المعروف بأبى حمزة .

* * *

[ذكر خبر استيلاء صاحب الزنج على عبادان]

وفىها استسلم أهل عبادان لصاحب الزنج فسلموا إليه حصنهم .

* ذكر الخبر عن السبب الذى دعاهم إلى ذلك :

ذكر أن السبب فى ذلك أن الخبيث لما فعل أصحابه من الزنج بأهل الأبلّة ما فعلوا ، ضعفت قلوبهم ، وخافوهم على أنفسهم وحرّمهم ، فأعطوا بأيديهم ، وسلموا إليه بلدهم ، فدخلها أصحابه ، فأخذوا من كان فيها من العبيد^(١) ، وحملوا ما كان فيها من السلاح إليه ، ففرقه عليهم .

* * *

[ذكر خبر دخول أصحاب صاحب الزنج الأهواز]

وفىها دخل أصحابه الأهواز وأسروا إبراهيم بن المدبر .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان الخبيث لما أوقع أصحابه بالأبلّة ، وفعلوا بها ما فعلوا ، واستسلم له

(١) ب : « العسكر » .

أهلُ عَسَّادان ، فأخذ مماليكهم ، فضمَّهم إلى أصحابه من الزَّنج ، وفرَّق بينهم^(١) ما أخذ من السلاح الذي كان بها ، طمع في الأهواز ، فاستنوض أصحابه نحو جُبِّي ، فلم يثبت لهم أهلها ، وهربوا منهم ، فدخلوا فقتلوا وأحرقوا ، ونهبوا وأخربوا ما وراءها ؛ حتى وافوا الأهواز ، وبها يومئذ سعيد بن يكسين والٍ وإليه حربُها ، وإبراهيم بن محمد بن المدبِّر وإليه الخراج والضَّياع ؛ فهرب الناس منهم أيضاً فلم يقاتلهم كثير أحد ، وانحاز سعيد ابن تكسين فيمن كان معه من الجُند ، وثبت إبراهيم بن المدبِّر فيمن كان معه من غلمانهِ وخَدَمِهِ ، فدخلوا المدينة ، فاحتَوَوْها ، وأسروا إبراهيم بن محمد بعد أن ضُرب ضربةً على وجهه ، وحوَّوا كلَّ ما كان يملك من مال وأثاث ورفيق ؛ وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين .

ولما كان من أمره ما كان بالأهواز بعد الذي كان منه بالأبلة ، رعب أهل البصرة رعباً شديداً ، فانتقل كثير من أهلها عنها ، وتفرَّقوا في بلدان مشتَّى ، وكثرت الأراجيف من عوامتها .

* * *

وفي ذى الحجة من هذه السنة وجَّه صاحب الزَّنج إلى شاهين بن بسطام جيشاً عليهم يحيى بن محمد البحرانيّ لحربه ؛ فلم يَنكَلْ يحيى من شاهين ما أمَّل وانصرف عنه .

وفي رجب من هذه السنة وافى البصرة سعيد بن صالح المعروف بالحاجب من قبيل السلطان لحرب صاحب الزَّنج .

وفيها كانت بين موسى بن بُغا الذين كان توجَّهوا معه إلى ناحية الجبل مخالفين لحمد بن الواثق وبين مساور بن عبد الحميد الشاري وقعة بناحية خانقين ومُساوَر في جمع كثير وموسى وأصحابه في مائتين ، فهزموا مساوراً وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة .

خلافة المعتمد على الله

وفيها بويج أحمد بن أبي جعفر المعروف بابن فِثيان، وسُمِّيَ المعتمد على الله ، وذلك يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت من رجب .

* * *

وفيها بعث إلى موسى بن بغا وهو بخانقين بموت محمد بن الواثق وبيعة المعتمد ، فوافى سامراً لعشر بقين من رجب .

وليلتين خَلَستَا من شعبان ، وليَ الوزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان .
وفيها ظهر بالكوفة على بن زيد الطالبي ، فوجه إليه الشاه بن ميكال في عسكر كثيف ، فلقبته على بن زيد في أصحابه ، فهزمه وقتل جماعة كثيرة من أصحابه ، ونجا الشاه .

وفيها وثب محمد بن واصل بن إبراهيم التميمي ؛ وهو من أهل فارس ، ورجلٌ من أكرادها يقال له أحمد بن الليث بالحارث بن سبأ الشرابي عامل فارس ، فحارباه ، فقتل الحارث ، وغلب محمد بن واصل على فارس .
وفيها وجه مفلح لحرب مساور الشاري وكنجور لحرب على بن زيد الطالبي بالكوفة .

١٨٤٠/٣

وفيها غلب جيش الحسن بن زيد الطالبي على الرى ، في شهر رمضان منها .

وفيها شخص موسى بن بغا - لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال منها - من سامراً إلى الرى ، وشيعه المعتمد .

وفيها كانت بين أماجور وابن عيسى بن الشيخ على باب دمشق وقعة ، فسمعتُ مَنْ ذكر أنه حضر أماجور ، وقد خرج في اليوم الذي كانت فيه هذه الوقعة من مدينة دمشق مرتاداً لنفسه عسكراً وابنُ عيسى بن الشيخ وقائد لعيسى يقال له أبو الصهباء في عسكر لهما بالقرب من مدينة دمشق ، فاتصل

بهما خبرُ خروج أماجور ، وأنه خرج في فقر من أصحابه يسير ، فطعما فيه ، فزحفا بمنّ معهما إليه ، ولا يعلم أماجور بزحوفهما إليه حتى لقياه ، والتحمت الحرب بين الفريقين ، فقتل أبو الصهباء ، وهزّم الجمع الذي كان معه ومع ابن عيسى ؛ ولقد سمعتُ مَنْ يذكر أن عيسى وأبا الصهباء كانا يومئذ في زهاء عشرين ألفاً من رجالهما ، وأن أماجور في مقدار مائتين إلى أربعمائة .

وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة منها قدم أبو أحمد ابن المتوكل من مكة إلى سامرا .

وفيها وجّه إلى عيسى بن الشيخ إسماعيل بن عبد الله المروزيّ المعروف بأبي النصر ومحمد بن عبيد الله الكرزيّ القاضي والحسين الخادم المعروف بعرق الموت ، بولاية أرمينية ، على أن ينصرف عن الشام آمناً ؛ فقبل ذلك وشخص عن الشام إليها .

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن أحمد بن عيسى بن أبي جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

* * *

[ذكر خبر مسير يعقوب بن الليث إلى فارس وانصرافه عنها]

فمن ذلك ما كان من مصير يعقوب بن الليث إلى فارس ، وبعثة المعتمد إليه طُعْنًا^(١) وإسماعيل بن إسحاق وأبا سعيد الأنصاري في شعبان منها ، وكتاب أبي أحمد بن المتوكل إليه بولاية بَلَخ وطَخارستان إلى ما يلي ذلك من كَرْمَان وسجستان والسند وغيرها ، وما جعل له من المال في كل سنة ، وقبوله ذلك وانصرافه .

وفي ربيع الآخر منها قدم رسول يعقوب بن الليث بأصنام ذكر أنه أخذها من كابُل .

ولاثنتي عشرة خلت من صفر عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن ، ثم عقد له أيضًا بعد ذلك لسبع خَلَوْن من شهر رمضان على بغداد والسواد وواسط وكُور دجلة والبصرة والأهواز وفارس ، وأمر أن يُؤتَى صاحب بغداد أعماله ، وأن يُعَقَّد ليارجوخ على البصرة وكُور دجلة واليامة والبحرين مكان سعيد بن صالح ، فولَّى يارجوخ منصور بن جعفر بن دينار البصرة وكُور دجلة إلى ما يلي الأهواز .

١٨٤٢/٣

* * *

[ذكر خبر انهزام الزنج أمام سعيد بن الحاجب]

وفيها أمير بُغْراج باستحثاث سعيد الحاجب في المصير إلى دِجْلَة والإناخة بإزاء عسكر صاحب الزنج ، ففعل ذلك بُغْراج - فيما قيل - ومضى سعيد الحاجب لما أُمِر به من ذلك في رجب من هذه السنة .

فذكر أن سعيداً لما صار إلى نهر معقل وجد هنالك جيشاً لصاحب الزنج بالنهر المعروف بالمرغاب — وهو أحد الأنهار المعترضة في نهر معقل — فأوقع بهم فهزمهم، واستنقذ ما في أيديهم من النساء والنهب، وأصاب سعيداً في تلك الوقعة جراحات، منها جراحة في فيه. ثم سار سعيد حتى صار إلى الموضع المعروف بعسكر أبي جعفر المنصور، فأقام به ليلة، ثم سار حتى أناخ بموضع يقال له هطمة من أرض الفرات، فأقام هنالك أياماً يعبئ أصحابه، ويستعد للقاء صاحب الزنج. وبلغه في أيام مقامه هنالك، أن جيشاً لصاحب الزنج بالفرات، فقصدهم بجماعة من أصحابه، فهزمهم، وكان فيهم عمران زوج جدّة ابن صاحب الزنج المعروف بأنكلاى، فاستأمن عمران هذا إلى بغراج، وتفرّق ذلك الجمع. قال محمد بن الحسن: فلقد رأيت المرأة من سكان الفرات تجد الزنجي مستتراً بتلك الأدغال، فتقبض عليه حتى تأتى به عسكر سعيد ما به منها امتناع. ثم قصد سعيد حرب الخبيث فعبّر إلى غربي دجلة، فأوقع به وقعات في أيام متوالية، ثم انصرف سعيد إلى معسكره بهطمة، فأقام به يحاربه باقى رجب وعامة شعبان.

* * *

[خلاص ابن المدبّر من صاحب الزنج]

وفيهما تخلص إبراهيم بن محمد بن المدبر من حبس الخبيث، وكان سبب تخلصه منه — فيما ذكر — أنه كان محبوساً في غرفة في منزل يحيى بن محمد البحراني، فضايق مكانه على البَحْراني، فأنزله إلى بيت من أبيات داره، فحبسه فيه، وكان موكّلاً به رجلان، ملاصقاً مسكنهما المنزل الذي فيه إبراهيم، فبذل لهما، ورغبهما، فسرّبَا له سرّاً إلى الموضع الذي فيه إبراهيم من ناحيتهما، فخرج هو وابن أخ له يعرف بأبي غالب ورجل من بني هاشم كان محبوساً معهما.

[ذكر خبر إيقاع صاحب الزنج بسعيد وأصحابه]

وفيها أوقع أصحاب الخبيث بسعيد وأصحابه فقتلوه ومن معه .

• ذكر الخبر عن هذه الواقعة :

ذكر أن الخبيث وجه إلى يحيى بن محمد البحراني وهو مقيم بنهر معقل في جيش كثيف يأمره بالتوجه بألف رجل من أصحابه ، يرأس عليهم سليمان ابن جامع وأبا الليث ، ويأمرهما بالقصد لعسكر سعيد ليلا حتى يوقعا به في وقت طلوع الفجر . ففعل ذلك ، فصارا إلى عسكر سعيد ، فصادفا منهم غيرةً وغفلةً ، فأوقعا بهم وقعةً ، فقتلا منهم مقتلة عظيمة ، وأحرق الزنج يومئذ عسكر سعيد ، فضعف سعيد ومن معه ، ودخل أمرهم خلل للبيات الذي تهيأ عليهم ، ولاحتباس الأرزاق عنهم ، وكانت سببت لهم من مال الأهواز ؛ فأبطأ بها عليهم منصور بن جعفر الخياط ، وكان إليه يومئذ حرب الأهواز ، وله من ذلك يد في الخراج .

١٨٤٤/٣

ولما كان من أمر سعيد بن صالح ما كان ، أمر بالانصراف إلى باب السلطان وتسليم الجيش الذي معه وما إليه من العمل هنالك إلى منصور بن جعفر ؛ وذلك أن سعيداً ترك^(١) بعد ما كان من بيات الزنج أصحابه وإحراقهم عسكره ؛ فلم يكن له حركة إلى أن صُرف عما كان إليه من العمل هنالك .

* * *

[خبر الواقعة بين منصور بن جعفر وصاحب الزنج]

وفيها كانت وقعة بين منصور بن جعفر الخياط وبين صاحب الزنج ، قُتل فيها من أصحاب منصور جماعة كثيرة .

• ذكر الخبر عن صفة هذه الواقعة :

ذكر أن سعيداً الحاجب لما صُرف عن البصرة ، أقام بخرّاج بها يحمي أهلها ، وجعل منصور يجمع السفن التي تأتي بالميرة ، ثم يبذرها في الشدّا إلى البصرة ، فضاق بالزنج الميرة . ثم عبأ منصور أصحابه ، وجمع إلى الشدّا

(١) ط : • نزل • .

التي كانت معه الشذآ الجنائيات والسفن ، وقصد صاحب الزنج في عسكره ، فصعد قصرأ على دجلة ، فأحرقه وما حوله ، ودخل عسكر الخبيث من ذلك الوجه ، ووافاه الزنج ، وكمنوا له كمينأ ، فقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة ، وألجئ الباقيون إلى الماء ، فغرق منهم خلق كثير ، وحمل من الرعوس يومئذ - فيما ذكر - زهاء خمسمائة رأس إلى عسكر يحيى بن محمد البحراني بنهر معقل ، وأمر بنصبها هنالك .

وفيهما ظهر من بغداد بموضع يقال له بركة زلزل ، على خناق ، وقد قتل خلقأ كثيراً من النساء ودفنهن في دار كان فيها ساكنأ ، فحمل إلى المعتمد ؛ فبلغني أنه أمر بضربه ، فضرب ألى سوط وأربعمائة أرزن فلم يمت حتى ضرب الجلادون أنثيته بخشب العقابين ، فمات ، فرد إلى بغداد فصلب بها ثم أحرقت جثته .

* * *

[خبر مقتل شاهين بن بسطام وهزيمة إبراهيم بن سينا]

وفيهما قتل شاهين بن بسطام وهزم إبراهيم بن سينا .

• ذكر الخبر عن سبب مقتل شاهين وانهزام إبراهيم :

ذكر أن البحراني كان كتب إلى الخبيث يشير عليه بتوجيه جيش إلى الأهواز للمقام بها ، ويرغبه في ذلك ، وأن يبدأ بقطع قنطرة أربك ؛ لتلا يصل الخيل إلى الجيش . وإن الخبيث وجه على بن أبان لقطع القنطرة ، فلقية إبراهيم ابن سينا منصرفأ من فارس ؛ وكان بها مع الحارث بن سينا في الصحراء المعروفة بدست أربك ، وهي صحراء بين الأهواز والقنطرة . فلما انتهى على بن أبان إلى القنطرة ، أقام تخفياً نفسه ومن معه ، فلما أصحرت الخيل ، خرجت عليه من جهات ، فقتلت من الزنج خلقأ كثيراً ، وانهزم على ، وتبعته الخيل إلى الفسندم ، وأصابته طعنة في أخصيه ، فأمسك عن التوجه إلى الأهواز ، وانصرف على وجهه إلى جبتي ، وصرف سعيد بن يكسين وولتي إبراهيم بن

سما ، وكتبه شاهين ، فأقبلا جميعاً ، إبراهيم بن سما على طريق الفرات قاصداً
لذُنَابَةِ نهر جُبِّي ، وعلى بن أبان بالخيزرانيّة ؛ فأقبل شاهين بن يَسْطام على
طريق نهر موسى ، يقدّر لقاء إبراهيم في الموضع الذي قصد إليه ، وقد اتعدا
للموقعة على بن أبان ، فسبق شاهين . وأتى على بن أبان رجلٌ من نهر موسى
فأخبره بإقبال شاهين إليه ؛ فوجه على نحوه ، فالتقيا في وقت العصر على نهر
يعرف بأبي العباس - وهو نهر بين نهر موسى ونهر جُبِّي - ونشبت الحرب
بينهما ، وثبت أصحاب شاهين ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، ثم صدمهم الزنج
صدمة صادقة ، فولّوا منهزمين ؛ فكان أول مَنْ قُتِلَ يومئذ شاهين وابن عمّ
له يقال له حيّان ، وذلك أنه كان في مقدّمة القوم ، وقُتِلَ معه من أصحابه
بشر كثير . وأتى على بن أبان مخبر فأخبره بورود إبراهيم بن سما ؛ وذلك بعد
فراغه من أمر شاهين ، فسار من فورهِ إلى نهر جُبِّي ، وإبراهيم بن سما معسكر
هنالك لا يعلم خبر شاهين ، فوافاه على في وقت العشاء الآخرة ، فأوقع بهم
وقعة غليظة قتل فيها جمعاً كثيراً ؛ وكان قتل شاهين والإيقاع بإبراهيم فيما بين
العصر والعشاء والآخرة .

١٨٤٧/٣

قال محمد بن الحسن : فسمعت على بن أبان يحدث عن ذلك ، قال :
لقد رأيتني يومئذ ، وقد ركبتُ حُمَيَّ نَافِض^(١) كانت تعتادني ، وقد كان
أصحابي حين نالوا ما نالوا من شاهين تفرّقوا عني ، فلم يصر إلى عسكر
إبراهيم بن سما معي إلا نحو من خمسين رجلاً ، فوصلت إلى العسكر ، فألقيت
نفسى قريباً منه ، وجعلت أسمع ضجيج أهل العسكر وكلامهم ؛ فلما
سكنتُ حركتهم ، نهضت فأوقعتُ بهم .

ثم انصرف على بن أبان عن جُبِّي لما قُتِلَ شاهين ، وهُزِمَ إبراهيم بن
سما ، لورود كتاب الخبيث عليه بالمصير إلى البصرة لحرب أهلها .

(١) حُمَيَّ النافض : حمى الرعدة .

[ذكر خبر دخول الزنج البصرة هذا العام]

وفيها دخل أصحاب الخبيث البصرة .

* ذكر الخبر عن سبب وصولهم إلى ذلك وما عملوا بها حين دخولها :

ذكر أن سعيد بن صالح لما شخص من البصرة ضم السلطان عمله إلى منصور بن جعفر الخياط ؛ وكان من أمر منصور وأمر أصحاب الخبيث ما قد ذكرناه قبل ، وضعف أمر منصور ، ولم يعد لقتال الخبيث في عسكره ، واقتصر على بذرة^(١) القيسروانات ، واتسع أهل البصرة لوصول المير اليهم ؛ وكان انقطاع ذلك عنهم قد أضر بهم ، وانتهى إلى الخبيث الخبر بذلك ، واتسع أهل البصرة ، فعظم ذلك على الخبيث ، فوجه على بن أبان إلى نواحي جبسى ، فعسكر بالخيزرانية ، وشغل منصور بن جعفر عن بذرة القيسروانات إلى البصرة ، فعاد حال أهل البصرة إلى ما كانت عليه من الضيق . وألح أصحاب الخبيث على أهل البصرة بالحرب صباحاً ومساء .

فلما كان في شوال من هذه السنة أزمع الخبيث على جمع أصحابه للهجوم على أهل البصرة ، والجد في خرابها ، وذلك لعلمه بضعف أهلها وتفريقهم ، وإضرار الحصار بهم ، وخراب ما حولها من القرى ؛ وكان قد نظر في حساب النجوم ، ووقف على انكساف القمر ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة تخلو من الشهر .

فذكر عن محمد بن الحسن بن سهل أنه قال : سمعته يقول : اجتهدت في الدعاء على أهل البصرة ، وابتهلت إلى الله في تعجيل خرابها ، فخطبت ، فقبل لي : إنما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها ؛ فإذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة ؛ فأولت انكسار نصف الرغيف انكساف القمر المتوقع في هذه الأيام ، وما أخلق أمر البصرة أن يكون بعده .

قال : فكان يحدث بهذا حتى أفاض فيه أصحابه ، وكثر تردده في أسماعهم وإحالاته إياه بينهم .

(١) البذرة : الحراسة ، والقيروان : القافلة .

ثم ندب محمد بن يزيد الدارمي ، وهو أحد مَن كان صحبه بالبحرين للخروج إلى الأعراب ، وأنفذه فأتاه منهم خَلْقٌ كثير ، فأناخو بالقنديل ، ووجه إليهم الحبيث سليمان بن موسى الشعراني ، وأمرهم بتطرق البصرة ، والإيقاع بها ، وتقدم إلى سليمان بن موسى في تمرين الأعراب على ذلك ؛ فلما وقع الكسوف أنهض عليّ بن أبان ، وضمّ إليه طائفة من الأعراب ، وأمره بإتيان البصرة مما يلي بني سعد ، وكتب إلى يحيى بن محمد البحراني - وهو يومئذ محاصر أهل البصرة - في إتيانها مما يلي نهر عدى ، وضمّ سائر الأعراب إليه . قال محمد بن الحسن : قال شبل : فكان أول مَن واقع أهل البصرة عليّ بن أبان ، وبُغْراج يومئذ بالبصرة في جماعة من الجُند ، فأقام يقاتلهم يومين ، ومال الناس نحوه .

١٨٤٩/٣

وأقبل يحيى بمن معه مما يلي قصر أنس قاصداً نحو الجسر ، فدخل عليّ ابن أبان المهلبيّ وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال ، فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة وليلة السبت ويوم السبت . وغادى يحيى البصرة يوم الأحد ، فمَلَقَاهُ بَغْراج وبُريّة في جَمْع فرداه ، فرجع فأقام يومه ذلك ، ثم غاداهم يوم الاثنين ، فدخل وقد تفرّق الجند ، وهرب بُريّة ، وانحاز بغراج بمن معه ، فلم يكن في وجهه أحدٌ يدافعه ، ولقيته إبراهيم بن يحيى المهلبيّ ، فاستأمنه لأهل البصرة فآمنهم ، ونادى منادى إبراهيم بن يحيى : مَن أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم ، فحضر أهل البصرة قاطبةً حتى ملثوا الرّحاب . فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة في ذلك منهم ، فأمر بأخذ السكك والطرق والدروب لثلاثا يفرقوا ، وغدر بهم ، وأمر أصحابه بقتلهم ، فقتل كل مَن شهد ذلك المشهد إلا الشاذ . ثم انصرف يومه ذلك ، فأقام بقصر عيسى بن جعفر بالحرّية .

١٨٥٠/٣

قال محمد : وحدّثني الفضل بن عدى الدارمي ، قال : أنا حين وجه الخائن لحرب أهل البصرة في حيز أهل البصرة مُقيمٌ في بني سعد . قال : فأتانا آت في الليل ؛ فذكر أنه رأى خيلاً مجتازة تؤمّ قصر عيسى بالحرّية ،

فقال لى أصحابى : اخرج فتعرف لنا خبر هذه الخيل ، فخرجت فإذا جماعة من بنى تميم وبنى أسد ، فسألتهم عن حالهم ، فزعموا أنهم أصحاب العسوي المضمومون إلى على بن أبان ، وأن عايلاً يوافى البصرة في غد تلك الليلة ، وأن قصده لناحية بنى سعد ، وأن يحيى بن محمد يجمعه قاصد لناحية آل المهلب . فقالوا : قل لأصحابك من بنى سعد : إن كنتم تريدون تحصين حرملكم ، فبادروا إخراجهم قبل إحاطة الجيش بكم .

قال الفضل : فرجعت إلى أصحابى ، فأعلمتهم خبر الأعراب فاستعدوا ، فوجهوا إلى برية يعلمونه الخبر ، فوافاهم فيمن كان بقى من الحول وجماعة من الجند وقت طلوع الفجر ، فساروا حتى انتهوا إلى خندق يعرف بنى حيمان ، ووافاهم بنو تميم ومقاتلة السعدية ، فلم يلبثوا أن طاع عليهم على ابن أبان في جماعة الزنج والأعراب على متون الخيل ، فذهل برية قبل لقاء القوم ، فرجع إلى منزله ، فكانت هزيمة ، وتفرق من كان اجتمع من بنى تميم ، ووافى على فلم يدافعه أحد ، ومر قاصداً إلى المربد ، ووجه برية إلى بنى تميم يستصرخهم ؛ فنهض إليه منهم جماعة ، فكان القتال بالمربد ١٨٥١/٣ بحضرة دار برية ، ثم انهزم برية عن داره ، وتفرق الناس لانهزامه ، فأحرقت الزنج داره ، وانتهبوا ما كان فيها ، فأقام الناس يقتلون هنالك ، وقد ضعف أهل البصرة ، وقوى عليهم الزنج ، واتصلت الحرب بينهم إلى آخر ذلك اليوم ، ودخل على المسجد الجامع فأحرقه ، وأدركه فتح غلام أبى شيث في جماعة من البصريين ، فأنكشف على أصحابه عنهم ، وقُتل من الزنج قوم ، ورجع على فمسكر في الموضع المعروف بمقبرة بنى شيبان ، فطلب الناس سلطاناً يقاتلون معه فلم يجدوه ، وطلبوا برية ، فوجدوه قد هرب ، وأصبح أهل البصرة يوم السبت ، فلم يأتهم على بن أبان ، وغاداهم يوم الأحد ، فلم يقف له أحد ، وظفر بالبصرة .

قال محمد بن الحسن : حدثني محمد بن سمعان ، قال : كنت مقياً بالبصرة في الوقت الذي دخلها الزنج ، وكنت أحضر مجلس إبراهيم بن محمد

ابن إسماعيل المعروف ببُريه ، فحضرت وحضر يوم الجمعة لعشر ليال خلون من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين وعنده شهاب بن العلاء العنبري ، فسمعتُ شهاباً يحدثه أن الخائن قد وجّه بالأموال إلى البادية ليعرّض بها رجال العرب ، وأنه قد جمع جمعاً كثيراً من الخيل ، وهو يريد تورّد البصرة بهم وبرجّالته من الزنج ، وليس بالبصرة يومئذ من جند السلطان إلا نيّف وخسون فارساً مع بُغراج ، فقال بُريه لشهاب : إنّ العرب لا تقدم على بمساءة ؛ وكان بُريه مطاعاً في العرب ، محبباً إليهم .

١٨٥٢/٣

قال ابن سميان : فانصرفت من مجلس بُريه ، فلقيت أحمد بن أيوب الكاتب ، فسمعتَه يحكي عن هارون بن عبد الرحيم الشيعي ؛ وهو يومئذ يلي بريد البصرة^(١) ، أنه صحّ عنده أن الخائن جمع ثلاث خلتون من شوال في تسعة أنفس ؛ فكان وجوه أهل البصرة وسلطانها المقيم بها من الغيبا عن حقيقة خبر الخائن على ما وصفت . وقد كان الحصار عضّ أهل البصرة ، وكثر الوباء بها ، واستعرت الحرب فيها بين الحزبين المعروفين بالبلالية والسعدية . فلما كان يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شوال من هذه السنة ؛ أغارت خيل الخائن على البصرة صباحاً في هذا اليوم ؛ من ثلاثة أوجه من ناحية بني سعد والمريد والحرّية ؛ فكان يقود الجيش الذي سار إلى الميربد على بن أبان ، وقد جعل أصحابه فرقتين ؛ فرقة ولّى عليها غلام يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان ، وأمرهم بالمصير إلى بني سعد ، والفرقة الأخرى سار هو فيها إلى الميربد ؛ وكان يقود الخيل التي أتت من ناحية الحرّية يحيى بن محمد الأزرق البحراني ، وقد جمع أصحابه من جهة واحدة ؛ وهو فيهم ؛ فخرج إلى كلّ فرقة من هؤلاء من خفّ من ضعفاء أهل البصرة ، وقد جهّدهم الجوع والحصار ، وتفرقت الخيل التي كانت مع بُغراج فرقتين : فرقة صارت إلى ناحية الميربد وفرقة صارت إلى ناحية الحرّية ، وقاتل من ورد ناحية بني سعد جماعة من مقاتلة السعدية فتح غلام أبي شيث^(٢) وصحبه ، فلم يُغنِ قليل من أهل البصرة إلى جموع الخبيث شيئاً ، وهجم القوم بخيلهم ورجلهم .

١٨٥٣/٣

(٢) س : « شبيب » .

(١) س : « الموصل » .

قال ابن سميان: فإتت يومئذ في المسجد الجامع، إذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاثة أوجه: زهران والمربد وبني حيمان في وقت واحد؛ كأن موقد بها كانوا على ميعاد؛ وذلك صدر يوم الجمعة، وجل الخطب، وأيقن أهل البصرة بالهلاك، وسعى من كان في المسجد^(١) الجامع إلى منازلهم، ومضيت مبادراً إلى منزلي؛ وهو يومئذ في سكة الربد، فلقيني منهزمو أهل البصرة في السكة راجعين نحو المسجد الجامع، وفي آخرهم القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي؛ وهو على بغل متقلد سيفاً يصيح بالناس: ويحكم أئسلمون بلدكم وحرملك! هذا عدوكم قد دخل البلد، فلم يلووا عليه، ولم يسمعوا منه، ففضى وانكشفت سكة الربد؛ فصار بين المنهزمين والزنج فيها فضاء يسافر فيه البصر.

قال محمد: فلما رأيت ذلك دخلت منزلي، وأغلقت بابي، وأشرفت فإذا خيل من الأعراب ورجالة الزنج، تقدّمهم رجل على حصان كُمت، بيده رمح، عليه عذبة صفراء؛ فسألت بعد أن صير بي إلى مدينة الخائن عن ذلك الرجل، فادّعى على بن أبان أنه ذلك الرجل، وأن الراية الصفراء رأيت، ودخل القوم، فغابوا في سكة الربد إلى أن بلغوا باب عثمان؛ وذلك بعد الزوال ثم انصرفوا، فظن الناس من رعا أهل البصرة وجهالهم أن القوم قد مضوا لصلاة الجمعة؛ وكان الذي صرفهم أنهم خشوا أن يخرج عليهم جمع السعدية والبلالية من المربعة، وخافوا الكمناء هناك، فانصرفوا وانصرف من كان بناحية زهران وبني حصن؛ وذلك بعد أن أحرقوا وأنهبوا واقتدروا على البلد، وعلموا أنه لا مانع لهم منه، فأغبوا السبت والأحد، ثم غادوا البصرة يوم الاثنين، فلم يجملوا عنها مدافعاً، وجتمع الناس إلى باب إبراهيم بن يحيى المهلبى وأعطوا الأمان.

قال محمد بن سميان: فحدثني الحسن بن عثمان المهلبى الملقب بمسند لقة - وكان من أصحاب يحيى بن محمد - قال: أمرني يحيى في تلك الغداة بالمصير

إلى مقبرة بنى يشكر ، وحسّل ما كان هناك من التنانير ، فصرتُ إليها ، فحملتُ نَيْفًا وعشرين تَسْوَرًا على رموس الرجال ، حتى أتيت بها دار إبراهيم ابن يحيى ، والناس يظنون أنها تعدّ لاتخاذ طعام لهم ؛ وهم من الجوع وشدة الحصار والجهد على أمر عظم ، وكثر الجمع بباب إبراهيم بن يحيى ، وجعلوا ينوبون ويزدادون ؛ حتى أصبحوا وارتفعت الشمس .

قال ابن سميان : وأنا يومئذ قد انتقلت من سكة المزبد من منزلى إلى دار جدّ أُمّ هشام المعروف بالدافّ ، وكانت فى بنى تميم ، وذلك للذى استفاض فى الناس من دخول بنى تميم فى سلّم الخائن ؛ فإنى لهنالك إذ أتى الخبرون بخبر الوقعة بحضرة دار إبراهيم بن يحيى ، فذكروا أن يحيى بن محمد البحرانيّ أمر الزنج ، فأحاطوا بذلك الجمع ، ثم قال : منّ كان من آل المهلب فليدخل دار إبراهيم بن يحيى ، فدخلت جماعة قليلة ، وأغلّقوا الباب دونهم . ثم قيل للزنج : دونكم الناس فاقتلوهم ، ولا تُبقوا منهم أحداً . فخرج إليهم محمد بن عبد الله المعروف بأبى الليث الأصبهانيّ ، فقال للزنج : كيلوا — وهى العلامة التى كانوا يعرفونها فيمن يؤمرون بقتله — فأخذ الناس السيف .

١٨٥٥/٣

قال الحسن بن عثمان : فإنى لأسمع تشهدهم وضجيجهم ، وهم يقتلون ، ولقد ارتفعت أصواتهم بالتشهد ؛ حتى لقد سمعت بالطفاوة ، وهم على بُعد من الموضع الذى كانوا به . قال : ولما أتى على الجمع الذى ذكرنا أقبل الزنج على قتل منّ أصابوا ، ودخل علىّ بن أبان يومئذ ، فأحرق المسجد الجامع ، وراح إلى الكتلاء ، فأحرقه من الجبل^(١) إلى الجسر ، والنار فى كلّ ذلك تأخذ فى كلّ شىء مرّت به من إنسان وبهيمة وأثاث ومتاع ، ثم ألحقوا بالغدو والرواح على منّ وجدوا يسوقونهم إلى يحيى بن محمد ؛ وهو يومئذ نازل بسبيحان ؛ فن كان ذا مال قرره حتى يستخرج ماله ، ويقتله ، ومن كان مملّقا قتلته .

وذكر عن شبّل أنه قال : باكر يحيى البصرة يوم الثلاثاء بعد قتل منّ قتل بباب إبراهيم بن يحيى ، فجعل ينادى بالأمان فى الناس ليظهروا ، فلم يظهر له أحد ، وانتهى الخبر إلى الخبيث ، فصرف علىّ بن أبان عن البصرة ، وأفرد

١٨٥٦/٣

يحيي بها لموافقة ما كان أتى يحيي من القتل إياه ووقوعه لمحبتته ، وأنه استقصر ما كان من عليّ بن أبان المهلبيّ من الإمساك عن العيث بناحية بني سعد . وقد كان عليّ بن أبان أوفد إلى الخبيث من بني سعد وفدًا ، فصاروا إليه ، فلم يجدوا عنده خيرًا ، فخرجوا إلى عبّادان ، وأقام يحيي بالبصرة ، فكتب إليه الخبيث يأمره بإظهار استخلاف شبّل على البصرة ليسكن الناس ، ويظهر المستخفي ومنّ قد عُرف بكثرة المال ، فإذا ظهر وأخذوا بالدلالة على مادفنونهم وأخفّوهم من أموالهم . ففعل ذلك يحيي ؛ فكان لا يخلو في يوم من الأيام من جماعة يؤتي بهم ، فمنّ عُرف منهم باليسار استنظف ما عنده وقتله ، ومن ظهرت له خيلته عاجله بالقتل ؛ حتى لم يدع أحدًا ظهر^(١) له إلا أتى عليه ، وهرب الناس على وجوههم ، وصرف الخبيث جيشه عن البصرة .

قال محمد بن الحسن : ولما أخرب الخائن البصرة ، وانتهى إليه عظيم ما فعل أصحابه فيها ، سمعته يقول : دعوتُ على أهل البصرة في غداة اليوم الذي دخلها أصحابي ، واجتهدت في الدعاء ، وسجدت ، وجعلت أدعو في سجودي ، فرُفعتُ إلى البصرة ، فرأيتها ورأيت أصحابي يقاتلون فيها ، ورأيت بين السماء والأرض رجلاً واقفاً في الهواء في صورة جعفر المعلوف المتولّي كان للاستخراج في ديوان الخراج بسامراً ، وهو قائم قد خفض يده اليسرى ، ورفع يده اليمنى ، يريد قلب البصرة بأهلها ، فعلمتُ أن الملائكة تولّت إخراجها دون أصحابي ، ولو كان أصحابي تولّوا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الذي يحكي عنها . وإن الملائكة لتنصرني وتؤيدني في حربي^(٢) ، وثبّتت منّ ضعُف قلبه من أصحابي .

قال محمد بن الحسن : وانتسب الخبيث إلى يحيي بن زيد بن عليّ بعد إخراجه بالبصرة ، وذلك لمصير جماعة من العلويّة الذين كانوا بالبصرة إليه ، وأنه كان فيمن أتاها منهم عليّ بن أحمد بن عيسى بن زيد ، وعبد الله بن عليّ في

(١) س : « أظهر » .

(٢) س : « خروبي » .

جماعة من نسائهم وحرّمهم ، فلمّا جاءوه ترك الانتساب إلى أحمد بن عيسى ، وانتسب إلى يحيى بن زيد .

قال محمد بن الحسن : سمعتُ الخبيث وقد حضره جماعة من النوفليّين ، فقال القاسم بن الحسن النوفليّ : إنه قد كان انتهى إلينا أنك من ولد أحمد بن عيسى بن زيد ، فقال : لست من ولد عيسى ، أنا من ولد يحيى بن زيد . وهو في ذلك كاذب ، لأن الإجماع في يحيى أنه لم يعقب إلا بنتاً ماتت وهي ترضع .

* * *

[ذكر الخبر عن الحرب بين محمد المولّد والزنج]

وفيهما أشخص السلطان محمداً المولّد إلى البصرة لحرب صاحب الزّنج ، فشخص من سامراً يوم الجمعة لليلة خلت من ذى القعدة .

• ذكر الخبر عما كان من أمر المولّد هناك :

ذكر أن محمداً المعروف بالمولّد لما صار إلى ما هنالك نزل الأُبلة ، وجاء بُريّه ، فنزل البصرة ، واجتمع إلى بُريّه من أهل البصرة خلق كثير ممن كان هرب ، وكان يحيى حين انصرف عن البصرة أقام بالنهر المعروف بالغوثي .

١٨٥٨/٣

قال محمد : قال شبّل : فلما قدم محمد المولّد كتب الخبيث إلى يحيى يأمره بالمصير إلى نهر أَوْأ ، فصار إليه بالجيش ، وأقام يحارب المولّد عشرة أيام ، ثم أوطن المولّد المقام ، واستقرّ وفتر عن الحرب ، فكتب الخبيث إلى يحيى يأمره بتبسيّته ، ووجّه إليه الشذامع المعروف بأبي الليث الأصهبانيّ ، فييّته ونهض المولّد بأصحابه ، فقاتلهم بقية ليلته ووسن غدٍ إلى العصر ، ثم ولى منصرفاً ، ودخل الزّنج عسكره ، فغنموا ما فيه . فكتب يحيى إلى الخبيث يخبره ، فكتب إليه يأمره باتباعه ، فاتبعه إلى الحوانيت ، وانصرف ، فرّ بالجامدة ، فأوقع بأهلها ، وانتهب كلّ ما كان في تلك القرى ، وسفّك ما قدر على سفّكه من الدماء ، ثم عسكر بالجمالة ، فأقام هناك مدّة ، ثمّ عاد إلى نهر معقل .

وفيها أخذ محمد المولّد سعيد بن أحمد بن سعيد بن سلّم الباهليّ ، وكان قد تغلب على البطائع ، هو وأصحابه من باهلة وأفسدوا الطريق .

وفيها خالف محمد بن واصل السلطان بفارس ، وغلب عليها .

وحجّ بالناس في هذه السنة الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس .

وفيها وثب بسيل المعروف بالصقلبيّ — وقيل له الصقلبيّ وهو من أهل بيت المملكة، لأن أمه صقلبيّة — علي ميخائيل بن توفيل ملك الروم فقّته ، وكان ميخائيل منفرداً بالمملكة أربعاً وعشرين سنة ، وتملك الصقلبيّ بعده علي الروم .

١٨٥٩/٣

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من الموافقة بسعيد بن أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي باب السلطان^(١) ، وأمر السلطان بضربه بالسياط ، فضرب سبعمائة سوط - فيما قيل - في شهر ربيع الآخر منها ، فمات فصلب .

وفيهما ضُرب عتق قاضٍ لصاحب الزنج ، كان يقضى له بعبّادان ، وأعناق أربعة عشر رجلاً من الزنج بباب العامة بسامراء ، كانوا أسروا من ناحية البصرة .

وفيهما أوقع مُفْلِح بأعراب بتكريت ، ذكر أنهم كانوا مايلوا^(٢) الشاري مساوراً .

وفيهما أوقع مسرور البلخي بالأكراد اليعقوبية فهزمهم ، وأصاب فيهم .
وفيهما دخل محمد بن واصل في طاعة السلطان ، وسلم الخراج والضيايع بفارس إلى محمد بن الحسين بن الفياض .

وعقد المعتمد يوم الاثنين لعشر بقين من شهر ربيع الأول لأبي أحمد أخيه على ديار مُضَر وقنّسرين والعواصم ، وجلس يوم الخميس^(٣) مستهلاً شهر ربيع الآخر ، فخلع عليه وعلى مُفْلِح ، فشخصا نحو البصرة وركب ركوباً عامّاً ، وشيع أبا أحمد إلى بَرَكُوتار ، وانصرف .

١٨٦٠/٣

(١) ب : « الأحداث » .

(٢) ابن الأثير : « أعانوا » .

(٣) س : « الجمعة » .

[ذكر الخبر عن قتل منصور بن جعفر الحياط]

وفيها قُتِلَ منصور بن جعفر بن دينار الحياط .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان أمره :

ذكر أن الخبيث لما فرغ أصحابه من أمر البصرة ، أمر علي بن أبان المهلب بالمصير إلى جبِّي لحرب منصور بن جعفر ، وهو يومئذ بالأهواز ، فخرج إليه ، فأقام بإزائه شهراً ، وجعل منصور يأتي عسكر علي وهو مقيم بالخيزرانية ، ومنصور إذ ذاك في خوف من الرجال ، فوجه الخبيث إلى علي ابن أبان باثنتي عشرة شذاة مشحونة بمجْلُد^(١) أصحابه ، ولَّى أمرها المعروف بأبي الليث الأصهباني ، وأمره بالسمع والطاعة لعلي بن أبان ، فصار المعروف بأبي الليث إلى علي ، فأقام مخالفاً له ، مستبداً بالرأى عليه ، وجاء منصور كما كان يحىء للحرب ، ومعه شذوات ، فبدر إليه أبو الليث عن غير مؤامرة منه لعلي بن أبان ، فظفر منصور بالشذوات التي كانت معه ، وقتل فيها من البيضان والزنج خلقاً كثيراً ، وأفلت أبو الليث ، فانصرف إلى الخبيث ، فانصرف علي بن أبان وجميع من كان معه ، فأقاموا شهراً ، ثم رجع علي لمحاربة منصور في رجاله ، فلما استقرَّ علي وجه طلائع يأتونه بأخبار منصور وعساكره ، وكان لمنصور وال مقيم بكرتبا ، فبيت علي بن أبان ذلك القائد ، فقتله وقتل عامة من كان معه ، وغنم ما كان في عسكره ، وأصاب أفراساً ، وأحرق العسكر ، وانصرف من ليلته حتى صار في ذُئابة نهر جبِّي . وبلغ الخبر منصوراً ، فسار حتى انتهى إلى الخيزرانية ، فخرج إليه علي في نفيهم من أصحابه ، وكانت الحرب بينهما منذ ضحى ذلك اليوم إلى وقت الظهر ، ثم انهزم منصور ، وتفرق عنه أصحابه ، وانقطع عنهم ، وأدركته طائفة من الزنج اتبعوا أثره إلى نهر يعرف بعمر بن مهران ، فلم يزل يكرّ عليهم حتى تقصفت رماحه ، ونفذت سهامه ، ولم يبق معه سلاح ، ثم حمل نفسه على

١٨٦١/٣

(١) س : «مجلد أصحابه» .

النهر ليعبر ، فصاح بحصان كان تحته ، فوثب وقصرت رجلاه ، فانغمس في الماء .

قال شبيل : كان سبب تقصير الفرس عن عبور النهر بمنصور ، أن رجلاً من الزنج كان ألقي نفسه لما رأى منصوراً قاصداً نحو النهر يريد عبوره فسبقه سباحة ، فلما وثب الفرس تلقاه الأسود ، فنكص به ، ففاضاً معاً ، ثم أطلع منصور رأسه ، فتنزل إليه غلام من السودان من عرفاء مصليح يقال له أبرون ، فاحتز رأسه ، وأخذ سلكه ، وقتل ممن كان معه جماعة كثيرة ، وقتل مع منصور أخوه خلف بن جعفر ، فولّى يارجوخ ما كان إلى منصور من العمل أصغجون .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل مفلح]

ولانثى عشرة بقيت من جمادى الأولى منها ، قُتِلَ مفلح بسهم أصابه بغير نصل في صدغه يوم الثلاثاء ، فأصبح ميتاً يوم الأربعاء في غد ذلك اليوم ، وحُمِلَت جثته إلى سامراً ، فدفن بها .

١٨٦٢/٣

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان الوصول إليه :

قد مضى ذكرى شخوص أبي أحمد بن المتوكل من سامراً إلى البصرة لحرب اللعين لما تناهى إليه وإلى المعتمد ما كان من فظيخ ما ركب من المسلمين بالبصرة ، وما قرب منها من سائر أرض الإسلام ، فعابنت أنا الجيش الذي شخص فيه أبو أحمد ومفلح ببغداد ، وقد اجتازوا بباب الطاق ، وأنا يومئذ نازل هناك ، فسمعت جماعة من مشايخ أهل بغداد يقولون : قد رأينا جيوشاً كثيرة من الخلفاء ، فما رأينا مثل هذا الجيش أحسن عُدّة ، وأكمل سلاحاً وعتاداً ، وأكثر عدداً وجمعاً ، وأتبع ذلك الجيش من متسوقة^(١) أهل بغداد خلق كثير .

(١) ابن الأثير : « سوقة » .

وذكر عن محمد بن الحسن أن يحيى بن محمد البحراني كان مقيماً بنهر معقل قبل موافاة أبي أحمد موضع الخبيث ، فاستأذنه في المصير إلى نهر العباس ، فكره ذلك ، وخاف أن يوافيه جيش السلطان ، وأصحابه متفرقون ، فألح عليه يحيى حتى أذن له ، فخرج واتبعته أكثر أهل عسكر الخبيث .

وكان علي بن أبان مقيماً بجبسى في جمع كثير من الزنج ، والبصرة قد صارت مغنماً لأهل عسكر الخبيث ، فوم يغادونها ويراحونها لنقل ما نالته أيديهم منها ، فليس بعسكر الخبيث يومئذ من أصحابه إلا القليل ، فهو على ذلك من حاله حتى وافى أبو أحمد في الجيش الذي كان معه فيه مفلح ، فوافى جيش عظيم هائل لم يرد على الخبيث مثله ، فلما انتهى إلى نهر معقل هرب من كان هناك من جيش الخبيث ، فلاحقوا به مرعوبين ، فراح ذلك الخبيث ، فدعا برئيسين من رؤساء جيشه الذي كان هناك ، فسألهما عن السبب الذي له تركا موضعهما ، فأخبراه بما عاينا من عظم ^(١) أمر الجيش الوارد ، وكثرة عدد أهله ^(٢) وإحكام عُدَّتْهم ، وأن الذي عاينا من ذلك لم يكن في قوتها الوقوف له في العدة التي كانا فيها ، فسألهما : هل علما من يقود الجيش ؟ فقالا : لا قد اجتهدنا في علم ذلك ، فلم نجد من يصدقنا عنه . فوجه الخبيث ثلاثه في سمريات لثرف الخبر ، فرجعت رسله إليه بتعظيم أمر الجيش وتفخيمه ، ولم يقف أحد منهم على من يقوده ويرأسه ، فزاد ذلك في جزعه وارتباعه ، فبادر بالإرسال إلى علي بن أبان ، يعلمه خبر الجيش الوارد ، ويأمره بالمصير إليه فيمن معه ، ووافى الجيش ، فأناخ بإزائه ، فلما كان اليوم الذي كانت فيه الوقعة وهو يوم الأربعاء ، خرج الخبيث ليطوف في عسكره ماشياً ، ويتأمل الحال فيمن هو مقيم معه من حزبه ومن هو مقيم بإزائه من أهل حربه ، وقد كانت السماء مطرت في ذلك اليوم مطراً خفيفاً والأرض ثرية تزل عنها الأقدام ، فطوف ساعة من أول النهار ، ثم رجع فدعا بدواة وقرطاس لينفذ كتاباً إلى علي بن أبان ، يعلمه ما قد أطله من الجيش

(٢) س : « عدة أهله » .

(١) ب : « وعظم » ، س : « من عظيم » .

١٨٦٣/٣

١٨٦٤/٣

وبأمره بتقديم مَنْ قدر على تقديمه من الرجال ، فإنه لَقِيَ ذلك إذ أتاه المكتنى أبا دُلف - وهو أحد قوَّاد السودان - فقال له : إن القوم قد سعدوا وانهمزم عنهم الزَّنج ، وليس في وجوههم مَنْ يردِّهم^(١) حتى انتهوا إلى الجبل الرابع . فصاح به وانتهره ، وقال : اغرُب عني فإنك كاذب فيما حكيت ، وإنما ذلك جزع دخلك لكثرة ما رأيت من الجمع ، فانخلع قلبُك ، ولست تدري ما تقول . فخرج أبو دلف من بين يديه ، وأقبل على كاتبه ، وقد كان أمر جعفر بن إبراهيم السجَّان بالنداء في الزَّنج وتحريكهم للخروج إلى موضع الحرب ، فأتاه السجَّان ، فأخبره أنه قد ندب الزَّنج ، فخرجوا . وإن أصحابه قد ظفروا بسميريتين ، فأمره بالرجوع لتحريك الرِّجالة ، فرجع ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً ، حتى أصيب مفلح بسهم غرَّب لا يُعرف الراى به ، وقعت الهزيمة ، وقوى الزنج على أهل حربهم ، فنالوهم بما نالوهم به من القتل . ووافى الخبيث زنجه بالرءوس قابضين عليها بأسنانهم حتى ألقوها بين يديه ، فكثرت الرءوس يومئذ حتى ملأت كلَّ شيء ، وجعل الزَّنج يقتسمون لحوم القتلى ويتهادونها بينهم .

وأقْبَى الخائن بأسير من أبناء الفراغنة ، فسأله عن رأس الجيش ، فأعلمه بمكان أبي أحمد ومفْلِح ، فارتاع للذكر أبي أحمد - وكان إذا راعه أمر كذَّب به - فقال : ليس في الجيش غير مفلح ! لأنني لست أسمع الذكر إلا له ؛ ولو كان في الجيش مَنْ ذكر هذا الأسير لكان صوته أبعد ، ولما كان مفلح إلا تابِعاً له ، ومضافاً إلى صحبته .

١٨٦٥/٣

وقد كان أهلُ عسكر الخبيث لما خرج عليهم أصحاب أبي أحمد ، جزعوا جزعاً شديداً ، وهربوا من منازلهم ، ولجئوا إلى النهر المعروف بنهر أبي الخضيب ولا جسر يومئذ عليه ، فغرق فيه يومئذ خلق كثير من النساء والصبيان ، ولم يلبث الخبيث بعد الوقعة إلا يسيراً ، حتى وافته على بن أبان في جمع من أصحابه ، فوافاه وقد استغنى عنه ، ولم يلبث مفلح أن مات ، وتحيز أبو أحمد

إلى الأبلّة، ليجمع ما فرقت الهزيمة منه، ويجدد الاستعداد ، ثم صار إلى نهر أبي الأسد فأقام به .

قال محمد بن الحسن : فكان الخبيث لا يدرى كيف قُتل مُفْلِح ، فلما بلغه أنه أصيب بسهم ، ولم ير أحداً ينتحل رمية ادّعى أنه كان الرامي له .
قال : فسمعتة يقول : سقط بين يديّ سهم ، فأتاني به واح^(١) خادمي ، فدفعه إليّ ، فرميت به فأصبت مفلحاً .

قال محمد : وكذب في ذلك ، لأنني كنت حاضراً ذلك المشهد ، وما زال عن فرسه حتى أتاه الخبر بخبر الهزيمة ، وأتى بالرهوس وانقضت الحرب .

* * *

وفي هذه السنة وقع الوباء في الناس في كور دجلة ، فهلك فيها خلق كثير في مدينة السلام وسامراً وواسط وغيرها .
وفيها قُتل خرسخارس ببلاد الروم في جماعة من أصحابه .

* * *

[ذكر خبر أسري يحيى بن محمد البحرانيّ ثم قتله]

وفيها أسير يحيى بن محمد البحرانيّ صاحب قائد الزنج ، وفيها قُتل . ١٨٦٦/٣
* ذكر الخبر عن أسره وقتله وكيف كان ذلك :

ذكر عن محمد بن سمعان الكاتب أنه قال : لما وافني يحيى بن محمد نهر العباس ، لقيه بفؤهة النهر ثلثمائة وسبعون فارساً من أصحاب أصغجون العامل — كان عامل الأهواز^(٢) في ذلك الوقت ، كانوا مرتبين في تلك الناحية — فلما بصر بهم يحيى استقلهم ، ورأى كثرة من معه من الجمع^(٣) مما لا خوف عليه معهم ، فلقيتهم^(٣) أصحابه غير مستجنيين بشيء يردّ عنهم عاديتهم ، ورشقتهم أصحاب أصغجون بالسهم ، فأكثروا الجراح فيهم . فلما رأى ذلك

(١) م : « راج » .

(٢) س : « على كور الأهواز » .

(٣-٣) س : « من لا خوف عليه منهم فلقيه » .

يحيى عبّر إليهم عشرين ومائة فارس كانت معه ، وضمّ إليهم من الرّجال جمعاً كثيراً ، وانحاز أصحاب أصغجون عنهم ، وولج البحرانيّ ومنّ معه نهر العباس ؛ وذلك وقت قلّة الماء في النهر ، وسفنُ القَيسروانات جانحة على الطين . فلما أبصر أصحابُ تلك السفن بالزّنج تركوا سفنهم ، وحازها الزّنج ، وغنموا ما كان فيها غنائم عظيمة جليلة ، ومضوا بها متوجّهين نحو البطيحة المعروفة ببطيحة الصحناء ، وتركوا الطريق النّهج ، وذلك للتحاسد الذي كان بين البحرانيّ وعلىّ بن أبان المهلبيّ . وإن أصحاب يحيى أشاروا عليه ألاّ يسلك الطريق الذي يمرّ فيها بعسكر علىّ ، فأصغى إلى مشورتهم ، فشرعوا^(١) له الطريق المؤدى إلى البطيحة التي ذكرنا ، فسلكها حتى ولج البطيحة ، وسرّح الخيل التي كانت معه ، وجعل معها أبا الليث الأصبهانيّ ، وأمره بالمصير بها إلى عسكر قائد الزّنج . وكان الخبيث وجهه إلى يحيى البحرانيّ يعلمه ورود الجيش الذي ورد عليه ، ويأمره بالتحرّز في منصرفه من أن يلقاه أحدٌ منهم ، فوجه البحرانيّ الطلائع إلى دجلة ، فانصرفت^(٢) طلائعه وجيش أبي أحمد منصرف من الأبلّة إلى نهر أبي الأسد ، وكان السبب في رجوع الجيش إلى نهر أبي الأسد ، أن رافع بن بسطام وغيره من مجاورى نهر العباس وبطيحة الصحناء كتبوا إلى أبي أحمد يعرفونه خبر البحرانيّ وكثرة جمعه ، وأنه يقدر أن يخرج من نهر العباس إلى دجلة ، فيسبق إلى نهر أبي الأسد ويعسكر به ، ويمنعه الميرة ، ويحولُ بينه وبين من يأتيه أو يصلر عنه ؛ فرجعت إليه طلائعه بخبره ، وعظم أمر الجيش عنده ، وهيبته منه ؛ فرجع في الطريق الذي كان سلكه بمشقة شديدة نالته ونالت أصحابه ، وأصابهم وباء من تردّدهم في تلك البطيحة ، فكثّر المرض فيهم . فلما قربوا من نهر العباس جعل يحيى بن محمد سليمان بن جامع على مقدّمته ، فضى يقود أوائل الزّنج ، وهم يجرّون سفنهم ، يريدون الخروج من نهر العباس ، وفي النهر للسلطان شنوات وسعيريات تحمى قوّته من قبل أصغجون ، ومعها جمّع من القُرّسان والرّجاله ، فراعه وأصحابه ذلك ،

١٨٦٧/٣

(١) ب : « وشرعوا » .

(٢) كذا في س ، وفي ط : « فانصرفت » .

فخلّو سفنهم ، وألقوا أنفسهم في غربى نهر العباس ، وأخذوا على طريق الزيدان ماضين نحو عسكر الخبيث ، ويحيى غار بما أصابهم ، لم يأت به علم شىء^(١) من خبرهم ، وهو متوسط عسكره ، قد وقف على قنطرة قورج العباس في موضع ضيق تشد فيه جرية الماء ، فهو مشرف على أصحابه الزنج ، وهم في جر تلك السفن التي كانت معهم ، فنها ما يغرق ، ومنها ما يسلم .

قال محمد بن سمعان : وأنا في تلك الحال معه واقف ، فأقبل على متعجباً من شدة جرية الماء وشدة ما يلقي أصحابه من تلقية بالسفن ، فقال لى : أرأيت لو هجم علينا عدونا في هذه الحال ، من كان أسوأ حالا منا ! فما انقضى كلامه حتى وافاه طاشتمر التركي في الجيش الذى أنفذه إليهم أبو أحمد عند رجوعه من الأبلّة إلى نهر أبى الأسد ، ووقعت الضجة في عسكره .

قال محمد : فنهضت متشوقاً للنظر ؛ فإذا الأعلام الحمر قد أقبلت في الجانب الغربى من نهر العباس ويحيى به ؛ فلما رآها الزنج ألقوا أنفسهم في الماء جملة ، فعبروا إلى الجانب الشرقى ، وعري الموضع الذى كان فيه يحيى ، فلم يبق معه^(٢) إلا بضعة عشر رجلا ، فنهض يحيى عند ذلك ، فأخذ درقته وسيفه ، واحترم بمندبل ، وتلقى القوم الذين أتوه في النفر الذين معه ، فرشقهم^(٣) أصحاب طاشتمر بالسهم ، وأسرع فيهم الجراح ، وجرح البحرانى بأسهم ثلاثة في عضديه وساقه اليسرى . فلما رآه أصحابه جريحاً تفرقوا عنه ، فلم يعرف فيقصد له . فرجع حتى دخل بعض تلك السفن ، وعبر به إلى الجانب الشرقى من النهر ؛ وذلك وقت الضحى من ذلك اليوم ، وأثقلت يحيى الجراحات التي أصابته . فلما رأى الزنج ما نزل به اشتد جزعهم ، وضعفت قلوبهم ، فتركوا القتال . وكانت همّتهم النجاة بأنفسهم ، وحاز أصحاب السلطان الغنائم التي كانت في السفن بالجانب الغربى من النهر ؛ فلما حووها أقعدوا في بعض تلك السفن النفاطين ، وعبروهم^(٤) إلى شرقى النهر ، فأحرقوا ما كان هناك من السفن

(١) س : « شىء » .

(٢) ب : « فيه » .

(٣) س : « وغيرهم » .

(٤) ب : « معهم فرشقهم » .

التي كانت في أيدي الزنج ، وانفضّ الزنج عن يحيى ، فجعلوا يتسللون بقية نهارهم بعد قتل فيهم ذريع ، وأسر كثير ، فلما أمسوا وأسدف الليل طاروا على وجوههم ، فلما رأى يحيى تفرق أصحابه ، ركب سُمَيْرِيَّة كانت لرجل من المقاتلة البيضاء ، وأقعد معه فيها متطبباً يقال له عباد يعرف بأبي جيش ؛ وذلك لما كان به من الجراح ، وطمع في التخلص إلى عسكر الخبيث ، فسار حتى قرب من فوهة النهر ، فبصر ملاحو السميريّة بالشذا والسميريّات واعتراضها في النهر ، فجزعوا من المرور بهم ، وأيقنوا أنهم مدركون ، فعبروا إلى الجانب الغربي ، فألقوه ومن معه على الأرض في زرع كان هناك ، فخرج يمشى وهو مثقل ؛ حتى ألقى نفسه ؛ فأقام بموضعه ليلته تلك ، فلما أصبح بموضعه ذلك نهض عباد المتطبّب الذي كان معه ، فجعل يمشى متشوقاً لأن يرى إنساناً ، فرأى بعض أصحاب السلطان ، فأشار إليهم فأخبرهم بمكان يحيى ، وأتاه بهم حتى سلمه إليهم .

١٨٧٠/٣

وقد زعم قوم أن قوماً مروا به ، فأروه فدلّوا عليه ، فأخذ فأنتهى خبره إلى الخبيث صاحب الزنج ، فاشتدّ لذلك جزعه ، وعظم عليه توجّعه .

ثم حمّل يحيى بن محمد الأزرق البهراني إلى أبي أحمد ، فحمّله أبو أحمد إلى المعتمد بسامراً ، فأمر ببناء دكة بالحير ، بحضرة مجرى الحلة فبنيت ، ثم رفع للناس حتى أبصروه ، فضرب بالسياط .

وذكر أنه دخل سامراً يوم الأربعاء لتسع خلون من رجب على جمل ، وجلس المعتمد من غد ذلك اليوم - وذلك يوم الخميس - فضرب بين يديه مائتي سوط بئارها ، ثم قطعت يداه ورجلاه من خلاف ، ثم خبط بالسيوف ثم ذبح ثم أحرق .

قال محمد بن الحسن : لما قُتِل يحيى البهراني وانتهى خبره إلى صاحب الزنج ، قال : عظم على قتله ، واشتدّ اهتمامي به ، فخطبتُ فليل لي : قتله خير لك ، إنه كان شرهاً . ثم أقبل على جماعة كنت أنا فيهم ، قال : ومن شره أنا غنمنا غنيمة من بعض ما كنّا نصيبه ؛ فكان فيه عقداً ، فوقعا في

يد يحيى ، فأخفى عني أعظمهما خطراً ، وعرض على أحسهما ، واستوهبنيه فوهبته له ، فرُفِعَ^(١) لى العقد الذى أخفاه ، فدعوته فقلت : أحضرني العقد الذى أخفيتَه ، فأتاني بالعقد الذى وهبته له ، ووجد أن يكون أخذه غيره ، فرُفِعَ لى العقد ، فجعلت أصفه وأنا أراه ، فبُهِتَ ، وذهب فأتاني به ، واستوهبنيه فوهبته له ، وأمرته بالاستغفار .

١٨٧١/٣

وذكر عن محمد بن الحسن أن محمد بن سمعان حدثه أن قائد الزنج قال لى فى بعض أيامه : لقد عُرِضَتْ عَلَى النبوة فأبيتُها ، فقلت : ولمَ ذاك ؟ قال : لأن لها أعباء خِفت ألا أُطبق حملها !

* * *

[ذكر خبر انحياز أبى أحمد بن المتوكل إلى واسط]

وفى هذه السنة انحاز أبو أحمد بن المتوكل من الموضع الذى كان به من قرب موضع قائد الزنج إلى واسط .

* ذكر الخبر عن سبب انحيازه ذلك إليها :

ذكر أن السبب فى ذلك كان أن أبا أحمد لما صار إلى نهر أبى الأسد ، فأقام به ، كثر العلل فيمن معه من جنده وغيرهم ، وفشا فيهم الموت ؛ فلم يزل مقيماً هنالك حتى أبلَّ مَنْ نجا منهم من الموت من عِلَّتِه ، ثم انصرف راجعاً إلى باذاورْد ، فعسكر به ، وأمر بتجديد الآلات وإعطاء مَنْ معه من الجنود أرزاقهم وإصلاح الشدوات والسميريات والمعابر ، وشحنها بالقواد من مواليه وغلمانها ، ونهض نحو عسكر الخبيث ، وأمر جماعة من قواديه بقصد مواضع سبأها لهم من نهر أبى الخصيب وغيره ، وأمر جماعة منهم بلزومه والمحاربة معه فى الموضع الذى يكون فيه ، قال أكثر القوم حين وقعت الحرب ، والتقى الفريقان إلى نهر أبى الخصيب ، وبقى أبو أحمد فى قلعة من أصحابه ، فلم يَزَلْ عن موضعه لإشفاقاً من أن يطمع فيه الزنج ، وفيمن بإزائهم من أصحابه وهم بسبحة

(١) س : « رفيع » .

نهر منكى ، وتأمل الزنج تفرق أصحاب أبى أحمد عنه ، وعرفوا موضعه ، فكثروا^(١) عليه ، واستعرت الحرب ، وكثر القتل والجراح بين الفريقين ، وأحرق أصحاب أبى أحمد قصوراً ومنازل من منازل الزنج ، واستنقذوا من النساء جمعاً كثيراً ، وصرف الزنج جمعهم^(٢) إلى الموضع الذى كان به^(٣) أبو أحمد فظهر الموفق على الشّدَا ، وبوسط الحرب محرضاً أصحابه حتى أتاه من جمع الزنج ما علم أنه لا يقاوم بمثل العدة اليسيرة التى كان فيها ، فرأى أن الحزم فى محاجرتهم ، فأمر أصحابه عند ذلك بالرجوع إلى سفنهم على تودة وموئل ، فصار أبو أحمد إلى الشّدَا التى كان فيها بعد أن استقر أكثر الناس فى سفنهم ، وبقيت طائفة من الناس ، ولجئوا إلى تلك الأدغال والمضايق ، فانقطعوا عن أصحابهم ، فخرج عليهم كمناء الزنج ، فاقتطعوهم ووقعوا بهم ، فحاموا عن أنفسهم ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، وقتلوا عدداً كثيراً من الزنج ، وأدركتهم المنايا فقتلوا ، وحملوا إلى قائد الزنج مائة رأس وعشرة رؤس ، فزاد ذلك فى عتوه . ثم انصرف أبو أحمد إلى الباذاورد فى الجيش ، وأقام يعي أصحابه للرجوع إلى الزنج ، ف وقعت نار فى طرف من أطراف عسكره ؛ وذلك فى أيام عصف الرياح ، فاحترق العسكر ، ورحل أبو أحمد منصرفاً ، وذلك فى شعبان من هذه السنة إلى واسط ، فلمّا صار إلى واسط تفرق عنه عامة من كان معه من أصحابه .

* * *

ولعشر خلون من شعبان كانت هدة صعبة هائلة بالصيمرة . ثم سمع من غد ذلك اليوم وذلك يوم الأحد ، هدة هى أعظم من التى كانت فى اليوم الأول ، فتهدم من ذلك أكثر المدينة ، وتساقطت الحيطان وهلك من أهلها — فيما قيل — زهاء عشرين ألفاً .

وضرب بباب العامة بسامراً رجل يعرف بأبى فقّعَس ، قامت عليه البيّنة — فيما قيل — بشتم السلف ألف سوط وعشرين سوطاً ، فمات وذلك يوم الخميس

(١) م : « فأكبوا » . (٢) ب : « أجمعهم » . (٣) ب : « فيه » .

لسبع خلون من شهر رمضان .

ومات يارْجُوخ يوم الجمعة لثمان خلون من شهر رمضان ، فصلى عليه أبو عيسى بن المتوكل ، وحضر جعفر بن المعتمد .

وفيهما كانت وقعة بين موسى بن بُغا وأصحاب الحسن بن زيد ، فهزم موسى أصحاب الحسن .

وفيهما انصرف مسرور البلخي عن مساور الشاري إلى سامراً ، ومعه أسراء من الشُّرة ، واستخلف على عسكره بالحديثة جعلان . ثم شخص أيضاً مسرور البلخي إلى ناحية البوازيج ، فلقى مساوراً بها ، فكانت بينهما وقعة بها أسر مسرور من أصحابه جماعة ، ثم انصرف لليال بقيت من ذى الحجة .

وفي هذه السنة حدث في الناس ببغداد داء كان أهلها يسمونه القُفَّاع . وفيها رجع أكثر الحاج من القسراء خوف العطش ، وسلم من سار منهم إلى مكة .

وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك منصرف أبي أحمد بن المتوكل من واسط ، وقدمه سامراً يوم الجمعة لأربع بقين من شهر ربيع الأول ، واستخلافه على واسط وحرب الخبيث بتلك ^(١) الناحية محمداً المولّد ^(٢) .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل كنجور]

ومن ذلك مقتل كنجور .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أنه كان والى الكوفة ، فانصرف عنها يريد سامراً بغير إذن ، فأمر بالرجوع فأبى ، فحمل إليه — فيما ذكر — مالٌ ليفرق في أصحابه أرزاقهم منه ، فلم يقنع بذلك ، ومضى حتى ورد عكبراء في ربيع الأول ، فتوجه إليه من سامراً عدّة من القواد ، فيهم : ساتكين وتكين وعبد الرحمن ابن مفلح وموسى بن أتامش وغيرهم ؛ فذبجوه ذبحاً ، وحمل رأسه إلى سامراً ، لليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، وأصيب معه نيف وأربعون ألف دينار ، وألزم كاتب له نصراني مالا ، ثم ضرب هذا الكاتب في شهر ربيع الآخر بباب العامة ألف سوط ، فمات .

* * *

وفيهما غلب شركب الجمال على مرؤ وناحيتهما وأنهبها .

١٨٧٥/٣

وفيهما انصرف يعقوب بن الليث عن بلخ ، فأقام بقهستان ، وولّى عماله هرة وبوشنج وباذغيس ، وانصرف إلى سجستان .

(١) س : « في تلك » . (٢) م : « أحمد المولّد » .

وفيهما فارق عبد الله السَّجَزِيَّ يعقوب بن الليث مخالفاً له ، وحاصر نيسابور ،
فوجه محمد بن طاهر إليه الرِّسْلَ والفقهاء ، فاختلفوا بينهما ، ثمَّ ولاه الطَّبَّسِينَ
وقهستان .

* * *

[ذكر خبر دخول المهلبى ويحيى بن خلف سوق الأهواز]

ولست خلون من إرجب منها ، دخل المهلبى ويحيى بن خلف النهر بطى
سوق الأهواز ، فقتلوا بها خلقاً كثيراً ، وقتلوا صاحب المعونة بها .
* ذكر الخبر عن سبب هذه الواقعة وكيف كان هلاك صاحب الحرب من
قبل السلطان فيها :

ذكر أن قائد الزنج خفي عليه أمر الحريق الذى كان فى عسكر أبى أحمد
بالباذآورد ، فلم يعلم^(١) خبره إلا بعد ثلاثة أيام ، ورد به عليه رجلان من
أهل عبّادان فأخبراه ، فعاد للعيث ، وانقطعت عنه الميرة ، فأنهض على
ابن أبان المهلبى ، وضم إليه أكثر الجيش ، وسار معه سليمان بن جامع ، وقد
ضم إليه الجيش الذى كان مع يحيى بن محمد البحرانى وسليمان بن موسى الشعرانى ،
وقد ضمت إليه الخيل وسائر الناس مع على بن أبان المهلبى والمتولى للأهواز
يومئذ رجل يقال له أصعجون ، ومعه نيزك فى جماعة من القواد ، فسار
إليهم على بن أبان فى جمعه من الزنج ، ونذر به أصعجون ، فنهض نحوه فى
أصحابه ، فالتقى العسكران بصحراء تُعرف بدستاران ، فكانت الدبرة يومئذ
على أصعجون ، فقتل نيزك فى جمع كثير من أصحابه ، وغرق أصعجون ،
وأسير الحسن بن هرثمة المعروف بالشار يومئذ ، والحسن بن جعفر المعروف براوشار^(٢) .

قال محمد بن الحسن : فحدثني الحسن بن الشار ، قال : خرجنا يومئذ
مع أصعجون للقاء الزنج ، فلم يثبت أصحابنا ، وانهزموا ، وقتل نيزك ، وفقد
أصعجون ، فلما رأيت ذلك نزلت عن فرس مخدوف^(٣) كان تحتى ، وقد رت

(٢) ط : « بزادشار » ، وانظر تصويبات ط .

(١) ب : « يعرف » .

(٣) المحذوف : المقطوع الذنب .

أن أتناول بذنْب جنّية كانت معي ، وأقحمها النهر ، فأنجو بها . فسبقني إلى ذلك غلامي ، فنجا وتركني ، فأتيت موسى بن جعفر لأتخلص معه ، فركب سفينة ، ومضى فيها ، ولم يُقَمِّمْ عليّ ، وبصرت بزورق فأتيته فركبته ، فكثّر الناس عليّ وجعلوا يطلبون الركوب معي فيمتلئون بالزورق حتى غرقوه ، فانقلب ، وعلوت ظهري ، وذهب الناس عني ، وأدركني الزنج ، فجعلوا يرمونني بالنشاب ، فلما خفت التلّف قلت : أمسكوا عن رمي ، وألقوا إلى شيئا أتعلق به ، وأصير إليكم ، فدّوا إلى رحماً ، فتناولته بيديّ وصرت إليهم .

وأما الحسن بن جعفر ، فإن أخاه حملة على فرس ، وأعدّه ليسفر^(١) بينه وبين أمير الجيش ، فلما وقعت الهزيمة بادر في طلب النجاة^(٢) ، فعثر به فرسه فأخذه .

١٨٧٧/٣

فكتب عليّ بن أبان إلى الخبيث بأمر الوقعة ، وحمل إليه رعوساً وأعلاماً كثيرة ، ووجه الحسن بن الشار والحسن بن جعفر وأحمد بن روح ، فأمر بالأسرى إلى السجن ، ودخل عليّ بن أبان الأهواز ، فأقام يعمّث بها إلى أن ندب السلطان موسى بن بَغَا لحرب الخبيث .

* * *

[شخص موسى بن بَغَا لحرب صاحب الزنج]

وفيها شخص موسى بن بَغَا عن سامراً لحربه ، وذلك لثلاث عشر بقيت من ذى القعدة ، وشيئعه المعتمد إلى خلف الحائطين ، وخلع عليه هناك .

• وفيها وافى عبد الرحمن بن مفلح الأهواز وإسحاق بن كُشْدَاج البصرة وإبراهيم بن سِمْيَا باذأورد لحرب قائد الزنج من قبل موسى بن بَغَا .

* ذكر الخبر عما كان من أمر هؤلاء في النواحي التي ضمت إليهم

مع أصحاب قائد الزنج في هذه السنة :

ذكر أن ابن مفلح لما وافى الأهواز ، أقام بقنطرة أربك عشرة أيام ، ثم

(٢) س : « طلباً للنجاة » .

(١) ب : « يسفر » .

مضى إلى المهلبى ، فواقعه ، فهزمه المهلبى وانصرف ، واستعد ثم عاد لمحاربتة ، فأوقع به وقعة غليظة ، وقتل من الزنج قتلا ذريعا ، وأسر أسرى كثيرة ، وانهزم على بن أبان ، وأفلت ومن معه من الزنج ، حتى وافوا بيسان ، فأراد الخبيث ردهم ، فلم يرجعوا للدعر الذى خالط قلوبهم . فلما رأى ذلك أذن لهم فى دخول عسكره ، فدخلوا جميعا ، فأقاموا بمدينة . ووافى عبد الرحمن حصن المهدي ليعسكر به ، فوجه إليه الخبيث على بن أبان ، فواقعه فلم يقدر ^(١) عليه ، ومضى على يريد الموضع المعروف بالدكر ، وإبراهيم بن سيماء يومئذ بالبازور ، فواقعه إبراهيم ، فهزم على بن أبان ، وعاوده فهزمه أيضا إبراهيم ، ففضى فى الليل ، وأخذ معه أدلاء ، فسلخوا به الآجام والأدغال ، حتى وافى نهر يحيى ، وانتهى خبره إلى عبد الرحمن ، فوجه إليه طاشيمر فى جمع من الموالى ، فلم يصل إلى على ومن معه لوعورة الموضع الذى كانوا فيه ، وامتناعه بالقصب والحلافى ، فأضره عليهم نارا ، فخرجوا منه هارين ، فأسر منهم أسرى ، وانصرف إلى عبد الرحمن بن مفلح بالأسرى والظفر ، ومضى على ابن أبان حتى وافى نسوخا ، فأقام هناك فيمن معه من أصحابه ، وانتهى الخبر بذلك إلى عبد الرحمن بن مفلح ، فصرف وجهه نحو العمود ، فوافاه وأقام به .

وصار على بن أبان إلى نهر السدرة ، وكتب إلى الخبيث يستمدّه ويسأله التوجيه إليه بالشذات ، فوجه إليه ثلاث عشرة شذاة ، فيها جمع كثير من أصحابه فسار على ومعه الشذات حتى وافى عبد الرحمن ، وخرج إليه عبد الرحمن بمن معه ، فلم يكن بينهما قتال ، وتواقف الجيشان يومهما ذلك ؛ فلما كان الليل ، انتخب على بن أبان من أصحابه جماعة يثق بجماعتهم وصبرهم ، ومضى فيهم ومعه سليمان بن موسى المعروف بالشعرافى ، وترك سائر عسكره ^(٢) مكانه ^(٣) ليخفى أمره ، فصار من وراء عبد الرحمن ، ثم بيته فى عسكره ، فنال منه ومن أصحابه نيلا ، وانحاز عبد الرحمن عنه ، ونحى عن أربع شذوات من شذواته ،

(٢) س : « عسكره » .

(١) س : « يعد إليه » .

(٣) س : « بمكانه » .

فأخذها على^٢ وانصرف ، ومضى عبد الرحمن لوجهه حتى وافى الدولاب فأقام به ، وأعد رجالاً من رجاله ، ولتّى عليهم طاشتمر ، وأنفذهم إلى على^٣ ابن أبان . فوافوه بنواحي بياب آزر ، فأوقعوا به وقعة ، انهزم منها إلى نهر السدرة ، وكتب طاشتمر إلى عبد الرحمن بانهزام على^٤ عنه ، فأقبل عبد الرحمن بجيشه حتى وافى العمود ، فأقام به ، واستعد أصحابه للحرب ، وهياً شذواته ، ولتّى عليها طاشتمر ، فسار إلى فوهة نهر السدرة ، فواقع على^٥ بن أبان وقعة عظيمة ، انهزم منها على^٦ ، وأخذ منه عشر شذوات ، ورجع على^٧ إلى الخبيث مفلولاً مهزوماً ، وسار عبد الرحمن من فوره ، فعسكر ببيسان ، فكان عبد الرحمن ابن مفلح وإبراهيم بن سيماء يتناوبان المصير إلى عسكر الخبيث ، فيوقعان به ، ويخيفان من فيه ، وإسحاق بن كنداج^(١) يومئذ مقيم بالبصرة ، قد قطع الميرة عن عسكر الخبيث ؛ فكان الخبيث يجمع أصحابه في اليوم الذي يخاف فيه موافاة عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم بن سيماء حتى يتقضى الحرب ، ثم يصرف فريقاً منهم إلى ناحية البصرة ، فيواقع بهم إسحاق بن كنداج ، فأقاموا في ذلك بضعة عشر شهراً إلى أن صُرف موسى بن بغا عن حرب الخبيث ، وولّيتها مسرور البلخي^٢ ، وانتهى الخبر بذلك إلى الخبيث .

١٨٨٠/٣

* * *

وفيهما غلب الحسن بن زيد على قوميس ، ودخلها أصحابه .
وفيهما كانت وقعة بين محمد بن الفضل بن ستان القزويني وهُسُودان بن جُسُستَان الديلمي^٣ ، فهزّم محمد بن الفضل وهُسُودان .
وفيهما ولّى موسى بن بغا الصلابي^٤ الرّى حين وثب كَيَغَلغَل على تكين ، فقتله فسار إليها .

وفيهما غلب صاحب الروم على سُميساط ، ثم نزل على مَسَلَطِيّة ، وحاصر أهلها ، فحاربه أهل مَسَلَطِيّة فهزّموه ، وقتل أحمد بن محمد القابوس نصراً الإقريطشي بطريق البطارقة .

وفيهما وجّه من الأهواز جماعة من الزنج أسروا إلى سامراً ، فوثبت العامة بهم بسامراً ، فقتلوا أكثرهم وسلبوهم .

[ذكر الخبر عن دخول يعقوب بن الليث نيسابور]

وفيهما دخل يعقوب بن الليث نيسابور .

١٨٨١ / ٣

* ذكر الخبر عن الكائن الذي كان منه هناك :

ذكر أن يعقوب بن الليث صار إلى هَرَاة ، ثم قصد نيسابور ، فلما قرب منها وأراد دخولها ، وجهه محمد بن طاهر يستأذنه في تلقيه ، فلم يأذن له ، فبعث بعمومته وأهل بيته ، فتلقوه ، ثم دخل نيسابور لأربع خسلون من شوال بالعشي ، فنزل طرفاً من أطرافها يعرف بدواداباذ ، فركب إليه محمد بن طاهر ، فدخل عليه في مضربه ، فساءله ، ثم أقبل على تأنيبه وتوبيخه على تفريطه في عمله ، ثم انصرف وأمر عزير بن السري بالتوكيل به ، وصرف محمد بن طاهر وولتي عزيراً نيسابور ، ثم حبس محمد بن طاهر وأهل بيته . وورد الخبر بذلك على السلطان ، فوجه إليه حاتم بن زيرك بن سلام ، ووردت كتب يعقوب على السلطان لعشر بقين من ذي القعدة ، فقعد — فيما ذكر — جعفر ابن المعتمد وأبو أحمد بن المتوكل في إيوان الجوسق ، وحضر القواد ، وأذن لرسول يعقوب . فذكر رسله ما تناهى إلى يعقوب من حال أهل خراسان ، وأن الشراة والمخالفين قد غلبوا عليها ، وضعف محمد بن طاهر ، وذكروا مكاتبة أهل خراسان يعقوب ومسألته إياه قدمته عليهم واستعانتهم ، وأنه صار إليها ، فلما كان على عشرة فراسخ من نيسابور ، سار إليه أهلها ، فدفعوها إليه فدخلها . فتكلم أبو أحمد وعبيد الله بن يحيى ، وقالوا للرسول : إن أمير المؤمنين لا يقار يعقوب على ما فعل ، وأنه يأمره بالانصراف إلى العمل الذي ولاه إياه ، وأنه لم يكن له أن يفعل ذلك بغير أمره فليرجع ، فإنه إن فعل كان من الأولياء ، وإلا لم يكن له إلا ما للمخالفين . وصرف إليه رسله بذلك ووصلوا ، وخلع على كل واحد منهم خلعة فيها ثلاثة أثواب ؛ وكانوا أحضروا رأساً على قناة فيه رقعة فيها : هذا رأس عدو الله عبد الرحمن الخارجي بهرارة ، ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة ، قتله يعقوب بن الليث .

١٨٨٢ / ٣

* * *

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف ببُريه .

ثم دخلت سنة ستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك قتل رجل من أكرد مساور الشاري محمد بن هارون بن المعمّر ، وجده في زورق يريد سامراً ، فقتله وحمل رأسه إلى مساور ، فطلبت ربيعة بدمه في جمادى الآخرة ، فندب مسرور البلخي وجماعة من القواد إلى أخذ الطريق على مساور .

وفيهما قُتِل قائد الزنج علي بن زيد العلوي صاحب الكوفة .

١٨٨٣/٣

* * *

[خبر الوقعة بين يعقوب بن الليث والحسن بن زيد الطائي]

وفيهما واقع يعقوب بن الليث الحسن بن زيد الطائي ، فهزمه ودخل طبرستان .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وعن سبب مصير يعقوب إلى طبرستان :

أخبرني جماعة من أهل الخيرة ببيع يعقوب أن عبد الله السجزي كان يتنافس الرياسة بسجستان ، فقوره يعقوب ، فتخلص منه عبد الله ، فلحق بمحمد بن طاهر بنيسابور ، فلما صار يعقوب إلى نيسابور وهرب عبد الله ، فلحق بالحسن بن زيد ، فشخص يعقوب في أثره بعد ما كان من أمره وأمر محمد بن طاهر ما قد ذكرت قبل ، فر في طريقه إلى طبرستان بأسفرائيم ونواحيها ، وبها رجل كنت أعرفه يطلب الحديث ، يقال له بديل الكشّي ، يظهر التطوع والأمر بالمعروف ، وقد استجاب له عامة أهل تلك الناحية ، فلما نزلها يعقوب راسلته ، وأخبره أنه مثله في التطوع وأنه معه ، فلم يزل يرفق به حتى صار إليه بديل ، فلما تمكن منه قيده ، ومضى به معه إلى طبرستان ، فلما صار إلى قرب سارية لقيه الحسن بن زيد .

فقيل لي : إن يعقوب بعث إلى الحسن بن زيد يسأله أن يبعث إليه بعبد الله

السجزي حتى ينصرف عنه ؛ فإنه إنما قصد طَبَرِستان من أجله لا لحربه ،
 فأبى الحسن بن زيد تسليمه إليه ، فأَذنه يعقوب بالحرب ، فالتقى عسكرهما ^(١) ،
 فلم تكن إلا كِتلاً ولا ، حتى هزِمَ الحسن بن زيد ، ومضى نحو الشَّرَز وأرض
 الديلم ، ودخل يعقوب سارية ، ثم تقدّم منها إلى آمُل ، ففجى أهلها خراج
 سنة ، ثم شخص من آمُل نحو الشَّرَز في طلب الحسن بن زيد حتى صار
 إلى بعض جبال طَبَرِستان ، فأدركته فيه الأمطار ، وتتابعت عليه - فيما
 ذكرلى - نحواً من أربعين يوماً ، فلم يتخلص من موضعه ذلك إلا بمشقة شديدة .
 وكان - فيما قيل لى - قد صعد جبلاً ، لما رام النزول عنه لم يمكنه ذلك إلا محمولاً
 على ظهور الرجال ، وهلك عامة ما كان معه من الظهور .

ثم رام الدخول خلف الحسن بن زيد إلى الشَّرَز ؛ فحدثني بعض أهل
 تلك الناحية أنه انتهى إلى الطريق الذى أراد سلوكه إليه ، فوقف عليه ، وأمر
 أصحابه بالوقوف ، ثم تقدّم أمامهم يتأمل الطريق ، ثم رجع إلى أصحابه ،
 فأمرهم بالانصراف ، وقال لهم : إن لم يكن إليه طريق غير هذا فلا طريق إليه .
 فأخبرني الذى ذكر لى ذلك ، أن نساء أهل تلك الناحية قلن لرجلهن : دعوه
 يدخل هذا الطريق ؛ فإنه إن دخل كفيناكم أمره ، وعلينا أخذُه وأسرُه لكم .
 فلما انصرف راجعاً ، وشخص عن حدود طَبَرِستان ، عرض رجاله ، ففقد
 منهم - فيما قيل لى - أربعين ألفاً ، وانصرف عنها ، وقد ذهب عظم ما كان
 معه من الخيل والإبل والأثقال .

وذكر أنه كتب إلى السلطان كتاباً يذكر فيه مسيرة إلى الحسن بن زيد ،
 وأنه سار من جُرجان إلى طَمِيس . فافتتحها . ثم سار إلى سارية ، وقد أخرب
 الحسن بن زيد القناطر ، ورفع المعابر ، وعورّ الطريق ، وعسكر الحسن بن
 زيد على باب سارية متحصّناً بأودية عظام ، وقد مالاه خُرُشاد بن جيلاو ،
 صاحب الديلم ، فزحف باقتدار فيمن جمع إليه من الطبرية والديلمة والحراسانية
 والقُصمية والحبلية والشامية والجزرية ، فهزمتُه وقتلت عدة لم يبلغها بعهدى عدة ،

وأُسرتُ سبعين من الطالبين ؛ وذلك في رجب ، وسار الحسن بن زيد إلى الشَّـرَّز ومعه الدليم .

* * *

وفي هذه السنة اشتدَّ الغلاء في عامة بلاد الإسلام ، فانجلى - فيما ذكر - عن مكة من شدة الغلاء مَنْ كان بها مجاوراً إلى المدينة وغيرها من البلدان ، ورحل عنها العامل الذي كان بها مقيماً وهو بُـرْيَه ، وارتفع السعر ببغداد ، فبلغ الكُرَّ^(١) الشعير عشرين ومائة دينار ، والحنطة خمسين ومائة ، ودام ذلك شهوراً . وفيها قُتِلَت الأعراب منجور والى حمص ، فاستعمل عليها بكتمر .

وفيها صار يعقوب بن الليث حين انصرف عن طبرستان إلى ناحية الري ، وكان السبب في مصيره إليها - فيما ذكر لي - مصير عبد الله السجزي إلى الصَّلَابي مستجيراً به من يعقوب ، لما هزم يعقوب الحسن بن زيد ، فلما صار يعقوب إلى خوار^(٢) الرى كتب إلى الصَّلَابي يخبره بين تسليم عبد الله السجزي إليه حتى ينصرف عنه ، ويرتحل عن عمله ، وبين أن يأذن بحربه . فاختر الصَّلَابي - فيما قيل لي - تسليم عبد الله ، فسلمه إليه ، فقتله يعقوب ، وانصرف عن عمل الصَّلَابي .

١٨٨٦/٣

* * *

[ذكر خبر مقتل العلاء بن أحمد الأزدي]

وفيها قتل العلاء بن أحمد الأزدي .

• ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذكر أن العلاء بن أحمد فُلج وتعتل ، فكتب السلطان إلى أبي الرُّدَينِي عمر بن علي بن مُرَّ بولاية أذربيجان ، وكانت قبلُ إلى العلاء ، فصار أبو الردينِي إليها ليتسلمها من العلاء ، فخرج العلاء في قُبَّة في شهر رمضان

(١) في القاموس : « الكر : مكياك للعراق وستة أوقار حمار ، أو هوستون قفيزاً ، أو أربمون إردباً » .

(٢) ط : « جدار » تحريف .

لحرب أبي الردينيّ، ومع أبي الردينيّ جماعة من الشُّراة^(١) وغيرهم، فقتل العلاء .
فذكر أنه وجّه عدّة من الرجال في حمل ما خلّف العلاء ، فحُمِل من
قلعته ما بلغت قيمته ألفي وسبعمائة ألف درهم .

* * *

وفيهما أخذت الروم لؤلؤة من المسلمين .
وحجّ بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن
على المعروف ببُسرّينه .

(١) س : « الشراة » ، ابن الأثير : « الخوارج » .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من انصراف الحسن بن زيد من أرض الديلم إلى طبرستان وإحراقه شالوس لما كان من ممالئهم يعقوب وإقطاعه ضياعهم الديلمية .

١٨٨٧/٣

ومن ذلك ما كان من أمر السلطان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بجمع من كان^(١) ببغداد من حاج خراسان والري وطبرستان وجرجان ، فججمعهم في صفر منها ، ثم قرئ عليهم كتاب يعلمون^(٢) فيه أن السلطان لم يول يعقوب بن الليث خراسان ، ويأمرهم بالبراءة منه لإنكاره دخوله خراسان وأسر محمد بن طاهر .

* * *

وفي هذه السنة توفى عبد الله بن الواثق في عسكر الصفار يعقوب .
وفيها قتل مساور الشاري يحيى بن حفص الذي كان يلي خراسان بكثر رخ جدد أن في جمادى الآخرة ، فشخص مسرور البلخي في طلبه ، ثم تبعه أبو أحمد ابن المتوكل ، وتنحى مساور فلم يلحق .

وفي جمادى الأولى منها هلك أبو هاشم داود بن القاسم^(٣) الجعفرى .

* * *

[ذكر خبر وقعة كانت برامهرمز في هذا العام]

وفيها كانت بين محمد بن واصل وعبد الله بن مفلح وطاشتمر وقعة برامهرمز ، فقتل ابن واصل طاشتمر ، وأسير ابن مفلح .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة والسبب فيها :

كان السبب في ذلك — فيما ذكر لي — أن ابن واصل قتل الحارث بن سينا وهو عامل السلطان بفارس وتغلب عليها ، فضمت إلى موسى بن بغا فارس

(١) ب : « فجمع ما كان » . (٢) س : « يعلمهم » .

(٣) ط : « سليمان » ، وانظر الفهرس .

والأهواز والبصرة والبحرين واليمامة ؛ مع ما كان إليه من عمل المشرق ؛ فوجه موسى بن بغا عبد الرحمن بن مفلح إلى الأهواز ، وولاه إياها وفارس ، وضم إليه طاشتمر ، فاتصل بابن واصل ذلك من فعل موسى ، وأن ابن مفلح قد توجه إلى فارس يريده ، وكان قبل مقيماً بالأهواز على حرب الخارجى بناحية البصرة . فرحف إليه ابن واصل ، فالتقيا برامهرمز ، وانضم أبو داود الصعلوك إلى ابن واصل معيناً له على ابن مفلح ، فظفر ابن واصل بابن مفلح ، فأسره وقتل طاشتمر ، واصطلم عسكر ابن مفلح ، ثم لم يزل ابن مفلح في يده حتى قتله ، وقد كان السلطان وجه إسماعيل بن إسحاق إلى ابن واصل في إطلاق ابن مفلح ، فلم يجبه إلى ذلك ابن واصل . ولما فرغ ابن واصل من ابن مفلح أقبل مظهرًا أنه يريد واسطاً لحرب موسى بن بغا حتى انتهى إلى الأهواز ، وبها إبراهيم بن سينا في جمع كثير . فلما رأى موسى بن بغا شدة الأمر وكثرة المتغلبين على نواحي المشرق ، وأنه لا قسوم له بهم ، سأل أن يعفى من أعمال المشرق ، فأعفى منها ، وضم ذلك إلى أبي أحمد ، وولّيه أبو أحمد بن المتوكل ، فانصرف موسى بن بغا من واسط إلى باب السلطان مع عمّاله عن أعمال المشرق .

• • •

وفيهما ولّى أبو الساج الأهواز وحرب قائد الزنج ، فصار إليها أبو الساج بعد شخوص عبد الرحمن بن مفلح إلى ناحية فارس .

وفيهما كانت بين عبد الرحمن صهر أبي الساج وعلى بن أبان المهلبى وقعة بناحية^(١) الدولاب ، قتل فيها عبد الرحمن ، وانحاز أبو الساج إلى عسكر مكرم ، ودخل الزنج الأهواز ، فقتلوا أهلها ، وسبوا وانهبوا ، وأحرقوا دورها . ثم صرّف أبو الساج عمّا كان إليه من عمل الأهواز وحرب الزنج ، وولّى ذلك إبراهيم بن سينا ، فلم يزل مقيماً في عمله ذلك حتى انصرف عنه بانصراف موسى ابن بغا ، عمّا كان إليه من عمل المشرق .

(١) ب : « بموضع يقال له » .

وفيهما ولّى محمد بن أوس البلخي طريق خراسان .
ولما ضُمَّ عمل المشرق إلى أبي أحمد ولّى مسروراً البلخي الأهواز والبصرة
وكوردجلة واليامة والبحرين في شعبان من هذه السنة ، وحرب قائد الزنج .
وفيهما ولّى نصر بن أحمد بن أسد الساماني ما وراء نهر بلخ ، وذلك في
شهر رمضان منها ، وكتب إليه بولايته ذلك .

وفي سؤال منها زحف يعقوب بن الليث إلى فارس ، وابنُ واصل مقيم
بالأهواز ، فانصرف منها إلى فارس ، فالتقى هو ويعقوب بن الليث في ذى القعدة ،
فهزّمه يعقوب وقتل عسكره ، وبعث إلى خرمّة إلى قلعة ابن واصل ، فأخذ
ما كان فيها ، فذكر أنه بلغت قيمة ما أخذ يعقوب منها أربعين ألف ألف
درهم ، وأسر مرداساً خال ابن واصل .

* * *

١٨٩٠/٣

وفيهما أوقع أصحاب يعقوب بن الليث بأهل زم موسى بن مِهْران الكردى ،
لما كان من ممالئهم محمد بن واصل ، فقتلوه ، وانهزم موسى بن مِهْران .
وفيهما لاثنتي عشرة مضت من سؤال منها ، جلس المعتمد في دار العامة ،
فولّى ابنه جعفر العهد ، وسماه المفوّض إلى الله ، وولّاه المغرب ، وضمّ إليه
موسى بن بغا ، وولّاه إفريقية ومصر والشّام والجزيرة والموصل وإرمينية وطريق
خراسان ومِهْرَجَا نَقْدَق وحُلوان ، وولّى أخاه أبا أحمد العهد بعد جعفر ،
وولّاه المشرق ، وضمّ إليه مسروراً البلخي ، وولّاه بغداد والسواد والكوفة وطريق
مكة والمدينة واليمن وكَسْكَر وكُورْدَجَلَة والأهواز وفارس وأصبهان وقم والكَرَج
والدينور والرّي وزِنجان وقزوین وخراسان وطَبَرِستان وجُرجان وكرمان
وسجستان والسند ، وعقد لكل واحد منهما لواءين : أسود وأبيض ، وشرط
إن حدث به حدث الموت وجعفر لم يكمل للأمر ، أن يكون الأمر لأبي أحمد
ثم لجعفر . وأخذت البيعة على الناس بذلك ، وفُرقت نسخ الكتاب ، وبعث
بنسخة مع الحسن بن محمد بن أبي الشوارب ليعلقها في الكعبة ، فعقد جعفر
المفوّض^(١) لموسى بن بغا على المغرب في شوال وبعث إليه بالعقد مع محمد المولّد .

(١) ب ، س : « الأمر » .

وفيها فارق محمد بن زَيْدَويه يعقوب بن الليث ، فاعتزل عسكره في آلاف ١٨٩١/٣
من أصحابه ، فصار إلى أبي الساج فقبيله ، وأقام معه بالأهواز ، وبعث إليه
من سامراً بخلعة ، ثم سأل ابن زيدويه السلطان توجيه الحسين بن طاهر بن
عبد الله معه إلى خراسان .

وسار مسرور البلخي مقدمة لأبي أحمد من سامراً ، لسبع خلتون من
ذى الحجة ، وخلع عليه وعلى أربعة وثلاثين من قواده - فيما ذكر - وشيعة
وليّاً العهد ، واتبه الموفق شاخصاً من سامراً لتسع بقين من ذى الحجة .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن
محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس .

ومات الحسن بن محمد بن أبي الشوارب فيها بمكة بعد ما حجّ .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث رامهرمز]

فما كان فيها من ذلك موافاة يعقوب بن الليث رامهرمز في المحرم وتوجيه السلطان إليه إسماعيل بن إسحاق وبُغْراج، وإخراج السلطان من كان محبوساً من أسباب يعقوب بن الليث من السجن ؛ لأنه لما كان من أمره ما كان في أمر محمد بن طاهر ، حبس السلطان غلامه وصيفاً ومن كان قبلكه من أسبابه ، فأطلق عنهم بعد ما وافي يعقوب رامهرمز ؛ وذلك لخمس خلوات من شهر ربيع الأول . ثم قدم إسماعيل بن إسحاق من عند يعقوب ، وخرج إلى سامراً برسالة من عنده ، فجلس أبو أحمد ببغداد ، ودعا بجماعة من التجار ، وأعلمهم أن أمير المؤمنين أمر بتولية يعقوب بن الليث خراسان وطبرستان وجرجان والري وفارس والشرطة بمدينة السلام ؛ وذلك بمحض من درهم بن نصر صاحب يعقوب . وكان المعتمد قد صرف درهماً هذا من سامراً إلى يعقوب بجواب ما كان يعقوب أرسله ، يسأله لنفسه ، فأرسل معه عمر بن سيا ومحمد بن تركشه ، ووافي فيها رسل ابن زيدويه بغداد في شهر ربيع الأول منها برسالة من عنده ، فخلع عليه أبو أحمد ، ثم انصرف في هذه السنة الذين توجهوا^(١) إلى يعقوب بن الليث إلى السلطان ، فأعلموه أنه يقول : إنه لا يرضيه ما كتب إليه دون أن يصير إلى باب السلطان ، وارتحل يعقوب من عسكر مكرم ، فصار أبو الساج إليه ، فقبله وأكرمه ووصله .

ولما رجعت الرسل بما كان من جواب يعقوب عسكر المعتمد يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة بالقائم بسامراً ، واستخلف على سامراً ابنه جعفر ، وضم إليه محمداً المولود ، ثم سار منها يوم الثلاثاء لست خلون من جمادى

(١) م : « وجهوا » .

الآخرة ، ووافي^(١) بغداد يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، فاشتقها حتى جازها ، وصار إلى الزعفرانية فنزلها^(٢) ، وقدّم أخاه ٣ / ١٨٩٣ أبا أحمد من الزعفرانية . فسار يعقوب بجيشه من عسكر مكرم ؛ حتى صار من واسط على فرسخ^(٣) ، فصادف هنالك بشقاً قد بثقة مسرور البلخي من دجلة لثلاثي يقدر على جوازه ، فأقام عليه حتى سده وعبره ؛ وذلك لست بقين من جمادى الآخرة ، وصار إلى باذين ، ثم وافى محمد بن كثير من قبل يعقوب عسكر مسرور البلخي ، فصار بإزائه ، فصار مسرور بعسكره إلى النعمانية ، ووافي يعقوب واسطاً ، فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة .

وارتحل المعتمد من الزعفرانية يوم الخميس ليلة بقيت من جمادى الآخرة ؛ حتى صار إلى سيب بنى كوما ، فوافاه هنالك مسرور البلخي ؛ وكان مسير مسرور البلخي إليه في الجانب الغربي من دجلة ، فعبّر إلى الجانب الذي فيه العسكر ، فأقام المعتمد بسيب بنى كوما أياماً ، حتى اجتمعت إليه عساكره ، وزحف يعقوب من واسط إلى دير العاقول ، ثم زحف من دير العاقول نحو عسكر السلطان ، فأقام المعتمد بالسَّيب ، ومعه عبيد الله بن يحيى ، وأنهض أخاه أبا أحمد لحرب يعقوب ، فجعل أبو أحمد موسى بن بغا على ميمنته ، ومسروراً البلخي على ميسرته ، وصار هو في خاصته ، ونخبة رجاله في القلب . والتقى العسكران يوم الأحد ليال خلتون من رجب بموضع يقال له اضطراد بين سيب بنى كوما ودير العاقول . فشدت ميسرة يعقوب على ميمنة أبي أحمد فهزمتها ، وقتلت منها جماعة كثيرة منهم من قوادهم إبراهيم بن سينا التركي وطباغوا التركي ومحمد طُغْتَا التركي والمعرف بالمبرقع المغربي وغيرهم . ثم تاب المهزومون وسائر عسكر أبي أحمد ثابت ، فحملوا على يعقوب وأصحابه ، فثبتوا وحاربوا حرباً شديداً ، وقتل من أصحاب يعقوب جماعة من أهل البأس ؛ منهم الحسن الدرهمي ومحمد بن كثير . وكان على مقدمة يعقوب — والمعروف بلبادة — فأصاب يعقوب ثلاثة أسهم في حلقه ويديه ، ولم تزل الحرب بين الفريقين — فيما قيل — إلى آخر وقت صلاة العصر .

(١) ب : « ووافوا » . (٢) ب : « فنزلوها » . (٣) ب : « فراسخ » .

ثم وافى أبا أحمد الديراني ومحمد بن أوس ، واجتمع جميع من في عسكر أبي أحمد ، وقد ظهر من كثير ممن مع يعقوب كراهة القتال معه إذ رأوا السلطان قد حضر لقتاله ، فحملوا على يعقوب ومن قد ثبت معه للقتال ، فانهزم أصحاب يعقوب ، وثبت يعقوب في خاصة أصحابه ^(١) ، حتى مضوا وفارقوا موضع الحرب .

فذكر أنه أخذ من عسكره من الدواب والبغال أكثر من عشرة آلاف رأس ، ومن الدنانير والدراهم ما يكل عن حملة ، ومن جرب المسك أمر عظيم ، وتخلص محمد بن طاهر بن عبد الله ، وكان مثقلاً بالحديد ، خلصه الذي كان موثقاً به .

ثم أحضر محمد بن طاهر ، فخلع عليه على مرتبته ، وقرئ على الناس كتاب فيه :

١٨٩٥/٣

ولم يزل الملعون المارق المسمى يعقوب بن الليث الصفار ينتحل الطاعة ، حتى أحدث الأحداث المنكرة ، من مصيره إلى صاحب خراسان ، وغلبته إياه عليها ، وتقلده الصلاة والإحداث بها ، ومصيره إلى فارس مرة بعد مرة ، واستيلائه على أموالها ، وإقباله إلى باب أمير المؤمنين مظهر ^(٢) المسألة في أمور أجابه أمير المؤمنين منها ما لم يكن يستحقه ، استصلاحاً ^(٣) له ، ودفعاً بالتي هي أحسن ، فولاه خراسان والري وفارس وقزوین وزنجان والشرطة بمدينة السلام ، وأمر بتكنيته في كتبه ، وأقطعه الضياع النفيسة ، فما زاده ذلك إلا طغياناً وبغياً ، فأمره بالرجوع فأبى ، فنهض أمير المؤمنين لدفع الملعون حين توسط الطريق بين مدينة السلام وواسط ، وأظهر يعقوب أعلاماً على بعضها الصلبان ، فقدم أمير المؤمنين أخاه أبا أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين في القلب ، ومعه أبو عمران موسى بن بغا في الميمنة وفي جناح الميمنة إبراهيم ابن سينا ، وفي الميسرة أبو هاشم مسرور البلخي ، وفي جناح الميسرة الديراني ، فترسع وأشياعه ^(٤) في المحاربة ، فحاربه حتى أثخن بالجراح ، وحتى انتزع

(٢) س : « يظهر » .

(١) م في حامية من أصحابه .

(٤) س : « وأصحابه » .

(٣) ب : « واستصلاحاً » .

أبو عبد الله محمد بن طاهر سالماً من أيديهم ، وولوا منهزمين مجروحين مسلوين ، وسلم الملعون كل ما حواه ملكه .

كتاباً مؤرخاً بيوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من رجب .

ثم رجع المعتمد إلى معسكره وكتب إلى ابن واصل بتولية فارس ، وقد ١٨٩٦/٣
كان صار إليها وجمع جماعة .

ثم رجع المعتمد إلى المدائن ، ومضى أبو أحمد ومعه مسرور وساتكين وجماعة من القواد ، وقبض على ما لأبي الساج^(١) من الضياع والمنازل ، وأقطعها مسروراً البلخي . وقدم محمد بن طاهر بن عبد الله بغداد يوم الاثنين لأربع عشرة بقيت من رجب ، وقد رد إليه العمل ، فخلع عليه في الرضاة ، فترل دار عبد الله بن طاهر ، فلم يعزل أحداً ، ولم يول وأمر له بخمسمائة ألف درهم . وكانت الوقعة التي كانت بين السلطان والصفار يوم الشعانين^(٢) .

وقال محمد بن علي بن فيث الطائي يمدح أبا أحمد ويذكر أمر الصفار :

نَعَبَ الْغَرَابُ عَدِمَتُهُ مِنْ نَاعِبٍ	وَصَبَا فَوَادِي لَادْكَارِ حَبَابِي
نَادَى بَيْنَهُمْ فَجَادَتْ مُقْلَتِي	لَزِيَالِ أَرْحَاهُمْ بَدْمَعِ سَاكِبِ
بَانُوا بِأَتْرَابِ أَوَانِسِ كَالدُّمَى	مَثَلِ الْمَهَا قُبَّ الْبُطُونِ كَوَاعِبِ
فَأُولُكُنْ غَرَائِرُ تَيْمَنِي	بَسَوَالِفِ وَقَوَائِمِ وَخَوَاجِبِ
لَوْ لَى عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ مَنَاسِبُ	شَرُفَتْ وَأَشْرَقَ نَوْرُهَا بِمَنَاصِبِ
وَمَرَاتِبُ فِي ذِرْوَةٍ لَا تَرْتَقَى	أَكْرَمُ بِهَا مِنْ ذِرْوَةٍ وَمَرَاتِبِ
وَلَقَدْ أَتَى الصَّفَارُ فِي عُدَدٍ لَهَا	حُسْنُ فَوَاقَتْهُنَّ نَكْبَةُ نَاكِبِ
جَلَبَ الْقِضَاءُ إِلَيْهِ حَتْفًا عَاجِلًا	سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِلْقِضَاءِ الْجَالِبِ
أَغْوَاهُ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ بِكَيْدِهِ	وَإِغْتَرَّهُ مِنْهُ بِوَعْدِ كَاذِبِ

١٨٩٧/٣

(١) ط : « ملا لأبي الساج » ، وصوابه في ما أثبتته من م

(٢) يوم الشعانين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع ، يخرجون فيه بصلبانهم .

حتى إذا اختلفوا وطناً بآته
 دلفت إليه عساكر ميمونة
 في جحفل لجب ترى أبطاله
 وبدا الإمام برأية منصوره
 وولى عهد المسلمين موفق
 وكأنه في الناس بدر طالع
 لما التقوا بالشرقية والقنا
 ثار العجاج وفوق ذاك غمامة
 فلّ الجمع بحزم رأي ثاقب
 لله در موفق ذي بهجة
 يا فارس العرب الذي ما مثله
 من فادح الزمن العضوض ومن لقاً

١٨٩٨/٣

* * *

[ذكر خبر توجه رجال الزنج إلى البطيحة ودست ميسان]

وفيها وجه قائد الزنج جيوشه إلى ناحية البطيحة ودست ميسان.

* ذكر الخبر عن سبب توجيهه إياهم إليها :

ذكر أن سبب ذلك كان أن المعتمد لما صرف موسى بن بغا عن أعمال
 المشرق وما كان متصلاً بها ، وضمها إلى أخيه أبي أحمد ، وضم أبو أحمد
 عمل كور دجلة إلى مسرور البلخي ، وأقبل يعقوب بن الليث مريداً أبا أحمد ،
 وصار إلى واسط ، خلت كور دجلة من أسباب السلطان ، خلا المدائن وما فوق
 ذلك . وكان مسرور قد وجه قبل ذلك إلى الباذوردي مكان موسى بن أتماش
 جعلان التركي ، وكان بإزاء موسى بن أتماش ، من قبيل قائد الزنج سليمان
 ابن جامع ، وقد كان سليمان قبل أن يصرف ابن أتماش عن الباذوردي ، قد نال

١٨٩٩/٣

من عسكره ؛ فلما صُرف ابن أتامش وجُعِل موضعه جملان ، وجّه سليمان من قبيله رجلا من البحرينيين يقال له ثعلب بن حفص ، فأوقع به ، وأخذ منه خيلاً ورجلاً ، ووجه قائد الزنج من قبيله رجلاً من أهل جُبِّي يقال له أحمد ابن مهدي في سُميريات ، فيها رماة من أصحابه ، فأنفذه إلى نهر المرأة ، فجعل الجبائي يوقع بالقرى التي بنواحي المذار - فيما ذكر - فيعيث فيها ، ويعود إلى نهر المرأة فيقيم به .

فكتب هذا الجبائي إلى قائد الزنج يخبر بأن^(١) البطيحة خالية من رجال السلطان ، لانصراف مسرور وعساكره عند ورود يعقوب بن الليث واسطماً . فأمر قائد الزنج سليمان بن جامع وجماعة من قواده بالمصير إلى الحوانيت ، وأمر رجلاً من الباهليتين يقال له عُثْمَيْر بن عمار ، كان عالماً بطرق البطيحة ومسالكها ، أن يسير مع الجبائي حتى يستقر بالحوانيت .

فذكر محمد بن الحسن أن محمد بن عثمان العباداني قال : لما عزم صاحب الزنج على توجيه الجيوش إلى ناحية البطيحة ودَسْتُمِيسَان أمر سليمان بن جامع أن يعسكر بالمطوعة وسليمان بن موسى أن يعسكر على فُوّه النهر المعروف باليهودي ، ففعلاً ذلك ، وأقاما إلى أن أتاهما إذنه ، فنهضا ، فكان مسير سليمان بن موسى إلى القرية المعروفة بالقادسية ، ومسير سليمان بن جامع إلى الحوانيت والجبائي في السُميريات أمام جيش سليمان بن جامع ، ووافي أبتاً التركي دجلة في ثلاثين شدة ، فأنحدر يريد عسكر قائد الزنج ، فرّ بالقرية التي كانت داخلة في سلم الحبيث فنال منها ، وأحرق ؛ فكتب الحبيث إلى سليمان بن موسى في منعه الرجوع ، وأخذ عليه سليمان الطريق ، فأقام شهراً يقاتل حتى تخلص فصار إلى البطيحة .

وذكر محمد بن عثمان أن جبباًشاً الخادم زعم أن أبتاً التركي لم يكن صار إلى دجلة في هذا الوقت ، وأن المقيم كان هناك نُصير المعروف بأبي حمزة .

وذكر أن سليمان بن جامع لما فصل متوجّهاً إلى الحوانيت ، انتهى إلى موضع

(١) س : « يخبره أن » .

يعرف بنهر العتيق . وقد كان الجبائي سار في طريق الماديان^(١) ، فتلقاه رميس ، فواقعه الجبائي ، فهزمه ، وأخذ منه أربعاً وعشرين سُميريّة ونيّفًا وثلاثين صلفه^(٢) ، وأفلت رميس ، فاعتصم بأجمة لحاً إليها ، فأناه قوم من الجوخانيّين ، فأخرجوه منها فنجوا . ووافق المنهزمين من أصحاب رميس خروج سليمان من النهر العتيق ، فتلقاهم فأوقع بهم ، ونال منهم نيلا ، ومضى رميس حتى لحق بالموضع المعروف ببرمسور^(٣) ، وانحاز إلى سليمان جماعة من مذكوري البلاليّين وأنجادهم في خمسين ومائة سُميريّة ، فاستخبرهم عما أمامه ، فقالوا : ليس بينك وبين واسط أحدٌ من عمال السلطان وولاته . فاغترّ سليمان بذلك ، وركن إليه ، فسار حتى انتهى إلى الموضع الذي يعرف بالحازرة ، فتلقاه رجل يقال له أبو معاذ القرشيّ ، فواقعه ، فانهزم سليمان عنه ، وقتل أبو معاذ جماعة من أصحابه ، وأسر قائداً من قواد الزّنج ، يقال له رياح القنديل . فانصرف سليمان إلى الموضع الذي كان معسكراً به ، فأناه رجلاً من البلاليّة ، فقالا له : ليس بواسط أحد يدفع عنها غير أبي معاذ في الشّدّات الخمس التي لقيك بها . فاستعدّ سايمان وجمع أصحابه وكتب إلى الخبيث كتاباً مع البلاليّة الذين كانوا استأمنوا إليه وأنقذهم إلا جُمُيعَة يسيرة في عشر سُميريّات ، انتخبهم للمقام معه ، واحتبس الاثنين معه اللذين أخبراه عن واسط بما أخبراه به ، وصار قاصداً لنهر أبان ، فاعترض له أبو معاذ في طريقه ، وشبّت الحرب بينهما ، وعصفت الريح ، فاضطربت شذا أبي معاذ ، وقوى عليه سليمان وأصحابه ، فأدبر عنهم معرّداً ، ومضى سليمان حتى انتهى إلى نهر أبان ، فاقتحمه ، وأحرق وأنهب ، وسبى النساء والصبيان ، فانتهى الخبر بذلك إلى وكلاء كانوا لأبي أحمد في ضياع من ضياعه مقيمين بنهر سينداد ، فساروا إلى سليمان في جماعة ، فأوقعوا به وقعةً ، قتلوا فيها جمعاً كثيراً من الزّنج ، وانهزم سليمان وأحمد بن مهديّ ومن معهما إلى معسكرهما

١٩٠١/٣

١٩٠٢/٣

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن عثمان : لما استقرّ سليمان بن جامع بالخوانيت ، ونزل بنهر يعرف بيعقوب بن النضر ، وجّه رجلاً ليعرف خبر واسط

(١) م : « الماديان » . (٢) في القاموس : « الصلغة : السفينة الكبيرة » .

(٣) م : « برمسور » .

ومنَ فيها من أصحاب السلطان ؛ وذلك بعد خروج مسرور البلخي وأصحابه عنها ، لورود يعقوب إياها . فرجع إليه ، فأخبره بمسير يعقوب نحو السلطان ، وقد كان مسرور قبل شخوصه عن واسط إلى السَّيِّب وجّه إلى سليمان رجلاً يقال له وصيف الرّحال في شدّات ؛ فواقعه سليمان فقتله ، وأخذ منه سبع شدّات ، وقتل من ظفر به ، وألقى القتلى بالخوانيت ليُخلل الرّهبة في قلوب المجتازين بهم من أصحاب السلطان .

فلما ورد على سليمان خبرُ مسير مسرور عن واسط ، دعا سليمان عُمر ابن عمار خليفته ورجلاً من رؤساء الباهليّين يقال له أحمد بن شريك ، فشاورهما في التّحسُّن عن الموضع الذي تصل إليه الخيل والشدّات ، وأن يلتبس موضعاً يتصل بطريق متى أراد الهرب منه إلى عسكر الخبيث سلكه ، فأشارا عليه بالمصير إلى عقر ماور ، والتحصن بطهيشا والأدغال التي فيها . وكره الباهليون خروج سليمان بن جامع من بين أظهرهم لغمّسهم أيديهم معه ، وما خافوا من تعقب السلطان إياهم ، فحمل سليمان بأصحابه ماضياً في نهر البرور إلى طهيشا ، وأنفذ الجُباتي إلى النهر المعروف بالعتيق في السّميريات ، وأمره بالبدار إليه بما يعرف من خبر الشدا ، ومن يأتي فيها ومن أصحاب السلطان ، وخلف جماعة من السودان لإشخاص من تخلف من أصحابه ، وسار حتى وافى عقر ماور ، فتلّ القرية المعروفة بقرية مروان بالجانب الشرقي من نهر طهيشا في جزيرة هناك .

وجمع إليه رؤساء الباهليّين وأهل الطفوف ، وكتب إلى الخبيث يعلمه ما صنع ، فكتب إليه يصبّ رأيه ، ويأمره بإنفاذ ما قبله من ميرة ونعم وغنم ، فأنفذ ذلك إليه ، وسار مسرور إلى موضع معسكر سليمان الأول ، فلم يجد هناك كثير شيء ، ووجد القوم قد سبقوه إلى نقل ما كان في معسكرهم ، وانحدر أباً التركي إلى البطائح في طلب سليمان ؛ وهو يظن أنه قد ترك الناحية ، وتوجّه نحو مدينة الخبيث ففضى . فلم يقف لسليمان على أثر ، وكرّ راجعاً ، فوجد سليمان قد أنفذ جيشاً إلى الخوانيت ليطرُق من شدّة من عسكر مسرور ، فخالف الطريق الذي خاف أن يؤدّيه إليهم ، ومضى في طريق آخر ؛ حتى

انتهى إلى مسرور ، فأخبره أنه لم يعرف لسليمان خبراً .

وانصرف جيش سليمان إليه بما امتاروا ، وأقام سليمان ، فوجّه الجُبَّائِيَّ في السُّمِيرِيَّاتِ للوقوف على مواضع الطعام والمَيْسِرِ ^(١) والاحتِيَالِ في حَمَلِهَا . فكان الجُبَّائِيَّ لا ينتهي إلى ناحية فيجد فيها شيئاً من المَيْسِرَةِ إلّا أحرقه ، فساء ذلك سليمان ، فنهاه عنه فلم يَسْتَتِهْ ، وكان يقول : إن هذه المَيْسِرَةَ مادة لعدونا ، فليس الرأي ترك شيء منها .

فكتب سليمان إلى الخبيث يشكو ما كان من الجُبَّائِيَّ في ذلك ، فورد كتاب الخبيث على الجُبَّائِيَّ يأمره بالسمع والطاعة لسليمان ، والائتمار له فيما يأمره به ^(٢) .

وورد على سليمان أن أغرتمش وخشيشا قد أقبلا قاصدين إليه في الخيل والرِّجَالِ والشَّدَا والسُّمِيرِيَّاتِ ، يريدان واقعة . فجزع جزعاً شديداً ، وأنفذ الجُبَّائِيَّ ليعرف أخبارهما ، وأخذ في الاستعداد للقائهما ، فلم يلبث أن عاد إليه الجُبَّائِيَّ مهزوماً ، فأخبره أنهما قد وافيا باب طنج ؛ وذلك على نصف فرسخ من عسكر سليمان حينئذ ، فأمره بالرجوع والوقوف في وجه الجيش ، وشغله عن المصير إلى العسكر إلى أن يلحق به ؛ فلما أنفذ الجُبَّائِيَّ لِمَا وُجِّهَ له صعد سليمان سطحاً ، فأشرف منه ، فرأى الجيش مقبلاً ، فنزل مسرعاً ، فعبّر نهر طهيتا ، ومضى راجلاً ، وتبعه جمْعٌ من قوَّاد السودان حتى وافوا باب طنج ، فاستدبر أغرتمش ، وتركهم حتى جدُّوا في المسير إلى عسكره . وقد كان أمر الذي استخلفه على جيشه ألا يدع أحداً من السودان يظهور لأحد من أهل جيش أغرتمش ، وأن يخفوا أشخاصهم ما قدرُوا ، ويدعوا القوم حتى يتوغلوا النهر إلى أن يسمعوا أصوات طبوله ؛ فإذا سمعوها خرجوا عليهم ، وقصدوا أغرتمش .

فجاء أغرتمش بجيشه حتى لم يكن بينه وبين العسكر إلّا نهر يأخذ من طهيتا يقال له جارورة بنى مروان . فانهمز الجُبَّائِيَّ في السُّمِيرِيَّاتِ حتى وافى

(٢) ب : « في أمره » .

(١) ب : « من المير » .

طهيتا ، فخلف سُميرياته بها ، وعاد راجلا إلى جيش سليمان ، واشتدّ
 جزع أهل عسكر سليمان منه ، فتفرقوا أبادى سبا ، ونهضت منهم شِرْذمة فيها
 قائد من قوّاد السودان يقال له أبو النداء ، فتلقّوهم فواقعوهم ، وشغلوهم عن
 دخول العسكر ، وشدّ سليمان من وراء القوم ، وضرب الزّنج بطبوطهم ، وألقوا
 أنفسهم فى الماء للعبور إليهم ؛ فانهزم أصحابُ أغرتمش وشدّ عليهم مَنْ
 كان بطهيتا من السودان ، ووضعوا السيوف فيهم ، وأقبل خُشيش على أشوب
 كان تحته يريد الرجوع إلى عسكره ، فتلقّاه السودان ، فصرعوه وأخذته
 سيوفهم ، فقتل وحمل رأسه إلى سليمان ، وقد كان خُشيش حين ^(١) انتزعوا ١٩٠٦/٣
 إليه ، قال لهم : أنا خُشيش ؛ فلا تقتلوني ، وامضوا بى إلى صاحبكم . فلم يسمعوا
 لقوله وانهزم أغرتمش ، وكان فى آخر أصحابه ، ومضى حتى ألقى نفسه إلى
 الأرض ، فركب دابةً ومضى ، وتبعهم ^(٢) الزّنج حتى وصلوا إلى عسكرهم ؛
 فنالوا حاجتهم منه ، وظفروا بشدّوات كانت مع خُشيش ، وظفر الذين اتبعوا
 الجيش المولى بشدّوات كانت مع أغرتمش فيها مال . فلما انتهى الخبر إلى
 أغرتمش ، كرّر راجعاً حتى انتزعها من أيديهم ، ورجع سليمان إلى عسكره ،
 وقد ظفر بأسلاب ودواب ، وكتب بخبر الواقعة إلى قائد الزّنج ؛ وما كان منه
 فيها . وحمل إليه رأس خُشيش وخاتمه ، وأقرّ الشدّوات التى أخذها فى عسكره .
 فلما وافى كتابُ سليمان ورأس خُشيش ، أمر فطيف به فى عسكره ، ونصب
 يوماً ؛ ثم حمله إلى علىّ بن أبان ، وهو يومئذ مقيم بنواحى الأهواز ، وأمر بنصبه
 هناك ؛ وخرج سليمان والحبائى معه وجماعة من قوّاد السودان إلى ناحية الحوانيت
 مطرفين ، فتوافقوا هناك ثلاث عشرة شدّاة مع المعروف بأبى تميم أخى المعروف
 بأبى عتّون صاحب وصيف التركى ، فأوقعوا به ، فقتل وغرق ، وظفروا من
 شدّواته بإحدى عشرة شذاة .

قال محمد بن الحسن : هذا خبر محمد بن عثمان العبادانى ؛ فأما جيبّاش ؛
 فزعم أن الشدّا التى كانت مع أبى تميم كانت ثمانية ، فأقلت منها شدّاتان كانتا

(٢) ابن الأثير : « وتبعه » .

(١) ب : « - يث » .

١٩٠٧/٣

متأخريتين ، فضتنا بمنّ فيهما وأصاب سلاحاً ونهباً ، وأتى على أكثر منّ كان في تلك الشدّوات من الجيش ، ورجع سليمان إلى عسكره ، وكتب إلى الحبيث بما كان منه ^(١) من قتل المعروف بأبي تميم ، ومن كان معه واحتبس الشدّوات في عسكره .

* * *

وفيهما كبس ابن زيدويه الطيّب ، فأنهبها .

وفيهما ولّى القضاء علىّ بن محمد بن أبي الشوارب .

وفيهما خرج الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر من بغداد لليال بقين منه ، فصار إلى الجبل .

وفيهما مات الصّلابيّ ، وولّى الرّى كيغّلف .

ومات صالح بن علىّ بن يعقوب بن المنصور في ربيع الآخر منها . وولّى إسماعيل بن إسحاق قضاء الجانب الشرقيّ من بغداد ، فجمع له قضاء الجانبيين .

وفيهما قتل محمد بن عتاب بن عتاب ، وكان ولّى السّيسين فصار إليها ، فقتلته الأعراب .

وللنصف من شهر رمضان صار موسى بن بغا إلى الأنبار متوجّهاً إلى الرّقة . وفيها قتل أيضاً القطان صاحب مفليح ، وكان عاملاً بالموصل على الخراج ، فانصرف منها ، فقتل في الطريق .

وعقد فيها لكفتمر علىّ بن الحسين بن داود كاتب أحمد بن سهل اللطفيّ على طريق مكة في شهر رمضان .

١٩٠٨/٣

وفيهما وقع بين الحنّاطين والجزّارين بمكة قتال قبل يوم التّروية بيوم ، حتى خاف الناس أن يبطل الحج ، ثمّ تجاوزوا إلى أن يحجّ الناس ، وقد قتل

منهم سبعة عشر رجلاً .

وفيها غلب يعقوب بن الليث على فارس وهرب ابن واصل .

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين الزنج وأحمد بن ليثويه]

وفيها كانت وقعة بين الزنج وأحمد بن ليثويه، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر أبا داود الصعلوك وقد كان صار معهم^(١) .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسبب أسر الصعلوك :

ذكر أن مسرواً البلخي وجه أحمد بن ليثويه إلى ناحية كور الأهواز ، فلما وصل إليها نزل السوس ، وكان الصفار قد قلد محمد بن عبيد الله بن أزاذ مَرْد^(٢) الكردي كُور الأهواز ، فكتب محمد بن عبيد الله إلى قائد الزنج يطمعه في الميل إليه ، وقد كانت العادة جرت بمكاتبة محمد إياه من أول مخرجه ، وأوهمه أنه يتولى له كور الأهواز ويداري الصفار حتى يستوى له الأمر فيها ، فأجابه الخبيث^(٣) إلى ذلك على أن يكون عليّ بن أبان المتولى لها ، ويكون محمد بن عبيد الله يخلفه عليها ، فقبل محمد بن عبيد الله ذلك ، فوجه عليّ بن أبان أخاه الخليل بن أبان ، في جمع كثير من السودان وغيرهم ، وأيدهم محمد بن عبيد الله بأبي داود الصعلوك ، ففضوا نحو السوس ؛ فلم يصلوا إليها ، ودفعهم ابن ليثويه ومن كان معه من أصحاب السلطان عنها ، فانصرفوا مفلولين ، وقد قتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر منهم جماعة ، وسار أحمد بن ليثويه حتى نزل جندى سابور .

وسار عليّ بن أبان من الأهواز منجداً محمد بن عبيد الله على أحمد بن ليثويه ، فتلقاه محمد بن عبيد الله في جَمْع من الأكراد والصعاليك ؛ فلما قرب منه محمد بن عبيد الله سارا جميعاً ، وجعلا بينهما المسرقان ؛ فكانا يسيران

(١) س : « منهم » .

(٢) س : « أزامرد » ، ابن الأثير : « هزارمرد » .

(٣) ب : « الصفار » .

عن جانيبه ، ووجهه محمد بن عبيد الله رجلا من أصحابه في ثلثائة فارس ، فانضم إلى علي بن أبان ، فسار علي بن أبان ومحمد بن عبيد الله إلى أن وافيتا عسكر مكرم ، فصار محمد بن عبيد الله إلى علي بن أبان وحده ، فالتقيا وتحادثا ، وانصرف محمد إلى عسكره ، ووجهه إلى علي بن أبان القاسم بن علي ورجلا من رؤساء الأكراد ، يقال له حازم ، وشيخا من أصحاب الصفار يعرف بالطالقاني ، وأتوا علينا ، فسلموا عليه ، ولم يزل محمد وعلي على ألفة ، إلى أن وافى علي قنطرة فارس ، ودخل محمد بن عبيد الله تستر ، وانتهى إلى أحمد بن ليثويه تضافر علي بن أبان ومحمد بن عبيد الله على قتاله ، فخرج عن جندی سابور ، وصار إلى السوس . وكانت موافاة علي قنطرة فارس في يوم الجمعة ، وقد وعده محمد بن عبيد الله أن يخطب الخاطب يومئذ ، فيدعو لقائد الزنج ، وله على منبر تستر ، فأقام علي منتظرا ذلك ، ووجهه بهبوذ بن عبد الوهاب لحضور الجمعة وإتيانه بالخبر ؛ فلما حضرت الصلاة قام الخطيب ، فدعا للمعتمد والصفار ومحمد بن عبيد الله ، فرجع بهبوذ إلى علي بالخبر ، فنهض علي من ساعته ، فركب دوابه ، وأمر أصحابه بالانصراف إلى الأهواز ، وقدّمهم أمامه ، وقدّم معهم ابن أخيه محمد بن صالح ومحمد بن يحيى الكرماني خليفته ، وكاتبه وأقام حتى إذا جاوزوا كسر قنطرة كانت هناك لثلا يتبعه الخيل .

قال محمد بن الحسن : وكنت فيمن انصرف مع المتقدمين من أصحاب علي ، ومرّ الجيش في ليلتهم تلك مسرعين ، فانتهوا إلى عسكر مكرم في وقت طلوع الفجر ؛ وكانت داخلة في سلم الحبيث ، فنكت أصحابه ، وأوقعوا بعسكر مكرم ، وقالوا نهبا . ووافى علي بن أبان في أثر أصحابه ، فوقف على ما أحدثوا فلم يقدر على تغييره ، ففضى حتى صار إلى الأهواز ولما انتهى إلى أحمد بن ليثويه انصرف علي ، كرّ راجعا حتى وافى تستر ، فأوقع بمحمد بن عبيد الله ومن معه ، فأفلت محمد ، ووقع في يده المعروف بأبي داود الصعلوك ، فحمله إلى باب السلطان المعتمد ، وأقام أحمد بن ليثويه بتستر .

١٩١٠/٣

١٩١١/٣

قال محمد بن الحسن : فحدثني الفضل بن عدي الدارمي - وهو أحد
 مَنْ كان من أصحاب قائد الزنج انضم إلى محمد بن أبان أخى علي بن أبان
 قال : لما استقر أحمد بن ليثويه بتستر ، خرج إليه علي بن أبان بجيشه ،
 فنزل قرية يقال لها برنجان ، وجهه طلائع يأتونه بأخباره ، فرجعوا إليه ، فأخبروه
 أن ابن ليثويه قد أقبل نحوه ، وأن أوائل خيله قد وافت قرية تعرف بالباهليين ،
 فزحف علي بن أبان إليه ، وهويشتر أصحابه ، ويعدهم الظفر ، ويحكي
 لهم ذلك عن الخبيث . فلما وافى الباهليين تلقاه ابن ليثويه في خيله ، وهى زهاء
 أربعمائة فارس ، فلم يلبثوا أن أتاهم مدد خيل ، فكثرت خيل أصحاب السلطان
 واستأمن جماعة من الأعراب الذين كانوا مع علي بن أبان إلى ابن ليثويه ،
 وانهزم باقي خيل علي بن أبان ، وثبت جُمُيعَة من الرجال ، وتفرق عنه أكثرهم ،
 واشتد القتال بين الفريقين ، وترجل علي بن أبان ، وياشر القتال بنفسه راجلاً ،
 وبين يديه غلام من أصحابه يقال له فتش ، يعرف بـ غلام أبي الحديد ، فجعل
 يقاتل معه . وبصر بعلي أبو نصر سكتهب وبدر الرومي المعروف بالشعراني
 فعرفاه ، فأندر الناس به ، فانصرف هارباً حتى لجأ إلى المسرقان ، فألقى بنفسه
 فيه ، وتلاه فتش ، فألقى نفسه معه ، ففرق فتح ، ولحق علي بن أبان نصر المعروف
 بالرومي ، فتخلصه من الماء ، فألقاه في سُميرية ورُمي على يسهم ، وأصيب به
 في ساقه ، وانصرف مفلولاً ، وقتل من أنجاد السودان وأبطالهم جماعة كثيرة .

* * *

١٩١٢/٣

وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن العباس بن محمد .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ظفر عُزَيْر بن السريّ صاحب يعقوب بن الليث بمحمد ابن واصل وأخذه أسيراً .

وفيهما كانت بين موسى دالجويه والأعراب بناحية الأنبار وقعة ، فهزموه وقتلوه ، فوجّه أبو أحمد ابنه أحمد في جماعة من قوّاده في طلب الأعراب الذين قتلوا موسى دالجويه

وفيهما وثب الديّرائيّ بابن أوس فيبيته ليلاً ، وفرّق جمعه ، ونهب عسكره ، وأفلت ابن أوس ، ومضى نحو واسط .

وفيهما خرج في طريق الموصل رجلٌ من الفراغنة ، فقطع^(١) الطريق ، فظفّر به فقتل .

* * *

[ذكر الوقعة بين ابن ليثويه مع أخى عليّ بن أبان]

وفيهما أقبل يعقوب بن الليث من فارس ، فلما صار إلى النوبندجان انصرف أحمد بن ليثويه عن تَسْتَر ، وصار فيها يعقوب إلى الأهواز ، وقد كان لابن ليثويه قبل ارتحاله عن تَسْتَر وقعة مع أخى عليّ بن أبان ، ظفر فيها بجماعة كثيرة من زوجه .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

ذكر عن عليّ بن أبان ، أن ابن ليثويه لما هزمه في الوقعة التي كانت بينهما في الباهليتين ، فأصابه ما أصابه فيها ، ووافى الأهواز ، لم يبق بها ، ومضى

(١) ب : « يقطع » .

إلى عسكر صاحبه قائد الزنج، فعالج ما قد أصابه من الجراح حتى برأ، ثم كرّ راجعاً إلى الأهواز، ووجه أخاه الخليل بن أبان وابن أخيه محمد بن صالح المعروف بأبي سهل، في جيش كثيف إلى ابن ليشويه؛ وهو يومئذ مقيم بعسكر مكرّم، فسارا فيمن معهما، فلقيهما ابن ليشويه على فرسخ من عسكر مكرّم، قاصداً إليهما، فالتقى الجمعان، وقد كمن ابن ليشويه كميناً. فلما استحر^(١) القتال تطارد ابن ليشويه، فقطع الزنج فيه، فنبعوه حتى جاوزوا الكمين، فخرج من ورائهم؛ فانهزموا وتفرقوا، وكرّ عليهم ابن ليشويه، فنال حاجته منهم، ورجعوا مفلولين. فانصرف ابن ليشويه بما أصاب من الرعوس إلى تستر، ووجه على بن أبان أنكلويه مسلحة إلى المسرقان إلى أحمد بن ليشويه، فوجه إليه ثلاثين فارساً من جلد أصحابه، وانتهى إلى الخليل بن أبان مسير أصحاب ابن ليشويه إلى المسلحة، فكمن لهم فيمن معه، فلما وافوه خرج إليهم، فلم يفلت منهم أحد، وقتلوا عن آخرهم، وحملت رؤوسهم إلى على بن أبان، وهو بالأهواز، فوجهها إلى الخيث، وحينئذ أتى الصفار الأهواز، وهرب عنها ابن ليشويه.

* ذكر الخبر عما كان من أمر الصفار هنالك في هذه السنة : ١٩١٤/٣

ذكر أن يعقوب بن الليث لما صار إلى جندی سابور، نزلها وارتحل عن تلك الناحية كل من كان بها من قبل السلطان، ووجه إلى الأهواز رجلاً من قبله يقال له الحصن بن العنبر، فلما قاربها خرج عنها على بن أبان صاحب قائد الزنج، فنزل نهر السدرة، ودخل حصن الأهواز، فأقام بها، وجعل أصحابه وأصحاب على ابن أبان يغير بعضهم على بعض، فيصيب كل فريق منهم من صاحبه، إلى أن استعد على بن أبان، وسار إلى الأهواز، فأوقع بالحصن ومن معه وقعة غليظة، قتل فيها من أصحاب يعقوب خلقاً كثيراً، وأصاب خيلاً، وغنم غنائم كثيرة، وهرب الحصن ومن معه إلى عسكر مكرّم، وأقام على الأهواز حتى استباح ما كان فيها، ثم رجع^(٢) عنها إلى

نهر السدرة، وكتب إلى بهبؤذ يأمره بالإيقاع برجل من الأكراد من أصحاب الصفار كان مقيماً بدورق، فأوقع به بهبؤذ، فقتل رجاله وأسره، فن عليه وأطلقه، فكان على بعد ذلك يتوقع مسير يعقوب إليه فلم يسير، وأمد الحصن ابن العنبر بأخيه الفضل بن العنبر، وأمرهما بالكف عن قتال أصحاب الخبيث، والاقتصار على المقام^(١) بالأهواز. وكتب إلى على بن أبان يسأله المهادنة، وأن يقر أصحابه بالأهواز، فأبى ذلك على دون نقل طعام كان هناك^(٢)، فتجافى له الصفار عن نقل ذلك الطعام، وتجافى على للصفار عن علف كان بالأهواز، فنقل على الطعام، وترك العلف، وتكاف الفريقان، أصحاب على وأصحاب الصفار.

١٩١٥/٣

* * *

وفيهما توفى مساور بن عبد الحميد الشاري .
وفيهما مات عبيد الله بن يحيى بن خاقان، سقط عن دابته في الميدان من صدمة خادم له، يقال له رشيق، يوم الجمعة لعشر خلكون من ذي القعدة، فسأل من منخره وأذنه دم، فمات بعد أن سقط بثلاث ساعات، وصلى عليه أبو أحمد بن المتوكل، ومشي في جنازته، واستوزر من الغد الحسن بن مخلد .
ثم قدم موسى بن بغا سامراً لثلاث بقين من ذي القعدة، فهرب الحسن بن مخلد إلى بغداد، واستوزر مكانه سليمان بن وهب، لست ليال خلون من ذي الحجة، ثم ولي عبيد الله بن سليمان كتبة المقوض والموفق إلى ما كان يلي من كتبة موسى بن بغا، ودفعت دار عبيد الله بن يحيى إلى كيغسلغ .
وفيهما أخرج أخو شركب الحسين بن طاهر عن نيسابور، وغلب عليها، وأخذ أهلها بإعطائه ثلث أموالهم، وصار الحسين إلى مرو، وبها أخو خوارزم شاه يدعو لمحمد بن طاهر .

وفي هذه السنة سلمت الصقلية لؤلؤة إلى الطاغية .
وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل .

١٩١٦/٣

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك توجيهُ يعقوب الصفار جيشاً إلى الضيَّمة، فتقدَّمه إليها ، وأخذوا صيغون ومضى به إليه أسيراً ، فمات عنده .

ولاحدى عشرة خلت من المحرم ، عسكر أبو أحمد ومعه موسى بن بغا بالقائم ، وشيعةهما المعتمد، ثم شخصا من سامراً لليلتين خلتا من صفر ، فلما صارا ببغداد ، مات بها موسى بن بغا ، وحُمل إلى سامراً ، فدفن بها .

وفيهما في شهر ربيع الأول ماتت قبيصة أمّ المعتز .

وفيهما صار ابن الدَّيَّان إلى الدينور ، وتعاون ابن عياض ودلف بن عبد العزيز بن أبي دلف عليه ، فهزماه وأخذوا أمواله وضياعه ، ورجع إلى حلوان مقلولاً .

* * *

[خبر أسر الروم لعبد الله بن رشيد]

وفيهما أسرت الروم عبد الله بن رشيد بن كاوس .

* ذكر الخبر عن سبب أسرهم لإياه :

ذكر أن سبب ذلك كان ، أنه دخل أرض الروم في أربعة آلاف من أهل الثغور الشامية ، فصار إلى حصنين والمسكين ، فغم المسلمون ، وقفل ، فلما رحل عن البلد تدون ، خرج عليه بطريق سلوقية و بطريق قنديلية و بطريق قرّة وكوكب وخرشنة ، فأحدقوا بهم ، فقتل المسلمون فغرقوا^(١) دوابهم ، وقتلوا ، فقتلوا ، إلا خمسمائة أو ستائة ، وضعوا السياط في خواصر دوابهم ، وخرجوا ،

١٩١٧/٣

فقتل الروم مَن قتلوا ، وأسر عبد الله بن رشيد بعد ضربات أصابته ، وحُمِل إلى لؤلؤة ، ثم حُمِل إلى الطاغية على البريد .

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين محمد المولّد وقائد الزنج]

وفيها ولّى محمد المولّد واسطاً ، فحاربه سليمان بن جامع ، وهو عامل على ما يلي تلك الناحية من قبيل قائد الزنج ، فهزمه وأخرجه عن واسط فدخلها .

• ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسببها :

« ذكر أن السبب في ذلك كان أن سليمان بن جامع الموجه كان من قبل قائد الزنج إلى ناحية الحوانيت والبطائح ، لما هزم جعلان التركي عامل السلطان ، وأوقع بأغرتميش ، فقلّ عسكره ، وقتل خُشَيْشًا ، ونهب ما كان معهم ، كتب إلى صاحبه قائد الزنج يستأذنه في المصير إليه ، ليحدث به عهداً ، ويصلح أموراً من أمور منزله ؛ فلما أنفذ الكتاب بذلك ، أشار عليه أحمد بن مهدي الجبائي بتطرق^(١) عسكر البخاري ، وهو يومئذ مقيم ببردودا ، فقبل ذلك ، وسار إلى بردودا ، فوافي موضعاً يقال له أكرمهر ؛ وذلك على خمسة فراسخ من عسكر تكين . فلما وافي ذلك الموضع ، قال الجبائي لسليمان : إن الرأي أن تقيم أنت ها هنا ، وأمضي أنا في السُميريات ، فأجر^(٢) القوم إليك ، وأتبعهم فيأتوك وقد لغّبوا ، فتنال حاجتك منهم . ففعل سليمان ذلك ، فعبى خيله ورجاله في موضعه ذلك ، ومضى أحمد بن مهدي في السُميريات مُسحراً ، فوافي عسكر تكين ، فقاتله ساعة ، وأعدّ تكين خيلته ورجاله ، وتطارد الجبائي له ، وأنفذ غلاماً إلى سليمان يعلمه أن أصحاب تكين واردون عليه بخيلهم . فلقى الرسول سليمان ، وقد أقبل يقفوا أثر الجبائي لما أبطأ عليه خبره . فردّه إلى معسكره ، ووافى رسول آخر للجبائي بمثل الخبر الأوّل ، فلما رجع سليمان إلى عسكره ، أنفذ ثعلب بن حفص البحراني وقائداً من قواد الزنج ، يقال

١٩١٨/٣

(٢) م : « فأجر » .

(١) م : « بتطرق » .

له منينا في جماعة من الزنج، فجعلهما كميناً في الصحراء مما يلي ميسرة خيل تكين، وأمرهما إذا جاوزهم خيل تكين أن يخرجوا من ورائهم. فلما علم الجبائي أن سليمان قد أحكم لهم خيلته وأمر الكمين، رفع صوته لسمع أصحاب تكين، يقول لأصحابه: غررتموني وأهلكتموني، وقد كنت أمرتكم ألا تدخلوا هذا المدخل، فأبيتُم إلاّ اللقاء وأنفسكم هذا الملقى الذي لا أرانا ننجو منه. فقطع أصحاب تكين لما سمعوا قوله، وجدوا في طلبه، وجعلوا ينادون: بلبل في قفص. ١٩١٩/٣ وسار الجبائي سيراً حثيثاً، وأتبعوه يرشقونه بالسهم، حتى جاوزوا موضع الكمين، وقاربوا عسكر سليمان^(١)، وهو كامن من وراء الجدر في خيله وأصحابه، فرحف سليمان، فتلقت الحيش، وخرج الكمين من وراء الخيل، وثنى الجبائي صدور سميرياته إلى من في النهر، فاستحكمت الهزيمة عليهم من الوجوه كلها، وركبهم الزنج يقتلونهم ويسلبونهم؛ حتى قطعوا نحواً من ثلاثة فراسخ.

ثم وقف سليمان وقال للجبائي: نرجع فقد غنمنا وسلمنا، والسلامة أفضل من كل شيء. فقال الجبائي: كلا؛ قد نخبنا قلوبهم، ونفذت حيلتنا فيهم، والرأى أن نكسبهم في ليلتنا هذه، فلعلنا أن نزيلهم عن عسكرهم، ونفرض جمعهم. فأتبع سليمان رأى الجبائي، وصار إلى عسكر تكين، فوافاه في وقت المغرب، فأوقع به، ونهض تكين فيمن معه، فقاتل قتالا شديداً، فانكشف عنه سليمان وأصحابه. ثم وقف سليمان وعباً أصحابه، فوجّه شبلا في خيل من خيله، وضم إليه جمعاً من الرجال إلى الصحراء، وأمر الجبائي، فسار في السميريات في بطن النهر، وسار هو فيمن معه من أصحابه الخيالة والرجال، فتقدم أصحابه حتى وافى تكين، فلم يقف له أحد، وانكشفوا جميعاً وتركوا عسكرهم، فغنم ما وجد فيه، وأحرق العسكر، وانصرف إلى معسكره بما أصاب من الغنيمة^(٢). ووافى عسكره، فألقى كتاب الخبيث قد ورد بالإذن له في المصير إلى منزله، فاستخلف الجبائي، وحمل الأعلام التي أصابها من عسكر تكين والشدوات التي أخذها من المعروف بأبي تميم ومن خشييش ومن

(١) س: «موضع سليمان ومعسكره».

(٢) س: «القسم».

تكنين ، وأقبل حتى ورد عسكر الحبيث ؛ وذلك في جمادى الأولى من سنة أربع وستين ومائتين .

• • •

• ذكر الخبر عن السبب الذى من أجله تهيأ للزنج دخول

واسط ، وذكر الخبر عن الأحداث الحليلة فى سنة أربع وستين ومائتين :

ذكر أن الحبَّاتى يحيى بن خلف لما شخص سليمان بن جامع من معسكره بعد الوقعة التى أوقعها بتكنين إلى صاحب الزنج ، خرج فى السَّمِيرِيَّات بالعسكر الذى خلفه سليمان معه إلى مازروان لطلب الميرة ، ومعه جماعة من السودان ، فاعترضه أصحاب جُعلان ، فأخذوا سفناً كانت معه ، وهزموه ، فرجع مفلولاً حتى وافى طهيتا ، ووافته كتب أهل القرية ، يخبرونه أن منجور مولى أمير المؤمنين ومحمد بن على بن حبيب اليشكرى لما اتصل بهما خبر غيبة سليمان بن جامع عن طهيتا ، اجتمعا وجمعا أصحابهما ، وقصدا القرية ، فقتلا فيها وأحرقا وانصرفا ، وجلا من أفلت ممن كان فيها ، فصاروا إلى القرية المعروفة بالحجاجية ، فأقاموا بها^(١) . فكتب الحبَّاتى إلى سليمان بخبر ما وردت به كتب أهل القرية ، مع ما ناله من أصحاب جُعلان ، فأنهض قائد الزنج سليمان إلى طهيتا معجلاً ، فوافاه ، فأظهر أنه يقصد لقتال جُعلان ، وعبأ جيشه ، وقدَّم الحبَّاتى أمامه فى السَّمِيرِيَّات ، وجعل معه خيلاً ورجلاً ، وأمره بموافاة مازروان والوقوف بإزاء عسكر جُعلان ، وأن يظهر الخيل ويرعاها بحيث يراها أصحاب جُعلان ، ولا يتوقع بهم ، وركب هو فى جيشه أجمع إلا نفرأ يسيراً خلفهم فى عسكره ، ومضى فى الأهواز حتى خرج على المورين المعروفين بالربة والعمرة . ثم مضى نحو محمد بن على بن حبيب ، وهو يومئذ بموضع يقال له تلقَحْخَار ، فوافاه فأوقع به وقعةً غليظة ، قتل فيها قتلى كثيرة ، وأخذ خيلاً كثيرة وحاز غنائم جزيلة ، وقتل أخا لمحمد بن على ، وأفلت محمد ، ورجع سليمان ،

١٩٢١/٣

(١) ب : « فيها » .

فلما صار في صحراء بين البزاق والقرية وافته خيل لبني شيبان ، وقد كان فيمن أصاب سليمان بـتلفخار سيد من سادات بني شيبان ، فقتله وأسر ابنًا له صغيراً ، وأخذ حَجْرًا^(١) كانت تحته ، فأنتهى خبره إلى عشيرته ، فعارضوا سليمان بهذه الصحراء في أربعمائة فارس . وقد كان سليمان وجهه إلى عمير بن عمار خليفته بالطف حين توجه إلى ابن حبيب ، فصار إليه ، فجعله دليلاً لعلمه بتلك الطريق ، فلماً رأى سليمان خيل بني شيبان قدّم أصحابه أجمعين إلا عمير بن عمار فإنه انفرد ، فظفرت به بنو شيبان فقتلوه ، وحملوا رأسه ، وانصرفوا .

١٩٢٢/٣

وانتهى الخبر إلى الخبيث ، فعظم عليه قتل عمير ، وحمل سليمان إلى الخبيث ما كان أصاب من بلد محمد بن علي بن حبيب ؛ وذلك في آخر رجب من هذه السنة . فلما كان في شعبان نهض سليمان في جمّع من أصحابه ؛ حتى وافى قرية حسان ، وبها يومئذ قائد من قوَاد السلطان يقال له جيش ابن حمرتكين ، فأوقع به ، فأجفل عنه ، وظفر بالقرية فأنتهبها ، وأحرق فيها وأخذ خيلاً ، وعاد إلى عسكره . ثم خرج لعشر خلون من شعبان إلى الحوانيت ، وأصعد الجبائي في السميريّات إلى برمساور ، فوجد هناك صلاحاً فيها خيل من خيل جُعْلان ، كان أراد أن يوافي بها نهر أبان . وقد كان خرج إلى ما هناك متصيّداً ، فأوقع الجبائي بتلك الصلاخ ، فقتل من فيها ، وأخذ الخيل — وكانت اثني عشر فرساً — وعاد إلى طهيثا . ثم نهض سليمان إلى تلّ رمانا ، لثلاث بقين من شعبان فأوقع بها ، وجلا عنها أهلها ، وحاز ما سكان فيها . ثم رجع إلى عسكره ، ونهض لعشر ليال خلكون من شهر رمضان إلى الموضع المعروف بالحازرة ، وأبأ يومئذ هناك ، وجُعْلان بمازروان .

١٩٢٣/٣

وقد كان سليمان كتب إلى الخبيث في التوجيه إليه بالشّذا ، فوجه إليه عشر شلوات ، مع رجل من أهل عبّادان يقال له الصقر بن الحسين ، فلماً وافى سليمان الصقر بالشّذا أظهر أنه يريد جُعْلان ، وبادرت^(٢) الأخبار إلى جُعْلان

(١) الحجر : الأنثى من الخيل ، وف ب : « فرس » . (٢) ابن الأثير : « فبلنت » .

بأن سليمان يريد موافاته ؛ فكانت همته ضبط عسكره . فلما قَرُبَ سليمان من موضع أبّا مال إليه ، فأوقع به ، وألفاه غاراً بمجيئه ، فنال حاجته ، وأصاب ستّ شدّوات .

قال محمد بن الحسن : قال جبّاش : كانت الشّدّوات ثمانية ، وجدها في عسكره ، وأحرق شدّاتين كانتا على الشطّ ، وأصاب خيلاً وسلاحاً وأسلاباً ، وانصرف إلى عسكره ، ثم أظهر أنه يريد قصد تكين البخاري ، وأعدّ مع الجبّائي وجعفر بن أحمد خال ابن الخبيث الملعون المعروف بأنكلاى سفناً . فلما وافت السفن عسكر جُعْلان ، نهض إليها ، فأوقع بها ، وحازها وأوقع سليمان من جهة البرّ ، فهزمه إلى الرّصافة ، واسترجع سفنه ، وحاز سبعة وعشرين فرساً ومهرين من خيل جُعْلان وثلاثة أبغل ، وأصاب نهباً كثيراً وسلاحاً ، ورجع إلى طهيتا .

قال محمد : أنكر جبّاش أن يكون لتكين في هذا الموضع ذكر ، ولم يعرف خبر العباداني في تكين^(١) ، وزعم أنّ القصد لم يكن إلّا إلى جُعْلان ، وقد كان خبره خفيّ على أهل عسكره حتى أرجفوا بأنه قد قُتِلَ وقتل الجبّائي معه ، فجزعوا أشدّ الجزع ، ثم ظهر خبره وما كان منه من الإيقاع بجعلان ، فسكنوا وقرّوا إلى أن وافى^(٢) سليمان ، وكتب بما كان منه إلى الخبيث ، وحمل أعلاماً وسلاحاً ، ثم صار سليمان إلى الرّصافة في ذى القعدة ، فأوقع بمطر بن جامع ، وهو يومئذ مقيم بها ، فغنم غنائم كثيرة ، وأحرق الرّصافة ، واستباحها ، وحمل أعلاماً إلى الخبيث ، وانحدر لخمس ليالٍ خلون من ذى الحجة سنة أربع وستين ومائتين إلى مدينة الخبيث ، فأقام ليعيّد هناك ويقيم في منزله ، ووافى مطر بن جامع القرية المعروفة بالحجّاجية ، فأوقع بها ، وأسّر جماعة من أهلها . وكان القاضي بها من قبل سليمان رجلاً من أهلها يقال له سعيد بن السيد العدويّ ، فأسرّ وحُمِلَ إلى واسط هو وثعلب بن حفص وأربعة قوّاد كانوا معه ، فصاروا إلى الحرجليّة على فرسخين ونصف من طهيتا ، ومضى الجبّائيّ في الخيل والرجل

١٩٢٤/٣

(١) ب : « وتكين » .

(٢) ب : « فوافيا » .

لمعارضة مطر ، فوافى الناحية وقد نال مطر ما نال منها ، فانصرف عنها ، وكتب إلى سليمان بالخبر ، فوافى سليمان يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة من هذه السنة ، ثم صرف جُعْلان، ووافى أحمد بن ليثويه ، فأقام بالشديديّة ، ومضى سليمان إلى موضع يقال له نهر أبان ، فوجد هناك قائداً من قواد ابن ليثويه يقال له طُرُناج ، فأوقع به وقتله .

قال محمد : قال جبّاش : المقتول بهذا الموضع بينك ، فأما طُرُناج فإنه قتلَ بمازروان . ثم وافى الرصافة ، وبها يومئذ عسكر مطر بن جامع ، فأوقع به ، فاستباح عسكره ، وأخذ منه سبع شدّوات ، وأحرق شدّاتين ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين .

قال محمد : قال جبّاش : كانت هذه الواقعة بالشديديّة ، والذي أخذ يومئذ ستّ شدّوات ، ثم مضى سليمان في خمس شدّوات ، ورجب فيها صناديد قواده وأصحابه ، فواقعه تكين البخاريّ بالشديديّة ، وقد كان ابن ليثويه حينئذ صار إلى ناحية الكوفة وجنّبلَاء، فظهر تكين على سليمان ، وأخذ منه الشدّوات التي كانت معه بآلتها وسلاحها ومقاتلتها ، وقتل في هذه الواقعة جيلة قواد سليمان .

ثم زحف ابن ليثويه إلى الشديديّة ، وضبط تلك النواحي إلى أن ولّى أبو أحمد محمداً المولّد واسطاً .

قال محمد : قال جبّاش : لما وافى ابن ليثويه الشديديّة سار إليه سليمان ، فأقام يومين يقاتله ، ثم تطارد له سليمان في اليوم الثالث ، وتبعه ابن ليثويه فيمن تسرّع معه ، فرجع إليه سليمان ، فألقاه في فوّهة بردودا ، فتخلص بعد أن أشقى على الغرق . وأصاب سليمان سبع عشرة دابة من دواب ابن ليثويه .

قال : وكتب سليمان إلى الخبيث يستمدّه ، فوجّه إليه الخليل بن أبان في زهاء ألف وخمسمائة فارس ، ومعه الملوّب ، فقصد عند موافاة هذا المدد إياه لمحاربة محمد المولّد ، فأوقع به فهرب المولّد، ودخل الزنج واسطاً ، فقتل بها

خلق كثير ، وانتهبت وأحرقت ، وكان بها إذ ذاك كنجور البخاري ، فحامي يومه ذلك إلى وقت العصر ، ثم قتل . وكان الذي يقود الخيل يومئذ في عسكر سليمان بن جامع الخليل بن أبان وعبد الله المعروف بالمدوب . وكان الحبائي في السميريات ، وكان الزنجي بن مهربان في الشذوات ، وكان سليمان بن جامع في قواده من السودان ورجاله منهم ، وكان سليمان بن موسى الشعراني وأخواه في خيله ورجله مع سليمان بن جامع ، فكان القوم جميعاً يداً واحدة . ثم انصرف سليمان بن جامع عن واسط ، ومضى بجميع الجيش إلى جَنْبُلَاءَ ليعيث ويخرب ، ووقع بينه وبين الخليل بن أبان اختلاف ، فكتب الخليل بذلك إلى أخيه علي بن أبان ، فاستعفى له قائد الزنج من المقام مع سليمان ، وأذن للخليل بالرجوع إلى مدينة الحبيث مع أصحاب علي بن أبان وغلمانه ، وتخلف المدوب في الأعراب مع سليمان ، وأقام بمعسكره أياماً ، ثم مضى إلى نهر الأمير ، فمعسكره ، ووجه الحبائي والمدوب إلى جَنْبُلَاءَ ، فأقاما هنالك تسعين ليلة ، وسليمان معسكر بنهر الأمير .

١٩٢٦/٣

قال محمد : قال جيش : كان سليمان معسكراً بالشديدة .

* * *

[ذكر خبر خروج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا]

وفي هذه السنة خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا ، ومعه الحسن ابن وهب ، وشيعة أحمد بن الموفق ومسرور البلخي وعامة القواد ، فلما صار بسامرا غضب عليه المعتمد وحبه وقيده ، وانتهب داره ودارى ابنه وهب وإبراهيم ، واستوزر الحسن بن مخلد لثلاث بقين من ذي القعدة ، فشخص الموفق من بغداد ومعه عبيد الله بن سليمان ، فلما قرب أبو أحمد من سامرا تحول المعتمد إلى الجانب الغربي ، فمعسكره ، ونزل أبو أحمد ومن معه جزيرة المؤيد ، واختلفت الرسل بينهما . فلما كان بعد أيام خلت من ذي الحجة ، صار المعتمد إلى حرّاقة في دجلة ، وصار إليه أخوه أبو أحمد في زلّال ، فخلع على أبي أحمد وعلى مسرور البلخي وكيع غلغ وعبد الله بن موسى

١٩٢٧/٣

ابن بغا . فلما كان يوم الثلاثاء لثمان خلون من ذى الحجة يوم التروية عبّر أهل عسكر أبي أحمد إلى عسكر المعتمد ، وأطلق سليمان بن وهب ، ورجع المعتمد إلى الجوسق ، وهرب الحسن بن مخلّد وأحمد بن صالح بن شيرزاد ، وكتب في قبض أموالهما وأموال أسبابهما ، وجس أحمد بن أبي الأصبغ ، وهرب القواد المقيمون كانوا بسامرا إلى تكريت ، وتغيّب أبو موسى بن المتوكل ، ثم ظهر . ثم شخص القواد الذين كانوا صاروا إلى تكريت إلى الموصل ، ووضعوا أيديهم في الجباية .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي الكوفي .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر الوقعة بين أحمد بن ليثويه وسليمان قائد الزنج]

فمن ذلك ما كان من وقعة كانت بين أحمد بن لَيْسْثَوِيَه وسليمان بن جامع قائد صاحب الزنج بناحية جَنْبُلَاءَ .

• ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسببها :

١٩٢٨/٣

ذكر أن سليمان بن جامع كتب إلى صاحب الزنج ، يخبره بحال نهر يعرف بالزهيري ، ويسأله الإذن له في النفقة على إنقاذ كَرَّيْهِ إلى سَوَاد الكوفة والبرار ، ويُعَلِّمُهُ أن المسافة في ذلك قريبة ، وأنه متى أنفذه تهيأ له بذلك حَمَل كل ما بناوحى جَنْبُلَاءَ وسواد الكوفة من الميرة ^(١) . فوجه الحبيث بذلك رجلاً يقال له محمد بن يزيد البصري ، وكتب إلى سليمان بإزاحة عِلَّه في المال والإقامة معه في جيشه إلى وقت فراغه ، مما وُجِّه له ، فضى سليمان بجميع جيشه حتى أقام بالشريطبة نحواً من شهر ، وألقى الفعلة في النهر ؛ وخلال ذلك ما كان سليمان يتطرق ما حوله من أهل خُسْرُ سابور ؛ وكانت الميرة تتصل به من ناحية الصين وما والاها إلى أن واقعه ابن لَيْسْثَوِيَه عامل أبي أحمد على جَنْبُلَاءَ ، فقتل له أربعة عشر قائداً .

قال محمد بن الحسن : قتل سبعة وأربعين قائداً وخلَقَ من الخلق لا يحصى كثرة ، واستبيح عسكره ، وأحرقت سفنه ، وكانت مقيمة في هذا النهر الذي كان مقيماً على إنفاذه ، فضى مفلولا حتى وافى طهيتا ، فأقام بها ، ووافى الجُبَّائِي في عقب ذلك ، ثم أصعد فأقام بالموضع المعروف ببرتمرتا ، واستخلف

١٩٢٩/٣ على الشَّدَوَاتِ الاشتِيَامِ الذي يقال له الزنجي بن مهربان ، وقد كان السلطان وجه نَصِيرًا لتقييد شامرج ، وحمله إلى الباب ، وتقلد ما كان يتقلده ، فوافي نصير الزنجي بن مهربان بعد حمله شامرج مقيداً بنهر برتمرتا ، وأخذ منه تسع شَدَوَاتِ ، واسترد الزنجي منها ستاً .

قال محمد بن الحسن : أنكر جبّاش أن يكون الزنجي بن مهربان استرد من الشَّدَوَاتِ شيئاً ، وزعم أن نصيراً ذهب بالشَّدَوَاتِ أجمع ، وانصرف إلى طهيها ، وبادر بالكتاب إلى سليمان ، ووافاه . فأقام سليمان بطهيها إلى أن اتصل به خبر إقبال الموفق .

• • •

وفيها أوقع أحمد بن طولون بسيا الطويل بأنطاكية ، فحصره بها ، وذلك في المحرم منها ، فلم يزل ابن طولون مقيماً عليها حتى افتتحها ، وقتل سيما . وفيها وثب القاسم بن مماه بدلف بن عبد العزيز بن أبي دلف بأصبهان ، فقتله . ثم وثب جماعة من أصحاب دلف على القاسم ، فقتلوه ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز .

وفيها لحق محمد المولّد ببعقوب بن الليث ، فصار إليه ، وذلك في المحرم منها ، فأمر السلطان بقبض أمواله وعقاراته .

١٩٣٠/٣ وفيها قتل الأعراب جعلان المعروف بالعيّار يد مماً ، وكان خرج لبذرقة قافلة ، فقتلوه ؛ وذلك في جمادى الأولى ؛ فوجّه السلطان في طلب الذين قتلوه جماعة من الموالى ، فهرب الأعراب ، وبلغ الذين شخصوا في طلبهم عين التمر ، ثم رجعوا إلى بغداد ، وقد مات منهم من البرد جماعة ؛ وذلك أن البرد اشتد في تلك الأيام ودام أياماً ، وسقط الثلج ببغداد .

وفيها أمر أبو أحمد بجبس سليمان بن وهب وابنه عبيد الله ، فحبسا وعدة من أسبايهم في دار أبي أحمد ، وانتهت دور عِدّة من أسبايه ، ووكل بحفظ داري سليمان وابنه عبيد الله ، وأمر بقبض ضياعهما وأموالهما وأموال

أسبابهما وضياعهم خلا أحمد بن سليمان . ثم صولح سليمان وابنه عبيد الله على تسعمائة ألف دينار، وصيّرًا في موضع يصل إليهما من أحبّا .

وفيها عسكر موسى بن أتامش وإسحاق بن كُنداجيق وبنغجور بن أرخوز والفضل بن موسى بن بغا بباب الشماسية، ثم عبروا جسر بغداد، فصاروا إلى السفينتين، وتبعهم أحمد بن الموفق، فلم يرجعوا، ونزلوا صرّصر .

وفيها استكتب أبو أحمد صاعد بن مخلّد؛ وذلك لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الآخرة، وخلع عليه، ففضى صاعد إلى القواد بصرّصر، ثم بعث أبو أحمد ابنه أحمد إليهم، فناظرهم فانصرفوا معه فخلع عليهم .

وفيها خرج - فيما ذكر - خمسة من بطارقة الروم في ثلاثين ألفاً من الروم إلى أذنة، فصاروا إلى المصلّى (١) .

وأسروا أرخوز - وكان والي الثغور - ثم عزّل، فربط هناك فأسير، وأسير معه نحو من أربعمئة رجل، وقتلوا ممّن نفر إليهم نحواً من ألف وأربعمئة رجل، وانصرفوا اليوم الرابع، وذلك في جمادى الأولى منها .

وفي رجب منها عسكر موسى بن أتامش وإسحاق بن كُنداجيق وبنغجور ابن أرخوز بنهر ديبالى .

وفيها غلب أحمد بن عبد الله الخُجُستانيّ على نيسابور، وصار الحسين ابن طاهر عامل محمد بن طاهر إلى مرو، فأقام بها وأخو شركب الجمال بين الحسين والخُجُستانيّ أحمد بن عبد الله .

وفيها أخربت طوس .

وفيها استورز إسماعيل بن بلبّل .

وفيها مات يعقوب بن الليث بالأهواز وخلفه أخوه عمرو بن الليث؛ وكتب عمرو إلى السلطان بأنه سامع له ومطيع؛ فوجه إليه أحمد بن أبي الأصبع في ذى القعدة منها .

وفيهما قتلت جماعة من أعراب بني أسد على بن مسرور البلخي بطريق مكة قبل مصيره إلى المغيثة ، وكان أبو أحمد ولي محمد بن مسرور البلخي طريق مكة ، فولاه أخاه على بن مسرور .

وفيهما بعث ملك الروم بعبد الله بن رشيد بن كاوس الذي كان عامل الثغور فأسير إلى أحمد بن طولون مع عيدة من أسراء المسلمين وعيدة مصاحف هدية منه له .

وفيهما صارت جماعة من الزنج في ثلاثين سُميرية إلى جبيل ، فأخذوا أربع سفن فيها طعام ، ثم انصرفوا .

١٩٣٢/٣ وفيها لحق العباس بن أحمد بن طولون مع مَنْ تبعه ببرقة ، مخالفاً لأبيه أحمد ، وكان أبوه أحمد استخلفه — فيما ذكر — على عمله بمصر لما توجه إلى الشام ؛ فلما انصرف أحمد عن الشام راجعاً إلى مصر حمل العباس ما في بيت مال مصر من الأموال ، وما كان لأبيه هناك من الأثاث وغير ذلك . ثم مضى إلى برقة ، فوجه إليه أحمد جيشاً ، فظفروا به وردّوه إلى أبيه أحمد ، فحبسه عنده ، وقتل لسبب ما كان منه جماعة كانوا شايعوا ابنه على ذلك .

وفيهما دخل الزنج النعمانية ، فأحرقوا سوقها ، وأكثر منازل أهلها ، وسبوا ، وصاروا إلى جرجرآيا ، ودخل أهل السواد بغداد .

وفيهما ولّى أبو أحمد عمرو بن الليث خراسان وفارس وأصبهان وسجستان وكرمان والسند ، وأشهد له بذلك ، ووجه بكتابه إليه بتوليته ذلك مع أحمد ابن أبي الأصمغ ، ووجه إليه مع ذلك العهد والعقد والخلع .

وفي ذى الحجة منها صار مسرور البلخي إلى النيل ، فتنحى عنها عبد الله ابن ليثويه في أصحاب أخيه ، وقد أظهر الخلاف على السلطان ، فصار ومن معه إلى أحمد أياذ ، فتبعهم مسرور البلخي يريد محاربتهم ؛ فبدر^(١) عبد الله ابن ليثويه ومن كان معه ، فترجلوا لمسرور ، وانقادوا له بالسمع والطاعة ،

١٩٣٢/٣

وعبد الله بن ليثويه نزع سيفه ومنطقته فعلقهما في عنقه ، يعتذر إليه ، ويخلف أنه حمل على ما فعل ، فقبل منه ، وأمر فخلع عليه وعلى عدة من القواد معه .

[ذكر خبر شخص تكين البخاري إلى الأهواز]

وفيها شخص تكين البخاري إلى الأهواز مقدمة لمسرور البلخي .

• ذكر الخبر عما كان من أمر تكين بالأهواز حين صار إليها :

ذكر محمد بن الحسن أن تكين البخاري ولأه مسرور البلخي كور الأهواز حين ولأه أبو أحمد عليها ، فتوجه تكين إليها ، فوافاها ، وقد صار إليها علي بن أبان المهلبی ، فقصده تستر^(١) ، فأحاط بها في جمع كثير من أصحابه الزنج وغيرهم ؛ فراع ذلك أهلها ، وكادوا أن يسلموها ، فوافاها تكين في تلك الحال ، فلم يضع عنه ثياب السفر ؛ حتى واقع علي بن أبان وأصحابه ؛ فكانت الدبرة على الزنج ، فقتلوا وهزموا وتفرقوا ، وانصرف علي فimen بقي معه مفلولاً مدحوراً ، وهذه وقعة باب كودك المشهورة .

ورجع تكين البخاري ، فنزل تستر ، وانضم إليه جمع كثير من الصعاليك وغيرهم ، ورحل إليه علي بن أبان في جمع كثير من أصحابه ، فنزل شرق المسرقان ، وجعل أخاه في الجانب الغربي في جماعة من الخيل ، وجعل رجاله الزنج معه ، وقدم جماعة من قواد الزنج ؛ منهم أنكلويه وحسين المعروف بالحمامي وجماعة غيرهما^(٢) ، فأمرهم بالمقام بقطرة فارس .

١٩٣٤/٣

وانتهى الخبر بما دبره علي بن أبان إلى تكين ، وكان الذي نقل إليه الخبر غلاماً يقال له وصيف الرومي ، وهرب إليه من عسكر علي بن أبان ، فأخبره بمقام هؤلاء القوم بقطرة فارس ، وأعلمه تشاغلهم بشرب النبيذ وتفرق أصحابهم^(٣) في جمع الطعام ، فسار إليهم تكين في الليل في جمع من أصحابه ، فأوقع بهم ؛ فقتل من قواد الزنج أنكلويه والحسين المعروف بالحمامي ومفرج

(١) س : « تستر » . (٢) س : « غيرهم » . (٣) ب : « أصحابه » .

المكنى أبا صالح وأنذرون ، وانهزم الباقون ، فلهقوا بالخليل بن أبان ، فأعلموه ما نزل بهم ؛ وسار تكين على شرق المسرفان حتى لقي علي بن أبان في جمعه ، فلم يقف له علي وانهزم عنه ، وأسِر غلام لعلّي من الخيالة يعرف بجعفر وويه ، ورجع علي والخليل في جمعهما إلى الأهواز ، ورجع تكين إلى تُسْتَر ، وكتب علي بن أبان إلى تكين يسأله الكف عن قتل جعفر وويه . فحبسه ، وجرت بين تكين وعلي بن أبان مراسلات وملاطفات ، وانتهى الخبر بها إلى مسرور ، فأنكرها . وانتهى إلى مسرور أن تكين قد ساءت طاعته ، وركن إلى علي بن أبان ومأيله .

قال محمد بن الحسن : فحدثني محمد بن دينار ، قال : حدثني محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علي المأموني الباذغيسي — وكان من أصحاب تكين البخاري — قال : لما انتهى إلى مسرور الخبر بالثبات تكين عليه توقف^(١) حتى عرف صحة أمره ، ثم سار يريد كُور الأهواز وهو مظهر الرضا عن تكين والإحماذ لأمره ، فجعل طريقه على شابرزان ، ثم سار منها حتى وافى السوس ، وتكين قد عرف ما انتهى إلى مسرور من خبره ، فهو مستوحش من ذلك ومن جماعة كانت تبعته عند مسرور من قواده ، فجرت بين مسرور وتكين رسائل حتى أمن تكين ، فصار مسرور إلى وادي تُسْتَر ، وبعث إلى تكين ، فعبّر إليه مسلماً ، فأمر به فأخذ سيفه ، ووكل به ؛ فلما رأى ذلك جيش تكين انفضوا من ساعتهم ، ففرقة منهم صارت إلى ناحية صاحب الزنج ، وفرقة صارت إلى محمد بن عبيد الله الكردي . وانتهى الخبر إلى مسرور ، فبسط الأمان لمن بقي من جيش تكين ، فلهقوا به .

قال محمد بن عبد الله بن الحسن المأموني : فكنت أحد الصائرين إلى عسكر مسرور ، ودفع مسرور تكين إلى إبراهيم بن جُعْلان ، فأقام في يده محبوساً ، حتى وافاه أجله فتوفي .

وكان بعض أمر مسرور وتكين الذي ذكرناه في سنة خمس وستين ، وبعضه في سنة ست وستين .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحق بن موسى بن عيسى
الهاشمي .

وفيها كانت موافاة المعروف بأبي المغيرة بن عيسى بن محمد الخزومي متغلباً
بزنج معه على مكة .

١٩٣٦/٣

ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تولية عمرو بن الليث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر خلافة على الشرطة ببغداد وسامراً في صفر ، وخلع أبي أحمد عليه ، ثم مصير عبيد الله بن عبد الله إلى منزله ، فخلع عليه فيه خلعة عمرو بن الليث ، وبعث إليه عمرو بعمود من ذهب .

وفي صفر منها غلب أساتكين على الرّى ، وأخرج عنها طلحة مجبور العامل كان عليها ، ثم مضى هو وابنه أذكوتكين إلى قزوين ، وعليها أبرون أخو كيغلاغ ، فصالحاه ودخلا قزوين ، وأخذوا محمد بن الفضل بن سنان العجلي ، فأخذوا أمواله وضياعه ، وقتله أساتكين . ثم رجع إلى الرّى ، فقاتله أهلها فغلبهم ودخلها .

وفيها وردت سرية من سرايا الرّوم تلّ بَسْمَى من ديار ربيعة ، فقتلت من المسلمين ، وأسرت نحواً من مائتين وخمسين إنساناً ، فنفر أهل نصيبين وأهل الموصل ، فرجعت الروم .

وفيها مات أبو الساج بجند يسابور في شهر ربيع الآخر ، منصرفاً عن عسكر عمرو بن الليث إلى بغداد ، ومات قبله في الحرم منها سليمان بن عبد الله ابن طاهر .

وولّى عمرو بن الليث فيها أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف أصبهان .

وولّى فيها محمد بن أبي الساج الحرّمين وطريق مكة .

وفيها ولّى أغرتمش ما كان تكين البخارى يليه من عمال الأهواز ، فسار أغرتمش إليها ، ودخلها في شهر رمضان ، فذكر محمد بن الحسن أن مسروراً وجه أغرتمش وأباً ومطّر بن جامع لقتال على بن أبان ، فساروا حتى انتهوا إلى تستانر ، فأقاموا بها ، واستخرجوا من كان في حبس تكين ، وكان فيه جعفرويه في جماعة من أصحاب قائد الزنج ، فقتلوا جميعاً . وكان مطر بن

جامع المتولّي قتلهم، ثم ساروا حتى وافقوا عسكر مكرم، ورحل إليهم عليّ ابن أبان، وقدّم أمامه إليهم الخليل أخاه، فصار إليهم الخليل، فوافقهم وتلاه عليّ، فلما كثر عليهم جمع الزنج، قطعوا الجسر وتحاجزوا، وجنّهم الليل، فانصرف عليّ بن أبان في جميع أصحابه، فصار إلى الأهواز، وأقام الخليل فيمن معه بالمسرّقان، وأتاه الخبر بأن أغرتمش وأبنا ومطر بن جامع قد أقبلوا نحوه، ونزلوا الجانب الشرقي من قنطرة أربل ليبروا إليه، فكتب الخليل بذلك إلى أخيه عليّ بن أبان، فرحل عليّ إليهم^(١) حتى وافاهم بالقنطرة، ووجه إلى الخليل يأمره بالمصير إليه، فوافاه وارتاع من كان بالأهواز من أصحاب عليّ، فقلعوا عسكره، ومضوا إلى نهر السدرة، ونشبت الحرب بين عليّ بن أبان وقواد السلطان هناك؛ وكان ذلك يومهم، ثم تحاجزوا. وانصرف عليّ بن أبان إلى الأهواز، فلم يجد بها أحداً، ووجد أصحابه أجمعين قد لحقوا بنهر السدرة، فوجه إليهم من يردّهم، فعسر ذلك عليه فتبعهم، فأقام بنهر السدرة، ورجع قواد السلطان حتى نزلوا عسكر مكرم؛ وأخذ عليّ ابن أبان في الاستعداد لقتالهم. وأرسل إلى بهبوذ بن عبد الوهاب، فأتاه فيمن معه من أصحابه، وبلغ أغرتمش وأصحابه ما أجمع عليه من المسير إليهم عليّ، فساروا نحوه، وقد جعل عليّ بن أبان أخاه على مقدّمته، وضمّ إليه بهبوذ وأحمد بن الزرنجى، فالتقى الفريقان بالدفّ ولاب. فأمر عليّ الخليل بن أبان أن يجعل بهبوذ كميناً، فجعله. وسار الخليل حتى لقي القوم، ونشبت القتال بينهم، فكان أول نهار ذلك اليوم لأصحاب السلطان، ثم جالوا جولة وخرج عليهم الكمين، وأكبّ الزنج لإكبابه، فهزموهم، وأسير مطر بن جامع، صيرع عن فرس كان تحته، فأخذه بهبوذ، فأتى به عليّاً، وقتل سيماء المعروف بصغراج في جماعة من القواد.

ولمّا وافى بهبوذ عليّاً بمطر، سأله مطر استبقاءه، فأبى ذلك عليّ، وقال: لو كنت أبقيت على جعفر ونيه لأبقينا عليك. وأمر به فأدنى إلى، فضرِب عنقه بيده.

١٩٣٨/٣

١٩٣٩/٣

ودخل على بن أبان الأهواز ، وانصرف أغرتمش وأبناً فيمن أفلت معهما ، حتى وافيا تُسْتَر ، ووجهه على بن أبان بالرعوس إلى الخبيث ، فأمر بنصبها على سور مدينته .

قال : وكان على بن أبان بعد ذلك يأتي أغرتمش وأصحابه ، فتكون الحرب بينهم سجالاً عليه وله ، وصرف الخبيث أكثر جنوده إلى ناحية على بن أبان ، فكثروا على أغرتمش ، فركن إلى المودة ، وأحب على بن أبان مثل ذلك ، فتهاذنا . وجعل على بن أبان يُغَيِّر على النواحي ، فن غاراته مصيره إلى القرية المعروفة ببيروذ ، فظهر عليها ، ونال منها غنائم كثيرة ، فكتب بما كان منه من ذلك إلى الخبيث ، ووجهه بالغنائم التي أصابها وأقام .

* * *

وفيها فارق إسحاق بن كُندَجِيق عسكر أحمد بن موسى بن بَغَا ، وذلك أن أحمد بن موسى بن بَغَا لما شخص إلى الجزيرة ولقي موسى بن أتامش ديار ربيعة ، فأنكر ذلك إسحاق ، وفارق عسكره لسبب ذلك ، وصار إلى بلد ، فأوقع بالأكراد اليعقوبية فهزَمَهم ، وأخذ أموالهم فقوى بذلك ، ثم لقي ابن مساور الشاري فقتله .

وفي شوال منها قَتَلَ أهلُ حِمْنَص عاملَهم عيسى الكرخي .

وفيها أسر لؤلؤ غلام أحمد بن طولون موسى بن أتامش ؛ وذلك أن لؤلؤاً كان مقيماً بربابة بني تميم ، وكان موسى بن أتامش مقيماً برأس العين ، فخرج ليلاً سكران ليكبسهم ، فكمنوا له ^(١) ، فأخذوه أسيراً ، وبعثوا به إلى الرقة . ١٩٤٠/٣
ثم لقي لؤلؤ أحمد بن موسى وقواده ومن معهم من الأعراب في شوال ، فهزم لؤلؤ ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة ، ورجع ابن صفوان العُقَيْلي . والأعراب إلى ثقل عسكر أحمد بن موسى لينتهبوه ، وأكب عليهم أصحاب لؤلؤ ، فبلغت هزيمة المنفلت منهم قَرَقِيسِيَا ، ثم صاروا إلى بغداد وسامراً ، فوافوها في ذي القعدة ، وهرب ابن صفوان إلى البادية .

وفيها كانت بين أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وبكتمر وقعة ؛
وذلك في شوال منها ، فهزم أحمد بن عبد العزيز بكتمر فصار إلى بغداد .
وفيها أوقع الخُجُستانيّ بالحسن بن زيد بجُرجان على غيرّة من الحسن ،
فهرب منه الحسن ، فلحق بآمل ، وغلب الخُجُستانيّ على جُرجان وبعض
أطراف طَبَرِستان ؛ وذلك في جمادى الآخرة منها ورجب .

وفيها دعا الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن حسن الأصغر العقيقيّ
أهل طبرستان إلى البيعة له ؛ وذلك أن الحسن بن زيد عند شخوصه إلى
جُرجان كان استخلفه بسارية ، فلمّا كان من أمر الخُجُستانيّ وأمر الحسن
ما كان بجُرجان ، وهرب الحسن منها ، أظهر العقيقيّ بسارية أن الحسن قد أسير ؛
ودعا من قبله إلى بيعته ، فبايعه قومٌ ، ووافاه الحسن بن زيد فحاربه ، ثم
احتال له الحسن حتى ظفربه فقتله .

١٩٤١/٣

وفيها نهب الخُجُستانيّ أموال تجار أهل جُرجان ؛ وأضرَم النار في البلد .
وفيها كانت وقعة بين الخُجُستانيّ وعمرو بن الليث ، علافيها الخُجُستانيّ على
عمرو وهزمه ، ودخل نيسابور ، فأخرج عامل عمرو بها عنها ، وقتل جماعة
مما كان يميل إلى عمرو بها .

* * *

[ذكر الخبر عن الفتنة بين الجعفرية والعلوية]

وفيها كانت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفرية والعلوية .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان سببُ ذلك - فيما ذكر - أن القيمّ بأمر المدينة ووادي القرى
ونواحيها كان في هذه السنة إسحاق بن محمد بن يوسف الجعفريّ ، فولّى وادي
القرى عاملاً من قبله ، فوثب أهل وادي القرى على عامل إسحاق بن محمد ،
فقتلوه ، وقتلوا آخرين لإسحاق ، فخرج إسحاق إلى وادي القرى ، فرض به
ومات . فقام بأمر المدينة أخوه موسى بن محمد ، فخرج عليه الحسن بن موسى بن

جعفر ، فأرضاه بثمانمائة دينار . ثم خرج عليه أبو القاسم أحمد بن إسماعيل ابن الحسن بن زيد ، ابن عمّ الحسن بن زيد صاحب طَبَرَسْتَان ؛ فقتل موسى ، وغلب على المدينة . وقدمها أحمد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد ، فضبَطَ المدينة ؛ وقد كان غلا بها السعر ، فوجّه إلى الجار ، وضمن للتجار أموالهم ، ورفع الجباية ؛ فرخَصَ السعر ، وسكنت المدينة ، فولّى السلطان الحسنى المدينة إلى أن قدمها ابنُ أبي الساج .

* * *

وفيها وثبت الأعراب على كُسُوة الكعبة ، فانتهبوها ، وصار بعضهم إلى صاحب الزّنج ، وأصاب الحاجّ فيها شدة شديدة .

وفيها خرجت الرّوم إلى ديار ربيعة ، فاستنفر الناس ، فنفروا في برد ووقت ١٩٤٢/٣ لا يمكنُ الناس فيه دخول الدّرب .

وفيها غزا سبأ خليفة أحمد بن طولون على الثغور الشامية في ثلثمائة رجل من أهل طَرَسُوس ، فخرج عليهم العدو في بلاد هَرَقْلَة ، وهم نحو من أربعة آلاف ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل المسلمون من العدو خَلَقاً كثيراً ، وأصيب من المسلمين جماعة كثيرة .

وفيها كانت بين إسحاق بن كُنْدَاجِيق وإسحاق بن أيوب وقعة ، هزم فيها ابن كنداجيق إسحاق بن أيوب ، فألحقه بنصيبين ، وأخذ ما في عسكره ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة ، وتبعه ابن كُنْدَاجِيق ، وصار إلى نَصَبِيّين ، فدخلها ، وهرب إسحاق بن أيوب منه ، واستنجد عليه عيسى ابن الشيخ وهو بآمِد وأبا المغراء بن موسى بن زرارة ؛ وهو بأزْرَن ، فتظاهروا على ابن كُنْدَاجِيق ، وبعث السلطان إلى ابن كُنْدَاجِيق بخلع ولواء على الموصل وديار ربيعة وأرمينية مع يوسف بن يعقوب ، فخلع عليه ، فبعثوا يطلبون الصّالح ، ويبدلون له مالاً على أن يُقَرِّمَهم على أعمالهم مائتي ألف دينار .

وفيها وافى محمد بن أبي الساج مكة ، فعاربه ابن الخزومي ، فهزمه ابن

أبى الساج ، واستباح ماله ؛ وذلك يوم التروية من هذه السنة .
وفيهما شخص كيفلغ إلى الجبل ، ورجع بكتمر إلى الدينور .

* * *

[ذكر خبر دخول أصحاب قائد الزنج رامهرمز]

وفيهما دخل أصحاب قائد الزنج رآ مهرمُز .

* ذكر الخبر عن سبب مصيرهم إليها :

١٩٤٣/٣

قد ذكرنا قبلُ ما كان من أمر محمد بن عبيد الله الكردى وعلى بن أبان صاحب الخبيث ، حين تلاقيا على صلح منهما ، فدُكر أن علياً كان قد احتجن على محمد ضيغناً في نفسه ؛ لما كان في سفره ذلك ؛ وكان يرصده بشر ، وقد عرف ذلك منه محمد بن عبيد الله ، وكان يروم النجاة منه ؛ فكتب ابن الخبيث المعروف بأنكلابى ، وسأله مسألة الخبيث ضم ناحيته إليه لتزول يد عليّ منه ، وهاداه ، فزاد ذلك عليّ بن أبان عليه غيظاً وحسناً ؛ فكتب إلى الخبيث يعرفه به ، ويصحح عنده أنه مصرّ على غدره ، ويستأذنه في الإيقاع به ، وأن يجعل الذريعة إلى ذلك مسألته حمّل خراج ناحيته إليه ، فأذن له الخبيث في ذلك ، فكتب عليّ إلى محمد بن عبيد الله في حمّل المال ، فلواه به ، ودافعه عنه ، فاستعدّ له عليّ ، وسار إليه ، فأوقع برامهرمز ، ومحمد بن عبيد الله يومئذ مقيم بها ، فلم يكن لمحمد منه امتناع ، فهرب ودخل عليّ رامهرمز ، فاستباحها ، ولحق محمد بن عبيد الله بأقصى معاقله من أربق والبيلم ، وانصرف عليّ غانماً ، وراع ما كان من ذلك من عليّ محمد ، فكتب يطلب المسألة ، فأنبى ذلك عليّ إلى الخبيث ، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك ، وإرهاق محمد بحمل المال ، فحمل محمد بن عبيد الله مائتي ألف درهم ، فأنفذها عليّ إلى الخبيث ، وأمسك عن محمد بن عبيد الله وعن أعماله .

١٩٤٤/٣

* * *

[ذكر الخبر عن وقعة أكراد داربان مع صاحب الزنج]

وفيهما كانت وقعة لأكراد الداربان مع زنج الخبيث ، هُزموا فيها وفُلسوا .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذكر عن محمد بن عبيد الله بن أزارمرد أنه كتب إلى علي بن أبان بعد حملة إليه المال الذي ذكرنا مبلغه قبل ، وكفَّ علي عنه وعن أعماله ، يسأله المعونة على جماعة من الأكراد كانوا بموضع يقال له الداربان ، على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم . فكتب علي إلى الخبيث يسأله الإذن له في النهوض لذلك ، فكتب إليه أن وجه الخليل بن أبان وبهبوذ بن عبد الوهاب ، وأقيم أنت ، ولا تنفذ جيشك حتى تتوثق من محمد بن عبيد الله برهائن تكون في يدك منه ، تأمن بها من غدره فقد وترته ، وهو غير مأمون على الطلب بثأره . فكتب علي محمد بن عبيد الله بما أمره به الخبيث ، وسأله الرهائن ، فأعطاه محمد ابن عبد الله الأيمان والعهود ، ودافعه على الرهائن . فدعا علياً الحرص على الغنائم التي أطعمه فيها محمد بن عبيد الله إلى أن أنفذ الجيش ، فساروا ومعهم رجال محمد بن عبيد الله ؛ حتى وافوا الموضع الذي قصدوا له ، فخرج إليهم أهله ، ونشبت الحرب ، فظهر الزنج في ابتداء الأمر على الأكراد ، ثم صدقهم الأكراد ، وخذلهم أصحاب محمد بن عبيد الله ، فتصدعوا وانهزموا مفلولين مقهورين ؛ وقد كان محمد بن عبيد الله أعد لهم قوماً أمرهم بمعارضتهم إذا انهزموا ، فعارضوهم وأوقعوا بهم ، ونالوا منهم أسلاباً ، وأرجلوا^(١) طائفة منهم عن دوابهم فأخذوها ، فرجعوا بأسول حال ، فكتب المهلب إلى الخبيث بما نال أصحابه . فكتب إليه يعنفه ، ويقول : قد كنت تقدمت إليك ألا تركز إلى محمد ابن عبيد الله ، وأن تجعل الوثيقة بينك وبينه الرهائن ، فركت أمري ، واتبعت هواك ، فذاك الذي أرداك وأردى جيشك .

وكتب الخبيث إلى محمد بن عبيد الله ، أنه لم يخف علي تدبيرك على جيش علي بن أبان ، ولن تعدم الجزاء على ما كان منك .

فارتاع محمد بن عبيد الله مما ورد به عليه كتاب الخبيث ، وكتب إليه بالتضرع والخضوع ، ووجه بما كان أصحابه أصابوا من خيل أصحاب علي

(١) س : « أرجلوا » .

حيث عورضوا وهم منهزمون ، فقال : إني صرتُ بجميع مَنْ مَعِيَ إلى هؤلاء القوم الذين أوقعوا بالخليل وبَهَبُودَ ، فتوعدتهم وأخفّتهم ، حتى ارتجعت هذه الخيل منهم ، ووجهت بها . فأظهر الخبيث غضباً ، وكتب إليه يتهدهده بجيش كثيف يرميه به ، فأعاد محمد الكتاب بالتضرع والاستكانة ، فأرسل إلى بَهَبُودَ ، فضمن له مالا ، وضمن لمحمد بن يحيى الكرمانيّ مثل ذلك ، ومحمد بن يحيى يومئذ الغالب على عليّ بن أبان ، والمصرف له برأيه ، فصار بَهَبُودَ إلى عليّ بن أبان ، وظاهره محمد بن يحيى الكرمانيّ على أمره حتى أصلحا رأى عليّ في محمد بن عبيد الله وسلاماً في قلبه من الغيظ والحنق عليه ، ثم مضى إلى الخبيث . ووافق ذلك ورودُ كتاب محمد بن عبيد الله عليه ، فصوباً وصعداً حتى أظهر لهما الخبيث قبولَ قولهما ، والرجوعَ لمحمد بن عبيد الله إلى ما أحبّ ، وقال : لست قابلاً منه بعد هذا إلا أن يخطب لي على منابر أعماله .

١٩٤٦/٣

فانصرف بَهَبُودَ والكرمانيّ بما فارقهما عليه الخبيث ، وكتباً به إلى محمد ابن عبيد الله ، فأصدر جوابه إلى كلّ ما أَرَادَهُ الخبيث ، وجعل يُراوغ عن الدّعاء له على المنابر . وأقام عليّ بعد هذا مدّة ، ثم استعدّ لمتوث ، وسار إليها ؛ فرامها فلم يطقها لحصانتها وكثرة مَنْ يدافع عنها من أهلها ، فرجع خائباً ، فاتخذ سلاليم وآلات ليرقى بها السور ، وجمع أصحابه واستعدّ . وقد كان مسروراً بالبلخيّ عرف قصده عليّ متوث ، وهو يومئذ مقيمٌ بكور الأهواز . فلما عاود المسير إليها ، سار إليه مسرور ، فوافاه قبيل غروب الشمس ، وهو مقيم عليها ؛ فلما عاين أصحاب عليّ أوائل خيل مسرور ، انهزموا أقبح هزيمة ، وتركوا جميع آلاتهم التي كانوا حملوها ، وقتل منهم جمع كثير ، وانصرف عليّ بن أبان مدحوراً ، ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى تتابعت الأخبار بإقبال أبي أحمد ، ثم لم يكن لعليّ بعد رجوعه من متوث وقعة حتى فتحت سوق الخميس وطهيتا على أبي أحمد ، فانصرف بكتاب ورد عليه من الخبيث يحفره فيه حفراً شديداً بالمصير إلى عسكره .

١٩٤٧/٣

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي الكوفيّ .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك حبس السلطان محمد بن طاهر بن عبد الله وعدة من أهل بيته بعقب هزيمة أحمد بن عبد الله الخُجُستانيّ وعمرو بن الليث وتهمته عمرو بن الليث محمد بن طاهر بمكاتبة الخُجُستانيّ والحسين بن طاهر، ودعا الحسين والخجستانيّ لمحمد بن طاهر على منابر خراسان .

* * *

[ذكر خبر غلبة أبي العباس بن الموفق على سليمان بن جامع]

وفيهما غلب أبو العباس بن الموفق على عامة ما كان سليمان بن جامع صاحب قائد الزنج غلب عليه من قرى كوردجلة كعبدسي ونحوها .

* ذكر الخبر عن سبب غلبة أبي العباس على ذلك، وما كان من أمره وأمر الزنج في تلك الناحية :

ذكر محمد بن الحسن أنّ محمد بن حماد حدثه أن الزنج لما دخلوا واسطاً وكان منهم بها ما قد ذكرناه قبلُ، واتّصل الخبر بذلك إلى أبي أحمد بن المتوكل ندب ابنه أبا العباس للشخص إلى ناحية واسط لحرب الزنج ، فخفّ لذلك أبو العباس . فلما حضر خروج أبي العباس ركب أبو أحمد إلى بستان موسى الهادي في شهر ربيع الآخر سنة ست وستين ومائتين ، فعرض أصحاب أبي العباس ، ووقف على عدّتهم ؛ فكان جميع الفرسان والرجالة عشرة آلاف رجل في أحسن زيّ وأجمل هيئة وأكمل عِدّة ، ومعهم الشّدَا والسّمريّات والمعاير للرجالة ؛ كل ذلك قد أحكمت صنعته . فنهض أبو العباس من بستان الهادي ، وركب أبو أحمد مشيئاً له حتى نزل الفيرك ، ثم انصرف . وأقام أبو العباس بالفيرك أياماً ، حتى تكاملت عدده ، وتلاحق أصحابه ،

ثم رحل إلى المدائن ، وأقام بها أيضاً ، ثم رحل إلى دير العاقول .

قال محمد بن حمّاد : فحدثني أخى إسحاق بن حماد وإبراهيم بن محمد ابن إسماعيل الهاشمي المعروف ببزّيه ، ومحمد بن شعيب الاشتيام ، في جماعة كثيرة ممن صحب أبا العباس في سفره—دخل حديث بعضهم في حديث بعض— قالوا: لمّا نزل أبو العباس دير العاقول ، ورد عليه كتاب نُصير المعروف بأبي حمزة صاحب الشذّا والسميريّات ، وقد كان أمضاه على مقدّمته ، يعلمه فيه أن سليمان بن جامع قد وافى في خيل ورجالة وشذوات وسميريّات ، والجبائيّ يقدمه ، حتى نزل الجزيرة التي بحضرة بردودا ، وأن سليمان بن موسى الشعرانيّ قد وافى نهر أبان بـرجالة وفرسان وسميريّات ، فرحل أبو العباس حتى وافى جرّجرايا ، ثم فم الصلّح ، ثم ركب الظهر ، فسار حتى وافى الصلّح ، ووجه^(١) طلائعه ليعرف الخبر ، فأثابه منهم من أخبره بموافاة القوم وجمعهم وجيشهم ، وأن أولهم بالصلّح وآخرهم ببستان موسى بن بغا ، أسفل واسط . فلما عرف ذلك عدل عن سنن الطريق ، واعترض في مسيره ، ولقي أصحابه أوائل القوم ؛ فتطاردوا لهم حتى طمعوا واغترّوا ، فأمعنوا في إلتباعهم ، وجعلوا يقولون لهم : اطلبوا أميراً للحرب ؛ فإنّ أميركم قد شغل نفسه بالصيد . فلما قرّبوا من أبي العباس بالصلّح ، خرج عليهم فيمن معه من الخيل والرجل ، وأمر فصيح بنُصير: إلى أين تتأخر عن هؤلاء الأكلب ! ارجع إليهم ؛ فرجع نُصير إليهم .

وركب أبو العباس سُميريّة ، ومعه محمد بن شعيب الاشتيام ، وحفّ بهم أصحابه من جميع جهاتهم ، فانهزموا ، ومنح الله أبا العباس وأصحابه أكتافهم ؛ يقتلونهم ويطردونهم ؛ حتى وافوا قرية عبد الله ؛ وهى على ستة فراسخ من الموضع الذى لقسوهم فيه ، وأخذوا منهم خمس شذّوات وعدّة سُميريّات ، واستأمن منهم قوم ، وأسير منهم أسرى ، وغرق ما أدرك من سفنهم ؛ فكان ذلك أول الفتح على العباس بن أبى أحمد .

ولما انقضت^(١) الحربُ في هذا اليوم ، أشار على أبي العباس قوّاده وأولياؤه ، أن يجعل معسكرهُ بالموضع الذي كان انتهى إليه من الصلح ؛ إشفاقاً عليه من مقاربة القوم ، فأبى إلا نزول واسط .

ولما انهزم سليمان بن جامع ومن معه ، وضرب اللهُ وجوههم ، انهزم سليمان بن موسى الشعراني عن نهر أبان ؛ حتى وافى سوق الخميس ، ولحق سليمان بن جامع بنهر الأمير ؛ وقد كان القوم حين لقوا أبا العباس أجالوا الرأى بينهم ، فقالوا : هذا فتىٌ حدّثٌ ؛ لم تطل ممارسته الحروب^(٢) وتدرّبه بها ، فالرأى لنا أن نرميه بحدّنا كلّهُ ، ونجتهد في أوّل لقية نلقاه في إزالته ؛ فلعلّ ذلك أن يروعه ، فيكون سبباً لانصرافه عنا . ففعلوا ذلك ، وحشدوا واجتهدوا ، فأوقع الله بهم بأسه ونقمته . وركب أبو العباس من غدٍ يوم الواقعة ، حتى دخل واسطاً في أحسن زى ، وكان يوم جمعة ، فأقام حتى صلى بها صلاة الجمعة ، واستأمن إليه خلق كثير ، ثم انحدر إلى العُمر - وهو على فرسخ من واسط - فقدم فيه عسكره ، وقال : أجعل معسكرى أسفل واسط ، ليأمن من فوقه الزنج . وقد كان نُصير المعروف بأبي حمزة والشاه بن ميكال أشاراً عليه أن يجعل مقامه فوق واسط . فامتنع من ذلك ، وقال لهما : لست نازلاً إلا العُمر ؛ فانزلا أنما في فُوّهة بردودا . وأعرض أبو العباس عن مشاورة أصحابه واستماع شيء من آرائهم ؛ فنزل العُمر ، وأخذ في بناء الشدّوات ، وجعل يراوح القوم القتال ويغاديهم ؛ وقد رتب خاصّة غلماناً في سُميريّات فجعل في كلّ سُميريّة اثنين منهم . ثم إن سليمان استعدّ وحشد وجمع وفرّق أصحابه فجعلهم في ثلاثة أوجه : فرقة أنت من نهر أبان ، وفرقة من برتمرتا ، وفرقة من بردودا ، فلقىهم أبو العباس ؛ فلم يلبثوا أن انهزموا ، فخلقت طائفة منهم بسوق الخميس وطائفة بمازروان ، وأخذ قوم منهم في برتمرتا وآخرون أخذوا الماديان ، وقوم منهم اعتصموا للقوم الذين سلّكوا الماديان ؛ فلم يرجع عنهم حتى وافى نهر برّمساور ، ثم انصرف ، فجعل يقف على القُرى والمسالك ، ومعه الأدلاء ؛ حتى وافى عسكره ، فأقام به مريحاً نفسه وأصحابه . ثم أتاه مخبرٌ فأخبره أن

الزنج قد جمعوا واستعدوا لكبس عسكره ، وأنهم على إتيان عسكره من ثلاثة أوجه ، وأنهم قالوا : إنه حدثٌ غيرٌ يغرُّ بنفسه ، وأجمع رأيهم على تكمين الكُمناء والمصير إليه من الجهات الثلاث التي ذكرنا ، فحذر لذلك ، واستعد له ، وأقبلوا إليه وقد كمنوا زهاء عشرة آلاف في برتمرتنا ونحوها من هذه العدة في قُسمٍ هثا . وقدّموا عشرين سُميريّة إلى العسكر ليغرّ بها أهلُه ، ويجيزوا المواضع التي فيها كمنّاوهم ؛ فنع أبو العباس الناس من اتباعهم ؛ فلما علموا أن كيدهم لم ينفذ ، خرج الجُبّائيّ وسليمان في الشدّوات والسُميريّات ، وقد كان أبو العباس أحسن تعبئة أصحابه ، فأمر نصيراً المعروف بأبي حمزة أن يبرز للقوم في شدّواته ، ونزل أبو العباس عن فرس كان ركيه ، ودعا بشذاة من شدّواته قد كان سماها الغزال ، وأمر اشتيامه محمد بن شعيب باختيار الجُدّافين لهذه الشذاة ، وركبها ، واختار من خاصّة أصحابه وغلمانة جماعة دفع إليهم الرماح ، وأمر أصحاب الخيل بالمسير بِلِزّائه على شاطئ النهر ، وقال لهم :

١٩٥٢/٣

لا تدعوا المسير ما أمكنكم إلى أن تقطعكم الأنهار ، وأمر بتعبير بعض الدواب التي كانت يبردودا ، ونشبت الحرب بين الفريقين ؛ فكانت معركة القتال من حدّ قرية الرمل إلى الرصافة ؛ فكانت الهزيمة على الزنج ، وحاز أصحاب أبي العباس أربع عشرة شدّاة ، وأفلت سليمان والجُبّائيّ في ذلك اليوم بعد أن أشفيا على الهلاك راجلين ، وأخذت دوابّهما بجلاها وآلتها ، ومضى الجيش أجمع لا ينشئ أحد منهم حتى وافوا طهيثا ، وأسلموا ما كان معهم من أثاث وآلة ، ورجع أبو العباس ، وأقام بمعسكره في العمر ، وأمر بإصلاح ما أخذ منهم من الشدّاة والسُميريّات وترتيب الرجال فيها ، وأقام الزنج بعد ذلك عشرين يوماً ؛ لا يظهر منهم أحد . وكان الجُبّائيّ يجيء في الطلائع في كلّ ثلاثة أيام وينصرف ، وحفر آباراً فوق نهر سينداد ، وصير فيها سفايد حديد ، وغشّاها باليوارى ، وأخفى مواضعها ، وجعلها على ستن مسير الخيل ليتهور فيها المجتازون بها ؛ وكان يوافي طرف العسكر متعرّضاً لأهله ، فتخرج الخيل طالبة له ، فجاء في بعض أيامه ، وطلبته الخيل كما كانت تطلبه ، فقطر فرس رجل من قواد الفراغنة في بعض تلك الآبار ، فوقف أصحاب أبي العباس بما ناله من

ذلك على ما دبّر الحبائى ، فحذروا ذلك ، وتنكبوا سلوك ذلك الطريق ، وألح الزنج فى مغادرة العسكر فى كل يوم للحرب ، وعسكروا بنهر الأمير فى جمع كثير ؛ فلما لم يجد ذلك عليهم أمسكوا عن الحرب قدّر شهر .

١٩٥٣/٣

وكتب سليمان إلى صاحب الزنج يسأله إمداده بسُميريات ؛ لكل واحدة منهن أربعون مجدافاً ، فوافاه من ذلك فى مقدار عشرين يوماً أربعون سُميرية ، فى كل سُميرية مقاتلان ، ومع ملاحيتها السيوف والرماح والثراس ، وجعل الحبائى موقفه حيال عسكر أبى العباس ، وعاودوا التعرض للحرب فى كل يوم ؛ فإذا خرج إليهم أصحاب أبى العباس انهزموا عنهم ، ولم يثبتوا لهم ؛ وخلال ذلك ما تأتى طلائعهم ، فتقطع القناطر ، وترى ما ظهر لها من الخيل بالنشاب ، وتضرم ما وجدت فى النوبة من المراكب التى مع نصير بالنار ؛ فكانوا كذلك قدر شهرين .

ثم رأى أبو العباس أن يكمن لهم كميناً فى قرية الرمل ، ففعل ذلك ، وقدم لهم سُميريات أمام الجيش ليطمعوا فيها ، وأمر أبو العباس فأعدت له سُميرية ولزيرك سُميرية وحمل جماعة من غلمانهم الذين اختارهم ، وعرفهم بالنجدة فى السُميريات ، فحمل بداراً ومؤنساً فى سُميرية ورشيقاً الحجاجى وبمناً فى سُميرية وخفيفاً ويسراً فى سُميرية ، ونذيراً ووصيفاً فى سُميرية ؛ وأعدت خمس عشرة سُميرية ، وجعل فى كل سُميرية مقاتلين ، وجعلها أمام الجيش .

* * *

قال محمد بن شعيب الاشتيام : وكنتُ فيمن تقدّم يومئذ ، فأخذ الزنج من السُميريات المتقدمة عدة ، وأسروا أسرى ، فانطلقت مسرعاً ، فناديت بصوت عال : قد أخذ القوم سُميرياتنا . فسمع أبو العباس صوتى وهو يتعدى ، فنهض إلى سُميريته التى كانت أعدت له ؛ وتقدّم العسكر ، ولم ينتظر لحاق أصحابه ، فتبعه منهم من خف لذلك .

١٩٥٤/٣

قال : فأدركنا الزنج ، فلما رأونا قذف الله الرعب فى قلوبهم ، فألقوا

أنفسهم في الماء ، وانهزموا فتخلّصنا^(١) أصحابنا ، وحوينا يومئذ إحدى وثلاثين سُميرية من سُميريات الزنج ، وأفلت الجبائي في ثلاث سُميريات ، ورمى أبو العباس يومئذ عن قوس كانت في يده حتى دमित لبهامه ؛ فانصرف ؛ ولو أننا جددنا في طلب الجبائي في ذلك اليوم ظننتُ أننا أدركناه ، فنحننا من ذلك شدة اللغوب . ورجع أبو العباس وأكثر أصحابه بمواضعهم من فؤوة بردودا لم يُرمَ أحد منهم ؛ فلمّا وافى عسكره أمر لمن كان صحبه بالأطواق والحِليّ والأسورة ، وأمر بإصلاح السُميريات المأخوذة من الزنج ، وأمر أبا حمزة أن يجعل مقامه بما معه من الشدّا في دجلة بحداء خُسْرُسابور .

ثم إنَّ أبا العباس رأى أن يتوغّل في مازروان حتى يصير إلى القرية المعروفة بالحجّاجيّة ، وينتهى إلى نهر الأمير ، ويقف على تلك المواضع ، ويتعرّف الطرق التي تجتاز فيها سُميريات الزنج ، وأمر نصيراً فقدّمه بما معه من الشدّا والسُميريات ، فسار نصير لذلك ؛ فترك طريق مازروان ، وقصد ناحية نهر الأمير ، فدعا أبو العباس سُميريته ، فركبها ومعه محمد بن شعيب ، ودخل مازروان وهو يرى أن نصيراً أمامه ، وقال لمحمد : قدّمني في النهر لأعرف خبر نصير . وأمر الشدّا والسُميريات بالمصير خلفه .

قال محمد بن شعيب : فضينا حتى قاربنا الحجّاجيّة ، فعرضت لنا في النهر صلغة^(٢) فيها عشرة زنوج ؛ فأسرعنا إليها ، فألقى الزنوج أنفسهم في الماء ، وصارت الصلغة في أيدينا ، فإذا هي مملوءة شعيراً ، وأدركنا فيها زنجياً فأخذناه ، فسألناه عن خبر نصير وشدّواته فقال : ما دخل هذا النهر شيء من الشدّا والسُميريات . فأصابتنا حيرة ، وذهب الزنج الذين أفلتوا من أيدينا فأعلموا أصحابهم بمكاننا ، وعرض للملاحين الذين كانوا معنا غمٌ فخرجوا لانتهابها .

١٩٥٥/٣

قال محمد بن شعيب : وبقيتُ مع أبي العباس وحدي ، فلم نلبث أن وافانا قائد من قوَاد الزنج ، يقال له مُستتاب ، في جماعة من الزنج من أحد جانبي

(١) يقال : خلّصته من كذا ، أى نجّيته ، مثل تخلّصته .

(٢) الصلغة : السفينة الكبيرة .

النهر ، ووافانا من الجانب الآخر عشرة من الزنج ، فلما رأينا ذلك خرج أبو العباس ، ومعه قوسه وأسهمه ، وخرجتُ برمح كان في يدي ، وجعلتُ أحميهِ بالرمح وهو يرى الزنج ، فجرح منهم زنجيتين ، وجعلوا يثوبون ويكثرون ، وأدركنا زيرك في الشَّدَا ومعه الغلمان ؛ وقد كان أحاط بنا زهاء ألقى زنجي من جانبي مازروان ، وكفى الله أمرهم ، وردَّهم بذلَّة وصغار ، ورجع أبو العباس إلى عسكره ، وقد غنم أصحابه من الغنم والبقر والجواميس شيئا كثيرا ، وأمر أبو العباس بثلاثة من الملاحين الذين كانوا معه ، فتركوه^(١) لانتهاج الغنم ، فضربت أعناقهم ، وأمر لمن بقي بالأرزاق لشهر ، وأمر بالنداء في الملاحين ألا يبرح أحدٌ من السمريات في وقت الحرب ؛ فمن فعل ذلك فقد حلَّ دمه . ١٩٥٦/٣

وانهزم الزنج أجمعون حتى لحقوا بطهيتا ، وأقام أبو العباس بمعسكره في العمر ، وقد بثَّ طلائعه في جميع النواحي . فكث بذلك حيناً ، وجمع سليمان بن جامع عسكره وأصحابه ، وتحصن بطهيتا ، وفعل الشعرائي مثل ذلك بسوق الخميس ؛ وكان بالصينية لهم جيش كثيف أيضاً ، يقود أهله رجل منهم يقال له نصر السندي ، وجعلوا يُخربون كلَّ ما وجدوا إلى إخراجه سيلا ، ويحملون ما قدروا على حمله من الغلات ، ويعمرون مواضعهم التي هم مقيمون بها . فوجه أبو العباس جماعة من قواده ، منهم الشاه وكمشجور والفضل بن موسى بن بغا ، وأخوه محمد على الخيل إلى ناحية الصينية ، وركب أبو العباس ومعه نصير وزيرك في الشَّدَا والسمريات ، وأمر بخيل فعبّر بها من بَرِّ مساور إلى طريق الظهر .

وسار الجيش حتى صار إلى الهُرث ، فأمر أبو العباس بتعبير الدواب إلى الهُرث ، فعبرت ، فصارت إلى الجانب الغربي من دجلة ، وأمر بأن يُسلَّك بها طريق دير العمال . فلما أبصر الزنج الخيل دخلتهم منها رهبة شديدة ، فلجئوا إلى الماء والسفن ، ولم يلبثوا أن وافتهم الشَّدَا والسمريات ، فلم يجدوا ملجأ واستسلموا ، فقتل منهم فريق ، وأسیر فريق ، وألتي بعضهم نفسه في الماء . فأخذ أصحاب أبي العباس سفنهم ؛ وهي مملوءة أرزاً ، فصارت في ١٩٥٧/٣

(١) س : « تركوه وخرجوا » .

أيديهم ، وأخذوا سُميرِيَّةَ رئيسهم المعروف بنصر السندی ، وانهزم الباقون ، فصارت طائفة منهم إلى طَهِيثَا وطائفة إلى سوق الخميس ، ورجع أبو العباس غانمًا إلى عسكره ، وقد فتح الصينية وأجلى الزنج عنها .

قال محمد بن شعيب : وبينما نحن في حرب الزنج بالصينية إذ عرض لأبي العباس كُرْكِيّ طائر ، فرماه بسهم ، فشكّه فسقط بين أيدي الزنج ، فأخذوه ، فلما رأوا موضع السهم منه ، وعلموا أنه سهم أبي العباس زاد ذلك في رعبهم ؛ فكان سببًا لانهزامهم يومئذ .

وقد ذكر عن لا يُستَهم أن خبر السهم الذي رمى به أبو العباس الكُرْكِيّ في غير هذا اليوم ، وانتهى إلى أبي العباس أن بَعْدَ سَيِّ جيشًا عظيمًا يرأسهم ثابت بن أبي دلف ولؤلؤ الزنجيَّان ، فصار أبو العباس إلى عِبْدَ سَيِّ قاصدًا للإيقاع بهما ومنَّ معهما في خيل جريدة ، قد انتخبت من جُلْد غلمانة وحماة أصحابه ، فوافى الموضع الذي فيه جمعهم في السَّحَر ، فأوقع بهم وقعة غليظة ، قُتِل فيها من أبطالهم ، وجُلْد من رجالهم خلق كثير ، وانهزموا . وظفر أبو العباس برئيسهم ثابت بن أبي دلف ، فنَّ عليه واستبقاه ، وضمَّه إلى بعض قوَّاده ، وأصاب لؤلؤًا سهم فهلك منه ، واستنقذ يومئذ من النساء اللواتي كنَّ في أيدي الزنج خلق كثير ، فأمر أبو العباس بإطلاقهنَّ وردَّهنَّ إلى أهلهنَّ ، وأخذ كلَّ ما كان الزنج جمعه .

١٩٥٨/٣

ثم رجع أبو العباس إلى معسكره ، فأمر أصحابه أن يُريحوا أنفسهم ليسير بهم إلى سوق الخميس ، ودعا نصيرًا فأمره بتعبئة أصحابه للمسير إليها ، فقال له نصير : إنَّ نهر سوق الخميس ضيق ، فأقم أنت وائذن لي في المسير ^(١) إليه حتى أعاينته ، فأبى أن يدعه حتى يعاينه ، ويقف على علم ما يحتاج إليه منه قبل موافاة أبيه أبي أحمد ؛ وذلك عند ورود كتاب أبي أحمد عليه بعزمه على الانحذار .

* * *

قال محمد بن شعيب : فدعاني أبو العباس ، فقال لي : إنه لا بدّ لي من دخول سوق الخميس ، فقلت : إن كنت لا بدّ فاعلا ما تذكر فلا تكثّر عدد مَنْ تحمل معك في الشّدّا ، ولا تزد على ثلاثة عشر غلاماً عشرة رماة وثلاثة في أيديهم الرماح ؛ فلمني أكره الكثرة في الشّدّا مع ضيق النهر ، فاستعدّ أبو العباس لذلك ، وسار إليه ونُصير بين يديه حتى وافى فم برّمساور ، فقال له نُصير : قد منى أمامك ، ففعل ذلك ، فدخل نُصير في خمس عشرة شِدّاة . واستأذنه رجل من قوّاد الموالى يقال له موسى دالجويه في التقدّم بين يديه ، فأذن له ، فسار وسار أبو العباس حتى انتهى به مسيره إلى بسّاسي ، ثم إلى فوهة براطق ونهر الرّق والنهر الذي ينفذ إلى رواط وعبدسي ؛ وهذه الأنهار الثلاثة تؤدّي إلى ثلاث طرق مفترقة ، فأخذ نصير في طريق نهر براطق وهو النهر المؤدى إلى مدينة سليمان بن موسى الشعراني التي ستمها المنيعه بسوق الخميس . وأقام أبو العباس على فوهة هذا النهر ، وغاب عنه نُصير حتى خفى عنه خبره . وخرج علينا في ذلك الموضع من الزّنج خلق كثير ، فنحنونا من دخول النهر ، وحالوا بيننا وبين الانتهاء إلى السور — وبين هذا الموضع الذي انتهينا إليه والسور المحيط بمدينة الشعراني مقدار فرسخين — فأقاموا هناك يحاربونا ، واشتدّت الحرب بيننا وبينهم وهم على الأرض ؛ ونحن في السفن من أوّل النهار إلى وقت الظهر ، وخفى علينا خبر نُصير ، وجعل الزّنج يهتفون بنا : قد أخذنا نُصيراً فإذا تصنعون ؟ ونحن تابعوكم حيثما ذهبتم . فاعتم أبو العباس لما سمع منهم هذا القول ، فاستأذنه محمد بن شعيب في المسير ليتعرّف خبر نصير ، فأذن له ، فمضى في سُميريّة بعشرين جدّاًفاً حتى وافى نصيراً أبا حمزة ، وقد قرب من سكرّ كان الفسقة سكره ، ووجده قد أضرم النار فيه وفي مدينتهم ، وحارب حرباً شديداً ورزق الظفر بهم ، وكان الزّنج ظفروا ببعض شدوات أبي حمزة ، فقاتل حتى انتزع ما كانوا أخذوا من أيديهم ، فزجع محمد بن شعيب إلى أبي العباس ، فبشره بسلامة نصير ومنّ معه ، وأخبره خبره . فسرّ بذلك وأسّر نصير يومئذ من الزّنج جماعة كثيرة ، ورجع حتى وافى أبا العباس بالموضع الذي كان واقفاً به . فلما رجع نصير قال أبو العباس : لست زائلاً عن موضعي

١٩٥٩/٣

١٩٦٠/٣

هذا حتى أراوهم القتال في عشيّ هذا اليوم ؛ ففعل ذلك ، وأمر بإظهار شدّة واحدة من الشّدّوات التي كانت معه لهم ، وأخفى باقيها عنهم ، فطمعوا في الشّدّة التي رأوها ، فتبعوها ، وجعل منّ كان فيها يسرون سيراً ضعيفاً حتى أدركوها ، فعلقوا بسكانها، وجعل الملاحون يسرون حتى وافوا المكان الذي كانت فيه الشّدّوات المكمّنة .

وقد كان أبو العباس ركب سُميريّة، وجعل الشذا خلفه ، فسار نحو الشذا التي علق بها الزنج لما أبصرها، فأدركها، والزنج ممسكون بسُكّانها يحيطون بها من جوانبها، يرمون بالنشاب والآجر، وعلى أبي العباس كيز تحته درع . قال محمد : فترعنا يومئذ من كيز أبي العباس خمساً وعشرين نشابة ، ونزعتُ من لُبّادّةٍ كانت على أربعين نشابة، ومن لباييد سائر الملاحين الخمس والعشرين والثلاثين . وأظفر الله أبا العباس بستِ سُميريّات من سُميريّات الزنج ، وتخلص الشذا من أيديهم ، وانهزموا ، ومال أبو العباس وأصحابه نحو الشّطّ ، وخرج من الزنج المقاتلة بالسيوف والتراس ، فانهزموا لا يابون على شيءٍ للرّهبة التي وصلت إلى قلوبهم ، ورجع أبو العباس سالماً غانماً ، فخلع على الملاحين ووصلهم، ثم صار إلى معسكره بالعُمر، فأقام به إلى أن وافى الموفق .

* * *

ولإحدى عشرة ليلةً خلت من صفر منها ، عسكر أبو أحمد بن المتوكل بالفيرك ، وخرج من مدينة السلام يريد الشخوص إلى صاحب الزنج لحربه ؛ وذلك أنه - فيما ذكر - كان اتصل به أن صاحب الزنج كتب إلى صاحبه على ابن أبان المهلبى يأمره بالمصير بجميع من معه إلى ناحية سليمان بن جامع ، ليجتمعا على حرب أبي العباس بن أبي أحمد ، وأقام أبو أحمد بالفيرك أياماً ؛ حتى تلاحق به أصحابه ومنّ أراد النهوض به إليه ، وقد أعدّ قبل ذلك الشذا والسُميريّات والمعابر والسفن ، ثم رحل من الفيرك - فيما ذكر - يوم الثلاثاء ليلتين خلتا من شهر ربيع الأول في مواليه وغلماّنه وفرسانه ورجّالته فصار إلى رومية المدائن، ثم صار منها، فنزل السّيب ثم ديّر العاقول ثم جرّجراًيا، ثم قُنّى، ثم نزل جبّيل، ثم نزل الصّلح ، ثم نزل على فرسخ من واسط ، فأقام

١٩٦١/٣

هنالك يومه ولياته، فتلقاه ابنه أبو العباس به في جريدة خيل فيها وجوه قواده وجنده ، فسأله أبو أحمد عن خبر أصحابه ، فوصف له بلاءهم ونصحبهم ، فأمر أبو أحمد له ولهم بختلج فخلعت عليهم ، وانصرف أبو العباس إلى معسكره بالعُمر، فأقام يومه . فلما كانت صبيحة الغد رحل أبو أحمد منحدرًا في الماء، وتلقاه ابنه أبو العباس بجميع مَنْ معه من الجند في هيئة الحرب والرتى الذى كانوا يلقون به أصحاب الخائن ، فجعل يسير أمامه حتى وافى عسكره بالنهر المعروف بشيرزاد ؛ فنزل به أبو أحمد ، ثم رحل منه يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول ؛ فنزل على النهر المعروف بسنداد بإزاء القرية المعروفة بعبد الله ، وأمر ابنه أبا العباس ، فنزل شرق دجلة بإزاء فوهة بردودا ، وولاه مقدمته ، ووضع انعطاف فأعطى الجيش ، ثم أمر ابنه بالمسير أمامه بما معه من آلة الحرب إلى فوهة برمساور . فرحل أبو العباس في المختارين من قواده ورجاله ، منهم زيرك التركى صاحب مقدمته ، ونصير المعروف بأبى حمزة صاحب البشتا والسُميريات .

ورحل أبو أحمد بعد ذلك في الفرسان والرجالة المنتخبين ، وخلف سواد عسكره وكثيراً من الفرسان والرجالة بمعسكره ؛ فتلقاه ابنه أبو العباس بأسرى ورعوس وقتل قتلهم من أصحاب الشرعاني ؛ وذلك أنه وافى عسكره الشرعاني في ذلك اليوم قبل مجيء أبيه أبى أحمد ؛ فأوقع به وأصحابه ؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر منهم جماعة ؛ فأمر أبو أحمد بضرب أعناق الأسرى فضربت ، ونزل أبو أحمد فوهة برمساور ، وأقام به يومين ، ثم رحل يريد المدينة التى سماها صاحب الزنج المنبوعة من سوق الخميس في يوم الثلاثاء لثمانى ليال خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة بمن معه من الجيش وما معه من آلة الحرب ، وسلك في السفن في برمساور ، وجعلت الخيل تسير بإزائه شرقى برمساور ، حتى حاذى النهر ^(١) المعروف ببساط الذى يوصل إلى مدينة الشرعاني .

وإنما بدأ أبو أحمد بحرب سليمان بن موسى الشرعاني قبل حرب سليمان بن جامع من أجل أن الشرعاني كان وراءه ، فعُفِّىَ إن بدأ بابن جامع أن يأتيه

(١) ابن الأثير : « جاوزوا » .

الشعراني من ورائه ، ويشغله عمن هو أمامه ؛ فقصده من أجل ذلك ؛ وأمر بتعبير الخيل وتصييرها على جانبي النهر المعروف ببراطق ، وأمر ابنه أبا العباس بالتقدم في الشدأ والسميريات ، وأتبعه أبو أحمد في الشدأ بعامة الجيش . فلمّا بصر سليمان ومَن معه من الزنج وغيرهم بقصد الخيل والرجالة سائرين على جنبتي النهر ومسير الشدأ والسميريات في النهر ، وقد لقيهم أبو العباس قبل ذلك ، فحاربوه حرباً ضعيفة ، انهزموا وتفرّقوا .

وعلا أصحاب أبي العباس السور ، ووضعوا السيوف فيمن لقيهم وتفرّق الزنج وأتباعهم ، ودخل أصحاب أبي العباس المدينة ، فقتلوا فيها خلقاً كثيراً ، وأسروا بشراً كثيراً ، وحوّوا ما كان في المدينة ، وهرب الشعراني ومَن أفلت منهم معه . وأتبعهم أصحاب أبي أحمد حتى وافقوا بهم البطائح ، ففرق منهم خلق كثير ، ونجا الباقيون إلى الآجام ، وأمر أبو أحمد أصحابه بالرجوع إلى معسكرهم قبل غروب الشمس من يوم الثلاثاء ، وانصرف وقد استنقذ من المسلمات زهاء خمسة آلاف امرأة ؛ سوى مَن ظنّ به من الزنجيات اللواتي كنّ في سوق الخميس . فأمر أبو أحمد بحياطة النساء جميعاً ، وحملهن إلى واسط ليدفعن إلى أوليائهن . وبات أبو أحمد بجبال النهر المعروف ببراطق ، ثم باكر المدينة من غد ، فأذن للناس^(١) في حياطة ما فيها من أمتعة الزنج ، وأخذ ما كان فيها أجمع ، وأمر يهدم سورها وطمّ خندقها وإحراق ما كان بقي فيها من السفن ، ورحل إلى معسكره ببرمساور بالظفر بما بالرساتيق والقرى التي كانت في يد الشعراني وأصحابه من غلات الحنطة والشعير والأرز ، فأمر ببيع ذلك ، وصرف ثمنه في أعطيات مواليه وعلمانه وجنده وأهل عسكره . وانهزم سليمان الشعراني وأخواه ومَن أفلت ، وسلب الشعراني ولده وما كان بيده من مال ، ولحق بالمدار ، فكتب إلى الخائن بخبره وما نزل به واعتصامه بالمدار .

١٩٦٤/٣

فذكر محمد بن الحسن ، أن محمد بن هشام المعروف بأبي وائلة الكرمانى

(١) ابن الأثير : « وأمر الناس » .

قال : كنتُ بين يدي الخائن وهو يتحدث ، إذ ورد عليه كتاب سليمان الشعرائي بخبر الوقعة وما نزل به ، وانتهزاه إلى المذار ، فما كان إلا أن فضّ الكتاب ، فوَقعت عينه على موضع المزيمة حتى انحَلَّ وكاءُ بطنه ، ثم نهض لحاجته ، ثم عاد . فلمّا استوى به مجلسه أخذ الكتاب وعاد يقرؤه ، فلما انتهى إلى الموضوع الذي أنهضه ، نهض حتى فعل ذلك مراراً . قال : فلم أشك في عظم المصيبة ، وكرهتُ أن أسأله ، فلمّا طال الأمر تجاسرتُ ، فقلت : أليس هذا كتاب سليمان بن موسى ؟ قال : نعم ، ورد بقاصمة الظَّهَر ، أن الذين أناخوا عليه أوقعوا به وقعة لم تبق منه ولم تذر ، فكتب كتابه هذا وهو بالمتدار ، ولم يسلم بشيء غير نفسه . قال : فأكبرتُ ذلك ، والله يعلم مكروه ما أخفي من السرور الذي وصل إلى قلبي ، وأمسكُ مُبشراً بدنوّ الفرج . وصبر الخائن على ما وصل إليه ، وجعل يظهر الجلد ، وكتب إلى سليمان بن جامع يحذّره مثل الذي نزل بالشعراني ، ويأمره بالتيقّظ في أمره وحفظ ما قبله .

وذكر محمد بن الحسن أن محمد بن حماد قال : أقام الموفق بعسكره بمر مساور يومين ، لتعرف أخبار الشعرائي وسليمان بن جامع والوقوف على مستقره ، فأتاه بعضُ مَنْ كان وجهه لذلك ، فأخبره أنه معسكر بالقرية المعروفة بالخوانيت . فأمر عند ذلك بتعبير الخيل إلى أرض كَسْكَر في غربي دجلة ، وسار على الظهر ، وأمر بالشّدا وسفن الرّجالة فحدّرت إلى الكيثة ، وخلف سواد عسكره وجمعاً كثيراً من الرجال والكراع بفوّهة برمساور ، وأمر بـُغْراج بالمقام هناك ؛ فوافى أبو أحمد الصينيّة ، وأمر أبا العباس بالمصير في الشدا والسميريّات إلى الخوانيت مخفياً لتعرف حقيقة خبر سليمان بن جامع في مقامه بها ، وإن وجد منه غيرَ أوقع به . فسار أبو العباس في عشيّ ذلك اليوم إلى الخوانيت ، فلم يلفِ سليمانَ هناك ، وألفى من قوّاد السودان المشهورين بالبأس والنجدة شيئاً وأبأ النداء وهما من قدماء أصحاب الفاسق الذين كان استبجهم في بدء مخرجه .

وكان سليمان بن جامع خلف هذين القائدين في موضعهما لحفظ غلات كثيرة كانت هناك ، فحاربهما أبو العباس ، وأدخل الشّدا موضعاً ضيقاً من النهر ، فقتل من رجالهما ، وجرح بالسهم خلقاً كثيراً . وكانوا أجلد رجال سليمان بن

جامع ونخبتهم الذين يعتمد عليهم — ودامت الحرب بينهم إلى أن حجز الليل بين الفريقين .

قال : وقال محمد بن حماد : في هذا اليوم كان من أمر أبي العباس في الكركمى الذى ذكره محمد بن شعيب في يوم الصّينيّة ، وقد مرّ به سانحاً ، قال : واستأمن في هذا اليوم رجلٌ إلى أبي العباس ، فسأله عن الموضع الذى فيه سليمان بن جامع ، فأخبره أنه مقيم بطهيسثا ، فأنصرف أبو العباس حينئذ إلى أبيه بحقيقة مقام سليمان بمدينة التي سماها المنصورة ، وهى في الموضع الذى يعرف بطهيسثا ، وأن معه هنالك جميع أصحابه غير شبل وأبى النداء ؛ فإنهما بموضعهما من الحوانيت لما أمروا بحفظه . فلما عرف ذلك أبو أحمد ، أمر بالرحيل إلى بردودا ؛ إذ كان المسلك إلى طهيسثا منه ؛ وتقدّم أبو العباس في الشّدّا والسميريات ، وأمر من خلفه بمرساور أن يصيروا جميعاً إلى بردودا . ورحل أبو أحمد في غد ذلك اليوم الذى أمر أبا العباس فيه بما أمره به إلى بردودا ، وسار إليها يومين ؛ فوافاها يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين ، فأقام بها يصلح ما يحتاج إلى إصلاحه^(١) من أمر عسكره ، وأمر بوضع العطاء وإصلاح سفن الجسور^(٢) ليحدرها معه ، واستكثر من العمال والآلات التي تُسَدّ بها الأنهار ، وتُصلح بها الطرق للخليل ، وخلف ببردودا بُغْراج التركمى ، وقد كان لما عزم على الرجوع إلى بردودا أرسل إلى غلام له يقال له جعلان وكان مخلفاً مع بغراج في عسكره ، فأمر بقلع المضارب وتقديمها مع الدوابّ المخلفّة قسيّله والسلاح إلى بردودا ، فأظهر جعلان ما أمر به في وقت العشاء الآخرة ، وزادى في العسكر والناس غارون ، فالتقى في قلوبهم أن ذلك لزميمة كانت . فخرجوا على وجوههم ، وترك الناس أسواقهم وأمتعتهم ، ظناً منهم أن العدو قد أظلمتهم ، ولم يلبو منهم أحد على أحد ، وقصدوا قصد الرجوع إلى عسكرهم ببردودا ، وساروا في سواد ليلتهم تلك ، ثم ظهر لهم بعد ذلك حقيقة الخبر ، فسكنوا واطمأنّوا .

١٩٦٧/٣

(١) ب : « صلاحه » .

(٢) س : « السفن للجسور » .

وفي صفر من هذه السنة كان بين أصحاب كَيْسِغَلَنْجِ التركيّ وأصحاب أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وقعة بناحية قَرَمَاسِين ، فهزّمهم كَيْسِغَلَنْجُ ، وصار إلى كَهْمْدَان ، فوافاه أحمد بن عبد العزيز فيمن قد اجتمع من أصحابه في صفر ، فحاربه فانهزم كَيْسِغَلَنْجُ ، وانحاز إلى الصَيْمَرَةِ .

* * *

وفي هذه السنة لثلاث بَقَين من شهر ربيع الآخر دخل أبو أحمد وأصحابه طَهَيْشَا ، وأخرجوا منها سليمان بن جامع ، وقُتِلَ بها أحمد بن مهديّ الجَبَّائِيّ .

ذكر الخبر عن سبب دخول

١٩٦٨/٣

أبي أحمد وأصحابه طَهَيْشَا ومقتل الجَبَّائِيّ

ذكر محمد بن الحسن أن محمد بن حماد حدثه أن أبا أحمد لما أعطى أصحابه بيردودا ، فأصلح ما أراد لإصلاحه من عُدَّةٍ حربٍ مَنْ قصد لحربه في مخرجه ، سار متوجّهاً إلى طَهَيْشَا ، وذلك يوم الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين ، وكان مسيره على الظهر في خَيْمَلِه . وحُدِّرَت السفن بما فيها من الرّجالة والسلاح والآلات ، وحُدِّرَت المعابر والشّدوات والسّميريات ، إلى أن وافى بها النهر المعروف بمَهْرُودَ بحضرة القرية المعروفة بقرية الجوزيّة ، فنزل أبو أحمد هناك ، وأمر بعقد الجسر على النهر المعروف بمَهْرُودَ ، وأقام يومه وليلته . ثم غدا فعبرَ الفرسان والأهْقال بين يديه على الجسر ، ثم عبر بعد ذلك ، وأمر القوّاد والناس بالمسير إلى طَهَيْشَا ، فصاروا إلى الموضع الذي ارتضاه أبو أحمد لنفسه منزلاً على ميلين من مدينة سليمان بن جامع ، فأقام هنالك بلزاء أصحاب الخائن يوم الاثنين والثلاثاء لثمان بقين من شهر ربيع الآخر ، ومطر السماء مطراً جَسُوداً ، واشتدّ البرد أيامَ مقامه هنالك ، فشغِلَ بالمطر والبرد عن الحرب ، فلم يحارب هذه الأيام وبقية الجمعة . فلما كان عشية يوم الجمعة ركب أبو أحمد في نفر من قوّاده ومواليه لارتباد موضع لجال الخيل ، فانتهى إلى قريب من سور

١٩٦٩/٣

سليمان بن جامع ، فتلقتاه منهم جمع كثير . وخرج عليه كُمناء من مواضع شتى ، ونشبت الحرب واشتدت ؛ فترجل جماعة من الفرسان ، ودافعوا حتى خرجوا عن المضايق التي كانوا وغاوها ، وأسير من غلمان أبي أحمد وقواده غلام يقال له وصيف عليمدار وعدة من قواد زيرك ، ورى أبو العباس أحمد بن مهدي الجبائي بسهم في إحدى منخريه ، فخرق كل شيء وصل إليه حتى خالط دماغه ، فخرّ صريعاً ، وحُمِل إلى عسكر الخائن وهو للآبه ، فعظمت المصيبة به عليه ؛ إذ كان أعظم أصحابه غنى عنه ، وأشدّهم بصيرة في طاعته ، فكث الجبائي يعاليج أياماً ، ثم هلك ، فاشتدّ جزع الخائن عليه ، فصار إليه ، فولّى غسله وتكفينه والصلاة عليه والوقوف على قبره إلى أن دفن ، ثم أقبل على أصحابه فوعظهم ، وذكر موت الجبائي . وكانت وفاته في ليلة ذات رعود وبروق . وقال فيما ذكر : علمتُ وقت قبض روحه قبل وصول الخبر إليه بما سمع من زجل الملائكة بالدعاء له والترحم عليه .

قال محمد بن الحسن : فانصرف إلى أبو واثلة - وكان فيمن شهدته - فجعل يُعجبني مما سمع ، وجاءني محمد بن سمعان فأخبرني بمثل خبر محمد ابن هشام ، وانصرف الخائن من دفن الجبائي منكسراً عليه الكآبة .

١٩٧٠/٣

قال محمد بن الحسن : وحدثني محمد بن حماد أن أبا أحمد انصرف من الوقعة التي كانت عشية يوم الجمعة لأربع ليال بقين من شهر ربيع الآخر ، وكان خبره قد انتهى إلى عسكره ، فنهض إليه عامة الجيش ، فتلقوه منصرفاً ، فردّهم إلى عسكره ؛ وذلك في وقت المغرب ؛ فلما اجتمع أهل العسكر أمروا بالتحارس ليلتهم والتأهب للحرب ، فأصبحوا يوم السبت لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر ؛ فعبأ أبو أحمد أصحابه ، وجعلهم كتائب يتلو بعضها بعضاً ؛ فرساناً ورجالاً ، وأمر بالشّدَا والسميريّات أن يسار بها معه في النهار الذي يشقّ مدينة طهيسا المعروف بنهر المُنذر ، وسار نحو الزنج حتى انتهى إلى سور المدينة ، فرتب قواد غلمانه في المواضع التي يخاف خروج الزنج عليه منها ، وقدم الرجال أمام الفرسان ، ووكل بالمواضع التي يخاف خروج الكُمناء منها ، ونزل فصلى أربع ركعات ، وابتهل إلى الله عز وجل في النصر

له وللمسلمين . ثم دعا بسلاحه فلبسه ، وأمر ابنه أبا العباس بالتقدم إلى السور وتحضيض الغلمان على الحرب ، ففعل ذلك ؛ وقد كان سليمان بن جامع أعدَّ أمام سور مدينته التي سماها المنصورة خندقاً ، فلما انتهى إليه الغلمان تهيؤوا عبوره ، وأحجموا عنه ، فحرَّضهم قوادُّهم وترجلوا معهم ، فاقتحموه متجاسرين عليه ، فعبروه ، وانتهوا إلى الزَّنج وهم مشرفون من سور مدينتهم ، فوضعوا السلاح فيهم ، وعبرت شِرْذمة من الفرسان الخندق خوفاً .

١٩٧١/٣

فلما رأى الزَّنج خبر هؤلاء القوم الذين لقوهم وكرَّهم^(١) عليهم ولَّوْا منهزمين ، وأتبعهم أصحاب أبي أحمد ، ودخلوا المدينة من جَوَانِبِهَا . وكان الزَّنج قد حصنوها بخمسة خنادق ، وجعلوا أمام كلِّ خندق منها سوراً يمتنعون به ، فجعلوا يقفون عند كلِّ سور وخندق إذا انتهوا إليه ، وجعل أصحاب أبي أحمد يكشفونهم في كلِّ موقف وقفوه ، ودخلت الشَّذَا والسميريات مدينتهم من النهر المشقق لها بعد انهزامهم ، فجعلت تغرق كلَّ ما مرتَّ لهم به من شِذَاة وسميرية ، وأتبعوا مَنْ بجافى النهر ، يُقتلون ويُسْرون ، حتى أجلسوا عن المدينة وعمماً اتصل بها ، وكان زهاءُ ذلك فرسخاً ، فحوى أبو أحمد ذلك كله ، وأفلت سليمان بن جامع في نفر من أصحابه ، فاستحرقَّ القتل فيهم والأسر ، واستنقذ أبو أحمد من نساء أهل واسط وصبيانهم وما اتصل بذلك من القرى وُنواحي الكوفة زهاء عشرة آلاف . فأمر أبو أحمد بحياطتهم والإنفاق عليهم ، وحملوا إلى واسط ، ودُفَعوا إلى أهلهم . واحتوى أبو أحمد وأصحابه على كلِّ ما كان في تلك المدينة من الذخائر والأموال والأطعمة والمواشي ، وكان ذلك شيئاً جليل القدر ، فأمر أبو أحمد ببيع ما أصاب من الغلات وغير ذلك ، وحمله إلى بيت ماله ، وصرفه في أعطيات من في عسكره من مواليه وجنوده ، فحملوا من ذلك ما تهيأ لهم حمله ، وأسير من نساء سليمان وأولاده عدَّة ، واستنقذ يومئذ وصيف عليم دار ومن كان أسير معه عشية يوم الجمعة ، فأخرجوا من الحبس ، وكان الأمر أعجل الزَّنج عن قتلهم ، ولجأ

١٩٧٢/٣

جمع كثير ممن أفلت إلى الآجام المحيطة بالمدينة . فأمر أبو أحمد فعقد جسر^١ على هذا النهر المعروف بالمنذر ، فعبر الناس إلى غريبته ، وأقام أبو أحمد بطهيثا سبعة عشر يوماً ، وأمر بهدم سور المدينة وطمّ خنادقها ، ففعل ذلك ، وأمر بتتبع مَنْ لجأ إلى الآجام ، وجعل لكل مَنْ أتاه برجل منهم جُعلاً ، فتسارع الناس إلى طلبهم ؛ فكان إذا أتى بالواحد منهم عفا عنه ، وخلع عليه وضمّه إلى قواد غلمانته لما دبّر من استمالتهم وصرفهم عن طاعة صاحبهم ، ونذب أبو أحمد نصيراً في الشّدَا والسميريّات لطلب سليمان بن جامع والهرب معه من الزنج وغيرهم ، وأمره بالجدّ في اتباعهم حتى يجاوز البطائح ، وحتى يلج دجلة المعروفة بالعوراء ، وتقدّم في فتح الكُور التي كان الفاسق أحدّثها ، ليقطع بها الشّدَا عن دجلة فيما بينه وبين النهر المعروف بأبي الخصيب ، وتقدّم إلى زيرك في المقام بطهيثا ليتراجع إليها الذين كان الفاسق أجلاهم عنها من أهلها ، وأمره بتتبع مَنْ بقى في الآجام من الزنج حتى يظفر بهم .

* * *

وفي شهر ربيع الآخر منها ماتت أم حبيب بنت الرّشيد . ورحل أبو أحمد بعد إحكامه ما أراد إحكامه إلى معسكره^(١) ببرّدودا ، من معاً على التوجّه^(٢) نحو الأهواز ليصلحها ؛ وقد كان اضطرب أمر المهلبّي وإيقاعه بمن أوقع عليه من الجيوش التي كانت بها وغلبته على أكثر كُورها ، وقد كان أبو العباس تقدّمه في مسيره ذلك . فلما وافى بردودا أقام أياماً ، وأمر بإعداد ما يحتاج إليه للمسير على الظهر إلى كُور الأهواز ، وقدم مَنْ يصلح الطريق^(٣) والمنازل ، وبعدّ فيها الميسر للجيوش التي معه ، ووافاه قبل أن ترحل عن واسط زيرك منصرفاً عن طهيثا ؛ بعد أن تراجع إلى النواحي التي كان بها الزنج أهلها ، وخلّفهم آمنين . فأمره أبو أحمد بالاستعداد والانحدار في الشّدَا والسميريّات في نخبة أصحابه وأنجادهم ، ليصير بهم إلى دجلة العوراء ، فتجتمع يده

١٩٧٣/٣

(٢) س : « التوجيه » .

(١) س : « معسكره »

(٣) س : « الطرق » .

ويد أبي حمزة على نفص دجلة واتباع المنهزمين من الزنج والإيقاع بكل من لقوا من أصحاب الفاسق ، إلى أن ينتهي بهم السير إلى مدينته بنهر أبي الحصيب ، وإن رأوا موضع حرب حاربوه في مدينته ، وكتبوا بما كان منهم إلى أبي أحمد ليرد عليهم من أمره ما يعملون بحبسه . واستخلف أبو أحمد على من خلف في عسكره بواسط ابنه هارون ، وأزمع على الشخصوس فيمن خف من رجاله وأصحابه ، ففعل ذلك بعد أن تقدم إلى ابنه هارون في أن يحدّر الجيش الذي خلفه معه في السفن إلى مستقره بدجلة إذا وافى كتابه بذلك

* * *

وفي يوم الجمعة لليلة خلت من جمادى الآخرة من هذه السنة — وهى سنة ١٩٧٤/٣ سبع وستين ومائتين . ارتحل أبو أحمد من واسط شاخصاً إلى الأهواز وكورها ، فترزل باذيين ثم جوخى ثم الطيب ثم قرقوب ثم درستان ثم على وادى السوس ، وقد كان عقد له عليه جسر ، فأقام به من أول النهار إلى آخر وقت الظهر ، حتى عبر أهل عسكره أجمع ، ثم سار حتى وافى السوس ، فترزها — وقد كان أمر مسروراً — وهو عامله على الأهواز — بالقدوم عليه ، فوافاه في جيشه وقواده من غد اليوم الذى نزل فيه السوس ، فخلع عليه وعليهم ، وأقام السوس ثلاثاً .

وكان ممن أسير بطهيتا من أصحاب الفاسق أحمد بن موسى بن سعيد البصرى المعروف بالقلوص ، وكان أحد عُدده وقدماء أصحابه ، أسير بعد أن أنخين جراحاً كانت منها منيته ؛ فلما هلك أمر أبو أحمد باحتراز رأسه ونصبه على جسر واسط .

وكان ممن أسير يومئذ عبد الله بن محمد بن هشام الكرمانى ؛ وكان الخبيث اغتصبه أباه ، فوجّهه إلى طهيتا ، وولاه القضاء والصلاة بها . وأسير من السودان جماعة كان يعتمد عليهم ، أهل نجدة وبأس وجسد ؛ فلما اتصل به الخبر بما نال هؤلاء انتفض عليه تدبيره ، وضلّت حيلته ، فحمله فترط الهلع على أن كتب إلى المهلبى وهو يومئذ مقيم بالأهواز في زهاء ثلاثين ألفاً مع رجل كان صحبه ، يأمره بترك كل ما قبّله من الميسر والأثاث ، والإقبال إليه ؛ فوصل

١٩٧٥/٣

الكتاب إلى المهلبى وقد أتاه الخبر بإقبال أبي أحمد إلى الأهواز وكوثرها ، فهو لذلك طائر العقل ، فترك جميع ما كان قبـلـه ، واستخلف عليه محمد بن يحيى ابن سعيد الكـرنـبائى ، فدخـل قلب^(١) الكـرنـبائى من الوجـل ، فأخلى ما استـخـلف عليه ، وتبع المهلبى ، وبجـبى الأهواز ونواحيها يومئذ من أصناف الحبوب والتمر والمواشى شىء عظيم ، فخرجوا عن ذلك كله .

وكتب أيضاً الفاسق إلى بهبوذ بن عبد الوهاب ، وإليه يومئذ عمل الفسندم والباسيان وما اتصل بهما من القرى التى بين الأهواز وفارس ، وهو مقيم بالفسندم ، يأمره بالقدوم عليه ، فترك بهبوذ ما كان قبـلـه من الطعام والتمر - وكان ذلك شيئاً عظيماً - فحوى جميع ذلك أبو أحمد ، فكان ذلك قوة له على الفاسق ، وضعفًا للفاسق .

ولمّا فصل المهلبى عن الأهواز تفرق أصحابه فى القرى التى بينها وبين عسكر الخبيث فانتهبوها ، وأجلّسوا عنها أهلها ، وكانوا فى سلمهم ، وتخلّف خلق كثير ممّن كان مع المهلبى من الفرسان والرجالة عن اللحاق به ، فأقاموا بنواحي الأهواز . وكتبوا يسألون أبا أحمد الأمان لما انتهى إليهم من عفوه عمّن ظفر به من أصحاب الخبيث بطهيتا ، ولحق المهلبى ومّن اتبعه من أصحابه بنهر أبى الخصيب .

وكان الذى دعا الفاسق إلى أمر المهلبى وبهبوذ بسرعة المصير إليه خوفه موافاة أبى أحمد وأصحابه إياه على الحال التى كانوا عليها من الوجـل وشدة الرعب مع انقطاع المهلبى وبهبوذ فيمن كان معهما عنه ، ولم يكن الأمر كما قدر .

١٩٧٦/٣

وأقام أبو أحمد حتى أحرز ما كان المهلبى وبهبوذ خلفاه ، وفُتحت السكور التى كان الخبيث أحدثها فى دجلة ، وأصلحت له طرقه ومسالكه ورحل أبو أحمد عن السوس إلى جند يسابور ، فأقام بها ثلاثاً ، وقد كانت الأعلاف ضاقت على أهل العسكر ، فوجّه فى طلبها ، وحملها ورحل عن

(١) دخل قلبه ، أى دخله الاضطراب .

جند يسابور إلى تُسْتَر ، وأمر بجباية الأموال من كُور الأهواز ، وأنفذ إلى كل كورة قائداً ليرُوج بذلك حمل الأموال . ووجه أحمد بن أبي الأصبغ إلى محمد ابن عبيد الله الكردي ، وقد كان خائفاً أن يأتيه صاحب الفاسق قبل موافاة أبي أحمد كور الأهواز ، وأمره بإيناسه وإعلامه ما عليه رأيه من العفو عنه ، والتغمد لزلته ، وأن يتقدم إليه في تعجيل حمل الأموال والمسير إلى سوق الأهواز ، وأمر مسروراً البلخيّ عامله بالأهواز بإحضار مَن معه من الموالى والغلمان والجند ليعرضهم ، ويأمر بإعطائهم الأرزاق ، وينهضهم ^(١) معه لحرب الخبيث . فأحضرهم ، وعرضوا رجلاً رجلاً ، وأعطوا . ثم رحل إلى عسكر مُكْرَم ، فجعله منزلاً اجتازه ^(٢) . ورحل منه فوافى الأهواز ، وهو يرى أنه قد تقدّمه إليها من الميرة ما يحمل عساكره . فغلظ الأمر في ذلك اليوم ، واضطرب له الناس اضطراباً شديداً ، وأقام ثلاثة أيام ينتظر ورود الميّر ، فلم تَرِد ، فسأت أحوال الناس ، وكاد ذلك يفرّق جماعتهم ، فبحث أبو أحمد عن السبب المؤخّر ورودها ، فوجد الجند قد كانوا قطعوا قنطرة قديمة أعجمية كانت بين سوق الأهواز ورامَ هرمز يقال لها قنطرة أربك ، فامتنع التجار ومن يحمل الميرة من تطرّقه لقطع تلك القنطرة . فركب أبو أحمد إليها وهي على فرسخين من سوق الأهواز ، فجمع مَن كان بقيّ في العسكر من السودان ، وأمرهم بنقل الحجارة والصخّر لإصلاح هذه القنطرة وبذل لهم الأموال الرغبة ، فلم يرم حتى أصلحت في يومه ذلك ، ورُدّت إلى ما كانت عليه . فسلّكها الناس ، ووافت القوافل بالميسر ، فحيّى أهل العسكر ، وحسنت أحوالهم .

وأمر أبو أحمد بجمع السفن لعقد الجسر على دُجيل ، فجمعت من كُور الأهواز وأخذ في عقد الجسر ، وأقام بالأهواز أياماً حتى أصلح أصحابه أمورهم ، وما احتاجوا من آلاتهم ، وحسنت أحوال دوابهم ، وذهب عنها ما كان نالها من الضرّ بتخلف الأعلاف ، ووافت كتب القوم الذين كانوا تخلّفوا عن المهلب ، وأقاموا بسوق الأهواز يسألونه الأمان ، فأمنهم ، فأتاه نحو

(١) س : « وينهض » .

(٢) س : « اختاره » .

من ألف رجل ، فأحسن إليهم ، وضمهم إلى قواد غلمانهم ، وأجرى لهم الأرزاق ، وعقد الجسر على دُجَيْل ، فرحل بعد أن قدّم جيوشه ، فعبر الجسر ، وعسكر بالجانب الغربي من دُجَيْل في الموضع المعروف بقصر المأمون ، فأقام هنالك ثلاثاً ؛ وأصابته^(١) الناس في هذا الموضع من الليل زلزلة هائلة ، وقَتَّى الله شرّها ، وصرف مكرورها .

١٩٧٨/٣

وقد كان أبو أحمد قبل عبور الجسر المعقود على دُجَيْل قدّم أبا العباس ابته إلى الموضع الذي كان عزم على نزوله من دِجْلَة العوراء ، وهو الموضع المعروف بنهر المبارك من فُرات البصرة ، وكتب إلى ابنه هارون بالانحدار في جميع الجيش المتخلف معه إلى نهر المبارك أيضاً لتجتمع العساكر هناك ، فرحل أبو أحمد عن قصر المأمون ، فنزل بقُورَج العباس ، ووافاه أحمد بن أبى الأصبح هنالك بما صالح عليه محمد بن عبيد الله وبهدايا أهداها إليه من دوابٍ وضواريٍ وغير ذلك . ثم رحل عن القورَج ، فنزل بالجعفرية ، ولم يكن بهذه القرية ماء إلا من آبار كان أبو أحمد تقدّم بحفرها في عسكره ، وأنفذ لذلك سعداً الأسود مولى عبيد الله بن محمد بن عمار من قورَج العباس ، فحُفِرَتْ ، فأقام بهذا الموضع يوماً وليلة ، وألفى هناك ميسراً مجموعة ، واتسع الناس بها ، وتزوّدوا منها .

ثم رحل إلى الموضع المعروف بالبشير ، وألقى فيه غديرًا من المطر ، فأقام به يوماً وإيلة ، ورحل في آخر الليل يريد نهر المبارك ، فوافاه بعد صلاة الظهر ، وكان منزلاً بعيد المسافة ؛ وتلقاه ابنه أبو العباس وهارون في طريقه ، فسَلّما عليه ، وسارا بسيره حتى ورد نهر المبارك ، وذلك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين ومائتين .

وكان ليزيرك ونصير في الذي كان أبو أحمد وجّه فيه زيرك من تتبع قلّ الخبيث من طَهِيثا أثرٌ فيما بين فصول أبى أحمد من واسط إلى حال مصيره إلى نهر المبارك ؛ وذلك ما ذكره محمد بن الحسن عن محمد بن حماد ، قال :

(١) س : « وأصاب » .

لَمَّا اجتمع زيرك ونصير بدجلة العوراء انحدرتا حتى وافيا الأبلّة ، فاستأمن ١٩٧٩/٣
 إليهما رجل من أصحاب الخبيث ، فأعلمهما أن الخبيث^(١) قد أنفذ عدداً
 كثيراً من السُميريّات والزّواريق والصّلاخ مشحونة بالزّنج، يرأسهم رجل من
 أصحابه ، يقال له محمد بن إبراهيم، يكنى أبا عيسى ، ومحمد بن إبراهيم هذا
 رجل من أهل البصرة ، كان جاء به رجل من الزّنج عند خراب البصرة يقال
 له يسّار ، كان على مشرطة الفاسق ، فكان يكتب ليسار على ما كان يلي حتى
 مات ، وارتفعت حال أحمد بن مهدي الجبائيّ عند الخبيث ، فولّاه أكثر
 أعماله ، وضمّ محمد بن إبراهيم هذا إليه ، فكان كاتبه إلى أن هلك الجبائيّ -
 فطسّع محمد بن إبراهيم هذا في مرتبته ، وأن يحلّه الخبيث محلّ الجبائيّ ، فنبد
 الدّواة والقلم ، ولبس آلة الحرب ، وتجرّد للقتال ، فأنهضه الخبيث في هذا
 الجيش ، وأمره بالاعتراض في دجلة لمدافعة من يردّها من الجيوش ، فكان
 في دجلة أحياناً، وأحياناً يأتي بالجمع الذي معه إلى النهر المعروف بنهر يزيد،
 ومعه في ذلك الجيش شبّيل بن سالم وعمرو المعروف بغلام بوذي وأجلاد من
 السودان وغيرهم ، فاستأمن رجل كان في ذلك الجيش إلى زيرك ونصير ، وأخبرهما
 خبره ، وأعلمهما أن محمد بن إبراهيم على القصد لسواد عسكر نصير ، ونصير
 يومئذ معسكر بنهر الزّرقاء ، وأنهم على أن يسلكوا الأنهار المعترضة على نهر معقل ١٩٨٠/٣
 وبشقّ شيرين ، حتى يوافوا الموضع المعروف بالشرطة ، ليخرجوا من وراء العسكر
 فيكبّوا على طرفيه ؛ فرجع نصير عند وصول هذا الخبر إليه من الأبلّة مبادراً
 إلى معسكره ، وسار زيرك قاصداً لبشقّ شيرين ؛ حتى صار من مؤخّرة في
 موضع يعرف بالميّشان ؛ وذلك أنه قدّر أن محمد بن إبراهيم ومن معه يأتون عسكر
 نصير من ذلك الطريق ؛ فكان ذلك كما ظنّ ، ولقيهم في طريقهم فوهب
 الله له العلوّ عليهم بعد صبر منهم له ومجاهدة شديدة ؛ فانهزموا ولجئوا إلى النهر
 الذي كانوا وضعوا الكمين فيه ، وهو نهر يزيد، فدُلّ زيرك عليهم ، فتوغّلت
 عليهم سُميريّاته وشذواته، فقتل منهم طائفة، وأسّر طائفة؛ وكان ممن ظفّر به
 منهم محمد بن إبراهيم المكفيّ أبا عيسى وعمرو المعروف بغلام بوذي ، وأخذ

(١) س : أن أصحاب الخبيث .

ما كان معهم من السُميريات ، وذلك نحو من ثلاثين سُميرية ، وأفلت شبل في الذين نجوا ، فلحق بعسكر الخبيث ، وخرج زيرك من بَشَق شيرين ظافراً ومعه الأسارى ورعوس مَن قتل مع ما حوى من السُميريات والزَّواريق وسائر السفن ، فانصرف زيرك من دِجَلَة العَوْرَاء إلى واسط ، وكتب إلى أبي أحمد بما كان من حربه والنصر والفتح .

وكان فيما كان من زيرك في ذلك وصول الجزع إلى كل مَن كان بدِجَلَة وكُورها من أتباع الفاسق ، فاستأمن إلى أبي حمزة وهو مقيم بنهر المرأة منهم زهاء أثنى رجل - فيما قيل - فكتب بخبرهم إلى أبي أحمد ، فأمره بقبولهم وإقرارهم على الأمان وإجراء الأرزاق عليهم ، وخططهم بأصحابه ومناهضته العدو بهم .

١٩٨١/٣

وكان زيرك مقيماً بواسط إلى حين ورود كتاب أبي أحمد على ابنه هارون بالمصير بالجيش المتخلف معه إلى نهر المبارك ، فانهدر زيرك مع هارون ، وكتب أبو أحمد إلى نصير وهو بنهر المرأة يأمره بالإقبال إليه إلى نهر المبارك ، فوافاه هنالك ؛ وكان أبو العباس عند مصيره^(١) إلى نهر المبارك انهدر إلى عسكر الفاسق في الشَّذا والسُميريات ، فأوقع به في مدينته بنهر أبي الخصيب . وكانت الحرب بينه وبينهم من أوّل النهار إلى آخر وقت الظهر ، واستأمن إليه قائد من قوَاد الخبيث المضمومين كانوا إلى سليمان بن جامع ، يقال له منتاب ، ومعه جماعة من أصحابه ؛ فكان ذلك مما كسر الخبيث وأصحابه ، وانصرف أبو العباس بالظَّفَر ، وخلع على منتاب ووصله وحمله ، ولما لقي أبو العباس أباه أعلمه خبر منتاب ، وذكر له خروجه إليه بالأمان ، فأمر أبو أحمد لمنتاب بخِلعة وصلية وحُملان ، وكان منتاب أوّل مَن استأمن من قوَاد الزَّنج .

ولما نزل أبو أحمد نهر المبارك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين ومائتين ، كان أول ما عمل به في أمر^(٢) الخبيث - فيما ذكر محمد بن الحسن بن سهل ، عن محمد بن حمّاد بن إسحاق بن حمّاد بن زيد - أن

(٢) س : « أمور » .

(١) س : « مصيرهم » .

كتب إليه كتاباً يدعو فيه إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى مما ركب من سفك الدماء وانتهاك المحارم وإخرا ب البلدان والأمصار ، واستحلال الفروج والأموال ، وانتحال ما لم يجعله الله له أهلاً من النبوة والرسالة ، ويعلمه أن التوبة له ^(١) مبسطة ، والأمان له موجود ؛ فإن هو نزع عما هو عليه من الأمور التي يسخطها الله ، ودخل في جماعة المسلمين ، محاذ ذلك ما سلف من عظيم جرائمه ؛ وكان له به الحظ الجزيل في دنياه . وأنفذ ذلك مع رسوله إلى الخبيث ، والتمس الرسول إيصاله ، فامتنع أصحاب الخبيث من إيصال الكتاب ، فألقاه الرسول إليهم ، فأخذوه وأتوا به إلى الخبيث ، فقرأه فلم يزد ما كان فيه من الوعظ إلا نفوراً وإصراراً ، ولم يجب عن الكتاب بشيء ، وأقام على اغتراره ، ورجع الرسول إلى أبي أحمد فأخبره بما فعل ، وترك الخبيث الإجابة عن الكتاب . وأقام أبو أحمد يوم السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء متشاعلاً بعرض الشذآ والسُمير يات وترتيب قوآده ومواليه وغلمانة فيها ، وتخير الرماة وترتيبهم في الشذآ والسُمير يات ، فلما كان يوم الخميس سار أبو أحمد في أصحابه ، ومعه ابنه أبو العباس إلى مدينة الخبيث التي سمّاها المختارة من نهر أبي الخصب ، فأشرف عليها وتأمّلها ، فرأى من مسعنتها وحصانتها بالسُور والخنادق المحيطة بها وما عور من الطرق المؤدية إليها وأعد من المجانيق والعرادات والقسي النواكبة وسائر الآلات على سورها ما لم ير مثله ممن تقدّم من منازعي السلطان ، ورأى من كثرة عدد مقاتلتهم واجتماعهم ما استغلف أمره . فلما عين أصحابه أبا أحمد ، ارتفعت أصواتهم بما ارتجت له الأرض ، فأمر أبو أحمد عند ذلك ابنه أبا العباس بالتقدّم إلى سور المدينة ورشق من عليه بالسهم ، ففعل ذلك ودنا حتى ألصق شدّواته بمسناة قصر الخائن ، وانحازت الفسقة إلى الموضع الذي دنت منه الشذآ ، وتحاشدوا ، وتنابت سهامهم وحجارة مجانيقهم وعراداتهم ومقاليعهم ، ورمى عوامهم بالحجارة عن أيديهم ، حتى ما يقع طرف ناظر من الشذآ على موضع إلا رأى فيه سهماً أو حجراً ، وثبت أبو العباس ، فرأى الخائن وأشياعه من جدّهم واجتهادهم وصبرهم ما لا عهد لهم بمثله من أحد حاربهم .

فأمر أبو أحمد أبا العباس ومن معه بالرجوع إلى مواقفهم ليرَوْحُوا عن أنفسهم ويدأوا جراحهم ، ففعلوا ذلك .

واستأمن إلى أبي أحمد في تلك الحال مقاتلان من مقاتلة السُّميريات ، فأتوه بِسُمِيرَيْتِهما وما فيها من الآلات والملاحين ، فأمر للمقاتلين بخلع ديباج ومناطق محلاة ، ووصلهما ، وأمر للملاحين بخلع من خلع الحرير الأحمر والثياب البيض بما حسن موقعه منهم وعمتهم جميعاً بصلاته ، وأمر بإدناهم من الموضع الذي يراهم فيه نظراؤهم ؛ فكان ذلك من أبجع المكاييد التي كيد بها الفاسق . فلما رأى الباكون ما صار إليه أصحابهم من العفو عنهم والإحسان إليهم ، رغبوا في الأمان وتنافسوا فيه ، فابتدروه مسرعين نحوه ، راغبين فيما شرع لهم منه . فصار إلى أبي أحمد في ذلك اليوم عدد من أصحاب السُميريات ، فأمر فيهم بمثل ما أمر به في أصحابهم . فلما رأى الخبيث ركون أصحاب السُميريات إلى الأمان واغتنامهم له أمر برد مَنْ كان منهم في دجلة إلى نهر أبي الخصيب ، ووكل بفوّهة النهر مَنْ يمنعهم من الخروج ، وأمر بإظهار شدواته ، وندب لهم بهبوذ بن عبد الوهاب وهو من أشدّ حماته بأساً ، وأكثرهم عدداً وعدّة ، فانتدب بهبوذ لذلك في أصحابه ، وكان ذلك في وقت إقبال المدّ وقوته ، وقد تفرقت شدّوات أبي أحمد ، ولحق أبو حمزة فيما معه منها بشرق دجلة ، فأقام هنالك وهو يرى أنّ الحرب قد انقضت ، واستغنى عنه .

١٩٨٤/٣

فلما ظهر بهبوذ فيما معه من الشّدّوات أمر أبو أحمد بتقديم شدّواته ، وأمر أبا العباس بالحمل على بهبوذ بما معه من الشّدّاء ، وتقدّم إلى قوّاده وغلماّنه بالحمل معه ؛ وكان الذي صلبى بالحرب من الشّدّوات التي مع أبي العباس وزيرك من الشّدّوات التي رتب فيها قوّاد الغلمان اثنتي عشرة شداة . فنشبت الحرب ، وطمع أصحاب الفاسق في أبي العباس وأصحابه لقلّة عدد شدّواتهم . فلما صدّموا انهزموا . ووجه أبو العباس ومَنْ معه في طلب بهبوذ ، فألجئوه إلى فناء قصر الخبيث ، وأصابته طعنتان ، وجرح بالسهم جراحات ، وأوهنت

أعضاؤه^(١) بالحجارة، وختلى ما كان عليه مع أصحابه، فأولجوه نهر أبي الحصيب وقد أشقى على الموت، وقتل يومئذ من كان مع بهبوذ قائد من قواده ذو رأس ونجدة وتقدم في الحرب، يقول له عميرة^(١)، وظفر أصحاب أبي العباس بشذاة من شذوات بهبوذ، فقتل أهلها، وغرقوا، وأخذت الشذاة، وصار أبو العباس ومن معه بشذواتهم بعد أن اتاهم أمر أبي أحمد بذلك، وإلحاق الشذاة بشرقي دجلة وصرف الجيش. فلما رأى الفاسق جيش أبي أحمد منصرفاً أمر من كان انهزم في شذواته إلى نهر أبي الحصيب بالظهور ليسكن بذلك روعة أصحابه، وليكون صرفه إياهم إذا صرفهم عن غير هزيمة. فأمر أبو أحمد جماعة من غلمانه بأن يشتبوا صدور شذواتهم إليهم؛ ويقصدوهم. فلما رأوا ذلك ولّوا منهزمين مذعورين، وتأخرت عنهم شذاة من شذواتهم، فاستأمن أهلها إلى أبي أحمد، ونكسوا علماً أبيض كان معهم، فصاروا إليه في شذاتهم، فأومئوا وحبووا ووصلوا وكسوا. فأمر الفاسق عند ذلك برد شذواتهم إلى النهر ومنعها من الخروج، وكان ذلك في آخر النهار، وأمر أبو أحمد أصحابه بالرجوع إلى معسكرهم بنهر المبارك.

واستأمن إلى أبي أحمد في هذا اليوم عند منصرفه خلائق كثير من الزنج وغيرهم، فقبلهم، وحملهم في الشذاة^(٢) والسميريّات، وأمر أن يخلع عليهم ويوصلوا ويحبوا، وتكتب أسماؤهم في المضمومين إلى أبي العباس.

وسار أبو أحمد، فوافى عسكره بعد العشاء الأخيرة^(٣)، فأقام به يوم الجمعة والسبت والأحد، ثم عزم على نقل عسكره إلى حيث يقرب منه عليه القصد لحرب الخبيث، فركب الشذاة في يوم الاثنين لست ليال بقين من رجب سنة سبع وستين ومائتين، ومعه أبو العباس والقواد من مواليه وغلمانه، فيهم زيرك ولصير حتى وافى النهر المعروف بنهر جطى في شرقي دجلة، وهو حيال النهر المعروف باليهودي، فوقف عليه، وقدّر فيه ما أراد وانصرف، وخلف به أبا العباس وزيرك ونصيراً، وعاد إلى معسكره. فأمر فنودي في الناس

(٢) م : « الشذوات » .

(١) ب : « عنتره » .

(٣) ب : « وقت العشاء » .

بالرحيل إلى الموضع الذي اختار من نهر جَطَى ، وتقدّم في قوَد الدوابّ بعد أن أصلحت لها الطرق ، وعقدت القناطر على الأنهار، وغدا في يوم الثلاثاء لخمس بقين من رجب في جميع عساكره حتى نزل نهر جَطَى، فأقام به إلى يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع وستين ومائتين ، ولم يحارب في شيء من هذه الأيام ، وركب في هذا اليوم في الخيل والرجالة ، ومعه جميع الفرسان ، وجعل الرجالة والمطوّعة في السفن والسميريّات ، على كل رجل منهم لأمتّه وزيّته ، وسار حتى وافى الفرات ، ووازي عسكر الفاسق وأبو أحمد من أصحابه وأتباعه في زُهاء خمسين ألف رجل أو يزيدون ، والفاسق يومئذ في زهاء ثلثمائة ألف إنسان ، كلهم يقاتل أو يدافع ؛ فن ضارب بسيف^(١) ، وطاعن برمح ، ورام بقوس ، وقاذف بمقلّاع ، ورام بعُرّادة أو منجنيق ؛ وأضعفهم أمرُ الرماة بالحجارة عن أيديهم وهم النظارة المكثرون^(٢) السود ، والمعتسّون بالنعير والصباح ، والنساء يشركتهم في ذلك .

١٩٨٧/٣

فأقام أبو أحمد في هذا اليوم بإزاء عسكر الفاسق إلى أن أضحي ، وأمر فنودى أن الأمان مبسوط للناس ؛ أسودهم وأحمرهم إلا الخبيث ، وأمر بسهام فعُلّقت فيها رقايع مكتوب فيها من الأمان مثل الذي نودى به ، ووعد الناس فيها الإحسان ، ورمى بها إلى عسكر الخبيث ، فمالت إليه قلوب أصحاب المارق بالرّهبة والطمع فيما وعدهم من إحسانه وعفوه ؛ فأتاه في ذلك اليوم جمع كثير يحملهم الشّدّا إليه ، فوصلهم وجباهم. ثم انصرف إلى معسكره بنهر جَطَى ، ولم يكن في هذا اليوم حرب .

وقدم عليه قائدان من مواليه ؛ أحدهما بكتمر والآخر جعفر بن بغلاغر ، في جمع من أصحابهما فكان ورودهما زائداً في قوّة من مع أبي أحمد .

ورحل أبو أحمد عن نهر جَطَى إلى معسكر قد كان تقدم في إصلاحه ، وعقد القناطر على أنهاره ، وقطع النهر ليوسعه بفرات البصرة بإزاء مدينة الفاسق ؛ فكان نزوله هذا المعسكر في يوم الأحد للنصف من شعبان سنة سبع وستين

(٢) س : « والمكثرون » .

(١) س : « بالسيف » .

ومائتين ، وأوطن هذا المعسكر ، وأقام به ، ورتب قواده ورؤساء أصحابه مراتبهم فيه ، فجعل نصيراً صاحب الشدا والسمريات في جيشه في أول العسكر وآخره بالموضع الموازي النهر المعروف بجوى كور ، وجعل زيرك التركي صاحب مقدمة أبي العباس في أصحابه موازياً ما بين نهر أبي الخصيب وهو النهر الموسوم بنهر الأتراك والنهر المعروف بالمغيرة ، ثم تلاه على بن جهشيار حاجبه في جيشه .

وكانت مضارب أبي أحمد وابنيه حيال الموضع المعروف بدير جابيل ، وأنزل راشداً مولاه في مواليه وغلمانه الأتراك والخزر والروم والديلمة والطبرية والمغاربة والزنج على النهر المعروف بهطمة ، وجعل صاعد بن مخلد وزيره في جيشه من الموالى والغلمان فويق عسكر راشد ، وأنزل مسروراً البلخي في جيشه على النهر المعروف بسندادان ، وأنزل الفضل ومحمداً ، ابني موسى ابن بغا في جيشهما على النهر المعروف بهالة ، وتلاههما موسى دالجويه في جيشه وأصحابه ، وجعل بغراج التركي على ساقته نازلاً على نهر جطى ، وأوطنوه ، وأقاموا به . ورأى أبو أحمد من حال الخبيث وحصانة موضعه وكثرة جمعه ما علم أنه لا بد له من الصبر عليه ومحاصرته وتفريق أصحابه عنه ؛ يبذل الأمان لهم ، والإحسان إلى من أناب منهم ، والغلظة على من أقام على غيئه منهم ، واحتاج إلى الاستكثار من الشدا وما يحارب به في الماء .

فأمر بإنفاذ الرسل في حمل^(١) الميسر في البر والبحر وإدراجها إلى معسكره بالمدينة التي سماها الموقية ، وكتب إلى عماله في النواحي في حمل الأموال إلى بيت ماله في هذه المدينة. وأنفذ رسولا إلى سيراف وجنابا في بناء الشدا والاستكثار منها لما احتاج إليه من ترتيبها في المواضع التي يقطع بها الميسر عن الخائن وأشياعه . وأمر بالكتاب إلى عماله في النواحي بإنفاذ كل من يصلح للإثبات في الديوان ، ويرغب في ذلك ، وأقام ينتظر شهراً أو نحوه ؛ فوزدت الميسر متتابعةً يتلو بعضها بعضاً ، وجهز التجار صنوف التجارات والأمتعة وحملوها إلى المدينة الموقية ، واتخذت بها الأسواق ، وكثر بها التجار والمتجهزون من كل بلد، ووردتها

(١) ط : « حمد » ، تصحيف .

مراكب البحر ؛ وقد كانت انقطعت لقطع الفاسق وأصحابه سبلها قبل ذلك بأكثر من عشر سنين ، وبني أبو أحمد مسجد الجامع ، وأمر الناس بالصلاة فيه ، واتخذ دُورَ الضرب ، فضرب فيها الدنانير والدراهم ، فجمعت مدينة أبي أحمد جميع المرافق ، وسبق إليها صنوف المنافع حتى كان ساكنوها لا يفقدون بها شيئاً مما يوجد في الأمصار العظيمة القديمة ، وحملت الأوال ، وأدرّ للناس العطاء في أوقاته ، فاتسعوا وحسنت أحوالهم ، ورغب الناس جميعاً في المصير إلى المدينة الموقية والمقام فيها .

١٩٩٠/٣

وكان الخبيث بعد ليلتين من نزول أبي أحمد مدينته الموقية أمر بهوذ بن عبد الوهاب ، فعمّر والناس غارون في سُميريّات إلى طرف عسكر أبي حنّرة ، فأوقع به ، وقتل جماعة من أصحابه ، وأسر جماعة ، وأحرق كرخات كانت لهم قبل أن يبنى الناس هنالك . فأمر أبو أحمد نُصيراً عند ذلك بجمع أصحابه ، وألاً يطلق لأحد مفارقة عسكره ، وأن يحرس أقطار عسكره بالشّدَا والسُميريّات والزّواريق فيها الرّجالة إلى آخر مَيسان رُوذان والقَسَنَدَل وأبرسان ، للإيقاع بمن هنالك من أصحاب الفاسق .

وكان بميان رُوذان من قوّاده أيضاً إبراهيم بن جعفر الهمدانيّ في أربعة آلاف من الزّنج ، ومحمد بن أبان المعروف بأبي الحسن أخو عليّ بن أبان بالقَسَنَدَل في ثلاثة آلاف ، والمعروف بالدّور في أبرسان في ألف وخمسمائة من الزّنج والجبائيّين ، فبدأ أبو العباس بالهمدانيّ فأوقع به ، وجرت بينهما حروب ، قُتِلَ فيها خلق كثير من أصحاب الهمدانيّ ، وأسر منهم جماعة ، وأُذِلَّت الهمدانيّ في سُميريّة قد كان أعدّها لنفسه ، فلحق فيها بأخي المهلب المكنى بأبي الحسن ، واحتوى أصحاب أبي العباس على ما كان في أيدي الزّنج وحملوه إلى عسكرهم .

وقد كان أبو أحمد تقدم إلى ابنه أبي العباس في بذل الأمان لمن رغب فيه ، وأن يضمن لمن صار إليه الإحسان ، فصار إليه طائفة منهم في الأمان فأمنهم ، فصار بهم إلى أبيه ، فأمر لكل واحد منهم من الخِلاص والصّلات على أقدارهم في أنفسهم ، وأن يوقفوا بإزاء نهر أبي الحصب ليعاينهم أصحابهم . . وأقام

١٩٩١/٣

أبو أحمد يكايد الخائن ببذل الأمان لمن صار إليه من الزنج وغيرهم ، ومحاصرة
الباقين والتضييق عليهم ، وقطع الميسر والمنافع عنهم ؛ وكانت ميرة الأهواز
وما يرد من صنوف التجارات منها ومن كورها ونواحي أعمالها يسلمك به النهر
المعروف ببيان ، فسرى بهبوذ في جلد رجاله ليلة من الليالي ، وقد نعى إليه
خبر قيروان^(١) ورد بصنوف من التجارات والمير وكمسن في النخل ؛ فلما ورد
القيسروان خرج إلى أهله ، وهم غارون ، فقتل منهم وأسّر ، وأخذ ما أحب أن
يأخذ من الأموال .

وقد كان أبو أحمد أنفذ لبذرقة^(٢) ذلك القيسروان رجلاً من أصحابه
في جمع ، فلم يكن للموجه لذلك بهبوذ طاقة ، لكثرة عدد من معه وضيق
الموقع على الفرسان ، وأنه لم يكن بهم فيه غناء . فلما انتهى ذلك إلى أبي أحمد ،
غلظ عليه ما نال الناس في أموالهم وأنفسهم وتجاريتهم ، وأمر بتعويضهم ،
وأخلف عليهم مثل الذي ذهب لهم ، ورتب الشدا على فوّهة بيان وغيره من
الأنهار التي لا يتهياً لفرسان ساوكها في بنائها والإقبال بها إليه ، فورد عليه
منها عدد صالح ، فرتب فيها الرجال ، وقلد أمرها أبا العباس ابنه ، وأمره أن
يوكل بكل موضع يرد إلى الفسقة منه ميرة ، فانحدر أبو العباس لذلك إلى
فوّهة البحر في الشدوات ، ورتب في جميع تلك المسالك القواد ، وأحكم
الأمر فيه غاية الإحكام .

* * *

وفي شهر رمضان منها كانت وقعة بين إسحق بن كسنداج وإسحاق بن
أيوب وعيسى بن الشيخ وأبي المغراء وحمدان الشاري ومن تأشب^(٣) إليهم من
قبائل ربعة وتغلب وبكر واليمن ، فهزمهم ابن كسنداج إلى نصيبين ،
وتبعهم إلى قريب من آمد ، واحتوى على أموالهم ، ونزلوا آمِد ، فكانت
بينه وبينهم وقعات .

* * *

(٢) البذرقة : الحفارة .

(١) القيروان : القافلة .

(٣) ابن الأثير : « اجتمع » .

[ذكر خبر مقتل صندل الزنجي]

وفي شهر رمضان منها قُتل صندل الزنجي، وكان سبب قتله أن أصحاب الخبيث عَبَرُوا لليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكر - أعني سنة سبع وستين ومائتين - يريدون الإيقاع بعسكر نصير وعسكر زيرك ، فنذر بهم الناس ، فخرجوا إليهم ، فردّوهم خائبين ، وظفروا بصندل هذا . وكان - فيما ذكروا - يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورعوسهنّ ويقلبهنّ تقليب الإماء، فإن امتنعت منهنّ امرأة ضرب وجهها ودفعها إلى بعض علوج الزنج يبيعها بأوكس الثمن. فلما أتى به أبو أحمد، أمر به فشُدّ بين يديه ، ثم رمى بالسهم ، ثم أمر به فقتل .

* * *

[ذكر خبر استئمان الزنج إلى أبي أحمد]

وفي شهر رمضان من هذه السنة استأمن إلى أبي أحمد خلق كثير من عند الزنج (١) .

• ذكر سبب ذلك :

وكان السبب في ذلك أنه كان - فيما ذكر - استأمن إلى أبي أحمد رجلٌ من مذكوري أصحاب الخبيث ورؤسائهم وشجعانهم ، يقال له مهذّب ، فحمّل في الشدا إلى أبي أحمد ، فأَتى به في وقت إفطاره ، فأعلمه أنه جاء متنصِّحاً راعباً في الأمان ، وأن الزنج على العبور في ساعتهم تلك إلى عسكره للبيات ، وأنّ الذين ندب الفاسق لذلك أنجادهم وأبطالهم ؛ فأمر أبو أحمد بتوجيه مَنْ يحاربهم إليهم ومن يمنعهم من العبور وأن يعارضوا بالشدا . فلما علم الزنج أن قد نذر (٢) بهم انصرفوا منهزمين ، فكثُر المستأمنة من الزنج وغيرهم وتتابعوا ؛ فبلغ عدد مَنْ وافي عسكر أبي أحمد منهم إلى آخر شهر رمضان سنة سبع وستين ومائتين خمسة آلاف رجل من بين أبيض وأسود .

١٩٩٣/٣

(١) س : « عدد » .

(٢) س : « شعر » .

وفي شوال من هذه السنة ورد الخبر بدخول الخجستانى نيسابور وانهمزام عمرو بن الليث وأصحابه ، فأساء السيرة فى أهلها ، وهدم دور آل مُعَاذ بن مسلم ، وضرب من قدر عليه منهم واقتطع ضياعهم ، وترك ذكر محمد بن طاهر ، ودعا له على منابر ما غلب عليه من مدن خراسان والمعتمد ، وترك الدعاء لغيرهما .

• • •

[ذكر خبر الإيقاع بالزنج فى هذا العام]

وفى شوال من هذه السنة كانت لأبى العباس وقعة بالزنج ، قُتِل فيها منهم جمع كثير .
• ذكر سبب ذلك :

وكان السبب فى ذلك — فيما بلغنى — أن الفاسق انتخب من كل قيادة من أصحابه أهل الجلد والبأس منهم ، وأمر المهلبى بالعبور بهم لبيت عسكر أبى أحمد ، ففعل ذلك ، وكانت عدة من عبّروا من الزنج وغيرهم زهاء خمسة آلاف رجل أكثرهم من الزنج ، وفيهم ^(١) نحو من مائتى قائد ، فعبروا إلى شرقى دجلة ، وعزموا على أن يصيروا ^(٢) القواد منهم إلى آخر النخل مما يلي السبخة ؛ فيكونوا فى ظهر عسكر أبى أحمد ، ويعبر جماعة كثيرة منهم فى الشدأ والسُميريات والمعاير قبالة عسكر أبى أحمد ، فإذا نشبت الحرب بينهم انكب من كان عبر من قواد الخبيث ، فصار إلى السبخة على عسكر أبى أحمد الموفق ، وهم غارون مشاغيل بحرب من بإرائهم ، وقدّر أن يتهبأ له فى ذلك ما أحبه . فأقام الجيش فى الفرات ليلتهم ، ليغادوا الإيقاع بالعسكر . فاستأمن إلى أبى أحمد غلام كان معهم من الملاحين ، فأنهى إليه خبرهم وما اجتمعت عليه آراؤهم ، فأمر أبو أحمد أبا العباس والقواد والغلمان بالنهوض إليهم ؛ وقصد الناحية التى فيها أصحاب الخبيث ، وأنفذ جماعة من قواد غلمانه فى الخيل إلى السبخة التى فى مؤخر النخل بالفرات ، لتقطعهم عن

(١) س : « ومعهم » .

(٢) س : « يصيروا » .

الخروج إليها ، وأمر أصحاب الشّدَا والسميريات ، فاعترضوا في دجلة ، وأمر الرّجاله بالزّحف إليهم من النخل . فلما رأى الفجّار^(١) ما أتاهم من التدبير الذي لم يحتسبوه كرّوا راجعين في الطريق الذي أقبلوا منه طالين التّخلص ، فكان قصدهم لجويث بارويّه ، وانتهى خبر رجوعهم إلى الموفق ، فأمر أبا العباس وزيرك بالانحذار في الشّدّات يسبقونهم إلى النهر ؛ ليمنعوهم من عبوره . وأمر غلاماً من غلمانه ، يقال له ثابت ، له قيادة على جمّع كثير من غلمانه السودان أن يحمل أصحابه في المعابر والزّواريق وينحدر معهم إلى الموضع الذي فيه أعداء الله للإيقاع بهم حيث كانوا ، فأدركهم ثابت في أصحابه بجويث بارويه ، فخرج إليهم فحاربهم محاربة طويلة ، وثبتوا له ، واستقبلوا جمعه وهو من أصحابه في زهاء خمسمائة رجل ، لأنهم لم يكونوا تكاملوا وطمعوا فيه ، ثم صدقهم وأكبّ عليهم ، ففنحه الله أكتافهم ؛ فمِنَ مقتول وأسير وغريق وملجئ في الماء بقدر اقتداره على السباحة التّقطّطه الشّدَا والسميريات في دجلة والنهر ، فلم يفلت من ذلك الجيش إلا أقله . وانصرف أبو العباس بالفتح ، ومعه ثابت وقد علّقت الرّوس في الشّدّات وصلّب الأسارى فيها ، فاعترضوا بهم مدينتهم ليرهبوا بهم أشياءهم ؛ فلما رأوهم أبلسوا وأيقنوا بالبسّار ، وأدخل الأسارى والرّوس إلى الموفيّة ، وانتهى إلى أبي أحمد أن صاحب الزّنج موّه على أصحابه ، وأوهمهم أن الرّوس المرفوعة مُثلٌ مُثلٌ لهم ليراعدوا^(٢) ، وأن الأسارى من المستأمنة . فأمر الموفق عند ذلك أبا العباس بجمع الرّوس والمسير بها إلى إزاء قصر الفاسق والقذف بها في منجنيق منصوب في سفينة إلى عسكريه ، ففعل أبو العباس ذلك ، فلما سقطت الرّوس في مدينتهم ، عرف أولياء القتلى رّوس أصحابهم ، فظهر بكاؤهم ، وتبين^(٣) لهم كذب الفاجر وتمويهه .

١٩٩٥/٣

١٩٩٦/٣

* * *

وفي شوال من هذه السنة كانت لأصحاب ابن أبي الساج وقعة بالهيصم العجلىّ ، قتلوا فيها مقدّمته ، وغلبوا على عسكريه فاحتوه .

(٢) س : « لكم لراعوا » .

(١) ب : « الفاجر » .

(٣) س : « وظهر » .

[ذكر خبر الوقعة مع الزنج بنور ابن عمر]

وفى ذى القعدة منها كانت لزيرك وقعة مع جيش لصاحب الزنج بنور ابن عمر ، قتل زيرك منهم فيها خلقاً كثيراً .

• ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة :

ذكر أن صاحب الزنج كان أمر باتخاذ شذوات ، فعُمِلت له ، فضعها إلى ما كان يحارب به ، وقسم شذواته ثلاثة أقسام بين بهبوذ ونصر الرومي وأحمد ابن الزرتجي ، وألزم كل واحد منهم غرم ما يصنع على يديه منها ، وكانت زهاء خمسين شذاة ، ورتب فيها الرماة وأصحاب الرماح ، واجتهدوا في إكمال عدتهم وسلاحهم ، وأمرهم بالمسير في دجلة والعبور إلى الجانب الشرقي والتعرض لحرب أصحاب الموفق ، وعدة شذوات الموفق يومئذ قليلة ، لأنه لم يكن وافاه كل ما كان أمر باتخاذها ، وما كان عنده منها فتنفرق في فوّهة الأنهار التي يأتي الزنج منها الميسر . فغلظ أمر أعوان الفاجر ، ونهياً له أخذ شذاة بعد شذاة من شذا الموفق ، وأحجم نصير المعروف بأبي حمزة عن قتالهم والإقدام عليهم ، كما كان يفعل لقلّة ما معه من الشذاة ، وأكثر شذوات الموفق يومئذ مع نصير ، وهو المتولّي لأمرها . فارتاع لذلك أهل عسكر الموفق ، وخافوا أن يقدم على عسكرهم الزنج بما معهم من فضل الشذاة ، فورد عليهم في هذه الحال شذوات كان الموفق تقدّم في بنائها بجنائبها ، فأمر أبا العباس بتلقيها فيما معه من الشذاة حتى يوردها العسكر ، لإشفاقاً من اعتراض الزنج عليها في دجلة ، فسلمت ، وأتى بها حتى إذا وافت عسكر نصير ، فبصر بها الزنج طمعوا فيها ، فأمر الخبيث بإخراج شذواته ، وأمر أصحابه بمعارضتها والاجتهاد في اقتطاعها ، فنهضوا^(١) . لذلك . فترسّ غلام من غلمان أبي العباس شجاع يقال له وصيف يعرف بالحيجراي ، في شذوات كُنّ معه ، فشدّ على الزنج فانكشفوا ، وتبعهم حتى وافى بهم نهر أبي الخصيب ، وانقطع عن أصحابه ، فكروا عليه شذواتهم ، وانتهى إلى مضيق ، فعلمت مجاديف بعض شذواته

(١) س : « نهض » .

بمجاديف بعض شذواتهم ، فجنحت وتقصفت بالشطّ ، وأحاط به الآخرون واكتفوه من جوانبه ، وانحدر عليه الرّنج من السور ، فحاربهم بمنّ كان معه حرباً شديداً حتى قتلوا .

وأخذ الرّنج شذواتهم ، فأدخلوها نهر أبي الحصيب . ووافى أبو العباس بالشذوات الجنبائية سالمة بما فيها من السلاح والرجال ، فأمر أبو أحمد أبا العباس بتقلّد أمر الشّدّات كلها والمحاربة بها ، وقطع مواد المير عنهم من كلّ جهة . ففعل ذلك ، فأصلحت^(١) الشذوات ، ورتّب فيها المختارون من الناشبة والراحمة ؛ حتى إذا أحكم أمرها أجمع ، ورتّبها في المواضع التي كانت تقصد إليها شذوات الخبيث ، وتعيث فيها ، أقبلت شذواته على عاداتها التي كانت قد جرت عليها . فخرج إليهم أبو العباس في شّدّاته ، وأمر سائر أصحاب الشّدّا أن يحملوا بحملته ، ففعلوا ذلك وخالطوهم ، وطفقوا يرشقونهم بالسهم ، ويطعنونهم بالرمح ، ويقذفونهم بالحجارة ؛ وضرب الله وجوههم ، فولوا منهزمين ، وتبعهم أبو العباس وأصحابه حتى أوجهم نهر أبي الحصيب ، وغرق لهم ثلاث شّدّات ، وظفر بشذاتين من شّدّاتهم بما فيها من المقاتلة والملاحين . فأمر أبو العباس بضرب أعناق منّ ظفر به منهم .

١٩٩٨/٣

فلما رأى الخبيث ما نزل بأصحابه ، امتنع من إخراج الشّدّا عن فناء قصره ، ومنع أصحابه أن يجاوزوا بها الشطّ إلا في الأوقات التي يخلو دجلة فيها من شّدّات الموفق .

فلما أوقع بهم أبو العباس هذه الواقعة اشتدّ جزعهم ، وطلب وجوه أصحاب الخبيث الأمان فأومِنوا ، فكان ممن استأمن من وجوههم — فيما ذكر — محمد بن الحارث العمي ، وكان إليه حفظ عسكر منكي والسور الذي يلي عسكر الموفق ، وكان خروجه ليلاً مع عدّة من أصحابه ، فوصله الموفق بصلات كثيرة ، وخلع عليه ، وحمله على عدّة دوابّ بخليتها وآلتها ، وأسنى له الرّزق ، وكان محمد بن الحارث حاول إخراج زوجته معه ، وهي إحدى بنات عمه ،

١٩٩٩/٣

(١) ب : « فأصبحت » .

فعمّزت المرأة عن اللحاق به ، فأخذها الزنج فردّها إلى الخبيث ، فحبسها مدة ، ثم أمر بإخراجها والنداء عليها في السوق ، فبيعت ؛ ومنهم أحمد المعروف بالبرذعى . وكان — فيما قيل — من أشجع رجال الخبيث الذين كانوا في حيز المهلبى ومن قوّاده الزنج مدبد وابن أنكلويه ومنينة ، فخلع عليهم جميعاً ، ووُصلوا بصلات كثيرة ، وحُمِلوا على الخيل ، وأحسن إلى جميع من جاءوا به معهم من أصحابهم ، وانقطعت عن الخبيث موادّ الميرة ، وسُدّت عليه وعلى من أقام معه المذاهب . وأمر شبلا وأبا النداء — وهما من رؤساء قوّاده وقدماء أصحابه الذين كان يعتمد عليهم ويثق بمناصحتهم — بالخروج في عشرة آلاف من الزنج وغيرهم ، والقصد لنهر الدير ونهر المرأة ونهر أبى الأسد ، والخروج من هذه الأنهار إلى البسطيحة للغارة على المسلمين ، وأخذ ما وجدا من طعام وميرة ليُقطع عن عسكر الموفق ما يرده من الميرة وغيرها من مدينة السلام واسط ونواحيها . فندب الموفق لقصدهم حين انتهى إليه خبر مسيرهم مولاه زيرك صاحب مقدمة أبى العباس ، وأمره بالنهوض في أصحابه إليهم ، وضمّ إليه من اختار من الرجال ، فضى في الشدّات والسُميريات ، وحمل الرجال في الزواريق والسفن الخفاف حيثما ، حتى صار إلى نهر الدير ، فلم يعرف لهم هنالك خبراً ، فصار منه إلى بشق شيرين . ثم سلك في نهر عدى حتى خرج إلى نهر ابن عمر ، فالتقى به ^(١) جيش الرّنج في جمع راعته كثرت ، فاستخار الله في مجاهدتهم ^(٢) ، وحمل عليهم في ذوى البصائر والثبات من أصحابه ، فقذف الله الرعب في قلوبهم ، فانفضّوا ، ووضع فيهم السلاح ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وغرق منهم مثل ذلك ، وأسّر خلقاً كثيراً ، وأخذ من سفنهم ما أمكنه أخذه ، وغرق منها ما أمكن تغريقه ؛ فكان ما أخذ من سفنهم نحواً من أربعمائة سفينة ، وأقبل بمن معه من الأسارى والرّعوس إلى عسكر الموفق .

(١) س : « فيه » .

(٢) ب : « محاربتهم » .

[خبر عبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج لحربه]

وفى ذى الحجة لست بقين منه عبر الموفق بنفسه إلى مدينة الفاسق وجيشه
لحربه .

* ذكر السبب الذى من أجله كان عبوره إليها :

وكان السبب فى ذلك - فيما ذكر - أن الرؤساء من أصحاب الفاسق ،
لمّا رأوا ما قد حلّ بهم من البلاء من قتل من يظهر منهم وشدة الحصار
على من لزم المدينة ؛ فلم يظهر منهم أحد ، وحال من خرج منهم بالأمان
من الإحسان إليه ، والصفح عن جرّمه ، مالوا إلى الأمان ، وجعلوا يهربون فى
كلّ وجه ، ويخرجون إلى أبى أحمد فى الأمان كلّما وجدوا إليه السبيل .
فلبى الخبيث من ذلك رُعباً ، وأيقن الهلاك ، فوكلّ بكلّ ناحية كان يرى
أنّ فيها طريقاً للهرب من عسكره أحرّساً وحفّة^(١) ، وأمرهم بضبط تلك
النواحي ، ووكلّ بفوّهة الأنهار من يمنع السفن من الخروج منها ، واجتهد
فى سدّ كلّ مسلك وطريق وثلمة ؛ لئلا يطمع فى الخروج عن مدينته .

٢٠٠١/٣

وأرسل جماعة من قوّاد الفاجر صاحب الزنج إلى الموفق يسألونه الأمان ،
وأن يوجه لمحاربة الخبيث جيشاً ليجدوا إلى المصير إليه سيلاً ، فأمر الموفق
أبا العباس بالمصير فى جماعة من أصحابه إلى الموضع المعروف بنهر الغربى ،
وعلى بن أبان حينئذ يحوط ذلك النهر ؛ فنهض أبو العباس فى المختارين من
أصحابه ، ومعه الشّدّا والسّميريات والمعابر ، فقصّد النهر الغربى ، وانتدب
المهلبي وأصحابه لحربه ، فاستعرت الحرب بين الفريقين ، وعلا أصحاب
أبى العباس ، وقهر الزّنج ، وأمدّ الفاسق المهلبى بسليمان بن جامع فى جمّع
من الزّنج كثير ، واتصلت الحرب يومئذ من أوّل النهار إلى وقت العصر ؛
وكان الظفر فى ذلك اليوم لأبى العباس وأصحابه ، وصار إليه القوم الذين
كانوا طلبوا الأمان من قوّاد الخبيث ، ومعهم جمع كثير من الفرسان وغيرهم
من الزّنج ، فأمر أبو العباس عند ذلك أصحابه بالرجوع إلى الشّدّا والسفن ،

وانصرف فاجتاز في منصرفه بمدينة الخبيث ، حتى انتهى إلى الموضع المعروف بنهر الأتراك ، فرأى أصحابه من قلة عدد الزنج في هذا الموضع من النهر ما طمعوا له فيمن كان هناك ، فقصدوا نحوهم ، وقد انصرف أكثر أصحابهم إلى المدينة الموقية ، ففربوا إلى الأرض ، وصعدوا وأمعنوا في دخول تلك المسالك ، وعاشت جماعة منهم السور ، وعليه فريق من الزنج وأشياهم ، فقتلوا من أصابوا منهم هنالك ، ونذر الفاسق يوم ، فاجتمعوا لحربهم ، وأنجد بعضهم بعضاً .

فلما رأى أبو العباس اجتماع الخبيثاء وتحاشدهم وكثرة من تاب إلى ذلك الموضع منهم ، مع قلة عدد من هنالك^(١) من أصحابه ، كرّ راجعاً إليهم فيمن كان معه في الشّدَا ، وأرسل إلى الموفق يستمدّه ، فوافاه لمعنته من خفّ لذلك من الغلمان في الشّدَا والسُّميريات ، فظهروا على الزنج وهزمهم ؛ وقد كان سليمان بن جامع لما رأى ظهور أصحاب أبي العباس على الزنج ، وغلّ في النهر مصاعداً في جمع كثير ؛ فانتهى إلى النهر المعروف بعبد الله ، واستدبر أصحاب أبي العباس وهم في حريهم ، مقبلين على من يلزائهم ممن يحاربهم ، فيمعنون في طلب من انهزم عنهم من الزنج . فخرج عليهم من ورائهم ، وخفقت طبونه ، فأنكشف أصحاب أبي العباس ، ورجع عليهم من كان انهزم عنهم من الزنج ، فأصيّبت جماعة من غلمان الموفق وغيرهم من جنده ، وصار في أيدي الزنج عدة أعلام ومطارد ، وحامى أبو العباس عن الباقيين من أصحابه ، فسلم أكثرهم ، فانصرف بهم ؛ فأطمعت هذه الوقعة الزنج وتبّاعهم^(٢) ، وشدتّ قلوبهم ، فأجمع الموفق على العبور بجيشه أجمع لمحاربة الخبيث ، وأمر أبا العباس وسائر القواد والغلمان بالتأهب للعبور ، وأمر بجمع السفن والمعابر وتفريقها عليهم ، ووقف على يوم بعينه أراد العبور فيه ، فعصفت رياح منعت من ذلك ، واتصل عصفوها أياماً كثيرة ؛ فأمل الموفق حتى انقضى هبوب تلك الرياح ، ثم أخذ في الاستعداد للعبور ومناجزة الفاجر .

٢٠٠٣/٣

(٢) س : « وأتباعهم » .

(١) س : « هناك » .

فلما تهيأ له ما أراد من ذلك عبر يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذى الحجة من سنة سبع وستين ومائتين في أكثف جَمْعٍ وأكل عدة ، وأمر بحمل خيل كثيرة في السفن ، وتقدم إلى أبي العباس في المسير في الخيل ومعه جميع قواده الفرسان ورجلآتهم ، ليأتى الفجرة من ورائهم من مؤخر النهر المعروف بمنكى ، وأمر مسروراً البلخي مولاه بالقصد إلى نهر الغربى ليضطر الخبيث بذلك إلى تفريق أصحابه ، وتقدم إلى نصير المعروف بأبى حمزة ورشيق غلام أبى العباس وهو من أصحابه - وشذواته في مثل العدة التى فيها نصير - بالقصد نفوّه نهر أبى الخصيب والحاربة لما يظهر من شدّوات الخبيث ، وقد كان استكثر منها ، وأعدّ فيها المقاتلة وانتخبهم . وقصد أبو أحمد بجميع من معه لركن من أركان مدينة الخبيث قد كان حصنه بابنه المعروف بأنكلأى ، وكنفه بعلّى بن أبان وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني وحفقه بالمجانيق والعرادات والقسى الناكية ، وأعدّ فيه الناشبة وجمع فيه أكثر جيشه .

فلما اتقى الجمعان أمر الموفق غلما نه : الناشبة والرايحة والسودان ، بالدنو من الركن الذى فيه جمع الفسقة ، وبينه وبينهم النهر المعروف بنهر الأتراك ، وهو نهر عريض غزير للماء . فلما انتهوا إليه أحجموا عنه ، فصيح بهم ، وحرّضوا على العبور فعبروا سباحة ، والفسقة يرمونهم بالمجانيق والعرادات والمقاليع والحجارة عن الأيدي ، وبالسهام عن القسى الناوكية ، وقسى الرّجل وصنوف الآلات التى يرمى عنها ؛ فصبروا على جميع ذلك حتى جاوزوا النهر ، وانتهوا إلى السور ، ولم يكن لحقهم من الفعلة من كان أعيدّ لهدمه . فتولّى الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من سلاحهم ويسّر الله ذلك ، وسهّلوا لأنفسهم السبيل إلى علوة ، وحضرهم بعض السلايم التى كانت أعيدّت لذلك ، فعلوا الركن ، ونصبوا هنالك علماً من أعلام الموفق ، وأسلم الفسقة سورهم ، وخلوا عنه بعد أن حوربوا عليه أشدّ حرب ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، وأصيب غلام من غلمان الموفق يقال له ثابت بسهم فى بطنه فمات ، وكان من قواد الغلمان وجيلتهم .

ولما تمكن أصحاب الموفق من سور الفسقة ، أحرقوا ما كان عليه من منجنيق

وعرّادة وقوس ناوكيّة ، وخلقوا عن تلك الناحية وأساموها . وقد كان أبو العباس قصد بأصحابه في الخيل النهر المعروف بمنكى ، ففضى علىّ بن أبان المهلبيّ في أصحابه ، قاصداً لمعارضته ودفعه عمّا صمده له ، والتقى ، فظهر أبو العباس عليه وهزمه ، وقتل جمعاً كثيراً من أصحابه ، وأفلت المهلبيّ راجعاً ، وانتهى أبو العباس إلى الموضع الذي قدّر أن يصل منه إلى مدينة الفاسق من مؤخر نهر منكى ، وهو يرى أنّ المدخل من ذلك الموضع سهل ، فدخل إلى الخندق ٢٠٠٥/٣ فوجده عريضاً ممتنعاً ، فحمل أصحابه على أن يعبروه بخيولهم ، وعبره الرّجال سباحةً حتى وافوا السور ، فثلموا فيه ثلماً اتّسع لهم منه الدخول فدخلوا ، فلقى أوائلهم سليمان بن جامع ، وقد أقبل للمدافعة عن تلك الناحية لما انتهى إليه انهزام المهلبيّ عنها ، فحاربوه ، وكان إمام القوم عشرة من غلمان الموفق ، فدافعوا سليمان وأصحابه ، وهم خلق كثير ، وكشفوهم مراراً كثيرة ، وحاموا عن سائر أصحابهم حتى رجعوا إلى مواضعهم (١) .

وقال محمد بن حمّاد : لما غلب أصحاب الموفق على الموضع الذي كان الفاسق حرسه بآبائه والمذكورين من أصحابه وقوّاده ، وشعثوا من السور الذي أفضوا إليه ما أمكنهم تشعيثه ، وافاهم الذين كانوا أعدوا للهدم بمعاولهم وآلاتهم ، فثلموا في السور عدّة ثلم ، وقد كان الموفق أعدّ لخندق الفسقة جسراً يمدّ عليه ، فمدّ عليه ، وعبر جمهور الناس . فلما عاين الحبّة ذلك ، ارتاعوا فانهزموا عن سورهم ثان قد كانوا اعتصموا به ، ودخل أصحاب الموفق مدينة الخائن ، فولّى الفاجرُ وأشيعه منهزمين ، وأصحاب الموفق يتبعونهم ويقتلون من انتهوا إليه منهم ؛ حتى انتهوا إلى النهر المعروف بابن سمعان ، وصارت دار ابن سمعان في أيدي أصحاب الموفق ، وأحرقوا ما كان فيها وهدموها ، ووقف الفجرة على نهر ابن سمعان وقوفاً طويلاً ، ودافعوا مدافعة شديدة ، وشدّ بعض غلمان الموفق على علىّ بن أبان المهلبيّ ، فأدبر عنه هارباً ، فقبض على متزّه ، فخلّى عن المتزّر ، ونبذه إلى الغلام ، ونجا بعد أن أشفى على الهلكة ، وحمل أصحاب الموفق على الرّنج حملةً صادقة ، فكشفوهم عن النهر المعروف بابن سمعان ،

حتى وافقوا بهم طرف ميدان الفاسق ، وانتهى إليه خبرُ هزيمة أصحابه ودخول أصحاب الموفق مدينته من أقطارها ، فركب في جمع من أصحابه ، فتلقاه أصحاب الموفق ، وهم يعرفونه في طرف ميدانه ، فحملوا عليه ، ففترق عنه أصحابه ومن كان معه وأفردوه ، وقرب منه بعض الرجال حتى ضرب وجه فرسه بترسه ؛ وكان ذلك مع مغيب الشمس ، فأمر الموفق أصحابه بالرجوع إلى سفنهم ، فرجعوا سالمين ، قد حملوا من رعوس الخيلاء شيئاً كثيراً ، ونالوا كل الذي أحبوا منهم من قتل وجراح وتحريق منازل وأسواق ، وقد كان استأمن إلى أبي العباس في أول النهار عدد من قواد الفاجر وفرسانه ، فاحتاج إلى التوقف على حملهم في السفن ، وأظلم الليل ، وهبت ريح شمال عاصف ، وقوى الجزر ، فلصق أكثر السفن بالطين .

وحرض الخبيث أشياءه واستنجدهم ، فبات منهم جماعة ، وشدوا على السفن المتخلفة ، فنالوا منها نسيلاً ، وقتلوا فيها نفراً ؛ وقد كان بهرؤ بإزاء مسرور البلخي وأصحابه في هذا اليوم في نهر الغربي ، فأوقع بهم ، وقتل جماعة منهم ، وأسر أسارى ، وصارت في يده دواب من دوابهم ، فكسر ذلك نشاط أصحاب الموفق . وقد كان الخبيث أخرج في هذا اليوم (١) جميع شدّاته إلى دجلة محاربين فيها رشيقياً ، وضرب منها رشيقي على عدة شدّات ، وغرق منها وحرّق ، وانهمزم الباقون إلى نهر أبي الحصيب .

٢٠٠٧/٣

وذكر أنه نزل في هذا اليوم بالفاسق وأصحابه مادعاهم إلى التفرق والهرب على وجوههم نحو نهر الأمير والقنديل وإبرسان وعبّادان وسائر القرى ، وهرب يومئذ أخو سليمان بن موسى الشعراني : محمد وعيسى ، فضيا يؤمّان البادية ، حتى انتهى إليهما رجوع أصحاب الموفق ، فرجعا ، وهرب جماعة من العرب الذين كانوا في عسكر الفاسق ، وصاروا إلى البصرة ، وبعثوا يطلبون الأمان من أبي أحمد ، فأمنهم ، ووجّه إليهم السفن ، فحملهم إلى الموقية ، وأمر أن يخلّص عليهم ، ويوصلوا ، ويجرى عليهم الأرزاق والأنزال ، ففعل ذلك بهم .

وكان فيمن رغب في الأمان من جلة قواد الفاجر ربحان بن صالح المغربي ، وكانت له رياسة وقيادة ، وكان يتولى حجة ابن الخبيث المعروف بأنكلاى ، فكتب ربحان يطلب الأمان لنفسه ولجماعة من أصحابه ، فأجيب إلى ذلك ، وأنفذ إليه عدد كثير من الشدا والسميريات والمعابر مع زيرك القائد صاحب مقدمة أبي العباس ، فسلك النهر المعروف باليهودى ، حتى وافى الموضع المعروف بالمطوعة ، فألقى به ربحان ومن معه من أصحابه ، وقد كان الموعد تقدم فى ٢٠٠٨/٣ موافاة ذلك الموضع زيرك ربحان ومن معه ، فوافى بهم دار الموفق ، فأمر لربحان بخلع ، وحمل على عدة من أفراس بالنتها ، وأجيز بجائزة سنية ، وخلع على أصحابه ، وأجيزوا على أقدارهم ، وضُمَّ إلى أبي العباس ، وأمير بحمله وحمل أصحابه والمصير بهم إلى إزاء دار الخبيث ، فوقفوا هنالك فى الشدا ، فعرفوا خروج ربحان وأصحابه فى الأمان ، وما صاروا إليه من الإحسان ، فاستأنم فى ساعتهم تلك من أصحاب ربحان الذين كانوا تعاضوا وغيرهم جماعة ، فألحقوا فى البر والإحسان بأصحابهم ؛ وكان خروج ربحان بعد الوقعة التى كانت يوم الأربعاء فى يوم الأحد لليلة بقيت من ذى الحجة سنة سبع وستين ومائتين .

* * *

وفى هذه السنة أقبل أحمد بن عبد الله الخجستانى يريد العراق بزعمه ؛ حتى صار إلى سمنان ، وتحصن منه أهل الرى وحصنوا مدينتهم ؛ ثم انصرف من سمنان راجعاً إلى خراسان .

وفىها انصرف خلق كثير من طريق مكة فى البدأة لشدة الحر ، ومضى خلق كثير ، فأتى من مضى خلق كثير من شدة الحر ، وكثير منهم من العطش ، وذلك كله فى البدأة ، وأوقعت فزارة فيها بالتجار ، فأخذوا — فيما ذكر — منهم سبعمائة حمل بز .

وفىها اجتمع بالموسم عامل لأحمد بن طولون فى خيله وعامل لعمر بن الليث فى خيله ، فنازع كل واحد منهما صاحبه فى ركز علمه على يمين المنبر فى مسجد إبراهيم خليل الرحمن ، وادعى كل واحد منهما أن الولاية

لصاحبه ، وسلأ السيوف ، فخرج معظم الناس من المسجد ، وأعان موالى هارون ابن محمد من الزننح صاحب عمرو بن الليث ، فوقف حيث أراد ، وقصر هارون - وكان عامل مكة - الخطبة وسلم الناس ، وكان المعروف بأبى المغيرة المخزومى حينئذ يحرس فى جميعّة .

وفيهما نفى الطباع عن سامراً .

وفيهما ضرب الخجستانى لنفسه دنانير ودراهم ووزن الدينار^(١) منها عشرة دوانيق ، ووزن الدرهم ثمانية دوانيق ، عليه : «المُلك والقدرة لله ، والحوّل والقوّة بالله ؛ لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وعلى جانب منه : «المعتمد على الله باليمن والسعادة » ، وعلى الجانب الآخر : « الوافى أحمد بن عبد الله » .

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمى .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر استئمان جعفر بن إبراهيم إلى أبي أحمد الموفق]

فمن ذلك ما كان من استئمان جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجّان إلى أبي أحمد الموفق في يوم الثلاثاء في غرة المحرم منها. وذكر أن السبب كان في ذلك الوقعة التي كانت لأبي أحمد في آخر ذى الحجة من سنة سبع وستين ومائتين التي ذكرناها قبل ، وهرب ربحان بن صالح المغربي من عسكر الفاجر وأصحابه ولحاقه بأبي أحمد ، فنخب قلب الخبيث لذلك ؛ وذلك أن السجّان كان — فيما قيل — أحد ثقاته ، فأمر أبو أحمد للسجّان هذا بخليع وجوائز وصيلات وحُمَلاَن وأرزاق ، وأقيمت له أنزال ، وضمّ إلى أبي العباس ، وأمره بحمله في الشدّاة إلى إزاء قصر الفاسق ؛ حتى رآه وأصحابه ، وكلمهم السجّان ، وأخبرهم أنهم في غرور من الخبيث ، وأعلمهم ما قد وقف عليه من كذبه وفجوره ؛ فاستأمن في هذا اليوم الذي حُمِل فيه السجّان من عسكر الخبيث خلق كثير من قوّاده الزنج وغيرهم ، وأحسن إليهم ، وتتابع الناس في طلب الأمان والخروج من عند الخبيث ، ثم أقام أبو أحمد بعد الوقعة التي ذكرت أنها كانت لليلة بقيت من ذى الحجة من سنة سبع وستين ومائتين ، لا يعبر إلى الخبيث لحرب ، يُجِمْ بذلك أصحابه إلى شهر ربيع الآخر .

* * *

وفي هذه السنة صار عمرو بن الليث إلى فارس لحرب عامله محمد بن الليث عليها ، فهزمه عمرو ، واستباح عسكره ، وأفلت محمد بن الليث في نفر ، ودخل عمرو إصطخر ، فأنتهى أصحابه ، ووجه عمرو في طلب محمد بن الليث فظفر به ، وأتى به أسيراً ، ثم صار عمرو إلى شيراز فأقام بها .

وفي شهر ربيع الأول منها زلزلت بغداد لثمان خلون منه ، وكان بعد ذلك ثلاثة أيام مطر شديد ، ووقعت بها أربع صواعق .

وفيها زحف العباس بن أحمد بن طولون لحرب أبيه ، فخرج إليه أبوه أحمد إلى الإسكندرية ، فظفر به وردّه إلى مصر فرجع معه إليها .

* * *

[ذكر خبر عبور الموفق إلى مدينة الزنج]

ولأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر منها عبر أبو أحمد الموفق إلى مدينة الفاجر ، بعد أن أوّسّى قوّته في مقامه بمدينة الموفقية ، بالتضييق عليه والحصار ، ومنعه وصول الميّرإليه ؛ حتى استأمن إليه خلق كثير من أصحابه ؛ فلما أراد العبور إليها أمر - فيما ذكر - ابنه أبا العباس بالتصدّ للموضع الذي كان قصده من ركن مدينة الخبيث الذي يحوطه بابنه وجيلة أصحابه وقوّاده ، وقصد أبو أحمد مضعاً من السور فيما بين النهر المعروف بمنكى والنهر المعروف بابن سمعان ، وأمر صاعداً وزيره بالقصد لفوّهة النهر المعروف بجري كور ، وتقدّم إلى زيرك في مكانفته ، وأمر مسروراً البلخي بالقصد لنور الغربي ، وضمّ إلى كلّ واحد منهم من الفعّلة جماعة لهدم ما يليهم من السور ، وتقدّم إلى جميعهم ألاّ يزيدوا على هدم السور ، وألا يدخلوا مدينة الخبيث . ووكل بكل ناحية من النواحي التي وجه إليها القوّاد شدّوات فيها الرماة ، وأمرهم أن يحدها بالسهم من يهدم السور من الفعّلة والرجالة الذين يخرجون للمدافعة عنهم ، فثلم في السور ثلم كثيرة ، ودخل أصحاب أبي أحمد مدينة الفاجر من جميع تلك الثلّام ، وجاء أصحاب الخبيث بحاربونهم ، فزمرهم أصحاب أبي أحمد ، وأتبعوهم حتى غلوا في طلبهم ، واختلفت بهم طرق المدينة ، وفرقت بينهم السكك والفجاج ، فانتهوا إلى أبعد من الموضع الذي كانوا وصلوا إليه في المرّة التي قبلها ، وحرّقوا وقتلوا .

ثم تراجع أصحاب الخبيث ، فشدّوا على أصحاب أبي أحمد ، وخرج كمنّاوهم من نواح يهتدون لها ولا يعرفها الآخرون ، فتحيّر من كان داخل

المدينة من أصحاب أبي أحمد ، ودافعوا عن أنفسهم ، وتراجعوا نحو دجلة حتى وافاها أكثرهم ؛ فنهزم من دخل السفينة ، ومنهم من قذف نفسه في الماء ، فأخذه أصحاب الشّدَا ، ومنهم من قتل . وأصاب أصحاب الحبيث أسلحةً وأسلاباً ، وثبت جماعة من غلمان أبي أحمد بحضرة دار ابن سميان ، ومعهم راشد وموسى بن أخت مفلح ، في جماعة من قواد الغلمان كانوا آخر من ثبت من الناس ، ثم أحاط بهم الزنج وكثروهم ، وحالوا بينهم وبين الشّدَا ، فدافعوا عن أنفسهم وأصحابهم ، حتى وصلوا إلى الشّدَا فركبوها . وأقام نحو من ثلاثين غلاماً من الديلمة في وجوه الزنج وغيرهم ، يحمون الناس ، ويدفعون عنهم حتى سلموا ، وقتل الثلاثون من الديلمة عن آخرهم ، بعد ما نالوا من الفجّار ما أحبوا ، وعظم على الناس ما نالهم في هذه الواقعة ، وانصرف أبو أحمد بمن معه إلى مدينته الموقبية ، وأمر يجمعهم وعَدَّ لِيهِمْ^(١) على ما كان منهم من مخالفة أمره ، والافتيات عليه في رأيه وتدييره ، وتوعدهم بأغلظ العقوبة إن عادوا لخلاف أمره بعد ذلك ، وأمر بإحصاء^(٢) المفقودين من أصحابه فأحصوا له ، فأتى بأسمائهم ، وأقر ما كان جارياً لهم على أولادهم وأهاليهم ، فحسن موقع ذلك منهم ، وزاد في صحة نياتهم لما رأوا من حياطه خلف من أصيب في طاعته .

٢٠١٣/٣

* * *

[ذكر واقعة أبي العباس بمن كان يمدّ الزنج من الأعراب]

وفيهما كانت لأبي العباس وقعة^١ يقوم من الأعراب الذين كانوا يميرون الفاسق اجتاحتهم فيها .

* ذكر الخبر عن السبب الذي كانت من أجله هذه الواقعة :

ذكر أن الفاسق لما خرب البصرة ولأها رجلاً من قدماء أصحابه يقال له أحمد بن موسى بن سعيد المعروف بالقلموص ؛ فكان يتولّى أمرها ، وصارت

(٢) س : « بإحضار » .

(١) س : « وعدلهم » .

فرصة للفاسق يَسْرِدها الأعراب والتجار ، ويأتونها بالمير وأنواع التجارات ، ويُحْمَل ما يردّها إلى عسكر الخبيث ، حتّى فتح أبو أحمد طهيشا ، وأسر القلوص . فولّى الخبيثُ ابنَ أخت القلوص — يقال له مالك بن بيشران — البَصْرَةَ وما يليها . فلمّا نزل أبو أحمد فرات البَصْرَةَ خاف الفاجر إيقاع أبي أحمد بمالك هذا ، وهو يومئذ نازل بسَمِيحان على نهر يعرف بنهر ابن عتبة . فكتب إلى مالك يأمره بنقل عسكره إلى النهر المعروف بالديناريّ ، وأن ينفذ جماعة ممّن معه لصيد السمك وإدرا رحله إلى عسكره ، وأن يوجّه قوماً إلى الطريق التي يأتي منها الأعراب من البادية ، ليعرف ورود ممّن يرد منهم بالمير ، فإذا وردت رُفقة من الأعراب خرج إليها بأصحابه ، حتّى يحمل ما تأتى به إلى الخبيث ؛ ففعل ذلك مالك ابن أخت القلوص ، ووجّه إلى البَطِيحَة رجلين من أهل قرية بسمى ، يعرف أحدهما بالريّان والآخر الخليل ، كانا مقيمين بعسكر الخبيث ، فنهض الخليل والريّان وجمعا جماعةً من أهل الطّف ، وأتيا قرية بسمى ، فأقاما بها يحملان السمك من البَطِيحَة أولاً وأولاً إلى عسكر الخبيث في الزواريق الصغار التي تسلك بها الأنهار الضيقة والأرخبجان التي لا تسلكها الشدّا والسُميريّات ؛ فكانت موادّ سمك البَطِيحَة متصلة إلى عسكر الخبيث بمقام هذين الرجلين بحيث ذكرنا ، واتصلت أيضاً ميّرة الأعراب وما كانوا يأتون به من البادية . فاتسع أهلُ عسكره ، ودام ذلك إلى أن استأمن إلى الموفق رجلٌ من أصحاب الفاجر الذين كانوا مضمومين إلى القلوص ، يقال له عليّ بن عمر ، ويعرف بالنقّاب ، فأخبر بخبر مالك بن بيشران ومقامه بالنهر المعروف بالديناريّ ، وما يصل إلى عسكر الخبيث بمقامه هناك من سمك البطيحة وجلب الأعراب . فوجّه الموفق زيرك مولاه في الشدّا والسُميريّات إلى الموضع الذي به ابن أخت القلوص ، فأوقع به وبأهل عسكره ، فقتل منهم فريقاً وأسر فريقاً ، وتفرّق أهلُ ذلك العسكر ، وانصرف مالك إلى الخبيث مفلولاً ، فردّه الخبيث في جمع إلى مؤخّر النهر المعروف باليهوديّ ؛ فعسكر هنالك بموضع قريب من النهر^(١) المعروف بالفيّاض ، فكانت المير تتصل بعسكر الخبيث مما يلي سبخة

٢٠١٤/٣

٢٠١٥/٣

الفيّاض . فانتهى خبر مالك ومقامه بمؤخر نهر اليهودى ووقع الميّر من تلك الناحية إلى عسكر الفاجر إلى الموفق ، فأمر ابنه أبا العباس بالمصير إلى نهر الأمير ، والنهر المعروف بالفيّاض لتعرف حقيقة ما انتهى إليه من ذلك ؛ فنفذ الجيش ، فوافق جماعة من الأعراب يرأسهم رجل قد أورد من البادية إبلًا وغنمًا وطعامًا ، فأوقع بهم أبو العباس ، فقتل منهم جماعة وأسّر الباقين ، ولم يقتل من القوم إلا رئيسهم ؛ فإنه سبق على حِجْر^(١) كانت تحته ، فأمن هربًا ، وأخذ كل ما كان أولئك الأعراب أتوا به من الإبل والغنم والطعام ، وقطع أبو العباس يد أحد الأسرى وأطلقه ، فصار إلى معسكر الخبيث ، فأخبرهم بما نزل به ، فربّع مالك ابن أخت القلوص بما كان من إيقاع أبي العباس بهؤلاء الأعراب . فاستأمن إلى أبي أحمد ، فأومن وحبي وكسيّ وضُم إلى أبي العباس وأجريت له الأرزاق ، وأقيمت له الأنزال . وأقام الخبيث مقام مالك رجلاً كان من أصحاب القلوص ، ويقال له أحمد بن الجنيد ، وأمره أن يعسكر بالموضع المعروف بالدهرشير ومؤخر نهر أبي الخصب ، وأن يصير في أصحابه إلى ما يقبل من سملك البَطِيحَة ، فيحمله إلى عسكر الخبيث ، وتأذى إلى ٢٠١٦/٣ أبي أحمد خبر أحمد بن الجنيد ، فوجّه قائداً من قواد الموالي يقال له الترمدان في جيش ، فعسكر بالجزيرة المعروفة بالروحية ، فانقطع ما كان يأتي إلى عسكر الخبيث من سملك البَطِيحَة ، ووجّه الموفق شهاب بن العلاء ومحمد بن الحسن العنبريّين في خيل لمنع الأعراب من حمل الميّر إلى عسكر الخبيث ، وأمر بإطلاق السوق لهم بالبصرة ، وحمل ما يريدون امتياره من التمر ؛ إذ كان ذلك سبب مصيرهم إلى عسكر الخبيث ، فتقدّم شهاب ومحمد لما أمرا به ، فأقاما بالموضع المعروف بقصر عيسى ؛ فكان الأعراب يوردون إليهما ما يجلبونه من البادية ، ويمتارون التمر ممّا قبلهما .

ثم صرف أبو أحمد الترمدان عن البصرة ، ووجّه مكانه قائداً من قواد الفراغة ، يقال له قيصر بن أرخوز إخشاذ فرغانة ، ووجّه نصيراً المعروف بأبي حمزة في الشّذا والسّميريات ، وأمره بالمقام بفيض البصرة ونهر دُبَيْس

(١) الحجر : الأثني من الخيل .

وأن يخرق نهر الأبلّة ونهر معقل ونهر غربى ، ففعل ذلك .

قال محمد بن الحسن : وحدّثنى محمد بن حماد ، قال : لما انقطعت الميرة عن الخبيث وأشياعه بمقام نصير وقبصر بالبصرة ، ومنعهم الميرة من البطيحة والبحر بالشّذا ، صرفوا الحيلة إلى سلوك نهر الأمير إلى القسندل ، ثم سلوك المسيحيّ إلى الطرق المؤدية إلى البرّ والبحر ، فكانت ميرةهم من البرّ والبحر ، وامتيارهم سمك البحر من هذه الجهة ، فانتبهى ذلك إلى الموفق ، فأمر رشيقيّ غلام أبى العباس باتخاذ عسكر بجوئيث بارويه فى الجانب الشرقى من دجلة بإزاء نهر الأمير ، وأن يحفر له خندقاً حصيناً ، وأمر أبى العباس أن يضمّ إلى رشيقيّ من خيار أصحابه خمسة آلاف رجل وثلاثين شذاة ، وتقدّم إلى رشيقيّ فى ترتيب هذه الشذاة على فوّهة نهر الأمير ، وأن يجعل على كلّ خمس عشرة شذاة منها نوبة يلدج فيها نهر الأمير ، حتى ينتهى إلى المعترض الذى كان الزنج يسلكونه إلى دُبّا والقسندل والنهر المعروف بالمسيحيّ ؛ فيكون هناك ؛ فإن طلع عليهم من الحبشاء طالع أوقعوا به ؛ فإذا انقضت نوبتهم انصرفوا وعاقبهم أصحابهم المقيمون على فوّهة النهر ففعلوا مثل هذا الفعل . فعسكر رشيقيّ فى الموضع الذى أمر بترتيبه به ، فانقطعت طرق الفجرة التى كانوا يسلكونها إلى دُبّا والقسندل والمسيحيّ ؛ فلم يكن لهم سبيل إلى برّ ولا بحر ، فضاقت عليهم المذاهب ، واشتدّ عليهم الحصار .

* * *

وفىها أوقع أخو شركب بالحجّستانى وأخذ أمّه .

وفىها وثب ابن شبث بن الحسن ، فأخذ عمر بن سبأ وإلى حلوان .

وفىها انصرف أحمد بن أبى الأصبع من عند عمرو بن الليث ، وكان عمرو قد وجّهه إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف ، فقدم معه بمال ، فوجّه عمرو ممّا صودر عليه ثلثمائة ألف دينار ونيّفاً وهدية فيها خمسون منّا مسكاً وخمسون منّا عنبراً ، ومائتا منّ عوداً ، وثلثمائة ثوب وشئ وغيره ، وآنية ذهب وفضة ودواب وغلمان بقيمة مائتى ألف دينار ؛ فكان ما حمل وأهدى بقيمة خمسمائة ألف دينار .

٢٠١٧/٣

٢٠١٨/٣

وفيها ولّى كَيْسَغَلْغَلُ الخليل بن ريمال حُلوان ، فنالهم بالمكاره بسبب عمر ابن سِيا وأخذهم بجريرة ابن شَيْث ، فضمّينوا له خلاص ابن سِيا وإصلاح أمر ابن شَيْث .

* * *

[ذكر خبر إيقاع رشيق بمن أعان الزنج من تميم]

وفيها أوقع رشيق غلام أبي العباس بن الموفق بقوم من بني تميم ، كانوا أعانوا الزنج على دخول البصرة وإحراقها ، وكان السبب في ذلك أنه كان انتوى إليه أن قومًا من هؤلاء الأعراب قد جلبوا ميرةً من البرّ إلى مدينة الخبيث ؛ طعاماً وإبلا وغنماً ، وأنهم في مؤخر نهر الأمير ينتظرون سفناً تأتيهم من مؤخر عسكر الفاجر تحملهم وما معهم . فسرى إليهم رشيق في الشّدّا ، فوافى الموضع الذي كانوا حلّوا به ، وهو النهر المعروف بالإسحاق ، فأوقع بهم وهم غارون ، فقتل أكثرهم وأسّر جماعة منهم^(١) وهم تجار كانوا خرجوا^(٢) من عسكر الخبيث لجلب الميرة ، وحوى ما كان معهم من أصناف المير والشاء والإبل والحمير التي كانوا حملوا عليها^(٣) الميرة . فحمل الأسرى والرؤوس في الشّدّا وفي سفن كانت معه إلى الموقية ، فأمر الموفق فعلقت الرؤوس في الشّدّا ، وصُلب الأسارى^(٤) هنالك ؛ وأظهر ما صار إلى رشيق وأصحابه ، وطيف بذلك في أقطار العسكر ، ثم أمر بالرؤوس والأسارى ، فاجتيز بهم على عسكر الخبيث حتى عرفوا ما كان من رشيق من الإيقاع بجالي المير إليهم ، ففعل ذلك . وكان فيمن ظفّر به رشيق رجل من الأعراب ، كان يُسفر بين صاحب الزنج والأعراب في جلب الميرة ، فأمر به الموفق فقطعت يده ورجله ، وألقى في عسكر الخبيث . ثم أمر بضرب أعناق الأسارى فضربت ، وسوّغ أصحاب رشيق ما أصابوا من أموالهم ، وأمر لرشيق بخلع وصلة ، وردّه إلى عسكره ، فكثّر المستأمنون إلى رشيق . فأمر أبو أحمد بضمّ من خرج منهم إلى رشيق إليه ، فكثّروا حتى كان كأكثر العساكر جمعاً ، وانقطعت عن

(١) س : « وأسّر أكثر من بقى » . (٢) ب : « أخرجوا » .

(٣) س : « المير عليها » . (٤) ب : « الأسرى » .

الخبيث وأصحابه الميّر من الوجوه كلّها ، وانسدّ عليهم كلّ مسلك كان لهم ، فأضربهم الحصار ، وأضعف أبدانهم ؛ فكان الأسير منهم يؤسر ؛ والمستأمن يستأمن ، فيسأل عن عهده بالخبز ، فيعجب من ذلك ؛ ويذكر أنّ عهده بالخبز مذ سنة وستين . فلما صار أصحاب الخائن إلى هذه الحال ، رأى الموفق أن يتابع الإيقاع بهم ، ليزيدهم بذلك ضرراً وجهداً ، فخرج إلى أبي أحمد في هذا الوقت في الأمان خلق كثير ، واحتاج من كان مقيماً في حيز الفاسق إلى الحيلة لقوته ، ففترقوا في القرى والأنهار النائية عن معسكرهم في طلب القوات ، فتأدّى الخبر بذلك إلى أبي أحمد ، فأمر جماعة من قواد غلمانه السودان وعرفائهم بأن يقصدوا المواضع التي يعتادها الزنج ، وأن يستميلوهم ويستدعوا طاعتهم ؛ فسنّ أبى الدخول منهم في ذلك قتلوه وحملوا رأسه ، وجعل لهم^(١) جعلاً ؛ فحرصوا وواظبوا على الغدو والرواح ؛ فكانوا لا يخلون في يوم من الأيام من جماعة يجلبونهم ، ورعوس يأتون بها ، وأسارى يأسرونهم .

٢٠٢٠/٣

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن حمّاد : ولما كثر أسارى الزنج عند الموفق ، أمر باعتراضهم ؛ فسنّ كان منهم ذا قوة وجسّد ونهوض بالسلاح منّ عليه ، وأحسن إليه ، وخلطه بغلمانه السودان ، وعرفهم ما لهم عنده من البرّ والإحسان ، ومن كان منهم ضعيفاً لا حرّاك به ، أو شيخاً فانيّاً لا يطيق حمل السلاح ، أو مجروحاً جراحة قد أزمّنته ، أمر بأن يُكسبى ثوبين ، ويوصل بدراهم ، ويزوّد ويحمل إلى عسكر الخبيث ؛ فبقي هناك بعد ما يؤمر بوصف ما عاين من إحسان الموفق إلى كلّ منّ يصير إليه ، وأنّ ذلك رأيه في جميع منّ يأتيه مستأمنّاً ويأسره منهم ؛ فتهيأ له من ذلك ما أراد من استمالة أصحاب الزنج ؛ حتى استشعروا الميل إلى ناحيته^(٢) والدخول في سلّمه^(٣) وطاعته ؛ وجعل الموفق وابنه أبو العباس يغاديان حرب الخبيث ومنّ معه ، ويراجحانها بأنفسهما ومنّ معهما ، فيقتلان ويأسران ويحرّحان ، وأصاب أبا العباس في بعض تلك الوقعات سهم جرحه فبرأ منه .

٢٠٢١/٣

* * *

(٢) س : « طاعته » .

(١) ب : « وجعلوا له » .

(٣) س : « إلى سلّمه » .

[ذكر الخبر عن قتل بهبوذ بن عبد الوهاب]

وفي رجب من هذه السنة قتل بهبوذ صاحب الخبيث .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذكر أن أكثر أصحاب الفاسق غارات ، وأرشدتهم ^(١) تعرضاً لقطع السبيل وأخذ الأموال ، كان بهبوذ بن عبد الوهاب ، وكان قد جمع من ذلك مالا جليلا ، وكان كثير الخروج في السميريات الخفاف ، فيخترق الأنهار المؤدية إلى دجلة ، فإذا صادف سفينة لأصحاب الموفق أخذها فأدخلها النهر الذي خرج منه ، فإن تبعه تابع حتى توغل في طلبه خرج عليه من النهر قوم من أصحابه قد أعدهم لذلك ، فاقتطعوه وأوقعوا به ؛ فلما كثر ذلك وتحرز منه ركب شدة ، وشبهها بشذوات الموفق ، ونصب عليها مثل أعلامه ، وسار بها في دجلة ، فإذا ظفر بغرة من أهل العسكر أوقع بهم ، فقتل وأسر ، ويتجاوز إلى نهر الأبلة ونهر معقل وبشق شيرين ونهر الدبر فيقطع السبيل ، ويعبث في أموال السابلة ودمائهم ؛ فرأى الموفق عند ما انتهى ^(٢) إليه من أفعال ^(٣) ٢٠٢٢/٣ بهبوذ أن يسكر جميع الأنهار التي يخف سكرها ، ويرتب الشدة على فتوة الأنهار العظام ؛ ليأمن عبث بهبوذ وأشياعه ، ويأمن سبيل الناس ومسالكهم . فلما حرست هذه المسالك ، وسكر ما أمكن سكره من الأنهار ، وحيل بين بهبوذ وبين ما كان يفعل ؛ أقام منتهزا فرصة في غفلة أصحاب الشذا الموكلين بفوة نهر الأبلة ؛ حتى إذا وجد ذلك اجتاز من مؤخر نهر أبي الخصيب في شذوات مثل أصحاب الموفق وسميرياتهم ، ونصب عليها مثل أعلامهم ، وشحنها بجلد أصحابه وأنجادهم وشجعانهم ، واعترض بها في معترض يؤدى إلى النهر المعروف باليهودى ، ثم سلك نهر نافذ حتى خرج منه إلى نهر الأبلة ، وانتهى إلى الشذوات والسميريات المرتبة لحفظ النهر ، وأهلها غارون غافلون ، فأوقع بهم ، وقتل جمعا ، وأسر أسرى ، وأخذ ست شذوات ، وكر راجعا في نهر الأبلة ، وانتهى الخبر بما كان من بهبوذ

(٣) س : « أنهى » .

(١) س : « أرشدهم » .

(٢) س : « فعال » .

إلى الموفق ، فأمر أبا العباس بمعارضته في الشَّدَا من النَّهر المعروف باليهودي ،
ورجا أن يسبقه إلى المعترَض فيقطعه عن الطريق المؤدِّي إلى مأمته .

فوافى أبو العباس الموضع ^(١) المعروف بالمطوَّعة ، وقد سبق بهبوذ ، فتَوَاجَّح
النهر المعروف بالسعيدى ؛ وهو نهر يؤدِّي إلى نهر أبي الحصيب . وبصر
أبو العباس بشَدَوَات بهبوذ ، وطمَّع في إدراكها ، فجَدَّ في طلبها ، فأدركها
ونشبت الحرب ، فقتل أبو العباس من أصحاب بهبوذ جَمْعًا ، وأسر جمعًا ،
واستأمن إليه فريق منهم ، وتلقى بهبوذ من أشياعه خلق ^(٢) كثير ، فعاونه ودافعوا
عنه دفعًا شديدًا ، وقد كان الماء جزرًا ، فجرت شَدَوَاتُه في الطين في
المواضع التي ^(٣) نَضَبَ الماء عنها من تلك الأنهار والمعرَضات ، فأفلت بهبوذ
والباقون من أصحابه بجُرَيْعة الذَّقَن .

٢٠٢٣/٣

وأقام الموفق على حصار الخبيث ومن معه ، وسدَّ المسالك التي كانت الميَّير
تأتيهم منها ، وكثر المستأمنون منهم ، فأمر الموفق لهم بالخِلَاع والجواز ،
وحملوا على الخيل الحياذ بسروجها ولحمها وآلتها ، وأجريت لهم الأرزاق ،
وانتهى الخبر إلى الموفق بعد ذلك أن الضرَّ والبؤس قد أحوج جماعة من أصحاب
الخبيث إلى التفرُّق في القرى لطلب القوت من السمك والتمر ، فأمر ابنه
أبا العباس بالمصير إلى تلك القرى والنواحي والإسراع إليها في الشَّدَا والسميريات ،
وما خفَّ من الزوارق وأن يستصحب جُلْد أصحابه ^(٤) وشجعانهم وأبطالهم
ليحول بين هؤلاء الرِّجال والرجوع إلى مدينة صاحب الزَّنج ؛ فتوجَّه أبو العباس
لذلك ، وعلم الخبيث بمسير أبي العباس له ، فأمر بهبوذ أن يسير في أصحابه في
المعرَضات والأنهار الغامضة ليخفي خبره ، إلى أن يوافي القَسْدل وأبراسان
ونواحيها ، فنهض بهبوذ لما أمره ^(٥) به الخبيث من ذلك فاعترضت له في طريقه
سُميرية من سُميريات أبي العباس ، فيها غلمان من غلمانه ^(٦) الناشبة في
جماعة الزَّنج ، فقصده بهبوذ لهذه السُميرية طامعًا فيها ، فحاربه أهلها ،

٢٠٢٤/٣

(١) ب : « بالموضع »

(٢) ب : « جمع » .

(٣) ب : « في الموضع الذي » .

(٤) ب : « جلة أصحابه » .

(٥) س : « أمر » .

(٦) ب ، س : « غلام من غلمانه » .

فأصابته طعنة في بطنه من يد غلام من مقاتلة السميرية أسود، فهوى إلى الماء، فابتدره أصحابه، فحملوه، ولتوا منهزمين إلى عسكر الخبيث، فلم يصلوا به إليه؛ حتى أراح الله منه؛ فعظمت الفجعة به على الفاسق وأوليائه، واشتد عليه جزعهم، وكان قتله الخبيث من أعظم الفتوح، وخفي هلاكه على أبي أحمد؛ حتى استأمن رجل من الملاحين، فأنهى إليه الخبر، فسرت بذلك، وأمر بإحضار الغلام الذي ولي قتله، فأحضر، فوصله وكساه وطوقه، وزاد في أرزاقه، وأمر لجميع من كان في تلك السميرية بجوائز وخلع وصلات.

* * *

وفي هذه السنة كان أول شهر رمضان منها يوم الأحد، وكان الأحد الثاني من السعانيين^(١) وفي الأحد الثالث الفصح، وفي الأحد الرابع النيروز^(٢)، وفي الأحد الخامس انسلاخ الشهر.

وفيها ظفر أبو أحمد بالنوابي، وكان ممابلاً لصاحب الزنج.

وفيها كانت وقعة بين يدكوتكين بن إسانكين وأحمد بن عبد العزيز، فهزمه يدكوتكين وغلبه على قم.

وفيها وجه عمرو بن الليث قائداً بأمر أبي أحمد إلى محمد بن عبيد الله بن أزار مرد الكردي، فأسره القائد وحمله إليه.

وفي ذى القعدة منها خرج رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشمي بالشام يقال له بكار بن سلمية وحلب وحمص؛ فدعا لأبي أحمد، فحاربه ابن عباس الكلابي، فانهزم الكلابي، ووجه إليه لؤلؤ صاحب ابن طولون قائداً يقال له بودن في عسكر وجيش كثيف، فرجع وليس معه كثير أحد. وفيها أظهر لؤلؤ الخلاف على ابن طولون.

وفيها قتل صاحب الزنج ابن ملك الزنج، وكان بلغه أنه يريد اللحاق بأبي أحمد.

(١) السعانيين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع، يخرجون فيه بصلبانهم.

(٢) النيروز : أول يوم من السنة، مغرب : « فوروزا ».

وفيها قتل أحمد بن عبد الله الحُجُستاني، قتله غلام له في ذي الحجة :
وفيها قتل أصحاب ابن أبي الساج محمد بن علي بن حبيب اليشكري بالقرية
ناحية واسط، وتُصِيب رأسه ببغداد .

وفيها حارب محمد بن كُشْجُور علي بن الحسين كفتمر ، فأسر ابنُ
كُشْجُور كفتمر ثم أطلقه ، وذلك في ذي الحجة .

وفيها أسير العلوي الذي يعرف بالحرُون ، وذلك أنه اعترض الخريطة التي
يوجّه بها بخبر الموسم فأخذها ، فوجّه خليفة ابن أبي الساج على طريق مكة
مَنْ أخذ الحرُون ، ووجّههُ إلى الموفق .

٢٠٢٦/٣

وفيها كان مصير أبي المغيرة المخزومي إلى مكة ، وعاملها هارون بن محمد بن
إسحاق الهاشمي ، فجمع هارون جمعاً^(١) نحواً من ألفين ، فامتنع بهم منه^(٢)
فصار المخزومي إلى عين مُشَاش فعورها ، وإلى جُدَّة ، فنهب الطعام ، وحرّق
بيوت أهلها ، فصار الخبز بمكة أوقيّتان^(٣) بدرهم .

وفيها خرج ابن الصّقلبيّة طاغية الرّوم ، فأناخ على مَلَطِيّية ، وأعانهم
أهل مِرْعَش والحدّث ، فانهزم الطاغية ، وتبعوه إلى السريع .

وغزا الصائف من ناحية الثغور الشامية خلف الفرغاني عامل ابن طولون ،
فقتل من الرّوم بضعة عشر ألفاً ، وغنم الناس . فبلغ السهم أربعين ديناراً .

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي ، وابن أبي الساج
على الأحداث والطريق .

(٢) ب : « منهم » .

(١) س : « جماعة » .

(٣) ط : « أوقيّين » .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من إدخال العسكري المعروف بالحرّون عسكر أبي أحمد في المحرم على جمل، وعليه قبّاء ديباج وقلنسوة طويلة، ثم حمل في شذاة، ومُضِيَّ به حتى وقّف به حيث يراه صاحب الزنج، ويسمع كلام الرسل.

وفي المحرم منها قطع الأعراب على قافلة من الحاجّ بين ثوز وسميراء، ٢٠٢٧/٣ فسلبوهم واستاقوا نحوًا من خمسة آلاف بعير بأحمالها وأناسًا كثيرين.

وفي المحرم منها في ليلة أربع عشرة انخسف القمر وغاب منخسفًا، وانكسفت الشمس يوم الجمعة لليلتين بقيتا من المحرم وقت المغيب، وغابت منكسفة، فاجتمع في المحرم كسوف الشمس والقمر.

وفي صفر منها كان ببغداد وثوب العامّة بإبراهيم الخليجي، فانتهبوا داره؛ وكان السبب في ذلك أن غلامًا له رى امرأة بسهم فقتلها، فاستعدّى السلطان عليه؛ فبعث إليه في إخراج الغلام، فامتنع ورمى غلمانته الناس، فقتلوا جماعة وجرحوا جماعة؛ فنعهم من أعوان السلطان رجلان، فهرب وأخذ غلمانته، ونهّب مزلّته ودوابّه، فجمع محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وكان على الجسر من قبل أبيه - دوابّ إبراهيم، وما قدر عليه مما نهّب له، وأمر عبيد الله بتسليم ذلك إليه، وأشهد عليه برده عليه.

وفيهما وجه ابن أبي الساج بعد ما صار إلى الطائف منصرفًا من مكة إلى جدّة جيشًا، فأخذوا للمخزوميّ مركبين فيهما ^(١) مالٌ وسلاح.

وفيهما أخذ روميّ بن حسننج ^(٢) ثلاثة نفر من قوّاد الفراغة، يقال لأحدهم صديق، والآخر طخشي، ولثالث طغان، فقيّدهم، وجرح صديق جراحات وأفلت.

وفيهما كان وثوب خلّاف صاحب أحمد بن طولون في شهر ربيع الأول

(١) س: «فيها».

(٢) ط: «خشنج»، وانظر الفهرس.

منها بالثغور الشامية ؛ وهو عامله عليها ، يازمان الخادم مولى الفتح^(١) بن خاقان فحبسه ، فوثبت جماعة من أهل الثغر بخلف ، وتخلصوا يازمان ، وهرب خلف ، وتركوا الدّعاء لابن طولون ، ولعنوه على المتأبر ؛ فبلغ ذلك ابن طولون ، فخرج من مصر ، حتى صار إلى دمشق ، ثم صار إلى الثغور الشامية ، فتل أذنة ، وسد يازمان وأهل طرس سوس أبوابها ، خلا باب الجهاد وباب البحر ، وبشقوا الماء ، فجري إلى قرب أذنة وما حوفا ، فتحصنوا بها ، فأقام ابن طولون بأذنة ، ثم انصرف فرجع إلى أنطاكية ، ثم مضى إلى حمص ، ثم إلى دمشق فأقام بها .

وفيهما خالف لؤلؤ غلام ابن طولون مولاه ؛ وفى يده حين خالفه حمص وحلب وقنسرين وديار مضر ، وسار لؤلؤ إلى بالس فنهبها ، وأسر سعيداً وأخاه ابني العباس الكلّابي . ثم كاتب لؤلؤ أبا أحمد فى المصير إليه ومفارقة ابن طولون ، ويشترط لنفسه شروطاً ، فأجابه أبو أحمد إلى ما سأله ؛ وكان مقيماً بالرقّة ، فشخص عنها ، وحمل جماعة من أهل الرّافقة^(٢) وغيرهم معه ، وصار إلى قرقيسيا ، وبها ابن صفوان العُقيليّ ، فحاربه فأخذ لؤلؤ قرقيسيا ، وسلمها إلى أحمد بن مالك بن طوق ، وهرب ابن صفوان ، وأقبل لؤلؤ يريد بغداد .

٢٠٢٩/٣

* * *

[ذكر خبر إصابة الموفق]

وفيهما رُمى أبو أحمد الموفق بسهم — رماه غلام رومى ، يقال له قرطاس — للخبث بعد ما دخل أبو أحمد مدينته التى كان بناها لهدم سورها ، وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر — أن الخبيث بهبوذ لدمًا هلاك ، طمع الزّنج فيما كان بهبوذ قد جمع من الكنوز والأموال ، وكان قد صحّ عنده أن ملكه قد حوى مائتى ألف دينار وجوهرًا وزهباً وفضة لها قدر ، فطلب ذلك بكلّ حيلة ، وحرّص عليه ،

(١) س : « فتح » ، ابن الأثير : « مفتح » .

(٢) س : « الرقة » .

وحبس أوليائه وقربته وأصحابه ، وضربهم بالسياط ، وأثار دوراً من دوره ،
وهدم أبنية من أبنيته ؛ طمعاً في أن يجد في شيء (١) منها دفيناً ، فلم يجد من ذلك
شيئاً ؛ وكان فعله الذي فعله بأوليائه بهبوذ في طلب المال أحد ما أفسد قلوب
أصحابه ، ودعاهم إلى الحرب (٢) منه والزهد في صحبته ، فأمر الموفق بالنداء
في أصحاب بهبوذ بالأمان ، فتودى بذلك ، فسارعوا إليه راغبين فيه ، فألحقوا
في الصلّات والجوائز والخلاص والأرزاق بنظرانهم . ورأى أبو أحمد لما كان
يتعذر عليه من العبور إلى عسكر الفاجر في الأوقات التي تهبّ فيها الرياح
وتحرك فيها الأمواج في دجلة أن يوسع لنفسه وأصحابه موضعاً في الجانب
الغربي من دجلة ليعسكر به فيما بين دبر جابيل ونهر المغيرة ، وأمر بقطع
النخل وإصلاح موضع الخندق ، وأن يُحفّ بالخنادق ، ويحصن بالسور ليأمن
بيات الفجار واغتيالهم إياه ، وجعل على قواده نواب ؛ فكان لكل واحد منهم
نوبة يقدو إليها برجاله ، ومعه العمال في كل يوم لإحكام أمر العسكر الذي
عزم على اتخاذه هنالك ، فقابل الفاسق ذلك بأن جعل على علي بن أبان
المهلبّي وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني نوباً ، فكان لكل واحد
منهم يوم ينوب فيه .

وكان ابن الخبيث المعروف بأنكلاي يحضر في كل يوم نوبة سليمان ،
وربما حضر في نوبة إبراهيم . ثم أقامه الخبيث مقام إبراهيم بن جعفر ، وكان
سليمان بن جامع يحضر معه في نوبته ، وضم إليه الخبيث سليمان بن موسى
الشعراني وأخويه ، وكانوا يحضرون بحضوره ، ويغيبون بغيبته . وعلم الخبيث
أن الموفق إذا جاوره في محاربته ، وقرب على من يريد اللحاق به المسافة فيما
يحاول من الحرب إليه ، مع ما يدخل قلوب أصحابه من الرهبة بتقارب العسكرين
أن في ذلك انتقاص تدبيره ، وفساد جميع أموره ؛ فأمر أصحابه بمحاربة
من يعبر من القواد في كل يوم ، ومنعهم من إصلاح ما يحاولون إصلاحه
من أمر عسكرهم الذي يريدون الانتقال إليه ، وعصفت الرياح في بعض تلك

٢٠٣١/٣

(١) س : « يجد فيها » . (٢) كذا في ابن الأثير وفي ط : « الحرب » .

الأيام وبعض قواد الموقق في الجانب الغربي لِمَا كان يعبر له . فانتهز الفاسق الفرصة في انفراد هذا القائد وانقطاعه عن أصحابه ، وامتناع دجلة بعصوف الريح من أن يرام عبورها ، فرمى القائد المقيم في غربي دجلة بجميع جيشه ، وكأثره برجاله^(١) ، ولم تجد الشدوات التي كانت تكون مع القائد الموجة سبيلا إلى الرقوف بحيث كانت تقف لحمل الرياح إياها على الحجارة ، وما خاف أصحابها عليها من التكتسر ، فقوى الزنج على ذلك القائد وأصحابه ، فأزالوهم من موضعهم ، وأدركوا طائفة منهم ، فثبتوا فقتلوا عن آخرهم ؛ ولجأت طائفة إلى الماء ، فتبعهم الزنج ، فأسروا منهم أسارى ، وقتلوا منهم نفرا ، وأفلت أكثرهم ، وأدركوا سفنهم ، فألقوا أنفسهم فيها ، وعبروا إلى المدينة الموقية ، فاشتد جزع الناس لما تهيأ للفسقة ، وعظم بذلك اهتمامهم . وتأمل أبو أحمد فيما كان دبر من النزول في الجانب الغربي من دجلة أنه أكدى ، وما لا يؤمن من حيلة الفاسق وأصحابه في انتهاز فرصة ، فيوقع^(٢) بالعسكر بياتا ، أو يجد مساعغا إلى شيء مما يكون له فيه متفئس ؛ لكثرة الأدغال في ذلك الموضع وصعوبة المسالك ، وأن الزنج على التوغل إلى المواضع الوحشة أقدر ، وهو عليهم^(٣) أسهل من أصحابه .

٢٠٣٢/٣

فانصرف عن رأيه في نزول غربي دجلة ، وجعل قصده لهدم سور الفاسق وتوسعه الطرق والمسالك منها^(٤) لأصحابه ، فأمر عند ذلك أن يبدأ بهدم السور مما يلي النهر المعروف بمنكى ؛ فكان تدبير الخبيث في ذلك توجيه ابنه المعروف بأنكلاى وعلى بن أبان وسليمان بن جامع للمنع من ذلك ؛ كل واحد منهم في نوبته في ذلك اليوم ، فإذا كثر عليهم أصحاب الموقق اجتمعوا جميعا لمداغة من يأتيهم .

فلما رأى الموقق تحاشد الخبيثاء وتعاونهم على المنع من الهدم للسور ، أزمع على مباشرة ذلك وحضوره ليستدعى به جده أصحابه واجتهادهم ،

(٢) س : « فتوقع » .

(٤) س : « فيها » .

(١) س : « برجالته » .

(٣) ب : « وهم عليه » .

وزيد في عنايتهم ومجاهدتهم ؛ ففعل ذلك ، واتصلت الحرب ، وغلظت على الفريقين ؛ وكثر القتلى والجراح في الحزبين كليهما ، فأقام الموفق أياماً يغادى الفسقة ويرأوهم ؛ فكانوا لا يفترون من الحرب في يوم من الأيام ، وكان أصحاب أبي أحمد لا يستطيعون الولوج على الحبشة لقنطرتين كانتا على نهر منكى كان الزنج يسلكونهما في وقت استعارة الحرب ، فيستهون منهما إلى طريق يخرجهم في ظهور أصحاب أبي أحمد ، فينالون منهم ، ويحجزونهم عن استتمام ما يحاولون من هدم السور ، فرأى الموفق أعمال الحيلة في هدم هاتين القنطرتين ليمنع الفسقة عن الطريق الذى كانوا يصيرون^(١) منه إلى استبدال أصحابه في وقت احتدام الحرب ؛ فأمر قواداً من قواد غلمانه بقصد هاتين القنطرتين ، وأن يختلوا الزنج ، وينتهزوا الفرصة في غفلتهم عن حراستهما ؛ وتقدم إليهم في أن يُعبدوا لهما من الفؤوس والمنشairs والآلات التى يحتاج إليها لقطعهما ما يكون عوناً لهم على الإسراع فيما يقصدون له من ذلك .

فانتهى الغلمان إلى ما أمروا به ، وصاروا إلى نهر منكى وقت نصف النهار ، فبرز لهم الزنج ، فبادروا وتسرعوا ، فكان ممن تسرع إليهم أبو النداء في جماعة من أصحابه يزيدون على الخمسمائة ، ونشبت الحرب بين أصحاب الموفق والزنج ، فاقتتلوا صدر النهار ، ثم ظهر غلمان أبي أحمد على الفسقة فكشفوهم عن القنطرتين ، فأصاب المعروف بأبى النداء سهم^٢ في صدره وصل إلى قلبه فصرعه ، وحامى أصابه على جيفته فاحتملوها ، وولتوا منهزمين ، وتمكن قواد غلمان الموفق من قطع القنطرتين ، فقطعوهما وأخرجوهما إلى دجلة ، وحملوا خشبهما إلى أبى أحمد ، وانصرفوا على حال سلامة ، وأخبروا الموفق بقتل أبى النداء وقطع القنطرتين ، فعظم سروره وسرور أهل العسكر بذلك ، وأمر لراى أبى النداء بصيلة وافرة .

وألح أبو أحمد على الخبيث وأشياعه بالحرب ، وهدم من السور ما أمكنهم به الولوج عليهم ، فشغلهم بالحرب في مدينتهم عن المدافعة عن سورهم ، فأسرع

(١) س : « يصلون » .

الهدم فيه ، وانتهى منه إلى دارى ابن سمعان وسليمان بن جامع ، فصار ذلك أجمع فى أيدي^(١) أصحاب الموفق ، لا يستطيع الفسقة دفعهم عنه ولا منعهم من الوصول إليه ، وهُدِمَت هاتان الداران ، وانتُهِبَ ما فيهما ، وانتهى أصحاب الموفق إلى سوق لصاحب الزنج كان اتخذها مظلة على دجلة ، سماها الميمونة ، فأمر الموفق زيرك صاحب مقدمة أبى العباس بالقصد لهذه السوق ، فقصد بأصحابه لذلك ، وأكبَّ عليها ، فهدمت تلك السوق وأُخْرِبَت ، فقصد الموفق الدار التى كان صاحب الزنج اتخذها للجُبَّاتى فهدمها ، وانتهب ما كان فيها وفى خزائن الفاسق كانت متصلة بها .

وأمر أصحابه بالقصد إلى الموضع الذى كان الخبيث اتخذ فيه بناء سماه مسجد الجامع ، فاشتدَّت محاماة الفسقة عن ذلك والذب عنه ؛ بما كان الخبيث يحضُّهم عليه ، ويؤمُّهم أنه يجب عليهم من نُصرة المسجد وتعظيمه ؛ فيصدِّقُون قوله فى ذلك ، ويتبعون فيه رأيه . وصعُبَ على أصحاب الموفق ما كانوا يرومون من ذلك ؛ وتطاولت الأيام بالحرب على ذلك الموضع . والذى حصل مع الفاسق يومئذ نخبة أصحابه وأبطالُهم والموطَّنون أنفسهم على الصبر معه ، فحاموا جهدهم ؛ حتى لقد كانوا يقفون الموقف فيصيب أحدهم السهمُ أو الطعنة أو الضربة فيسقط ، فيجذبه الذى إلى جنبه ويقف موقفه^(٢) إشفاقاً من أن يخلُوَ موقف رجل منهم ؛ فيدخل الخلل على سائر أصحابه .

٢٠٣٥/٣

فلما رأى أبو أحمد صبر هذه العصابة ومحاماتها ، وتطاول الأيام بمدافعتها^(٣) ، أمر أبا العباس بالقصد لركن البناء الذى سماها الخبيث مسجداً ، وأن يتدب لذلك أنجاد أصحابه وغلمانه ، وأضاف إليهم الفعلة الذين كانوا أعيدوا للهدم ، فلماذا تهيأ لهم هدمُ شئ أسرعوا فيه ، وأمر بوضع السلايل على السور فوضعوها ، وصعد الرماة فجعلوا يرشقون بالسوام من وراء السور من الفسقة ، ونظم الرجال من حدة الدار المعروفة بالجُبَّاتى إلى الموضع الذى رتب فيه أبا العباس ، وبذل الموفق الأموال والأطوق والأسورة لمن سارع إلى هدم سور الفاسق وأسواقه

(٢) س : « فى موضعه » .

(١) س : « فى يدي » .

(٣) س : « ومدافعتها » .

ودور أصحابه ، فتسهّل ما كان يصعب بعد محاربة طويلة وشدة ، فهدم البناء الذى كان الخبيث سماه مسجداً ، ووُصل إلى منبره فاحتُمِل ، فأُتيَ به الموفق ، وانصرف به إلى مدينته الموقية جذلاً مسروراً . ثم عاد الموفق لهدم السور فهدمه من حدّ الدار المعروفة بأنكلاى إلى الدار المعروفة بالجُبّاتى . وأفضى أصحاب الموفق إلى دواوين من دواوين الخبيث وخزائن من خزائنه ؛ فانتهبت وأحرقت ؛ وكان ذلك فى يوم ذى ضباب شديد ، قد ستر بعض الناس عن بعض ؛ فما يكاد الرجل يبصره صاحبه . فظهر فى هذا اليوم للموفق تبشير الفتح ، فإنهم لعلّى ذلك ؛ حتى وصل سهمٌ من سهام الفسقة إلى الموفق ، رماه به غلام روى كان مع الفاسق يقال له قرطاس ، فأصابه فى صدره ، وذلك فى يوم الاثنين لحمس بقين من جمادى الأولى سنة تسع وستين ومائتين ، فستر الموفق ما ناله من ذلك السهم ، وانصرف إلى المدينة مع الموقية ، فعولج فى ليلته تلك من جراحته ^(١) ، وبات ثم عاد إلى الحرب على ما به من ألم الجراح ^(٢) ، يشد ^(٣) بذلك قلوب أوليائه من أن يدخلها وهم أو ضعف ، فزاد ما حتمل نفسه عليه من الحركة فى قوه عِلّته ، فغلظت وعظم أمرها حتى خيف عليه ، واحتاج إلى علاجه بأعظم ما يعالج به الجراح ؛ واضطرب لذلك العسكر والجند والرعية ، وخافوا قوة الفاسق عليهم ؛ حتى خرج عن مدينته جماعة ممن كان مقيماً بها ، لما وصل إلى قلوبهم من الرّهبة ، وحدّثت فى حال صعوبة العلة عليه حادثة فى سلطانه ، فأشار عليه مشيرون من أصحابه وثقاته بالرحلة عن معسكره إلى مدينة السلام ، ويختلف من يقوم مقامه ؛ فأبى ذلك ، وخاف أن يكون فيه ائتلاف ما قد تفرّق من شمل الخبيث . فأقام على صعوبة عِلّته عليه ، وغلظ الأمر الحادث فى سلطانه ؛ فنّ الله بعافيته ، وظهر لقوّاده وخاصته ؛ وقد كان أطال الاحتجاب عنهم ، فقويست بذلك مُنتههم ، وأقام ماثلاً مودّعاً نفسه إلى شعبان من هذه السنة ، فلمّا أبلّ وقوى على النهوض لحرب الفاسق ، تيقظ لذلك ، وعاود ما كان مواظباً عليه من الحرب ، وجعل الخبيث لمّا صحّ عنده

٢٠٣٧/٣

(٢) س : « الجرح » .

(١) س : « جراحه » .

(٣) ابن الأثير : « ليشده » .

الخبر عما أصاب أبا أحمد بعد أصحابه العِدات ، ويمنّيهم الأمانى الكاذبة ، وجعل يحلف على منبره — بعد ما اتصل به الخبر بظهور أبى أحمد وركوبه الشدّا — أن ذلك باطل لا أصل له ، وأن الذى رأوه فى الشدّا مثال موّه لهم وشبه لهم .

* * *

[ذكر عزم المعتمد على اللّحاق بمصر]

وفىها فى يوم السبت للنصف من جمادى الأولى ، شخص المعتمد يريد اللّحاق بمصر ، وأقام يتصيد بالكُحَيْل ، وقدم صاعد بن مخلّد من عند أبى أحمد ؛ ثم شخص إلى سامراً فى جماعة من القوّاد فى جمادى الآخرة ، وقدم قائدان لابن طولون — يقال لأحدهما أحمد بن جبة ويّه وللآخر محمد بن عباس الكلّابى — الرّقة ، فلما صار المعتمد إلى عمل إسحاق بن كنداج — وكان العامل على الموصل وعامة الجزيرة — وثب ابن كنداج بمنّ شخص مع المعتمد من سامراً يريد مصر ، وهم تينك وأحمد بن خاقان وخطارميش ، فقيّدهم وأخذ أموالهم ودوابّهم ورقيقهم . وكان قد كتب إليه بالقبض عليهم وعلى المعتمد ، وأقطع إسحاق بن كنداج ضياعهم وضياع فارس بن بقا .

وكان سبب وصوله إلى القبض على منّ ذكرته ، أن ابن كنداج لما صار إلى عمله ، وقد نفذت إليه الكتب من قبّل صاعد بالقبض عليهم ، أظهر أنه معهم ، وعلى مثل رأيهم فى طاعة المعتمد ؛ إذ كان الخليفة ، وأنه غير جائز له الخلاف عليه . وقد كان منّ مع المعتمد من القوّاد حذّروا المعتمد المروّ به ، وخوفوه وثوبه بهم ؛ فأبى إلّا المروّ به — فيما ذكر^(١) — وقال لهم : إنما هو مولاى وغلامى ، وأريد أن أتصيد ؛ فإنّ فى الطريق إليه صيداً كثيراً . فلما صاروا فى عمله ، لقيّهم وسار معهم كى يردّ المعتمد — فيما ذكر — منزلاً قبل وصوله إلى عمل ابن طولون ، فلمّا أصبح ارتحل التّباع والغلمان الذين كانوا مع المعتمد ومن شخص معه من سامراً ، وخلا ابن كنداج بالقوّاد الذين مع المعتمد ، فقال لهم : لأنكم قد قربتم من عمل ابن طولون والمقيم بالرّقة من قوّاده ؛ وأنتم

٢٠٣٨/٣

إذا صرتم إلى ابن طولون ؛ فالأمر أمره ، وأنتم من تحت يده ومن جنده ؛ أفترضون بذلك ؛ وقد علمتم أنه إنما هو كواحد منكم ! وجرت بينه وبينهم في ذلك مناظرة حتى تعالتى النهار ، ولم يرتحل المعتمد بعد لاشتغال القواد بالمناظرة بينهم بين يديه ، ولم يجتمع رأيهم بعد على شئ . فقال لهم ابن كنداج : قوموا بنا حتى نتناظر في هذا في غير هذا الموضع ، وأكرموا مجلس أمير المؤمنين عن ارتفاع الصوت فيه . فأخذ بأيديهم ، وأخرجهم من مضرب المعتمد فأدخلهم مضرب نفسه ؛ لأنه لم يكن بقى مضرب إلا قد مضى به غير مضربه ؛ لما كان من تقدّمه إلى فرّاشيه وغلّمانه وحاشيته وأصحابه في ذلك اليوم ألا تبرحوا إلا ببراحه . فلما صاروا إلى مضربه دخل عليه وعلى من معه (١) من القواد جلّة غلمانهم وأصحابه ، وأحضرت القيود ، وشدّ غلمانهم على كل من كان شخص مع المعتمد من سامراً من القواد ، فقيّدوهم ؛ فلما قيّدوا وفرغ من أمرهم مضى إلى المعتمد ، فعذّله في شخوصه عن دار ملكه وملك آبائه وفراقه أخاه على الحال التي هو بها من حرب من يحاول قتله وقتل أهل بيته وزوال ملكهم ، ثم حمّله والذين كانوا معه في قيودهم حتى وافى بهم سامراً .

• • •

وفيها قام رافع بن هرثمة بما كان الحُجُستانيّ غاب عليه من كور خراسان وقراها ؛ وكان رافع بن هرثمة قد اجتنبى عِدّة من كور خراسان خراجها سلفاً لبضع عشرة سنة ، فأفقر أهلها وخرّبها .

وفيها كانت وقعة بين الحُسينيّين والحُسَيْنيّين والجعفريّين ، فقتل من الجعفريّين ثمانية نفر ، وعلا الجعفريون فتخلّصوا الفضل بن العباس العباسيّ العامل على المدينة .

وفي جمادى الآخرة عقد هارون بن الموفق لابن أبى الساج على الأنبار وطريق الفرات ورجبة طوق ، وولّى أحمد بن محمد الطائيّ الكوفة وسوادها المعاون والخراج ، فصيّر المعاون باسم على بن الحسين المعروف بكفتمر ، فلقى

(١) ب : « وعلى كل من معه » .

أحمد بن محمد الهيصم العجليّ فيها ، فانهزم الهيصم واستباح الطائى أمواله وضياعه .

ولأربع خَلَائِفَ من شعبان منها ردّ إسحاق بن كنداج المعتمد إلى سامرّا فنزل الجوسق المطلّ على الخير .

ولثمان خَلَائِفَ من شعبان خلع على ابن كنداج ، وقلّد سيفين بحماثل : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، وسُمّيَ ذا السيفين ، ونُحِىَ عليه بعد ذلك بيومين قَبْلَ دِيبَاجٍ ووشاحان ، وتوّج بتاج ، وقلّد سيفاً كلّ ذلك مفصص بالجواهر، وشيّعهُ إلى منزله هارون بن الموفق وصاعد بن مخلد والقوَاد، وتغدّوا عنده .

* * *

[ذكر الخبر عن إحراق قصر صاحب الزنج]

وفى شعبان من هذه السنة أحرقت أصحاب أبي أحمد قصر الفاسق، وانتهبوا ما فيه .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وسبب وصولهم إليه :

ذكر محمد بن الحسن ، أن أبا أحمد لما برأ الجرح الذى كان أصابه ، عاد للذى كان عليه من مغادة الفاسق الحرب ومراوحتِهِ ؛ وكان الخبيث قد أعاد بناء بعض الثُلُمِ التى ثُلِمَت فى السور ، فأمر الموفق بهدم ذلك ، وهدم ما يتصل به ، وركب فى عشيّة من العشايا فى أوّل وقت العصر ؛ وقد كانت الحرب متصلة فى ذلك اليوم مما يلي نهر منكى ، والفسقة مجتمعون فى تلك الناحية قد شغلوا أنفسهم بها ، وظنّوا أنهم لا يجارِبُونَ إلّا فيها ، فوافى الموفق وقد أعدّ الفعلة ، وقرب على نهر منكى وناول الفسقة فيه ؛ حتى إذا استعرت^(١) الحرب أمر الجذّافين والاشتيايين أن يمشوا السير حتى يتنهبوا إلى التّهر المعروف بجحوى كور، وهو نهر يأخذ من دِجْلَةِ أسفل من النهر المعروف بنهر أبى الخصيب ؛ ففعلوا ذلك ؛ فوافى جرى كور، وقد خلا من المقاتلة والرّجال ، فقرب وأخرج الفعلة ،

٢٠٤١/٣

(١) ابن الأثير : « اشتلت » .

فهدموا من السور ما كان يلي ذلك النهر ، وصعد المقاتلة وولجوا النهر ؛ فقتلوا فيه مقتلة عظيمة ، وانتهوا إلى قصور من قصور الفسقة ، فأنتهبوا ما كان فيها وأحرقوها ، واستنقذوا عدداً من النساء اللواتي كنَّ فيها ، وأخذوا خيلاً من خيل الفجرة ، فحملوها إلى غربي دجلة ، فانصرف الموفق في وقت غروب الشمس بالظفر والسلامة ، وغاداهم الحرب والقصد لهدم السور ، فأسرع فيه حتى اتصل بدار المعروف بأنكلاي ؛ وكانت متصلة بدار الخبيث ؛ فلما أعييت الحيل الخبيث في المنع من هدم السور ، ودفع أصحاب الموفق عن ولوج مدينته ، أسقط في يديه ؛ ولم يدر كيف يحتال لحسم ذلك ، فأشار عليه علي بن أبان المهدي بإجراء الماء على السباخ التي يسلكها أصحاب الموفق لئلا يجلدوا إلى ساوكها سيلاً ، وأن يحفر خنادق في مواضع عدة يعوقهم بها عن دخول المدينة ، فإن حملوا أنفسهم^(١) على اقتحامها فوقت عليهم هزيمة ، لم^(٢) يسهل عليهم الرجوع إلى سفنهم ؛ ففعلوا ذلك في عدة مواضع من مدينتهم ، وفي الميدان الذي كان الخبيث جعله طريقاً حتى انتهت تلك الخنادق إلى قريب من داره . فرأى الموفق بعد ما هبأ الله له من هدم سور مدينة الفاسق ما هبأ أن جعل قصده لطم الخنادق والأنهار والمواضع المعورة^(٣) كي تصالح فيها مسالك الخيل والرجالة . فرام ذلك ، فحامي عنه الفسقة . ودامت الحرب وطالت ووصل إلى الفريقين من القتل والجراح أمر عظيم^(٤) ؛ حتى لقد عُدَّ الجرحى في بعض تلك الأيام زهاء ألفي جريح ؛ وذلك لتقارب الفريقين في وقت القتال ، ومنع الخنادق كل فريق منهم عن إزالة من إزائه عن موضعهم . فلما رأى ذلك الموفق قصد لإحراق دار الخبيث والهجوم عليها من دجلة ، وكان يعوق عن ذلك كثرة ما أعد الخبيث من المقاتلة والحماة عن داره ؛ فكانت الشدا إذا قربت من قصره روا من سوره ومن أعلى القصر بالحجارة والنشأب والمقاليع والحجانيق والعرادات ، وأذيب الرصاص ، وأفرغ عليهم ؛ فكان إحراق داره يمدّر عليهم لما وصفنا ؛ فأمر الموفق بإعداد ظلال من خشب

(٢) س : « ولم » .

(٤) س : « غليظ » .

(١) ب : « أنفسهم » .

(٣) ابن الأثير : « المعورة » .

للشدّاء وإلباسها جلود الجواميس ، وتغطية ذلك بالخيش المطلى بصنوف العقاقير والأدوية التي تمنع النار من الإحراق ، فعمل ذلك ، وطُليت به عدّة شدّوات ورتّب فيها جميعاً شجعاء غلماناً : الراحة والناشبة ، وجمعاً من حدّاق النفاطين وأعدّهم لإحراق دار الفاسق صاحب الزّنج .

فاستأمن إلى الموفق محمد بن سمعان كاتب الخبيث ووزيره في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وستين ومائتين ، وكان سبب استئمانه — فيما ذكر محمد بن الحسن — أنه كان ممّن امتحن بصحبته ، وهو لها كارهٌ على علم منه بضلالته . قال : وكنتُ له على ذلك مواصلاً ، وكنتُ جميعاً ندبّر الحيلة في التخلص ، فيتعدّر علينا ، فلما نزل بالخبيث من الحصار ما نزل ، وتفرّق عنه أصحابه ، وضعّف أمره ؛ شمّر في الحيلة للخلاص ، وأطلعني على ذلك ، وقال : قد طبّبتُ نفساً بالآل أستصحب ولداً ولا أهلاً ، وأن أنجو وحيداً ؛ فهل لك في مثل ما عزمت عليه ؟ فقلتُ له : الرأي لك ما رأيت ؛ إذ كنتُ إنما تخلّف ولداً صغيراً لا سبيل للخائن عليه إلى أن يصول به ، أو أن يحدث عليك فيه حدثاً يلزمك عاره ؛ فأما أنا فإنّ معي نساء يلزمن عارهنّ ، ولا يسعني تعريضهنّ لسطوة الفاجر ؛ فامضِ لشأنك ؛ فأخبرني عنى بما علمت من نيتي في مخالفة الفاجر وكراهة صحبتته ؛ وإن هيباً الله لي الخلاص بولدي ، فأنا سريع اللحاق بك ، وإن جرت المقادير فينا بشيء كنا معاً وصبرنا .

٢٠٤٤/٣

فوجه محمد بن سمعان وكيلاً له يعرف بالعراقي ، فأتى عسكر الموفق ، فأخذ له ما أراد من الأمان ، وأعدّ له الشدا ، فوافته في السبّخة في اليوم الذي ذكرنا ، فصار إلى عسكر الموفق . وأعاد الموفق محاربة الخبيث والقصد للإحراق من غد اليوم الذي استأمن فيه محمد بن سمعان ؛ وهو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وستين ومائتين ، في أحسن زيّ ، وأكمل عدّة ، ومعه الشدّوات المطليّة بما وصفنا ، وسائر شدّواته وسُمير يّاته فيها مواليه وغلماناه والمعاير التي فيها الرّجالة . فأمر الموفق ابنه أبا العباس بالقصد إلى دار محمد ابن يحيى المعروف بالكرتباتي ، وهي بإزاء دار الخائن في شرق النهر المعروف بأبي الخصيب ، يشرع على النهر وعلى دجلة ، وتقدّم إليها في إحراقها وما يليها

من منازل قواد الخائن ، وشغلهم بذلك عن إنجاده ومعاونته ، وأمر المرتين في الشَّدَا المظلمة بالقصد ؛ لما كان مطالاً على دِجْلَةٍ من رواشين الخبيث وأبنته ، ففعلوا ذلك ، وألصقوا شذّواتهم بسور القصر ، وحاربوا الفجّرة أشدّ حرب ، ونضحوهم بالنيران ، وصبر الفسقة وقاتلوا ، فرزق الله النصر عليهم ، فترجّحوا عن تلك الرواشين والأبنية التي كانوا يحامون عليها ، وأحرقها غلمان الموفق ، وسليم مَن كان في الشَّدَا مما كان الخبيثاء يكيدونهم به من الشباب والحجارة وصبّ الرصاص المذاب وغير ذلك بالظلال التي كان اتخذها على الشَّدَا ، فكان ذلك سبباً أتمكنها من دار الخبيث .

وأمر الموفق مَن كان في الشَّدَا بالرجوع فرجعوا ، فأخرج مَن كان فيها من الغلمان ، ورتّب فيها آخرين ، وانتظر إقبال المدّ وعلوّه ؛ فلما تهيأ ذلك عادت الشَّدَوَات المظلمة إلى قصر الخبيث ، فأمر الموفق مَن كان فيها بإحراق بيوت كانت تشرّع على دِجْلَةٍ من قصر الفاسق ؛ ففعلوا ذلك ، فاضطربت النار في هذه البيوت ، واتصلت بما يليها من الستارات التي كان الخبيث ظلّل بها داره ، وستور كانت على أبوابه ، فقويت النار عند ذلك على الإحراق ، وأعجلت الخبيث ومَن كان معه عن التوقّف على شيء مما كان في منزله من أمواله وذخائره وأثاثه وسائر أمتعته ، فخرج هارباً ، وترك ذلك كله . وعلا غلمان الموفق قصر الخبيث مع أصحابهم ؛ فانتهبوا ما لم تأت النار عليه من الأمتعة الفاخرة والذهب والفضة والجوهر والحلى وغير ذلك ؛ واستنقذوا جماعة من النساء اللواتي كان الخبيث استرقهنّ ، ودخل غلمان الموفق سائر دور الخبيث ودور ابنه أنكلای ، فأضرموها ناراً ، وعظم سبرور الناس بما هيأ الله لهم في هذا اليوم . فأقام جماعة يحاربون الفسقة في مدينتهم وعلى باب قصر الخبيث ، مما يلي الميدان ، فأخذوا فيهم القتل والجراح والأسر ، وفعل أبو العباس في دار المعروف بالكربائي وما يتصل بها من الإحراق والهدم والنهب مثل ذلك .

وقطع أبو العباس يومئذ سلسلة حديد عظيمة وثيقة كان الخبيث قطع بها نهر أبي الخصيب ليمنع ^(١) الشَّدَا من دخوله ، وحازها ، فحُملت في بعض شذّواته

وانصرف الموفق بالناس صلاة المغرب بأجمل ظفر ، وقد نال الفاسق في ذلك اليوم في نفسه وماله وولده وما كان غلب عليه من نساء المسلمين مثل الذي أصاب المسلمين منه من الذعر والجلاء وتشيت الشمل والمصيبة في الأهل والولد ، وجرح ابنه المعروف بأنكلاى في هذا اليوم جراحة شديدة في بطنه أشنى منها على التلف (١) .

* * *

[ذكر الخبر عن غرق نصير المعروف بأبى حمزة]

وفي غد هذا اليوم وهو يوم الأحد لعشر بقين من شعبان من هذه السنة غرق نصير .

* ذكر سبب غرقه :

ذكر محمد بن الحسن أنه لما كان غد هذا اليوم (٢) ، باكر الموفق محاربة الخبيث ، وأمر نصيراً المعروف بأبى حمزة بالقصد لقنطرة كان الخائن عملها بالسياج على النهر المعروف بأبى الحصيب ، دون الجسرين اللذين اتخذهما عليه ، وأمر زيرك بإخراج أصحابه مما يلي دار الجبائى لمحاربة من هناك من الفجرة ، وأخرج (٣) جمعاً من قوادها مما يلي دار أنكلاى لمحاربتهم أيضاً ، فتسرع نصير ، فدخل نهر أبى الحصيب في أول المد في عدة من شدّاته ، فحملها المد فألصقها بالقنطرة ، ودخلت عدة من شدّات موالى الموفق وغلمانهم من لم يكن أمير بالدخول ، فحملهم المد فألقاهم على شدّات نصير ، فصكّت الشدّات بعضها بعضاً ؛ حتى لم يكن للاشتيامين والحدّافين فيها حيلة ولا عمل . ورأى الزنج ذلك ، فاجتمعوا على الشدّات ، وأحاطوا بها من جانبي نهر أبى الحصيب ، فألقى الحدّافون أنفسهم في الماء ذعراً ووجلاً ،

٢٠٤٧/٣

(١) ب : « الموت » ، ابن الأثير : « الهلاك » .

(٢) بعلها في س : « وهو يوم الأحد » .

(٣) ط : « وإخراجاً » ، وما أثبتته من س .

ودخل الزنج الشدّوات ، فقتلوا بعض المقاتلة ، وغرق أكثرهم ، وحاربهم نصير في شدّواته حتى خاف الأسر ، فقذف نفسه في الماء فغرق ، وأقام الموفق في يومه يحارب الفسقة ، وينهب ويحرق منازلهم ، ولم ينزل باقي يومه مستعليًا عليهم ؛ وكان ممن حامي على قصر الخائن يومئذ وثبت في أصحابه سليمان بن جامع ، فلم تنزل الحرب بين أصحاب الموفق وبينه ، وهو مقيم بموضعه لم ينزل عنه إلى أن خرج في ظهره كمين من غلمان الموفق السودان ، فانهزم لذلك ، واتّبعه الغلمان يقتلون أصحابه ، ويأسرون منهم ، وأصاب سليمان في هذا الوقت جراحة في ساقه ، فهوى لفيه في موضع ؛ قد كان الحريق ناله ببعض جمر فيه ، فاحترق بعض جسده ، وحامى عليه جماعة من أصحابه ، فنجّا بعد أن كاد الأسر يحيط به ، وانصرف الموفق ظافرًا سالمًا ، وضعفت الفسقة ، واشتدّ خوفهم لما رأوا من إدبار أمرهم ، وعرضت لأبي أحمد علة من وجع المفاصل ؛ فأقام فيها بقية شعبان وشهر رمضان وأيامًا من شوال ممسكًا عن حرب الفاسق . فلما استبلّ من علته وتماثل ، أمر بإعداد ما يحتاج إليه للقاء الفسقة ، فتأهب لذلك جميع أصحابه .

* * *

وفي هذه السنة كانت وفاة عيسى بن الشيخ بن السليل .
وفيها لعن ابن طولون المعتمد في دار العامة ، وأمر بلعنه على المنابر ، وصار جعفر المفوّض إلى مسجد الجامع يوم الجمعة ، ولعن ابن طولون وعقد لإسحاق ابن كنداج على أعمال ابن طولون ، وولى من باب الشماسية إلى إفريقية وولّى شرطة الخاصة .

وفي شهر رمضان منها كتب أحمد بن طولون إلى أهل الشام يدعوهم إلى نصر الخليفة ، ووُجد فيسجّ يريد ابن طولون معه كتب من خليفته ، جوابًا بأخبار ، فأخذ جواب فحبس وأخذ له مال ورقيق ودواب .

وفي شوال منها كانت وقعة بين أبي السّاج والأعراب ، فهزموا فيها ، ثم بيّتهم فقتل منهم وأسر ، ووجه بالرؤوس والأسارى إلى بغداد ، فوصلت في شوال منها .

ولإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال منها عقد جعفر المفوّض لصاعد بن مخلّد على شهر زور وداباذ والصامغان وحلوان وماسبذان ومهرجانتقدف وأعمال الفرات ، وضمّ إليه قوّاد موسى بن بغا خلا أحمد بن موسى وكيّف غلغ وإسحاق ابن كُنْداجيق^(١) ، وأساتكين ، فعقد صاعد للؤلؤ على ما عهد له عليه من ذلك المفوّض يوم السبت لثمان بقين من شوال ، وبعث إلى ابن أبي الساج بعقد من قبّله على العمل الذي كان يتولّاه ، وكان يتولى الأنبار وطريق الفرات ورجبة طوق بن مالك من قبيل هارون بن الموفق ، وكان شخص إليها في شهر رمضان ، فلما ضمّ ذلك إلى صاعد أقرّه صاعد على ما كان إليه من ذلك .

٢٠٤٩/٣

وفي آخر شوال منها دخل ابن أبي الساج رجبة طوق بن مالك بعد أن حاربه أهلها ، فغلبهم وهرب أحمد بن مالك بن طوق إلى الشام . ثم صار ابن أبي الساج إلى قسّ قيسية ؛ فدخلها وتنحّى عنها ابن صفوان العُقيلي .

* * *

[ذكر الخبر عن الوقعة التي كانت بين الموفق وبين الزنج]

وفي يوم الثلاثاء لعشر خلون من شوال من هذه السنة ، كانت بين أبي أحمد وبين الزنج وقعة في مدينة الفاسق أثار فيها آثاراً ، وصل بها إلى مراده منها .

* ذكر السبب في هذه الوقعة وما كان منها :

ذكر محمد بن الحسن أن الخبيث عدوّ الله كان في مدّة اشتغال الموفق بعلته أعاد القنطرة التي كانت شدّوات نصير لجّجت^(٢) فيها ، وزاد فيها ما ظنّ أنه قد أحكمها ، ونصب دونها أدقال ساج وصل بعضها ببعض ، وألبسها الحديد ، وسكّر أمام ذلك سيكراً بالحجارة ليضيق المدخل على الشدّاء ، وتحتدّ جرية الماء في النهر المعروف بأبي الخصيب ، فيهاب الناس دخوله ، فندب الموفق قائدين من قوّاد غلمانة في أربعة آلاف من الغلمان ، وأمرهما أن يأتيا نهر أبي الخصيب ؛ فيكون أحدهما في شرقيه والآخر^(٣) في

٢٠٥٠/٣

(٢) ط : « لججت » وما أثبتته من ن .

(١) س : « كنداج » .

(٣) س : « وأحدهما » .

غريبه ؛ حتى يوافيا القنطرة التي أصلحها الفاجر وما عمل في وجهها^(١) من السَّكْر^(٢) فيحاربوا أصحاب الخبيث حتى يجلباهم عن القنطرة ، وأعدَّ معهما النجارين والفِعلَة لقطع القنطرة والبدود التي كانت جعلت أمامها ، وأمر بإعداد سفن محشوة بالقصب المصبوب عليه النفط ، لتدخل ذلك النهر المعروف بأبي الخصب ، وتضرم ناراً لتحرق بها القنطرة في وقت المدّ. فركب الموفق في هذا اليوم في الجيش حتى وافي فوهة نهر أبي الخصب ، وأمر بإخراج المقاتلة في عدة مواضع من أعلى عسكر الخبيث وأسفله ، ليشغلهم بذلك عن التعاون على المنع عن القنطرة ، وتقدّم القائدان في أصحابهما ، وتلقاهما أصحاب الخائن من الزنج وغيرهم ، يقودهم ابنه أنكلای وعلى بن أبان المهلبی وسليمان بن جامع ، فاشتبكت الحرب بين الفريقين ، ودامت ، وقاتل الفسقة أشدّ قتال، محاماةً عن القنطرة ، وعلموا ما عليهم في قطعها من الضّرر ، وأنّ الوصول^(٣) إلى ما بعدها من الجسرین العظیمین اللّذین كان الخبيث اتخذهما على نهر أبي الخصب سهلاً مرامه ، فكثّر القتل والجراح بين الفريقين ، واتّصلت الحرب إلى وقت صلاة العصر . ثم إنّ غلمان الموفق أزالوا الفسقة عن القنطرة وجاوزوها ، فقطعها النّجارون والفِعلَة ، ونقضوها وما كان اتخذ من البدود التي ذكرناها .

وكان الفاسق أحكم أمر هذه القنطرة والبدود إحكاماً تعذّر على الفِعلَة والنّجارين الإسراع في قطعها ، فأمر الموفق عند ذلك بإدخال السفن التي فيها القصب والنفط ، وضربها بالنار وإرسالها مع الماء ؛ ففعل ذلك ، فوافت السفن القنطرة فأحرقتها ، ووصل النّجارون إلى ما أرادوا من قطع البدود فقطعوها ، وأمكن أصحاب الشّذا دخول النهر فدخلوه ، وقوى نشاطُ الغلمان بدخول الشّذا ؛ فكشفوا أصحاب الفاجر عن مواقعهم حتى بلغوا بهم الجسر الأوّل الذي يتلّو هذه القنطرة ، وقتل من الفجّرة خلق كثير ، واستأمن فريق منهم ؛ فأمر الموفق أن يخلع عليهم في ساعتهم تلك ، وأن يوقفوا بحيث يراهم أصحابُهم ، ليرغبوا في مثل ما صاروا إليه ؛ وانتهى الغلمان إلى الجسر الأوّل ، وكان ذلك

(٢) السّكر : سد فم النهر .

(١) ب : « بوجودها » .

(٣) س : « والوصول » .

قبيل المغرب ، فكر الموفق أن يُظلم الليل ، والجيش موغل في نهر أبي الخصب ، فيتهيأ للفجرة بذلك انتهازُ فرصة ، فأمر الناس بالانصراف ، فانصرفوا سالمين إلى المدينة الموقية ، وأمر الموفق بالكتاب إلى النواحي بما هيا الله له من الفتح والظفر ؛ ليقراً بذلك على المنابر ، وأمر بإثابة المحسنين من غلمانته على قدر غنائهم وبلانهم وحسن طاعتهم ؛ ليزدادوا بذلك جدّاً واجتهاداً في حرب عدوّهم .

٢٠٥٢/٣

ففعّل ذلك ، وعبر الموفق في نفر من مواليه وغلمانته في الشدّات والسميريات وما خفّ من الزواريق إلى فوّهة نهر أبي الخصب ؛ وقد كان الخبيث ضيقها ببرجين عملهما بالحجارة ليضيق المدخل وتحتدّ الجرية ، فإذا دخلت الشدّا النهر لجّعت فيه ، ولم يسهل السبيل إلى إخراجها منه ، فأمر الموفق بقطع ذينك البرجين ، فعمل فيهما نهار ذلك اليوم ؛ ثم انصرف العمال وعادوا من غد لاستتمام قلع ما بقي من ذلك ؛ فوجدوا الفجيرة قد أعادوا ما قلع منها في ليلتهم تلك ؛ فأمر بنصب عرّادتين قد كانا أعدّتا في سفينتين ، نُصبتا حيال نهر أبي الخصب ، وطرح لهما الأناجر حتى استقرّتا ؛ ووكل بهما من أصحاب الشدّا ، وأمر بقطع هذين البرجيتين ، وتقدّم إلى أصحاب العرّادتين في رمى كلّ من دنا من أصحاب الفاسق ؛ لإعادة شيء من ذلك في ليل أو نهار ؛ فتحامى الفجرة الدنو من الموضع ، وأحجموا عنه ، وألحّ الموكّاون بقاع هذه الحجارة بعد ذلك ، حتى استتمّوا ما أرادوا ، واتّسع المسلك للشدّا في دخول النهر والخروج منه .

* * *

[خبر انتقال صاحب الزنج إلى شرقى نهر أبي الخصب]

وفي هذه السنة تحوّل الفاسق من غربى نهر أبي الخصب إلى شرقيه وانقطعت عنه الميرة من كلّ جهة .

ذكر الخبر عن حاله وحال أصحابه وما آل إليه أمرهم

٢٠٥٢/٣

عند انتقاله من الجانب الغربي

ذكر أن الموفق لما أخرب منازل صاحب^(١) الزنج وحرقتها ، لجأ إلى التحصن في المنازل الواغلة في نهر أبي الخصب ، فنزل منزلاً كان لأحمد بن موسى المعروف بالقلوص ، وجمع عياله وولده حوله هناك ، ونقل أسواقه إلى السوق القريبة من الموضع الذي اعتصم به ، وهى سوق كانت تعرف بسوق الحسين ، وضعف أمره ضعفاً شديداً ، وتبين للناس^(٢) زوال أمره ، فتهيبوا جلب الميرة إليه ، فانقطعت عنه كل مادة ، فبلغ عنده الرطل من خبز البر عشرة دراهم ؛ فأكلوا الشعير ، ثم أكلوا أصناف الحبوب ، ثم لم يزل الأمر بهم إلى أن كانوا يتبعون الناس ؛ فإذا خلا أحدهم^(٣) بامرأة أو صبي أو رجل ذبحه وأكله ، ثم صار قوى الزنج ينعذو على ضعيفهم ؛ فكان إذا خلا به ذبحه وأكل لحمه ؛ ثم أكلوا لحوم أولادهم ، ثم كانوا ينبشون الموتى ، فيبيعون أكفانهم ويأكلون لحومهم ، وكان لا يعاقب الخبيث أحداً ممن فعل شيئاً من ذلك إلا بالحبس ، فإذا تطاول حبسه أطلقه .

وذكر أن الفاسق لما هُدمت داره وأحرقت ، وانتُهب ما فيها ، وأخرج طريداً سليباً من غربى نهر أبي الخصب ، تحول إلى شقيقته ، فرأى أبو أحمد أن يخرب عليه الجانب الشرقى لتصير حال الخبيث فيه كحالها في الغربى في الجلاء عنه ، فأمر ابنه أبا العباس بالوقوف في جمع من أصحابه في الشدأ في نهر أبي الخصب ، وأن يختار من أصحابه وغلمانه جمعاً يخرجهم في الموضع الذى كانت فيه دار الكربائى من شرقى نهر أبي الخصب ، ويخرج معهم الفسحة لهدم كل ما يلقاهم من دور أصحاب الفاجر ومنازلهم ، ووقف الموفق على قصر المعروف بالهمداني - وكان الهمداني يتولى حياطة هذا الموضع ، وهو أحد قادة جيوش الخبيث وقدماء أصحابه - وأمر الموفق جماعة من قواده ومواليه فقصدوا

٢٠٥٤/٣

(٢) س : « الناس » .

(١) ب : « أصحاب » .

(٣) س : « أحشهم » .

لدار الهمداني ، ومعهم الفسقة ؛ وقد كان هذا الموضع حصناً يجمع كثير من أصحاب الخبيث من الزنج وغيرهم ، وعليه عرّادات ومجانيق منصوبة وقسي ناوكية ، فاشتبكت الحرب وكثر القتل والجراح إلى أن كشف أصحاب الموفق الخبيثاء ، ووضعوا فيهم السلاح ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وفعل أصحاب أبي العباس مثل ذلك بمن مرّ بهم من الفسقة .

والتقى أصحاب الموفق وأصحاب أبي العباس ؛ فكانوا يدًا واحدة على الخبيثاء ، فولّوا منهزمين ، وانتهوا إلى دار الهمداني ، وقد حصّنها ونصب عليها العرّادات ، وحفّنها بأعلام بيض من أعلام الفاجر ، مكتوب عليها اسمه ، فتعذّر على أصحاب الموفق تسوّر هذه الدار لعلوها سورها وحصانيتها ، فوضعوا عليها السلايم الطوال ، فلم تبلغ آخره ، فرمى بعضُ غلمان الموفق بكلايب كانوا أعدؤها ، وجعلوا فيها الحبال لمثل هذا الموضع ، فأثبتوها في أعلام الفاسق^(١) وجذبوها ، فانقلبت الأعلام منكوسة من أعلى السور ؛ حتى صارت في أيدي أصحاب الموفق ، فلم يشكّ المحامون عن هذه الدار أن أصحاب أبي أحمد قد علوها ، فوجّلوا فانهزموا ، وأسلموها وما حولها ، وصعد النفاطون فأحرقوا ما كان عليها من المجانيق والعرّادات ، وما كان فيها للهمداني من متاع وأثاث ، وأحرقوا ما كان حولها من دور الفجرة ، واستنقذوا في هذا اليوم من نساء المسلمين المأسورات عدداً كثيراً ، فأمر الموفق بحملهن في الشّدَا والسمير يّات والمعابر إلى الموقية والإحسان إليهن .

٢٠٥٥/٣

ولم تزل الحرب في هذا اليوم قائمة من أوّل النهار إلى بعد صلاة العصر ، واستأن يومئذ جماعة من أصحاب الفاسق وجماعة من خاصّة غلمانهم الذين كانوا في داره يلون خدمته والوقوف على رأسه ؛ فأمنهم الموفق وأمر بالإحسان إليهم ، وأن يُخلع عليهم ، ويوصلوا وتُجرى لهم الأرزاق ، وانصرف الموفق ، وأمر أن تنكّس أعلام الفاسق في صدور الشّدَاات ليراها أصحابه ، ودلّت جماعة من المستأمنة الموفق على سوق عظيمة كانت للخبيث في ظهر دار

الهمداني متصلةً بالجسر الأول المعقود على نهر أبي الحصيب ، كان الخبيث سماها المباركة ، وأعلموه أنه إن تهيأ له إحراقها لم يبق لهم سوق ، وخرج عنهم تجارهم الذين بهم قوامهم ، واستوحشوا لذلك . واضطروا إلى الخروج في الأمان . فعزم الموفق عند ذلك على قصد هذه السوق وما يليها بالجيوش من ثلاثة أوجه ؛ فأمر أبا العباس بقصد جانب^(١) من هذه السوق مما يلي الجسر الأول ؛ وأمر راشداً مولاه بقصدها مما يلي دار الهمداني ، وأمر قواداً من قواد غلمانته السودان بالقصد لها من نهر أبي شاكر ، ففعل كل فريق ما أمر به ، ونذر الزنج بمسير الجيوش إليهم ، فنهضوا في وجوههم ، واستعرت الحرب وغلظت ، فأمد الفاجر أصحابه . وكان المهلبى وأنكلاى وسليمان بن جامع في جميع أصحابهم بعد أن تكاملوا ووافتهم أمداد الخبيث بهذه السوق يحامون عنها ، ويحاربون فيها أشدّ حرب .

وقد كان أصحاب الموفق في أول خروجهم إلى هذا الموضع وصلوا إلى طرف من أطراف هذه السوق ، فأضرموه ناراً فاحترق ، فاتصلت النار بأكثر السوق ، فكان الفريقان يتحاربون والنار محيطة بهم ؛ ولقد كان ما علا من ظلال يحترق فيقع على رعوس المقاتلة ؛ فربما أحرق بعضهم ، وكانت هذه حالهم إلى مغيب الشمس وإقبال الليل . ثم تجاوزوا ، وانصرف الموفق وأصحابه إلى سفنهم ، ورجع الفسقة إلى طاغيتهم بعد أن احترق السوق ، وجلا عنها أهلها ومن كان فيها من تجار عسكر الخائن وسوقتهم ، فصاروا في أعلى مدينته بما تخلصوا به من أموالهم وأمتعتهم . وقد كانوا تقدّموا في نقل جلّ تجارتهم وبضائعهم من هذه السوق خوفاً من مثل الذي نالهم في اليوم الذي أظفر الله فيه الموفق بدار الهمداني وهياً له إحراق ما أحرق حولها .

ثم إن الخبيث فعل في الجانب الشرق من حفر الخنادق وتعوير الطرق ما كان فعل في الجانب الغربى بعد هذه الوقعة . واحتفر خندقاً عريضاً من حدّ جوى كور إلى نهر الغربى ، وكان أكثر عنايته بتحسين ما بين دار

(١) س : « بالقصد الجانب » .

الكرنباث إلى النهر المعروف بجوى كور ؛ لأنه كان في هذا الموضع جُلّ منازل أصحابه ومساكنهم ، وكان من حدّ جوى كور إلى نهر الغربىّ بساتين ومواقع قد أخلّوها، والسور والخندق محيطان بها ، وكانت الحرب إذا وقعت في هذا الموضع قصدوا من موضعهم إليه للمحاصرة عنه والمنع منه ؛ فرأى الموفق عند ذلك أن يخرب باقى السور إلى نهر الغربىّ ، ففعل ذلك بعد حرب طويلة في مدة بعيدة .

وكان الفاسق في الجانب الشرقى من نهر الغربىّ في عسكر فيه جمع من الزنج وغيرهم متحصنين بسور منيع وخنادق ، وهم أجلد أصحاب الخبيث وشجعانهم ، فكانوا يحامون عما قَرَّب من سور نهر الغربىّ ، وكانوا يخرجون في ظهور أصحاب الموفق في وقت الحرب على جوى كور وما يليه ، فأمر الموفق بقصد هذا الموضع ومحاربة مَنْ فيه وهدم سُوره وإزالة المتحصنين به ، فتقدّم عند ذلك إلى أبى العباس وعِدّة من قوَّاد غلمانه ومواليه في التأهب لذلك ، ففعلوا ما أمروا به ، وصار الموفق بمنّ أعدّه إلى نهر الغربىّ ، وأمر بالشدّا فنظمت من حدّ النهر المعروف بجوى كور إلى الموضع المعروف بالدبّاسين ، وخرج المقاتلة على جنبى نهر الغربىّ ، ووُضِعَت السلايم على السور .

٢٠٥٨/٣

وقد كانت لهم عليه عدّة عرّادات ، ونشبت الحرب ، ودامت مذ أول النهار إلى بعد الظهر ، وهدم من السور مواضع ، وأحرق ما كان عليه من العرّادات ، وتجاوز الفريقان ، وليس لأحدهما فضل على صاحبه إلاّ ما وصل إليه أصحاب الموفق من هذه المواضع التي هدموها وإحراق العرّادات ، ونال الفريقين من ألم الجراح أمرٌ غليظ موجد .

فانصرف الموفق وجميع أصحابه إلى الموقية ، فأمر بمداواة الجرحى ، ووصل كلّ امرئ على قدر الجراح التي أصابته ؛ وعلى ذلك كان أجرى التدبير في جميع وقائعه منذ أول محاربتة الفاسق إلى أن قتله الله .

وأقام الموفق بعد هذه الواقعة مدّة ، ثم رأى معاودة هذا الموضع والتشاغل به دون المواضع ، لما رأى من حصانته وشجاعة مَنْ فيه وصبرهم ، وأنه لا يتعبأ

ما يقدر فيما بين نهر الغربى وجوى كور إلا بعد إزالة هؤلاء ، فأعد ما يحتاج إليه من آلات الخدم ، واستكثر من الفعلة ، وانتخب المقاتلة الناشبة والراحة والسودان أصحاب السيوف ، وقصد هذا الموضع على مثل قصده له المرة الأولى ، فأخرج الرجال فى الموضع التى رأى لإخراجهم فيها ، وأدخل عدداً من الشدأ النهر ، ونشبت الحرب ودامت ، وصبر الفسقة أشد صبر ، وصبر لهم أصحاب الموفق .

واستمد الفسقة طاغيتهم ، فوافاهم المهلبى وسليمان بن جامع فى جيشهما ^(١) ، ٢٠٥٩/٣ فقويت قلوبهم عند ذلك ، وحملوا على أصحاب الموفق ، وخرج سليمان كميناً مما يلي جوى كور ، فأزالوا ^(٢) أصحاب الموفق حتى انتهوا إلى سفنهم ، وقتلوا منهم جماعة وانصرف الموفق ولم يباغ كل الذى أراد ، وتبين أنه قد كان يجب أن يحارب الفسقة من عدة مواضع ، ليفرق جمعهم ، فيخفف وطؤهم على من يقصد لهذا الموضع الصعب ، وينال منه ما يحب ، فعزم على معاودتهم ، وتقدم إلى أبى العباس وغيره من قواده فى العبور واختيار أنجاد رجالهم ، ووكل مسروراً مولاه بالنهر المعروف بمنكى ، وأمره أن يخرج رجاله فى ذلك الموضع وما يتصل به من الجبال والنخل ، لتشتغل ^(٣) قلوب الفسقة ، وليروا أن عليهم تدبيراً من تلك الجهة . وأمر أبى العباس بإخراج أصحابه على جوى كور ، ونظم الشدأ على هذه المواضع حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالدباسين ، وهو أسفل نهر الغربى ، وصار الموفق إلى نهر الغربى ، وأمر قواده وغلماة أن يخرجوا فى أصحابهم فيحاربوا الفسقة فى حصنهم ومعقلهم ، وألا ينصرفوا عنهم حتى يفتح الله لهم ، أو يبلغ إرادته منهم . ووكل بالسور من يهدمه ، وتسرع الفسقة كعادتهم ، وأطمعهم ما تقدم من الوقعتين اللتين ذكرناهما ، فثبت لهم غلمان الموفق ، وصدقهم اللقاء ، فأنزل الله عليهم نصره ، فأزالوا الفسقة عن مواضعهم ، وقوى أصحاب الموفق ، فحملوا عليهم حملة كشفهم بها ، فانهزموا وخسروا عن حصنهم ، وصار فى أيدي غلمان الموفق فهدموه ، وأحرقوا

(٢) س : « فأزال » .

(١) س : « جيوشهما » .

(٣) س : « لتشتغل » .

منازلهم ، وغنموا ما كان فيها ، واتبعوا المنهزمين منهم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا ، واستغنوا من هذا الحصن من النساء المأسورات خلقاً كثيراً ، فأمر الموفق بمحملهن والإحسان إليهن ، وأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم ففعلوا ، وانصرف إلى عسكره بالموقفية ، وقد بلغ ما حاول من هذا الموضع .

* * *

[ذكر خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج]

وفيهما دخل الموفق مدينة الفاسق ، وأحرق منازلها من الجانب الشرقى من نهر أبى الخصب .

* ذكر الخبر عن سبب وصوله إلى ذلك :

ذكر أن أبا أحمد لما أراد ذلك بعد هدمه سور داره ذلك ، أقام يصلح المسالك في جنبتي نهر أبى الخصب وفي قصر الفاسق ، ليتسع على المقاتلة الطريق في الدخول والخروج للحرب ، وأمر بقلع باب قصر الخبيث الذى كان انتزعه من حصن أروخ بالبصرة ، فقلع وحمل إلى مدينة السلام . ثم رأى القصد لقطع الجسر الأول الذى كان على نهر أبى الخصب ، لما فى ذلك من منع معاونة بعضهم بعضاً عند وقوع الحرب فى نواحي عسكرهم ، فأمر بإعداد سفينة كبيرة تملأ قصباً قد سقى التفط ، وأن ينصب فى وسط السفينة دقل طویل يمنعها من مجاوزة الجسر إذا لصقت به ، وانتهاز الفرصة فى غفلة الفسقة وتفرقهم .

فلما وجد ذلك فى آخر النهار قُدمت السفينة ، فجرها الشدا حتى وردت النهر ، وأشعل فيها النيران ، وأرسلت وقد قوى المد ، فوافقت القنطرة ، ونذر الزنج بها ، وتجمعوا وكثروا حتى ستروا الجسر وما يليه ، وجعلوا يقدفون السفينة بالحجارة والآجر ، ويهيلون عليها التراب ، ويصبون الماء ، وبغاص بعضهم فنقبها ، وقد كانت أحرقت من الجسر شيئاً يسيراً ، فأطفأه الفسقة ، وغرقوا السفينة وحازوها ، فصارت فى أيديهم .

فلما رأى أبو أحمد فعلتهم ذلك ، عزم على مجاهدتهم على هذا الجسر

حتى يقطعه ، فسمي لذلك قائدین من قواد غلمانہ ، وأمرهما بالعبور في جميع أصحابهما في السلاح الشاك والالامة الحصينة والآلات المحكمة ، وإعداد النفاطين والآلات التي تُقَطَّع بها الجسور ، فأمر أحد القائدين أن يقصد غربى النهر ، وجعل الآخر في شرقه ، وركب الموفق في موالیه وخذامه وغلمانہ الشدوات والسُميريات ، وقصد فوهة نهر أبى الخصيب ؛ وذلك في غداة يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة تسع وستين ومائتين ، فسبق إلى الجسر القائد الذى كان أميراً بالقصد له من غربى نهر أبى الخصيب ، فأوقع بمن كان موكلاً به من أصحاب الفاسق ، وقتلت منهم جماعة ، وضرب الجسر بالنار ، وطرح عليه القصب وما كان أعيد له من الأشياء المحرقة ، فانكشف من كان هناك من أعوان الخبيث ، ووافى بعد ذلك من كان (١) أمر بالقصد للجسر من الجانب الشرقى ، ففعلوا ما أمروا به من إحراقه .

٢٠٦٢/٣

وقد كان الخبيث أمر ابنه أنكلای وسليمان بن جامع بالمقام في جيشهما للمحاربة عن الجسر ، والمنع من قطعه ؛ ففعلوا ذلك ، فقصد إليهما (٢) من كان بإزائهما ، وحاربوهم حرباً غليظاً حتى انكشفوا ، وتمكنوا من إحراق الجسر فأحرقوه ، وتجاوزوه إلى الحظيرة التي كان يعمل فيها شدوات الفاسق وسُميرياته وجميع الآلات التي كان يحارب بها ، فأحرق ذلك عن آخره إلا شيئاً يسيراً من الشدوات والسُميريات كان في النهر ، وانزعم أنكلای وسليمان بن جامع ، وانتهى غلمان الموفق إلى سجن كان للخبيث في غربى نهر أبى الخصيب ، فحاصى عنه (٣) الزنج ساعة من النهار حتى أخرجوا منه جماعة ، وغلبهم عليه غلمان الموفق ، فتخلصوا من كان فيه من الرجال والنساء ، وتجاوز من كان في الجانب الشرقى من غلمان الموفق ، بعد أن أحرقوا ما وُلُّوا من الجسر إلى الموضع المعروف بدار مصلح ؛ وهو من قدماء قواد الفاسق ، فدخلوا داره وأنهبوا ، وسبوا ولده ونساءه ، وأحرقوا ما تهيأ لهم لإحراقه في طريقهم (٤) ، وبقيت من الجسر في وسط منه أذقال قد كان الخبيث أحكمهما ، فأمر

(٢) س : « لهما » .

(٤) ب : « طريقه » .

(١) ب : « الذين كانوا » .

(٣) س : « عليه » .

٢٠٦٣/٣

الموفق أبا العباس بتقديم عدة من الشدّا إلى ذلك الموضع ، ففعل ذلك ؛ فكان فيمن تقدّم زيرك^(١) في عدد من أصحابه ، فوافى هذه الأدقال ، وأخرجوا إليها قوماً قد كانوا أعدّوهم لها معهم الفئوس والمناشير ، فقطعوها ، وجذبت وأخرجت عن النهر ، وسقط ما بقي من القنطرة ، ودخلت شدوات الموفق النهر ، وسار القائدان في جميع أصحابهما على حافتيه^(٢) فهزّم أصحاب الفاجر في الجانبين ، وانصرف الموفق وجميع أصحابه سالمين ، واستنقذ خلق كثير . وأتى الموفق بعدد كثير من رموس الفسقة ، فأثاب منّ آتاه بها ، وأحسن إليه ووصله .

وكان انصرافه في هذا اليوم على ثلاث ساعات من النهار ، بعد أن انحاز الفاسق وجميع أصحابه من الزّنج وغيرهم إلى الجانب الشرق من نهر أبي الخصيب ، وأخلوا غربيّه ، واحتوى عليه أصحاب الموفق ، فهدموا ما كان يعوق عن محاربة الفجّرة من قصور الفاسق وقصور أصحابه ، وسعّوا مخترقات ضيقة كانت على نهر أبي الخصيب ، فكان ذلك مما زاد في رعب أصحاب الخائن . ومال جمع كثير من قوّاده وأصحابه الذين كان لا يرى أنهم يفارقونه إلى طلب الأمان ، فبذل ذلك لهم ، فخرجوا أرسالا ، فقبّلوا ، وأحسن إليهم وألحقوا بنظرائهم في الأرزاق والصّلات والخلع .

٢٠٦٤/٣

ثم إن الموفق واظب على إدخال الشدّا النهر ، وتقحّمه في غلمايه . وأمر بإحراق ما على حافتيه من منازل الفجرة وما في بطنه من السفن ، وأحبّ تمرين أصحابه على دخول النهر وتسهيل سلوكه لهم لما كان يقدر من إحراق الجسر الثاني ، والتوصّل^(٣) إلى أقصى مواضع الفجرة .

فبينما الموفق في بعض أيامه — التي ألحّ فيها على حرب الخبيث ولولج نهر أبي الخصيب — واقف في موضع من النهر ؛ وذلك في يوم جمعة ، إذ استأمن إليه رجل من أصحاب الفاجر ، وأتاه بمنبر كان للخبيث في الجانب الغربي ، فأمره بنقله إليه ، ومعه قاض كان للخبيث في مدينته ؛ فكان ذلك مما فت في أعضادهم ؛ وكان الخبيث جمع ما كان بقي له من السفن البحرية وغيرها ،

(٢) س : « على حافتي النهر » .

(١) س : « وزل » .

(٣) س : « التوصل » .

فجعلها عند الجسر الثاني ، وجمع قواده وأصحابه وأنجاد رجائه هنالك ؛ فأمر الموفق بعض غلمانه بالدنو من الجسر وإحراق ما تهيأ لإحراقه من المراكب البحرية التي تليه ، وأخذ ما أمكن أخذه منها . ففعل ذلك المأمورون به من الغلمان ، فزاد فعلهم في تحرز الفاجر ومحاماته عن الجسر الثاني ، فألزم نفسه وجميع أصحابه حفظه وحراسته خوفاً من أن تنتهي حيلة ، فيخرج الجانب الغربي عن يده ، ويؤوطه أصحاب الموفق ؛ فيكون ذلك سبباً لاستئصاله ، فأقام الموفق بعد إحراق الجسر الأول أياماً يعبرُ بجمع بعد جمع من غلمانه إلى الجانب الغربي من نهر أبي الحصيب ، فيحرقون ما بقي من منازل الفجرة ، ويقربون من الجسر الثاني فيحاربهم عليه الزنج .

وقد كان تختلف^(١) منهم جمعٌ في منازلهم في الجانب الغربي المقاربة للجسر الثاني ، وكان غلمان الموفق يأتون هذا الموضع ويقفون على الطرق والمسالك التي كانت تخفى عليهم من عسكر الخبيث ؛ فلما وقف الموفق على معرفة غلمانه وأصحابه بهذه الطريق واهتدائهم لسلوكها ، عزم على القصد لإحراق الجسر الثاني ليحوز الجانب الغربي من عسكر الخبيث ، وليتهيأ لأصحابه مساواتهم على أرض واحدة ، لا يكون بينهما^(٢) فيها حائل غير نهر أبي الحصيب ؛ فأمر الموفق عند ذلك أبا العباس بقصد الجانب الغربي في أصحابه وغلمانه ، وذلك في يوم السبت لثمان بقين من شوال سنة تسع وستين ومائتين ، وتقدم إليه أن يجعل خروجه بأصحابه في موضع البناء الذي كان الفاجر سماه^(٣) مسجد الجامع ، وأن يأخذ^(٤) الشارع المؤدى إلى الموضع الذي كان الخبيث اتخذه مصلى يحضره في أعياده ؛ فإذا انتهى إلى موضع المصلى عطف منه إلى الجبل المعروف بجبل المكتنى بأبي عمرو أخى المهلبى ، وضمَّ إليه من قواده غلمانه الفرسان والرجالة زهاء عشرة آلاف ، وأمره أن يرتب زيرك صاحب مقدّمته في أصحابه في صحراء المصلى ، ليأمن خروج كمين إن كان للفسقة^(٥) من ذلك الموضع ، وأمر

(١) س : « يختلف » .

(٢) س : « بينهم » .

(٣) س : « سماه الفاجر » .

(٤) ب ، س : « يجعل » .

(٥) ب ، س : « الفسقة » .

جماعة من قواد الغلمان أن يتفرقوا في الجبال التي فيها بين الجبل المعروف بالملكنتي بأبي عمرو وبين الجبل المعروف بالملكنتي أبا مقاتل الزنجي ، حتى توافوا جميعاً من هذه الجبال موضع الجسر الثاني في نهر أبي الحصيب ، وتقدم إلى جماعة من قواد الغلمان المضمومين إلى أبي العباس أن يخرجوا في أصحابهم بين دار الفاسق ودار ابنه أنكلای ، فيكون مسيرهم على شاطئ نهر أبي الحصيب وما قاربه ، ليتصلوا بأوائل الغلمان الذين يأتون على الجبال ، ويكون قصد الجميع إلى الجسر . وأمرهم بحمل الآلات من المعاول والفؤوس والمنشير مع جمع^(١) من النفاطين لقطع ما يتهيأ قطعه ، وإحراق ما يتهيأ إحراقه ، وأمر راشد مولاه بقصد الجانب الشرقي من نهر أبي الحصيب في مثل العدة التي كانت مع أبي العباس وقصد الجسر ومحاربة من يدافع عنه ، ودخل أبو أحمد نهر أبي الحصيب في الشدأ ، وقد أعد منها شدوات رتب فيها من أنجاد غلمان الناشبة والراحة من ارتضاه ، وأعد معهم من الآلات التي يقطع بها الجسر ما يحتاج إليه لذلك ؛ وقد همهم أمامه في نهر أبي الحصيب ، واشتبكت الحرب في الجانبين جميعاً بين الفريقين ، واشتد القتال .

٢٠٦٦/٣

وكان في الجانب الغربي يلزاء أبي العباس ومن معه أنكلای ابن الفاسق في جيشه ، وسليمان بن جامع في جيشه ، وفي الجانب الشرقي يلزاء راشد ومن معه الفاجر صاحب الزنج والمهلبتي في باقي جيشهم ، فكانت الحرب في ذلك اليوم إلى مقدار ثلاث ساعات من النهار . ثم انهزمت الفسقة لا يلؤون على شيء ، وأخذت السيوف منهم مأخذها ، وأخذ من رعوس الفسقة ما لم يقع عليه إحصاء لكثيرته ؛ فكان الموفق إذا أتى برأس من الرعوس^(٢) أمر بإلقائه في نهر أبي الحصيب ، ليدع المقاتلة الشغل بالرعوس ، ويجدوا في اتباع علوهم ، وأمر أصحاب الشدا الذين رتبهم في نهر أبي الحصيب بالدنو من الجسر وإحراقه ، ودفع من تحامى عنه من الزنج بالسهام ؛ ففعلوا ذلك وأضرمو الجسر ناراً ، ووافى أنكلای وسليمان في ذلك الوقت جريحين مهزومين^(٣) ، يريدان العبور إلى

٢٠٦٧/٣

(٢) س : « من الرعوس بشيء » .

(١) ب : « جميع » .

(٣) س : « منهزمين » .

شرق نهر أبي الحصيب ، فحالت النار بينهما وبين الجسر ، فألقوا أنفسهم ومن كان معهم من حُماتهم في نهر أبي الحصيب ، فغرق منهم خلق كثير ، وأفلت أنكلای وسليمان بعد أن أشفيا على الهلاك ، واجتمع على الجسر من الجانبين خلق كثير ، فقطع بعد أن ألقيت عليه سفينة مملوءة قصباً مضروماً بالنار ، فأعانت على قطعه وإحراقه ، وتفرق الجيش في نواحي مدينة الخبيث من الجانبين جميعاً ، فأحرقوا من دورهم وقصورهم وأسواقهم شيئاً كثيراً ، واستنقذوا من النساء المأسورات والأطفال ما لا يُحصى عدده ، وأمر الموفق المقاتلة بحملهم في سفنهم والعبور بهم إلى الموقية .

وقد كان الفاجر سكن بعد إحراق قصره ومنازله الدار المعروفة بأحمد بن موسى القلوص والدار المعروفة بمحمد بن إبراهيم أبي عيسى ، وأسكن ابنه أنكلای الدار المعروفة بمالك ابن أخت القلوص ، فقصد جماعة من غلمان الموفق المواضع التي كان الخبيث يسكنها فدخلوها^(١) ، وأحرقوا منها مواضع ، وانتهبوا منها ما كان سلم للفاسق من الحريق الأول ، وهرب الخبيث ولم يوقف^(٢) في ذلك اليوم على مواضع^(٣) أمواله . واستنقذ في هذا اليوم نسوة عكسيات كن محتسبات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها ، فأمر الموفق بحملهن إلى عسكره^(٤) ، وأحسن إليهن ، ووصلهن ، وقصد جماعة من غلمان الموفق من المستأمنة المضمومين إلى أبي العباس سجناً كان الفاسق اتخذها في الجانب الشرقي من نهر أبي الحصيب ، ففتحوه وأخرجوا منه خلقاً كثيراً ممن كان أسير من العساكر التي كانت تحارب الفاسق وأصحابه ، ومن سائر الناس غيرهم . فأخرج جميعهم في قيودهم وأغلالم حتى أتى بهم الموفق ، فأمر بفك الحديد عنهم وحملهم إلى الموقية ، وأخرج في ذلك اليوم كل ما كان بقي في نهر أبي الحصيب من شذاً ومراكب بحرية وسفن صغار وكبار وحرّاقات وزلاّلات وغير ذلك من أصناف السفن من النهر إلى دجلة ، وأباحها الموفق أصحابه وغلمانه مع ما فيها من السلب والنهب الذي حازوا في ذلك اليوم من

(٢) ب : « فلم يوقف » .

(٤) ب : « معسكره » .

(١) س : « ودخلوها » .

(٣) ب : « موضع » .

عسكر الحبيث، وكان ذلك قدر جليل وخطر عظيم .

* * *

وفيهما كان إحدار المعتمد إلى واسط ، فسار إليها في ذى القعدة وأنزل دار زيرك .

وفيهما سأل أنكلای ابن الفاسق أبا أحمد الموفق الأمان ، وأرسل إليه في ذلك رسولا ، وسأل أشياء فأجابه الموفق إلى كل ما سأل ، ورد إليه رسوله ، وعرض للموفق بعقب ذلك ما شغله عن الحرب . وعلم الفاسق أبو أنكلای بما كان من ابنه فعذله — فيما ذكر — على ذلك ، حتى ثناه ^(١) عن رأيه في طلب الأمان ، فعاد للجيد في قتال أصحاب الموفق ، ومباشرة الحرب بنفسه .

٢٠٦٩/٣

* * *

[ذكر طلب رؤساء صاحب الزنج الأمان]

وفيهما وجه أيضاً سليمان بن موسى الشعراني — وهو أحد رؤساء أصحاب الفاسق — من يطلب الأمان له من أبي أحمد ، فمنعه أبو أحمد ذلك ، لما كان سلف منه من العبث وسفك الدماء ، ثم اتصل به أن جماعة من أصحاب الحبيث ^(٢) قد استوحشوا لمنعة ذلك الشعراني ، فأجابه أبو أحمد إلى إعطائه الأمان ؛ استصلاحاً بذلك غيره من أصحاب الفاسق ^(٣) ، وأمر بتوجيه الشّدَا إلى الموضع الذي واعدهم الشعراني ، ففعل ذلك ، فخرج الشعراني وأخوه وجماعة من قوّاده ، فحملهم في الشّدَا ، وقد كان الحبيث حرس به مؤخّر نهر أبي الخصيب ، فحمله أبو العباس إلى الموفق ، فنّ عليه ، ووفى له بأمانه ، وأمر به فوُصل ووُصل أصحابه ، وخلع عليهم ، وحمل على عدّة أفراس بسروجها وآلتها ، ونزّله وأصحابه أنزالا سنية ، وضمه وإياهم إلى أبي العباس ، وجعله في جملة أصحابه ، وأمره ^(٤) بإظهاره في الشّدَا لأصحاب الخائن ليزدادوا ثقةً بأمانه ؛ فلم يبرح الشّدَا من موضعها من نهر أبي الخصيب ، حتى استأمن جمع كثير من قوّاد الزّنج وغيرهم ، فحملوا إلى أبي أحمد ، فوصلهم

(٢) س : « الفاسق » .

(١) س : « وثناه » .

(٤) س : « وأمر » .

(٣) س : « الحبيث » .

وألحقهم في الخلع والجوائز بمن تقدمهم .

ولما استأمن الشعرائي اختل ما كان الخبيث يضبط به من مؤخر عسكره ،
ووهى أمره وضعف ؛ فقلد^(١) الخبيث ما كان إلى الشعرائي من حفظ ذلك
شبل بن سالم ، وأنزله مؤخر نهر أبي الحصيب ، فلم يمس الموفق من اليوم
الذي أظهر فيه الشعرائي لأصحاب الخبيث حتى وافاه رسول شبل بن سالم
يطلب الأمان ، ويسأل أن يوقف شذوات عند دار ابن سمعان ؛ ليكون
قصده فيمن يصحبه من قواده ورجاله في الليل إليها .

فأعطى الأمان ، ورد إليه رسوله ، ووقفت^(٢) له الشذنا في الموضع
الذي سأل أن توقف له ؛ فوافاه في آخر الليل ومعه عياله وولده وجماعة من
قواده ورجاله ، وشهر أصحابه سلاحهم ؛ وتلقاهم قوم من الزنج قد كان
الخبيث وجههم لمنعه من المصير إلى الشذنا . وقد كان خبره انتهى إليه ،
فحاربهم شبل وأصحابه ، وقتلوا منهم نفراً ؛ فصاروا إلى الشذنا سالمين ،
فصير بهم إلى قصر الموفق بالموفقية ، فوافاه وقد ابتلع الصبح ؛ فأمر الموفق أن
يوصل شبل بصلة جزيلة ، وخلع عليه خلعاً كثيرة ، وحمله على عدة أفراس
بسرورها ولحمها .

وكان شبل هذا من عدد الخبيث وقدماء أصحابه وذوى الغناء والبلاء
في نصرته ، ووصل أصحاب شبل ، وخلع عليهم ، وأسنت له ولهم الأرزاق
والأنزال ، وضمو جميعاً إلى قائد من قواد غلمان الموفق ، ووجه به وبأصحابه^(٣)
في الشذنا ، فوقفوا بحيث يراهم الخبيث وأشياعه . فعظم ذلك على الفاسق وأوليائه ،
لما رأوا من رغبة رؤسائهم في اغتنام الأمان ، وتبين الموفق من مناصحة شبل
وجوده فهمه ما دعاه إلى أن يستكفيه بعض الأمور التي يكيد بها الخبيث ؛
فأمره^(٤) بتبني عسكر الخبيث في جمع أمر بضمهم إليه من أبطال الزنج
المستأمنة ، وأفرده وإياهم بما أمرهم به من البيات ؛ لعلمهم بالمسالك في عسكر الخبيث .
فنفذ شبل لما أمر به ، فقصده موضعاً كان عرفه ، فكبسه في السحر ،

(٢) ب : « ووقفت » .

(١) ب : « وقلد » .

(٤) س : « وأمر » .

(٣) ب : « وأصحابه » .

فوافقى به جمعاً كثيفاً من الزنج في عدة^(١) من قوادهم وحماهم ، قد كان الخبيث رتبهم في الدفع عن الدار المعروفة بأبى عيسى ، وهى منزل الخبيث حينئذ ، فأوقع بهم وهم غارون ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر جمعاً من قواد الزنج ، وأخذ لهم سلاحاً كثيراً ، وانصرف ومن كان معه سالمين ، فأتى بهم الموفق ، فأحسن جائزتهم^(٢) ، وخلع عليهم ، وسور جماعة منهم .

ولما أوقع أصحاب شبل بأصحاب الخائن هذه الوقعة ذعروهم ذلك ذعراً شديداً ، وأخافهم ومنعهم النوم ؛ فكانوا يتحارسون في كل ليلة ، ولا تزال التفرقة تقع في عسكرهم لما استشعروا من الخوف ، ووصل إلى قلوبهم من الوحشة ؛ حتى لقد كان ضجيجهم وتحارسهم يُسمع بالموقية .

ثم أقام الموفق بعد ذلك ينفذ السرايا إلى الحبشة ليلاً ونهاراً من جانبي نهر أبى الحصيب ، ويكدهم بالحرب ، ويُسهر ليلهم ، ويحول بينهم وبين طلب أقواتهم . وأصحابه في ذلك يتعرفون^(٣) المسالك . ويتدربون بالوغول في مدينة الخبيث وتفحمتها ، ويصرون من ذلك على ما كانت الهيبة تحول بينهم وبينه ؛ حتى إذا ظن الموفق أن قد بلغ أصحابه ما كانوا يحتاجون إليه ، صبح عزمه على العبور إلى محاربة الفاسق في الجانب الشرقى من نهر أبى الحصيب ، فجلس مجلساً عاماً ، وأمر بإحضار قواد المستأمنة ووجوه فرسانهم ورجالاتهم من الزنج والبيضان ، فأدخلوا إليه ، ووقفوا بحيث يسمعون كلامه . ثم خاطبهم فعرفهم ما كانوا عليه من الضلالة والجهل وانتهاك المحارم . وما كان الفاسق دين لهم من معاصى الله ؛ وأن ذلك قد كان أباح له دماءهم . وأنه قد غفر الزلّة . وعفا عن الحقوة ، وبذل الأمان ، وعاد على من لجأ إليه بفضله ، فأجزل الصلات ، وأسنى الأرزاق . وألحقهم بالأولياء وأهل الطاعة ؛ وأن ما كان منه من ذلك يُوجب عليهم حقه وطاعته ؛ وأنهم لن يأتوا شيئاً يتعرّضون به لطاعة ربهم والاستدعاء لرضا سلطانهم ؛ أو لى بهم من الجدة والاجتهاد في مجاهدة عدو الله الخائن وأصحابه ، وأنهم من الخبرة بمسالك

٢٠٧٢/٣

(٢) بعدها في س : « وأحسن إليهم » .

(١) س : « عدد » .

(٣) ب : « يعرفون » .

عسكر الخبيث ومضايق طرق مدينته والمعاقل^(١) التي أعدّها للهرب إليها على ما ليس عليه غيرهم ؛ فهم أحرىء أن يُمَحْضَوْه^(٢) نصيحتهم ، ويحتهدوا في الوُلُوج على ٢٠٧٣/٣ الخبيث ، والتوغّل إليه في حصونه ، حتى يمكنهم الله منه ومن أشياعه ، فإذا فعلوا ذلك فلهم الإحسان والمزيد . وإن مَن قَصَرَ منهم استدعى من سلطانه إسقاط حاله وتصغير منزلته ، ووضع مرتبته . فارتفعت أصواتهم جميعاً بالدعاء للموفق والإقرار بإحسانه ، وبما هم عليه من صحة الضمائر في السمع والطاعة والجدّ في مجاهدة عدوّه ، وبذل دمائهم ومُهِجهم^(٣) في كلّ ما يقرّ بهم منه ، وأن ما دعاهم إليه قد قوّى نيّتهم ، ودلّم على ثقته بهم وإحلاله إياهم محلّ أوليائه ، وسألوه أن يُفردهم بناحية يحاربون فيها ، فيظفروا من حسن نيّاتهم ونكايتهم في العدو ما يعرف به إخلاصهم وتورّعهم عما كانوا عليه من جهلهم فأجابهم الموفق إلى ما سألوا ، وعرفهم حسن موقع ما ظهر له من طاعتهم ، وخرجوا من عنده مبتهجين بما أجيبوا به من حسن القول وجميل الوعد .

* * *

[خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج وتخريب داره]

وفي ذى القعدة من هذه السنة دخل الموفق مدينة الفاسق بالجانب الشرق من نهر أبي الحصيب ، فخرّب داره ، وانتهب^(٤) ما كان فيها .

* ذكر الخبر عن هذه الواقعة :

ذكر أن أبا أحمد لما عزم على الهجوم على الفاسق في مدينته بالجانب الشرق من نهر أبي الحصيب ، أمر بجمع السفن والمعابر من دجلة والبطيحة ونواحيها ليضيفها إلى ما في عسكره ؛ إذ كان ما في عسكره مقصراً عن الجيش لكثرتهم ، وأحصى ما في الشّذا والسّميريات والرقيّات التي كانت تعبر فيها الخيل ، فكانوا زهاء عشرة آلاف ملاح ، ممن يجري عليه الرزق من بيت المال مشاهرة ، سوى سفن أهل العسكر التي يحمل فيها الميرة ، ويركبها الناس في حوائجهم ، وسوى ما كان لكلّ قائد ومن يحضر من أصحابه من

(١) س : « والمضايق » .

(٢) س : « فهو أحق بأن يمحصوه » .

(٣) س « وهجم » .

(٤) س : « وأنتهب » .

السميريات والبحرييات والزواريق التي فيها الملاحون الراتبة . فلما تكاملت له السفن والمعابر ، ورضى عددَها ، تقدّم إلى أبي العباس وإلى قوّاد مواليه وغلّمانه في التّأهب والاستعداد للقاء عدوّهم ، وأمر بتفرقة السفن والمعابر إلى حمل الخيل والرّجاله ، وتقدّم إلى أبي العباس في أن يكون خروجه في جيشه في الجانب الغربيّ من نهر أبي الحصيب ، وضمّ إليه قوّاداً من قوّاد غلّمانه في زُهاء ثمانية آلاف من أصحابهم ، وأمره أن يعتمد مؤخّر عسكر الفاسق حتى يتجاوز دار المعروف بالمهلبيّ ، وقد كان الخبيث حصّنها وأسكن بقربها خلقاً كثيراً من أصحابه ؛ ليأمن على مؤخّر عسكره ، وليصعب على من يقصده المسلك إلى هذا الموضع .

٢٠٧٥/٣

فأمر أبو أحمد أبا العباس بالعبور بأصحابه إلى الجانب الغربيّ من نهر أبي الحصيب ، وأن يأتي هذه الناحية من ورائها ، وأمر راشد مولاه بالخروج في الجانب الشرقيّ من نهر أبي الحصيب في عدد كثير من الفرسان والرّجاله زُهاء عشرين ألفاً ، وأمر بعضهم بالخروج في ركن دار المعروف بالكرنبائيّ كاتب المهلبيّ . وهي على قرنة نهر أبي الحصيب في الجانب الشرقيّ منه ، وأمرهم أن يجعلوا مسيرهم على شاطئ النهر حتى يوافوا الدار التي نزلها الخبيث ؛ وهي الدار المعروفة بأبي عيسى . وأمر فريقاً من غلّمانه بالخروج على فؤّهة النهر المعروف بأبي شاكر ، وهو أسفل من نهر أبي الحصيب ، وأمر آخرين منهم بالخروج في أصحابهم على فؤّهة النهر المعروف بجوى كور ، وأوعز إلى الجميع في تقديم الرّجاله أمام الفرسان ، وأن يزحفوا^(١) بجمعهم نحو دار الحائن ؛ فإن أظفرهم الله به وبمَنّ فيها من أهله ولده وإلاّ قصدوا دار المهلبيّ ليلقاهم هناك من أمر بالعبور مع أبي العباس ؛ فتكون أيديهم يداً واحدة على الفسقة .

فعمل أبو العباس وراشد وسائر قوّاد الموالى والغلّمان بما أمروا به ، فظهروا جميعاً ، وأبرزوا سفنهم في عشية يوم الاثنين لسبع ليال خلون من ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين ، وسار الفرسان يتلو بعضهم بعضاً ، ومشت الرّجاله

(١) ب ، ن : « يرجعوا » .

وسارت السفن في دجلة منذ صلاة الظهر من يوم الاثنين إلى آخر وقت عشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء ، فانتهبوا إلى موضع من أسفل^(١) العسكر ؛ وكان^(٢) ٢٠٧٦/٣ الموفق أمر بإصلاحه وتنظيفه وتنقية ما فيه من خراب ودغل ، وطم^(٣) سواقيه وأنهاره حتى استوى واتسع ، وبعدت أقطارُه . واتخذ فيه قصراً وميداناً لعرض الرجال والخيل بإزاء قصر الفاسق ؛ وكان غرضه في ذلك إبطال ما كان الخبيث يَسْعِدُ به أصحابه من سرعة انتقاله عن موضعه ؛ فأراد أن يُعلم الفريقين أنه غير راحل حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه ؛ فبات الجيش ليلة الثلاثاء في هذا الموضع بإزاء عسكر الفاسق ؛ وكان الجميع^(٤) زُهاء خمسين ألف رجل من الفرسان والرّجال في أحسن زِيٍّ وأكمل هيئة ، وجعلوا يكبرون ويهللون ، ويقرعون القرآن ، ويصلّون ، ويوقدون النار .

فراى الخبيث من كثرة الجمع والعُدّة والعدد ما بهر عقله وعقول أصحابه ؛ وركب الموفق في عشية يوم الاثنين الشّدّا ؛ وهي يومئذ مائة وخمسون شُدّاة قد شحنها بأنجاد غلمان^(٥) ومواليه الناشئة والراحة ، ونظمها من أوّل عسكر الخائن إلى آخره ؛ لتكون حصناً للجيش من ورائه ، وطُرِحَت أُنَاجِرُها بحيث تقرب من الشطّ ، وأفرد منها شذوات اختارها لنفسه ، ورتّب فيها من خاصّة قوَاد غلمان^(٦)ه معه عند تفحّمه نهر أبي الخصيب ؛ وانتخب من الفرسان والرّجال عشرة آلاف ، وأمرهم أن يسيروا على جانبي نهر أبي الخصيب بمسيره ، ويقفوا بوقوفه ، ويتصرّفوا فيما رأى أن يصرفهم فيه في وقت^(٧) الحرب .

٢٠٧٧/٣ وغدا الموفق يوم الثلاثاء لقتال الفاسق صاحب الزّنج ، وتوجّه كلّ رئيس من رؤساء قوَادِه نحو الموضع الذي أمر بقصده ، وزحف الجيش نحو الفاسق وأصحابه ، فتلقّاهم الخبيث في جيشه ، واشتبكت الحرب ، وكثر القتل والجراح بين الفريقين ، وحامى الفسقة عما كانوا اقتصروا عليه من مدينتهم أشدّ محاماة ، واستماتوا^(٧) ، وصبر أصحاب الموفق ، وصدقوا القتال ؛ فنّ الله عليهم بالنصر ،

(٢) س : « وقد كان » .

(٤) ب : « الجميع » .

(٦) س : « عند الحرب » .

(١) س : « أهل » .

(٣) طم سواقيه : ردمها .

(٥) ب : « غلمان قواده » .

(٧) س : « واستمات » .

وهزم المسقة ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأسروا من مقاتلتهم وأنجادهم جمعاً كثيراً .

وأتى الموفق بالأسارى ، فأمر بهم فضربت أعناقهم فى المعركة ، وقصد بجمعه لدار الفاجر فوافاها ، وقد لجأ الخبيث إليها ، وجمع أنجاد أصحابه للمدافعة عنها ؛ فلمّا لم يغنّوا عنها شيئاً أسلمها ، وتفرّق أصحابه عنها ، ودخلها غلمان الموفق ، وفيها بقايا ما كان سلم للخبيث من ماله وأثاثه ؛ فانتهبوا ذلك كلّهُ ، وأخذوا حرمه وولده الذكور والإناث ؛ وكانوا أكثر من مائة بين امرأة وصبي ، وتخلّص الفاسق ومضى هارباً نحو دار المهلبى ، لا يلوى على أهل ولا مال ، وأحرقت داره وما بقى فيها من متاع وأثاث ، وأتى الموفق بنساء الخبيث وأولاده ، فأمر بحملهم إلى الموقية والتوكيل^(١) بهم ، والإحسان إليهم . وكان جماعة من قواد أبى العباس عبروا نهر أبى الحصيب ، وقصدوا الموضع الذى أمروا بقصده من دار المهلبى ، ولم ينتظروا إلحاق أصحابهم بهم ، فوافوا دار المهلبى ، وقد لجأ إليها^(٢) أكثر الزنج بعد انكشافهم عن دار الخبيث ؛ فدخل أصحاب أبى العباس الدار ، وتشاغلوا بالنهب وأخذ ما كان غلب عليه المهلبى من حرم المسلمين وأولاده^(٣) منهم ، وجعل كلّ من ظفر^(٤) بشيء انصرف به إلى سفينته فى نهر أبى الحصيب .

٢٠٧٨/٣

وتبين الزنج قلة من بقي منهم وتشاغلهم بالنهب ، فخرجوا عليهم من عدّة مواضع قد كانوا كمنوا فيها ، فأزالوهم عن مواضعهم ؛ فأنكشفوا ، وأتبعهم الزنج حتى وافوا نهر أبى الحصيب وقتلوا من فرسانهم ورجالتهم جماعة يسيرة ، وارتجعوا بعض ما كانوا أخذوا من النساء والمتاع .

وكان فريق من غلمان الموفق وأصحابه الذين قصدوا دار الخبيث فى شرق نهر أبى الحصيب تشاغلوا بالنهب وحمل الغنائم إلى سفنهم ؛ فأطمع ذلك الزنج فيهم ، فأكبّوا عليهم ، فكشفوهم واتّبّعوا آثارهم إلى الموضع المعروف بسوق الغم من عسكر الزنج ، فثبتت جماعة من قواد الغلمان فى أنجاد

(٢) س : « ولقد لجأ إليه » .

(٤) س : « أخذ وظفر » .

(١) س : « والتوكيل بهم » .

(٣) س : « وأولادهم » .

أصحابهم وشجعانهم ، فردّوا وجوه الزّنج حتى ثاب الناس ، وتراجعوا إلى مواقفهم ، ودامت الحرب بينهم إلى وقت صلاة العصر فأمر أبو أحمد عند ذلك غلماته أن يحملوا على الفسقة بأجمعهم حملةً صادقة ، ففعلوا ذلك ، فانهزم الزّنج وأخذتهم السيوف حتى انتهوا إلى دار الخبيث ؛ فرأى الموفق عند ذلك أن يصرف غلمانه وأصحابه على إحسانهم ، فأمرهم بالرجوع ؛ فانصرفوا على هدوء وسكون ؛ فأقام الموفق في النهر ومنّ معه في الشّدّا يحميهم ؛ حتى دخلوا سفنهم ، وأدخلوها خيلهم ، وأحجم الزّنج عن اتّباعهم لما نالهم في آخر الواقعة .

وانصرف الموفق ومعه أبو العباس وسائر قوّاده وجميع جيشه قد غنموا أموال الفاسق ، واستغنوا جمعاً من النساء اللّواتي كان غلب عليهنّ من حرم المسلمين كثيراً ، جعلن يخرجن في ذلك اليوم أرسالا إلى فوّهة^(١) نهر أبي الخصب ، فيحملن في السفن إلى الموقية إلى انقضاء الحرب .

وكان^(٢) الموفق تقدّم إلى أبي العباس في هذا اليوم أن ينفذ قائداً من قوّاده في خمس شدّوات إلى مؤخر عسكر الخبيث بنهر أبي الخصب ، لإحراق^(٣) بيادر ثمّ جليل قدرها ، كان الخبيث يقوت أصحابه منها من الزّنج وغيرهم ، ففعل ذلك وأحرق أكثره . وكان إحراق ذلك من أقوى الأشياء على إدخال الضعف على الفاسق وأصحابه ، إذ لم يكن لهم معول في قوتهم غيره ؛ فأمر أبو أحمد بالكتاب بما تهيأ له على الخبيث وأصحابه في هذا اليوم إلى الآفاق ليقرأ على الناس ، ففعل ذلك .

وفي يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذى الحجة من هذه السنة وافى عسكر أبي أحمد صاعد بن مخلد كاتبه متصرفاً إليه من سامراً ، ووافى معه بجيش كثيف قيل إنّ عدد الفرسان والرّجالة الذين قدموا كان زهاء عشرة آلاف ، فأمر الموفق بإراحة أصحابه وتجديد أسلحتهم وإصلاح أمورهم ؛ وأمرهم بالتأهب^(٤) لمحاربة الخبيث . فأقام أياماً بعد قدومه لما أمر به .

٢٠٨٠/٣

(٢) س : « وقد كان » .

(٤) س : « والتأهب » .

(١) ب : « في فوّهة النهر » .

(٣) س : « بإحراق بيادر » .

فهم في ذلك من أمرهم ؛ إذ ورد كتاب لؤلؤ صاحب ابن طولون مع بعض قواده ، يسأله فيه الإذن له في القُدوم عليه ؛ ليشهد عليه حرب الفاسق . فأجابه إلى ذلك ، فأذن له في القُدوم عليه ، وأخترَ ما كان عزم عليه من مناجزة الفاجر انتظاراً منه قُدوم لؤلؤ ؛ وكان لؤلؤ مقيماً بالرقّة في جيش عظيم من الفراغنة والأتراك والروم والبربر والسودان وغيرهم ، من نخبة أصحاب ابن طولون ؛ فلما ورد على لؤلؤ كتاب أبي أحمد بالإذن له في القُدوم^(١) عليه ، شخص من ديار مضر حتى ورد مدينة السلام في جميع أصحابه ، وأقام بها مدّة ، ثم شخص إلى أبي أحمد فوافاه بعسكره يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم سنة سبعين ومائتين ، فجلس له أبو أحمد ، وحضر ابنه أبو العباس وصاعده والقواد على مراتبهم ؛ فأدخل عليه لؤلؤ في زىّ حسن ، فأمر أبو العباس أن يتزل معسكراً كان أعدّ له بإزاء نهر أبي الحصب ، فترّله في أصحابه ، وتقدّم إليه في مباركة المصير إلى دار الموفق ، ومعه قواده وأصحابه للسلام عليه . فغدا لؤلؤ يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم ، وأصحابه معه في السواد ، فوصل إلى الموفق وسلّم عليه فقرّبه^(٢) وأدناه ، ووعده وأصحابه خيراً ، وأمر أن يخلع عليه وعلى خمسين ومائة قائد من قواده ، وحمله على خيل كثيرة بالمسّروج واللجم المحلاة بالذهب والفضّة ، وحمل بين يديه من أصناف الكسى والأموال في البدور ما يحمله مائة غلام ؛ وأمر لقواده من الصلات والحملان والكسى على قدر محل^(٣) كلّ إنسان منهم عنده ، وأقطعه ضياعاً جلييلة القدر ، وصرفه إلى عسكره بإزاء نهر أبي الحصب بأجمل حال ، وأعدّت له ولأصحابه الأنزال والعكوفات ، وأمره برفع جرائد لأصحابه بمبلغ أرزاقهم على مراتبهم ؛ ورفع ذلك ؛ فأمر لكلّ إنسان منهم بالضعف مما كان يجري له وأمر لهم بالعطاء عند رفع الجرائد ، ووفّوا ما رسم لهم .

٢٠٨١/٣

ثم تقدّم إلى لؤلؤ في التأهب والاستعداد للعبور إلى غربى دجلة لمحاربة الفاسق وأصحابه ؛ وكان الحيث لما غلب على نهر أبي الحصب ، وقُطعت

(٢) : « فصرّفه » .

(١) س : « بالقُدوم » .

(٣) س : « محل » .

القناطر والجسور التي كانت عليه أحدث سكرًا في النهر من جانبيه ، وجعل في وسط السكر بابًا ضيقًا ليحتد فيه جرية الماء ، فيمتنع الشدًا من دخوله في الجزر ، ويتعذر خروجها منه في المد ، فرأى أبو أحمد أن حربه لا تنهيأ له إلا بقلع هذا السكر ، فحاول ذلك ، فاشتدت محاربة الفسقة عنه ، وجعلوا يزيدون فيه في كل يوم وليلة ، وهو متوسط دورهم ، والمؤونة لذلك تسهل عليهم وتغلظ على من حاول قلعه .

فرأى أبو أحمد أن يحارب بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ ، ليضربوا^(١) لمحاربة الزنج ، ويقفوا على المسالك والطرق في مدينتهم ، فأمر لؤلؤ أن يحضر في جماعة من أصحابه للحرب على هذا السكر ، وأمر بإحضار الفعلة لقلعه ، ففعل . فرأى الموفق^(٢) من نجدة لؤلؤ وإقدامه وشجاعة أصحابه وصبرهم على ألم الجراح وثبات العدة اليسيرة منهم ، في وجوه الجمع الكثير من الزنج ماسره . فأمر لؤلؤ بصرف^(٣) أصحابه إشفاقًا عليهم ، وضنًا بهم ، فوصلهم الموفق ، وأحسن إليهم ، وردّهم إلى معسكرهم ، وألح الموفق على هذا السكر ؛ فكان يحارب المحامين عنه من أصحاب الخبيث بأصحاب لؤلؤ وغيرهم ، والفعلة يعملون في قلعه ، ويحارب الفاجر وأشياعه من عدة وجوه ، فيحرق مساكنهم ، ويقتل مقاتلتهم ، ويستأمن إليه الجماعة من رؤسائهم .

وكانت قد بقيت الخبيث وأصحابه أرضون من ناحية نهر الغربي ، كان لهم فيها مزارع وخضّس وقنطرتان على نهر الغربي ، يعبرون عليها إلى هذه الأرضين ، فوقف أبو العباس على ذلك فقصده لتلك الناحية ، واستأذن الموفق في ذلك ، فأذن له ، وأمره باختيار^(٤) الرجال ، وأن يجعلهم شجعاء أصحابه وغلماؤه ؛ ففعل أبو العباس ذلك ، وتوجه نحو نهر الغربي ، وجعل زيرك كمينًا في جمع من أصحابه في غربى النهر ، وأمر رشيقيًا غلامه أن يقصده في جمع كثير من أنجاد رجاله ومختاريهم للنهر المعروف بنور العميسيين ؛ ليخرج في ظهور الزنج وهم غارون ، فيوقع بهم في هذه الأرضين . وأمر زيرك أن يخرج في

(٢) س : « أبو أحمد » .

(٤) س : « بإحضار » .

(١) ابن الأثير : « ليتمرنوا على قتالهم » .

(٣) س : « فصرف » .

٢٠٨٣/٣ وجوههم إذا أحسَّ بأنهم زامهم من رشيق .

وأقام أبو العباس في عدة شدوات قد انتخب مقاتلتها واختارهم في فوّهة نهر الغربيّ ، ومعه من غلمانهِ البيضان والسودان عدد قد رضيه ؛ فلما ظهر رشيق للفجرة في شرق نهر الغربيّ ، راعهم فأقبلوا يريدون العبور إلى غريبه ليهربوا إلى عسكرهم ؛ فلما عاينهم أبو العباس اقتحم النّهر بالشّدّوات ، وبث الرّجالة على حافتيه ، فأدركوهم ووضعوا السيوف^(١) فيهم ، فقتل منهم في النهر وعلى ضفتيه خلق كثير ، وأسّر منهم أسرى ، وأفلت آخرون ، فتلقاهم زيرك في أصحابه فقتلوهم ، ولم يُفْلِتْ منهم إلّا الشريد ، وأخذ أصحاب أبي العباس من أسلحتهم ما ثقل عليهم حملة ؛ حتى ألقوا أكثره . وقطع أبو العباس القنطريّين ، وأمر بإخراج ما كان فيهما من البُدود والخشب إلى دجلة وانصرف إلى الموفق بالأسارى والرّعوس ، فطيف بها في العسكر ، وانقطع عن الفسقة ما كانوا يرتفقون به من المزارع التي كانت بنهر الغربيّ .

* * *

وفي ذى الحجة من هذه السنة . أعنى سنة تسع وستين ومائتين — أدخل عيال صاحب الزّنج وولده بغداد . وفيها سُمّيَ صاعد ذا الوزارتين .

* * *

وفي ذى الحجة منها كانت وقعة بين قائدين وجيش معهما لابن طولون كان أحدهما يسمّى محمد بن السراج والآخر منهما يعرف بالغنويّ ، كان ابن طولون وجّتهما ، فوافيا مكة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى القعدة في أربعمائة وسبعين فارساً وألفي راجل^(٢) ؛ فأعطوا الجزارين والحناطين^(٣) دينارين دينارين ، والرؤساء سبعة سبعة ، وهارون بن محمد عامل مكة إذ ذاك بستان ابن عامر ، فوافي مكة جعفر بن الباغمردى لثلاث خصال من ذى الحجة في نحو من مائتي فارس ، وتلقاه هارون في مائة وعشرين فارساً ومائتي

٢٠٨٤/٣

(٢) ب : « رجل » .

(١) س : « السلاح » .

(٣) س : « والحياطين » .

أسود وثلاثين فارساً من أصحاب عمرو بن الاليث ومائتي راجل ممن قدم من العراق ، فتموى بهم جعفر ، فالتقوا هم وأصحاب ابن طولون ، وأعان جعفرًا حاجُّ أهل خراسان ، فقتل من أصحاب ابن طولون ببطن مكة نحو من مائتي رجل ، وانهزم الباقيون في الجبال . وسلبوا دوابهم وأموالهم ، ورفع جعفر السيف . وحوى جعفر مضرب الغنوي . وقيل : إنه كان فيه مائتا ألف دينار . وآمن المصريّين والحنّاطين والجزارين ، وقُرئ كتاب في المسجد الحرام^(١) بلعن ابن طولون ، وسلم الناس وأموال التجار .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي . ولم يبرح إسحاق بن كنداج — وقد وُلّيَ المغرب كله في هذه السنة — سامراً حتى انقضت السنة .

(١) ب : « الجامع » .

ثم دخلت سنة سبعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

ففي المحرم منها كانت وقعة بين أبي أحمد وصاحب الزنج أضعفت^(١)
أركان صاحب الزنج .

[ذكر الخبر عن قتل صاحب الزنج وأسْر من معه]

وفي صفر منها قتل الفاجر، وأسْر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني
واستريح من أسباب الفاسق .

* ذكر الخبر عن هاتين الوقعتين :

قد ذكرنا قبل أمر السكّر الذي كان الخبيث أحدثه ، وما كان من أمر
أبي أحمد وأصحابه في ذلك . ذكر أن أبا أحمد لم يزل ملحقاً على الحرب
على ذلك السكّر حتى تهياً له فيه ما أحب ، وسهل المدخل للشّذا في نهر
أبي الخصيب في المدّة والحزر ، وسهل لأبي أحمد في موضعه الذي كان مقيماً
فيه كل ما أراد من رخص الأسعار وتتابع الميّر وحمل الأموال إليه من البلدان
ورغبة الناس في جهاد الخبيث ومن معه من أشياعه ؛ فكان ممن صار إليه من
المطوّعة أحمد بن دينار عامل إيدج ونواحيها من كُور الأهواز في جمع
كثير من الفرسان والرّجال ؛ فكان يباشر الحرب بنفسه وأصحابه إلى أن قُتل
الخبيث . ثم قدم بعده من أهل البحرين - فيما ذكر - خلق كثير ، زُهاء
ألّفي رجل ، يقودهم رجل من عبد القيس ، فجلس لهم أبو أحمد ، ودخل إليه
رئيسهم وجوهرهم ؛ فأمر أن يُخلع عليهم ؛ واعترض رجالهم أجمعين . وأمر^(٢)
بإقامة الأنزال لهم ، وورد بعدهم زهاء ألف رجل من كُور فارس ، يرأسهم شيخ
من المطوّعة يكنى أبا سلمة ، فجلس لهم الموفق ، فوصل إليه هذا الشيخ ووجه

(١) ب : « أضعف » . (٢) س : « لهم » .

أصحابه ، فأمرهم بالخيل ، وأقر^(١) لهم الأنزال ، ثم تابعت المطوعة من البلدان ؛ فلما تيسر له ما أراد من السكر الذي ذكرنا ، عزم على لقاء الخبيث ، فأمر بإعداد السفن والمعاير وإصلاح آلة الحرب في الماء وعلى الظهر ، واختار من يثق بياسه ونجدته في الحرب فارساً وراجلاً ؛ لضيق المواضع التي كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والأنهار بها ؛ فكانت عِدَّة من تخير من الفرسان زهاء ألفي فارس ، ومن الرّجاله خمسين ألفاً أويزلون ، سوى من عبر من المطوعة وأهل العسكر ، ممن لا ديوان له ، وخلف بالموقفية من لم يتسع السفن بحمله جمّاً كثيراً أكثرهم من الفرسان .

وتقدّم الموفق إلى أبي العباس في القصد للموضع الذي كان صار إليه في يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين من الجانب الشرقى بإزاء دار المهلبى في أصحابه وغلمانه ومن ضمّهم إليه من الخيل والرّجاله^(٢) والشّدّا. وأمر صاعد بن مخلّد بالخروج على النهر المعروف بأبي شاكر في الجانب الشرقى أيضاً ، ونظم القوادم من مواليه وغلمانه من فوّهة نهر أبي الحصب إلى نهر الغربى . وكان فيمن خرج من حدّ دار الكرنبائى إلى نهر أبى شاكر راشد ولؤلؤ، مولياً الموفق ، في جمع من الفرسان والرّجاله زهاء عشرين ألفاً ، يتلو بعضهم بعضاً ، ومن نهر أبى شاكر إلى النهر المعروف بجوى كور جماعة من قوادم الموالى والغلمان ، ثم من نهر جوى كور إلى نهر الغربى مثل ذلك . وأمر شبلاً أن يقصد في أصحابه ومن ضمّ إليه إلى نهر الغربى ، فيأتى منه مؤازياً لظهر دار المهلبى ، فيخرج من ورائها عند اشتباك الحرب ، وأمر الناس أن يزحفوا^(٣) بجمعهم إلى الفاسق ؛ لا يتقدّم بعضهم بعضاً ؛ وجعل لهم أمارّة الزّحف ؛ تحريك علم أسود أمر بنصبه على دار الكرنبائى بفوّهة نهر أبى الحصب في موضع منها مشيد عالٍ ، وأن ينفخ لهم بوق بعيد الصوت ، وكان عبوره يوم الاثنين لثلاث ليال بقين من المحرم سنة سبعين ومائتين ، فجعل بعض من كان على النهر المعروف بجوى كور يزحف قبل ظهور العلامة ؛ حتى قرب

(٢) ب : « الرجل » .

(١) س : « وأقيمت » .

(٣) ب : « يرجعوا » .

من دار المهلبى ، فلقبيهم وأصحابه الزنج فردوهم إلى مواضعهم ، وقتلوا منهم جمعا ، ولم يشعر سائر الناس بما حدث على هؤلاء المسترعين للقتال لكثرتهم وبعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض .

فلما خرج القواد ورجالهم من المواضع التي أمروا بالخروج منها ، واستوى الفرسان والرجالة في أماكنهم ، أمر الموفق بتحريك العلم والنفخ في البوق ، ودخل النهر في الشدأ ، وزحف الناس يتلو بعضهم بعضا ، فلقبيهم الزنج ٢٠٨٨/٣ قد حشدوا وجموا واجتمعوا بما تهيأ لهم على من كان تسرع إليهم ، فلقبيهم الجيش بنيات صداقة وبصائر نافذة ، فأزالوهم عن مواضعهم بعد كرات كانت بين الفريقين ، صرع فيها منهم جمع كثير . وصبر أصحاب أبي أحمد ، فن الله عليهم بالنصر ^(١) ، ومنحهم أكتاف الفسقة ، فولوا منهزمين ، وأتبعهم ^(٢) أصحاب الموفق ، يقتلون ويأسرون . وأحاط أصحاب أبي أحمد بالفجرة من كل موضع ، فقتل الله منهم في ذلك اليوم ما لا يحيط به الإحصاء ، وغرق منهم في النهر المعروف بجوى كور مثل ذلك ، وحوى أصحاب الموفق مدينة الفاسق بأسرها ، واستنقذوا من كان فيها من الأسرى ^(٣) من الرجال والنساء والصبيان ، وظفروا بجميع عيال على بن أبان المهلبى وأخويه الخليل ومحمد ابني أبان وسليمان بن جامع وأولادهم ، وعبر بهم إلى المدينة الموقية . ومضى الفاسق في أصحابه ومعه المهلبى وابنه أنكلاى وسليمان بن جامع وقواد من الزنج وغيرهم هربا ، عامدين لموضع قد كان الخبيث رآه لنفسه ومن معه ملجأ إذا غلبوا على مدينته ؛ وذلك على النهر المعروف بالسفياني .

وكان أصحاب أبي أحمد حين انهزم الخبيث ، وظفروا بما ظفروا به ، أقاموا عند دار المهلبى الواغلة في نهر أبي الحصب ، وتشاغلو بانتهاب ما كان في الدار وإحراقها وما يليها ، وتفرقوا في طلب النهب ؛ وكل ما بقى للفاسق وأصحابه مجموعا في تلك الدار .
وتقدم أبو أحمد في الشدأ قاصدا للنهر المعروف بالسفياني ، ومعه لؤلؤ في

(٢) ب : « وأتبع » .

(١) س : « بالظفر » .

(٣) س : « الأسارى » .

أصحابه الفرسان والرجال ، فانقطع عن باقى الجيش ، فظنوا أنه قد انصرف ، فانصرفوا إلى سفنهم بما حووا ، وانتهى الموفق فيمن معه إلى معسكر الفاسق وأصحابه وهم منهزمون ؛ فأتبعهم لؤلؤ وأصحابه حتى عبروا النهر المعروف بالسفياني ، فاقتحم لؤلؤ النهر بفرسه ، وعبر أصحابه خلفه ، ومضى الفاسق حتى انتهى إلى النهر المعروف بالقريري ، فوصل إليه لؤلؤ وأصحابه ، فأوقعوا به وبمن معه ، فكشفوهم ، فولوا هارين وهم يتبعونهم ، حتى عبروا النهر المعروف بالقريري ، وعبر لؤلؤ وأصحابه خلفهم وألجؤهم إلى النهر المعروف بالمساوان ، فعبروه واعتصموا بجبل وراءه .

وكان لؤلؤ وأصحابه الذين انفردوا بهذا الفعل دون سائر الجيش ، فأنتهى بهم الجدد في طلب الفاسق وأشياعه إلى هذا الموضع الذى وصفنا في آخر النهار ، فأمره الموفق بالانصراف محمود الفعل ، فحمله الموفق معه في الشدا ، وجدد له من البر والكرامة ورفع المرتبة ، لما كان منه في أمر الفسقة حسب ما كان مستحقا . ورجع الموفق في الشدا في نهر أبى الحصيب وأصحاب لؤلؤ يسايرونه . فلما حاذى دار المهلبى ، لم ير بها أحدا من أصحابه ، فعلم أنهم قد انصرفوا ، فاشتد غيظه عليهم ، وسار قاصدا لقصره ، وأمر لؤلؤ بالمضى بأصحابه إلى عسكره^(١) ، وأيقن بالفتح لما رأى من أمارته ، واستبشر الناس جميعا بما هيا الله من هزيمة الفاسق وأصحابه وإخراجهم عن مدينتهم ، واستباحة كل ما كان لهم من مال وذخيرة وسلاح ، واستنفاذ جميع من كان^(٢) في أيديهم من الأسرى . وكان في نفس أبى أحمد على أصحابه من الغيظ لمخالفتهم أمره ، وتركهم الوقوف حيث وقفهم ، فأمر بجمع قواد مواليه وغلمانهم ووجوههم^(٣) ؛ فجمعوا له ، فوبخهم على ما كان منهم وعجزهم ، وأغلظ لهم ، فاعتذروا بما توهّموا من انصرافه ، وأنهم لم يعلموا بمسيره إلى الفاسق وانتهائه إلى حيث انتهى من عسكره ؛ وأنهم لو علموا ذلك لأسرعوا نحوه ، ولم يبرحوا موضعهم^(٤) حتى تحالفوا وتعاهدوا على ألا ينصرف منهم أحد إذا توجهوا نحو

(١) س : « معسكره » .

(٢) س : « ما كان » .

(٣) س : « وجوه أصحابه » .

(٤) س : « مواضعهم » .

الحبيث حتى يظفرهم الله به ؛ فإن أعياهم ذلك أقاموا بمواضعهم حتى يحكم الله بينهم وبينه . وسألوا الموفق أن يأمر برد السفن التي يعبرون فيها إلى الموفقية عند خروجهم منها للحرب ، لتقطع أطماع الذين يريدون الرجوع عن حرب الفاسق من ذلك ، فجزاهم أبو أحمد الخير على تنصلهم من خطئهم ، ووعدهم الإحسان ، وأمرهم بالتأهب للعبور ، وأن يعطوا أصحابهم بمثل الذي وعظوا به . وأقام الموفق بعد ذلك يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة لإصلاح ما يحتاج إليه ؛ فلما كتمل ذلك تقدم إلى من يثق إليه من خاصته وقواد غلمانه ومواليه ، بما يكون عليه عملهم في وقت عبورهم .

وفي عشيّ يوم الجمعة ، تقدم إلى أبي العباس وقواد غلمانه ^(١) ومواليه بالذهوض إلى مواضع سنها لهم ؛ فأمر أبا العباس بالقصد في أصحابه إلى الموضع المعروف بعسكر ربحان ، وهو بين النهر المعروف بالسفياني والموضع الذي لجأ إليه ، وأن يكون سلوكه يجيشه في النهر المعروف بنهر المغيرة ؛ حتى يخرج بهم في معترض نهر أبي الخصيب ، فيوافي بهم عسكر ربحان من ذلك الوجه ، وأنفذ قائداً من قواد غلمانه السودان ، وأمره أن يصير إلى نهر الأمير فيعرض في المنصف ^(٢) منه ، وأمر سائر قواده وغلمانه بالمبيت في الجانب الشرقي من دجلة بإزاء عسكر الفاسق متأهبين للغزو على محاربه . وجعل الموفق يطوف في الشدّا على القواد ورجالهم في عشيّ يوم الجمعة ليلة السبت ، ويفرقهم في مراكزهم والمواضع التي رتبهم فيها من عسكر الفاسق ، لياكروا المصير إليها على ما رسم لهم .

٢٠٩١/٣

وغدا الموفق يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين ، فوافي نهر أبي الخصيب في الشدّا ، فأقام بها حتى تكامل عبور الناس وخروجهم عن سفنهم ، وأخذ الفرسان والرجالة مراكزهم ، وأمر بالسفن والمعابر فردّت إلى الجانب الشرقي ، وأذن للناس في الزحف إلى الفاسق ، وسار يقدمهم حتى وافي الموضع الذي قدر أن يثبت الفسقة فيه للدفاع الجيش عنهم .

وقد كان الخائن وأصحابه لخبتهم رجعوا إلى المدينة يوم الاثنين بعد انصراف

(٢) س : « النصف » .

(١) ب : « وقواده » .

الجيش عندها ، وأقاموا بها ، وأملوا أن تتناول بهم الأيام ، وتندفع^(١) عنهم المناجزة ، فوجد الموفق المتسرعين من فرسان^(٢) غلمانه ورجّالتهم قد سبقوا أعظم الجيش ، فأوقعوا بالفاجر وأصحابه وقعةً أزالوهم بها عن مواقعهم ؛ فانهزموا وتفرّقوا لا يلوى بعضهم على بعض ، وأتبعهم الجيش يقتلون ويأسرون مَنْ لحقوا منهم ، وانقطع الفاسق في جماعة من حُماته من قُوّاد الجيش ورجالهم ، وفيهم المهلبى .

وفارقه ابنه أنكلای وسليمان بن جامع ، فقصد لكل فريق مَمْن^(٣) سَمِينا جمع كثيف من موالى الموفق وغلمانه الفرسان والرجّالة ، ولتقى مَنْ كان رتبة الموفق من أصحاب أبى العباس في الموضع المعروف بعسكر ربحان المنهزمين من أصحاب الفاجر ، فوضعوا فيهم السلاح . ووافى القائد المرتب في نهر الأمير ، فاعترض الفجرة ، فأوقع بهم . وصادف سليمان بن جامع فحاربه ، فقتل جماعة من حُماته ، فظفر بسليمان فأسره ، فأتى به الموفق بغير عهد ولا عقد ، فاستبشر الناس بأسر سليمان ، وكثُر التكبير والضحيج ، وأيقنوا بالفتح إذ كان أكثر أصحابه غنّاء عنه . وأسر بعده إبراهيم بن جعفر الهمداني - وكان أحد أمراء جيوشه - وأسير نادر الأسود المعروف بالحفار ، وهو أحد قدماء أصحاب الفاجر - فأمر الموفق بالاستيثاق منهم وتصييرهم في شدة لأبى العباس . ففعل ذلك .

ثم إن الزنج الذين انفردوا مع الفاسق عطفوا على الناس عطفة أزالوهم بها عن مواقعهم ، ففتروا لذلك ، وأحسّ الموفق بفتورهم ، فجده في طلب الخبيث ، وأمعن في نهر أبى الحصيب ، فشده ذلك من قلوب مواليه وغلمانه ، وجدّوا في الطلب معه .

وانتهى الموفق إلى نهر أبى الحصيب ، فوافاه البشير بقتل الفاجر ؛ ولم يلبث أن وافاه بشير آخر ومعه كفّ زعم أنها كفه ، فقوى الخبر عنده بعض القوة . ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركّض على فرس ، ومعه رأس الخبيث ،

(٢) س : « قواد » .

(١) س : « تندفع » .

(٣) س : « فريق منهم » .

فأذناه منه ، فعرضه على جماعة ممن كان بحضرته من قوَّاد المستأمنة ، فعرفوه .
فخَرَّ لله ساجداً على ما أولاه وأبلاه ، وسجد أبو العباس وقوَّاد موالى الموفق
وعلمانيه شكراً لله ، وأكثروا حمد الله والثناء عليه ، وأمر الموفق برفع رأس
الفاجر على قناة ونصبه بين يديه ، فتأمَّله الناس وعرفوا صِحة الخبر بقتله ،
فارتفعت أصواتهم ^(١) بالحمد لله .

وذكر أن أصحاب الموفق لما أحاطوا بالخبث ، ولم يبقَ معه من رؤساء
أصحابه إلا المهلبى، ولَّى عنه هارباً وأسلمه . وقصد النهر المعروف بنهر
الأمير ، فكدف نفسه فيه يريد النجاة ، وقبل ذلك ما كان ابن الخبيث ^(٢)
أنكلاى فارق أباه ، ومضى يؤمّ النهر المعروف بالدينارى ، فأقام فيه متحصّناً
بالأدغال والآجام ، وانصرف الموفق ورأس الخبيث منصوب ^(٣) بين يديه على
قناة فى شدّاة ، يخترق بها نهر أبى الحصيب ، والناس فى جنبى النهر ينظرون
إليه حتى وافى دجلة ، فخرج إليها ^(٤) ، فأمر بردّ السفن التى كان عبر بها
فى أول النهار إلى الجانب الشرقى من دجلة ، فردّت ليعبر الناس فيها . ٢٠٩٤/٣

ثم سار ورأس الخبيث بين يديه على القناة ، وسليمان بن جامع والهمدانيّ
مصلوبان فى الشدّاة ، حتى وافى قصره بالموفقيّة . وأمر أبا العباس بركوب الشدّاة
وإقرار الرأس وسليمان والهمدانيّ على حالهم والسير بهم إلى نهر جَطّى ، وهو
أول عسكر الموفق ، ليقع عليهم عيون الناس جميعاً فى العسكر ، ففعل ذلك
وانصرف إلى أبيه أبى أحمد . فأمر بحبس سليمان والهمدانيّ وإصلاح الرأس
وتنقيته .

وذكر أنه تتابع مجىء الزّنج الذين كانوا أقاموا مع الخبيث وآثروا صحبته ،
فوافى ذلك اليوم زهاء ألف منهم ، ورأى الموفق بذل الأمان ، لما رأى من
كثرتهم وشجاعتهم ، لثلاث بقى منهم بقيّة تُخاف معرفتها على الإسلام وأهله ،
فكان من وافى من قوَّاد الزّنج ورجالهم فى بقية يوم السبت وفى يوم الأحد

(٢) س : « من ابن الخبيث » .

(٤) ب : « إليه » .

(١) س : « الأصوات » .

(٣) س : « منصوبا » .

والاثنتين زهاء خمسة آلاف زنَجِيّ ، وكان قد قُتِلَ في الوقعة وغرق وأسِرَ منهم خلقٌ كثيرٌ لا يوقَفُ على عددهم ، وانقطعت منهم قطعة زهاء ألف رِنَجِيّ مالوا نحو البرّ ، فمات أكثرهم عطشاً ، فظفر الأعراب بمَنَ سلم منهم واسترقوهم . وانتهى إلى الموقِّ خبر المهلبيّ وأنكلاى ومقامهما بحيث أقاما مع مَنَ تبعهما من جِلَّةِ قُواد الزَّنَجِ ورجالهم ، فبث أنجاد غلمانهم في طلبهم ، وأمرهم بالتضييق عليهم ؛ فلما أيقنوا بأن لا ملجأ لهم أعطَوْا بأيديهم ، فظفر بهم الموقِّ وبمَنَ معهم ، حتى لم يشذَّ أحد . وقد كانوا على نحو العِدَّة التي خرجت إلى الموقِّ بعد قتل الفاجر في الأمان ، فأمر الموقِّ بالاستيثاق من المهلبيّ وأنكلاى وجسهما ، ففعل .

وكان فيمن هرب من عسكر الخبيث يوم السبت ولم يركن إلى الأمان قرطاس الذي كان رى الموقِّ بالسهم ، فانتهى به الحرب إلى رامهرمز ، فعرفه رجل قد كان رآه في عسكر الخبيث فدلَّ عليه عامل البلد ، فأخذه وحمله في وثاق ، فسأل أبو العباس أباه أن يوليه قتله فدفعه إليه فقتله .

[ذكر خبر استئمان درمويه الزنجيّ إلى أبي أحمد]

وفيها استأمن درمويه الزنجيّ إلى أبي أحمد ، وكان درمويه هذا — فيما ذكر — من أنجاد الزَّنَجِ وأبطالهم ، وكان الفاجر وجَّهه قبل هلاكه بمدة طويلة إلى أواخر نهر الفَهْرَج ، وهي من البصرة في غربى دجلة ، فأقام هنالك ^(١) بموضع وعَرَّ كثير النخل والدَّغْل والآجام ^(٢) متصل بالبطيحة ، وكان درمويه ومَنَ معه هنالك يقطعون على السابلة في زواريق خفاف وسُميريَّات اتَّخذوها لأنفسهم ، فإذا طلبهم أصحاب الشَّدَا ولجوا الأنهار الضيقة ، واعتصموا بمواضع الأدغال منها ، وإذا تعذَّر عليهم مسلك نهر منها لضيقها خرجوا من سفنهم وحملوها على ظهورهم ، ولجئوا إلى هذه المواضع الممتنعة . وفي خلال ذلك يُغيرون على قرى البطيحة وما يليها ، فيقتلون ويسلبون

(٢) ب : « والآكام » .

(١) ب : « هناك » .

مَنْ ظَفَرُوا بِهِ ؛ فَكَثَّ دَرْمُويِهِ وَمَنْ مَعَهُ يَفْعَلُونَ هَذِهِ الْأَفْعَالُ إِلَى أَنْ قَتَلَ
 الْفَاجِرَ وَهُمْ بِمَوْضِعِهِمُ الَّذِي وَصَفْنَا أَمْرَهُ ، لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا حَدَثَ عَلَى
 صَاحِبِهِمْ . فَلَمَّا فَتُحَ بَقِيَ الْخَبِيثُ مَوْضِعَهُ ، وَأَمَّنَ النَّاسُ ^(١) وَانْتَشَرُوا فِي
 طَلَبِ الْمَكَاسِبِ وَحَمَلِ التَّجَارَاتِ ، وَسَلَكَتْ السَّابِلَةُ دِجْلَةَ ، أَوْقَعَ دَرْمُويِهِ بِهِمْ ،
 فَقَتَلَ وَسَلَبَ ، فَأَوْحَشَ النَّاسَ ذَلِكَ ، وَاشْرَأَبَ لِمِثْلِ مَا فِيهِ دَرْمُويِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ
 شُرَّارِ النَّاسِ وَفُسَّاقِهِمْ ، وَحَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ وَبِالْمَقَامِ ^(٢) مَعَهُ عَلَى مِثْلِ
 مَا هُوَ عَلَيْهِ ، فَغَزَمَ الْمَوْفِقُ عَلَى تَسْرِيعِ جَيْشٍ مِنْ غُلَمَانِهِ السُّودَانِ وَمَنْ جَرَى
 مَجْرَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرِ بِالْحَرْبِ فِي الْأَدْغَالِ وَمُضَايِقِ الْأَنْهَارِ ، وَأَعَدَّ لِذَلِكَ
 صِغَارَ السِّفْنِ وَصُنُوفَ السِّلَاحِ ؛ فَبَيْنَا هُوَ فِي ذَلِكَ وَاقٍ رَسُولٌ لِدَرْمُويِهِ يَسْأَلُ
 الْأَمَانَ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَرَأَى الْمَوْفِقُ أَنَّ يَوْمَهُ لَيَقْطَعُ مَادَّةَ الشَّرِّ الَّذِي
 كَانَ فِيهِ النَّاسُ مِنَ الْفَاجِرِ وَأَشْيَاعِهِ .

٢٠٩٦/٣

وَذُكِرَ أَنَّ سَبَبَ طَلَبِ دَرْمُويِهِ الْأَمَانَ كَانَ أَنَّهُ كَانَ فِيْمَنْ أَوْقَعَ بِهِ قَوْمٌ
 مِمَّنْ خَرَجَ مِنْ عَسْكَرِ الْمَوْفِقِ لِلْقَصْدِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ ، فِيهِمْ نِسْوَةٌ ،
 فَقَتَلَهُمْ وَسَلَبَهُمْ ، وَغَلَبَ عَلَى النِّسْوَةِ اللَّاتِي كُنَّ مَعَهُمْ ؛ فَلَمَّا صِيرْنَ فِي يَدِهِ
 بَحْثَهُنَّ عَنْ الْخَبَرِ ، فَأَخْبَرَنَّهُ بِقَتْلِ الْفَاسِقِ وَالظُّفَرِ بِالْمُهَلْبِيِّ وَأَنْكَلايَ وَسُلَيْمَانَ بْنِ
 جَامِعٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِ الْفَاسِقِ وَقَوَّادِهِ وَمَصِيرَ أَكْثَرِهِمْ إِلَى الْمَوْفِقِ فِي
 الْأَمَانِ وَقَبُولِهِ لِيَايِهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ؛ فَأَسْقَطَ فِي يَدِهِ ، وَلَمْ يَرِ لِنَفْسِهِ مَلْجَأً إِلَّا
 التَّعَوُّذَ بِالْأَمَانِ وَمَسْأَلَةَ الْمَوْفِقِ الصَّفْحَ عَنْ جُرْمِهِ ، فَوَجَّهَ فِي ذَلِكَ ، فَأُجِيبَ إِلَيْهِ .
 فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْأَمَانُ خَرَجَ وَجَمِيعٌ مِنْ مَعَهُ حَتَّى وَاقِيَ عَسْكَرَ الْمَوْفِقِ ، فَوَافَتْ
 مِنْهُمْ قِطْعَةٌ حَسَنَةٌ كَثِيرَةٌ الْعِدَدِ لَمْ يَصْبِهَا بُوْسُ الْحِصَارِ وَضَرَّهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ
 سَائِرَ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ ، لَمَّا كَانَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَمِيرِهِمْ .

٢٠٩٧/٣

فَذَكَرَ أَنَّ دَرْمُويِهِ لَمَّا أَمِنَ ^(٣) وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ ، أَظْهَرَ كُلَّ
 مَا كَانَ فِي يَدِهِ وَأَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَأَمْتَعْتَهُمْ ، وَرَدَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ إِلَى
 أَهْلِهِ رَدًّا ظَاهِرًا مَكْشُوفًا ، فَوُوفِيَ بِذَلِكَ عَلَى إِنْابَتِهِ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَعَلَى وَجْهِهِ

(٢) س : « وَالْمَقَامِ » .

(١) س : « وَعَلِمَ مَوْضِعَهُ النَّاسِ » .

(٣) ب : « قَدْ كَانَ أَمِنَ » .

أصحابه وقواده ، ووصلوا . فضمهم الموفق إلى قائد من قواد غلمانه ، وأمر الموفق أن يكتب إلى أمصار الإسلام بالنداء في أهل البصرة والأبلة وكور دجلة وأهل الأهواز وكورها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزنج بقتل الفاسق ، وأن يؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم . ففعل ذلك ، فسارع الناس إلى ما أمروا به ، وقدموا المدينة الموفقيّة من جميع النواحي .

وأقام الموفق بعد ذلك بالموفقيّة ليزداد الناس بمقامه أمناً وإيناساً ، وولّى البصرة والأبلة وكور دجلة رجلاً من قواد مواليه قد كان حميد مذهب ، ووقف على حسن سيرته ، يقال له العباس بن تركس ؛ فأمره بالانتقال إلى البصرة والمقام بها .

وولّى قضاء البصرة والأبلة وكور دجلة وواسط محمد بن حماد .

وقدّم ابنه أبا العباس إلى مدينة السلام ، ومعه رأس الخبيث صاحب الزنج ليراه الناس ، فاستبشروا ، فنفذ أبو العباس في جيشه حتى وافى مدينة السلام يوم السبت لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، فدخلها في أحسن زى ، وأمر برأس الخبيث فسير به بين يديه على قنّاة ، واجتمع الناس لذلك .

٢٠٩٨/٣

وكان خروج صاحب الزنج في يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين ، فكانت أيامه من لدن خرج إلى اليوم الذى قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام ، وكان دخوله الأهواز لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان دخوله البصرة وقتله أهلها وإحراقه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين ، فقال — فيما كان من أمر الموفق ، وأمر المخذول — الشعراء أشعاراً كثيرة ، فما قيل في ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمى :

أقولُ وقد جاءَ البشيرُ بوقعةٍ أعزّتْ من الإسلامِ ما كان وإهيا
جزى الله خيرَ الناسِ للناسِ بعدَما أبيحَ حِمَاهُمُ خيرَ ما كان جازيا

تَفَرَّدَ إِذْ لَمْ يَنْصُرِ اللَّهُ نَاصِرٌ
وَتَشْدِيدِ مَلِكٍ قَدْ وَهَى بَعْدَ عِزِّهِ
وَرَدَّ عِمَارَاتٍ أُزِيلَتْ وَأُخْرِبَتْ
وَيَرْجِعُ أَمْصَارُ أُبْيَحَتْ وَأُخْرِقَتْ
وَيُسْفَى صُدُورُ الْمُؤْمِنِينَ بِوَقْعَةٍ
وَيُتْلَى كِتَابُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ
فَأَعْرَضَ عَنْ أَحِبَابِهِ وَنَعِيمِهِ

٢٠٩٩/٣

بِتَجْدِيدِ دِينٍ كَانَ أَصْبَحَ بِالْيَا
وَلِدْرَاكِ ثَارَاتٍ تَبِيرُ الْأَعَادِيَا
لِيَرْجِعَ فِيْءٍ قَدْ تَخْرَمُ وَافِيَا
مِرَارًا فَقَدْ أَمَسَتْ قِوَاةٌ عَوَافِيَا
يَقْرُبُهَا مَنَا الْعَيُونَ الْبَوَاكِيَا
وَيُلْقَى دَعَاءُ الطَّالِبِينَ خَاسِيَا
وَعَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَأَقْبَلَ غَازِيَا

في قصيدة طويلة . ومن ذلك أيضاً قوله :

أَيْنَ نَجُومُ الْكَاذِبِ الْمَارِقِ
صَبَّحَهُ بِالنَّخَسِ سَعْدٌ بَدَأَ
فَخَرَّ فِي مَازِقِهِ مُسْلِمًا
وَذَاقَ مِنْ كَأْسِ الرَّدَى شُرْبَةً

مَا كَانَ بِالطَّبِّ وَلَا الْحَاقِقِ
لِسَيِّدٍ فِي قَوْلِهِ صَادِقِ
إِلَى أَسْوَدِ الْغَابِ فِي الْمَازِقِ
كَرِيهَةِ الطَّعْمِ عَلَى الذَّائِقِ

وقال فيه يحيى بن خالد :

يَا بَنَ الْخِلَائِفِ مِنْ أَرْوَمَةِ هَاشِمٍ
وَالذَّائِدِينَ عَنِ الْحَرِيمِ عَدُوِّهِمْ
مَلِكُ أَعَادَ الدِّينَ بَعْدَ دُرُوسِهِ
أَنْتَ الْمُجِيرُ مِنَ الزَّمَانِ إِذَا سَطَا
أَطْفَأْتَ نِيرَانَ النِّفَاقِ وَقَدْ عَلَتْ
لِلَّهِ دُرُكٌ مِنْ سَلِيلِ خِلَائِفِ
أَفْتَيْتَ جَمَعَ الْمَارِقِينَ فَأَصْبَحُوا
أَمْطَرْتَهُمْ عِزَمَاتٍ رَأْيَ حَازِمٍ
لَمَّا طَغَى الرَّجْسُ اللَّعِينُ قَصْبَتَهُ

٢١٠٠/٣

وَالْغَامِرِينَ النَّاسَ بِالْإِفْضَالِ
وَالْمُعَلِّمِينَ لِكُلِّ يَوْمٍ نِزَالِ
وَاسْتَنْقَذَ الْأَسْرَى مِنَ الْأَغْلَالِ
وإِلَيْكَ يَقْصِدُ رَاغِبٌ بِسْوَالِ
يَا وَاهِبَ الْأَمَالِ وَالْآجَالِ
مَاضِي الْعِزْمَةِ طَاهِرِ السَّرْبَالِ
مَتَلَدِّدِينَ قَدْ ائِقَنُوا بِزَوَالِ
مَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْأَهْوَالِ
بِالْمَشْرِفِ وَبِالْقَنَّا الْجَوَالِ

وتركته والطيرُ يخجلُ حوله
يَهْوِي إلى حَرِّ الجحيمِ وقعرِها
هذا بما كسبتْ يداهُ وما جنى
أقررتَ عينَ الدينِ ممَّن قادهُ
صال الموفقُ بالعراقِ فأفزعتْ
مَنْ بالمغربِ صولةُ الأبطالِ

وفيه يقول أيضاً يحيى بن خالد بن مروان :

أبْنُ لِي جواباً أَيُّهَا المَنْزِلُ القُفْرُ
أبْنُ لِي عن الجيرانِ أينَ تحمّلوا
وكيف تجيبُ الدارُ بعد دروسها
منازلُ أبكائي مَغَايُ أَهْلَهَا
كَانَهُمْ قَوْمٌ رَغَا البَكْرُ فِيهِمْ
وعائتْ صُرُوفُ الدهرِ فِيهِمْ فَأَسْرَعَتْ
فقد طابت الدنيا وَأَيْنَعُ نَبْتُهَا
وعاد إلى الأوطانِ مَنْ كان هارباً
بسيْفِ ولى العَهْدِ طالت يدُ الهدى
وجاهدَهم في اللهِ حقَّ جِهَادِهِ

وهى طويلة . وقال يحيى بن محمد :

عَنِّي اشتغالكِ إِنِّي عنكِ في شَمَلٍ
لا تعذلى في ارتحالِ إِنِّي رجلٌ
فيمَ المَقَامُ إِذَا ما ضاقَ بِي بلدٌ
ما استيقظتْ هَمَّةٌ لَمْ تَلِفْ صاحبها
لم يبتْ أَمِناً من لَمْ يبتْ وجِلاً

لا تعذلى مَنْ به وقرُّ عن العذلِ
وقفٌ على الشَّدِّ والأسفارِ والرَّحْلِ
كَأَنِّي لحِجَالِ العَيْنِ والكِلَالِ
يَقْظَانِ قَدْ جانبتهُ لذةُ المُقْلِ
مَنْ أَن يَبِيتَ له جَارٌ على وَجَلِ

وهي أيضاً طويلة .

وفي هذه السنة في شهر ربيع الأول منها ، ورد مدينة السلام الخبر أن الروم نزلت بناحية باب قلسمية على ستة أميال من طرسوس ؛ وهم زهاء مائة ألف ، يرأسهم بطريق البطارقة أندرياس ، ومعه أربعة أخسر من البطارقة ، فخرج إليهم يازمان الخادم ليلاً ، فيقتلهم ، فقتل بطريق البطارقة ويطريق القسبازيق ويطريق الناطلي ، وأفلت بطريق قرّة وبه جراحات ، وأخذ لهم سبعة صلبان من ذهب وفضة ، فيها صليبهم الأعظم من ذهب مكلّل بالجوهر ، وأخذ خمسة عشر ألف دابة وبغل ، ومن السروج نحو من ذلك ، وسيوف محلاة بذهب وفضة وآنية كثيرة ، ونحو من عشرة آلاف غلم ديباج ، وديباج كثير ويزيون ولحف سمور ، وكان النفير إلى أندرياس يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول ، فكبس ليلاً وقتل من الروم خلق كثير ، فزعم بعضهم أنه قتل منهم سبعون ألفاً .

وفيها توفّي هارون بن أبي أحمد الموفق بمدينة السلام يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الأولى .

٢١٨٤/٣

ولست خلون من شعبان منها ، ورد الخبر بموت أحمد بن طولون مدينة السلام — فيما ذكر . وقال بعضهم : كانت وفاته يوم الاثنين لثمان عشرة مضت من ذي القعدة منها .

وفيها مات الحسن بن يزيد العلوي بطبرستان ، إما في رجب ، وإما في شعبان .

وللنصف من شعبان دخل المعتمد بغداد ، وخرج من المدينة حتى نزل بجذاء قطربل في تعبئة ، ومحمد بن طاهر يسير بين يديه بالخرقة ، ثم مضى إلى سامراً .

وفيها كان فداء أهل سائيدما على يدى يازمان في سلخ رجب منها . وفي يوم الأحد لتسع بقين من شعبان من هذه السنة شغب أصحاب

أبى العباس بن الموفق ببغداد على صاعد بن مخلد وهو وزير الموفق ، فطلبوا الأرزاق ، فخرج إليهم أصحاب صاعد ليدفعوهم ، فصارت رجالة أبى العباس إلى رحبة الجسر ، وأصحاب صاعد داخل الأبواب بسوق يحيى ، واقتتلوا ، فقتل بينهم قتلى ، وجرح جماعة ، ثم حجز بينهم الليل ، وبكروا من الغد ، فوضع لهم العطاء وأصطلحوا .

وفى شوال منها كانت وقعة بين إسحاق بن كنداج وابن دعباش ، وكان ابن دعباش على الرقة وأعمالها ، وعلى الثغور والعواصم من قبيل ابن طولون ، وابن كنداج على الموصل من قبيل السلطان .

وفيهما انبثق ببغداد فى الجانب الغربى منها من نهر عيسى من الياسرية بـ"بشق" ، ففرق الدباغين وأصحاب الساج بالكرخ ، ذكر أنه دق سبعة آلاف دار ونحوها .

وقتل فى هذه السنة ملك الروم المعروف بابن الصقلي .

وحج بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس

تم الجزء التاسع من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء العاشر ، وأوله :

ذكر الأحداث الكائنة فى سنة إحدى وسبعين ومائتين

فهرس الموضوعات

صفحة	السنة التاسعة عشرة بعد المائتين
٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٨ ، ٧	ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوي
٩ ، ٨	ذكر الخبر عن محاربة الزط
	* * *

	السنة العشرون بعد المائتين
١٠	ذكر ما كان فيها من الأحداث
١١ ، ١٠	ذكر ظفر عجيف بالزط
١٣ — ١١	ذكر خبر مسير الأفشين لحرب بابك
١٧ — ١٣	ذكر خبر وقعة الأفشين مع بابك بأرشق
١٨ ، ١٧	ذكر الخبر عن خروج المعتصم إلى القاطول ^(١)
٢٢ — ١٨	ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الفضل بن مروان
	* * *

	السنة الحادية والعشرون بعد المائتين
٢٣	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٢٧ — ٢٣	ذكر الخبر عن وقعة الأفشين مع بابك في هذه السنة
٢٨	خبر مقتل طرخان قائد بابك
٢٨	أخبار متفرقة
	* * *

(١) طبع خطأ : « خروج الخبر » .

صفحة

السنة الثانية والعشرون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .

ذكر خبر الوقعة بين أصحاب الأفشين وآذين قائد بابك . ٢٩ ، ٣٠

ذكر خبر فتح البذلّ مدينة بابك ٣١ — ٥١

* * *

السنة الثالثة والعشرون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ذكر الخبر عن قدوم الأفشين ببابك مع المعتصم . ٥٢ — ٥٥

ذكر خبر إيقاع الروم بأهل زبطرة ٥٥ — ٥٧

ذكر الخبر عن فتح تجمورية ٥٧ — ٧١

ذكر خبر المعتصم مع العباس بن المأمون ٧١ — ٧٧

أخبار متفرقة ٧٧ — ٧٩

* * *

السنة الرابعة والعشرون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ذكر الخبر عن مخالفة مازيار بطبرستان ٨٠ — ٨٩

ذكر خبر أبي شامس الشاعر ٨٩

أخبار متفرقة ٨٩ — ١٠١

ذكر الخبر عن خلاف منكجور الأشروسني ١٠٢

* * *

السنة الخامسة والعشرون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

أخبار متفرقة ١٠٣ ، ١٠٤

ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الأفشين وحبيه ١٠٤ — ١١٠

أخبار متفرقة ١٠٤

* * *

السنة السادسة والعشرون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	
خبر وثوب علي بن إسحاق برجاء بن أبي الضحاك	١١١
ذكر الخبر عن موت الأفشين	١١١ - ١١٤
أخبار متفرقة	١١٤ ، ١١٥

* * *

السنة السابعة والعشرون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	
ذكر خبر خروج أبي حرب المبرقع	١١٦ - ١١٨
ذكر الخبر عن وفاة المعتصم والعلّة التي مات بها	١١٨ - ١٢٠
ذكر الخبر عن بعض أخلاق المعتصم وسيره	١٢٠ - ١٢٣
خلافة هارون الواثق أبي جعفر	١٢٣

* * *

السنة الثامنة والعشرون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	
أخبار متفرقة	١٢٤

* * *

السنة التاسعة والعشرون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	
ذكر الخبر عن حبس الواثق الكتاب وإلزامهم الأموال	١٢٥ - ١٢٨
أخبار متفرقة	١٢٨

* * *

صفحة

السنة الثلاثون بعد المائتين

١٢٩	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
١٣١ - ١٢٩	ذكر مسير بغا إلى الأعراب بالمدينة
١٣١	ذكر الخبر عن وفاة عبد الله بن طاهر
١٣١	أخبار متفرقة

* * *

السنة الحادية والثلاثون بعد المائتين

١٣٢	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
١٣٥ - ١٣٢	ذكر الخبر عن أمر بني سليم وغيرهم من القبائل
١٤٠ - ١٣٥	ذكر مقتل أحمد بن نصر الخزاعي على يد الوراق
١٤١ ، ١٤٠	أخبار متفرقة
١٤٥ - ١٤١	خبر الفداء بين المسلمين والروم
١٤٥	أخبار متفرقة أيضاً

* * *

السنة الثانية والثلاثون بعد المائتين

١٤٦	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
١٥٠ - ١٤٦	ذكر الخبر عن مسير بغا الكبير إلى حرب بني نمير
١٥٠	أخبار متفرقة
١٥١ ، ١٥٠	ذكر خبر موت الوراق
١٥١	ذكر الخبر عن صفة الوراق وسنه وقدر مدّة خلافته
١٥٤ - ١٥١	ذكر بعض أخباره
١٥٤	خلافة جعفر المتوكل على الله
١٥٥ ، ١٥٤	ذكر الخبر عن سبب خلافته ووقتها

* * *

السنة الثالثة والثلاثون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

- ذكر خبر حبس محمد بن عبد الملك الزيات ووفاته . . . ١٥٦ - ١٦١
 ذكر غضب المتوكل على عمر بن فرج . . . ١٦١ ، ١٦٢
 ذكر غضب المتوكل على أبي الوزير وغيره . . . ١٦٢
 أخبار متفرقة . . . ١٦٢ ، ١٦٣

* * *

السنة الرابعة والثلاثون بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . .
 ذكر الخبر عن هرب محمد بن البعيث . . . ١٦٤ - ١٦٦
 ذكر الخبر عن حج إيتاخ وسببه . . . ١٦٦ - ١٦٧

* * *

السنة الخامسة والثلاثون بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . .
 ذكر الخبر عن مقتل إيتاخ . . . ١٦٨ - ١٧٠
 ذكر خبر أسر ابن البعيث وموته . . . ١٧٠ - ١٧١
 أمر المتوكل مع النصارى . . . ١٧١ - ١٧٥
 ظهور محمد بن الفرّج النيسابورى . . . ١٧٥
 ذكر عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة . . . ١٧٥ - ١٨١
 أخبار متفرقة . . . ١٨١ ، ١٨٢

* * *

السنة السادسة والثلاثون بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ١٨٣

صفحة

١٨٤ ، ١٨٣	خبر مقتل محمد بن إبراهيم بن مصعب
١٨٥ ، ١٨٤	ذكر خبر وفاة الحسن بن سهل
١٨٥	ذكر خبر هدم قبر الحسين بن علي
١٨٦ ، ١٨٥	أخبار متفرقة

* * *

السنة السابعة والثلاثون بعد المائتين

.	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
١٨٨ ، ١٨٧	ذكر وثوب أهل أرمينية بعاملهم يوسف بن محمد
١٨٨	أخبار متفرقة
١٨٩	ذكر غضب المتوكل على ابن أبي دواد
١٩٠	خبر إنزال جثة ابن نصر ودفعه إلى أوليائه
١٩١	أخبار متفرقة أيضاً

* * *

السنة الثامنة والثلاثون بعد المائتين

.	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
١٩٣ ، ١٩٢	ذكر ظفر بغا بإسحاق بن إسماعيل وإحراقه مدينة تفليس
١٩٥ — ١٩٣	ذكر مقدم الروم بمراكبهم إلى دمياط
١٩٥	أخبار متفرقة

* * *

السنة التاسعة والثلاثون بعد المائتين

١٩٦	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
---------------	---

* * *

السنة الأربعون بعد المائتين

١٩٧	ذكر الخبر عن وثوب أهل حمص بعاملهم
١٩٨ ، ١٩٧	أخبار متفرقة

* * *

السنة الحادية والأربعون بعد المائتين

١٩٩	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٢٠٠ ، ١٩٩	ذكر الخبر عن وثوب أهل حمص بعاملهم مرة أخرى
٢٠١ ، ٢٠٠	ذكر الخبر عن ضرب عيسى بن جعفر وما آل إليه أمره
٢٠١	أخبار متفرقة
٢٠٣ ، ٢٠٢	خبر الفداء بين الروم والمسلمين في هذه السنة
٢٠٦ ، ٢٠٣	ذكر غارة البجة على مصر
٢٠٦	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثانية والأربعون بعد المائتين

.	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٢٠٧	ذكرى أحداث الزلازل بالبلاد
٢٠٧	ذكر خروج الروم من ناحية شمشاط
٢٠٨ ، ٢٠٧	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثالثة والأربعون بعد المائتين

٢٠٩	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
---------------	-----------------------------------

* * *

صفحة	السنة الرابعة والأربعون بعد المائتين
٢١١ ، ٢١٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .

* * *

	السنة الخامسة والأربعون بعد المائتين
٢١٢	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
٢١٢	ذكر خبر بناء الماحوزة .
٢١٣ — ٢١٢	أخبار متفرقة .
٢١٨ — ٢١٤	ذكر الخبر عن هلاك نجاح بن سلمة .
٢١٨	غارة الروم على سميساط .
٢١٨	أخبار متفرقة .

* * *

	السنة السادسة والأربعون بعد المائتين
٢١٩	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
٢٢١ — ٢١٩	ذكر خبر الفداء بين الروم والمسلمين في هذه السنة .
٢٢١	أخبار متفرقة .

* * *

	السنة السابعة والأربعون بعد المائتين
٢٢٢	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
٢٣٠ — ٢٢٢	ذكر الخبر عن مقتل المتوكل .
٢٣٤ ، ٢٣٠	ذكر الخبر عن بعض أمور المتوكل وسيرته .
٢٣٩ — ٢٣٤	خلافة المنتصر محمد بن جعفر .
٢٣٩	أخبار متفرقة .

* * *

صفحة

السنة الثامنة والأربعون بعد المائتين

٢٤٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
٢٤٤ — ٢٤٠	ذكر غزاة وصيف التركي الروم .
٢٤٧ — ٢٤٤	ذكر خبر خلع المعتز والمؤيد أنفسهما .
	نسخة كتاب المنتصر بالله إلى أبي العباس محمد بن عبد الله
٢٥٠ — ٢٤٧	ابن طاهر في خلع المعتز والمؤيد .
٢٥٤ — ٢٥١	ذكر الخبر عن وفاة المنتصر .
٢٥٥ ، ٢٥٤	ذكر بعض سيره .
٢٥٥	أخبار متفرقة .
٢٥٨ — ٢٥٦	خلافة أحمد بن محمد بن محمد بن المعتصم ، وهو المستعين .
٢٦٠ — ٢٥٨	أخبار متفرقة .

* * *

السنة التاسعة والأربعون بعد المائتين

٢٦١	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
٢٦١	خبر قتل علي بن يحيى الأرمني .
٢٦٣ — ٢٦١	شغب الجند والشاكرية ببغداد .
٢٦٤ ، ٢٦٣	ذكر خبر قتل أتامش وكاتبه .
٢٦٥ ، ٢٦٤	مقتل علي بن الجهم .
٢٦٥	أخبار متفرقة .

* * *

السنة الخمسون بعد المائتين

٢٦٦	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
٢٧١ — ٢٦٦	ظهور يحيى بن عمر الطالبي ثم مقتله .
٢٧٦ — ٢٧١	ذكر خبر ظهور الحسن بن زيد العلوي .
٢٧٧ ، ٢٧٦	أخبار متفرقة .

* * *

السنة الحادية والخمسون بعد المائتين

٢٧٨	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٢٨٢ — ٢٧٨	ذكر خبر قتل باغر التركي
٣١٧ — ٢٨٣	وقوع الفتنة ببغداد بين أهلها وبين جند السلطان
٣١٧	ذكر خبر المدائن في هذه الفتنة
٣٢٦ — ٣١٨	ذكر الخبر عن الأنبار وما كان فيها من هذه الفتنة
٣٢٨ — ٣٢٦	أخبار متفرقة
٣٢٩ ، ٣٢٨	خروج الحسين بن محمد الطالبي وما آل إليه أمره
٣٣٢ — ٣٢٩	أخبار متفرقة
٣٣٣ — ٣٣٢	ذكر خبر قتل بالفردل
٣٣٥ ، ٣٣٤	ذكر خبر هزيمة الأتراك ببغداد
٣٣٥	خبر وقعة أبي السلاسل مع المغاربة
٣٣٧ — ٣٣٥	ذكر خبر وقوع الصلح بين الموالى وبين ابن طاهر
٣٣٧	ذكر بدء عزم ابن طاهر على خلع المستعين والبيعة للمعتز
٣٤٠ — ٣٣٧	خروج العامة ونصرة المستعين على ابن طاهر
٣٤٢ — ٣٤٠	ذكر خبر انتقال المستعين إلى دار رزق الخادم بالرصافة
٣٤٦ — ٣٤٢	ذكر المفاوضة في أمر خلع المستعين
٣٤٧ — ٣٤٦	ذكر خبر خروج إسماعيل بن يوسف بمكة

* * *

السنة الثانية والخمسون بعد المائتين

٣٤٨	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٣٥٤ — ٣٤٨	ذكر خبر خلع المستعين وبيعة المعتز
٣٥٤	ذكر خبر قتل شريح الحبشي
٣٥٦ — ٣٥٤	ذكر حال بغا ووصيف
٣٦١ — ٣٥٦	ذكر الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر
٣٦٢ — ٣٦١	ذكر الخبر عن خلع المؤيد ثم موته

٣٦٦ — ٣٦٢	ذكر الخبر عن مقتل المستعين
٣٦٨ — ٣٦٦	أمر المعتز مع أهل بغداد
٣٦٩	وقوع الفتنة بين الأتراك والمغاربة
٣٧١ — ٣٦٩	ذكر خبر حمل الطالبين من بغداد إلى سامرا
٣٧٢ ، ٣٧١	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثالثة والخمسون بعد المائتين

٣٧٣	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٣٧٣	ذكر خبر أخذ الكرج من ابن أبي دلف
٣٧٤	ذكر الخبر عن قتل وصيف
٣٧٦ — ٣٧٤	ذكر الخبر عن قتل بندار الطبري
٣٧٦	ذكر خبر موت محمد بن عبد الله بن طاهر
٣٧٧ ، ٣٧٦	أخبار متفرقة

* * *

السنة الرابعة والخمسون بعد المائتين

٣٧٩	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٣٨١ — ٣٧٩	ذكر خبر مقتل بغا الشراي
٣٨١	أخبار متفرقة

* * *

السنة الخامسة والخمسون بعد المائتين

٣٨٢	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٣٨٤ — ٣٨٢	ذكر خبر استيلاء يعقوب بن الليث على كرمان
٣٨٦ — ٣٨٤	ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث فارس

صفحة

أخبار متفرقة	٣٨٦ — ٣٨٧
ذكر قتل صالح بن وصيف مع أحمد بن إسرائيل ورفيقه	٣٨٧ — ٣٨٨
ذكر الخبر عن خلع المعتز ثم موته	٣٨٨ — ٣٩٠
خلافة ابن الواثق المهتدي بالله	٣٩١ ، ٣٩٢
قيام الشغب ببغداد ووثوب العامة بسليمان بن عبد الله	٣٩٢ — ٣٩٣
ذكر خبر ظهور قبيصة أم المعتز	٣٩٣ — ٣٩٦
ذكر الخبر عن قتل أحمد بن إسرائيل وأبي نوح	٣٩٦ — ٣٩٩
شغب الجند والعامة ببغداد وولاية سليمان بن عبد الله بن طاهر عليها	٣٩٩ — ٤٠٥
ذكر خبر استيلاء مفلح على طبرستان ثم انصرافه عنها	٤٠٦ — ٤٠٩
ذكر الخبر عن مفارقة كنجور على بن الحسين بن قريش	٤٠٩
خروج أول علوى بالبصرة	٤١٠ — ٤٣٠
ذكر الخبر عن مسير صاحب الزنج بزوجه وجيوشه إلى البصرة	٤٣١ — ٤٣٧
أخبار متفرقة	٤٣٧

* * *

السنة السادسة والخمسون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة	٤٣٨
ذكر الخبر عن وصول موسى بن بغا إلى سامرا واختفاء صالح	٤٣٨ — ٤٤٠
أخبار متفرقة	٤٤٠
ذكر الخبر عن قتل صالح بن يوسف	٤٤٠ — ٤٤٣
ذكر الخبر عن خروج العامة على المهتدي	٤٤٣ — ٤٥٥
حوادث متفرقة	٤٥٥ — ٤٥٦
ذكر الخبر عن خلع المهتدي ثم موته	٤٥٦ — ٤٦٩
ذكر أخبار صاحب الزنج مع جعلان	٤٧٠ ، ٤٧١
ذكر الخبر عن دخول الزنج الأبلّة	٤٧١ — ٤٧٢

٤٧٢	ذكر خبر استيلاء صاحب الزنج على عبّادان
٤٧٣ ، ٤٧٢	ذكر خبر دخول أصحاب صاحب الزنج الأهواز
٤٧٣	أخبار متفرقة
٤٧٤	خلافة المعتمد على الله
٤٧٥ ، ٤٧٤	أخبار متفرقة

* * *

السنة السابعة والخمسون بعد المائتين

٤٧٦	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤٧٦	ذكر خبر مسير يعقوب بن الليث إلى فارس وانصرافه عنها
٤٧٧ ، ٤٧٧	ذكر خبر انهزام الزنج أمام سعيد بن الحاجب
٤٧٧	خلاص ابن المدير من صاحب الزنج
٤٧٨	ذكر خبر إيقاع صاحب الزنج بسعيد وأصحابه
٤٧٩ ، ٣٧٨	خبر الواقعة بين منصور بن جعفر وصاحب الزنج
٤٨٠ — ٤٧٩	خبر مقتل شاهين بن بسطام وهزيمة إبراهيم بن سينا
٤٨٨ ، ٤٨١	خبر دخول الزنج البصرة هذا العام
٤٨٨	ذكر الخبر عن الحرب بين محمد المولد وبين الزنج
٤٨٩	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثامنة والخمسون بعد المائتين

٤٩٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة
٤٩٠	أخبار متفرقة
٤٩٢ ، ٤٩١	ذكر الخبر عن قتل منصور بن جعفر الحياط
٤٩٥ — ٤٩٢	ذكر الخبر عن قتل مفلح
٤٩٩ — ٤٩٥	ذكر خبر أسر يحيى بن محمد البحراني ثم قتله

صفحة

- ذكر خبر انجياز أبي أحمد بن المتوكل إلى واسط . . . ٤٩٩ ، ٥٠٠
 أخبار متفرقة ٥٠٠ ، ٥٠١

* * *

السنة التاسعة والخمسون بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٠٢
 ذكر الخبر عن مقتل كنجور ٥٠٢
 أخبار متفرقة ٥٠٢ ، ٥٠٣
 ذكر خبر دخول المهلبى ويحيى بن خلف سوق الأهواز . . . ٥٠٣ - ٥٠٤
 شخوص موسى بن بغا لحرب صاحب الزنج ٥٠٤ - ٥٠٦
 أخبار متفرقة ٥٠٦ - ٥٠٧
 ذكر الخبر عن دخول يعقوب بن الليث نيسابور ٥٠٧
 أخبار متفرقة ٥٠٧

* * *

السنة الستون بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٠٨
 خبر الوقعة بين يعقوب بن الليث والحسن بن زيد الطائى . . ٥٠٨ - ٥١٠
 أخبار متفرقة ٥١٠
 ذكر خبر مقتل العلاء بن أحمد الأزدى ٥١٠ ، ٥١١
 أخبار متفرقة أيضاً ٥١١

* * *

السنة الحادية والستون بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥١٢
 أخبار متفرقة ٥١٢

ذكر خبر وقعة كانت برامهرمز هذا العام . . . ٥١٢ ، ٥١٣ .
 أخبار متفرقة أيضاً . . . ٥١٣ ، ٥١٥ .

* * *

السنة الثانية والستون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٥١٦ .
 ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث رامهرمز . . . ٥١٦ - ٥٢٠ .
 ذكر خبر توجه رجال الزنج إلى البطيحة ودست ميسان . . . ٥٢٠ - ٥٢٦ .
 أخبار متفرقة . . . ٥٢٦ ، ٥٢٧ .
 ذكر خبر الوقعة بين الزنج وأحمد بن ليثويه . . . ٥٢٧ - ٥٢٩ .
 أخبار متفرقة . . . ٥٢٩ .

* * *

السنة الثالثة والستون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٥٣٠ .
 أخبار متفرقة . . . ٥٣٠ .
 ذكر خبر الوقعة بين ابن ليثويه وأخي علي بن أبان . . . ٥٣٠ - ٥٣٢ .
 أخبار متفرقة . . . ٥٣٢ .

* * *

السنة الرابعة والستون بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٥٣٣ .
 أخبار متفرقة . . . ٥٣٣ .
 خبر أسر الروم لعبد الله بن رشيد . . . ٥٣٣ ، ٥٣٤ .
 ذكر خبر الوقعة بين محمد المولد وقائد الزنج . . . ٥٣٤ .

صفحة

ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله تهباً للزنج دخول واسط

- مع ذكر بعض الأحداث التي وقعت في هذه السنة . ٥٣٦ - ٥٤٠
 ذكر خبر خروج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامراً . ٥٤٠ ، ٥٤١
 أخبار متفرقة ٥٤١

* * *

السنة الخامسة والستون بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٤٢
 ذكر خبر الوقعة بين أحمد بن ليثويه وسليمان قائد الزنج . ٥٤٢ ، ٥٤٣
 أخبار متفرقة ٥٤٣ - ٥٤٦
 ذكر خبر شحوص تكين البخاري إلى الأهواز ٥٤٦ ، ٥٤٧
 أخبار متفرقة أيضاً ٥٤٨

* * *

السنة السادسة والستون بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٤٩
 أخبار متفرقة ٥٤٩ - ٥٥٢
 ذكر الخبر عن الفتنة بين الجعفرية والعلوية ٥٥٢ ، ٥٥٣
 أخبار متفرقة ٥٥٣ ، ٥٥٤
 ذكر خبر دخول أصحاب قائد الزنج رامهرمز ٥٥٤
 ذكر الخبر عن وقعة أكراد دار بان مع صاحب الزنج . ٥٥٤ ، ٥٥٦

* * *

السنة السابعة والستون بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٥٧
 ذكر خبر غلبة أبي العباس بن الموفق على سليمان بن جامع . ٥٥٧ - ٥٨٧

٥٨٨	ذكر خبر مقتل صندل الزنجي
٥٨٩ ، ٥٨٨	ذكر خبر استئمان الزنج إلى أبي أحمد
٥٩٠ ، ٥٨٩	ذكر خبر الإيقاع بالزنج هذا العام
٥٩٣ — ٥٩١	ذكر خبر الوقعة مع الزنج بنهر ابن عمر
٥٩٩ — ٥٩٤	عبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج لحربه
٦٠٠ — ٥٩٩	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثامنة والستون بعد المائتين

٦٠١	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٦٠١	ذكر خبر استئمان جعفر بن إبراهيم إلى أبي أحمد الموفق
٦٠٣ ، ٦٠٢	ذكر عبور الموفق إلى مدينة الزنج
٦٠٦ — ٦٠٣	ذكر خبر وقعة أبي العباس بالأعراب حلفاء صاحب الزنج
٦٠٧ — ٦٠٦	أخبار متفرقة
٦٠٨ — ٦٠٧	ذكر خبر إيقاع رشيق بمن أعان الزنج من بني تميم
٦١١ — ٦٠٩	ذكر الخبر عن قتل بهبود بن عبد الوهاب
٦١٢ ، ٦١١	أخبار متفرقة

* * *

السنة التاسعة والستون بعد المائتين

٦١٣	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٦١٤ ، ٦١٣	أخبار متفرقة
٦٢٠ — ٦١٤	ذكر خبر إصابة الموفق
٦٢٠	ذكر عزيم المعتمد على اللحاق بمصر
٦٢٢ ، ٦٢١	أخبار متفرقة
٦٢٦ — ٦٢٢	ذكر الخبر عن إحراق قصر صاحب الزنج

صفحة

٦٢٧ ، ٦٢٦	ذكر الخبر عن غرق نصير المعروف بأبي حمزة .
٢٢٨ ، ٦٢٧	أخبار متفرقة
٦٣٠ - ٦٢٨	ذكر الخبر عن الوقعة التي كانت بين الموفق وبين الزنج
٦٣٦ - ٦٣٠	خبر انتقال صاحب الزنج إلى شرق نهر أبي الحصيب
٦٤٢ - ٦٣٦	ذكر خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج
٦٤٢	أخبار متفرقة أيضاً .
٦٤٥ - ٦٤٢	ذكر طلب رؤساء صاحب الزنج الأمان .
٦٥٢ - ٦٤٥	خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج وتخريب داره
٦٥٣ ، ٦٥٢	أخبار متفرقة أيضاً .

* * *

السنة السبعون بعد المائتين

٦٥٤	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
٦٦١ - ٦٥٤	ذكر الخبر عن قتل صاحب الزنج وأسر من معه
٦٦٣ - ٦٦١	ذكر خبر استئمان درمويه الزنجي إلى أبي أحمد .
٦٦٧ - ٦٦٣	أخبار متفرقة

* * *

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ٢٤٥٩ / ١٩٧٦

مطابع دارالماarif بمصر - ١٩٧٥
١ / ٧٥ / ١٨